



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مخبر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر

أطروحة دكتوراه

مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث (LMD)

الشعبة: التاريخ

التخصص: تاريخ بلاد المغرب المعاصر

الكتابات الأدبية الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1900-1962م) -دراسة تاريخية-

إعداد الطالبة: وردة عي

إشراف: أ.د عثمان زقب

نوقشت بتاريخ [2026/05/21] أمام لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
رضوان شافو	أستاذ	جامعة الوادي	رئيساً
عثمان زقب	أستاذ	جامعة الوادي	مشرفاً ومقرراً
موسى بن موسى	أستاذ	جامعة الوادي	مساعداً مشرفاً
يوسف بديدة	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	ممتحناً
سيد علي أحمد مسعود	أستاذ	جامعة المسيلة	ممتحناً
سليم سايج	أستاذ محاضر أ	جامعة قسنطينة 02	ممتحناً

السنة الجامعية: 1447 هـ / 2025-2026م

"الأديب إنسان ضعيف يريد أن يعيش بعقل قوي جبار، إنه شخص غريب يستحق العطف والرحمة، ولكن لا يجد في حياته سوى الجحود والحرمان، والآلام والنكران، إلى أن يدركه ربه برحمة الموت فتحمله إلى عالم الأبدية... تعذب نفس الأديب، وتتطلب شيئاً من الترفيه، فلا يرحمها لأن الراحة تتطلب الكذب على النفس والتمويه عليها، وهو لا يريد أن يغمس نفسه ويكذب عليها وإنما يصدقها ويصدمها بحقائق الحياة مهما كانت مؤلمة"

أحمد رضا حوحو، "الأديب"، جريدة البصائر، ع06، 1947.

إهداء

إلى الإنسان،

حيثما كان، حين يختار الفكرة بدل العنف، والذاكرة بدل الإنكار، والسؤال بدل الصمت.

إلى نساء العالم

الواتي لم يكملن تعليمهن، لا عجزًا، بل لأن الطرق أُغِلِّقت قبلهن، رغم أن الحلم كان حاضرًا، حيًّا، ومؤجلًا...

إلى الأدباء

الذين دفعوا دماءهم ثمناً لقطرة حبر، والذين كتبوا ليبقى الإنسان إنسانًا، حتى وهو مُطارَد.

إلى هذا الوطن الحبيب

الذي يدهشني كلما نبشتُ في تاريخه، برجالٍ ونساءٍ وأطفال

دفعوا أعمارهم، وأحلامهم، وكل ما يملكون كي تولد الحرية...

إلى شهداء الحروب

إلى الطلبة الذين سَحَقُوا مع كتبهم، وحواسيبهم، وأحلامهم المؤجلة، في عوالم لا ترحم المعرفة...

إلى والدي، عثمان عي

كنتُ أول من علّمني أن الفكر ليس ترفًا، بل مسؤولية، وأن السؤال هو البوابة الأولى لكل معرفة.

تأثرتُ بك، لا فيما قلت فقط، بل فيما كنتُ عليه: نموذجًا في النزاهة الفكرية، وصدق الالتزام، وعمق الرؤية.

شكرًا لأنك زرعْتَ فيَّ حبَّ الفلسفة، وشغف البحث، وحرية التفكير.

إلى والدتي، خ. سماح

منكِ تعلّمتُ أن أرى الجمال في التفاصيل، وأن أكتب بصدق، وأن أؤمن بأن لكل حلمٍ وقته

إذا رافقه الصبرُ والحب، شكرًا لأنك جعلتِ من المحبة أرضًا خصبة، ينبت فيها كل ما هو جميل.

إلى إخوتي: حمزة عبد المقتدر، أيمن علاء الدين، عبد النور، رحيل...الذين احتَوَوْنِي بكل أمزجتي...

إلى جدّتي مبروكة التي ورثتُ عنها حبَّ التاريخ، وتعلّمتُ منها أولى طرائق السرد، وإلى جدّي عبد القادر (غادة) الذي

علّمني أن الحبَّ والإعجاب بالراجلين جزءٌ أصيل من إنسانيتنا.

إلى كل الغرباء والأحبة من يجمعني بهم الملح أو الدم أو الحلم أو الندم...

إلى نفسي التي تحمّلتني، وتحملُها...

شكر و عرفان

أتقدّم بخالص الشكر وعميق العرفان إلى الأستاذ الدكتور المشرف عثمان زقب، تقديرًا لجهودكم العلمية القيّمة في تأطير هذا

العمل، وعرفانًا لمرافقتكم الصادقة منذ اللحظات الأولى، إذ ساعدتمونا على اختيار موضوع

ينسجم مع شغفنا العلمي والبحثي.

كما أشكركم على منحتكم التي لا تُقدّر بثمن: حرية البحث، والتشجيع الدائم على الإبداع والانفتاح الفكري والالتزام

بالموضوعية.

إلى جميع أساتذتي بجامعة الوادي الذين لم يدّخوا جهدًا في إرشادي وتوجيهي من الطور الأول إلى الطور الثالث، وخاصة

الأستاذ السعيد المشردي الأب الروحي لي في حب هذا التخصص، والدكتور محمد حركات الذي دعمني خلال رحلة البحث.

إلى الكاتب والشاعر والملحن فريد مخلوفي، عرفانا بجميل حكمته وخبرته خلال مساري في الكتابة.

إلى الباحث والكاتب ميلود رقيق، والمترجم والطبيب معراج أغا، والسيد محمد لعرج بوطارن.

إلى روح السيد حسين شنوف الذي استفدتُ من مكتبته المنزلية الزاخرة بالطبعات النادرة للكتب والجرائد، وإلى ابنه السيد:

صدام شنوف، عرفانا بجميله وتقديرًا لجهوده.

إلى روح الباحث محمد ناصر الذي أوصى بأن تُرسل كتبه مجانيًا لكل من طالب بها...

إلى أرواح أساتذتي: عبد العالي فضل، الطاهر سيقاق، وإلى الكاتب بوداود عمير، والكاتبة مريم شعبان...

ستظلّ ذكراكم حيّة، وحاضرة في هذا العمل، وفي كل ما سيأتي بعده...

وإلى رفيقة هذا المسار، زميلتي في هذا الطور: عائشة الأسود.

إلى أصحاب المكاتب، ولا سيما مكتبة هيمة، وإلى دور الأرشيف، وأمن وإدارة الجامعة، عرفانا بأخلاقهم السامية في معاملة

طالب العلم.

قائمة المختصرات:

باللغة العربية:

الاختصار	المصطلح
...	كلام محذوف
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
د. ن	دون دار نشر
د. س	دون سنة
د. م	دون مكان نشر
سل	سلسلة
ص	صفحة
ع	عدد
علب	علبة (كرتون أرشيفي)
مج	مجلد
مل	ملف

باللغة اللاتينية:

Le terme	Son abréviation
Archives Nationales de Tunisie	A.N.T
Archives Nationales d'outre-mer	A.N.O.M
Archives Electorales algériennes	A.E.A
Archives nationales de France	A.N.F
Auteur anonyme	A.A
Entreprise Nationale Algérienne du Livre	ENAL
page	p
sans date	s.d
sans lieu	s.l
traduction	trad
traduit par	trad. par
volume	vol
tome	t

مقدمة

تكتسب الكتابات الأدبية أهمية متزايدة في الدراسات التاريخية المعاصرة، بوصفها مصدرًا معرفيًا مكملًا للمصادر التقليدية، إذ لا تقتصر قيمتها على تسجيل الأحداث، وإنما تمتد إلى الكشف عن البنى الذهنية والوجدانية للمجتمعات، ورصد تماثلاتها للسلطة والهوية والآخر، واستجلاء تفاصيل الحياة اليومية التي كثيراً ما تغيب عن الوثائق الرسمية، فالنص الأدبي، وإن لم يُكتب بقصد التأريخ، يبقى شاهداً على عصره، يحمل في ثناياه رؤية صاحبه، ويعكس طبيعة البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها، الأمر الذي جعله يحظى باهتمام المؤرخين، خاصة بعد اتساع مفهوم الوثيقة التاريخية خلال القرن العشرين.

عبر عدد من المفكرين عن هذه العلاقة الوثيقة بين التاريخ والأدب، ففي هذا السياق، يرى إيفري نف (Évry-Neuf) أن المؤرخ، وهو يستحضر الماضي، لا يكفي بتجميع الوقائع، بل يعيشها وجدانيًا، فتتفاعل مشاعره مع ما يطالعه من عدل وظلم، ومن صعود الحضارات وأفولها، حتى لكأن الأحداث تجري أمام عينيه، كما أشار نيبور (Barthold Georg Niebuhr) إلى أن التحولات الكبرى، وفي مقدمتها الحروب النابليونية، أسهمت في تجديد الكتابة التاريخية، وتوسيع آفاقها لتشمل دراسة الإنسان في أبعاده الفكرية والثقافية والنفسية، بعد أن ظلت ردحًا طويلاً أسيرة السرد السياسي والعسكري.

قد تعزز هذا التوجه مع التحولات الفكرية التي شهدتها القرنان الثامن عشر والتاسع عشر، متأثرًا بالثورة الفرنسية والثورة الأمريكية والثورة الصناعية، حيث لم يعد اهتمام المؤرخ منصبًا على الأحداث السياسية وحدها، بل اتسع ليشمل الفكر والأدب والفنون والعادات والذهنيات، وفي هذا الإطار، غدا الأدب وسيلة لفهم المجتمع بقدر ما هو تعبير جمالي عنه، وأصبح الانفتاح عليه يمثل تعميقًا للمنهج التاريخي، لا خروجًا عنه.

مع اندلاع الحربين العالميتين، برز الأدب بوصفه شاهدًا على واحدة من أكثر التجارب الإنسانية قسوة، فدوّن ما عجزت الوثائق الرسمية عن نقله من آلام الجنود والمدنيين، وصوّر آثار الحرب في النفس البشرية، ومن أبرز هذه الأعمال رواية: كل شيء هادئ على الجبهة الغربية للكاتب الألماني إريك ماريا ريمارك (Erich Maria Remarque)، التي جسدت مأساة الجنود في الحرب العالمية الأولى، كما تناول إرنست همنغواي (Ernest Miller Hemingway) آثار الحروب في رواياته وداعًا للسلاح ولمن تفرع الأجراس، بينما عكست فرجينيا وولف (Virginia Woolf) في رواية بين الفصول القلق الوجودي الذي خلّفته الحرب في المجتمع الإنجليزي، وقد أصبحت هذه الأعمال، إلى جانب قيمتها الأدبية، مصادر يستأنس بها المؤرخ لفهم التجربة الإنسانية في زمن الصراع.

الجزائر لم تكن بمنأى عن هذا المسار، فقد نشأ أدبها الحديث في ظل واقع استعماري استثنائي، فغدا أحد أهم أشكال المقاومة الثقافية والحفاظ على الذاكرة الوطنية، وقد عكست النصوص الأدبية الجزائرية مختلف التحولات السياسية والاجتماعية والفكرية التي عرفها المجتمع، وسجلت مواقف الكتّاب من الاحتلال الفرنسي، وصورت معاناة الجزائريين وتطلعاتهم إلى الحرية، كما حفظت كثيراً من تفاصيل الحياة اليومية التي لم توثقها السجلات الرسمية. غير أن هذا التراث الأدبي لم يحظ بالعناية نفسها، إذ استأثرت أسماء معينة باهتمام الباحثين، وترجمت أعمالها إلى لغات متعددة، في حين بقيت أعمال أخرى، على الرغم من قيمتها الفكرية والتاريخية، حبيسة النسيان، الأمر الذي يدعو إلى إعادة قراءتها في ضوء المنهج التاريخي، تحقيقاً لما أشار إليه إسكندر توفيق من ضرورة تجاوز القطيعة بين الأدب والتاريخ، وإعادة الاعتبار للنصوص التي أسهمت في تشكيل الذاكرة الثقافية.

انطلاقاً من هذا التصور، تأتي هذه الدراسة لتتناول المتن الأدبي موضوع البحث بوصفه وثيقة تاريخية وثقافية، تسعى إلى استنطاق ما يختزنه من معطيات حول المجتمع الجزائري، والكشف عن أبعاده الفكرية والسياسية والاجتماعية، بما يسهم في إعادة بناء جانب من تاريخ الجزائر الثقافي، ويمنح الأصوات الأدبية التي لم تنل حظها من الدراسة والاهتمام مكانتها ضمن الذاكرة الوطنية.

1. الإشكالية:

رغم غزارة الإنتاج الأدبي الجزائري في ظلّ الاحتلال، فإنّ هذه الفترة لم تحظْ بالقدر الكافي من البحث التاريخي الذي يُبرز أبعادها وأهميتها، وتُثير هذه الدراسة إشكاليةً جوهريةً مفادها: كيف تشكّلت الكتابات الأدبية الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1900-1962) في ظلّ التحوّلات التاريخية والسياسية والثقافية التي عرفتها الجزائر، وما مدى قدرتها على مقاومة الهيمنة الاستعمارية، وذلك من خلال تنوّع أجناسها الأدبية (السردية، والشعرية، والتوثيقية، والاحتجاجية)، وتعدّد لغاتها ومنابرها؟

تطرح هذه الدراسة عدة أسئلة أهمها:

- ما هي مراحل تشكل الكتابات القصصية والروائية في الجزائر خلال فترة الاحتلال؟
- كيف تطوّرت الكتابات المسرحية والرسائل في الجزائر الاستعمارية؟ وما دورها في التعبير عن الهوية والمقاومة؟
- ما هي أنواع الكتابات الشعرية التي ظهرت في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي؟ وكيف عبرت هذه النصوص الشعرية عن الواقع الاجتماعي والسياسي؟

- كيف شكلت الكتابة النسائية والكتابة التوثيقية فضاءً للتعبير عن التجربة الأدبية في ظل الاحتلال؟ وما مضامينها ومساهماتها في توثيق الواقع؟
- ما هي مظاهر الكتابة الأدبية الاحتجاجية في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي؟ وكيف ساهمت هذه الكتابات في تأجيج النضال الوطني؟
- ما هي المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر التي دعمت الأدب الجزائري خلال فترة الاحتلال؟ وكيف أثرت في إنتاج الأدب ونشره؟
- كيف مارست السلطة الاستعمارية الفرنسية الرقابة السياسية تجاه الكتابات الأدبية؟ وما الآثار التي ترتبت على هذه الرقابة؟
- ما دور منابر الأدب الجزائرية مثل الصحف والمجلات والنشر في تعزيز الأدب الوطني؟ وكيف كانت وسيلة لمقاومة الهيمنة الثقافية الاستعمارية؟

2. هيكل البحث:

تتكون الدراسة من مدخل ثم ثلاث أبواب، يحتوي الباب الأول على ثلاث فصول، ثم يأتي البابين الثاني والثالث ليحتويا على فصلين لكل منهما:

تُفتتح الدراسة بمدخل يمهّد لفهم طبيعة الكتابات الأدبية الجزائرية وتطورها في ظل الظروف الاستعمارية، وينطلق هذا المدخل من رصد الوضعية العامة التي عرفها الأدب الجزائري خلال القرن التاسع عشر، حيث أدى الاحتلال الفرنسي إلى اختلال كبير في البنية الثقافية للمجتمع، إذ جُوبه الأدب الجزائري بمحاولات الإقصاء والتهميش، ما أدى إلى تضيق مجالات الإنتاج والتعبير، ورغم ذلك، استمرت الكتابة في بعض الأوساط الدينية والعلمية بوصفها شكلاً من أشكال المقاومة الرمزية، وفي هذا السياق، تتضح دوافع الكتابة لدى الجزائريين بين 1830 و1900، ومع مطلع القرن العشرين، بدأت تتبلور ملامح جديدة لتطور الأدب الجزائري بفعل جملة من العوامل، منها بروز الوعي السياسي والوطني، وتطور التعليم الأهلي، وظهور الصحافة، وازدهار حركة الإصلاح، إلى جانب تزايد فرص الاحتكاك بالأدب العربي والغربي، ما أتاح للأدباء الجزائريين إمكانات جديدة في التعبير والانتشار، كل هذه المقدمات تؤسس لبنية هذه الدراسة.

يُعد الباب الأول من هذه الدراسة تمهيداً جوهرياً لفهم البنية الأدبية التي تشكلت في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1830-1962)، وهو يتناول الكتابات الأدبية السردية والشعرية بوصفها مرآة للواقع

الاجتماعي والثقافي والسياسي آنذاك، ومساحة إبداعية تعكس تحولات الوعي الوطني وفهم الهوية، وقد تم تقسيم هذا الباب إلى ثلاثة فصول متكاملة، تُعنى بتحليل أبرز الأجناس الأدبية التي ازدهرت في ظل الاحتلال، وهي: الكتابات القصصية والروائية، ثم المسرحية والرسائل، وأخيرًا الشعر بأنواعه المختلفة.

في الفصل الأول، تم تخصيص حيز لمقاربة الكتابات القصصية والروائية، بدءًا من التأسيس النظري للمفاهيم الأساسية كالسرد والقصة والرواية، مرورًا ببيان النشأة التاريخية لهذه الأشكال في السياق الجزائري، وتأثرها بالبيئة الاستعمارية، وقد عُرضت نماذج من القصص التي عبّرت عن قضايا اجتماعية وسياسية وثورية، مثل "المساواة" لمحمد السعيد الزاهري و"شهيد بلا قبر" للحبيب بناسي، إلى جانب نماذج من الروايات ذات الطابع الاجتماعي والسياسي والثوري، مثل "مرم بين النخيل" لمحمد ولد الشيخ أغا، و"الأرض والدم" لمولود فرعون، و"إدريس" لعلي الحمامي، كما تم التوقف عند بعض التجارب المترجمة التي ساهمت في مد الجسور بين الأدب الجزائري والمكتبة العالمية.

أما الفصل الثاني فقد خُصص للحديث عن الكتابات المسرحية والرسائل، حيث افتُتح بتأصيل مفاهيمي للمسرح وكتابة الرسالة، متبوعًا بدراسة تطور المسرح الجزائري في بيئة استعمارية كانت تحاول تهميش الإبداع الوطني، ليتجلى التحدي الفني في أعمال مثل "بابا قدور الطماع" لرشيد القسنطيني، و"الهاب" للطاهر وطار، كما احتوى الفصل على قراءة في بعض النماذج من كتابة الرسائل، التي تنوعت بين الوجدانية والفكرية والنضالية، وكانت مرآة عاكسة للتجربة الفردية والجماعية للمثقفين الجزائريين، ومجالًا للتعبير عن الرفض أو الحنين أو الصراع الفكري، كما في رسائل مولود فرعون إلى ألبير كامو، ورسالة العربي التبسي إلى أبو القاسم سعد الله.

يُختتم الباب بالفصل الثالث، الذي يسلط الضوء على الكتابات الشعرية من خلال تقديم مدخل نظري عن الشعر الجزائري، نشأته، وأبرز أنواعه في تلك المرحلة، متبوعًا بتحليل نماذج شعرية تنتمي إلى مجالات متعددة، مثل الشعر الذاتي الذي عبّر عن الحزن والحنين والمعاناة، كما في "نار عصبية التلهاب" لمحمد الأمين العمودي، و"ظلال" لمحمد ديب، والشعر الملتزم الذي خدّم القضية الوطنية والقومية والدينية، إضافة إلى الشعر الغنائي والطبيعية وتعريب الشعر، ثم الشعر الاخواني والراثي وقد مثّلت هذه النماذج بمجموعها بانوراما متكاملة تعكس تنوع الإبداع الشعري الجزائري، وارتباطه العميق بالواقع التاريخي والثقافي خلال الاحتلال الفرنسي.

في الباب الثاني، الفصل الأول تُستهل الدراسة بمحاولة تأصيل مفهومي للكتابة النسائية، من خلال عرض أبرز الإشكالات النظرية المرتبطة بالمصطلح، ثم تتبع مسارات التأسيس التاريخي لهذا اللون من الكتابة في الجزائر، والذي تأخر ظهوره نتيجة حزمة من العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية المرتبطة بالبنية الاستعمارية

الذكورية والإقصائية، ويسعى هذا القسم إلى إبراز أهمية الأصوات النسائية التي استطاعت أن تفرض حضورها رغم الهيمنة المزدوجة: الاستعمارية والذكورية، مع الإشارة إلى نماذج بارزة مثل فاطمة آيت عمروش وليلى بن ذياب، اللتين جسدتا في كتاباتهما سرديات الهوية والمعاناة والتوق إلى التعليم والتحرر. وتتوسع الدراسة في هذا السياق لتشمل النماذج الشعرية والغنائية، مثل قصائد آنا غريكي (Anna Gréki) وبييرث بنيشو-أبولكر (Berthe Bénichou-Aboulker)، كما يتم التوقف عند الأغنية الشعبية النسوية كأداة للتعبير عن معاناة المرأة الجزائرية.

ينتقل البحث بعد ذلك إلى محور الكتابة الأدبية التوثيقية، بوصفها أداة لتأريخ الذات الجماعية والفردية في آنٍ معاً، يتم التركيز أولاً على الإطار المفاهيمي والنشأة التاريخية لهذا اللون من الكتابة، بما يشمل المذكرات واليوميات والرحلات والتراجم، وقد مثلت هذه الأجناس أدوات قوية لمواجهة النسيان الاستعماري ومحاولات طمس الذاكرة الوطنية. ومن بين النماذج التي يُتوقف عندها في هذا الإطار، مذكرات فاطمة آيت عمروش ويوميات أبو القاسم سعد الله، ورحلات عبد الحميد بن باديس ومحمد الزاهي الميلي ومحمد الصالح رمضان، التي تحمل دلالات عميقة حول فهم الذات والمكان في زمن الهيمنة، كما تُدرج تراجم شخصيات مثل الشيخ المكي بن عزوز وأبو القاسم محمد بن هاني والشيخ نعيم النعيمي ضمن هذه السير التي تحفظ الذاكرة الوطنية وتعيد الاعتبار للشخصيات الفاعلة في الحقلين الديني والثقافي.

أما الفصل الثاني، فيغوص في مجالات الكتابة الأدبية الاحتجاجية، حيث يشكّل هذا اللون من الكتابة صدى لواقع اجتماعي وسياسي مضطرب، يعكس من خلاله الكتاب موقفهم من قضايا الحرية، العدالة، وحقوق الإنسان في ظل الاحتلال، ويبدأ هذا الفصل بتأصيل مفاهيمي للكتابة الاحتجاجية، مع التمييز بينها وبين الكتابة الصحفية، عبر دراسة تطور المقالة والعرائض بوصفها ألواناً من النقد السياسي والاجتماعي. ثم تُعرض نماذج من العرائض، مثل عريضة أبو يقظان حول توقيف صحفه، وعريضة أحمد توفيق المدني الموجهة إلى جامعة الدول العربية، وهما نموذجان يعكسان إصرار النخبة الوطنية على الدفاع عن حرية الرأي في وجه القمع الاستعماري.

يتوسع القسم الثاني من هذا الفصل لتقدم نماذج من المقال النقدي الموجه للسياسات الاستعمارية، مثل مقال "استعمار فلسطين" لعمر راسم، ومقال محمد البشير الإبراهيمي عن فصل الدين عن الحكومة، بما يعكس انخراط النخبة المثقفة في القضايا العربية الكبرى إلى جانب القضايا الوطنية، كما يتم تحليل مقالات اجتماعية ناقدة مثل "قيمة المرأة في المجتمع" لحمزة بوكوشة و"تعليم المرأة الكتابة" لمبارك الميلي، والتي تسلط الضوء على التهميش الاجتماعي والثقافي للمرأة.

تُستكمل الدراسة بمقاربة المقال النقدي الثقافي، إذ تمثل هذه المقالات واجهة أخرى من النقد الموجه للأدب والمجتمع والمثقفين، يتناول هذا القسم مقالات حول نقد الأدب العالمي، مثل نقد أحمد شقار الثعالي لرواية أجنبية، ومقالات الطاهر بوشوشي التي تقارن بين الأدبين العربي والغربي، إلى جانب نصائح للكتابة ومواقف حول النهضة الأدبية الجزائرية، كما كتب محمد الأخضر السائحي وأبو يعلى الزواوي، كما تتضمن هذه الفقرة مراجعات نقدية لأعمال أدبية أو لمواقف أدبية جدلية، مثل النقد الموجه لطلح حسين، ومقالات سعد الدين بن شنب وسعد الله التي تسهم في بلورة خطاب نقدي وطني واضح المعالم.

يُختتم هذا الفصل بتسليط الضوء على النقد المسرحي، من خلال مقالات تعالج واقع المسرح الجزائري والعربي، منها ما كتبه سعد الدين بن شنب وحسني عبد الله، مما يعكس انخراط المثقفين في تقويم الفنون بوصفها أدوات تغيير اجتماعي وسياسي، هذا التنوع في نماذج الكتابة الاحتجاجية يعبر عن ديناميكية الثقافة الجزائرية في ظل الاحتلال، وعن قدرة الكلمة على مقاومة السيف والاستلاب.

يُعنى الباب الثالث بدراسة البنية الثقافية والسياسية التي تشكّلت حول الإنتاج الأدبي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، نبدأ في **الفصل الأول** تحليل مزدوج يسلط الضوء على المنابر والمؤسسات التي أتاحت للجزائريين فرصة التعبير والنشر، وفي المقابل، تتبّع السياسة الاستعمارية التي هدفت إلى الحدّ من فعالية هذا الإنتاج وتشويه مضامينه وملاحقة أصحابه. لقد اتجهت جهود الجزائريين نحو تشكيل فضاءات خاصة للقراءة والإبداع، حيث تعدّدت اختياراتهم فيما يخصّ نوعية الأدب المقروء، فبين من انفتح على الأدب العربي قديمه وحديثه، ومن انجذب إلى الأدب الغربي بمختلف مدارس، تشكّلت أذواق ثقافية متنوعة تعكس وعيًا فكريًا متناميًا رغم محدودية الوسائل وهيمنة الرقابة الاستعمارية.

قد شكّلت لغة الكتابة إحدى أهم الإشكالات الثقافية في هذه المرحلة، حيث وجد الجزائريون أنفسهم أمام واقع لغوي مفروض، دفع البعض إلى التعبير بالفرنسية بدافع الضرورة أو التمرير، بينما حافظ آخرون على اللغة العربية باعتبارها ركيزة للهوية ومجالاً للمقاومة، وفي هذا السياق، تبرز أهمية المؤسسات الثقافية الوطنية التي ظهرت في خضم الهيمنة الفرنسية، ومنها الصحافة الوطنية التي شكّلت منبرًا هامًا للتعبير، والمكتبات التي توزعت بين تلك الموجهة للأوروبيين وتلك التي أسسها الأهالي، فضلًا عن المبادرات الفردية في الطباعة والنشر، والمدارس الحرة التي ساهمت في حفظ الثقافة العربية الإسلامية، والجمعيات الأدبية التي احتضنت أعلامًا جزائرية بارزة.

إلى جانب ذلك، يدرس هذا الباب مختلف أشكال النشر والترويج الثقافي، سواء عبر الجرائد والمجلات أو عبر الكتب والدواوين، وكذا الإعلانات ذات الطابع الأدبي والثقافي، بما في ذلك ما كان يُبث عبر الإذاعة أو يُرَوَّج له عبر المسابقات والأنشطة الأدبية.

في المقابل، لم تكن الإدارة الاستعمارية غافلة عن تأثير الكلمة المكتوبة في إذكاء الوعي الوطني، فيأتي **الفصل الثاني** لدراسة السياسة الاستعمارية تجاه كتابات الجزائريين بدءًا بالرقابة والتضييق المادي، ومرورًا بمحاولات شراء الأقلام والتعقيم الإعلامي، وانتهاءً بإيقاف الصحف وتعليق الأنشطة المسرحية، وقد طالت هذه السياسات القمعية الكتّاب والمبدعين على اختلاف توجهاتهم، فكان السجن والإقامة الجبرية من نصيب عدد من الشعراء والأدباء، بينما تعرض آخرون للتعذيب والتصفية الجسدية.

كانت خاتمة البحث تؤكد على أهمية البحث في الكتابات الأدبية الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي لفهم عمق التجربة الثقافية والاجتماعية والسياسية للبلاد في تلك المرحلة.

3. المنهج المستخدم

يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي بوصفه الإطار الأساسي لتحليل تطور الكتابات الأدبية الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1900-1962م)، ويُعد هذا المنهج الأنسب لطبيعة الموضوع، نظرًا لارتباط الأدب ارتباطًا وثيقًا بالسياقات التاريخية والسياسية التي أنتجته، ومن خلاله، يتم تناول الأدب الجزائري باعتباره مرآة تعكس الأجناس الأدبية المختلفة (كالرواية، والشعر، والمسرح، والرسائل، والمذكرات...) في ضوء الأحداث المفصلية التي أثرت في الحياة الثقافية والفكرية، كالمجازر الاستعمارية، وسياسات التجهيل والقمع، وظهور الحركة الوطنية، وصولًا إلى ثورة التحرير.

4. مصادر البحث

تشكل المصادر ركيزة أساسية في هذه الدراسة، إذ إنها تتيح لنا تتبع المسارات الفكرية والأدبية وتحليلها في ضوء السياق التاريخي الذي وُلدت فيه، وقد تنوعت المصادر بين وثائق أرشيفية، ورسائل شخصية، ومؤلفات أدبية، وشهادات ومذكرات، ما أضفى على البحث عمقًا ومصداقية، كما سمح بالجمع بين المادة التاريخية والتحليل الأدبي. من الوثائق الأرشيفية غير المنشورة، اعتمدنا على أرشيفات مثل: الأرشيف الوطني التونسي، الذي يحتوي على مراسلات رسمية تعود إلى خمسينيات وستينيات القرن العشرين، مثل: "إرسالية من كاتب الدولة للرئاسة إلى

كاتب الدولة الداخلية، 17 أبريل 1963"، وهي وثيقة تُظهر التداخل بين المجال السياسي والثقافي في تلك المرحلة، كما استخدمنا وثائق من الأرشيف الوطني الفرنسي وموقع بيرفيه-سور-سين، مثل ملفات المراقبة الإدارية للمثقفين الجزائريين، التي تُبرز كيف تعاملت السلطات الاستعمارية مع النشاط الأدبي كأداة مقاومة.

أما المصادر المنشورة، فتشمل أعمالاً أدبية جزائرية كُتبت خلال فترة الاحتلال، مثل رواية "إدريس" لعلي الحمامي، وهي واحدة من أولى الروايات ذات الطابع السياسي والاجتماعي، وتُعدّ نصّاً محوريّاً في تحليل الخطاب المقاوم، كما اعتمدنا على مذكرات أحمد طالب الإبراهيمي وأعمال محمد ديب وأحمد رضا حوحو التي تمثل تنوع الأجناس الأدبية (الرواية، المسرح، القصة) وتعكس تفاعل الأدب مع قضايا الهوية، الاحتلال، والدين.

رغم الحضور الطاغي لبعض الأسماء الكبرى في الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية، إلا أن عددًا من الأعمال غير المشهورة يمثل رصيّدًا مهمًا لفهم التحولات الثقافية والاجتماعية التي عاشتها الجزائر في ظل الاحتلال، من بين هذه النصوص، تبرز روايات محمد ولد الشيخ مثل مريم بين النخيل (1936) وعذراء الدوار، التي كُتبتا في مدينة وهران، وقدمتا صورًا معقدة عن المرأة والعلاقات الاجتماعية في الجنوب الجزائري، بأسلوب ينهل من الواقعية المحلية والخطاب المزدوج، كذلك، يُعد العجوز والطفل لعبد الله شعابنة (1950) محاولة نادرة لرصد الذاكرة الشفوية وتمثيل التحولات من خلال علاقة بين جيلين، وهو نص يُقارب التحول من الطفولة إلى الوعي بالاحتلال، ويعكس بمهارة حساسية الكاتب تجاه تفاصيل الحياة اليومية.

كما تمثل أعمال وبييرث بنيشو-أبولكر (Berthe Bénichou-Aboulker)، مثل الكاهنة، الملكة البربرية وبلاد الذهب، نموذجًا لكتابة جزائرية نسوية مبكرة داخل المنظومة الاستعمارية، حيث تتقاطع الأسطورة بالتاريخ، ويظهر فيها هاجس الهوية عبر خطاب سردي فرنكوفوني لكنه مشبع بالرمزية المحلية، من جهته، يُعد "قدور قادة" لقدادة بوطارن شهادة أدبية نادرة من منطقة بريزينة، يُعيد فيها بناء الذاكرة القبلية والاجتماعية من وجهة نظر طفل جزائري في بدايات القرن العشرين، بعيدًا عن المدن الكبرى وخارج الأطر الأيديولوجية المعتادة.

لا يمكن إغفال أهمية أعمال مثل قصة حياتي لفاطمة آيت منصور (1968) والمكتوبة أثناء وبعد الحرب العالمية بفترة وجيزة، والتي تمثل شهادة استثنائية عن حياة امرأة أمازيغية بسيطة، تمتد فيها الذاكرة عبر سياقات متعددة من القمع والتمرد.

كما لعبت الصحافة خلال النصف الأول من القرن العشرين دورًا يتجاوز النقل الإخباري، إذ تحوّلت إلى منبر لكتّاب مغمورين، عبّروا عن انشغالاتهم الاجتماعية والثقافية، وطرحوا قضايا الهوية، والمرأة، والتعليم، من خلال

المقالات، القصص القصيرة، والقصائد، التي غالبًا ما مرّت دون أن تحظى بتوثيق أو دراسة وافية، وقد سمحت هذه المنابر لأفلام غير معروفة بإثبات حضورها ضمن المشهد الأدبي، وإن في هامشه، من بين هذه المقالات التي نعتبرها مصدرا للدراسة، يبرز مقال أحمد بن ذياب بعنوان "الأدب العربي الربيع في الشعر الجزائري المعاصر" (ماي 1956، هنا الجزائر) الذي يقدم قراءة نقدية في تطور الشعر الجزائري ضمن إطار إحيائي حديث، كما جاءت كتابات باية خليفة في "قيمة المرأة في المجتمع" (ديسمبر 1954، البصائر) وحمزة بوكوشة في موضوع مماثل (فيفري 1936، البصائر) لتسلط الضوء على الدور الاجتماعي والثقافي للمرأة في المجتمع الجزائري، مما يعكس اهتمام الأدباء بالقضايا الإصلاحية والاجتماعية، أما في مجال الترجمات، فقد نشر عبد الرحمن الجيلالي ترجمة قيمة للعلامة الشيخ المكي بن عزوز في مجلة الشهاب (ديسمبر 1930)، مما يؤكد سعي الأدب إلى توثيق التراث العلمي والديني.

في جانب الأدب القومي والوطني، احتلت القصائد القومية المبكرة مكانة هامة في الصحافة، حيث نشرت جريدة المشير (1911) قصيدة "دمعة على الملة" لعمر بن قدور التي تعبر عن الوجد الوطني والحنين إلى الهوية، كذلك، تواصلت مساجلات أدبية بين بدوي جلّول، أحمد سحنون، ومحمد العيد آل خليفة في مجلة الشهاب (ماي 1938) والتي عكست نقاشات فكرية وأدبية غنية حول قضايا الهوية والتجديد، كما نشر جلّول البدوي قصيدة "دمعة أسي" في هنا الجزائر (ديسمبر 1953)، لتعبر عن آلام وهموم الواقع الوطني في تلك الحقبة.

أما في مجال الرحلات والقصص، فقد أوردت الصحافة مقالات سردية مثل سلسلة "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة" لمحمد الزاهي الميلي (البصائر، سبتمبر 1938) التي تقدم وصفاً دقيقاً للمسافة والتجارب الثقافية بين العاصمة الفرنسية ومدينة قسنطينة، وفي القصص، برزت قصة "المساواة-فرونسوا والرشد" لمحمد السعيد الزاهري المنشورة في جريدة الجزائر (أوت 1925) التي تمثل تجربة سردية تعكس بُعداً اجتماعياً ونقدياً للمجتمع، كما استمرت القصائد في التعبير عن المشاعر الإنسانية للأدباء، مثل قصيدة الرثاء لمحمد العيد آل خليفة "إلى روح شوقي" (الشهاب، جانفي 1933).

في الصحف والمجلات المكتوبة باللغة الفرنسية والتي اعتمدناها كمصدر أيضاً، كانت صفحات الجرائد والمجلات فضاءً لتعبيرات أدبية واجتماعية متنوعة تراوحت بين الأدب المباشر والكتابة الصحفية ذات النفس الأدبي، وساهمت بشكل كبير في تشكيل وعي ثقافي متعدد الأبعاد. على سبيل المثال، نشرت بيرث بينيشو-أبولكر قصيدتها "حديقة الصيف" في الحوليات الإفريقية (1935)، حيث قدمت من خلالها رؤية شاعرية مميزة لعالمها الأنثوي، كما برزت آنا غريكي (Anna Gréki) في أواخر خمسينيات وأوائل ستينيات القرن العشرين بنصوص ذات طابع سحني

ونضالي في مجلتي الأزمنة الحديثة وإفريقيا الفتية، خاصة في قراءتها لكتاب المطرودون من الأرض، مما يعكس حساسية شعرية وسياسية مركبة.

يجدر التنويه إلى أن بعض الأصوات الأدبية الجزائرية برزت من خلال الصحافة الفرنسية التي كانت تصدر في الجزائر، مثل جان عمروش في مقاله "الأبدي جوجرتا" الصادر في مجلة السفينة (1946)، حيث أعاد رسم صورة القائد النوميدي كرمز للمقاومة، إلى جانب ذلك، ساهم محمد ديب في الصحافة من خلال مقاله "خالد" (1951)، الذي يندرج ضمن مشروعه الفكري لتأريخ الهوية الوطنية الجزائرية قبل الاستقلال.

شملت مصادر البحث أيضاً بعضاً من المكالمات الهاتفية ومحادثات إلكترونية مهمة مع عائلات الأدباء، منها مكالمات هاتفية مع محمد لعرج بوطارن بتاريخ 20 أبريل 2024 في الساعة 19:30 مساءً، حيث دار الحديث حول حياة خاله قادة بوطارن، كما تم التواصل عبر محادثة إلكترونية على تطبيق المسنجر مع معراج أغا بتاريخ 25 أكتوبر 2024، وهو طبيب وكاتب ومترجم وهو ابن أخت الكاتب محمد ولد الشيخ وكانت هذه المحادثات ذات أهمية في جمع معلومات دقيقة تتعلق بالموضوع.

تُظهر مصادر البحث تنوعاً واسعاً بين الوثائق الأرشيفية، والمصادر الأدبية، والشهادات الشخصية، مما يتيح فهماً معمقاً لتاريخ الأدب الجزائري وتفاعله مع السياق السياسي والاجتماعي للاستعمار، فقد برز الأدب كميدان مقاومة ثقافية وفكرية، يتداخل فيه الواقع الاجتماعي مع الهوية الوطنية، ويتجلى ذلك في نصوص روائية وشعرية ومسرحية وصحفية تعكس تجارب متعددة ومواقف متنوعة، كما تؤكد المصادر على الدور المحوري للصحافة كفضاء للتعبير عن القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية، ومنبر لأصوات أدبية كانت هامشية أو مغيبة، إضافة إلى ذلك، تؤكد الاتصالات المباشرة مع عائلات الأدباء أهمية التكامل بين البحث الوثائقي والتواصل الإنساني لفهم أعمق وأدق للنصوص والمجتمعات التي أنتجتها، إذًا، يمكن القول إن الدراسة لا تقتصر على قراءة النصوص فحسب، بل تسعى إلى بناء صورة شاملة تجمع بين التاريخ، والأدب، والذاكرة الجماعية، مما يعزز من فهم التحولات التي شهدتها الجزائر في مرحلة الاحتلال.

5. أهداف الدراسة:

- رصد السياق التاريخي الذي نشأت فيه الكتابات الأدبية الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية، وتحديد العوامل التي ساهمت في تشكيلها وتطورها.

- تحليل الكتابات الأدبية الجزائرية في مختلف أجناسها (السردية، الشعرية، النسائية، الوثائقية، الاحتجاجية) بواسطة إبراز نماذج أدبية مختارة، مع إبراز وظائفه الاجتماعية والسياسية والثقافية في ظل الاحتلال.
- تسليط الضوء على الأثر الاستعماري في مسار الأدب الجزائري، من خلال تتبع سياسات القمع، الرقابة، التهميش، ومحاولات الاستيعاب الثقافي التي طالت الكتاب ونصوصهم.
- الكشف عن دور المنابر والمؤسسات الثقافية (كالصحافة، الجمعيات، المدارس، المطابع) في دعم أو تقييد التعبير الأدبي خلال الفترة المدروسة.
- إبراز استراتيجيات المقاومة الأدبية والفكرية لدى الكتاب الجزائريين، وتوضيح كيف أسهمت كتاباتهم في بلورة هوية وطنية ثقافية وتاريخية مغايرة للرؤية الاستعمارية.
- تتبع حضور الأدب الجزائري في الساحة الدولية من خلال تفاعله مع الأدب الفرنسي والعالمي، وتحليل مواقف الأدباء الفرنسيين تجاه هذه الكتابات.
- دراسة إسهامات الأدباء الجزائريين البارزين والمغمورين خلال تلك الفترة وتسليط الضوء على تأثيرهم في تطوير المشهد الثقافي الوطني.
- المساهمة في توثيق النصوص الأدبية الجزائرية وتحفيز الدراسات المستقبلية حول الموضوع.
- فتح باب للتساؤلات حول النهايات المساوية لأغلبية الأدباء الجزائريين خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

6. أهمية الدراسة:

- تسعى الدراسة إلى توثيق مرحلة مفصلية من تاريخ الأدب الجزائري، وهي فترة الاحتلال الفرنسي.
- تركز على الصراع بين مشروع طمس الهوية الثقافية الذي قاده فرنسا، ومحاولات الجزائريين لصيانة ذاكرتهم وهويتهم.
- تتناول أجناساً أدبية متنوعة: الرواية، القصة، المسرح، الشعر، الرسائل، والمذكرات.
- تعيد قراءة النصوص الأدبية بوصفها شهادات حيّة على تحولات الذات الجزائرية في ظل الاحتلال.
- تسلط الضوء على وسائل التعبير الأدبي التي استخدمها الكتاب لمجابهة الاحتلال ورفضه.
- تبرز النصوص المنسية أو المهمشة، وتُظهر ظروف النشر في سياقات قمعية ورقابية.
- تكشف كيف واجه الأدباء الرقابة والتضييق من خلال أدواتهم الإبداعية.
- تهدف إلى تقديم الأدب الجزائري كمصدر تاريخي وفكري، يجمع بين الجماليات الأدبية والموقف السياسي.
- تفتح المجال أمام قراءات متعددة تتجاوز الحصر المدرسي أو الإيديولوجي.

- تعيد الاعتبار للكتابات الأدبية كجزء فاعل من الذاكرة الوطنية.

7. دوافع اختيار الموضوع:

- شكّلت الكتابات الأدبية مسارًا خفيًا للتعبير عن معاناة الفرد وتطلعات الجماعة نحو الحرية والاستقلال.
- العديد من النصوص، خاصة الرسائل والمقالات والقصائد المنشورة في الصحف القديمة، لم تنل حقها من الدراسة والتحليل.
- الحاجة الأكاديمية تدعو إلى تجاوز المقاربات الأدبية المحضة نحو قراءات متعددة الزوايا، تعتبر النصوص وثائق ثقافية وتاريخية.
- الأدب خلال الحقبة الاستعمارية لم يكن معزولاً عن السياسة والمجتمع، بل كان فاعلاً ومؤثراً فيهما.
- الرؤية التاريخية للأدب تثري البحث الأكاديمي وتُسهّم في استعادة مكوّن أساسي من الذاكرة الوطنية الجزائرية.
- دافع ذاتي قوي يتمثل في شغف شخصي بالأدب والكتابة واهتمام بحياة الأدباء وأعمالهم حول العالم.
- تساؤل بحثي مستمر حول تباين شهرة الأدباء الجزائريين في القرن العشرين، وأسباب التهميش أو الانتشار.

8. الإطار الزمني والمكاني:

تعتمد هذه الدراسة مصطلح "الاحتلال الفرنسي" بدل "الاستعمار الفرنسي" في توصيف المرحلة التاريخية الممتدة من 1900 إلى 1962م، انطلاقاً من وعيٍ منهجي بطبيعة الوجود الفرنسي في الجزائر، الذي تأسس على الغزو العسكري وفرض السيادة بالقوة، واتخذ طابعاً استيطانياً استعمارياً تستهدف الأرض والإنسان والهوية معاً، ولا يقتصر مفهوم الاحتلال هنا على بعده العسكري فحسب، بل يشمل مختلف أشكال العنف البنيوي والسياسات القمعية التي طالت البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري، بما في ذلك الإقصاء اللغوي والتهميش الثقافي ومحاولات طمس الذاكرة الجماعية، ويأتي اختيار هذا المصطلح منسجماً مع طبيعة المتن الأدبي المدروس، الذي عبّر في كثير من نماذجه عن تجربة القهر والمقاومة، وجسّد الأدب فيه وظيفة الشهادة التاريخية والوعي النقدي بالهيمنة الأجنبية، ومع ذلك، تُستعمل أحياناً تسمية الاستعمار عند الإحالة إلى الأدبيات الأكاديمية المتداولة، دون أن يعني ذلك التحلي عن المنظور النقدي الذي تتبناه الدراسة في تحليل هذه المرحلة.

يتحدد الإطار الزمني للدراسة في الفترة الممتدة بين سنتي 1900 و1962، وهي مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر شهدت تحولات عميقة على مختلف الأصعدة، لا سيما في المجال الثقافي، وقد تم اختيار سنة 1900 كنقطة انطلاق لأنها تمثل بداية القرن العشرين، حين بدأ استخدام الكهرباء وظهور وسائل النقل الحديثة مثل المركبات

والسيارات في المدن الكبرى، مما أسهم في تسريع وتيرة التحديث الصناعي والاجتماعي، وفي هذا السياق، بدأت بواذر تيارات جديدة في الفنون والآداب تظهر، وبتعبير جان ديجيو (Jean Djeux) فإن 1900 شرعت الجزائر في مسار نحو "استقلال جمالي" عن المركز الباريسي، وبدأت بواذر التحرر السياسي والمالي في الظهور، وقبل هذا التحول، كان الأدب السائد يتمثل في كتابات الموانئ والأدب الاستشراقي، وهما نمطان أدبيان قوبلا بالرفض من قبل روبرت راندو (Robert Randau) وعدد من ممثلي الأدب الاستعماري، مما جعل هذه الفترة تشهد تحولات ثقافية واجتماعية عميقة تحت نير الاحتلال الفرنسي، أما سنة 1962، فقد تم اعتمادها كحد زمني نهائي للدراسة لأنها تمثل لحظة الاستقلال الوطني، والتي فتحت أمام الأدب الجزائري أفقاً جديداً من التعبير والتحرر من القيود الاستعمارية وبداية تحديات جديدة.

أما من حيث الإطار المكاني، فإن الدراسة لا تقتصر على الجزائر باعتبارها مجالاً جغرافياً محصوراً، بل تتسع لتشمل كلّ الفضاءات التي كُتبت أو نُشرت فيها الأعمال الأدبية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية، فقد ألجأت الظروف السياسية والاجتماعية كثيراً من الأدباء إلى الكتابة خارج الوطن، في فضاءات مثل تونس، مصر، العراق، فرنسا وغيرها، حيث وجدوا منابر للنشر وحرية نسبية في التعبير، ومن هنا، فإن الدراسة تتناول الكتابات الأدبية الجزائرية بوصفها أدباً عابراً للحدود الجغرافية، يعكس تجربة استعمارية مشتركة لكن بتجليات مختلفة، مما يسمح بفهم أوسع لتأثير الاحتلال على الإبداع الأدبي في سياقات مكانية وثقافية متباينة.

9. الدراسات السابقة:

لم تتمكن من العثور على مرجع شامل يتناول كافة الأجناس الأدبية الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي ويهتم بالأسماء المغمورة في الأدب ويدرس نصوصها دراسة تاريخية، ومع ذلك، فقد وجدنا عدداً من الدراسات التي تتناول الأدب الجزائري بشكل عام، حيث تركز كل دراسة على جنس أدبي معين أو تتناول الثقافة الجزائرية بشكل شامل، هذه الدراسات توفر رؤية قيمة حول الأدب الجزائري في فترة الاحتلال، لكنها تفتقر إلى دراسة معمقة للنصوص الأدبية المغمورة وتحليلها التاريخي، وهو ما نسعى لتحقيقه في هذا البحث:

من بين الأعمال المرجعية المهمة التي اهتمت بتوثيق الإنتاج الأدبي الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، يبرز كتاب جان ديجو المعنون بـ"جغرافيا الأدب الجزائري للفرنسيين: بيبليوغرافيا الروايات، والصادر عن منشورات المركز الوطني للبحث العلمي بباريس سنة 1978، يقدم هذا العمل بيبليوغرافيا شاملة للروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، سواء من طرف الكُتاب ذوي الأصول الفرنسية أو الجزائريين الذين عبروا عن تجاربهم في سياق الوجود

الاستعماري، تكتسي هذه الببليوغرافيا أهمية خاصة باعتبارها أداة توثيقية تسهل على الباحثين الإحاطة بطبيعة الإنتاج الأدبي الصادر في الجزائر بين القرنين التاسع عشر والعشرين، من حيث الكتاب والناشرين وتواريخ الإصدار والموضوعات المتناولة، كما يتيح هذا المرجع فهماً أوضح للتحويلات التي عرفها المشهد الأدبي في الجزائر ضمن سياق الاحتلال الفرنسي، وفي إطار هذه الدراسة، يُعد عمل جان دييجو مرجعاً ببليوغرافياً مساعداً في تتبع سيرورة النشر الأدبي في الجزائر وتحليل بنيته ومضامينه ضمن أفق زمني يمتد من 1900 إلى غاية الاستقلال سنة 1962.

أبو القاسم سعد الله، "تاريخ الجزائر الثقافي بجميع أجزائه": يعتبر هذا العمل من المراجع الأساسية التي تقدم تحليلاً شاملاً للتاريخ الثقافي الجزائري، بما في ذلك الأدب في فترات الاحتلال، ويعكس تطور الأدب كأداة مقاومة ثقافية وتاريخية.

أبو القاسم سعد الله، "دراسات في الأدب الجزائري": يركز هذا الكتاب على تحليل مختلف جوانب الأدب الجزائري، ويتناول كيف ساهم الأدب الجزائري في مقاومة الاحتلال الفرنسي، مستعرضاً أهم الكتابات التي شكلت جزءاً من الوعي الوطني.

أحمد منور، "ملاحم أدبية - دراسات في الرواية الجزائرية": يعرض هذا الكتاب تطور الرواية الجزائرية في ظل الاحتلال، مع التركيز على ملاحم الكتابة الأدبية التي كانت تمثل الهموم الاجتماعية والسياسية لشعب الجزائر.

أحمد منور، "الأدب الجزائري باللسان الفرنسي (نشأته وتطوره وقضاياها)": يسلط هذا العمل الضوء على الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، مع تحليل جذور هذا الأدب وكيفية تطوره في ظل التأثيرات الاستعمارية.

محمد الطمار، "تاريخ الأدب الجزائري": هذا الكتاب يتناول الأدب الجزائري عبر العصور، ويخصص جزءاً كبيراً لفترة الاحتلال، حيث يناقش تأثير السياسة الاستعمارية على الأدباء وأعمالهم.

محمد مهداوي، "هموم الكتابة في الأدب العربي الحديث في الجزائر على أيام الاحتلال": يناقش هذا الكتاب الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عاشها الأدباء الجزائريون تحت الاحتلال الفرنسي، ويركز على التحديات التي واجهتهم في سياق الكتابة الأدبية.

محمد ناصر، "الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975)": يركز هذا الكتاب على الشعر الجزائري خلال الفترة الممتدة بين 1925 و1975، ويتناول الاتجاهات الشعرية المختلفة وتأثير الاحتلال على تطور هذا الفن الأدبي.

مخلوف عامر، "مراجعات في الأدب الجزائري": يقدم هذا الكتاب دراسات تحليلية لبعض الأعمال الأدبية الجزائرية، مع مراجعة لكيفية تأثير الأحداث التاريخية على الأدب في فترة الاحتلال.

تساعد هذه الدراسات في فهم ملامح الأدب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي وكيف تأثرت الكتابات النثرية والشعرية والمسرحية بالأحداث التاريخية، مما يساهم في الإضاءة على دور الأدب في مقاومة الاحتلال وتعبير الأديب الجزائري عن آلامه وآماله في تلك الفترة.

شهدت الدراسات التي تناولت الأدب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي اهتمامًا متزايدًا في العقود الأخيرة، إلا أن غالبية هذه الأعمال ركزت إما على أجناس أدبية بعينها (كالرواية أو الشعر) أو على أسماء محددة من الأدباء المعروفين دون التوسع في تمثيل التنوع الأدبي من حيث الشكل والمضمون والجغرافيا. كما اتجه بعضها نحو المقاربات النقدية أو السياسية دون تتبع التطور التاريخي الشامل للكتابة الأدبية الجزائرية بجميع ألوانها وتجلياتها، الأمر الذي ترك فراغًا في الرؤية التاريخية الموسعة لمسار الأدب في الجزائر من مطلع القرن العشرين إلى غاية الاستقلال.

تسعى هذه الدراسة إلى سدّ هذا الفراغ من خلال تقديم قراءة تاريخية شاملة ولكنها لا تدّعي الإحاطة الكاملة لمجمل الأعمال الأدبية التي كتبها الجزائريون في الداخل والخارج خلال الفترة الاستعمارية (1900-1962م)، ولكن الدراسة حاولت تتبع ظروف النشأة والتطور، والتفاعل مع السياق السياسي والاجتماعي، ومسارات النشر والتلقي، إلى جانب تناول الإقصاء والتهميش الذي طال بعض الكتابات، ومن هنا، تنفرد هذه الدراسة بتقديمها نظرة تركيبية موسّعة، تربط بين التاريخ والأدب، وتعيد الاعتبار إلى نصوص مغفلة أو مهمشة لم تنل نصيبها من البحث والقراءة الأكاديمية.

10. الصعوبات:

- محدودية الوصول إلى الوثائق الأرشيفية: بسبب القيود القانونية أو نقص الأرشفة الرقمية في مراكز التوثيق، حيث إن العديد من المراكز لا تحتفظ إلا بجزء محدود من هذا النوع من الأدب.
- غياب نظام إيداع قانوني منتظم: خصوصًا في الجزائر، مما صعب مهمة تتبع الوثائق والمنشورات الأدبية خلال فترة الاحتلال الفرنسي.
- ضرورة التنقل بين مراكز متعددة: استلزم البحث زيارة عدة مراكز أرشيفية ومكتبات وطنية، خاصة في تونس ومصر، مما تطلّب جهدًا ووقتًا كبيرين.

- قصر مدة الإقامة في مصر: لم تُتَح الفرصة للوصول إلى نهاية البحث في هذا المحور، بسبب ضيق الفترة وما تتطلبه الإجراءات الإدارية من وقت للوصول إلى أرشيفات النشاط الأدبي للجزائريين في المهجر، خاصة الطلبة الجزائريين.
 - قلة الدراسات الأكاديمية عن بعض الكتاب: يعاني البحث من غياب التناول العلمي للكتاب غير المتداولين، ما يجعل عملية جمع وتحليل المعلومات عنهم أكثر تعقيداً.
 - صعوبة التواصل مع أقارب الكتاب: نتيجة لفروق الأجيال، أو تحفظ بعض العائلات، أو ابتعادها عن الوسط الأدبي، مما عرقل الحصول على وثائق أو معلومات غير منشورة.
 - نقص المحفوظات والمكتبات المتخصصة: يبرز غياب النسخ الأصلية أو الطباعات الأولى من الأعمال الأدبية كمشكلة رئيسية، تعيق عملية التوثيق الدقيق وتحليل سياقات النشر.
- في ختام هذه المقدمة، لا يسعني إلا أن أعبر عن امتنانٍ يتجاوز حدود الكلمات، شكرًا لكل من كان سببًا مباشرًا أو خفيًا في تشكّل هذا الجهد، فالمعرفة في جوهرها ليست فعلًا فرديًا، بل هي أثرٌ متراكم لأصواتٍ متعددة، تلتقي لتمنح الفكر مساره ومعناه.

وردة عي

وادي سوف

الأربعاء 16 ذو القعدة 1446هـ

27 ماي 2025م

المدخل: ملامح تشكل الكتابات الأدبية الجزائرية

1. وضع الأدب في الجزائر خلال القرن التاسع عشر

2. دوافع الكتابة بين 1830-1900

3. عوامل تشكل الكتابات الأدبية في القرن العشرين

1. وضع الأدب في الجزائر خلال القرن التاسع عشر

1.1. مفهوم الأدب وعلاقته بالتاريخ:

الأدب هو مصطلح يشير إلى الفنون اللغوية والأدبية التي تعبر عن الجوانب الجمالية والإبداعية للحياة والإنسان، يشمل الأدب مجموعة واسعة من الأعمال الأدبية مثل الشعر والنثر والرواية والقصة، ويتنوع بين الأشكال التقليدية والحديثة¹، ومصطلح "الكتابة الأدبية" يُؤخذ بمعناه الواسع، ليشمل كذلك نصوصاً سردية متنوعة كالتأملات، والانطباعات، والتقارير أو دفاتر السفر، بل وحتى بعض الشهادات التي تتخذ شكلاً سردياً، شريطة ألا تكون نصوصاً تاريخية محضة².

يتنوع الأدب حسب الثقافة والتاريخ والمكان³، ويعكس تجارب الحياة والقيم والمعتقدات والعادات في المجتمعات المختلفة، كما يعتبر الأدب وسيلة لتعبير الكتاب والمؤلفين عن أفكارهم ومشاعرهم وتجاربهم الشخصية، وكذلك وسيلة لنقل الحكمة والتعليم والتسلية للقراء، ويُعرّف بأنه شكل من أشكال التعبير المكتوب، حيث ترتبط الكلمة "أدب" (literature) في الإنجليزية باللاتينية (littera)، أي "المكتوب"، ويُنظر إلى الأدب باعتباره أكثر من مجرد كلمات مكتوبة، إذ يتصل بالتقاليد الشفهية واللغة الشعرية التي تُنقل عبر الزمن، كما يتميز الأدب بكونه يتجاوز مجرد التسجيل التاريخي للأحداث، بل يسعى إلى التأثير العاطفي والجمالي⁴.

في كتابها حول الأدب، بالنظر إلى علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية، تقدم مدام دي ستايل⁵ (Madame de Staël) تحليلاً عميقاً لدور الأدب في المجتمع، تُعرّف الأدب على أنه انعكاس للروح البشرية والتعبير عن الأفكار

¹ تيري إيجلتن، كيف نقرأ الأدب، تر: محمد درويش، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2013، ص 13.

² Jean Déjeux, *Bibliographie de la littérature algérienne des Français: bibliographie des romans*, Edition du Cnrs, Paris, 1978.

³ يتقاطع الأدب مع التاريخ في اهتمام كل منهما بالإنسان واستمدادهما لموادهما من جوانب نشاطه المتنوعة، سواء كانت فكرية، عاطفية، أو عضوية، ورغم اختلاف الغاية بين المؤرخ والأديب، إلا أن المؤرخ يسعى إلى نقل حقائق معينة عن حقبة زمنية، ملتزماً قدر الإمكان بالموضوعية والحياد العلمي، بينما الأديب يعبر عن حقائق إنسانية يستمدّها من ذاته وتجربته الشخصية، أو من فهمه العام للعالم عبر قراءاته وملاحظاته، أو ما يمكن اعتباره فلسفته الخاصة، ينظر: حفناوي بعلي، *النهضة الفكرية في الجزائر - خطاب الثقافة، التنوير، التحرير*، ط1، دار الأيام، عمان-الأردن، 2018، ص 34.

⁴ جوناثان بيت، *الأدب الإنجليزي*، تر: سهى الشامي، مؤسسة هنداي، مصر، 2015، ص 27.

⁵ مدام دي ستايل (1766-1817): واسمها الكامل آن لويز جيرمين دي ستايل-هولشتاين، كانت كاتبة ومفكرة فرنسية سويسرية، عُرفت بتأثيرها العميق على الفكر والأدب الأوروبي، اشتهرت بانتقاداتها اللاذعة ل نابليون بونابرت، مما أدى إلى نفيها عدة مرات، لعبت دوراً بارزاً في نشر الفكر الرومانسي في فرنسا، خاصة من خلال كتابها حول الأدب وعلاقته بالمؤسسات الاجتماعية، حيث ناقشت تأثير المجتمع على الأدب والعكس، كما أسهمت في التعريف بالأدب والفلسفة الألمانية، خصوصاً أعمال غوته، إلى جانب دورها الأدبي، كتبت عن الثورة الفرنسية وسلطت الضوء على أهمية الحرية الفكرية، تُعد من أوائل المفكرات اللواتي دافعن عن دور المرأة في الفكر والسياسة، تاركة إرثاً ثقافياً عميقاً في أوروبا، ينظر:

Madame de Staël, *Biographie et œuvres*, Bibliothèque nationale de France, Gallica, disponible sur : <https://gallica.bnf.fr/accueil/fr/html/madame-de-stael-1766-1817>

والمشاعر التي تتشكل من خلال التفاعل مع المؤسسات الاجتماعية والسياسية، تؤكد دي ستايل أن الأدب ليس مجرد وسيلة للترفيه أو الجمال الفني، بل هو قوة محركة للتغيير الاجتماعي والتقدم الثقافي، من خلال الأدب، يمكن للأفراد والمجتمعات استكشاف القيم والأفكار التي تشكل هويتهم وتوجيه مستقبلهم، وتبرز دي ستايل أهمية الأدب في تعزيز الحوار بين الثقافات وتوسيع آفاق الفهم الإنساني، حيث ترى أن الأدب يعكس التنوع البشري ويساعد في بناء جسور التواصل بين مختلف الشعوب والثقافات، كما تشير إلى أن الأدب يمكن أن يكون وسيلة لنقد المؤسسات القائمة وتحفيز الإصلاحات الاجتماعية والسياسية، فتعتبر مدام دي ستايل الأدب عنصراً أساسياً في تطور المجتمعات، حيث يعكس تجارب الأفراد والجماعات، ويعزز التفاهم المتبادل، ويدفع نحو التغيير الإيجابي¹.

إن الحديث عن مفهوم الأدب لا يمكن أن ينفصل عن علاقته بالتاريخ، فقد شكلت هذه العلاقة محوراً أساسياً في تطور المناهج النقدية منذ القرن التاسع عشر، حين بدأ عدد من النقاد الفرنسيين الكبار، أمثال سانت بييف (Sainte-Beuve)، هيبوليت تين (Hippolyte Taine)، غوستاف لانسون (Gustave Lanson)، في بلورة اتجاه نقدي يؤمن بأن الأدب مرآة لحياة الأديب وللسياق التاريخي الذي أنتجه، فسانت بييف، مثلاً، اعتبر أن النص الأدبي تعبير فردي عن مزاج الكاتب وتحلي لذاته وتجربته، ولذلك كان يرى أن فهم النص يمر عبر معرفة دقيقة بشخصية المؤلف، محيطه العائلي، وعلاقاته الاجتماعية والفكرية، بل وطباعه الخاصة، من هذا المنطلق، لم يكن يفصل بين الأدب وصاحبه، بل جعل من الأدب سيرة غير مباشرة للأديب².

أما هيبوليت تين (Hippolyte Taine)، فقد دفع بهذا التصور خطوة أبعد، حين أسس لرؤية أكثر شمولاً تربط العمل الأدبي بثلاثية حتمية تتكون من البيئة، والجنس (العرق)، والعصر، ووفقاً لهذه الرؤية، فإن الإنتاج الأدبي لا ينبع من الإرادة الحرة أو العبقرية الفردية فحسب، بل هو نتاج حتمي للظروف الموضوعية المحيطة بالمبدع، لقد جعل تين من هذه العوامل إطاراً صارماً لفهم الأدب وتفسيره، وأكد أن الفكر البشري خاضع لتأثيراتها الجوهرية³، وعن غوستاف لانسون (Gustave Lanson) فقد قدّم مشروعاً نقدياً أكاديمياً أكثر نظاماً، حيث انشغل بدراسة مصادر الكاتب وأصوله الأدبية بمختلف أشكالها، داعياً إلى ربط الأدب بالحياة عبر التحليل التاريخي للنصوص، وفي مقالته الشهيرة "منهج تاريخ الأدب"، وضع الأسس المنهجية لما أصبح يعرف لاحقاً بـ "المدرسة اللانسونية"، مؤكداً على ضرورة الجمع بين المعنى التاريخي والمعنى الأدبي لأي نص، وقد جعل من التحليل الفكري واللغوي والجمالي وسيلة لفهم النص في ضوء السياقات الثقافية والاجتماعية التي نشأ فيها⁴، وحسبه فإن دراسة الأدب لا ينبغي أن

¹ Madame de Staël, *De la Littérature, considérée dans ses rapports avec les institutions sociales*, Classiques Garnier, Paris, 1800.

² هويدي صالح، *المناهج النقدية الحديثة: أسئلة ومقاربات*، دار تسوى، دمشق-سوريا، 2015، ص 72.

³ صلاح فضل، *مناهج النقد المعاصر*، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص 25.

⁴ يوسف وغليسي، *النقد الجزائري المعاصر من الأنسونية إلى الألسنية*، إصدارات رابطة الابداع الثقافي، قسنطينة، د ت، ص 18.

تقتصر على الترتيب الزمني للأعمال أو على إصدار أحكام ذوقية، بل يجب أن تتأسس على منهج علمي يربط النصوص بظروفها التاريخية والاجتماعية والفكرية، ويرى لانسون أن النص الأدبي هو نقطة الانطلاق الأساسية، وينبغي تحليله في ضوء البيئة التي نشأ فيها، والعوامل التي أثرت في الكاتب والجمهور على حدّ سواء، كما يشدد على أهمية مقارنة النصوص ضمن التيارات والمدارس الأدبية لفهم تطور الذوق والأساليب عبر العصور، محذراً في الوقت نفسه من تحويل الأدب إلى مجرد مادة تجريبية جامدة تخضع لقوانين العلوم الطبيعية، ويهدف منهجه إلى جعل "تاريخ الأدب" علماً إنسانياً يسعى إلى تفسير الظاهرة الأدبية في تفاعلها مع المجتمع والفكر، لا إلى تقييمها فقط بمعايير الجمال أو الذوق الشخصي¹.

من خلال هذه المقاربات الثلاث، يتضح أن العلاقة بين الأدب والتاريخ ليست عرضية ولا ثانوية، بل تمثل شرطاً جوهرياً لفهم طبيعة الأدب وتفسير آلياته الإنتاجية، حيث يُقرأ النص بوصفه وثيقة جمالية تعبّر عن لحظة تاريخية وثقافية محددة، وتشكل ضمن شبكة من المؤثرات الفكرية والاجتماعية واللغوية، فالأدب يُعد شكلاً مركباً من التعبير الإنساني، يتجاوز كونه كتابة فنية ليصبح انعكاساً للواقع الاجتماعي والتاريخي والثقافي، لا يكفي بإبراز الجماليات اللغوية، بل ينخرط في حوار عميق مع محيطه، حيث يرى مفكرون أمثال مدام دي ستايل أن الأدب يحمل طاقة تغييرية تؤثر في المجتمعات وتعيد تشكيل وعيها، وقد ساهم نقاد كسانت بييف، تين، ولانسون في ترسيخ تصورات تجعل من النص الأدبي مرآة للذات وللظروف المحيطة، حيث يرتبط الإنتاج الأدبي بعوامل مثل سيرة الكاتب، والبيئة الاجتماعية، والعصر التاريخي، بذلك، تتضح مركزية البعد التاريخي في فهم الأدب، بوصفه نتاجاً دينامياً لتفاعل الفرد مع مؤسساته وظروفه، مما يمنحه قيمة معرفية وجمالية تتجاوز حدود النص.

1.2. الأدب في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي:

عرفت الجزائر في ظل الحكم العثماني² تراجعاً ملحوظاً في مكانة اللغة العربية، بعد إقصائها من الدواوين الرسمية لصالح اللغة التركية، فانحصر حضورها في الزوايا والكتاتيب واقتصر دورها على التعليم الديني³، وهو ما أسهم في جمود الحياة الفكرية وجفاف الإبداع الأدبي، وأثار تدمير الجزائريين من امتيازات الحكام العثمانيين واستغلالهم لخيرات البلاد، فاندلعت ثورات شعبية قادها زعماء دينيون ورجال الزوايا، وعلى الرغم من بعض مظاهر القوة العمرانية والبحرية، خلّف الحكم العثماني أثراً سلبياً في الحياة الثقافية والعلمية، إذ مثّل امتداداً لعصور الانحطاط، ولم

¹ Lanson Gustave, «La méthode de l'histoire littéraire», Études Françaises, Société d'Édition "Les Belles Lettres", Paris, 1er janvier 1925, pp 02-57.

² الحكم العثماني: امتدّ الحكم العثماني في الجزائر من عام 1516 إلى 1830، بعد أن لجأ السكان إلى العثمانيين طلباً للحماية من التوسع الإسباني، حيث قاد الأخوان عروج وخير الدين بربروس عمليات تحرير المدن الساحلية، وأعلن خير الدين تبعية الجزائر للدولة العثمانية عام 1518، مما جعلها إيالة تتمتع بحكم ذاتي واسع تحت سيادة الباب العالي، وخلال هذه الفترة، اعتمدت الجزائر على الأسطول البحري القوي لحماية سواحلها، وازدهرت كمركز تجاري ودبلوماسي في البحر الأبيض المتوسط، قبل أن تنتهي الهيمنة العثمانية بالاحتلال الفرنسي عام 1830، ينظر: محمد العربي الزيري، "تاريخ الجزائر الحديث"، دار هومة، 2000.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية (1860-1900)، ج1*، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 12.

يكيد الجزائريون يتخلصون منه حتى واجهوا الاحتلال الفرنسي الذي واصل استهداف الهوية الوطنية ومقوماتها الثقافية، مما عمّق حالة الركود الفكري والأدبي في البلاد¹.

حين طُلب من الشيخ الإبراهيمي أن يبدي رأيه في شعر تلك المرحلة من حياة الأدب في الجزائر فقال: "... وقد اطلعنا على أكثرها فإذا هي من لون واحد، وإذا هي مصروفة في الغالب إلى مدح المشايخ والكبراء، وإذا هي أخت الأشعار الملحونة الرائجة في السوق، لأنها منقطعة الصلة بالشعر في أعراضه وأضره ومنقطعة الصلة بالعربية، في ألفاظها ومعانيها ومنقطعة الصلة بالخيال في تصرفه وانتزاعه بل أنا أحكم بأن في الشعر الملحون ما هو شعر على الحقيقة، فقد سمعت من شعر القرن الماضي (19م)، ما يفيض حكمة وحثاً على الفضائل والكمالات، وتخويفاً من الله والآخرة"، ويكاد يتفق رأي صالح خرفي عن حال الأدب في تلك الحقبة مع رأي الإبراهيمي، فقد وصف خرفي ذلك الأدب فقال: "...عاش في نطاق محدود جداً وبملاح باهتة وانحسرت موجته وانكمش مفهومه لا يكاد يتخطى عتبة الزاوية مادحا أو متضرعاً، وانطمست معالم الحيوية فيه، ففي الشعر لم تبق إلا أجراس التفعيلة المقفأة في المنظومة المديحية، بل تلوح لنا بعض الفترات محدبة من أي نص له لحمه بالأدب، فما بالك بالمضمون المقاوم"².

أما حالة الأدب والثقافة غداة الاحتلال تتمثل في أن المرحلة الأولى للاحتلال تعرف ضعفاً في مجال الثقافة والأدب إلا أنه قد تجلّت بعض الأسماء أمثال: الشاعر محمد بن الشاهد³، وقد هاجرت هذه الأسماء القليلة عن سلطة الإدارة، فكان الكُتّاب العاملون في الإدارة يعانون من ضعف ثقافي فنجد كتابات مسلم بن عبد القادر الحميري⁴ لا ترقى إلى المستوى المتوسط، وفي كتابة حمدان خوجة⁵: "تحاف المنصفين والأدباء" كان هناك عدم

¹ نفسه، ص 13.

² محمد مهدي، هموم الكتابة في الأدب العربي الحديث في الجزائر على أيام الاحتلال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2017، ص 13.

³ محمد بن الشاهد: محمد بن الشاهد شاعر وأديب جزائري، وُلد وتوفي في الجزائر العاصمة، تلقى تعليمه في العلوم الدينية واللغوية، حيث حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والتفسير والحديث والقراءات، أدى فريضة الحج، مما أتاح له فرصة التواصل مع علماء من الحجاز ومصر وتونس، شغل عدة مناصب دينية، منها التدريس في جامع (حسين ميزمورط باشا) وعمل إماماً في عدد من المساجد، كما تولى الإفتاء وفق مذهب الإمام مالك في فترتين زمنيتين، تعرض في أواخر حياته لفقدان البصر وعاش أوضاعاً صعبة خلال الاحتلال الفرنسي، يتمحور إنتاجه الشعري حول الغزل والمديح النبوي والفخر القبلي، ويتميز بطول النفس الشعري وسلاسة اللغة، لم يُعثر على ديوانه، إلا أن بعض قصائده وردت في مصادر مثل تعريف الخلف برجال السلف ومجلة الأصالة، ينظر: أبو القاسم سعد الله، "الشاعر المفتي محمد بن الشاهد واحتلال الجزائر"، مجلة الثقافة، ع 61، الجزائر، 1981، ص 15.

⁴ كاتب باي وهران عند الاحتلال.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة (1773-1842): كان مفكراً جزائرياً بارزاً، وُلد في الجزائر العاصمة لعائلة ذات مكانة رفيعة في الإدارة العثمانية، تلقى تعليمًا دينيًا متقدمًا، ورافق خاله في رحلة إلى إسطنبول عام 1784، مما أتاح له التعرف على الثقافات المختلفة، بعد وفاة والده، انخرط في التجارة وأصبح من أثرياء الجزائر، مما مكّنه من السفر إلى أوروبا والمشرق، حيث تعلم الفرنسية والإنجليزية، خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، دافع عن بلاده بطرق سلمية، فكتب مذكرة إلى الجنرال سولت يصف فيها تجاوزات الفرنسيين، مما أدى إلى تشكيل لجنة إفريقية للتحقيق، كما كتب كتاب "المرآة" باللغة العربية، الذي يُعد من أوائل الأعمال التي فضحت الانتهاكات الفرنسية في الجزائر، رغم جهوده، لم يحقق نتائج ملموسة، فغادر باريس إلى القسطنطينية حيث توفي =

تمكن باللغة والأدب فقد كانت موجهة لجمهور متوسط الثقافة كما أن هناك كُتَّاب مجهولون تاريخيا فنشير إلى كاتب أحمد باي وقد عرفت العاصمة شخصيات هامة نذكر: ابن العنابي¹، الكبابي² إلا أن كتاباتهما كانت ذات مسحة دينية تخلو من الأدب الخاص يغلب الفقه عليها تفتقر للمعاني والروح الأدبية رغم أن للكبابي قصائد، وفي مدينة قسنطينة نجد أسماء لامعة في التدريس والدين والقضاء ويغيب الأدباء رغم أن هناك سببا جغرافيا لتواجدهم وهو قربهم من جامع الزيتونة المتأثرة بالثقافة المشرقية ومن الغريب رغم عراقية التراث وتوفر المدارس والمكتبات بقسنطينة ألا يكون هناك أديب أو شاعر؟³.

كان غرب الجزائر غير مختلف عن باقي المناطق فقد زخر بعلماء ومتصوفة برعوا في النحو والتدريس: محي الدين والد الأمير عبد القادر⁴، عبد الله سقط ونحوهم، إلا أن الأعمال الأدبية لم تصلنا منهم، وهكذا فلا يوجد أديب في الجزائر لا بالمدينة ولا بسكرة ولا الحواضر والأرياف ويعود السبب في ذلك إلى الجمود الثقافي الذي نتج عن

= بين عامي 1840 و 1845، ينظر: عبد المجيد بن نعيمة وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر (1830-1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007، ص 121.

¹ ابن العنابي (1775-1851): واسمه الكامل محمد بن محمود بن محمد بن حسين، هو أحد أبرز العلماء الجزائريين في القرن التاسع عشر، وُلد في مدينة عنابة سنة 1775 ونشأ في أسرة علمية عريقة، إذ كان جده من كبار المفتين في المذهب الحنفي، تلقى تعليمه في الجزائر ثم انتقل إلى الأزهر الشريف بمصر، حيث نال إجازات علمية في الفقه والحديث وعلوم القرآن، تولى مناصب دينية وإدارية هامة مثل مفتي الجزائر وسفيرها لدى المغرب، كما شارك في مقاومة الاحتلال الفرنسي، توفي في القاهرة سنة 1851، ويُعد من الأعلام الذين جمعوا بين العلم والعمل الوطني، ينظر: أبو القاسم سعد الله، ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977 م، ص 14، ينظر أيضا: محمد زياد بن عمر التكلة، تحقيق مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2008م، ص 06.

² مصطفى الكبابي (1775-1860): شاعر وقاضي جزائري، وُلد في الجزائر العاصمة وتوفي في الإسكندرية، تلقى تعليمه الديني على يد علماء عصره، حيث حفظ القرآن الكريم ودرس علوم النقل والعقل، عمل مدرسا في مساجد الجزائر، ثم تولى التدريس في الجامع الأعظم عام 1824، وغين قاضيا على المذهب المالكي بأمر من الداي حسين باشا عام 1827، عُرف بمناهضته للاحتلال الفرنسي، حيث عارض ضم الأوقاف الإسلامية إلى أملاك الدولة الفرنسية، ودافع عن استمرار تعليم القرآن الكريم، كما أصدر فتوى بتحريم الهجرة هروبا من الاحتلال، مما أدى إلى سجنه ثم نفيه إلى الإسكندرية، في المجال الأدبي، نظم في موضوعات الشكوى والغزل والثناء والتوسل والوصف والإخوانيات، متأثرا بالشعراء القدامى في أسلوبه وصوره الشعرية، يتميز شعره ببنية لغوية تخدم الوزن والنظم أكثر من المعنى، وما وصل إلينا منه مقتطفات محدودة، ينظر: أبو القاسم سعد الله، "رثاء المفتي الكبابي"، مجلة الثقافة، الجزائر، أبريل - ماي 1978، ص 04، ينظر أيضا: أبو القاسم سعد الله، (جوان 1985)، "قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843: موقف المفتي الكبابي من الأوقاف واللغة"، مجلة عالم الفكر، مج 16، ع 1، وزارة الإعلام، الكويت، جوان 1985، ص 251-270.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الفقا...، ج 8، المرجع السابق، ص 9.

⁴ محي الدين الجزائري (1765-1850): هو والد الأمير عبد القادر وأحد الشخصيات البارزة في تاريخ الجزائر خلال فترة مقاومة الاحتلال الفرنسي، وُلد في الجزائر ضمن أسرة نبيلة، وتولى قيادة قبيلة بني معقل في المنطقة الغربية، عُرف بمهارته في السياسة والشؤون العسكرية، وساهم في تأسيس قاعدة قوية للحركة الوطنية، ما أكسبه احتراما واسعا بين الجزائريين، وقد لعب دورا أساسيا في دعم مقاومة الاحتلال الفرنسي، وكان من أبرز المساندین لنضال ابنه الأمير عبد القادر ضد الاستعمار، تميزت علاقته بابنه بالقوة والتوجيه المستمر، حيث شجعه على الثبات في النضال، والتحلي بالحكمة والصبر في مواجهة الاحتلال، ينظر:

Cazenave, M, Encyclopédie des symboles, Librairie générale française pour la traduction française, Paris, 1996 .

سياسة التعليم وضرب الأوقاف والتغلغل في التصوف وتهجير العلماء وتدمير المكتبات وكل هذه الظروف أرعبت النفوس كما أن جيل من الشباب راحوا لصنفوف المقاومة¹.

يمكننا القول إن المجال الأدبي في الجزائر قد احتُكر من قبل الفرنسيين منذ بداية الاحتلال، إذ اكتشف أدباءهم وفنانوهم الجزائري، وتولّوا تمثيلها والكتابة عنها من منظور استعماري يخدم رؤيتهم ومصالحهم، وعبروا عن تجاربهم بطرق متنوعة، سواء بشكل حر أو منظم، كانت وزارة الحرية ترسل أفضل الأدباء والفنانين الفرنسيين للاطلاع وتوثيق مشاهداتهم، بهدف جذب الانتباه ودعم رغبة الاستيطان في الجزائر، كمثال، تعاون الكتاب الفرنسيون مثل الإسكندر دوماس² (Alexandre Dumas) وإرنست فيدو³ (Ernest Feydeau) في هذا السياق وعلى الرغم من ذلك، انتشرت صناعة نشر دلائل السياحة اعتباراً من عام 1830، حيث كان الراغب في السفر يجد في هذه الدلائل وصفاً للمدن الجزائرية، والجبال، والطرق، والسكان، ووسائل الإقامة، وحتى المفردات اللغوية⁴.

يمكن أن يبدو من التناقض أن نتوقع ظهور شعراء في بلدان تحكمها الأمية لسبعين عاماً تحت حكم استعماري قاسي، بدءاً من وقت استيلاء الفرنسيين على الأوقاف الإسلامية وتدمير المدارس والمساجد وتشريد العلماء والطلبة، تأثرت الحركة الأدبية بشكل كبير، بعض الشعراء نعو الوطن بعد الاحتلال، وأثمروا مقاومة شعراء الفصحح والرجل والأنصار والمعارضين، ولكن هذه الظاهرة انتهت مع بداية الخمسينات، مع اختفاء الشعراء الذين شهدوا سقوط البلاد في قبضة الأعداء، ولقد تعرضت حركة الشعر للعديد من التحديات بسبب تجربة التعليم الضعيفة بين السنوات 1851 و1880، خلال هذه الفترة، كان الشعر الفصحح قليلاً، وربما كان موجوداً ولكنه لم ينشر بشكل واسع بسبب قلة وسائل النشر، الشعراء الذين استمروا كانوا غالباً يلجؤون إلى الشعر الديني المتجه إلى التصوف والاستسلام

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الفقاً...، ج8، المرجع السابق، ص9.

² ألكسندر دوماس (1802-1870): هو كاتب فرنسي بارز في القرن التاسع عشر، اشتهر بإبداعه في مجال الرواية التاريخية والمغامرات، من أبرز أعماله "الفرسان الثلاثة" و"الكونت دي مونت كريستو"، اللتان تُعدان من كلاسيكيات الأدب العالمي، تميز أسلوبه بالسرد المشوق والحبكة الدرامية الغنية، مما أكسبه شهرة واسعة في فرنسا وخارجها، كما ساهم في إثراء المسرح الفرنسي بعدد من المسرحيات الناجحة، وكان له دور مهم في تطوير الأدب الشعبي، تُرجم العديد من أعماله إلى لغات متعددة، ولا تزال تُقرأ وتُقتبس حتى اليوم، ينظر:

Pierre-Yves Beaurepaire, *Sortir de l'impasse, monologique : les sources d'une histoire interculturelle de la franc-maçonnerie européenne*, Presses universitaires François-Rabelais, France, 2004, p56.

³ إرنست-إيميه فيدو (1821-1873): وُلد في 16 مارس 1821 في باريس وتوفي في 29 أكتوبر 1873 في الدائرة الثامنة من العاصمة الفرنسية، كان شخصية متعددة المواهب، إذ عمل كأكثري، وكاتب، وسمسار في البورصة، ومديرًا لعدة صحف فرنسية، أسس فيدو صحيفة يومية تُدعى "L'Époque" في 9 مارس 1865، والتي استمرت في الصدور حتى 25 جويلية 1869، كما كان له تأثير في الحياة الأدبية والثقافية في فرنسا خلال القرن التاسع عشر، وكان من بين معارفه الكاتب الشهير غوستاف فلووير، الذي تبادل معه الرسائل حول مشاريع أدبية مثل رواية "سلامبو"، ينظر:

Jean Bouvier, *Rothschild : histoire d'un capitalisme familial*, Bruxelles, Éditions Complexe, Paris, 1992, p 343.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر الفقاً...، ج8، المرجع السابق، ص175.

للواقع، نتيجة للضعف الشعري الذي نشأ نتيجة ضعف التعليم وانعدام الحوافز، في ذلك الوقت، كانت هناك مصادر محدودة للتعليم¹.

1.3. التعليم وعلاقته بالأدب

في الفترة الممتدة بين 1830 و1900، شهد الأدب الجزائري حالة من الجمود والاضطراب نتيجة ارتباطه الوثيق بالتعليم الذي كان بدوره مستهدفاً من قبل السياسة الاستعمارية الفرنسية، فقد سعت الإدارة الفرنسية إلى ضرب مقومات الهوية الثقافية الجزائرية، بدءاً من التعليم التقليدي الذي كان يُدرّس في الزوايا والمدارس القرآنية، حيث شكّل هذا التعليم فضاءً طبيعيّاً لانتقال الأدب الشفهي والكتابي، وخاصة الشعر الديني والحكمي وأدب المديح والسير الشعبية، غير أن الاحتلال عمد إلى إضعاف هذا التعليم عبر غلق الكتاتيب، ومصادرة الأوقاف، وفرض الرقابة على الزوايا، مما أدى إلى انحسار بيئة التلقي والتكوين الأدبي باللغة العربية، فغابت الأنشطة الأدبية المنتظمة، وتراجعت الكتابة الإبداعية، واقتصر ما بقي منها على بعض المبادرات الفردية المتناثرة، في شكل مراسلات، أو تعليقات دينية، أو أشعار تقليدية يُدوّنُها طلبة الزوايا أو معلمو الكتاتيب، دون أن تشكل حركة أدبية واضحة المعالم².

بالمقابل، أنشأت السلطات الاستعمارية تعليمًا فرنسيًا موازيًا موجّهًا بالأساس لخدمة أغراضها الثقافية والإدارية، فكان يهدف إلى تكوين نخبة جزائرية تتقن الفرنسية وتتبنّى القيم الغربية، وقد أُدرجت في هذا التعليم نصوص أدبية فرنسية بحتة، مع إقصاء شبه تام للأدب العربي، ومع أن بعض النخب الجزائرية، كخريجي المدارس الثلاث أو الكلية العربية الفرنسية، كانوا على دراية بالأدب الفرنسي، إلا أن إنتاجهم ظل محصورًا في الإطار الثقافي الفرنسي ولم ينشئ أدبًا جزائريًا أصيلًا يعبر عن الهوية الوطنية³، وهكذا، شكّلت السياسة التعليمية الفرنسية أداة فعالة لإضعاف الأدب الجزائري، من خلال قطع صلته بجذوره التعليمية والثقافية، وتقييد أدوات تعليمه وتداوله، مما جعل القرن التاسع عشر قرنًا صعبًا في مسار الأدب الجزائري، حيث لم تظهر فيه حركة أدبية واضحة إلا من خلال مقاومات جزئية وصامتة، حافظت على الحد الأدنى من التعبير الثقافي الوطني.

¹ نفسه، ص 192.

² سعد الله، الحركة الوطنية...، ج 1*، المرجع السابق، ص 376.

3 نفسه، ص 542.

وفي ظل هذا التضيق، شهد المستوى الثقافي والعلمي تراجعًا حادًا خلال القرن التاسع عشر، ما دفع العديد من المثقفين والعلماء إلى الهجرة نحو بلدان عربية مثل مصر والحجاز والشام، بحثًا عن فضاء يضمن حرية التعليم والتعبير.

شكّل هذا النزوح العلمي رد فعل على القمع الاستعماري الذي قيد حرية الفكر والتكوين¹، فساهم في بروز حركة أدبية وفكرية في الخارج تُعنى بإحياء اللغة العربية وتعليمها ونشرها، وعلى الرغم من الإمكانيات المحدودة، حاول الشعراء والمعلمون في الداخل مقاومة هذا التراجع، عبر التشجيع على إتقان العربية في النثر والشعر، كما أشار أحمد كاتب بن الغزالي، في وقتٍ كانت فيه العربية مهددة بالاندثار، وازدادت الأمور سوءًا مع فرض تعليم الفرنسية على حساب العلوم العربية والدينية، ومع الاقتصار على تحفيظ القرآن دون علومه، ما أدى إلى تدهور النحو والصرف والبلاغة وغيرها من أدوات الأدب، وهكذا، تعرّض الأدب لضربة مزدوجة: تهميش اللغة الحاملة له، وتخطيط البنية التعليمية الراحية له، في إطار سياسة استعمارية هدفها — كما قال أبو القاسم سعد الله — لم يكن التعليم بل التجهيل².

أهملت السياسة الاستعمارية واقع الحركة العلمية بالجزائر من تجريد قدرة التأليف إلى تخطيط منابر العلم والتعلم وصولاً إلى فقدان وسائل النشر أو بيئة للكتابة ولم نجد كتابات مستقلة عن طلب المستشرقين في ذلك المتمثلة في شرح المفاهيم والمصطلحات المحلية ورصد أوضاع الجزائريين والكتابة في التواريخ والسير واللهجات والطرق الصوفية وتعليق المخطوطات والتعريف ببيانات وآثار قديمة وأغلب هذه الأعمال لم ترق بأسماء أصحابها بل أدرجت تحت عمل فرنسي باسم مستشرق³، لكن هناك أعمال ناجية من هذه السياسة مثل: مؤلف محمد الصالح لعنتري⁴،

¹ عبد المالك مرتاض، فنون النشر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 153.

² سعد الله، الحركة الوطنية...، ج 1*، المرجع السابق، ص 383

³ نفسه، ص 578.

⁴ صالح بن محمد العنتري القسنطيني (1820-1903): باحث مهتم بالتاريخ، ينتمي إلى مدينة قسنطينة، وقد عايش أواخر العهد العثماني في المغرب الأوسط، بعد الاحتلال الفرنسي لقسنطينة، عُيّن كاتبًا في المكتب العربي الذي أسسته الإدارة الفرنسية هناك، من أبرز مؤلفاته كتاب "الأخبار المبنية في تاريخ قسنطينة"، الذي تُرجم إلى الفرنسية وطُبع عام 1846 بدعم من الضابط بواسوني (Boissonne)، وكتاب "مجموعات قسنطينة" الذي ألّفه بطلب من الضابط دولير سنة 1870، ينظر: فارس كعوان، مؤرخ قسنطينة محمد الصالح العنتري - حياته وتراثه وموقفه من قضايا عصره 1820-1903، ألفا للوثائق والنشر والتوزيع، الجزائر، 2025.

مؤلف أحمد العطار¹، مؤلف مسلم بن عبد القادر²، وكانت هذه الأعمال مستهلة بأسماء قادة وضباط ومستشرقين طلبوا هذا العمل فيلاحظ ندرة الأعمال الجزائرية المستقلة رغم وجود مطابع فرنسية وتوفر الورق بوفرة، فلم يكتف الفرنسيون من حرمان الجزائريين حقهم في التعلم بل حرموهم حتى من حق التأليف والنشر³.

إن هذا المشهد المتكامل من الاضطهاد الفكري واللغوي، والممارسات القمعية التي طالت المؤسسات التعليمية والدينية، يبرز كيف تحولت السياسة الثقافية الفرنسية إلى أداة فعالة لإفراغ المجتمع الجزائري من كل مقوماته المعرفية، وقد انعكس ذلك بشكل مباشر على الأدب الجزائري، الذي لم يجد منابر حرة للنشر أو بيئة حاضنة للإبداع، إذ أفرغت المدارس من محتواها العلمي، وغابت الدراسات الإنسانية التي كانت تمثل مادة خامة لنهضة أدبية محتملة، كما حُظر تدريس الأدب العربي والتاريخ، وهما العنصران الأهم في تشكيل الوعي الأدبي والوطني، ولم تكن المطبعة الفرنسية وسيلة محايدة، بل كانت خاضعة للمراقبة الصارمة، مما حال دون بروز أي تيار أدبي حر أو كتابة مستقلة عن إرادة المستشرقين أو موظفي الإدارة الاستعمارية، وهذا ما جعل الإنتاج الأدبي في تلك المرحلة إما مُستلبًا ومؤدجًا، أو مشتتًا ومقموعًا، نتيجة تخفيف المناهج الفكرية والأخلاقية التي يقوم عليها الأدب الحقيقي، وقد كتب

¹ أحمد بن المبارك العطار (1790-1871): كان عالم دين ومؤرخًا جزائريًا من قسنطينة، نشأ في ميله وتلقى تعليمه في زاوية عائلته "بني العطار"، بعد عودته إلى قسنطينة، درس على يد علماء بارزين مثل الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد العباسي، وتقلد مناصب دينية مهمة، منها مفتي المالكية ومدرس التوحيد في مدرسة قسنطينة الدولية عام 1850، كان أيضًا عضوًا في المجلس الشرعي الإسلامي المحلي، من أبرز مؤلفاته كتاب "تاريخ بلد قسنطينة"، الذي يُعد مصدرًا هامًا لتاريخ المدينة خلال العهد العثماني، بالإضافة إلى أعمال أخرى في الفقه والبلاغة، توفي في قسنطينة عام 1871 ودفن بزاوية الشيخ الزواوي قرب جبل شطابة، ينظر: أبي القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير قوننتانة الشرقية، الجزائر، 1906 ص 72-73.

² مسلم بن عبد القادر الوهراني (....-1832): هو مثقف جزائري عاش في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ويُعد من الشخصيات النخبوية التي خدمت في الإدارة المخزنية (الديوان الإداري) العثمانية في وهران، برز كمؤرخ وأديب، وترك آثارًا مكتوبة تسجل جوانب من التاريخ السياسي والإداري للمنطقة، لاسيما ما يتعلق ببايات وهران، ورغم وفاته المبكرة عام 1833، فإن شخصيته وأعماله بقيت شبه منسية إلى أن كشفت عنها وثيقة نادرة تعود لسنة 1858، تطرقت إلى نزاع حول إرثه، تُظهر هذه الوثيقة أنه كان شخصية اعتبارية في محيطه، وحل احترام بين علماء المدينة ومفتيها، ما يعكس مكانته الفكرية والاجتماعية، ينظر: صادق بن قاعة، "الذاكرة المكتوبة والتاريخ: أضواء جديدة حول شخصية مسلم بن عبد القادر الوهراني أديب ومؤرخ بايات وهران (القرن 13هـ/19م)"، إنسانيات، مج 01، ع 03، 15 فيفري 1997، ص ص 35-45.

³ سعد الله، الحركة الوطنية...، ج 1*، المرجع السابق، ص 580.

محمد فريد¹ وهو زعيم مصري زار الجزائر بداية القرن العشرين قائلاً: "أما الأهالي هناك يعاملون بقوانين مخصوصة غاية في الشدة والصرامة فهم محرومون من حرية الكتابة وحرية الاجتماع وحرية السفر وحرية مطالعة الكتب والجرائد"² رغم محاولات بعض الأفراد النجاة من هذا الاضطهاد، فإن غياب منظومة تعليمية وطنية واعية، وتحول المدارس إلى أدوات استيعاب فرنكوفونية، لم يُنتج سوى قلة من المتعلمين المفرغين من أدواتهم الثقافية الأصلية، الأمر الذي أدى إلى انفصال واضح بين التعليم والهوية، وبين الفكر الأدبي وروحه الاجتماعية، وبدل أن يكون التعليم مدخلاً إلى نهضة أدبية وطنية، غدا أداة لقطع صلة الجزائري بذاته، وسلاحاً ضد اللغة العربية التي كانت الحامل الأول للأدب والتاريخ والدين، وبهذا، يمكن القول إن الأدب في الجزائر خلال القرن التاسع عشر لم يكن فقط ضحية الرقابة والاضطهاد، بل كان أيضاً شاهداً صامتاً على مرحلة طويلة من التهميش المقصود، الذي عطل تطوره وحال دون تبلور حركة أدبية جزائرية حقيقية ومزدهرة، إلا في بعض الجيوب المتناثرة خارج الرقابة، أو في المنافي، أو من خلال محاولات فردية نادرة قاومت سياسة الإقصاء والتدوين الثقافي.

2. دوافع الكتابة بين 1830-1900

1.2. الوظيفة لدى الإدارة الاستعمارية

نشأ الأدب الجزائري في بين أحضان الحاجة الاستعمارية للجزائريين في خدمة أهداف الاحتلال، متأثراً هذا الأدب بتوظيف الجزائريين في مجالات الدين والثقافة والصحافة، فقد أدخلت هذه الحقبة أساليب جديدة في الكتابة والترجمة، إذ شارك الجزائريون في تحرير وتدقيق الصحف، وتدريس العلوم، وكتابة الرسائل الإدارية والخطب الوعظية وفق معايير الإدارة الفرنسية، مما ساهم في ظهور ما يُعرف بـ "الأدب الفرنكو-آراب" (Franco-Arab)، وقد تميز هذا الأدب بالمزج بين اللغتين الفرنسية والعربية، وبرز في مقالات ورسائل رجال دين مثل أحمد البدوي، عبد

¹ محمد فريد (1868-1919): وُلد في القاهرة، كان ناشطاً سياسياً وقضائياً بارزاً في مصر ضد الاحتلال البريطاني، تخرج من "مدرسة الإدارة" بشهادة الحقوق عام 1887 وتدرج في المناصب القضائية حتى أصبح وكيلاً بنبابة الاستئناف، انخرط في النضال الوطني منذ الاحتلال البريطاني عام 1882، وكتب مقالات إسلامية وطنية انتقدت سياسات الاحتلال والسلطات المحلية، وبعد وفاة مصطفى كامل عام 1908، انتخب وكيلاً للحزب الوطني، وساهم في مبادرات سياسية هامة مثل المطالبة بالدستور وإنشاء مجلس نيابي، وسافر إلى أوروبا للدفاع عن القضية المصرية، تميز بخطابه الوطني الجريء الذي أدى إلى سجنه لمدة سنة، واستمر نضاله حتى رحيله في برلين عام 1919 بسبب فشل كلوي، حيث وُلدت من وفاته موجة حزن وطنية في مصر، ينظر: صبري أبو المجد، محمد فريد مذكرات وذكريات، كتاب الهلال، مصر، 1969.

² محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 11.

الكريم الفكون¹، وعلي بن عمر²، خاصة في صحيفة "المبشر"، كما توسع هذا النوع الأدبي ليشمل العرائض، لكنه ظل محدودًا من حيث الانتشار ومقصورًا على فئات معينة³.

على الرغم من أن أدوات الاحتلال العلمية، مثل الصحافة والمطابع والجامعات، كانت موجهة لخدمة أغراض استعمارية، إلا أن تأثيرها الإيجابي ظهر على المدى البعيد، فقد لجأ العديد من الجزائريين إلى نشر كتبهم خارج البلاد، كما فعل المجاوي في القاهرة وآخرون في مصر وزنجبار، بسبب التحديات المادية والسياسية التي واجهتهم داخل الجزائر، كما بدأ بعض الكتاب الجزائريين النشر باللغة الفرنسية لتوسيع دائرة قرائهم، بينما اضطر آخرون إلى ترجمة

¹ عبد الكريم الفكون (1590-1675): كان عالما جزائريًا بارزًا في مجالي الفقه والأدب خلال العهد العثماني، اشتهر بكتابته الشهيرة "منشور الهداية" في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، الذي يعد من أبرز أعماله النقدية، في هذا الكتاب، تناول الفكون بشكل نقدي الأوضاع الاجتماعية والدينية في عصره، موجهًا انتقادات حادة لمن ادعى العلم أو الولاية دون أن يكون له من المؤهلات ما يثبت ذلك، وقد كان لهذا الكتاب تأثير كبير في فترة كانت تشهد تحولات اجتماعية وثقافية، حيث حاول الفكون من خلاله إصلاح الوضع الاجتماعي والديني الذي كان يشهده المجتمع الجزائري في تلك الحقبة، معززًا الوعي بأهمية المعرفة الحقيقية والتقوى، ينظر: أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 1966، ص 327.

² علي بن عمر (1753-2184): الشيخ علي بن عمر في بيئة غنية بالقيم الدينية والعلمية في الجزائر، حيث نشأ وترعرع وسط أحضان الزاوية الرحمانية التي شكلت منذ صغره منبرًا لتلقي العلوم الشرعية واللغوية والفقهية، سرعان ما تبلورت شخصيته كرمز للتجديد والإصلاح الديني والاجتماعي، ففضل علمه ورؤيته التنويرية، أصبح معلمًا وخطيبًا مرموقًا، وتولى قيادة زاوية طولقة الرحمانية، لترك بصمة عميقة في المجتمع من خلال خطبه ومحاضراته التي دعت إلى العودة إلى القيم الإسلامية الأصيلة، استمر الشيخ علي بن عمر في خدمة الناس ونشر المعرفة حتى استشهاده بطولقة، مخلّفًا إرثًا روحيًا وثقافيًا يُعد مرجعًا للأجيال اللاحقة في الجزائر، حيث بقي اسمه مرتبطًا بالتعليم والإصلاح والتجديد الديني، ينظر: سليمان الصيد، **تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية**، دار هومة، الجزائر، د ت، ص 09.

³ سعد الله، **تاريخ الجزائر الفقا...**، ج8، المرجع السابق، ص 10 - 11.

أعمالهم العربية إلى الفرنسية، مثل: د. مرسل، ابن قلفاط، والمكي بن باديس¹، ومن بين الكتاب البارزين الذين نشروا بالفرنسية والعربية أيضاً: أحمد بن بريهمات²، ابن رحال محمد³، إسماعيل حامد⁴، وابن شنب⁵.

بدأ توظيف الجزائريين لدى الإدارة الاستعمارية في مجال الصحافة بشكل محدود ووظيفي، حيث استخدم بعضهم كمترجمين أو مساعدين ضمن إطار يخدم أهداف الاحتلال الدعائية لا أكثر، فعلى سبيل المثال، شارك بعض المثقفين الجزائريين مثل أبي القاسم الحفناوي وعلي بن سماية في تحرير جريدة "المبشر"⁶، إلا أن دورهم بقي

¹ المكي بن باديس (1817-1899): كان أحد العلماء الجزائريين البارزين خلال القرن التاسع عشر، حيث لعب دوراً مهماً في مواجهة التحديات الاستعمارية الفرنسية التي استهدفت طمس الهوية والثقافة الجزائرية، وُلد في قسنطينة ونشأ في بيئة دينية وعلمية، مما ساعد في تكوين شخصيته الإصلاحية، كان الشيخ المكي بن باديس من علماء الشريعة الذين سعوا للحفاظ على الهوية الجزائرية الإسلامية ضد محاولات الاستعمار الفرنسي لفرض ثقافة بديلة، وقد ركزت جهوده على مجالات متعددة، مثل التعليم والدين، لتعزيز الوعي الوطني بين الجزائريين، ومن أبرز إسهاماته كان نشاطه في المؤسسات الدينية والتعليمية، حيث سعى إلى إحياء القيم الإسلامية في ظل الاحتلال، ينظر: عبد العزيز فيلاي، "السياسة والقضاء عند المكي بن باديس وابنه حميدة"، مجلة الثقافة الإسلامية، مج 11، ع 1، 15 جانفي، ص 115-136.

² أحمد بن بريهمات (1852 - بعد 1903): كان مترجماً ومحاضراً في ثانوية الجزائر العاصمة، نشأ في بيئة تعليمية ودرس في المدرسة العربية الفرنسية الإمبراطورية بالجزائر، حيث تعمق في الثقافة العربية، التحق بالترجمة العسكرية عام 1872 وخدم في عدة مناطق قبل أن يستقيل عام 1877 طمعا في وظيفة مستقرة بالمحكمة، شغل مناصب مختلفة، منها رئيس قسم اللغة العربية في الثانوية ومستشار مسلم في المحكمة المدنية بالبلدية، ثم عاد إلى الترجمة العسكرية عام 1881، إلى جانب عمله الرسمي، كان ناشطاً ثقافياً وسياسياً، فشارك في تحرير صحيفة المنتخب ثنائية اللغة، وتعاون مع القائد لويس ماري رين في تأليف كتاب لتعليم الفرنسية للجزائريين، حصل على الجنسية الفرنسية عام 1883، ونشر كتيباً عن قوانين التعليم في الجزائر، ثم استقال مجدداً بسبب ظروفه الصحية ومسؤولياته العائلية بعد وفاة والده وشقيقه الأكبر، بقي مؤثراً في المشهد السياسي كعضو في المجلس البلدي وشخصية بارزة استمعت إليها لجنة مجلس الشيوخ عام 1892، ووصفه محمد عبده عام 1903 بأنه شخصية سياسية ناشطة، ينظر:

A.Messaoudi, Op. cit, p 102

³ محمد بن رحال (1858-1928): يُعدّ من أبرز رواد الحركة الوطنية الجزائرية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وُلد في مدينة ندرومة لعائلة ذات مكانة علمية واجتماعية، وتلقى تعليماً مزدوجاً جمع بين الثقافة الإسلامية والتعليم الفرنسي، مما أهله ليكون أول جزائري يتحصل على شهادة البكالوريا سنة 1874، استثمر بن رحال هذه الخلفية في الدفاع عن الهوية الجزائرية ومقاومة السياسات الاستعمارية، فعارض بشدة قانون التجنيد الإجباري وقانون التجنيس، وقاد وفدًا إلى باريس عام 1912 للمطالبة بإلغائهما، كما دعا إلى النهوض بالتعليم العربي وتعليم الفتيات، وأسهم في تأسيس جمعيات فكرية وثقافية أبرزها "نادي الشباب الجزائري" و"الجمعية الرشيدية"، حيث كان ينشر فكر التوفيق بين الإسلام والتقدم، ترك عدة مؤلفات ودراسات فكرية وتاريخية، ويُعد من الأصوات المبكرة التي مهدت لظهور الوعي الوطني الجزائري، ينظر: خالد بوهند، النخب الجزائرية-دراسة تاريخية اجتماعية (1892-1942)، دار القدس العربي، وهران، ص 244.

⁴ إسماعيل حامد (1857-1932): المولود قرب الجزائر العاصمة، كان مترجماً رئيسياً ومثقفًا بارزاً في السياق الاستعماري، تلقى تعليمه في الجزائر وبدأ مسيرته كمترجم عسكري، ثم أصبح أستاذاً في مدرسة اللغات العربية واللهجات الأمازيغية في الرباط، ساهم بعدد من الأبحاث والترجمات حول الإسلام وتاريخ المغرب العربي وإفريقيا جنوب الصحراء، وشارك في مجلات علمية مثل: مجلة العالم الإسلامي، أبرز أعماله كتاب المسلمون الفرنسيون في شمال إفريقيا الذي دعا فيه إلى اندماج الشعوب تحت راية "الحضارة البربرية"، مما يعكس الجدل الاستعماري حول سياسة الإدماج، شارك في مؤتمرات علمية وواصل عمله في تحقيق المخطوطات التاريخية مثل كتاب الاستقصا، أنهى مسيرته في المغرب حيث تولى تدريس تاريخ المغرب ونشر مؤلفات حول التاريخ والسياسة في المنطقة، ينظر:

Alain Messaoudi, Les arabisants et la France coloniale, ENS Éditions, Lyon, 2015, p 123.

⁵ سعد الله، الحركة الوطنية...، ج 1،*، المرجع السابق، ص 581

⁶ جريدة المبشر: في سنة 1847، أمر الملك فيليب بإصدار صحيفة "المبشر" بالفرنسية والعربية المخلوطة باللهجة المحلية، حيث كانت اللغة العربية وسيلة التواصل الوحيدة مع السكان، نُشرت عبرها قوانين وتعليمات استعمارية، كما روجت لانتصارات فرنسا ضد الثورات المحلية، ورغم تحسن مستوى

خاضعًا لتوجيهات الإدارة الفرنسية، التي استغلت الصحافة لنشر التعليمات والقوانين وترويج الانتصارات العسكرية، ورغم مطالب جزائريين أمثال أحمد بوضرية¹ بإيجاد صحافة ناطقة بالعربية تُعبّر عن الأهالي، إلا أن ذلك اقتصر على أقسام عربية ركيكة أعدّها موظفون مثل جوني فرعون، دون مراعاة للغة أو محتوى يخدم القارئ المحلي، ومع صدور قانون حرية الصحافة الفرنسي سنة 1881، ظهرت أولى المبادرات الصحفية الجزائرية المستقلة مثل جريدة "المنتخب"، إلا أن السلطات سارعت إلى قمعها وإيقافها، وسجن صاحبها، فقط لأنها دعت إلى المساواة بين الأهالي والأوروبيين. وهكذا، ظل توظيف الجزائريين في الصحافة خلال الحقبة الاستعمارية محصورًا في أدوار شكلية، خاضعة للرقابة، وعاجزة عن تجاوز حدود الترجمة والتبليغ الإداري، فيما حورت بشدة كل محاولة للصحافة الحرة أو المعارضة².

لقد أدرك الفرنسيون أثر الصحافة آمنوا بقوتها في اليقظة وبث الثقافة والوعي فيها، فنجد جان ميرانت³ (Jean Mérant) يقول: "إن الجرائد هي هذه الآلة التي تجمع في وقت واحد بين البساطة والقوة... إنها هي التي شغ منها النور فبدد الظلام الذي كان يلف الشعوب المتخلفة..."⁴، إلا أن هذا الاعتراف تحول إلى نكران عندما بدأ الجزائريون يشقون طريقهم في الكتابة على الصحف العربية بالجزائر فيتحوّل اعتراف ميرانت من محب لدور الصحافة إلى عدو لها وفي هذا البحث سنتطرق لدوره في توقيف أقلام تكتب في الصحافة⁵.

2.2. المقاومة الأدبية

تجلت المقاومة الأدبية في كتابة العرائض والالتماسات التي رفعها المثقفون الجزائريون إلى السلطات الاستعمارية احتجاجًا على سياسات التهميش والاضطهاد، استخدمت هذه العرائض كوسيلة قانونية لمحاولة استعادة بعض

الكتابة باللغة العربية أواخر القرن التاسع عشر، ظلت الصحيفة أداة استعمارية بحتة، وإن شارك فيها مثقفون جزائريون مثل أبي القاسم الحفناوي وعلي بن سماية، ومساعدو ترجمة مثل أرنو أنطوان، ينظر: سعد الله، *الحركة الوطنية...*، ج 1*، المرجع السابق، ص 92.

¹ أحمد بوضرية (...-...): تاجر جزائري بارع استطاع كسب ثقة الفرنسيين عقب احتلالهم للجزائر عام 1830، حتى عينوه رئيسًا لبلدية الجزائر، قدم لهم نصائح حول كيفية التعامل مع الجزائريين، لكنه في الواقع كان يتلاعب بهم سرًا، ورغم اتهامه بدعم ثورة الأمير عبد القادر، ظل الغموض يحيط بنهايته، بعدما نُفي إلى باريس وأُتهم بالخداع والتآمر، ينظر: سلطانة عابد، "قراءة في خصائص تجار مدينة الجزائر سنة 1830 أمّودج": حمدان خوجة وأحمد بوضرية"، *الناصية للدراسات الاجتماعية والتاريخية*، ع2، جوان 2012 ص 340.

² ناصر، *الصحف العربية...*، المرجع السابق، ص 09.

³ جان ميرانت (1868-1950): كان مترجمًا عسكريًا ومديرًا للشؤون الأصلية في الجزائر، بدأ مسيرته في تونس كمدرس، ثم انضم إلى فيلق المترجمين العسكريين عام 1893، حيث عمل في مكاتب الحاكم العام، لعب دورًا بارزًا في تطوير الطباعة والنشر باللغة العربية، خاصة في مجالات الحرف اليدوية، الزراعة، والطب، كما دعم سياسة إصلاح الإسلام وانتقد الطرق الصوفية، خلال الحرب العالمية الأولى، ساهم في الدعاية الفرنسية الموجهة للمسلمين، وأصبح مديرًا للشؤون الأصلية عام 1919، كان مثيرًا للجدل، حيث اعتبره عبد الحميد بن باديس عدوًا للغة العربية والدين الإسلامي، قبل أن يحل محله لويس ميلبوت بعد تقاعده، ينظر:

A.Messaoudi, Op.cit, p 80.

⁴ ناصر، *الصحف العربية...*، المرجع السابق، ص 10.

⁵ نفسه.

الحقوق، مثل حماية التعليم العربي، والدفاع عن الأوقاف، وكان منهم هؤلاء الذين وظّفهم الاحتلال ضمن إدارته من مثقفين جزائريين، إما كمتترجمين أو معلمين أو موظفين في الصحافة الاستعمارية، مما جعلهم في موقف معقد بين خدمة النظام الاستعماري والسعي للحفاظ على الهوية الوطنية، ورغم هذا التوظيف، استغل البعض مواقعهم لنشر الوعي حول قضايا الشعب الجزائري، سواء من خلال العرائض أو عبر إنتاج أدبي ضمن الأطر المتاحة، ولقد مثّلت هذه الجهود نوعاً من المقاومة الناعمة التي لم تحمل طابع المواجهة المباشرة، لكنها كانت محاولة للحفاظ على الهوية الثقافية في ظل التضييق الاستعماري، ورغم أن تأثيرها كان محدوداً بسبب القيود الصارمة، إلا أنها كشفت عن وعي مبكر بضرورة التصدي للاستعمار عبر الوسائل الفكرية والقانونية المتاحة، وسمحت لبروز نصوص أدبية ضمن الالتماس أو العريضة.

نعني بـ"المقاومة الأدبية" العرائض التي كتبها الجزائريون احتجاجاً على الممارسات التعسفية التي مارستها السلطات الاستعمارية، أو للمطالبة بحماية اللغة العربية من محاولات طمسها المتعمد، ورغم هذه الضغوط، أظهر الجزائريون شغفاً كبيراً بالمعرفة، ما دفعهم منذ تسعينيات القرن التاسع عشر إلى التعلّم حتى باللغة الفرنسية، خاصة بعد تأثرهم بنهضة المشرق، تضمنت تلك العرائض مطالب بمنحهم الحق في التعليم بشكل عام، وبالتعلم باللغة العربية على وجه الخصوص¹.

في تلك الفترة، أقر رينيه باصيه (René Basset)، مدير مدرسة الآداب في الجزائر، بأن الاهتمام بدراسة اللهجات المحلية ازداد مع بداية تسعينيات القرن التاسع عشر، وكان المستشرقون يتخصصون في لهجات مختلفة من المدن أو الأرياف، معتمدين في كثير من الأحيان على مساعديهم من الطلاب الجزائريين، كما ظهرت دراسات حول اللهجات والظواهر الأدبية، مثل اهتمام ألكسندر جول في أوائل القرن التاسع عشر بالشعر الشعبي في البوادي، ووصف جوزيف ديسبارمي² (Joseph Desparmet) مقاومة الجزائريين للممارسات الاستعمارية بـ"ردود الفعل اللغوية"، التي تُعد مثلاً حياً على الصراع الثقافي واللغوي في تلك الحقبة³.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 399.

² جوزيف ديسبارمي (1863-1942): كان أستاذاً مشاركاً في اللغة العربية وباحثاً في الإثنوغرافيا، بدأ مسيرته في تدريس الأدب واللاتينية، ثم انتقل إلى الجزائر عام 1891 حيث تولى مناصب تعليمية مختلفة، واهتم بدراسة اللغة العربية وتطوير مناهج تدريسها وفق الطريقة المباشرة، قدم مساهمات بارزة في الأدب الشعبي والإثنوغرافيا، حيث نشر دراسات حول العادات والمعتقدات الجزائرية، كما وثّق المقاومة الثقافية للإسلام التقليدي، ركّز في أبحاثه على تطور القومية الجزائرية وتأثير الحركات الإصلاحية بقيادة ابن باديس، محذراً من تصاعد النزعة الوطنية التي توقع ن تؤدي إلى ثورة مسلحة ضد الاستعمار الفرنسي، ينظر: A.Messaoudi, Op. cit, p120.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، المرجع السابق، ص 399.

الجدول رقم (01): يوضح التعسف الاستعماري تجاه التعليم العربي وردود الفعل الوطنية¹:

الفاعل	رد الفعل الوطني	السياق التاريخي	رد فعل فرنسا
التعسف على التعليم ومؤسساته ² .	احتجاج أوائل الجزائريين	سنة 1843 مصطفى الكابطي رفض ادخال الفرنسية إلى المدارس القرآنية.	تجريدته من وظيفته وتجهيزه نحو الإسكندرية
امانة اللغة العربية الفصحى.	مقاطعة التعليم في المدارس الفرنسية كوسيلة للدفاع عن اللغة العربية، سواء الشفوية أو المكتوبة، وقد تم كتابة عرائض تعبر عن هذا الموقف، حيث تجمع بين اللهجة العنيفة والسلمية، مما يعكس شعورًا صادقًا بضرورة تعلم اللغة العربية.	خلال الثمانينات: كتابات أحمد بن بريهمات في المقال. عرائض أهل قسنطينة ورؤساء بلدياتهم. خلال التسعينيات: كتابات محمد بن رحال.	يشير ديارمي إلى أن الجزائريين أدركوا مخاطر الإدارة الفرنسية الرامية لإضعاف لغتهم، واحتجوا عليها. وقد فهموا أن استخدام أشخاص مثل جوني فرعون لتعليم الدارجة للفرنسيين هو سياسة تهدف إلى تهميش الفصحى المكتوبة لصالح اللهجة المستخدمة في المناسبات.
مطالبة الكولون بغلق الكتاتيب المتبقية باعتبارها تعلم القرآن وحروف اللغة العربية وبالتالي تعلم التعصب للأطفال	تدخل النخبة والعلماء والتنديد بهذه السياسات في التجمعات الفرنسية من وفود ومؤتمرات...	في 1921، دعا محمد بن رحال إلى دعم التعليم الإسلامي والعربية، مؤكدًا أن اللغة تعبر عن فكر وثقافة الشعب وتخدم المصلحة العامة.	تأييد النواب لابن رحال . مهاجمة الكولون لرأيه .

يعكس الجدول بوضوح التوتر العميق بين السياسات الاستعمارية الفرنسية والهوية الثقافية الجزائرية، حيث كان التعليم أحد الساحات المركزية للصراع، فقد استهدفت السلطات الفرنسية المؤسسات التعليمية العربية والإسلامية، وسعت إلى إدماج اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية، الأمر الذي واجهه الجزائريون برفض حازم، كما في حالة مصطفى الكابطي سنة 1843، هذا الموقف يُعدّ تعبيرًا عن وعي مبكر بأهمية اللغة في صون الهوية، إذ تحوّلت العرائض والمقاطعة والمواقف الفردية والجماعية إلى أدوات فعّالة للاحتجاج السلمي، كما يظهر في الكتابات الصحفية والمواقف الفكرية لكل من أحمد بن بريهمات ومحمد بن رحال، الذين رأوا في العربية وعاءًا للفكر والثقافة الجزائرية، ومجالًا لا ينبغي التفريط فيه، لقد كانت تلك المواقف بمثابة نواة لمقاومة ثقافية تتحدى مشروع الهيمنة الفرنسية الذي سعى إلى "فرنسة" العقول عبر مؤسسات التعليم.

¹ اعداد الطالبة وردة عي.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص20-21.

هذا الصراع لم يكن لغويًا فحسب، بل حمل أبعادًا اجتماعية وحضارية عميقة، كما يشير ديارمي، الذي رأى أن اللغة العربية تحولت في وعي الجزائريين إلى "مسألة حياة أو موت"، فمع تزايد محاولات طمس الفصحى لصالح الدارجة أو الفرنسية، بدأت تظهر معالم ما يمكن تسميته بـ "ثورة لغوية" ثقافية في الثلاثينيات، حيث دعا المثقفون إلى رفض الفلكلور والدارجة باعتبارهما أدوات تمييع للهوية، وطالبوا بإعادة الاعتبار للفصحى كرمز للوحدة والانتماء، هذه المقاومة الفكرية التي غذتها مأساة الاحتلال، ظهرت بجلاء في الصحف والمنتديات، مثلما تجلّى في نداءات جريدة "النجاح" إلى الشباب للتمسك بلغتهم، لقد شكّلت هذه المرحلة لحظة وعي جماعي بضرورة استعادة الذات الثقافية ومواجهة التغريب، حيث أصبح الأدب والتعليم واللغة أدوات مركزية في بناء هوية وطنية صلبة، هكذا، كانت المقاومة الأدبية والفكرية ردًا موازيًا للمقاومة المسلحة، تؤرخ لفصول من النضال الصامت الذي أسّس له الجزائريون في مواجهة المشروع الكولونيالي الفرنسي¹.

3. عوامل تشكل الكتابات الأدبية في القرن العشرين

1.3. الوضع السياسي العالمي

تأثرت الجزائر تأثرًا عميقًا بالحربين العالميتين، حيث لعبت الحرب العالمية الأولى دورًا مهمًا في تعميق الشعور بالهوية الوطنية والوعي السياسي²، خاصة بعد مشاركة آلاف الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي تحت وعود واهية بالمساواة³، عودة هؤلاء الجنود إلى واقع من الفقر والتمييز أوجدت شعورًا عامًا بالخيبة والظلم⁴، تزامن مع تصاعد الحركة الثقافية، التي أخذت طابعًا نضاليًا من خلال الصحافة والشعر والمقال، فكانت وسيلة للتعبير عن مقاومة سياسة "الفرنسة" وحماية الهوية العربية الإسلامية، وفي ظل هذا الوعي المتنامي، نشأت عدة حركات وطنية وثقافية، مثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁵، ونجم شمال إفريقيا⁶، كما برزت نقاشات فكرية بين النخبة المثقفة والمحافظين،

¹ صالح خري، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 16.

² يحي جلال، الثورة العربية، دار المعرفة، بيروت، 1959، ص 83.

³ جوان غليسي، الجزائر الثائرة، تر: خيري حماد، دار الطليعة، بيروت، 1961، ص 34.

⁴ نفسه، ص 170.

⁵ تأسيس جمعية العلماء بعد الذكرى المئوية للاحتلال كرد فعل طبيعي، ولكن هذا التوقيت لم يكن مجرد صدفة، فقد كانت هناك محاولات سابقة لتأسيس هذه الجمعية تعود إلى سنة 1924، ولكنها لم تنجح حتى جاءت الذكرى المؤثرة لشخصية وطنية، والتي فتحت المجال لمواجهة تؤكد أهمية بقاء تلك الشخصية، ودخلت الحركة التي تحمل شعار العروبة والإسلام وتعتبر الثلاثينيات فترة ذهبية للحركة الإصلاحية، ينظر: خري، الشعر الجزائري ...، المرجع السابق، ص 24.

⁶ Henry Collot, *Le Mouvement National Algérie (Taxte) 1912-1954*, O.P.U, Paris, 1978, P23.

تدور حول مفاهيم الحداثة والإصلاح والهوية¹، وبرزت أسماء جزائرية تتكلم عن لسان الجزائريين أمثال الأمير خالد² ومصالي الحاج³.

كان لسقوط الخلافة العثمانية أثر نفسي بالغ على الجزائريين، حيث اعتُبر الحدث ضربة لهويتهم الدينية، وقد عبّر الأدباء عن ذلك بمرارة في مقالات وقصائد ترثي الخلافة وتصف الشعور باليئس الحضاري⁴، مثلما فعل عبد الحميد بن باديس وعمر بن قدير ومصالي الحاج⁵، تزامن ذلك مع احتفالات فرنسا بمرور قرن على احتلال الجزائر، التي عمّقت الشعور بالقهر⁶، وأثارت موجة من الكتابات الراضية للاستعمار، والمطالبة بالاستقلال، هذه المرحلة شهدت أيضًا تصاعد النشاط السياسي للجزائريين، وبرزت حركات تطالب بالمساواة والتمثيل السياسي، مع تركيز الصحافة العربية على الإصلاح الديني والثقافي، والصحافة الفرنسية على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، مما ساهم في تنوع الخطاب الوطني.

خلال الحرب العالمية الثانية، اشتدت الأزمة السياسية والاقتصادية في الجزائر، مما دفع المثقفين إلى تكثيف نضالهم الثقافي، حيث استخدموا الأدب سلاحًا للمقاومة والتوعية، وقد شهدت هذه الفترة تطورًا في الخطاب السياسي والفكري⁷، وبرزت دعوات متزايدة للاستقلال، خصوصًا بعد أن خاب أمل الجزائريين مرة أخرى في وعود

¹ خري، الشعر الجزائري ...، المرجع السابق، ص 25.

² الأمير خالد (1875-1936): وُلد في دمشق، ثم انتقل مع والده إلى الجزائر عام 1892م، التحق بثانوية لويس لوفران في باريس، ثم بالمدرسة الحربية سان سير عام 1893م، وعاد إلى الجزائر عام 1895م، فُرِضت عليه الإقامة الجبرية في مدينة بوسعادة، لكنه استأنف لاحقًا واجباته العسكرية في المغرب عام 1907م، بين عامي 1913 و1919، برز كإحدى أهم الشخصيات في الحركة الوطنية الجزائرية، شارك في الحرب العالمية الأولى، لكنه أُعفي من الخدمة العسكرية عام 1919م بسبب إصابته بمرض السل الرئوي، لينتقل إلى مسار سياسي جديد، شارك في الانتخابات البلدية بالعاصمة الجزائرية في نوفمبر 1919م، لكن بعد رفض ترشحه رغم فوزه، خاض انتخابات 9 جانفي 1921م بقائمة جديدة وفاز مجددًا، إلا أن السلطات الاستعمارية قامت بنفيه إلى فرنسا ثم مصر، بعد فوز اليسار في فرنسا وتولي م. هيرليو الرئاسة، استعاد نشاطه السياسي بقوة، وترأس شرفيًا حزب نجم شمال إفريقيا، توفي في دمشق عام 1936م، ينظر: بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النفائس للسلسلة: جهاد شعب الجزائر، الجزائر، 1996.

³ مصالي الحاج (1898-1974): هو أحد أبرز الشخصيات في الحركة الوطنية الجزائرية، ويُعتبر من رواد النضال السياسي ضد الاستعمار الفرنسي، أسس حزب نجم شمال إفريقيا عام 1926، الذي كان أول تنظيم سياسي يطالب صراحة باستقلال الجزائر، لاحقًا، أسس حزب الشعب الجزائري عام 1937، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية عام 1946، رغم دوره البارز في النضال السياسي، دخل في خلاف مع جبهة التحرير الوطني عام 1954، حيث رفض الكفاح المسلح الذي قادته الجبهة، مما أدى إلى تراجع نفوذه السياسي، توفي في فرنسا عام 1974 بعد مسيرة طويلة من النضال، ينظر: Benjamin Stora, Messali Hadj (1898-1974), Éditions L'Harmattan, paris, 1984.

⁴ وردة عي، "صدى سقوط الخلافة العثمانية في الكتابات الجزائرية 1900-1973م"، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 15، ع 10، ماي 2023، ص ص 505-511.

⁵ محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975)، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985، ص 25.

⁶ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 83.

⁷ خري، الشعر الجزائري ...، المرجع السابق، ص 18.

فرنسا بعد انتهاء الحرب¹، كما لعب الأدب دورًا أساسيًا في توجيه الشباب نحو التمسك بالتراث الثقافي ومقاومة الذوبان في الحضارة الفرنسية²، وهو ما عبّر عنه أدباء مثل بلقاسم بن أرواق: "يا شباب الجزائر، إن نجدة اليراع هي النجدة، وأن غرس الأدب هو العرس، هلم إلى روضته المنيعه وتراثه الأثيل ومرتعه الخصب"³، هذا التراكم الثقافي والسياسي مهّد الطريق لظهور حركات استقلالية قوية في العقود التالية.

2.3. الوضع الثقافي الإقليمي

• الحركة الاستشراقية

لعب الاستشراق دورًا مهمًا في تطور الأدب الجزائري، إذ ساهم المستشرقون في توثيق التراث الأدبي والمخطوطات، مما ساعد في الحفاظ على جوانب من الهوية الثقافية الجزائرية، رغم أن بعض تلك الجهود حملت خلفيات استعمارية، وقد أثر التفاعل مع المناهج النقدية الغربية في إثراء التجربة الأدبية الجزائرية وتوسيع آفاقها، ويُعرّف الاستشراق، بحسب السياقات المختلفة، بأنه التيار الفكري الغربي الذي يهدف إلى دراسة الشرق وثقافته بهدف الفهم أو السيطرة⁴، وقد ساهم هذا التيار في تشكيل تصور الغرب عن العالم الإسلامي، ويصف الدكتور أبو القاسم سعد الله الاستشراق بأنه إحدى دعائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر⁵، مؤكدًا أنه لم يكن مجرد اهتمام علمي، بل جزءًا من خلفية فكرية للصراع الحضاري بين الشرق والغرب.

يصف مالك بن نبي الاستشراق بأنه أداة يستخدمها الجندي كما يستخدم السلاح، حيث يعمل المستشرق لخدمة سياسات بلده ومصالحها⁶، وهو ما أكد عليه إدوارد سعيد⁷ في تعريفه للاستشراق كنهج غربي لدراسة الشرق يقوم على النظرة الاستعمارية المسيطرة التي تعكس التفوق السياسي والثقافي للغرب، مما أنتج صورة نمطية ومغلوبة

¹ مهداوي، هموم الكتابة...، المرجع السابق، ص 19.

² خرفي، الشعر الجزائري...، المرجع السابق، ص 26.

³ عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 51.

⁴ فاهم نعمة إدريس الياسري، "الاستشراق الفرنسي: دراسة في أصوله وتطوره واهتمامه وأهم دعائمه"، المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية، جامعة واسط، العراق، مارس 2013، ص 232.

⁵ سعد الله، الحركة الوطنية...، ج 1*، المرجع السابق، ص 531.

⁶ مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، مكتبة عمار، القاهرة، 1970، ص 19.

⁷ إدوارد سعيد (1935-2003): كان مفكرًا وناقِدًا أدبيًا فلسطينيًا-أمريكيًا، وأحد أبرز منظري ما بعد الاستعمار، اشتهر بكتابه الاستشراق (1978)، الذي كشف فيه عن التحيزات الغربية تجاه الشرق، مبيّنًا كيف شكل الاستشراق نظرة الغرب للعالم العربي والإسلامي، لعب دورًا هامًا في =الدراسات الثقافية والنقدية، وكان مدافعًا قويًا عن القضية الفلسطينية، ينظر: إدوارد سعيد، خارج المكان، تر: فوز طرابلسي، دار الاداب، بيروت، 1999.

عن الشرق¹، ويعتبر سعيد أن كل غربي يدرس أو يكتب عن الشرق هو مستشرق، وأن الاستشراق عمل كأداة للهيمنة والسيطرة على الشرق، مبرراً بذلك الاحتلال من خلال بناء تصورات مسبقة تعزز التفوق الثقافي الغربي²، بالمقابل، يرى بيطار الاستشراق كتخصص شامل يدرس مختلف جوانب الحضارة الشرقية، من التاريخ والاقتصاد إلى الفنون والآداب³.

خلال القرن التاسع عشر، شهدت الجزائر مرحلتين من الاستشراق: الأولى بين 1830 و1870، حيث اعتمدت السلطات الفرنسية على مجموعة من المهتمين بشؤون الشرق والإسلام، بالإضافة إلى استعانة برجال من الشام ومصر ومستعربي أوروبا مثل الدغمارك وإيرلندا، قام بيربروجر (Berbrugger) بأنشطة تجسسية علمية، بينما تولى برينييه (Brunier) تدريس اللهجة الجزائرية للجنود والإداريين الذين أصبحوا لاحقاً مسؤولين عن المكاتب العربية، تعاون في هذه المرحلة مستشرقون وعسكريون مثل شيربونو (Cherbonneau)، هادمان (Hadman)، فيرو (Véro)، دي رينو (Des Renauds)، ديفوكس (Devaux)، وديسلان (de Slane)، أما المرحلة الثانية فامتدت بين 1870 و1905، وانتهت بعقد مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر، الذي ترأسه علماء من هيئة التدريس في مدرسة الآداب بجامعة الجزائر، برز في هذه الفترة علماء مثل هوداس (Houdas)، إدمون فانجنان⁴

¹ إدوارد سعيد، الاستشراق، تاريخ الفكر الأوروبي في العالم العربي، دار الآداب، 1978

² نفسه، ص38.

³ مجموعة من الأساتذة، الموسوعة العالمية، ج1، الموسوعة للنشر والتوزيع مؤسسة آمال، السعودية، دت، ص 08.

⁴ إدموند (1846-1931): كان محاضراً في مدرسة الآداب بالجزائر ومتربحاً بارزاً للمؤرخين العرب والفقهاء المغاربة، بعد دراسة القانون في لياج وتعميق معارفه الاستشراقية في باريس، انتقل إلى الجزائر عام 1884 لتدريس الأدب العربي والفارسي، اشتهر بفهرسة المخطوطات العربية والتركية والفارسية، وترجمة مصادر تاريخية مهمة مثل تاريخ الموحدين لعبد الواحد المراكشي والبيان المغربي لابن عذاري، رغم خلافاته مع الإدارة الأكاديمية، ساهم في نشر الدراسات حول تاريخ شمال إفريقيا الإسلامي والقانون الإسلامي، وترجم مؤلفات فقهية هامة، بقي وفياً للتقاليد اللغوية والنصية، مما جعله محل تقدير لدى علماء المسلمين في الجزائر أكثر من بعض زملائه المستشرقين، ينظر: A.Messaoudi, Op. cit, p 234.

(Edmond Fagnan)، وإيميل ماسكري¹ (Émile Masqueray)، بمساعدة جزائريين منهم ابن سديرة²، ابن الوئيس، ابن شنب، بوليفة، محمد نخليل، وابن علي فخار، في هذه المرحلة، تم إدخال اللغة العربية في المدارس الفرنسية الثلاث بدايةً من الثمانينيات، ضمن إصلاحات جزئية للتعليم، تحت إشراف مستشرقين بهدف خدمة النفوذ الاستعماري في المغرب العربي وغرب إفريقيا³.

أنشئت مدارس عليا مثل مدرسة الآداب التي كانت مركزاً للمستشرقين الفرنسيين، وكان إيميل ماسكري (Émile Masqueray) أول مدير لها، حيث بنى علاقات مع شيوخ وكتب في مجالات عديدة، كما أسس جريدة "المراسل الإفريقي" التي نظقت باسم المستشرقين، وخلفه رينيه باصيه (René Basset) الذي استفاد من خبرة ابن سديرة وابن الوئيس؛ الأول كان نابغاً في اللهجات ومتخصصاً في المعاجم العربية والبربرية، أما الثاني فكان مهتماً بالقضاء والسياسة وخدمة التفرقة العرقية، كما شغل جوزيف لجام⁴ (Joseph Légam) منصب مدير ثم عميد

¹ إيميل ماسكري (1843 – 1894): عُني بالدراسات الاجتماعية لقبائل البربر في الجزائر، وكان من أوائل الباحثين الذين اقتربوا من هذه المجتمعات بمنهج علمي إثنوغرافي بعيد عن الطرح الاستعماري السائد، تخرج من مدرسة المعلمين العليا وأصبح أستاذاً للتاريخ سنة 1869، ثم انتقل إلى الجزائر في إطار مهمة أثرية وبدأ التدريس في ثانوية بمدينة الجزائر سنة 1872، في العام التالي، شرع في تعلّم اللغة العربية وعدد من اللهجات البربرية، واهتم بفيلولوجيا هذه اللغات وبالبنية الاجتماعية للمجتمع الأمازيغي، كما أول اهتماماً خاصاً بالآثار، لا سيما الأطلال الرومانية في منطقة الأوراس، وأقام قرابة شهرين في منطقة مزاب، حيث ترجم نصوصاً دينية وتشريعية مهمة منها "كتاب النيل" و"تاريخ أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر الوجيهاني"، اللذان يؤرخان لأصول المذهب الإباضي، وفي العام 1891 نشر دراسة مقارنة بين لهجة الزناغة في السنغال ومفردات الشاوية وبني مزاب، شغل لاحقاً منصب أستاذ للتاريخ والآثار الأفريقية في مدرسة الفنون بالجزائر، ثم عُيّن مديراً لمؤسسة بول بير سنة 1878، وكان لذلك أثر في تشجيع صديقه جول فيري على دعم الثقافة البربرية، ما أدى إلى إنشاء أربع مدارس في منطقة القبائل سنة 1881، من أبرز أعماله كتاب "تكوّن المدن عند السكان المستقرين في الجزائر"، الذي شكّل علامة فارقة في الدراسات الاجتماعية، إذ رفض فيه الفرضية الاستعمارية التي تربط بين أنماط المعيشة (الترحال أو الاستقرار) والانتماء العرقي، معتبراً أن هذه الأنماط ناتجة بالأساس عن عوامل بيئية، ينظر:

Numa Broc, *Dictionnaire des Explorateurs français du XIXe siècle*, Afrique, CTHS, Paris, 1988, p 225.

² بلقاسم بن سديرة (1845–1901): كان محاضراً في اللغة العربية العامة بمدرسة الآداب بالجزائر ومسؤولاً عن تدريس العربية والأمازيغية في كلية المعلمين، نشأ في بسكرة، وتلقى تعليمه في الكلية العربية الفرنسية ثم في المدرسة العليا للأستاذة في فرساي، وحصل على الجنسية الفرنسية عام 1866، نشر العديد من الكتب المدرسية والقواميس، مثل القاموس الصغير العربي الفرنسي، وساهم في تدريس الأمازيغية وإعداد شهادة القبائل، شارك في المؤتمرات الاستشراقية وساعد باحثين فرنسيين في دراساتهم اللغوية، كما ألف كتباً لجمهور أوسع، مثل الحوارات الفرنسية العربية، التي تضمنت نصائح حول التعامل مع الجزائريين، حصل على وسام جوقة الشرف عام 1893 وترقى إلى رتبة ضابط عام 1900، وبعد وفاته، استمر تأثيره من خلال عائلته، حيث برزت ابنته ليلي كمغنية مشهورة، وابن أخيه عبد الرحمن كضابط في الجيش الفرنسي، ينظر: Ibid, p312.

³ سعد الله، الحركة الوطنية...، ج 1، المرجع السابق، ص532.

⁴ باستيماري جوزيف لجام (1855–1924) كان عالم لغات ومستشرقاً فرنسياً متخصصاً في اللغة العربية والأمازيغية، وقد لعب دوراً مهماً في تطوير الدراسات الشرقية في الجزائر، بعد دراسته في باريس، حيث تعمق في اللغات السامية والفارسية والتركية، بدأ مسيرته الأكاديمية في الجزائر عام 1880، حيث شغل عدة مناصب تعليمية، بما في ذلك مدير مدرسة الآداب ثم عميد كلية الآداب منذ 1894، اهتم بالشعر العربي الجاهلي ونشر دراسات وترجمات مهمة، مثل ديوان كعب بن زهير وعروة بن الورد، كما كان له إسهامات في الدراسات الأثيوبية والبربرية، حيث قام بجمع ودراسة اللهجات الأمازيغية، وساهم في تطوير مناهج دراستها، إلى جانب أبحاثه اللغوية، ترك بصمة بارزة في الدراسات الإسلامية والجغرافية والتاريخية من خلال تحقيقه وترجمته لنصوص هامة، مثل "فتوح الحبشة" و"بردة البوصيري"، كما كان له اهتمام خاص بالفولكلور العربي والبربري، حيث جمع ونشر العديد من الحكايات الشعبية، أسهم في إنشاء مدرسة بحثية في الجزائر، ونظم المؤتمر الدولي للمستشرقين عام 1905، كما كان عضواً مؤثراً في موسوعة الإسلام،

مدرسة الآداب، لعب الاستشراق دورًا في احتلال الصحراء الجزائرية، من خلال دراسة لهجات ومعايشة أهلها، وبرز في ذلك غوستاف موتيلانسكي (Gustave Motilanski) الذي درس حياة أهل ميزاب وتواصل مع شيوخ الزوايا، اهتم المستشرقون بالمسلمين والإسلام والتراث العربي في مجالات متعددة مثل المتصوفة، كتب التوحيد والفقه، المعاجم، اللهجات، الأدب، الفنون، والآثار، تعاون الاحتلال مع الاستشراق لخدمة أهدافهما، حيث أنشئت جمعيات ومجلات علمية لتبرير الاحتلال الفرنسي، كما أسس الفرنسيون مكتبة عمومية ومتحفًا منذ بداية الاحتلال، وازدادت المكتبة بمخطوطات عربية منقولة بواسطة المستشرقين، مع وجود مكتبات في الولايات والبلديات والمؤسسات التعليمية، في حين حافظت بعض الزوايا على مخطوطاتها، استمرت اللغة العربية في الازدهار في الزوايا والمساجد رغم محاولات الفرنسيين الحد من تعليمها، وأشار أوغست كور إلى أن دراسة الأدب الجزائري تكشف عن عبقرية الشعب الجزائري، في عام 1956، ذكر المستشرق فيليب (Philippe) أن عدد المتعلمين بالعربية في الجزائر كان محدودًا، لا يتجاوز عشرة آلاف، ومع ذلك كان لديهم رغبة صادقة في تعميق فهمهم للغة العربية والنصوص الفصحى¹.

• الحركة الرومنتيكية في فرنسا:

الرومانسية (Romantisme) هي حركة فنية وأدبية وفكرية ظهرت في أوروبا أواخر القرن الثامن عشر وبلغت أوجها في القرن التاسع عشر، كرد فعل على العقلانية الصارمة لعصر التنوير، وعلى القيود الكلاسيكية التي حكمت الأدب والفن آنذاك، دعت الرومانسية إلى تحرير الإبداع من القواعد الصارمة، وركزت على العاطفة، والخيال، والذاتية، وتمجيد الطبيعة، والاهتمام بالحنين إلى الماضي، خصوصًا العصور الوسطى، في الأدب، ظهرت في أعمال شعراء وروائيين مثل فيكتور هوغو² (Victor Hugo)، وشاتوبريان³ (Chateaubriand)، ولورد بايرون (Lord Byron)، وألفريد دي موسيه (Alfred de Musset)، وبرزت أيضًا في الموسيقى والفنون التشكيلية،

رغم مكانته الأكاديمية الرفيعة، لم يُستدعَ لدور فعال في المغرب، حيث فضّل الاستعمار الفرنسي الاعتماد على تلاميذه الأكثر انفتاحًا على التعامل مع العالم الإسلامي، ينظر:

A.Messaoudi, Op. cit, p91.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص21

² فيكتور هوغو (1802-1885): كاتب وشاعر فرنسي، يعد من أعظم أدباء القرن التاسع عشر ومن رواد الرومانسية في الأدب، اشتهر بأعماله الملحمية التي تناولت القضايا الاجتماعية والإنسانية، ومن أبرزها البؤساء وأحدب نوتردام، كان له دور بارز في الحياة السياسية، حيث دافع عن العدالة وحقوق الإنسان، ينظر:

Jacques Seebacher, **Victor Hugo ou le calcul des profondeurs**, PUF, Paris, 1993.

³ فرانسوا رينيه دي شاتوبريان (1768-1848): كاتب ورحالة والأدب الرومانسي الفرنسي، يُعتبر من أبرز أدباء الرومانسية في فرنسا، حيث جمع في أعماله بين الوصف الطبيعي العاطفي والحنين إلى الماضي والروح الدينية، كان لشاتوبريان تأثير كبير على الأدب الفرنسي من خلال أعماله التي تناولت موضوعات الحرية والطبيعة والتاريخ، ومن أشهر مؤلفاته "الرحلة إلى أمريكا" و"الجنوب الأدبي" و"أطروحات في الأدب القديم والحديث"، كما شغل مناصب دبلوماسية وسياسية وكان من دعاة الحفاظ على التراث الثقافي الفرنسي، ينظر:

A.Messaoudi, Op. cit, p91.

كما ارتبطت الرومانسية بنزعة تمرد على النظام الاجتماعي والسياسي، فكانت تعبيراً عن الفرد في مواجهة المؤسسات، وعن الروح المتطلعة إلى الحرية¹.

تزامن احتلال الجزائر مع ذروة الحركة الرومانتيكية في أوروبا وفرنسا، التي ابتعدت بالناس عن الواقع القاسي الناتج عن الثورة الصناعية والرأسمالية، استمرت هذه الحركة حتى نهاية القرن التاسع عشر، وأثرت في كافة المجالات مثل السياسة والاقتصاد والفنون والآداب، جاء العديد من المثقفين الفرنسيين إلى الجزائر، وكان بعضهم من قادة الجيش والمستعمرين، نابليون الثالث نفسه وُصف بأنه رجل رومانيكي، الفرنسيون تناولوا الجزائر في كتاباتهم بشكل موسع، فكتبوا عن الفن والإدارة والشعر والتاريخ²، وقد ظهرت كتب الانطباعات التي تصف السكان وعاداتهم، وانتشرت كتب الدليل السياحي، زار الجزائر عدد من الأدباء الفرنسيين مثل يوجين فرومنتان (Eugène Fromentin)³ وتيوفيل غوتيه (Théophile Gautier)⁴، وقد أعجب العديد منهم بالطبيعة الجزائرية وسجلوا ذلك في أعمالهم، أما إميل ماسكري، على سبيل المثال، استوطن الجزائر وكتب عن البدو وعاداتهم، وكان من أوائل من كتبوا عن قبائل البربر، تناول الكتاب موضوعات مثل وضع المرأة والعادات المحلية، ووصفوا الإنسان البدوي والبربري كأمثلة للنقاء البشري، أما الشعر الفرنسي، فقد سجل حياة الشرق وبطولات الأبطال ضد العرب، بينما تناولت الروايات موضوعات مختلفة، لكنها لم ترقى إلى مستوى الحدث، كان التاريخ له نصيبه من الكتابات، حيث

¹ Ayn Rand, **The Romantic Manifesto: A Philosophy of Literature**, New American Library, New York, 1969.

² سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي...**، ج6، المرجع السابق، ص 381.

³ **أوجين فرومنتان (1820-1876)**: هو فنان تشكيلي وكاتب فرنسي يُعد من أبرز ممثلي التيار الاستشراقي في القرن التاسع عشر، وُلد في مدينة لا روشيل وتلقى تكويناً فنياً قبل أن يتجه إلى الجزائر في عدة رحلات ما بين 1846 و 1853، حيث استلهم من مناظرها الطبيعية ومجتمعاتها المحلية مواضيع لوحاته وكتاباتاته، في أعماله الفنية مثل "الدفن المغربي" و "الصيدون العرب"، قدّم مشاهد دقيقة عن = الحياة اليومية في الجزائر بأسلوب يمزج بين الواقعية والجمالية الرومانسية، أما في كتاباته، فتميّز فرومنتان برؤية حساسة وواعية للطبيعة والثقافة، كما في كتابيه "صيف في الصحراء" و "عام في الساحل"، اللذين يوثقان مشاهداته في الجزائر بأسلوب أدبي رفيع، تُعد روايته "دومينيك" من أوائل الروايات النفسية في الأدب الفرنسي، وقد شكّلت أعماله الفنية والأدبية مصدراً مهماً لفهم تماثلات الفرنسيين للشرق في الحقبة الاستعمارية، حيث جمع بين حس الفنان ووعي الكاتب، ينظر:

Jan Bialostocki, **Eugène Fromentin, critique de l'art d'autrefois**, Presses Universitaires de France, Paris, 1975.

⁴ **تيوفيل غوتيه (1811-1872)**: هو كاتب وشاعر وناقد فني فرنسي يُعد من أبرز أعلام المدرسة الرومانسية في القرن التاسع عشر، وأحد الممهدين لفكرة "الفن من أجل الفن" (l'art pour l'art) التي دعت إلى تحرير الفن من الأغراض الأخلاقية أو السياسية، تميز أسلوبه بالدقة اللغوية والصور الجمالية الرفيعة، وكتب في مجالات متعددة شملت الشعر والرواية والنقد، كان غوتيه مفتوناً بالشرق، وساهم في التيار الاستشراقي من خلال رحلاته وكتاباتاته، لا سيما رحلته إلى الجزائر التي دوّنها في كتابه "رحلة إلى الجزائر"، حيث عبّر عن انبهاره بجمال الطبيعة وسحر الشرق، كما يظهر ذلك أيضاً في روايته "رومانسية المومياء"، جمع غوتيه في أدبه بين الخيال الرومانسي والدقة الفنية، ما جعله يحتل مكانة مرموقة في الأدب الفرنسي ويؤثر في أجيال من الكتاب والفنانين، ينظر:

Isabelle Cousteil, Agnès Akérib, **Gautier/Dumas, Fracasse et d'Artagnan chez les Tzars**, Triartis Éditions, Paris, 2011.

كتب بيليسيه دي رينو (Pelissier de Reynaud)¹ حوليات الجزائر، وكميل روسيه (Camille Rousset)² ألف تاريخاً عن الجزائر، كما نجد أما إيزابيل إبرهاردت (Isabelle Eberhardt)³، التي كانت كاتبة سويسرية من أصول ألمانية وروسية، والتي جاءت إلى الجزائر وأثرت في الأدب الفرنسي من خلال كتاباتها عن الإسلام والصحراء⁴.

أشار غابرييل أوديسيو (Gabriel Audisio) إلى هذا الاتجاه الأدبي، لافتاً إلى أن قائمة الكتاب الذين زاروا الجزائر طويلة، وتشمل شخصيات مثل فرانسوا-رينيه دي شاتوبريان (François-René de

¹ إدmond بيليسيه دي رينو (1798-1858): هو ضابط ومؤرخ ودبلوماسي فرنسي، يُعد من أبرز الشخصيات التي رافقت بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر، شارك في الحملة العسكرية على الجزائر عام 1830، ثم عُيّن مديراً للشؤون العربية بين عامي 1834 و1837، حيث أتقن اللغة العربية واحتك مباشرة بالسكان المحليين، مما مكّنه من توثيق وقائع دقيقة عن تلك المرحلة، من أبرز أعماله كتاب "السنوات الجزائرية" (Annales algériennes)، الذي يُعد من أوائل المراجع التي أُرّخت للاحتلال الفرنسي من منظور إداري وعسكري، كما عرف بمواقفه النقدية تجاه بعض الممارسات الاستعمارية، ومنها إدانته لمجزرة قبيلة العوفية عام 1832، نشر أيضاً دراسات عن تونس وطرابلس، ما يُظهر اهتمامه الواسع بتاريخ شمال إفريقيا، تميزت كتاباته بجمعها بين التوثيق الرسمي والنقد الأخلاقي، مما يمنحها قيمة خاصة في قراءة تاريخ المرحلة الاستعمارية المبكرة، ينظر:

Cécile Dunouhaud, (19 Mar 2025), Edmond Pellissier de Reynaud, Clio Texte, 19 mars, consulté le 17 mai 2025, sur : <https://clio-texte.clionautes.org/algerie-massacre-el-ouffia-colonie-edmond-pellissier-reynaud-1832.html>

² كامبي روسيه (1821-1892): هو مؤرخ فرنسي عُرف باشتغاله على التاريخ العسكري والسياسي لفرنسا، خصوصاً في علاقته بالمؤسسة العسكرية، اشتغل أستاذاً للتاريخ ثم عُيّن مؤرخاً رسمياً لدى وزارة الحرب، وكان من بين من درّسوا في المدرسة الحرة للعلوم =السياسية بطلب من إميل بوتي، انتُخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية سنة 1871، وخلف برؤوس-بارادول في المقعد رقم 37، من أبرز أعماله التاريخية مؤلفه "تاريخ لوفوا" في أربعة مجلدات (1861-1863)، و"احتلال الجزائر" (1879)، بالإضافة إلى كتابيه "الجزائر من 1830 إلى 1840" و"احتلال الجزائر من 1841 إلى 1857"، وللذين يُعدّان من أبرز الكتب التي أُرّخت لبدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر بأسلوب أرشيفي عسكري، توفي في بلدة سان-غوبان ودُفن هناك، ينظر: BNF, (s.d.), Fiche personne : Edmond Pellissier de Reynaud, consulté le 17 Mai 2025, sur le site : <https://data.bnf.fr/ark:/12148/cb14444224r>

³ إيزابيل إبرهاردت (1877-1904): المعروفة أيضاً بإيزابيل أحي، كاتبة ومراسلة رحالة، شكّلت شخصيتها مصدر جدل، حيث تميزت بإثارة الغموض والظلال القائمة حول حياتها، وقد جذبت انتباه الكثيرين بين مؤيد يُعجب بسحر تجربتها الإنسانية وبين من يشكك في شخصيتها ويعتبرها مجرد مؤثرة، ولدت إيزابيل في مدينة العين الصفراء بالجنوب الغربي للجزائر، وكانت من أصول روسية وأمازيغية، ترعرعت في بيئة ثقافية متنوعة بوجود أختها ووالدها، رحلت من فرنسا واستقرت في الجزائر، حيث تنقلت بين مختلف المدن والبلدات، مثل الجزائر، وعنابة، والوادي، وباتنة، وبشار، والقنيطرة، تأثرت بتجارها وحياتها في الجزائر، وارتبطت بشكل خاص بالحياة الصحراوية البدوية، تزوجت من "سليمان أحي" من وادي سوف، ورافقت في رحلاتها إلى الصحراء، حيث اعتمدت أسلوب حياة البدو وارتدت زيههم، كانت تُجيد عدة لغات وتعبّر عن أفكارها بشكل فني وأدبي، أخذت دوراً فعالاً كمراسلة صحفية في الصحراء، حيث كتبت لعدة صحف فرنسية صادرة في الجزائر، تسلط فيها الضوء على الواقع الثقافي والاجتماعي في المناطق التي زارتها، ينظر: إيزابيل إبرهاردت، على الرمل أثر، تر: عبد القادر ميهي، مديرية الثقافة لولاية الوادي، ط1، الوادي- الجزائر، 2016، ص12.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقا...، ج6، المرجع السابق، ص 381.

Chateaubriand)، جان كوكتو¹ (Jean Cocteau)، تيوفيل غوتيه (Théophile Gautier)، أندريه جيد² (André Gide)، غي دو موباسان³ (Guy de Maupassant)، هنري دي مونترلان⁴ (Henry de Montherlant)، غوستاف فلوبر⁵ (Gustave Flaubert)، ألفونس دوديه⁶ (Alphonse Daudet)، وبيير

¹ جان كوكتو (1889-1963): كان كاتبًا وشاعرًا ومخرجًا وفنانًا فرنسيًا متعدد المواهب، يُعد من أبرز الشخصيات في الأدب والفن الفرنسي في القرن العشرين، تميزت أعماله بأسلوبها الرمزي والسريري، وتنوعت بين الرواية والشعر والمسرح والسينما، حيث أخرج أفلامًا شهيرة مثل *La Belle et la Bête* (الجميلة والوحش)، انتمى كوكتو إلى الأوساط الثقافية الباريسية، وكان على صلة بالحركات الفنية الطليعية مثل السريالية والدادائية، كما ارتبط بعلاقات وثيقة مع فنانيين كبار مثل بيكاسو وإديث بياف، رغم عدم اشتغاله بمواقف سياسية بارزة، إلا أن أعماله حملت رؤية فنية تعكس تأملاته في الجمال، والحلم، والموت، والتجربة الإنسانية، ينظر:

Jean Cocteau, **Moi, Jean Cocteau**, Éditions de la Nouvelle Revue Critique, Paris, 1930.

² أندريه جيد: (1869-1951): الأديب الفرنسي الحائز على جائزة نوبل عام 1947، اشتهر بأعماله التي تناولت القضايا الفكرية والنفسية، إلى جانب انتقاده للاستعمار، زار الجزائر عدة مرات، وفي حين لم يكن في بداياته ناقدًا صريحًا للاستعمار، إلا أنه لاحقًا أصبح من أبرز منتقديه، خاصة بعد توثيقه الفظائع الاستعمارية في كتابه "رحلة إلى الكونغو"، رغم ارتباطه بالثقافة الفرنسية الاستعمارية، إلا أنه تميّز عن كثير من معاصريه بمواقفه النقدية، ما جعله شخصية جدلية بين المؤيدين والمعارضين للاستعمار في فرنسا، ينظر: Anne FRENZEL, (01 septembre 2024), **André Gide et ses critiques**, Fondation Catherine Gide, consulté le 26 Aout 2024, sur le site : <https://www.fondation-catherine-gide.org/actualites/andre-gide-et-ses-critiques-1951-1969>

³ غي دو موباسان (1850-1893): هو كاتب وصحفي فرنسي يُعد من أعظم كتّاب القصة القصيرة في الأدب الفرنسي، كان تلميذًا للأديب غوستاف فلوبر وتأثر بأسلوبه الواقعي والبسيط، حيث تميزت كتاباته بالدقة والوضوح والبعد عن الرمزية والمثالية، كتب أكثر من 130 قصة قصيرة و6 روايات، من أشهرها بولة دو سوييف والجميلة هيلين وبيير وجان والهورلا، عاش حياة مليئة بالنجاحات الأدبية والسفر، لكنه أصيب بمرض الزهري الذي أدى إلى تدهور صحته العقلية والنفسية، مما دفعه إلى محاولة الانتحار عام 1892، تم إدخاله إلى مصحة عقلية، حيث توفي عام 1893، ورغم حياته القصيرة، ظل إرثه الأدبي حاضرًا، وما زالت أعماله تُدرّس وتُقتبس في السينما والمسرح، ينظر:

Anonyme, (27 Mai 2020), **Guy de Maupassant : biographie de l'auteur réaliste d'Une vie**, linternaute, consulté le 17 Mars 2025, sur le site : <https://www.fr/biographie/litterature/1775042-guy-de-maupassant-biographie-courte-dates-citations/>

⁴ هنري دي مونترلان (1895-1972): كان كاتبًا فرنسيًا بارزًا تميز بأسلوبه الأدبي العميق ونبرته الخاصة، خلال مسيرته التي امتدت لخمسين عامًا، تناول موضوعات الموت والحياة بأسلوب مليء بالدهشة والتأمل، حيث صور الحياة كحطام سفينة بطيء، وُلد في باريس لعائلة مهتمة بالنبلاء والثروة، مما أثر على نظريته للحياة، منذ صغره، أظهر شغفًا بالكتابة، مستلهمًا من الكلاسيكيات، وكتب المسرحيات والقصائد، بعد طرده من المدرسة بسبب تمهة أخلاقية، تناول هذه التجربة في أعمال مثل المدينة التي أميرها طفل (1951) والأولاد (1969)، التي تتميز بقوة تعبيرية عن الصراع الداخلي والهوية، شارك في الحرب العالمية الأولى وأصيب خلال التدريب، مما عزز رؤيته البطولية للحرب، في أعماله الأولى مثل استراحة الصباح (1920) والحلم (1922)، قدم تصورًا مثاليًا للجندي، متأثرًا بالإلياذة، لاحقًا، عبر في كتبه مثل الاعتدال في سبتمبر (1938) عن رؤيته القائمة لمستقبل أوروبا، متوقعًا اندلاع حروب جديدة، ظل مونترلان كاتبًا قوميًا ومفكرًا ناقدًا للمجتمع، وترك إرثًا أدبيًا يعكس مزيجًا من الفلسفة، والتاريخ، والتحليل النفسي، ينظر:

Pierangela Adinolfi, (dicembre 2004), **Henry de Montherlant e la quête du bonheur**, OpenEdition Journals, linternaute, consulté le 17 Mars 2025, sur le site : <https://journals.openedition.org/studifrancesi/37046>

⁵ غوستاف فلوبر (1821-1880): هو أحد أبرز رواد الواقعية في الأدب الفرنسي، اشتهر بأسلوبه الدقيق وحرصه على إيجاد "الكلمة المثالية" في كتاباته، تعد روايته مدام بوفاري (1857) من أشهر أعماله، حيث أثارت ضجة عند نشرها بسبب تصويرها الجريء لمأساة امرأة سئمت حياتها الزوجية، كتب أيضًا تربية عاطفية، وسالامبو، مستعرضًا بمهارة التوتر بين الأحلام والواقع، تميز فلوبر بأسلوبه المتقن ودقته اللغوية، مما جعله مصدر إلهام لكُتّاب مثل بروس وجويس، وبفضله ترسخت الواقعية كاتجاه رئيسي في الأدب الأوروبي، ينظر:

Maria Emanuela Raffi, (Octobre 2018), **Gustave Flaubert**, OpenEdition Journals, linternaute, consulté le 17 Mars 2025, sur: <https://journals.openedition.org/studifrancesi/20096>

⁶ ألفونس دوديه (1840-1897): كاتب مسرحي وروائي فرنسي، وُلد في مدينة نيم لأسرة كاثوليكية محافظة، عانى في شبابه من ظروف اقتصادية صعبة بعد إفلاس والده، ما أثر في مسيرته الأدبية وألهمه كتابة روايته "الصغير المسكين" سنة 1868، انتقل إلى باريس عام 1857، حيث عاش حياة=

لوتي¹ (Pierre Loti)، ومن بين الأعمال البارزة التي جسدت هذه الرؤية، نجد رواية تارتارين دي تاراسكون (Tartarin de Tarascon) لألفونس دوديه (Alphonse Daudet)، أما أندريه جيد (André Gide)، فقد فضّل التركيز على الأبعاد الجمالية والحسية للأماكن والشخصيات، كما يظهر في روايته الأغذية الأرضية (Les Nourritures terrestres) والخالد (L'Immoraliste)، اللتين دارت أحداثهما في البلدة وبسكرة، وفي المقابل، قدّمت رواية زهرة الرمال (La Rose de sable) لهنري دي مونترلان² (Henry de Montherlant) صورة مختلفة، حيث صورت ضابطاً فرنسياً يمينياً يقع في حب عاهرة ترفضه، مفضلاً الحفاظ على استقلاليتها بدلاً من الخضوع له³.

• النهضة الفكرية المشرقية:

يقول محمد السعيد الزاهري، عن صدى النهضة الفكرية المشرقية في الجزائر بقوله: "مصر تؤثر بشكل كبير على المغرب العربي عموماً، وكل حركة دينية أو أدبية في مصر تجد تأثيرها في المغرب العربي"، فمع بداية القرن العشرين، بدأت تلوح في الأفق بوادر نهضة أدبية في الجزائر، حيث أسهم بعض الرواد الذين كانوا متأثرين بالثقافة المتطورة نسبياً أو بالنهضة المشرقية الإصلاحية والوطنية، كانت نهضتهم تتجلى في ظهور العديد من المؤلفات والمقالات والقصائد، التي ساعدتهم على نشرها بواسطة بعض الصحف العربية الرائدة مثل "المغرب"، "كوكب إفريقيا"، "الفاروق"، و"ذو الفقار"، تلاحظ الدراسات لهذا الشعر تطوراً بطيئاً في الشكل والمضمون مقارنة بالفترة

=بوهيمية، وبدأ ينشر كتاباته الأولى في الصحف ويصدر أولى قصائده، عمل سكرتيراً لدوق مورني، وهو ما أتاح له وقتاً للكتابة، غير أنه اضطر لاحقاً إلى مغادرة باريس بسبب إصابته بمرض الزهري، فقام برحلات إلى الجزائر وكورسيكا ومنطقة بروفانس، تألق ألفونس دوديه في كتابة القصة القصيرة والرواية، ومن أشهر مؤلفاته: "رسائل من طاحونتي" سنة 1866، و"تارتاران من تاراسكون" سنة 1872، و"حكايات الإثنين" سنة 1873، تأثرت أعماله بالأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدتها فرنسا، خاصة الحرب الفرنسية الألمانية، ورغم تدهور حالته الصحية، واصل الكتابة إلى أن وافته المنية سنة 1897، ينظر:

Antoine Compagnon, (29 janvier 2025), Daudet Alphonse (1840-1897), Universalis, consulté le 17 Mars 2025, sur: <https://www.universalis.fr/encyclopedie/alphonse-daudet/>

¹ **بيير لوتي (1850-1923)**: يُعد من أبرز الكتاب الذين أثروا في الأدب الفرنسي من خلال أسفاره وتجربته البحرية، نشأ في بيئة بروتستانتية صارمة، وانعكس ذلك في كتاباته التي استحضر تطفولته وذكرياته في سانتونج، كان مفتوناً بالحضارة العربية الإسلامية، لكنه عكس رؤيته الاستشراقية من منظور أوروبي، تُثير أعماله تساؤلات حول حدود الاستيعاب الثقافي والرغبة في اكتشاف الآخر، مما يجعلها موضوعاً للجدل والدراسة حتى اليوم، ينظر:

Agnes de Noblet, (s.d.), **Pierre Loti et les grands de ce monde**, openedition books, consulté le 17 Mars 2025, sur: <https://books.openedition.org/pur/33379>

² **هنري دو مونترلان (1895-1972)**: كان كاتباً وروائياً ومسرحياً فرنسياً، عُرف بأسلوبه المميز الذي يجمع بين العمق الفلسفي والتأمل في القيم الأخلاقية والاجتماعية. تناول في أعماله موضوعات مثل البطولة، والعزلة، والانحلال الأخلاقي، متأثراً بالكلاسيكيات وبالروح العسكرية، من أبرز رواياته: "الفتيات الشابات" و"العُزّاب"، كما برز في المسرح من خلال أعمال قوية مثل مسرحيته "المدينة التي أميرها طفل"، أصبح عضواً في الأكاديمية الفرنسية سنة 1960، لكنه وضع حدّاً لحياته بالانتحار عام 1972، تاركاً خلفه إرثاً أدبياً ثرياً وأثراً بالغاً في مسار الأدب الفرنسي الحديث، ينظر:

Académie française, (s.d.), **Fiche académicien : Henry de Montherlant**, consulté le 17 Mai 2025, sur le site : <https://www.academie-francaise.fr/les-immortels/henry-de-montherlant>

³ Gabriel Audisio, **Les écrivains algériens in Visages de l'Algérie**, Horizons de France, Paris, 1953.

السابقة، ولكن يمكن القول إنه أعاد الثقة في نفوس الجزائريين بوجود نهضة أدبية في البلاد تسعى للتأثير في الحياة الاجتماعية وتوجه الفرد الجزائري بشكل صحيح يفخر فيه بلغته ودينه¹.

رغم العزلة التي فرضها الاحتلال الفرنسي على الجزائر، فإن الكتاب والصحف الجزائرية سعوا جاهدين للتفاعل مع الحياة الثقافية في المشرق العربي، غير أن جهودهم قوبلت غالبًا بالتجاهل من قبل المشاركة، ما أثار استياء بعض الأدباء الجزائريين، مثل الشيخ فرحات بن الدراجي، الذي انتقد بمرارة مجلة "الرسالة" لاهتمامها بقضايا تافهة في نظره، ككلب العقاد وقط المازني، وتجاهلها لنشاطات جمعية العلماء المسلمين، هذا الإهمال أظهر مدى الفجوة بين معرفة الجزائريين بالمشرق، وجهل المشاركة بالواقع الثقافي الجزائري².

في تلك المرحلة، بدأ الأدب الجزائري يتلمس طريقه نحو التجديد، رغم ضعف المستوى الفني لبعض الأعمال، خصوصًا الشعر، الذي اعتُبر مع ذلك مرآة دقيقة للحالة الاجتماعية والثقافية السائدة، وتصدى العديد من الشعراء، مثل عمر بن قدور، لمظاهر التخلف والبدع، متبنين خطابًا إصلاحيًا ذا طابع ديني وقومي، كما بدأت تظهر علامات تحول فكري وديني داخل البلاد، من خلال إنشاء مدارس حرة³ ومنتديات ثقافية وصحف وطنية، شكّلت كلها ملامح يقظة جديدة استفادت من صلاتها الفكرية بالمشرق، ومن الدور الوسيط الذي لعبته المؤسسات التعليمية في تونس، مثل جامع الزيتونة⁴.

قد كان لهذا الانفتاح والتأثر بالنهضة الأدبية المشرقية أثر كبير في تشكّل الأدب الجزائري الحديث، إذ تأثر الأدباء الجزائريون بأساليب المشاركة، ثم ما لبثوا أن طوروا مواقف نقدية تجاههم، ونجحوا في إيصال نتائجهم إلى مجالات مشرقية مرموقة، حيث حظيت أعمالهم بالاحترام والنشر، وبرزت في هذا السياق أسماء مثل عمر بن قدور ومحمد السعيد الزاهري، اللذين نشرتا مقالاتهم وقصائدهم في كبريات الصحف العربية، كجريدة "الواء" في مصر وجريدة "الحضارة" في الأستانة، "الفتح" و"المقتطف" و"الرسالة" مستندين في ذلك إلى إبداع متجذر في تقاليد النهضة

¹ ناصر، الشعر...، المرجع السابق، ص 25.

² عبد الله الركبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 28-29.

³ المدارس الحرة: يُشير المصطلح إلى المؤسسات التعليمية المستقلة التي تأسست في الجزائر عبر التاريخ، خاصة في العهد العثماني وفترات ما قبل الاستعمار الفرنسي، كانت هذه المدارس تُدار من قبل علماء ومثقفين محليين، وكان هدفها الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية من خلال تقديم تعليم إسلامي وأدبي حر بعيداً عن الرقابة الرسمية أو التأثيرات الخارجية، اعتمدت المدارس الحرة على الدعم المجتمعي والوقف، حيث كانت تُدرس فيها العلوم الدينية كالقرآن والحديث والفقه، إلى جانب العلوم الأدبية واللغوية، مما ساهم في تعزيز الوعي الوطني والحفاظ على التراث الثقافي، ينظر: حفناوي بعلي، مدارس التعليم الكبرى والنخبة الوطنية الثقافية في الجزائر، ط 1، دار الأيام، عمان-الأردن، 2018، ص 40.

⁴ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 153.

المشرقية¹، لكنه تطوّر لاحقاً بفضل احتكاكه بالثقافة الغربية وتوسّع الترجمة، ليشهد الأدب الجزائري ميلاد أجناس حديثة كالرواية والمسرحية والمقالة، مكوّناً بذلك ملامح أدب حديث متفاعل مع تراثه ومتجدد في أشكاله².

• نشاط المهاجرين الجزائريين في البلدان المغاربية (تونس أنموذجاً)

في أوائل القرن العشرين كان المجتمعان الجزائري والتونسي يتأرجحان بين الضعف والقوة، حيث كانا يخضعان لنظام التبعية الأهلية، مما أدى إلى نشوء مجتمعات مفتقرة تتكون من مدن ثكنات تسيطر على الأرياف، ومجتمعات محرومة ثقافياً نتيجة هدم وإخضاع الأجهزة الثقافية من قبل الاحتلال.

وفي الجزائر، بدأت تظهر أولى علامات بزوغ أنتلجانسيا³ جديدة تشكّلت جزئياً ضمن الجهاز الثقافي الاستعماري، إذ كان الوضع عشية الحرب العالمية الأولى محدوداً للغاية، فكان عدد المدارس يبلغ 240 مدرسة، و40 من حملة الشهادة الثانوية، و25 من المحامين والأطباء، مما جعل هذه النخبة الهشة تتألف من قلة صغيرة دون قاعدة اجتماعية متينة، ومعرضة لأن تنفصل عن المجتمع العام أو تندمج بشكل فردي في النظام الاستعماري، ولكن ما بعد الحرب شهد تحولاً جذرياً في النخبة الجزائرية، خاصة مع عودة العمال والمجندين إلى الوطن قسراً بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية، مما أدى إلى نشوء وعي سياسي وفكري ونمو اقتصادي جديد، وعلى الرغم من بروز الإشارات الأولى لانحياز الاحتلال، تراكمت في العشرينيات نخبة من طراز جديد في كل من الجزائر وتونس، تجسدت في قطبين متكاملين؛ أحدهما ناطق بالفرنسية والآخر بالعربية، مما أسهم في إعادة إحياء التاريخ ونهضة الأدب والفكر والصحافة⁴.

في هذه الأثناء لعبت تونس دوراً محورياً في النهضة الأدبية الجزائرية، إذ تخرج العديد من الكتاب الجزائريين من جامع الزيتونة، مما أثر إيجابياً على الحركة الأدبية والفكرية في الجزائر، ساهم هؤلاء الكتاب في تأسيس العديد من الصحف الوطنية التي ساعدت على نشر الأدب الوطني، بينما انتشرت أيضاً كتاباتهم في الصحافة التونسية، مما خلق جسراً ثقافياً قوياً بين البلدين⁵.

في هذه الفترة شهدت الصحافة التونسية انتشاراً واسعاً في الجزائر، مما أتاح للكتاب الجزائريين، سواء المهاجرين أو المقيمين في الجزائر، مساحةً أوسع للتعبير نظراً للحرية النسبية التي تمتعت بها الصحف التونسية، وقد لعب الجزائريون دوراً بارزاً في تحرير وإدارة العديد من هذه الصحف، ومن أبرزها جريدتا "الحاضرة" و"التونسي"⁶، ساهمت

¹ خربي، الشعر الجزائري ...، المرجع السابق، ص 13-15.

² مهداوي، هموم الكتابة ...، المرجع السابق، ص 15.

³ أنتلجانسيا: "Intelligentsia" هي مصطلح يُستخدم للدلالة على النخبة الفكرية المثقفة التي تضم العلماء والمفكرين والأدباء والصحفيين والفنانين، والذين يُعتبرون بمثابة العمود الفقري للرأي العام، حيث يساهمون في نقد الواقع الاجتماعي والسياسي وتحليل التحديات المجتمعية ودفع عجلة التغيير والتجديد، ينظر: جولييان بندا، خيانة المثقفين، تر: محمد صابر، ابن النلم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020، ص 80.

⁴ عبد القادر جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت، 1984، ص 70.

⁵ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 28.

⁶ محمد الصالح الجابري، ديوان النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص 80.

هذه الصحف في نشر الفكر الإصلاحية و ربط الجزائريين بالحركات الفكرية والسياسية في تونس، كما أتاحت لهم فرصة تسليط الضوء على قضايا وطنهم وانتقاد السياسات الاستعمارية، ومن بين أبرز الشخصيات الجزائرية الفاعلة في هذا المجال، علي بوشوشة¹، الذي قاد حركة فكرية قومية عبر صحيفة الحاضرة، حيث حشد حوله مجموعة من مثقفي الزيتونة للدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية والمطالبة بتنفيذ الدستور التونسي، بالإضافة إلى ذلك، شارك بوشوشة في تأسيس "الخلدونية" عام 1896م، وقام برحلات علمية إلى الجزائر لجمع وثائق تاريخية مهمة، كما واصل جهوده الصحفية والسياسية رغم تدهور حالته الصحية حتى وفاته عام 1917م².

أما الصحف الأخرى فقد لعبت دورًا مهمًا في الحركة الإصلاحية، مثل مجلة "السعادة العظمى" التي أسسها الجزائري الخضر حسين عام 1904م، وكانت لسان حال الإصلاح الديني والتعليمي في تونس، كما برزت الصحافة الفكاهية التي أسسها جزائريون مثل محمد بن الهاشمي بن المكي³ (أبو قشة)، وبين عيسى بن الشيخ أحمد (الثريا، جحا، الضحك)، وفي ذات السياق، ساهم العديد من الصحفيين والكتاب الجزائريين في الصحف التونسية، ومنهم عمر راسم الذي بدأ الكتابة في التقدم والحاضرة منذ 1907م، حيث انتقد السياسات الفرنسية وهجا الفئة المندمجة، كما برز عمر بن قدور، الذي واطب على مراسلة الصحف المغاربية والمشرقية، وساهم في إيصال صوت الجزائريين إلى الرأي العام التونسي والعربي⁴.

¹ علي بوشوشة: (1859 – 1917م) وينحدر بوشوشة علي من عائلة جزائرية هاجرت إلى بنزرت وتصاهرت مع عائلة بن الشيخ، وكلا العائلتين تعود أصولهما إلى جيجل الجزائرية، بدأ تعليمه في الكتّاب، ثم انتقل إلى الجامع، قبل أن يلتحق بالمعهد الصادقي عند افتتاحه، واصل دراسته في إنجلترا، حيث أمضى ثلاث سنوات، في عام 1881م، عاد إلى تونس، وأسس عام 1888م جريدة الحاضرة، التي تناولت قضايا الحياة العامة التونسية، كما ساهم في تأسيس الجمعية الخلدونية سنة 1896م، وكان من أبرز الشخصيات التي نشطت في صالون الأميرة نازلي، ينظر: الصادق الزمري، أعلام تونسيون، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص ص 134-140.

² رشيد الذواوي، أعلام بنزرت، دار المغرب العربي، تونس، 1971، ص 50.

³ محمد بن الهاشمي بن المكي (1881 – 1942م): صاحب الجريدة الهزلية "أبو قشة" (وهي كنية فصيحة تعني القرد وصغيره)، أصدر الهاشمي جريدة "الإسلام" في تونس عام 1908، لكن الاستعمار الفرنسي أوقفها بعد عدد واحد فقط، فأصدر بعدها صحيفة هزلية أخرى "أبو قشة" التي أوقفها فرنسا أيضاً، مما دفعه للهجرة إلى طرابلس حيث أعاد إصدار الصحيفة عام 1910 عبر مطبعة يملكها اليهودي أفرايم تشوبة، تعرّض الهاشمي لانتقادات من بعض مثقفي طرابلس بسبب تعاونه مع تشوبة، لكن صديقه عبد الله جمال الدين الميلادي دافع عنه موضحاً أن الهدف كان استخدام نفوذ اليهود عند الإيطاليين قبل الاحتلال، رغم ذلك، أغلقت الصحف بعد الاحتلال الإيطالي واضطر الهاشمي للرحيل إلى مصر ثم الآستانة، حيث نشر كتاباً يدافع عن قضية الليبيين، واستقر أخيراً في جاوة بإندونيسيا وتزوج هناك، نزل الهاشمي في طرابلس أولاً بمنطقة سانية السطى ثم في بيت مؤدبة البنات خيرية الحارثي، واحتفظ بعلاقات وثيقة مع جمال الدين الميلادي الذي زاره في تونس قبل استقراره النهائي في إزمير، تركيا، ينظر: عمر ابن القفصية، أضواء على تاريخ الصحافة التونسية (1860-1970)، تونس، دار بوسلمة للطباعة والنشر، 1972، ص 34.

⁴ خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة الجزائر، 2013، ص 175.

الباب الأول: الكتابات الأدبية السردية والشعرية

الفصل الأول: الكتابات القصصية والروائية

الفصل الثاني: الكتابات المسرحية والرسائل

الفصل الثالث: الكتابات الشعرية

“ الفصل الأول: الكتابات القصصية والروائية ”

أولاً: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي

ثانياً: نماذج من الكتابات القصصية

ثالثاً: نماذج من الكتابات الروائية

يتناول هذا الفصل دراسة شاملة للكتابات القصصية والروائية الجزائرية، منطلق يراعي أبعادها التاريخية والفكرية، ويبدأ بتأصيل المفاهيم النظرية المرتبطة بفن السرد، وتحديد الملامح العامة لنشأة القصة والرواية في السياق المحلي، كما يسلط الضوء على نماذج من القصص التي عاجلت مواضيع اجتماعية، إنسانية، وثقافية، إلى جانب النصوص الثورية ذات الطابع السياسي، مما يُبرز تنوع التوجهات الفكرية والأنماط التعبيرية، أما في الجانب الروائي، فتتنوع النماذج بين روايات تتناول قضايا المجتمع والهوية والتحويلات الفردية والجماعية، وروايات ذات طابع ثوري أو وجداني، تعكس تعدد الأصوات في الكتابة السردية خلال تلك المرحلة.

إن الهدف من هذا الفصل ليس فقط تحليل النصوص في بعدها الفني، بل أيضًا قراءة السياقات التي أنتجتها، وتبين كيف ساهم الأدب في تشكيل صورة متعددة الأبعاد عن المجتمع الجزائري في فترة معقدة من تاريخه الثقافي والسياسي.

أولاً: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي

1. مفهوم السرد:

السرد ليس مجرد تسلسل للأحداث، بل هو وسيلة لفهم العالم وبناء النظام الاجتماعي، إذ يضيف على الأحداث معنى وقيمة، تهتم نظرية السرد بالشكل والبنية التي تُقال من خلالها الحكايات، سواء في الأعمال الأدبية أو النظريات العلمية، مما يجعلها مركزية في الدراسات الثقافية، ورغم تنوع الحكايات، فإن البنيوية ركزت على العناصر المشتركة في تكوينها، معتبرة السرد عملية انتقال من اختلال التوازن إلى إعادة التوازن، كما أن النظرية ذاتها تُفهم كسرد، لأنها تسعى لتفسير العالم من خلال حكاية منظمة، تلعب السرديات أيضًا دورًا محوريًا في تشكيل الهوية، حيث تُفهم الذات باعتبارها نتاجًا لسرديات ثقافية تشكل تصورنا لأنفسنا وللآخرين، ولأن امتلاك هوية واضحة يتطلب رواية ذات معنى، فإن الأفراد يعتمدون على قوالب سردية موجودة في الذاكرة الثقافية لبناء ذواتهم¹.

بحسب ما ورد في كتاب تقنيات كتابة الرواية، تُعد الكتابة السردية لبنة أساسية في بناء العمل الروائي، إذ تُظهر مقدرة الكاتب على توجيه القارئ داخل عالم متخيل أو واقعي، باستخدام تقنيات مثل الاسترجاع، والحذف، والتكثيف، والتقطيع الزمني، كما أن السرد لا يقتصر على رواية الأحداث فحسب، بل يُمثل رؤية الكاتب إلى العالم من خلال الطريقة التي يختار بها ترتيب الوقائع وتقديم الشخصيات وتطويرها داخل إطار درامي أو تأملي².

¹ كريس باركر، معجم الدراسات الثقافية، تر: جمال بلقاسم، دار رؤية، القاهرة، 2018، ص 215.

² نانسي كريس، تقنيات كتابة الرواية، تر: زينة جابر إدريس، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2009، ص 45.

يقول ماريو بارغاس يوسا¹ (Mario Vargas Llosa): "في البدء كانت الحكاية، الحاجة إلى الحكاية، الحاجة إلى استحضار الواقع وتفسيره أو تحميله أو حتى تغييره بواسطة الكلمة، منذ البداية، كان الإنسان كائنًا حكايًا، وفي القدرة على السرد تكمن فرادته، ذلك أن السرد ليس فقط مرآة للحياة، بل هو إعادة خلق لها، يمنحها ترتيباً ومعنى، وبمنحنا، نحن الذين نقرأ أو نكتب، شعوراً بأننا نسيطر، ولو مؤقتاً، على عالم فوضوي ومفتوح على المجهول"²، ويواصل يوسا في تعريفه للسرد: "أن تروي هو أن تتمرد على الحياة كما هي، أن ترفض أن تكون شخصاً واحداً فقط، وأن تعيش حياةً واحدة فقط، وأن تقبل حدود المكان والزمان والمصير، السرد هو تمرد على الحاضر، على الهوية الثابتة، وعلى الموت، إنه سفرٌ دائم، لا بالجد بل بالخيال، يمكن الإنسان من أن يكون آخرين، في أمكنة أخرى، وفي أزمنة أخرى، ولذلك كانت الرواية، منذ نشأتها، إحدى أكثر الأشكال الأدبية التصاقاً بالحرية"³

فالسرد هو عملية إبداعية يعيد فيها الإنسان تشكيل الواقع عبر اللغة، بهدف فهمه أو تفسيره أو تغييره، وهو وسيلة فنية وفكرية تمنح المعنى للفوضى، وتتيح للكاتب والقارئ تجربة حيوات متعددة، وتجاوز حدود الزمان والمكان والهوية، هذا التعريف مستخلص من جوهر ما يطرحه يوسا، حيث يؤكد أن السرد ليس فقط وسيلة لنقل الأحداث، بل هو أداة للسيطرة الرمزية على الواقع، ولتحقيق الحرية الداخلية عبر الخيال، إنه فعل تمرد على الحتمية، يسمح للإنسان بأن يخرج من واقعه المحدود، وأن يعيش ما لا يمكنه عيشه في حياته اليومية.

2. مفهوم القصة

تُعَدُّ القصة شكلاً نثرياً يركز على تجسيد حياة الناس وجوانبهم الاجتماعية، وهي تمثل تطوراً عن الحكاية التقليدية، تسرد القصة حدثاً معيناً⁴ أو موقفًا يتطور، حيث تتحرك الشخصيات، غالباً بقيادة شخصية رئيسية بارزة،

¹ ماريو فارغاس يوسا (1936-2025): كان كاتباً وصحفيًا وسياسيًا بيروفيًا، يُعتبر من أبرز رموز الأدب اللاتيني المعاصر، وُلد في أريكويبا، بيرو، ونشأ في بيئة عائلية مضطربة أثرت على مسيرته الأدبية، برز اسمه في ستينيات القرن العشرين ضمن "الطفرة الأدبية" في أمريكا اللاتينية، وحقق شهرة عالمية بروايات مثل: المدينة والكلاب وحديث في الكاتدرائية وحفلة التيس، تميزت أعماله بالغوص في قضايا السلطة، والفساد، والهوية، مستخدمًا أساليب سردية مبتكرة، نال جائزة نوبل للآداب عام 2010 تقديرًا "لرسمه خرائط لبنى السلطة وصوره المقاومة والتمرد والفشل الفردي"، إلى جانب الأدب، خاض يوسا تجربة سياسية بارزة، حيث ترشح لرئاسة بيرو عام 1990، لكنه خسر أمام ألبرتو فوجيموري، توفي في 13 أبريل 2025 عن عمر ناهز 89 عامًا، تاركًا إرثًا أدبيًا غنيًا ومؤثرًا، ينظر:

Académie française, (s.d.), Fiche académicien : Mario Vargas Llosa, consulté le 17 Mai 2025, sur le site: <https://www.academie-francaise.fr/les-immortels/mario-vargas-llosa>

² ماريو بارغاس يوسا، رسائل إلى روائي شاب، تر: صالح علماني، دار المدى، 2013، ص 20.

³ نفسه، ص 30.

⁴ يعتبر الحدث عنصرًا أساسيًا في القصة، حيث يحدث في بيئة قد تكون واضحة أو عامة، يتميز الحدث بطابعه المثير، إذ تلعب الشخصيات دورًا محوريًا في إضافة الحماس وتفاصيل القصة، مما يساهم في تطورها ونموها بشكل ديناميكي، تعتمد جودة سرد الحدث وتصوير الشخصيات على مهارات الكاتب التعبيرية وقدرته على إيصال المعلومات وإمتاع القارئ، يجب على الكاتب أن يكون ملمًا بالموضوع وأن يتقن اللغة الأدبية للتعبير بوضوح، بينما فقدت =

تتأثر هذه الشخصيات بالظروف العامة والخاصة والبيئة المحيطة بها، وتنطلق من محفزات معينة تؤثر في سماتها، ويمكن أن تظهر الشخصيات تطوراً ملحوظاً أو تبقى جامدة في تصرفاتها، مما يعكس آراء الكاتب ورؤيته للحياة وفلسفته وأهدافه الإيديولوجية، يعبر الكاتب عن آرائه من خلال لغة فنية تُسهّم في إضفاء الغموض والتشويق على النص، بدلاً من استخدام لغة الخطابة أو الأسلوب الصحفي أو الحكايات الشعبية العادية تُستخدم لغة فنية تلمح إلى المواقف والتصورات، مما يتيح للقارئ استنتاج المعاني دون الحاجة إلى أوامر صريحة أو آراء مباشرة، مبتعدة عن السرد الجاف¹.

3. نشأة القصة

عند الحديث عن نشأة القصة الجزائرية باللغة العربية، يجب أخذ العوامل الثقافية والتاريخية في الاعتبار، حيث تأثرت الجزائر بالثقافة الفرنسية والعربية في تلك الفترة²، والقصة بمفهومها الحديث في الأدب العربي ظهرت منتصف القرن التاسع عشر وازدهرت مطلع القرن العشرين للميلاد، إذ تعتبر فن مستحدث ظهر نتيجة الاحتكاك بالثقافة الغربية، والقصة القصيرة هي لون من ألوان الأدب الحديث ظهر في أواخر القرن التاسع عشر وله خصائص ومميزات شكلية معينة ويعتبر النقاد أن التقليل من القصة القصيرة على أنها قصيرة من حيث حجم القصة فهو جهل لأهميتها وصعوبة كتابتها وخصائصها³، وعلى الرغم من أن القصة العربية لها جذور في التراث العربي القديم، إلا أن القصة الفنية المتطورة بدأت في القرن العشرين بعد تأثرها بالأدب الغربي⁴.

تفاوت تأثير الأدب الغربي في مختلف البلدان العربية، حيث كانت مصر الرائدة في تأسيس هذا الفن، بينما واجهت الجزائر صعوبات في البداية في كتابة القصة، إذ كانت المحاولات الأولية ترتبط بالقصص الشعبية والمقالة القصصية دون أن تصل إلى مستوى النضج الفني⁵، كما يعتبر موضوع القصة من أكثر المواضيع تحدياً في الأدب الجزائري، فقد أشار الباحثون إلى أن الأدباء الجزائريين كانوا يميلون إلى الشعر أكثر من القصة، مما تسبب في صعوبة

=الحبكة أهميتها في القصة الفنية المعاصرة، تبقى عناصر الحدث والشخصية مركزية في تشكيل النص القصصي، ينظر: عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س، ص 164.

¹عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س، ص 163.

²الجيلاني شرادة، قراءة في القصة الجزائرية، ط 1، دار الثقافة محمد الأمين العمودي، الوادي-الجزائر، 2015، ص 11.

³سيد غيث، فنيات الكتابة الأدبية، دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، 2016، ص 39.

⁴بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص 165.

⁵نفسه.

الحصول على مراجع ووضع منهج دراسي¹، كما اعتبر الباحث عبد الله ركيبي أن القصة بدأت تتشكل في أواخر الثلاثينيات، مُشيرًا إلى تأثير المقالات القصصية، وأن القصة الفنية ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، قائلاً: "إن دراسة واحدة لفن من الفنون، في بلد من البلدان، ما كان لها لتكون كاملة مهما بذل فيها صاحبها من عناء، كما أن الأحكام التي تجيء فيها ليس ينبغي أن تكون نهائية لا تقبل الجدل ولا النقاش"²

على صعيد التواصل الثقافي، لعبت البعثات الثقافية دورًا هامًا في التعرف على الأدب العربي، مما أثرى تجربة الكتاب الجزائريين الباحث الفرنسي جان ديجو³ (Jean Déjeux) اعتبر أن أول نص أدبي جزائري في القصة نُشر عام 1891⁴، ومع ذلك، كانت هذه الكتابات غالبًا تحت أسماء مستعارة، ورغم ذلك، كانت ذات صلة بمستوطنين فرنسيين أكثر من كونها نتاجًا محليًا، حيث يقول محمد الهادي السنوسي: "من منا معشر الأدباء الجزائريين من لم يفتح عينه — منذ انتهت الحرب الكونية الكبرى على آثار مدرسة إسماعيل صبري وحافظ إبراهيم وطه حسين، واحمد أمين والمنفلوطي والزيات... فكانت الهلال والمقتطف⁵ والمنار هذه الثلاثة على الخصوص رسل النهضة الأدبية الشرقية إلى شمال إفريقيا"، تشير الدراسات إلى أن القصة الجزائرية كانت معزولة عن محيطها المغربي، وأن ميلادها الحقيقي كان في المهجر العربي، خاصة في تونس، كما يؤكد الباحثون على أن القصة الجزائرية القصيرة نشأت جنبًا إلى جنب مع القصة التونسية، مع ظهور الكتاب الجزائريين في الصحافة الأدبية التونسية⁶.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 128.

² مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 162.

³ جان ديجو (1921-1993): هو باحث وأستاذ فرنسي يُعد من أبرز المتخصصين في الأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، لا سيما الأدب الجزائري، عاش في الجزائر سنوات طويلة، وكرّس جهوده لدراسة وتحليل الإنتاج الأدبي الجزائري في مختلف أشكاله: الرواية، الشعر، والمسرح، تميّز بتناوله الموضوعي والنزاهة لهذا الأدب، وحرص على فهمه ضمن سياقاته الثقافية والتاريخية والسياسية، يُعد كتابه "الأدب الجزائري المعاصر" من أبرز مرجعيات هذا المجال، وقد أسهم من خلاله في التعريف بالعديد من الكتاب الجزائريين وإبرازهم في الساحة الفرنكوفونية، ينظر:

Marc Gontard, « Dejeux (Jean) : Littérature maghrébine de langue française », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 22, 1976, p 216-220.

⁴ منور، الأدب الجزائري...، المرجع السابق، ص 87.

⁵ مجلة المقتطف: هي مجلة علمية ثقافية عربية تأسست في بيروت سنة 1876 على يد يعقوب صروف وفارس نمر، بهدف نشر المعارف العلمية والأدبية بلغة مبسطة تُقرب العلوم الحديثة من القارئ العربي، بعد انتقالها إلى القاهرة سنة 1885، أصبحت من أبرز المجلات الرائدة في النهضة العلمية العربية، حيث استمرت في الصدور حتى عام 1952، عُرفت المجلة بموقفها الحيادي من السياسة وتركيزها على الموضوعات العلمية والتقنية والزراعية، كما كانت من أوائل المنابر التي عرّفت القراء العرب بنظرية التطور وأحدث الاكتشافات العلمية، ما جعلها مرجعًا أساسيًا للمتقنين والمفكرين في زمنها، ينظر:

Adam Mestyan, Till Grallert, et al, (2020), *Jarā'id: A Chronology of Arabic periodicals (1800-1929)*, consulté le 17 Mai 2025, sur: <http://doi.org/10.5281/zenodo.4399240>

⁶ الجيلاني شرادة، قراءة في القصة...، المرجع السابق، ص 12.

تطورت القصة القصيرة في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، حيث شهدت الصحافة الوطنية بداية جديدة للكتابة الأدبية، وقد ظهرت صحف ومجلات جديدة دعمت الكتابة الأدبية، مما أتاح للكتاب التعبير عن أفكارهم، كانت هذه المرحلة مليئة بالتجارب الأدبية المتنوعة، بما في ذلك قصص هجائية وتعبر عن التغيرات الاجتماعية، تميزت هذه الكتابات بطابع إصلاح، حيث اعتمد بعض الكتاب على السخرية والنقد الاجتماعي لإظهار التناقضات بين المظاهر الدينية والسلوك الفعلي، كما عمل الكتاب على تصوير قضايا المجتمع الجزائري، مع التركيز على ضرورة الإصلاح الاجتماعي، وقد استمرت الحركة الأدبية في التطور، حيث أظهرت رغبة الكتاب في تشكيل هوية جديدة للقصة الجزائرية، ومع بدء الثورة الجزائرية، أصبحت القصة وسيلة للتعبير عن الوطنية والمقاومة، إذ كان المضمون الثوري يتجاوز الجانب الفني في البداية، قبل أن يبدأ الاهتمام بالجوانب الجمالية¹.

خلال الخمسينات، شهد الأدب الجزائري نضوجاً ملحوظاً، حيث استمر الكتاب في تطوير قصصهم لتشمل مواضيع متنوعة تعكس واقعهم، وعموماً، تناول العديد من النقاد القصة القصيرة في بحوثهم، مؤكداً على أن بداياتها كانت مرتبطة بالحكايات الشعبية، إلا أن القصة القصيرة الحقيقية بدأت تتشكل في فترة الثورة². ألقى عدد من النقاد الضوء على القصة القصيرة، موضحين أن بدايتها كانت تتمثل في حكاية قصيرة أو جزء من لوحة أدبية أو مقالة صحفية، تناول الباحثون، مثل عبد الله ركيبي وعمر بن قينة، هذا الموضوع من زوايا متنوعة، حيث أشار عبد الحميد بن هدوقة إلى أن القصة القصيرة الحقيقية ظهرت خلال فترة الثورة رغم المحاولات السابقة، يتفق النقاد على أن أحمد رضا حوحو هو أول من كتب القصة القصيرة، حوحو الذي هاجر إلى الحجاز، ساهم في مجلة "المنهل" بمقالاته وقصصه، وكان يمثل واجهة مشرقة لهذا الفن، بجانب مجموعة من كتاب القصة الذين تنوعت إبداعاتهم بين المقالات والدراسات والشعر، ومنهم أحمد بن عاشور، والشريف الحسيني، ومحمد الطاهر فضلاء، وعبد الله ركيبي، وأبو العيد دودو، وسعدى حكار³.

4. مفهوم الرواية

يعرفها قاموس إكسفورد (Oxford) على أنها "عمل خيالي ثري ذو طول معين يروي قصة تتعلق بشخصيات خيالية في بيئة واقعية عادة، ويستكشف القيم الإنسانية وتطورات الحكمة من خلال السرد المتتابع"⁴

¹ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص 166.

² عابدة، تطور الأدب ...، المرجع السابق، ص 376.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر النفا ...، ج8، المرجع السابق، ص144.

⁴ Oxford English Dictionary Editorial Team, Oxford English Dictionary, 2nd ed, Oxford University Press, Oxford, UK, 1989, p789.

يُعرّف قاموس كامبريدج الرواية (Novel) على أنها "عمل طويل من الأدب النثري الذي يسرد قصة خيالية تتضمن شخصيات وأحداثاً محددة تُعرض في سياق معين"¹، ويعرفها معجم اللغة العربية المعاصر "عمل أدبي طويل يُقدّم سرداً نثرياً متخيلاً أو واقعياً عن حياة شخصيات وقصص متشابكة تتناول مواضيع وأحداث متسلسلة تُعرض عبر الزمن والمكان"²

فهو سرد نثري طويل تصف شخصيات خيالية على شكل أحداث متسلسلة إضافة إلى أنها أكبر الأجناس السردية من حيث الحجم وتعدد الشخصيات وتنوع الأحداث وقد ظهرت في أوروبا بوصفها جنساً أدبياً مؤثراً في القرن الثامن عشر والرواية حكاية تعتمد السرد بما فيه من وصف وحوار وصراع بين الشخصيات وما ينطوي عليه ذلك من تأزم وجدل وتغذية الأحداث، وتقدم الرواية سرداً لأحداث وأزمات وأماكن كثيرة وهذا يتطلب أن يكون كاتبها مؤرخ للتاريخ، أو أن يكون باحثاً اجتماعياً ملماً بكافة التفاصيل حتى تتوافر المصدقية في روايته لأنه يتناول الحدث وكأنها تحدث في الحقيقة الأمر الذي يتطلب الدراسة المتعمقة لكافة الأنماط المحيطة به في البيئة لكي تبدو طبيعية لتتوافر واقعية الأحداث، فالإنسان ينجذب إلى كل ما هو واقعي أو اجتماعي يحدث من حوله ليخرج لنا رواية تحمل فلسفة الحقائق وتضاف إلى الابداع الأدبي³.

5. نشأة الرواية

يعتبر القرن التاسع عشر فترة محورية في التاريخ الإنساني ففيه بدأت شعوب تحطم قيودها وشعوب أخرى تقيد شعوب أضعف منها، وفي هذا القرن ازدهر عصر الرواية فأنجبت روسيا الكاتبتين فيودور دوستويفسكي⁴ (Fiodor

¹ Cambridge Dictionary Editorial Team, **Cambridge Advanced Learner's Dictionary**, Cambridge University Press, Cambridge, United Kingdom, 2013, p. 780.

² مجموعة من اللغويين، **معجم اللغة العربية المعاصر**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2008، ص 568.

³ غيث، فنيات...، المرجع السابق، ص 19.

⁴ **فيودور دوستويفسكي** (1821-1881): فيودور دوستويفسكي هو أحد أبرز الأدباء الروس في القرن التاسع عشر، اشتهر برواياته العميقة التي تتناول قضايا الإنسان النفسية والفلسفية، ركّز في أعماله على الصراع بين الخير والشر، والإيمان والإلحاد، مع استكشاف تعقيدات النفس البشرية في ظل الظروف = = الاجتماعية والسياسية المضطربة، من أبرز أعماله: الجريمة والعقاب، التي تتناول صراع طالب فقير مع ضميره بعد ارتكاب جريمة قتل، والأبله، التي تصور = = نقاء القلب في مجتمع مادي فاسد، والأخوة كارامازوف، التي تعدّ تحفة أدبية تناقش قضايا الإيمان والعدالة، بأسلوبه التحليلي العميق، ترك دوستويفسكي تأثيراً كبيراً على الأدب والفكر العالمي، ولا تزال أعماله تُقرأ حتى اليوم باعتبارها مرآة للنفس البشرية، ينظر: مجموعة مؤلفين، **دوستويفسكي (دراسات في أدبه وفكره)**، تر: نزار عيون السود، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق سوريا، 2012.

Dostoïevski) وليو تولستوي¹ (Léon Tolstoï)، وقد كتب هذا الأخير رواية الحرب والسلام² المنشورة سنة 1869م حيث كانت فرصته للتحدث عبر محاولة نابليون للهجوم على روسيا نقد الطبقة في روسيا، أما دوستويفسكي فقد قدم روايات واقعية هو الآخر رغم فقره ووضع الاجتماعي البائس فقد كتب أشهر الروايات: الإخوة كارامازوف، الجريمة والعقاب، الليالي البيضاء وغيرها.

ظهرت الرواية العربية خلال القرن التاسع عشر، متأثرة بالأنواع الأدبية التقليدية في التراث العربي، مثل السير الشعبية والملاحم كـ "سيرة بني هلال"³، لكن التأثير الغربي نتيجة الاحتلال والاحتكاك الثقافي كان واضحاً، حيث انتقل فن الرواية إلى الأدب العربي بطرق مختلفة، هناك نقاش بين النقاد حول أصل الرواية العربية: بعضهم يرى أن "ألف ليلة وليلة"⁴ كانت النواة الأولى، بينما آخرون يعتبرون الرواية نشأت في أوروبا على يد جيوفاني بوكاتشو⁵ (Giovanni Boccaccio) في "الديكاميرون"⁶.

¹ ليو تولستوي (1828-1910): هو أحد أعظم الأدباء الروس والعالميين، اشتهر برواياته الملحمية التي تناولت قضايا الإنسان والمجتمع والحرب والسلام، تتميز كتاباته بالواقعية العميقة والتأملات الفلسفية حول الأخلاق والدين والمعنى الحقيقي للحياة، من أشهر أعماله الحرب والسلام، التي تصور المجتمع الروسي خلال غزو نابليون، وأنا كارينينا، التي تسرد مأساة امرأة أرستقراطية تعاني من قيود المجتمع، تبنى تولستوي في أواخر حياته فلسفة تدعو إلى البساطة والسلام ونبد العنف، مما جعله مصدر إلهام لحركات الإصلاح الاجتماعي واللاعنف، مثل حركة غاندي، بأسلوبه العميق ورسائله الإنسانية، لا يزال تولستوي أحد أكثر الأدباء تأثيراً في التاريخ، ينظر:

Christian Bartolf, (14 Mars 2001), *Tolstoy's Idea of Spirituality*, slate, Retrieved on Mars 28, 2024, from the website: <https://slate.com/culture/2001/03/tolstoy-s-idea-of-spirituality.html>

² Kate Lohnes, (17 Mars 2025), *War and Peace*, The Editors of Encyclopædia Britannica, Retrieved on Mars 28, 2024, from the website: <https://www.britannica.com/art/Russian-literature>

³ غيث، فنيات...، المرجع السابق، ص12

⁴ مرت ألف ليلة وليلة بمراحل تطور طويلة، حيث تعود أصولها إلى قصص هندية وفارسية قديمة، مثل هزار أفسانه، قبل أن تصل إلى العالم العربي خلال العصر العباسي، في بغداد، اندمجت هذه الحكايات مع القصص الشعبية العربية، مما أضفى عليها طابعاً جديداً يعكس البيئة الإسلامية والحضرية آنذاك، خلال العصر المملوكي في مصر، شهدت المجموعة توسعاً كبيراً، حيث أضيفت قصص جديدة مثل السندباد البحري وعلاء الدين وعلي بابا، مع التركيز على المغامرات العجائبية والسحر والخدع، وفي القرن الثامن عشر، أدخل المستشرق الفرنسي أنطوان غالان ألف ليلة وليلة إلى أوروبا بترجمته الشهيرة، مضيفاً إليها بعض الحكايات التي سمعها من حنا دياب، مما ساهم في انتشارها عالمياً، لاحقاً، خضعت النصوص العربية لتنقيح أكاديمي، حيث قام المستشرقون مثل كارل بروكلمان بدراساتها وتحقيقها، ينظر:

Yasmine Seale, (24 May 2019), *Forthcoming: Translation of Memoir by 'Aladdin'-teller Hanna Diyab*, Arablit, Retrieved on Mars 28, 2024, from the website: <https://arablit.org/2019/05/27/translation-of-aladdin-tellers-memoir-forthcoming-2020/>

⁵ جيوفاني بوكاتشو (1313-1375): كان كاتباً وشاعراً إيطالياً من عصر النهضة، ويُعد أحد رواد القصة القصيرة في الأدب الأوروبي، اشتهر بعمله "ديكاميرون"، وهو مجموعة من مئة قصة تتناول موضوعات متنوعة مثل الحب، الحيلة، والمصير، وتُروى ضمن إطار سردي يعكس الحياة في فلورنسا خلال تفشي الطاعون، إلى جانب ذلك، كتب فياميتا التي تُعتبر من أوائل الروايات الحديثة، وحياة دانتي التي تناول فيها سيرة دانتي أليغييري، إضافة إلى رسائل النساء المشهورات التي وثق فيها سير شخصيات نسائية بارزة، ساهم بوكاتشو في إرساء أسس السرد القصصي الحديث وأثر في العديد من الكتاب مثل جيفري تشوسر، كما لعب دوراً في نشر وإحياء الأدب الكلاسيكي، مما جعله شخصية محورية في النهضة الإيطالية، ينظر:

Mark Cartwright, (29 octobre 2020), Giovanni Boccaccio, World History Encyclopedia, Retrieved on November 28, 2024, from the website: <https://www.worldhistory.org/trans/fr/1-19240/giovanni-boccaccio/>

⁶ رياض محمد، "البدايات الأولية للفن الروائي في العالم"، تهذيب الأفكار، مج1، ع1، جانفي / جوان 2014، ص 129.

في سنة 1832، انطلقت حملة لنشر الروايات عن الجزائر، وأصبح العديد من الكتاب يتناولون قصصًا حول شخصيات عربية، مع التركيز على العنصرية والأحكام الدينية المسبقة والعداء الاستعماري، مما أفقد أعمالهم النزاهة، تكررت أسماء النساء في رواياتهم، وكان اسم "عائشة" الأكثر شيوعًا، إذ كانت أول امرأة مسلمة تترك منزلها وتفر إلى الفرنسيين عام 1834، حيث تزوجت من فرنسي بعد اعتناقها المسيحية، كما استخدم اسم "باية"، وقد ظهرت المرأة الجزائرية في روايات الكتاب الفرنسيين كشخصية شهوانية تسعى للغرام مع الضباط الفرنسيين، كان الزواج بين المسلمين والفرنسيين موضوعًا مفضلًا لديهم، وتناولوا الجزائريين بشكل ساخر، كما فعل هوق لورو في روايته "رجل الساعة"¹.

ارتبط الأدب الجزائري، رغم تنوعه، بتراث الأدب العربي المشترك، ويعد محمد بن إبراهيم² من أوائل الروائيين الجزائريين، إذ كتب "حكاية العشاق في الحب والاشتياق"³ (1849)، والتي يقول عنها الكاتب مخلوف عامر: "إذا كانت القصصية وحدها هي الدافع إلى التحديد التاريخي لنشأة القصة عامة والقصة القصيرة بصفة خاصة، فلم السكوت عن نص مثل حكاية العشاق في الحب والاشتياق"⁴، هذه الرواية التي تسبق رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل⁵ بـ 66 عامًا، حيث تتميز روايته بالسرد الممزوج بين الفصحى والدارجة، وتناولت الحياة الاجتماعية والسياسية في ظل الاحتلال الفرنسي، ويظهر هذا الواقع أن المبدع الجزائري كان يمتلك فهمًا واعيًا للمجالات الأدبية المتنوعة، وأنه كان يسهم بفعالية، كما يُظهر مؤلف "حكاية العشاق" قدرته على التأثير وقراءة ما كتبه أدباء بلاده، وتحت تأثير الواقع الاستعماري، قام بصياغة هذا العمل السردي الملحوظ، ويمكن أن يكون هذا دليلًا على البداية

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الفقا...، ج8، المرجع السابق، ص177.

² محمد بن إبراهيم (1806-1886): ولد بمدينة الجزائر، وتفتحت عيناه على هذا الجو النضالي الرافض للاستعمار وقام بتأليف رواية حكاية العشاق في بداية العقد الخامس من عمره، ولا نعرف إن كانت له آثارا أدبية وتاريخية أخرى، ينظر: الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة، الجزائر، 2009، ص31.

³ نفسه، ص30.

⁴ في سنة 1849، كتب مصطفى بن إبراهيم باشا رواية بعنوان "حكاية العشاق في الحب والاشتياق"، إلا أن هذه الرواية لم تُنشر حتى عام 1977، حيث قام المؤرخ أبو القاسم سعد الله بتحقيقها وتقديمها، ينظر: محمد بن إبراهيم، حكاية العشاق في الحب والاشتياق، تح: أبو القاسم سعد الله، مؤسسة بوزيان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

⁵ محمد حسين هيكل (1888-1956): ولد إحدى قرى السنبلابين بالدقهلية، درس في قريته ثم في القاهرة، حيث حصل على إجازة مدرسة الحقوق في عام 1909، استكمل دراسته في فرنسا وحصل على الدكتوراه في الاقتصاد السياسي في عام 1912، عمل كمحامي عند عودته إلى القاهرة وانضم إلى حزب الأحرار الدستوريين وعمل في الصحافة، تولى رئاسة تحرير مجلة "السياسة" في عام 1922 وتولى وزارة المعارف ورئاسة مجلس الشيوخ فيما بعد، انفصل عن العمل السياسي ليكرس وقته للكتابة السياسية والأدبية حتى وفاته في عام 1956، من أبرز أعماله قصة "زينب"، و"في أوقات الفراغ"، و"عشرة أيام في السودان"، و"تراجم مصرية وغربية"، و"ثورة الأدب"، التي تعرض فيها للثورة الأدبية في مصر، ينظر: يحيى حقي، فجر القصة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1987، ص48.

الفصل الأول: ————— الكتابات القصصية والروائية

الواعدة التي ظهرت من خلال تفاعله مع عالم الكتابة الذي شهد تطورًا هامًا، في الواقع العربي، حيث كانت الرواية تقتصر في السابق على قضايا الدين والشرع والشعر، قامت هذه التفاعلات، على الرغم من طابعها العدائي والاستعماري، بدفع محمد بن إبراهيم لإنتاج هذا العمل السردي المميز باللغة العربية¹.

نظرًا لما مرت به الرواية الجزائرية في الفترة الممتدة بين عامي 1900 و1962 فإننا نجد أن المراحل المتباينة قد تأثرت بشكل وثيق بالسياقات السياسية والاجتماعية التي شهدتها البلاد تحت الهيمنة الاستعمارية الفرنسية، يمكن تقسيم هذه

الفترة إلى خمس مراحل رئيسية، لكل منها خصائصها الأدبية والفكرية، انعكاسًا للتحويلات التاريخية التي عصفت بالمجتمع الجزائري.

✓ المرحلة الأولى (1900-1919):

شهدت الجزائر مطلع القرن العشرين وهي غارقة في مشكلات سياسية واقتصادية خانقة، تفاقمت بفعل السياسات الاستعمارية التمييزية، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، زُجّ بالجزائريين في أتون الصراع كجنود في صفوف الجيش الفرنسي، مما ولد وعيًا جديدًا حول هشاشة وضعهم في ظل الاحتلال، تميّزت هذه المرحلة بظهور إرهابات أولى للسرد الروائي، حيث برزت محاولات أدبية متأثرة بالصحافة والخطاب الإصلاحية، لكنها لم تتبلور بعد في شكل روائي متكامل.

¹ ولد العروسي، أعلام من الأدب ...، المرجع السابق، ص، ص30.

الجدول رقم (02): يعرض قائمة للروايات بين (1900-1919)¹:

اسم الكاتب	عنوان العمل الأدبي	دار النشر	سنة النشر	الجنس الأدبي	اللغة
عبد العزيز الزناقي ²	قصة باللهجة التلمسانية ³	المطبعة الوطنية ⁴	1904	رواية	الدارجة الجزائرية
سليمان بن إبراهيم ⁵ وإتيان دينيه ⁶	خضرة، راقصة أولاد نايل ⁷	بيازا	1910	رواية ⁸	الفرنسية
أحمد بوري ⁹	مسلمون ونصرانيات	جريدة الحق	1912	رواية	الفرنسية

¹ من اعداد الطالبة وردة عي.

² عبد العزيز زناقي (1877-1932): كان مدرسًا للغة العربية في اللغات الشرقية وشاعرًا من مدينة تلمسان، وُلد في أسرة متواضعة، وبرز بفضل تعليمه في الجزائر، حيث ساهم في جمع الحكايات الشعبية لصالح رتييه باسيت، واشتهر بمساهمته في نشر "قصة باللهجة التلمسانية" بالتعاون مع موريس جودفروا ديمومين، أصبح أول جزائري يشغل منصب مدرس العربية في اللغات الشرقية عام 1902، خلقًا لمصيرين، كما قام برحلات علمية إلى المغرب وعمل مترجمًا خلال بعثة رتييه دي سيجونزاك إلى جنوب المغرب، ثم تولى مناصب في القضاء والتعليم، بجانب نشاطه الأكاديمي، كان أحد آخر من أثروا الشعر الحوزي التلمساني، خلال الحرب العالمية الأولى، خدم في الجيش الفرنسي، سعى لتحسين أوضاع الجزائريين لكنه تعرض لاحتقار لمضايقات بسبب موافقه إذ ساهم في الحركة الوطنية الجزائرية، مما دفعه للجوء إلى باريس، ولم يُسمح له بالعودة إلى تلمسان، وظل في المنفى حتى وفاته، ينظر:

A.Messaoudi, Op. cit, p 512.

³ Abdelaziz Znaki, *Récit en dialecte tlemcénien*, Imprimerie nationale, Paris, 1904.

⁴ الملحق رقم 01.

⁵ سليمان بن إبراهيم باعمر (1870-1953): كان كاتب مقالات جزائريًا من بوسعادة، اشتهر بعلاقته الوثيقة مع الرسام المستشرق الفرنسي إتيان دينيه، الذي ساعده بعد اعتناقه الإسلام، كتب سليمان العديد من المقالات حول الإسلام والجزائر بالتعاون مع دينيه، تعود أصوله إلى عائلة مزابية استقرت في بوسعادة، حيث التقى دينيه في أواخر القرن التاسع عشر، من أبرز منشوراته: ربيع القلوب، أساطير الصحراء (1902)، خضرة، راقصة أولاد نايل (1910)، حياة محمد رسول الله (1918)، والحج إلى بيت الله المقدس (1930)، ينظر:

Jean Déjeux, *Dictionnaire des auteurs maghrébins de langue française*, Paris, Karthala, 1984, 404 p.

⁶ إتيان دينيه (1861-1929): كان رسامًا فرنسيًا من أبرز فناني المدرسة الاستشراقية، تأثر بشدة بالثقافة الجزائرية بعد زيارته الأولى لبوسعادة عام 1884، تعلم العربية، واندمج في المجتمع المحلي، وسعى في لوحاته إلى تقديم صورة واقعية للحياة اليومية في الجزائر بعيدًا عن التصورات الاستعمارية النمطية، اعتنق الإسلام عام 1913 واتخذ اسم "نصر الدين دينيه"، وكتب مع صديقه سليمان بن إبراهيم عدة مؤلفات حول الإسلام، أبرزها حياة محمد، نبي الله، توفي في باريس عام 1929، لكن بناءً على وصيته، نقل جثمانه إلى بوسعادة حيث دفن وفق التقاليد الإسلامية، تتميز أعماله باستخدام الألوان الزاهية والاهتمام بالتفاصيل الدقيقة، ما جعلها توثيقًا بصريًا للحياة الجزائرية في تلك الفترة، من أشهر لوحاته فتاة من بوسعادة التي تصور فتاة جزائرية بأسلوب يمزج الواقعية بالرومانسية، والعربي في الصلاة التي تعكس الأجواء الروحانية للصلاة في الصحراء، كما أبدع في لوحات مثل الرجل ذو القبعة الكبيرة وعبد الغرام ونور العين، التي استوحاها من القصص الشعبية العربية، أسلوبه كان أقرب إلى الواقعية منه إلى الخيال الاستشراقي، مما جعل أعماله أكثر صدقًا وتأثيرًا في تصوير الثقافة الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية، ينظر:

Gérald Schurr et Pierre Cabanne, *Les Petits Maîtres de la peinture, 1820-1950*, Les éditions de l'Amateur, Paris, 2014, pp. 346-347.

⁷ Sliman ben-Ibrahim et Étienne Dinet, *Khadra, danseuse Ouled-Naïl*, Piazza, Paris, 1910.

⁸ الرواية من تأليف سليمان بن إبراهيم، مزينة برسومات إتيان دينيه وزخارف محمد راسم، الطبعة بحجم الثمن، مغلفة في غلاف ورقي مع علبة حفظ، تعدّ هذه النسخة المطبوعة على ورق الفلين من أجمل الإصدارات المزيّنة برسومات ملوّنة من إبداع إتيان دينيه، ينظر: الملحق رقم: 02، ينظر أيضًا: الملحق رقم: 03.

G. Andrieux, *Très beaux livres anciens romantiques et modernes*, mss, incunables, livres d'Heures... (Vente à Paris, du 1er au 7 mars 1930. Hotel Drouot Salle 9), Paris, 1930, p128, disponible sur : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k993757c/fl.item.r=Khadra,%20danseuse%20des%20Ouled%20Na%C3%AFI#>

⁹ أحمد بوري (1898-1970): معروف أيضًا باسم أحمد بن لاهي (Ahmed Ben Lahi)، كان مدرسًا في مدينة مطمورة (ولاية وهران، الجزائر) وواحدًا من الشخصيات التي نالت وسام جوقة الشرف الفرنسية، حصل على رتبة فارس (Chevalier) في عام 1931، ثم ترقى إلى رتبة ضابط=

الفصل الأول: ————— الكتابات القصصية والروائية

الشريف بن حليس	الجزائر الفرنسية كما يراها السكان الأصليون ¹	فانتانا	1914	نقد	الفرنسية
إليسا رايس	سعادة المغربية ²	بلون ³	1919	الفرنسية	الفرنسية

يُبرز الجدول مجموعة من الأعمال الأدبية المنشورة في الفترة الممتدة بين 1904 و1919، والتي تعكس تنوع الإنتاج الأدبي في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، يتضح أن معظم الأعمال المكتوبة كانت بالفرنسية، باستثناء "قصة باللهجة التلمسانية"⁴ لعبد العزيز الزناقي، التي تعدّ مثالاً نادراً على استخدام الدارجة الجزائرية في الأدب المطبوع آنذاك، هذا يعكس التأثير الاستعماري على المشهد الثقافي، حيث هيمنت اللغة الفرنسية على معظم المنشورات، سواء كانت روايات مثل "خضرة، راقصة أولاد نايل" و"مسلمون ونصرانيات"⁵، أو أعمال نقدية مثل "الجزائر الفرنسية كما يراها السكان الأصليون"، بالإضافة إلى ذلك، وُجدت أعمال غير معروفة النسب، مثل رواية "الخيمة الكبيرة" المنسوبة إلى "الصديق بن الوطا"، التي تناولت عادات وتقاليد الجزائريين⁶.

من حيث دور النشر، يظهر أن بعض الأعمال نشرت عبر مؤسسات معروفة مثل "بيازا" و"بلون"، بينما لجأ آخرون إلى المطابع المحلية أو الصحف، كما في حالة "مسلمون ونصرانيات" الصادرة عن "جريدة الحق" على شكل أجزاء، من اللافت أيضاً أن بعض الأعمال تحمل طابعاً استشراقياً، خاصة تلك التي كتبها أو شارك في تأليفها فرنسيون مثل إتيان دينيه، مما يعكس الطريقة التي جرى بها تصوير المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة.

✓ المرحلة الثانية (1920-1939):

جاءت هذه المرحلة في أعقاب الحرب العالمية الأولى، واتسمت بظهور تيارات فكرية وثقافية أكثر وضوحاً، تأثرت بالتحويلات التي شهدتها الجزائر في ظل تصاعد الحركات الوطنية بدأت الرواية الجزائرية تتخذ ملامح أكثر نضجاً.

الجدول رقم (03): يعرض قائمة للروايات بين (1920-1939)⁷:

=(Officier) في عام 1948، تقديرًا لجهوده في مجال التعليم، تشير الوثائق إلى أنه وُلد عام 1898 وتوفي في 30 ديسمبر 1970 بولاية جيجل في الجزائر، ينظر: محفوظ ملفه في الأرشيف الوطني الفرنسي — موقع بيرفيت-سور-سين، عل: LH/331/64، رقم الإشعار: L0331064.

¹ Chérif Benhabiles, *L'Algérie française vue par un indigène*, édition fantana, paris, 1914.

² Élissa Rhaïs, *Saada la Marocaine*, Plon, Paris, 1919.

³ Élissa Rhaïs, *Le Café chantant (Cahoua dez zahou)*, Kerkeb et Noblesse arabe, Plon, Paris, 1920.

⁴ لا يُعلم ما إذا كانت كُتبت بناءً على طلب من المستشرقين، ينظر: سعد الله، *تاريخ الجزائر الفقهاء...*، ج8، المرجع السابق، ص 131.

⁵ لا يُعلم ما إذا كانت كُتبت بناءً على طلب من المستشرقين، ينظر: منور، *الأدب الجزائري...*، المرجع السابق، ص 88.

⁶ سعد الله، *تاريخ الجزائر الفقهاء...*، ج8، المرجع السابق، ص 178.

⁷ من اعداد الطالبة وردة عي.

اسم الكاتب	عنوان العمل الأدبي	دار النشر	سنة النشر	اللغة
إليسا رايس	المقهى الغنائي	بلون ¹	1920	الفرنسية
إليسا رايس	اليهود أو ابنة إلعازر ²	بلون	1921	الفرنسية
إليسا رايس	ابنة الباشاوات ³	بلون	1922	الفرنسية
إليسا رايس	ابنة الدوار ⁴	بلون	1924	الفرنسية
عبد القادر الحاح محو ⁵	زهرة امرأة المنجمي ⁶	العالم الحديث	1925	الفرنسية
إليسا رايس	القميص الذي يجلب الحظ ⁷	بلون	1925	الفرنسية
إليسا رايس	الأندلسية ⁸	بلون	1925	الفرنسية
إليسا رايس	زواج حنيقة ⁹	بلون	1926	الفرنسية
إليسا رايس	عبر صوت الموسيقى ¹⁰	بلون	1927	الفرنسية
شكري خوجة	النموذج المثالي لمسودة عن مأمون ¹¹	رادو	1928	الفرنسية
إليسا رايس	الثدي الأبيض ¹²	بلون	1928	الفرنسية
شكري خوجة ¹³	العلج أسير البرابرة ¹⁴	مجلة المستقلين	1929	الفرنسية
إليسا رايس	الريفين ¹⁵	إرنست فلاماريون	1929	الفرنسية
إليسا رايس	باشا صغير في المنفى ¹⁶	بلون	1929	الفرنسية
إليسا رايس	المهتدية ¹⁷	إرنست فلاماريون	1930	الفرنسية

¹ الملحق رقم 04.

² Élissa Rhaïs, **Les Juifs ou la fille d'Eleazar**, Plon, Paris, 1921.

³ Élissa Rhaïs, **La Fille des pachas**, Plon, Paris, 1922.

⁴ Élissa Rhaïs, **La Fille du douar**, Plon, Paris, 1924.

⁵ الملحق رقم 05.

⁶ Abdelkader Hadj Hamou, **Zohra, la femme du mineur**, Les Éditions du Monde Moderne, Paris, 1925.

⁷ Élissa Rhaïs, **La Chemise qui porte bonheur**, Plon, Paris, 1925.

⁸ Élissa Rhaïs, **L'Andalouse**, Fayard, Paris, 1925.

⁹ Élissa Rhaïs, **Le Mariage de Hanifa**, Plon, Paris, 1926.

¹⁰ Élissa Rhaïs, **Par la voie de la musique**, Plon, Paris, 1927.

¹¹ Chukri Khodja, **idéal Dun ébauche'l Mammon**, Éditions Radot, Paris, 1928.

¹² Élissa Rhaïs, **Le Sein blanc**, Flammarion, Paris, 1928.

¹³ شكري خوجة (1891-1967): هو أحد أوائل الروائيين الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية في ظل الاستعمار الفرنسي، وقد شكّل نموذجًا معبّرًا عن أزمة الهوية لدى نخبة جزائرية تكونت داخل المنظومة التعليمية والثقافية الفرنسية، لكنها لم تندمج كليًا فيها، في روايته "مأمون"، "العلج"، عبر خوجة عن تمزق داخلي بين الإعجاب بالحدثة الفرنسية والسعي إلى الاندماج، وبين التمسك بجذوره الإسلامية والجزائرية، تكشف شخصياته عن فشل تجربة الاندماج، حيث تنتهي محاولات بطله "مأمون" بالسقوط في العزلة والمرض والموت، في حين يظهر "العلج" أن من يتخلى عن هويته لا يحظى بقبول الآخر ولا بالسكينة الذاتية، تميز خطاب خوجة الأدبي بالغموض والتوتر، فهو يتحدث إلى فرنسا بلغة مألوقة تعبر عن الحدثة والعقل، لكنه يُضَمّن نصوصه إشارات إلى هوية جزائرية حية، يرفض ذوبانها في النموذج الاستعماري، يطرح خوجة من خلال رواياته أسئلة جوهرية حول مصير المثقف المستعمر، والعلاقة بين التحديث والهوية، داعيًا إلى إعادة قراءة الإسلام وتفعيله كمصدر روحي وثقافي يواكب العصر، دون التفريط في الذات، هكذا، فإن كتاباته تمثل مرحلة مفصلية في وعي المثقف الجزائري، الذي بدأ يدرك حدود المشروع الاستعماري وضرورة استعادة الذات الوطنية من داخله، ينظر:

Abdelkader Djeghloul, « **Un romancier de l'identité perturbée et de l'assimilation impossible : Chukri Khodja** », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 37, 1984, pp 81-96.

¹⁴ Choukri Khodja, **El-Euldj**, captif des barbaresques, Édition de la Revue des Indépendants, Arras, 1929.

¹⁵ Élissa Rhaïs, **La Riffaine**, Ernest Flammarion, Paris, 1929.

¹⁶ Élissa Rhaïs, **Petits Pachas en exil**, 1929.

¹⁷ Élissa Rhaïs, **La Convertie**, Ernest Flammarion, Paris, 1930.

الفصل الأول: ————— الكتابات القصصية والروائية

عبد القادر الحاج حمو ¹	رفقاء الحديقة ²	منشورات دومات- مونكريستان ³	1933	الفرنسية
محمد ولد الشيخ ⁴	مريم بين النخيل ⁵	بلازا وهران	1936	الفرنسية
محمد ولد الشيخ	عذراء الدوار ⁶	بلازا وهران	1936	الفرنسية
محمد ولد الشيخ	المعانة ⁷	بلازا وهران	1936	الفرنسية

الجدول الذي يعرض قائمة للروايات الصادرة بين عامي 1920 و1939 يوضح بوضوح تميز المشهد الأدبي الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث برزت أسماء لامعة مثل إليسيا رايس، محمد بن سي أحمد بن شريف، شكري خوجة، وعبد القادر الحاج حمو، يُظهر الجدول تنوعًا في الإنتاج الأدبي، إذ بدأ النشاط في بداية العشرينيات، مع إصدار أعمال بارزة مثل رواية "المقهى الغنائي" لإليسيا رايس في 1920، ورواية "غوميير" لمحمد بن سي أحمد بن شريف في ذات السنة، التي تُعد من أوائل الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، وتروي قصة جندي جزائري خلال الحرب العالمية الأولى مستندة إلى تجربة المؤلف الحقيقية كضابط في الجيش الفرنسي.

تتميز أعمال إليسيا رايس بوجودها المكثف والمستمر عبر عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، حيث تنوعت موضوعاتها بين السرد الاجتماعي والرومانسي، وتم نشرها غالبًا في دور نشر فرنسية بارزة مثل "بلون" و"إرنست فلاماريون" في باريس، مما يعكس ارتباط الأدب الجزائري بالنظام الاستعماري الفرنسي والمؤسسات الثقافية الفرنسية، في المقابل، يظهر محمد ولد الشيخ في منتصف الثلاثينيات كجيل جديد من الأدباء الذين نشروا في دور نشر محلية مثل "بلازا وهران"، مما يدل على بداية ظهور مؤسسات ثقافية جزائرية تدعم الإنتاج الأدبي محليًا.

محمد بن سي أحمد بن شريف، الذي كان ضابطًا عسكريًا شارك في الحرب العالمية الأولى وحصل على وسام جوقة الشرف، ترك إرثًا أدبيًا هامًا يعكس تجاربه الحياتية، حيث تمثل روايته "غومي" سردًا شخصيًا وحيويًا لصراعات الجندي الجزائري بين الولاء لفرنسا والحنين للوطن الأم، كما تناول في كتابه "رحلته إلى مكة" جوانب روحية وثقافية تعبر عن ارتباطه العميق بالتراث الإسلامي والهوية الجزائرية⁸، وهو ما يجعل أعماله ذات بعد إنساني واجتماعي

¹ يتناول الكتاب العلاقات بين الجزائريين والفرنسيين في ظل الاستعمار، ويعكس نزعة اندماجية تدعو إلى تقبل القيم الفرنسية والاندماج في الثقافة الاستعمارية، العنوان ذاته يحمل دلالة رمزية، حيث تشير "الحديقة" إلى الجزائر كفضاء مُدار من قبل المستعمر، فيما يوحي مصطلح "رفقاء" بفكرة التعايش المفروض بين الجزائريين والفرنسيين وفق شروط تحددها فرنسا، يتبنى الكتاب خطابًا يتمشى مع السياسة الفرنسية في استيعاب النخب المحلية ضمن منظومتها الثقافية والإدارية، دون الطعن في شرعية الاستعمار أو انتقاده.

² Abdelkader Fikri, et Robert Rando, *Compagnons du jardin*, Éditions Domat-Montchrestien, Paris, 1933.

³ الملحق رقم 06.

⁴ الملحق رقم 07.

⁵ Mohamed Ould Cheikh, *Myriem dans les palmes*, Edition Palza, Oran Algérie, 1936.

⁶ Mohamed Ould Cheikh, *La Vierge du Douar*, Edition Palza, Oran Algérie, 1936.

⁷ Mohamed Ould Cheikh, *La Souffrance*, Edition Palza, Oran Algérie, 1936.

⁸ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص179.

الفصل الأول: ————— الكتابات القصصية والروائية

وسياسي في آنٍ واحد، وشكري خوجة، من ناحية أخرى، كان صوتًا أدبيًا يعبر عن أزمة الهوية التي عاشها المثقف الجزائري المتكون في المدارس الفرنسية، حيث جسد في رواياته مثل "العلاج" و"مأمون" الصراع بين التمدن الغربي والتمسك بالجدور الإسلامية، وهو صراع لم يكن سهلاً على المستعمرين أو المستعمرين أنفسهم، تمثل كتاباته صرخة لرفض ذوبان الهوية الوطنية تحت وطأة الاحتلال، وتدعوه إلى إعادة قراءة الإسلام كمرجعية ثقافية وروحية تساعد على تحقيق التوازن في مجتمع متغير.

من خلال هذا الجدول، يتضح أن اللغة الفرنسية كانت الوسيلة الرئيسية للتعبير الأدبي في تلك الحقبة، وهو أمر يعكس سيطرة الثقافة الفرنسية على الحياة الفكرية في الجزائر الاستعمارية، ورغم ذلك، حملت بعض الأعمال توترات هوية واضحة، حيث حاول الكتاب الجزائريون التعبير عن ذاتهم المتعددة بين التأثر بالحدثة الفرنسية والتمسك بالتراث المحلي، كما يعكس توزيع دور النشر، سواء في باريس أو في الجزائر، الحالة المعقدة للإنتاج الثقافي، الذي كان محكومًا غالبًا بمصالح الاحتلال لكنه بدأ يشهد نشوء مؤسسات محلية.

في المجمل، يقدم الجدول صورة مفصلة للمشهد الأدبي الجزائري في فترة الاحتلال بين 1920 و1939، حيث تظهر تجارب متشابكة بين الالتزام بالموثوث الثقافي والهوية الجزائرية من جهة، والانخراط في المنظومة الثقافية الفرنسية من جهة أخرى، مما يجعل هذه الفترة محطة هامة لفهم تطور الأدب الجزائري الحديث ومساراته السياسية والثقافية.

✓ المرحلة الثالثة (1940-1945):

تميّزت هذه الفترة بتأثير الحرب العالمية الثانية، حيث كانت الجزائر مسرحًا للأحداث العسكرية (التجنيد الاجباري) والسياسية التي انعكست بوضوح على النتاج الأدبي، تعرّض المجتمع الجزائري لمزيد من الضغوط الاستعمارية، لكن في المقابل، برز وعي متزايد بأهمية التحرر والانفصال عن الهيمنة الفرنسية، انعكس هذا الصراع في الأعمال الأدبية التي بدأت تتخذ منحى أكثر جرأة، وإن بقيت في الغالب محكومة بالرقابة الاستعمارية.

الجدول رقم (04): يعرض قائمة للروايات بين (1940-1945)¹:

اسم الكاتب	عنوان العمل الأدبي	دار النشر	سنة النشر	اللغة
------------	--------------------	-----------	-----------	-------

¹ من اعداد الطالبة وردة عي.

الفصل الأول: ————— الكتابات القصصية والروائية

علي الحمامي	إدريس ¹	لم تنشر	1942 ²	الفرنسية
-------------	--------------------	---------	-------------------	----------

يُظهر الجدول ندرة الإنتاج الروائي خلال الفترة بين 1940 و1945، حيث تقتصر القائمة على عمل واحد فقط، وهو رواية "إدريس" لـعلي الحمامي، التي كُتبت بالفرنسية ونُسبت إلى عام 1942، ومع ذلك، فإن حقيقة أن الرواية لم تُنشر إلا بعد الاستقلال بسبب وفاة كاتبها عام 1949، تعكس تحديات النشر في تلك الحقبة، والتي قد تكون مرتبطة بالظروف السياسية أو القيود الاستعمارية على الإنتاج الأدبي الجزائري.

يعكس هذا الجدول فراغًا في المشهد الروائي خلال هذه السنوات، لكنه يبرز أيضًا استمرارية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية رغم التحديات السياسية والثقافية.

✓ المرحلة الرابعة (1946-1954):

في هذه المرحلة، بدأ الأدب الروائي يعكس التحولات العميقة التي سبقت اندلاع ثورة التحرير الجزائرية، شهدت الرواية تطورًا ملحوظًا من حيث الشكل والمضمون، حيث أصبحت أكثر مباشرة في تناول القضايا السياسية والاجتماعية، برزت شخصيات روائية تجسّد وعيًا وطنيًا متصاعدًا، وتم توظيف السرد لانتقاد الاحتلال الفرنسي وسياساته القمعية، ما جعل بعض هذه الأعمال محل رقابة صارمة.

جدول رقم (05): يعرض قائمة للروايات بين (1946-1954)³:

اسم الكاتب	العنوان	دار النشر	سنة النشر	اللغة
أحمد رضا حوحو	غادة أم القرى ⁴	المطبعة الجزائرية الإسلامية	1947	العربية

¹Ali El-Hamami, **Idriss**, Société Nationale d'Édition et de Diffusion, Alger, 1976.

² كتبت الرواية خلال الفترة الممتدة بين 1941-1942، أثناء إقامة علي الحمامي في بغداد، وأثناء الحرب العالمية الثانية، وقد كتب تقديمها عبد الكريم الخطابي في سنة 1948 قبل أشهر من موت الحمامي وسقوط الطائرة به، ولم يكتب للرواية النشر إلا بعد ثمانية عشرة سنة أي بعد الاستقلال.

³ من اعداد الطالبة وردة عي.

⁴ أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة - الجزائر، 1947.

الفصل الأول: ————— الكتابات القصصية والروائية

جميلة دباش ¹	ليلي، فتاة صغيرة من الجزائر ²	مطبعة شاراس	1947	الفرنسية
مالك بن نبي	لبيك حج الفقراء ³	النهضة	1947	الفرنسية
محمد ديب	البيت الكبير ⁴	دار لو سيويل	1952	الفرنسية
مولود فرعون	نخل الفقير ⁵	لو بوي	1950	الفرنسية
عبد الله شعابنة	العجوز والطفل ⁶	طبعة فلانك ⁷	1950	الفرنسية
عبد المجيد الشافعي	الطالب المنكوب ⁸	دار الكتب العربية	1951	العربية
مولود فرعون	الأرض والدم ⁹	دار سيول ¹⁰	1953	الفرنسية
مولود فرعون	أيام قبائلية ¹¹	دار سيول	1954	الفرنسية
أحمد رضا حوحو	صاحبة الوحي ¹²	المطبعة الجزائرية الإسلامية	1954	الفرنسية
محمد ديب	الحريق ¹³	دار سيويل	1954	الفرنسية

تمثل هذه المرحلة ذروة الصراع بين المستعمر والشعب الجزائري، حيث أصبحت الرواية أحد أوجه النضال الثقافي ضد الاحتلال الفرنسي، شهدت هذه الفترة ازدهار أدب المقاومة، حيث عبّرت النصوص الروائية عن معاناة الجزائريين في خضم الثورة، وركزت على نضالات المجاهدين، والاعتقالات، والتعذيب، والمنفى، مما جعل الأدب جزءاً لا يتجزأ من المعركة الوطنية، كما أفرزت هذه الفترة أعمالاً روائية حاولت توثيق المرحلة من منظور سردي يوائم بين البعد الأدبي والالتزام السياسي.

¹ جميلة دباش (1926-2010): كاتبة وصحفية وناشطة نسوية جزائرية-فرنسية، تعد من الرائدات في الكتابة والصحافة بالجزائر، حيث كرست أعمالها لقضايا المرأة والتعليم، ولدت في عين ولان بسطيف، وتتمت في الثانية من عمرها، فنشأت في كنف أجدادها، بدأت مسيرتها الإعلامية عام 1942 عبر برامج إذاعية موجهة للنساء، ثم نشرت مقالات حول وضع المرأة المسلمة في المجتمع، عام 1947، أطلقت مجلة الحدث، وهي مجلة نسوية ثقافية، وشاركت في مؤتمر دولي للمرأة في باريس، أصدرت أولى رواياتها ليلي، فتاة جزائرية عام 1947، التي تناولت مسألة اندماج الجزائريين في المجتمع الفرنسي مع الحفاظ على الهوية الإسلامية، ثم نشرت عزيزة عام 1955، والتي نالت عنها جائزة روبرج من الأكاديمية الفرنسية عام 1957، بعد اندلاع الثورة الجزائرية عام 1954، استقرت في فرنسا لكنها استمرت في الكتابة عن قضايا المرأة الجزائرية، وأصدرت عدة مقالات حول التعليم والتأهيل وحقوق المرأة، مثل: المراحل الرئيسية لتطور المرأة في بلاد الإسلام (1959)، ينظر:

Mohamed Karim Assouane, (21 November 2013), **Djamila Debèche : au pays du non-dit !**, Le matine Algérie, consulté le 17 Mai 2025, sur le site: <https://www.lematindz.net/news/12932-djamila-debeche-au-pays-du-non-dit.html>

² Djamila Debèche, **Leïla, jeune fille d'Algérie**, Imprimerie Charras, Alger, 1947.

³ Malek Bennabi, **Lebbeik : Pèlerinage de pauvres**, En-Nahdha, Alger, 1948.

⁴ Mohammed Dib, **La Grande Maison**, Le Seuil, Paris, 1952.

⁵ Mouloud Feraoun, **Le Fils du pauvre**, éd. Cahiers du nouvel humanisme, Le Puy, 1950.

⁶ Abdallah Chaanba, **Le Vieillard Et L'Enfant**, Edition FANLAC, paris, 1950.

⁷ الملحق رقم 08.

⁸ عبد المجيد الشافعي، **الطالب المنكوب**، دار الكتب العربية، تونس، 1951.

⁹ Mouloud Feraoun, **La Terre et le Sang**, Éditions du Seuil, Paris, 1953.

¹⁰ الملحق رقم 09.

¹¹ (_____), **Jours de Kabylie**, Alger, Baconnier, 1954.

¹² أحمد رضا حوحو، **صاحبة الوحي**، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1954.

¹³ Mohammed Dib, **L'Incendie**, Le Seuil, Paris, 1954.

جدول رقم (06): يعرض قائمة للروايات بين (1955-1962)¹:

اسم الكاتب	عنوان العمل الأدبي	دار النشر	سنة النشر	اللغة
كاتب ياسين	نجمة ²	سيول	1956	الفرنسية
محمد ديب	النول ³	سيول	1957	الفرنسية
مولود فرعون	الدروب الوعة ⁴	سيول	1957	الفرنسية
جميلة دباش ⁵	عزيزة ⁶	المطبعة الوطنية	1957	الفرنسية
آسيا جبار	العطش ⁷	جوليارد	1957	الفرنسية
نور الدين بوجدرة	الحريق ⁸	بوسلامة للنشر ⁹	1958	العربية
مالك حداد	الانطباع الأخير ¹⁰	جوليارد	1958	الفرنسية
آسيا جبار	القلقون ¹¹	جوليارد	1958	الفرنسية
محمد ديب	صيف أفريقي ¹²	سيول	1959	الفرنسية
مالك حداد	سأهيك غزالة ¹³	جوليارد	1959	الفرنسية
مالك حداد	الطالب والدرس ¹⁴	جوليارد	1960	الفرنسية
مالك حداد	رصيف الزهور لم يعد يستجيب ¹⁵	جوليارد	1961	الفرنسية
آسيا جبار	أطفال العالم الجديد ¹⁶	جوليارد	1962	الفرنسية
مولود فرعون	الأيام ¹⁷	جوليارد	1962	الفرنسية

¹ من اعداد الطالبة وردة عي.

² Kateb Yacine, **Nedjma**, Éditions du Seuil, Paris, 1956.

³ Mohammed Dib, **Le Métier à tisser**, Le Seuil, Paris, 1957.

⁴ Mouloud Feraoun, **Les Chemins qui montent**, Éditions du Seuil, Paris, 1957.

⁵ جائزة روبرج جائزة سنوية مرموقة أنشئت عام 1919، وتُنمَّح بالتناوب بين الشعر والرواية، تُخصَّص في أحد الأعوام لشاعر شاب لم ينشر أكثر من مجلدين من الشعر، وفي العام التالي تُمنَّح لكاتب شاب لم ينشر أكثر من روايتين، ومن بين الفائزين بهذه الجائزة، كانت السيدة جميلة ديبش التي حصلت عليها عام 1957، تقديرًا لإسهاماتها الأدبية، تبلغ قيمة الجائزة 20,000 فرنك، مما يجعلها واحدة من الجوائز المهمة التي تدعم المواهب الأدبية الشابة وتحفز الإنتاج الأدبي في مجالي الشعر والرواية، ينظر:

Académie française, (s.d.), **Prix Roberge**, Récupéré le 20 Aout 2024, de: <https://www.academie-francaise.fr/prix-roberge>

⁶ Djamila Debèche, **Aziza**, imprimerie Imbert, Alger, 1955.

⁷ Assia Djebar, **La Soif**, Éd. Julliard, Paris, 1957.

⁸ نور الدين بوجدرة، **الحريق**، دار بوسلامة للنشر، تونس، 1958.

⁹ الملحق رقم 10.

¹⁰ Malek Haddad, **La Dernière impression**, Éditions Julliard, 1958.

¹¹ Assia Djebar, **Les Impatients**, Éd. Julliard, Paris, 1958.

¹² Mohammed Dib, **Un été africain**, Le Seuil, Paris, 1959.

¹³ Malek Haddad, **Je t'offrirai une gazelle**, Julliard, 1959.

¹⁴ (), **L'Élève et la leçon**, Julliard, 1960.

¹⁵ (), **Le Quai aux Fleurs ne répond plus**, Julliard, 1961.

¹⁶ Assia Djebar, **Les enfants du nouveau monde**, Julliard, Algérie, 1962.

¹⁷ Mouloud Feraoun, **Journal 1955-1962**, Éditions du Seuil, Paris, 1962.

عمار أوزقان ¹	أفضل قتال ²	جوليارد	1962	الفرنسية
--------------------------	------------------------	---------	------	----------

يتبين من هذا الجدول أن فترة ما بين 1956 و1962 شكّلت مرحلة حيوية لانفتاح الأدب الجزائري الحديث المكتوب بالفرنسية، حيث طغت على الساحة دارا النشر "سيول" و"جوليارد" اللتان نشرتا أبرز الأعمال، فقد تصدرت آسيا جبار بأربعة أعمال متتالية أبرزت فيها مكانة الكاتبة الجزائرية في زمن الحرب، إلى جانب مالك حداد الذي كثّف حضوره من خلال أربع روايات ذات طابع وجداني وسياسي، كما ساهم محمد ديب بثلاثة أعمال تابعت زمنياً، ما يعكس استمرارية في الإنتاج وانخراطاً في الخطاب الأدبي.

في المقابل، ظهرت أسماء بارزة مثل مولود فرعون وكتب عملين أحدهما في نهاية حياته، وكاتب ياسين الذي افتتح المرحلة بروايته الرمز "نجمة"، بالإضافة إلى إسهامات أخرى مثل رواية "عزيزة" لجميلة دباش و"أفضل قتال" لعمار أوزقان، ويلاحظ أن اللغة العربية كانت الغالبة، باستثناء عمل وحيد هو "الحريق" لنور الدين بوجدرة، ما يدل على التحول التدريجي في الأدب الجزائري نحو العربية في سياق تصاعد الوعي الوطني وميل الكتاب إلى استعادة أدواتهم اللغوية والثقافية بعد الاستقلال.

ثانياً: نماذج من الكتابات القصصية:

1. قصص سياسية واجتماعية

1.1. قصة المساواة، فرانسوا والرشيد لمحمد السعيد الزاهري:

محمد السعيد الزاهري، ولد في منطقة وليانة قرب بسكرة، يثير تاريخ ميلاد محمد السعيد الزاهري جدلاً بين الباحثين، نتيجة تضارب الروايات وغياب الوثائق الرسمية الدقيقة التي تثبتته بشكل قاطع، تتراوح التقديرات بين عامي 1897 و1901، لكن الترجيح الأقوى يعود إلى سنة 1900، بناءً على ما أورده الزاهري نفسه في أحد النصوص الواردة في كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر لابن عمّه محمد الهادي الزاهري سنة 1926، حيث أشار إلى أنه

¹ عمار أوزقان (1910-1981): هو أحد الشخصيات السياسية والفكرية البارزة في تاريخ الجزائر الحديث، وُلد في الجزائر العاصمة ونشأ في أسرة فقيرة من أزفون، وبدأ مسيرته السياسية من خلال العمل النقابي ثم انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، قبل أن يصبح من مؤسسي الحزب الشيوعي الجزائري، تعرض للاعتقال خلال الحرب العالمية الثانية، ثم انتُخب نائباً عن الجزائر في الجمعية التأسيسية الفرنسية سنة 1945، حيث دافع عن المساواة وحقوق الجزائريين، لكنه خسر لاحقاً في انتخابات 1946 وأُقصي من الحزب الشيوعي بسبب مواقفه، بعد تقاربه مع الحركة الوطنية، انضم إلى جبهة التحرير الوطني سنة 1955، وشارك في معركة التحرير كقيادي بارز، وكان من المساهمين في صياغة بيان مؤتمر الصومام، اعتُقل سنة 1958 وقضى سنوات في السجن حتى الإفراج عنه قبيل الاستقلال، بعد الاستقلال، تولى عدة مناصب وزارية بينها وزارة الفلاحة والسياسة، كما رأس تحرير جريدة الثورة الإفريقية، أبعد عن الحياة السياسية بعد انقلاب 1965، وتوفي بالجزائر العاصمة سنة 1981، تاركاً خلفه إرثاً سياسياً وفكرياً يمزج بين الاشتراكية والنزعة الوطنية، ينظر:

René Gallissot, (12 août 2015), **Ouzegane Amar**, maitron, consulté le 10 Mars 2025, sur le site : <https://maitron.fr/spip.php?article157307>

²Amar Ouzegane , **Le meilleur combat**, Julliard, Paris, 1962.

بلغ السادسة والعشرين من عمره في شهر شعبان عام 1344هـ، الموافق لمارس 1926م، هذا التصريح الذاتي يشير بوضوح إلى أن ميلاده كان في أواخر سنة 1900 تقريباً، ما يمنح هذه الرواية مصداقية نابعة من الشهادة الشخصية، ويعزز هذا التاريخ ما أورده الباحث عاشور شرقي في كتابه "الطبقة السياسية الجزائرية"¹ والكتاب الجزائريون، حيث وثّق ميلاد الزاهري بتاريخ دقيق هو 18 سبتمبر 1900، معتمداً في ذلك على أرشيفات رسمية يرجّح أنها فرنسية، وقد اعتبر يوسف وغليسي هذا التوثيق "أرشيفياً رهيباً" يصعب دحضه، خصوصاً في ظل غياب أوراق شخصية للزاهري الذي توفي دون أن يخلف أسرة تحتفظ بآثاره، ومع أن الجدل لا يزال قائماً في بعض الدوائر، فإن القرائن الذاتية والأرشيفية تميل إلى تثبيت ميلاده في سنة 1900، مما يُعد أقرب الروايات إلى الدقة.

قد أنجبت أسرة الزاهري علماء بارزين ذاع صيتهم في العصر الحديث، من بينهم محمد السعيد الزاهري، الكاتب والصحفي المعروف بمقالاته وتحليلاته، وهو زميلنا في هذا البحث، إلى جانب محمد الهادي السنوسي، وكذلك الشاعر زهري الزاهري، وقد اشتهرت هذه الأسرة بانتماؤها إلى الطريقة القادرية، إذ كان أحد أعمام الزاهري يشغل منصب "مقدم" لهذه الطريقة في ليانة، التي كانت آنذاك مركزاً علمياً وحلقة وصل للعلماء والوجهاء².

بالعودة إلى السعيد الزاهري فلقد حفظ السعيد القرآن في كُتّاب قريته، ثم تتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، واستكمل دراسته بجامع الزيتونة، وقد شكّلت هذه الأخيرة مرحلة تحول مهمة في حياة الزاهري، إذ أسهمت في صقل فكره وصياغة قريحته الأدبية، خلال تلك الفترة، انخرط بنشاط في بيئتها العلمية، فكان يرتاد مكتباتها، ويواظب على حضور دروسها، ويشارك في نواديها الفكرية والأدبية، مما أتاح له فرصة الاحتكاك بكبار أعلامها والتشبع بأفكارهم الإصلاحية، غير أن هذه الأفكار اصطدمت بالواقع عند عودته إلى الجزائر أثناء دراسته في الجامع الأخضر³، وقد أعرب الزاهري عن مشاعر الوفاء والتقدير العميقين لجامع الزيتونة وأساتذته وزملائه من رواد الحركة الإصلاحية، قائلاً: "أنا مدين لكلية جامع الزيتونة بتونس، فقد تخرجت فيها ونلت شهادتها (التطويع)، وما تشهده الجزائر اليوم من نهضة في العلم والأدب والإصلاح والدين إنما هو مدين أيضاً لجامع الزيتونة، إذ إن كثيراً من رجال هذه الحركة العلمية تخرجوا في الزيتونة ونالوا شهادتها العلمية..."⁴

¹ Achour Cheurfi, *La classe politique algérienne de 1900 à nos jours : Dictionnaire biographique*, Éditions Casbah, Alger, 2001.

² الجلاي ضيف، بناء المجد محمد السعيد الزاهري، دار الخليل العلمية، الجلفة، 2013، ص 15.

³ صالح خرفي، محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 34.

⁴ محمد السعيد الزاهري، "داء دفين في جامع الزيتونة"، الشهاب، مج 9، ع 22، 22 ديسمبر 1922، ص 520.

في العاشر من شهر أوت سنة 1925، نشرت جريدة الجزائر نصا مكتوبا يسرد خيالا يعبر عن واقع الشباب الجزائري فترة الحرب العالمية الأولى¹، ونظرا لتاريخ نشر القصة المبكر جداً في الحركة الأدبية والفكرية فإن الزاهري يتحلى بجرأة كبيرة، وهو ما يؤكد الباحث ناصر محمد فقد علق عن القصة قائلاً: "أن فرنسا لم تستسغ القصة واعتبرتها نقدا لاذعا وتهكما"²، والجريدة لم تكن تعلم بأنها ستحمل بين صفحاتها أول قصة جزائرية، ودويا قويا في نفوس القراء، كما أنها لا تعلم أنها ستنتهي بسبب لعنة الإدارة الفرنسية عليها، نشر الزاهري قصته وعنوانها بالمساواة، وألحق بها دفتي الميزان والرشيد، لنلاحظ من أول العنوان تباينا صارخا بين الاسمين، فلنستكون الدفة الثقيلة المليئة بالتقدير، ومن سترتفع دفتة ميزانه عاليا حتى تصعد روحه من خفتها؟

تحكي القصة عن طفلين الأول فرونسوا والثاني الرشيد وهما من نفس العمر، فرونسوا هو فرنسي إسباني الأصل، أما الرشيد فهو جزائري وظل كذلك وقد صدف أن سكن الولدان في حارة واحدة فلعبا فيها معاً ودرسا معاً وحين وصلا إلى معهد الحرية تخرجاً برتبة متساوية.

تعلم الطفلان مبدأ أن فرنسا: الحرية، المساواة، العدالة وقد أجبر الشباب أن يتجنبا في الجيش الفرنسي وقد سكنا نفس الشكنة معاً وقد بدأ رشيد يلاحظ أنه بقي جندي بعد كل الجهود نفسها التي بذلها مع فرونسوا، بينما فرونسوا تدرج في الرتب نحو الأعلى، وقد كان مخصصاً للجنود راتب لعائلاتهم، فكان الجزائري الرشيد لعائلته ثلث ما يتقاضاه الجنود الفرنسيون وقد تميز أيضاً فرونسوا بالمأكل الجيد بينما الرشيد أكل أسوأ الطعام وقد أدرك الرشيد أن ما تعلمه في المدارس وقرأه من الكتب من عدالة فرنسا ضرب من الخيال.

تأثر الرشيد بشدة وبدأ يشعر بالإحباط والضعف، وتآكلت قواه وصحته ببطء، حاول التعبير عن غضبه واستياءه من خلال إعلان ثورة، لكنه لم يجد الطريقة المناسبة للتعبير عن ذلك، قد قيل له ربما: "أنت مشوش وعدو للحكومة!" فلم يتبق له سوى التكبث وكظم ما يشعر به، وظل يعاني ويتألم، تحولت القصة إلى خيال واقعي، حيث أصبح الرشيد جثة هامدة بلا حراك.

يبدو أن أحداث القصة التي سردها الزاهري تعود إلى الحرب العالمية الأولى أين شعر الجنود الجزائريون من يؤمنون بالمساواة والادماج بأنهم أقل درجة ومرتبة، وبهذا الشكل، نجد أن هذا الفتى، الذي رمز للجزائريين، تعرض للظلم والتمييز في الجيش الفرنسي، ولم يكن لديه وسيلة للدفاع عن حقوقه، تعكس القصة الواقع السياسي

¹ محمد السعيد الزاهري، "المساواة - فرونسوا والرشيد"، جريدة الجزائر، ع 2، 10 أوت 1925، ص 01.

² ناصر، الصحف العربية ...، المرجع السابق، ص 56.

الفصل الأول: ————— الكتابات القصصية والروائية

والاجتماعي الذي عاشه الشعب الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث كان الجزائريون يواجهون تمييزًا واضطهادًا في مجمل الحياة.

يعتبر عبد المالك مرتاض¹ بأن هذه القصة كانت أول محاولة قصصية في النشر العربي الحديث في الجزائر قصة مثيرة نُشرت في جريدة "الجزائر" تحت عنوان "فرانسوا والرشيد لمحمد السعيد الزاهري"، فقد حظيت هذه القصة بإعجاب كبير من قِبل المثقفين الجزائريين وأثارت ضجة أدبية كبيرة بسبب موضوعها الجريء الذي يتناول قضية المساواة السياسية في الجزائر بين الفرنسيين والجزائريين².

يقول الزاهري: "لما عطلت السلطة، جريدة الجزائر التي كنت أصدرها في العاصمة منذ تسع سنوات كان من أسباب التعطيل ان المترجم ترجم عنها كلمة النهضة بكلمة فرنسية معناها الثورة وترجم كلمة فرنسا الظافرة المنتصرة بمعنى فرنسا الظالمة والغازية"³.

لقد كان لهذه القصة الصدى الكبير، فقد خصصت جريدة المنتقد جائزة أدبية يرثي فيها الشاعر أو الكاتب شخصية الرشيد من القصة، وقد صودرت المنتقد هي الأخرى قبل اعلان النتيجة لكن من حسن الحظ فقد نشرت مشاركة من هذه المشاركات في ديوان شعراء العصر الحاضر، فكتب محمد العيد آل خليفة رثاء لرشيد يقول⁴:

حياتك كلها مأساة حزن	يشيب لهول منظرها الوليد
وصوتك عليك اشعاري عظات	بما أولى لك الدهر العنيد
وُحْتُ عليك في ظُلم الديّاجي	وهل يُجدي نواحي أو يُفيدُ

تمثل قصة المساواة: فرانسوا والرشيد لمحمد السعيد الزاهري لحظة تأسيسية فارقة في الأدب الجزائري المكتوب بالعربية، ليس فقط من حيث كونها تُعدّ أول قصة جزائرية منشورة بالمعنى الفني الحديث، بل لما تحملته من شحنة

¹ عبد المالك مرتاض (1935 - 2023): كان كاتبًا وأستاذًا جامعيًا جزائريًا، وأحد أبرز أعلام الأدب والنقد في العصر الحديث، حصل على الدكتوراه من جامعة الجزائر، ثم على دكتوراه الدولة من جامعة السوربون، وأثرى المكتبة العربية بأكثر من ثمانين كتابًا في النقد الأدبي والدراسات السيميائية والتراث العربي، تولى عدة مناصب أكاديمية وإدارية، منها رئاسة المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، وعضوية مجامع لغوية عربية، كما كان عضوًا في لجنة تحكيم أمير الشعراء في أبوظبي، عُرف بأسلوبه التحليلي العميق واهتمامه بالأدب الجزائري والتراث العربي، وحصل على جوائز مرموقة، منها جائزة سلطان العويس الثقافية، ينظر: محمد بوفالقة، "جهود علماء الجزائر في دراسة الأدب الجزائري القديم - عبد المالك مرتاض أنموذجًا"، مجلة الآداب واللغات، مج 24، ع 25، ص ص 7-16، 28 ماي 2019.

² مرتاض، فنون... المرجع السابق، ص 166.

³ محمد السعيد الزاهري، "في الموقف الحاضر"، الشهاب، مج 9، ج 9، 1933، ص 2.

⁴ نفسه، ص 24.

رمزية وموقف سياسي مبكر من السياسات الاستعمارية الفرنسية، القصة، التي نُشرت سنة 1925، جاءت في سياق يعج بالتحويلات السياسية والاجتماعية، حيث سعى الزاهري من خلالها إلى فضح زيف الشعارات الفرنسية مثل "الحرية والمساواة" عندما تطبق على المستعمرات، وخاصة في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، مبرزًا التمييز الصارخ الذي يعانيه الجزائري.

قد دفع الزاهري ثمن جرأته، إذ وُوجه بتعطيل جريدته الجزائر، وأُتهم في وطنيته، كما تعرضت أعماله للملاحقة والتضييق، كل ذلك يعكس كيف تحوّل الفعل الأدبي إلى تحدٍ صريح للمنظومة الاستعمارية، وكيف أن القلم الذي خطّ قصة رمزية بليغة صار لاحقًا هدفًا سياسيًا فيما بعد.

تكشف القصة عن حس فني عالٍ، ورؤية فكرية واعية جعلت من الرشيد، بطل القصة، رمزًا لجيل جزائري مكسور داخل المؤسسة الاستعمارية، وجعلت من السرد وسيلة لكشف المفارقة بين المبادئ النظرية للغرب وممارساته الفعلية، وقد كان لتلك القصة صدى واسع في الأوساط الثقافية الوطنية، إذ حظيت باهتمام المثقفين.

إن هذه القصة لا تمثل فقط عملاً إبداعيًا فنيًا، بل تُعد بيانًا أدبيًا سياسيًا مبكرًا، يكشف عن وعي جيل من المثقفين الوطنيين الذين استخدموا الكلمة كسلاح مقاومة، وهو ما يبرر القول بأن محمد السعيد الزاهري كان من أوائل من فتحوا الطريق نحو الأدب المقاوم باللغة العربية في الجزائر، وساهموا في تأصيل الشكل القصصي الحديث ضمن سياق الصراع الثقافي ضد الاحتلال الفرنسي.

2.1. قصة السعادة البتراء لمحمد بن العابد الجلالي

محمد بن العابد بن عبد الله بن السايح بن سيدي يوسف بن سماتي الجلالي، ولد في سنة 1890 في مدينة أولاد جلال بولاية بسكرة، تربى في عائلة محافظة ذات قيم دينية ووطنية، وتلقى تعليمه الديني والشرعي في ظل تأثير والده، الذي كان إمامًا وشاعرًا، تعمق الجلالي في العلوم الشرعية وارتبط بحركة الإصلاح التي قادها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وأصبح أحد طلبته المقربين¹، وقد لعب الجلالي دورًا كبيرًا في التعليم والإصلاح من خلال التدريس في مدارس الجمعية، وكان له تأثير كبير على تلاميذه، حيث ركز على غرس القيم الوطنية والأخلاقية، كما اشتهر بإبداعاته الأدبية وكتاباتاته في الصحف مثل جريدة "الشهاب"، إضافة إلى تأليفه للقصص والمسرحيات الهادفة التي تعزز الروح الوطنية، كان الجلالي أيضًا شاعرًا، وكتب أناشيد مدرسية لتربية الأطفال على حب الوطن والدين².

¹ فوزي مصمودي، أعلام من بسكرة، مطبعة صقر، الجزائر، 2001، ص 74.

² عتيقة سماتي، محمد العابد سماتي: حياته وآثاره، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر 2010، ص 12.

في جريدة الشهاب شهر ماي من سنة 1935 نشر محمد بن العابد الجلالي قصةً بعنوان "السعادة البتراء" موقعةً باسم مستعار وهو "رشيد"¹ وهو احياء لاسم شخصية أدبية خيالية قام بكتابتها محمد السعيد الزاهري قبل عشرة سنوات وهي قصة "المساواة، فرانسوا والرشيد".

يعيد عبد المالك مرتاض سبب النشر بالاسم المستعار "رشيد" للأسباب التالية: أن تأثير الزاهري كان قويًا على الكتاب الجزائريين الذين حاولوا التعامل مع الفن القصصي قبل الحرب العالمية الثانية، كما ذكرنا سابقًا، فالرشيد أصبح رمزًا للجزائري الذي يموت غيظًا ولا يستطيع تغيير واقعه، فهو فرنسي عندما يتم شحنه للاستفادة منه والتخلص من انتماءه للجزائر، وهو جزائري في الفقر والبؤس والموت، وأن الكتاب الجزائريين الذين حاولوا التعامل مع هذا الفن واجهوا تحديًا في استخدام أسمائهم الحقيقية، مما يشير إلى أن الأدب كان يعاني التضيق في الجزائر، على سبيل المثال، الكاتب الذي كتب قصة "زليخة والعفة تنذران" استخدم أيضًا اسمًا مستعارًا، وهذا ينطبق أيضًا على محمد البشير الابراهيمي عندما كتب أحاديثه المثيرة باسم "سجع الكهان"، حيث استعار اسمًا أدبيًا وكاهن الحلي، ونجد أن "سجع الكهان" و"زليخة والعفة تنذران"، كلاهما كتب بعد الحرب العالمية الثانية، كما أن الجلالي كتب سبعة محاولات في مجلة "الشهاب"، ومن الممكن اعتبار أربع منها ذات صلة وثيقة بالفن القصصي، وإن لم تحقق هدفها، أما المحاولات الثلاث الأخرى، فقد دخلت في نطاق الحكايات النقية دون أي شيء آخر².

مصطلح "السعادة البتراء" يشير إلى سعادة ناقصة أو غير مكتملة، كلمة "بتراء" تعني المقطوعة أو المبتورة، وبالتالي فإن السعادة في هذه الحالة ليست كاملة أو شاملة، بل تترافق مع جوانب من النقص أو الحرمان.

تدور القصة حول شخصيتين رئيسيتين هما "أبو القاسم" وابنه "محمد"، أبو القاسم رجل جزائري يعيش في فترة الاحتلال الفرنسي ويعمل موظفًا حكوميًا، بعد سنوات من الانتظار، يُرزق بمولود ذكر، "محمد"، الذي يصبح محور اهتمامه، يُقرر أبو القاسم أن يُعد ابنه لمستقبل ناجح عبر التعليم والتوظيف في الإدارة الفرنسية، حيث يُعتبر العمل الحكومي الطريق الوحيد لتحقيق الرزق والاستقرار المادي في ذلك الوقت، فيكبر محمد ويتميز في دراسته، لكن رغم نجاحه الأكاديمي، يشعر بعدم الارتياح بين زملائه الفقراء الذين يعانون من الفقر والتهميش، هذا التباين الطبقي يزيد من عزله عنهم، ويظهر مدى التفاوت الاجتماعي في المجتمع الجزائري بين الطبقات.

¹ محمد بن العابد الجلالي، "السعادة البتراء"، الشهاب، ج 5، مج 11، ماي 1935، ص 86.

² مرتاض، فنون... المرجع السابق، ص 168.

الفصل الأول: ————— الكتابات القصصية والروائية

ينقل أبو القاسم ابنه إلى بيئة أفضل في مدينة بجاية، حيث يعيش بين أبناء الطبقة الغنية والمتعلمة، هناك، تنشأ علاقة حب بين محمد وابنة صديق العائلة، "سعاد"، ويخططان للزواج، في النهاية، يحصل محمد على وظيفة مرموقة في الإدارة الاستعمارية، مما يحقق له الاستقرار المادي، لكن سعادته هذه تبدو مبتورة، لأنها تعتمد على نظام استعماري يهمش الأغلبية من أبناء وطنه.

يضع الجلاي هامش صفحة النهاية للقصة إشارة يقول فيها: "الزواج في الإسلام مبني على المعرفة والرضا ولعلنا نكتب في الجزء الآتي ان شاء الله -رحمته على الزواج المبني على الحب والتعارف¹"، والعبارة تعني أن الزواج في الإسلام يقوم على أسس المعرفة المتبادلة والرضا الكامل بين الزوجين، حيث يُشترط موافقة كل منهما على الآخر، وتشير الجملة إلى نية الكاتب في مناقشة، في جزء لاحق، أسباب تفضيل الإسلام للزواج القائم على المعرفة والرضا مقارنة بالزواج المبني فقط على الحب والتعارف.

يعكس العنوان "السعادة البتراء" حقيقة أن السعادة التي حققها محمد ناقصة، إذ أنها تأتي على حساب حرية وطنية أو مساواة اجتماعية، فالسعادة التي يعيشها "محمد" بفضل النجاح المهني والزواج من "سعاد" تبدو كأنها سعادة مؤقتة وغير مكتملة، فهي قائمة على استقرار مادي يوفره النظام الاستعماري الفرنسي، لكنها تفتقر إلى الشعور الحقيقي بالحرية أو الانتماء الوطني، إذ تبقى محصورة في إطار الظروف التي يفرضها الاحتلال، مما يجعلها مبتورة أو مشروطة بعدم التمتع بالتححر الكامل والمساواة.

نُشرت القصة في فترة ما بين الحربين العالميتين، وهي فترة شهدت نمو الحركات الوطنية في الجزائر، في تلك الفترة، كان الجزائريون يرحلون تحت نير الاحتلال الذي فرض سيطرته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما أدى إلى انقسامات طبقية حادة بين الجزائريين، القصة تبرز هذه الفوارق الاجتماعية التي كانت شديدة الوضوح آنذاك، حيث تُمثل الشخصية المحورية، "محمد"، أحد أفراد الطبقة المتعلمة، مقابل الطبقات الأكثر فقراً التي تجسدها شخصيات زملائه في المدرسة.

نجد في القصة توجيهاً نقدياً للوضع الاجتماعي في الجزائر خلال فترة الاحتلال، إذ يُظهر الكاتب كيف كان التعليم والوظائف الحكومية (التي يسيطر عليها الفرنسيون) الوسيلة الوحيدة أمام الجزائريين لتحقيق الاستقرار المالي، كما يتضح من قصة "أبو القاسم" الذي يُجهز ابنه "محمد" للدخول في هذا النظام عبر الوظيفة، هذه المسألة كانت

¹ الجلاي، "السعادة البتراء"، المصدر السابق، ص 87.

تمثل مأساة حقيقية للكثير من الجزائريين، إذ كان الأمل في التوظيف مقترناً بالتعليم الاستعماري الذي يسلبهم هويتهم الوطنية مقابل الانضمام إلى النظام الذي يخدم الاحتلال.

القصة تعتمد على رموز مثل "محمد" و"سعاد"، حيث يمكن اعتبار "محمد" رمزاً للشباب الجزائري الذي يبحث عن مكانه في المجتمع الاستعماري، بينما تمثل "سعاد" السعادة المؤقتة التي تبدو متاحة لبعض الجزائريين، ولكنها في نهاية الأمر سعادة ناقصة، لا ترتبط بتحقيق استقلال أو تحرر وطني.

تُحتّم القصة بما يمكن تفسيره على أنه تلميح إلى أن هذه السعادة المؤقتة ليست إلا وهمًا، حيث يُوظف محمد في وظيفة كانت تمثل أملاً لعدد كبير من المرشحين الوطنيين، مما يجعل نجاحه مؤشرًا على انقسام مجتمعي أعمق، يبدو أن الكاتب يعبر عن إحباطه من الواقع الاستعماري، الذي يجعل من الوظائف الإدارية مطمئناً لشباب الجزائر بدلاً من أن يسعوا للتحرر من السيطرة الاستعمارية.

القصة تقدم قراءة حادة للوضع الاجتماعي والاقتصادي في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث تناول بشكل نقدي نظام التوظيف الطبقي والتناقض بين ما يبدو سعادةً فرديةً وبين الواقع الاجتماعي المظلم الذي تعيشه الأغلبية، "السعادة البتراء" هي تذكير بأن أي سعادة تتحقق في ظل نظام استعماري هي سعادة ناقصة وغير مكتملة، لأنها تقوم على استبعاد جماعي للحرية والاستقلال.

رغم فشل قصة "السعادة البتراء" من الناحية الفنية كما يرى النقاد، إلا أن تأثيرها في تاريخ القصة الجزائرية لا يمكن إنكاره، فقد أشار عبد المالك مرتاض إلى أن محمد بن العابد الجلاي لم ينجح فنيًا، لكنه اختار موضوعًا مهمًا، إذ انتقل من الموضوعات الوطنية والإصلاحية التي تناولها الزاهري، إلى موضوعات الحب والطبيعة، ما اعتُبر خطوة جديدة في إثراء الأدب الجزائري، خاصة أن المحاولات السابقة تجنبت هذه الجوانب، وقد شكّلت هذه التجربة منطلقًا لمعظم كتّاب القصة لاحقًا، الذين اعتمدوا "الحب" كمصدر للإلهام، مما منحه مكانة مركزية في أعمالهم، ويُستشف من ذلك أن القصة الجزائرية في أربعينيات القرن العشرين كانت لا تزال مترددة وخجولة، إلا أن جهود محمد السعيد الزاهري ثم محمد بن العابد الجلاي ساهمت في إبراز النثر الأدبي، وإرساء أسس القصة، رغم افتقارها للجانب الفني الكامل، وتُعد هذه المحاولات الأولى نواة مهمة مهدت لتطور القصة الجزائرية لاحقًا، ومكّنتها من التعبير عن قضايا وطنية وإنسانية بأسلوب فني¹.

¹ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص174.

يرى عمر بن قينة أن القصة تجمع بين الحكاية والمقالة القصصية، إذ يروي الكاتب حياة موظف في الإدارة الفرنسية يُدعى أبو القاسم رزق وابنته سعاد، ويستخدم السرد القائم على الوصف والتعليق لتصوير مستقبل الطفلين في مجتمع جزائري يبدو غريباً عنهما، وينتهي النص بالإشارة إلى زواج مرتقب بين الشخصيتين، يقوم على الحب والتفاهم، وهو ما كان غير مألوف في المجتمع الجزائري آنذاك، ورغم رغبة محمد بن العابد الجلاي الواضحة في كتابة القصة، إلا أنه¹.

ترى الباحثة عايدة أديب عايدة بأن محمد بن العابد الجلاي امتاز أسلوبه بالسخرية والتشاؤم، كتب قصصه ليعبر عن رؤيته ويوصل رسائل محددة، كما في قصتي "الصائد في الفخ" و"السعادة البتراء"، رغم الرسائل الواضحة، افتقدت قصصه التعقيد الفني الذي ظهر في الأعمال الأدبية اللاحقة، وقد اتبع العديد من كتاب القصة القصيرة في الجزائر أسلوباً مشابهاً، يعاملون القصة كقصيدة، مما أدى إلى إهمال الشكل الفني والتركيز على توصيل الأفكار بشكل مباشر².

تُمثّل قصة "السعادة البتراء" لمحمد بن العابد الجلاي محطة مبكرة في تطور القصة الجزائرية، عكست نقداً اجتماعياً للاستعمار من خلال تصويرها سعادة ناقصة يعيشها الشاب "محمد" ضمن منظومة استعمارية تُقضي الانتماء الوطني مقابل الامتيازات المادية، وقد اختار الجلاي الاسم المستعار "رشيد" متأثراً بمحمد السعيد الزاهري، ليعبر عن موقف رمزي من الواقع المفروض، رغم بساطة البناء الفني وطغيان الأسلوب التقريري، كما أشار مرتاض وبن قينة، فقد حملت القصة دلالة رمزية واضحة وأسهمت في فتح المجال أمام موضوعات غير مألوفة آنذاك، كالزواج القائم على الحب والنقد الطبقي، مما جعلها، رغم محدوديتها الفنية، مساهمة تأسيسية في بلورة الوعي السردى الجزائري الحديث.

3.1. قصة الرماد لمحمد العربي:

يتم تجنيس الكاتب أديباً بأنه أديب تونسي رغم أنه جزائري، فنجدّه في مجلات ومواقع رسمية تعتبره أديباً تونسياً وينسبه أديباً تونسياً إلى تونس أيضاً أمثال الكاتب كمال الرياحي³، إلا أن الكاتب محمد صالح الجابري يعيده إلى موطنه في كتابه الأدب الجزائري في تونس، حيث أن عائلة محمد تعرضت للاضطهاد الاستعماري في تيهرت مما

¹ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص 167.

² عايدة، تطور الأدب ...، المرجع السابق، ص 354.

³ كمال الرياحي، (16 مارس 2013)، محمد العربي... الأديب التونسي المنسي، شبكة الجزيرة الإعلامية، استرجعت في تاريخ 19 أكتوبر 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.aljazeera.net/culture/2013/3/16>

جعلهم مع دخول الاحتلال ينزحون إلى تونس قبل أن تقبض عليها اليد الفرنسية هي الأخرى¹، وُلد محمد العربي في تونس العاصمة سنة 1915 وتوفي في فرنسا في 25 ديسمبر 1946 في قمة عطائه الأدبي، بدأ تعليمه في كتاب سيدي الفاهم ثم التحق بجامعة الزيتونة لمتابعة دراساته، إلا أنه لم يحصل على شهادة رسمية، منذ أوائل الثلاثينيات، كان حضوره في المشهد الثقافي ملحوظاً بفضل اهتمامه بالأدب والنقد، في سنة 1933، انقطع عن الدراسة نتيجة عوامل مختلفة، بما في ذلك ظروفه المادية والطبيعة المتقلّبة لشخصيته، إذ يُرجح بعض النقاد أن فقره ويطيمه المبكر كانا من أسباب انقطاعه، بينما يرى آخرون أن طبيعته البوهيمية هي التي دفعت للابتعاد عن التعليم، إضافة إلى التأثير الذي تركته الأزمة الاقتصادية العالمية على البلاد.

انتقل إلى عالم الصحافة مع زين العابدين السنوسي، وكتب مقالاته تحت اسم "ابن تومرت"، عُرف كصحفي بارع وناقد للمستعمر الفرنسي، مما أدى إلى اعتقاله خلال أحداث 09 أبريل 1938، بعد الإفراج عنه، ترأس تحرير جريدة "الزمان" وبدأ عمله في الصحافة الإذاعية، انخرط العربي في الصحافة والأدب وبدأ بنشر أعماله في مجالات مثل "العالم الأدبي" حيث قدم قصصاً وشعرًا متمردًا، كما انضم إلى مجموعة من الصحف الساخرة التي ظهرت في تلك الفترة، مثل "السرور" و"الشباب"، اشتهر بإنتاجه الأدبي أكثر من نشاطه الصحفي، وكتب مقالات وتحقيقات صحفية واسعة، تأثر العربي بالشعراء البوهيميين مثل بودلير² (Charles Baudelaire) وأندري جيد (André Gide)، وعاش حياته الأدبية متجسداً في كتاباته، اهتم بالأجناس الأدبية الهامشية مثل المذكرات واليوميات، مما جعله رائداً في التخييل الذاتي العربي، انتقد استخدام الأساليب السردية الكبرى، واستخدم اللغة العامية التونسية في نصوصه، مما قرب من القارئ العادي، كما عمل في المجال الإذاعي في تونس وفرنسا³، توفي في ظروف غامضة في باريس بعد مسيرة قصيرة لكنها مليئة بالإنجازات الأدبية والصحفية⁴، كما أن هناك الكثير ممن يرجعون موته إلى أنه انتحار.

¹ الجاهري، الأدب الجزائري ...، ج 1، المرجع السابق، ص 24.

² شارل بودلير (1821-1867): هو شاعر وناقد فني فرنسي، يُعد من أبرز أعلام الشعر الفرنسي في القرن التاسع عشر، ومن رواد الحداثة الأدبية، عُرف بقدرته على كسر التقاليد الشعرية الكلاسيكية، ومزج الجمال بالشر، كما يتجلى في أشهر أعماله أزهار الشر (Les Fleurs du Mal) التي أثارت جدلاً واسعاً بسبب جرأتها وغموضها، جمع بودلير بين الحس الجمالي العالي والتأمل الفلسفي في موضوعات مثل الزمن، الموت، الانحلال، والمدينة الحديثة، مما جعله مصدر إلهام لجيل كامل من الرمزيين والحداثيين في الأدب الأوروبي، ينظر:

Charlène Vince, (31 Mars 2022), Charles Baudelaire : biographie courte du poète inspiré par le spleen, linternaute, consulté le 30 novembre 2024, sur le site : <https://www.linternaute.fr/biographie/litterature/1420590-charles-baudelaire-biographie-courte/>

³ كمال الرياحي، محمد العربي...، المرجع السابق.

⁴ الجاهري، الأدب الجزائري ...، ج 1، المرجع السابق، ص 24.

تراث العربي الأدبي لا يزال مشتتًا بين الصحف والمجلات، ولم يظهر من مذكراته سوى نصوص قليلة، إن حياته الغنية بالتجارب والمغامرات ونهايته التراجيدية تجعله شخصية جديرة بالتناول السينمائي، مما يعكس تحولات المجتمع التونسي والعربي¹.

يعتقد محمد صالح الجابري بأن محمد العربي تعرض إلى التجاهل من النقاد التونسيين آنذاك باعتباره مهاجرا جزائري مثله مثل عديد من الأدباء الجزائريين في تونس أمثال توفيق المدني ومحمد العيد الجباري²، ويعتبر العربي من بين الأدباء الذين لم يلق اهتماما في الجزائر بينما صدى اسمه في تونس خصوصا وأنه عاصر العديد من الشخصية

¹ كمال الرياحي، (16 مارس 2013)، محمد العربي...، المرجع السابق.

² محمد العيد الجباري: (1910-1967) محمد العيد الجباري (1911-1942) شاعر وصحفي تونسي جزائري، تلقى تعليمه في المدرسة الخلدونية والجامعة الزيتونية، وأشرف على جريدة «العمل»، كان ناشطًا في الحزب الحر الدستوري التونسي، وترأس الشبيبة الدستورية، مما أدى إلى نفيه إلى الجزائر، تميز شعره بالحماسة والنزعة الخطابية، وركز على قضايا الحرية والعدالة، كما كتب في وصف الطبيعة، من أعماله ديوان اللهب وكتاب الفرائد في العلم والأدب والاجتماع، تكريماً له، أطلق اسمه على عدة منشآت في تونس، منها شوارع ومصحة ومركز بريد، ينظر: محمد بوذينة، مشاهير التونسيين، دار سیراس، تونس، 2001.

الأدبية أمثال أبي القاسم الشابي¹ ومحمود بيرم التونسي² وعلي الدوعاجي³، مصطفى خريف⁴، وغيرهم، الذين كانوا معظمهم يلتقون بناد أدبي المسمى بنادي "تحت السور"⁵.

¹ أبو القاسم الشابي (1909-1934): هو شاعر تونسي يُعد من أبرز شعراء العصر الحديث في العالم العربي، وأحد رموز التجديد في الشعر العربي، وُلد في بلدة توزر بتونس، ودرس في جامع الزيتونة، حيث تأثر بالفكر الإصلاحي والأدب العربي القديم، لكنه سرعان ما اتجه إلى الحداثة والتجديد في الشكل والمضمون، اشتهر بديوانه أغاني الحياة، الذي عبّر فيه عن تطلعات الإنسان العربي للحرية والكرامة، كما تُعد قصيدته الشهيرة "إذا الشعب يوماً أراد الحياة" من أكثر القصائد تأثيراً وانتشاراً في الوطن العربي، تميز شعره بالحس الوطني والوجداني العميق، وباللغة العذبة والصور المبتكرة، رغم رحيله المبكر في سن الخامسة والعشرين، ينظر: ريتا عوض، أبو القاسم الشابي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1987.

² محمود بيرم التونسي (1893-1961): هو شاعر وكاتب مصري من أصول تونسية، يُعتبر أحد أبرز شعراء العامية في الأدب العربي، اشتهر بأسلوبه الفريد الذي يمزج بين البساطة والعمق، وكتب العديد من القصائد والمسرحيات التي تعكس قضايا المجتمع المصري، عُرف بنقده الاجتماعي الحاد، حيث تناول قضايا الناس وآلامهم في شعره، أثر بيرم على جيل من الشعراء والكتاب العرب، ويعتبر رمزاً للأدب الشعبي، كما كتب أغاني لأُم كلثوم، فريد الأطرش، محمد عبد الوهاب، السيد درويش، ينظر: أحمد يوسف أحمد، فنان الشعب: محمود بيرم التونسي، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962، ص 15.

³ علي الدوعاجي (1909-1949): هو أديب تونسي بارز يُعتبر رائد الأدب الفكاهي في تونس، وُلد في تونس العاصمة وبدأ مسيرته الأدبية في الثلاثينيات، حيث أسس جريدة "السرور" وكتب القصة القصيرة والشعر باللهجة العامية، من أبرز أعماله: سهرت منه الليالي، وهي مجموعة قصصية شهيرة، وجولة بين حانات البحر المتوسط، الذي يتضمن انطباعاته عن المدن المتوسطية، تُعتبر أعماله تعبيراً ساخراً عن الواقع الاجتماعي والسياسي في تونس، وقد تركت بصمة واضحة في الأدب التونسي والعربي، حيث تُمنح جائزة علي الدوعاجي في مهرجان تونس الدولي للكتاب تكريماً لإسهاماته، ينظر: علي البوجديدي، السخرية في أدب علي الدوعاجي، الأطلسية للنشر، تونس، 2010، ص 12.

⁴ مصطفى خريف (1911-1965): هو شاعر وكاتب تونسي بارز، وُلد في نفطة لعائلة أندلسية، جمع بين التراث والتجديد في أعماله الأدبية، وكتب في الشعر والمسرح والمقالات، أسس مجلة "الثقافة" وساهم في تطوير الأدب التونسي خلال فترة الاستعمار، من أبرز أعماله ديوان "الأشواق النائية"، توفي سنة 1967، تاركاً إرثاً أدبياً مؤثراً، ينظر: محيي الدين خريف، صور وذكريات مع مصطفى خريف، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1977، ص 17.

⁵ نادي تحت السور: هو تجمع في مقهى شعبي في العاصمة تونس، يلتقي فيه العديد من الأدباء والفنانين والصحفيين، وقد عرف أصحابه بحب الحياة والمغامرة، وهكذا تحول من تجمع اعتباطي ينشط أصحابه خلف الأسوار وفي الهامش إلى نادٍ أدبي تقوم عليه دراسات بأنه كَوْن أهم الأدباء في تونس ومن بينهم أيضاً أدباء مهاجرون من الجزائر، ينظر: ابتسام الوسلافي، الهامشية في الأدب التونسي: تجربة جماعة تحت السور، دار الجنوب "دراسات"، تونس، 2019.

في التاسع من شهر جانفي 1945، نشرت مجلة "المباحث التونسية"¹ قصة بعنوان "الرماد" من تأليف الكاتب محمد العربي، وقد نشرها باسم مستعار وهو ابن تومرت من عنوان القصة، يمكن فهم أنها تتحدث عما يحدث بعد الحريق أو استعار النار، أو الهدوء الذي يأتي بعد العاصفة².

تدور أحداث القصة حول شاب يعمل كرجل ساقى أو كما قال الكاتب "بارمان" (Barman)³ في ملهى ليلي في منطقة من أفريقيا الاستوائية، بالتحديد في برازافيل، في أحد أيام الأحد، الذي يعتبر يوم العطلة، يتم الاحتفال بهذا الشاب بين زملائه المعتقلين بسبب مهارته وخفته في مزج الخمور، في تلك الليلة، يلتقي الشاب بفتاة تدعى كلود.

الكاتب يصف الجو تلك الليلة بأنه مليء بالصخب والعديد من الأحداث، فيرقص الشاب مع كلود، ويتابع خطواتها في الرقص، ويعبر عن شعوره في تلك الأثناء قائلاً: "أرحت في غيبوبة كالتى يجدها رجال الصوفية عندما ينهكون قواهم في العبادة فيشعرون بأنهم امتزجوا بالذات العالية، ويجدون تلك النشوة التي أوحى إلى الحلاج أن يصرخ: أنا الله... تلك النشوة فقط هي التي أستطيع أن أصف بها ما شعرت به. واستوى ما صرخت به كلود قائلة: أنا الله! أنا كلود!"⁴

كلود تتميز بصفات المرأة الأوروبية الجريئة، تدخن السيجارة وتشرب الكحول، وفي حوارها مع الشاب، تعبر له بأن الرماد أقوى من النار لأنه يغمرها ويخمدتها، ثم ترحل كلود، وبعد ذلك، يعود الشاب إلى ذكريات طفولته، حيث يتذكر حادثة في تونس، في سان جيدمان، عندما غادر القطار مع أهله باتجاه البحر ولم يستطع اللحاق به، الآن، هو يشعر بنفس الشعور لكنه لا يستطيع البكاء.

¹ مجلة المباحث: هي مجلة تونسية ثقافية تأسست عام 1938 على يد محمد البشروش، أحد رموز التجديد في جيل أبي القاسم الشابي، وقد تميزت باهتمامها بالأدب والفلسفة والفن والتاريخ، صدرت المجلة على مرحلتين: الأولى في عام 1938 وتوقفت بعد عدد من الظروف السياسية والحرب العالمية الثانية، ثم استؤنفت في 1944 واستمرت حتى 1947 بإجمالي 45 عددًا، تولى محمود المسعدي الإشراف عليها لاحقًا، وجمع افتتاحياتها في كتابه "تأصيلًا لكيان"، شارك في المجلة نخبة من الأدباء والمفكرين مثل الطاهر قيقه وعلي الدوعاجي ومحمد الفاضل بن عاشور، وتنوعت موضوعاتها بين الأدب، والفنون، والفكر، والتاريخ، والموسيقى، والمسرح، وحتى السينما، ما جعلها منبرًا مهمًا للثقافة التونسية الحديثة، ينظر: المكتبة الوطنية التونسية، بطاقة تعريف "مجلة المباحث"، على موقع كتاب، استرجعت بتاريخ: 14 أبريل 2025، على الموقع: <https://kitab.bnt.nat.tn/ar/notice/122>

² محمد العربي، "الرماد"، مجلة المباحث، تونس، ع09، 09 جانفي 1945، ص07.

³ يشير إلى الشخص الذي يعمل في تحضير وتقديم المشروبات في الحانات أو المطاعم، هو الشخص المسؤول عن تحضير الكوكتيلات، السهر على تنظيم البار، وتقديم المشروبات للزبائن.

⁴ العربي، "الرماد"، المصدر السابق، ص07.

نلاحظ جرأة في تعبير الكاتب مقارنة بأقرانه، حيث يتناول مواضيع تعتبر مختلفة عما يُنشر في صفحات المجلات والجرائد الجزائرية، مثل العمل في ملهى ليلي، الموسيقى، والنساء، من المواضيع التي كانت مطروحة هذه الفترة هي الزواج المختلط والاعجاب والزواج بالأوربيات وهذه القصة مثال على هذه الموضوع الذي شغل فئة من الشباب يلاحظ أيضا جرأة الأدباء في تونس أو خروجهم على قيم المجتمع المسلم وكذا عما نقرأه للشباب في جرائد الاصلاح فيبدو جليا تصور الشاب هذه الفترة بالتناقض وحالة المسخ بين اسمه وما يمارسه من أعمال، حتى وصل الحال بالكاتب أن يحكي قصة من شاب دون أن يقدم لنا اسمه بل يكتفي بمهنته وهي بارمان وكأنه خلفية القصة وليس البطل بينما يحدثنا عن الشخصية الغريبة الأوربية على أنها كلود وبنحنا ملاحظها وطريقتها في الرقص والتدخين والشرب والاختفاء، هكذا كان الجزائري حتى في أدب العربي مجرد خلفية حتى وإن كان بطل القصة.

القصة تسلط الضوء على الحياة الليلية، العلاقات العابرة، والذكريات المؤلمة، وتعبر عن الحنين والألم الداخلي للشباب من خلال لقاءاته ومحادثاته، الكاتب يستخدم الرمزية والتلميحات لنقل مشاعر العجز واليأس، مما يضيف عمقا إلى النص الأدبي، يمكن أن نعد القصة بأنها عمل أدبي مهم وجريء، يعكس مهارة الكاتب في السرد واستخدام الرمزية لنقل مشاعر عميقة ومعقدة، تميزها يكمن في قدرتها على الجمع بين وصف دقيق للحياة الليلية والحنين للماضي، مع نقد اجتماعي وثقافي ضمني، إنها تُظهر جانباً من الحياة والتجربة الإنسانية الذي قلما يتم تناوله في الأدب بتلك الجرأة والعمق.

الرماد يمثل ما يتبقى بعد الاحتراق، ولذلك يرمز إلى النهاية والفناء، بعد أن تشتعل النار وتستهلك المادة، لا يتبقى سوى الرماد، مما يعكس فكرة التحول من حالة إلى أخرى، في بعض السياقات الدينية والروحية، يُمثل الرماد التوبة والتواضع، على سبيل المثال، في التقاليد المسيحية، يُستخدم الرماد في يوم الأربعاء الرمادي (Ash Wednesday) كرمز للتوبة والتواضع أمام الله، كثيراً ما يُستخدم الرماد للتعبير عن الحزن والحداد، حيث يُشير إلى ما تبقى بعد فقدان شيء أو شخص عزيز، في الثقافات المختلفة، يُستخدم الرماد في طقوس الحداد كرمز للفقدان والغم.

عندما نربط العنوان بالقصة نفهم أن الرماد هو هذا الشاب غير القادر على البكاء والنجيب، نفهم أيضا أن الرماد هو حالة وصل إليها بعد رحيل القطار وبعد افتقاد كلود - كلود التي شعر أنها هو عندما رقص معها واندمج مع حركاتها - فهل كلود هي فرنسا في ذهن الكاتب؟ خاصة أن القصة على - مشارف نهاية الحرب العالمية الثانية، أين كان متوقعا أن فرنسا سترحل عن مستعمراتها بعد ليلة من الرقص أو العبث.

2. قصص ثورية

1.2. قصة شهيد بلا قبر للحبيب بناسي

الحبيب بناسي كاتب هذه القصة هو كاتب ولد في مدينة المشرية، ولاية سعيدة، في 13 ديسمبر 1928، ألقبه والده بالكتاب لحفظ القرآن، لكنه تمرد على الطريقة التقليدية للتعليم، انضم إلى صفوف حزب الشعب الجزائري والكشافة في سن الثانية عشرة، وبرزت مواهبه خلال مجازر 8 ماي 1945¹، حيث ساعد المعتقلين وأصبح معروفاً بين الشخصيات البارزة مثل الشيخ العربي التبسي والشيخ سعيد الصالحي، غادر إلى الجزائر العاصمة لتطوير مواهبه، حيث التقى بزعماء حزب الشعب الجزائري وشارك في إلقاء الخطب وكتابة المقالات، في سنة 1947، انتقل إلى مدينة فاس بالمغرب لمواصلة دراسته، واستمر في نشاطه السياسي، متواصلاً مع قادة حزب الاستقلال المغربي².

في سنة 1951، انتقل إلى تونس للالتحاق بجامعة الزيتونة، تأثرت حياته بحدثين مهمين: الخلاف بين المكتب السياسي واللجنة المركزية لحزب الشعب، ومظاهرات طلبة تونس في مارس 1954، التي أدت إلى إصابته وفقدانه إحدى عينيه، عاد إلى مدينة بلعباس للعلاج وانقطع عن الدراسة حتى اندلاع الثورة³، ولن نتطرق إلى نهاية حياته إلا في الفصل الرابع أين سنتحدث عن نهاية هذا الكاتب المأساوية، وقد ترك كتاباً مخطوطاً في دفتر أوصى بنشره به مجموعة قصص تكشف لنا جوانب مهمة من نفسية وتفكير الكاتب.

في ملتقى وطني بالجزائر حول الأدباء الشهداء الذي نظمه اتحاد الكتاب يقول عنه أحمد بناسي: "كان شاب طموح، صحفي جريء، أديب لامع، فدائي مقدم، لذلك فإن إنتاجه يستوعب كل هذه الأوصاف"⁴ وقد حاول أحمد بناسي بمنحنا خلفيات الأديب الحبيب بناسي:

- انخيار دار الطلبة في سنة 1949 على رأس زملائه فتأثر الأديب بهذه الفاجعة ووصفها: "لم أكن حاضراً وقتها في قاعة الاجتماعات، وإنما كنت منفرداً في غرفتي، حاملاً في يدي كتاباً نسيت عنوانه وأنا مسنداً رأسي إلى النافذة وفجأة سمعت دوي انفجار هائلاً روع قلبي وغيب عقلي ويلب مني شعوري وكأن الدم جمد

¹ شريط، الأدباء ...، المرجع السابق، ص 108.

² أحمد بناسي، مقدمة صرخة قلب للحبيب بناسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 05.

³ أحمد بناسي، الحبيب بناسي من خلال إنتاجه، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر، ص 191.

⁴ نفسه.

في عروقي... لما وصلت إلى الأرض رأيت ما هالني، رأيت الدم الأحمر القاني ينزف من جبهة أخي العزيز إلى قلبي، رأيت كالح الوجه، مغبر الشاربين أشعث الرأس، لقد هالني منظره لأنه يمثل الموت والقبور... لقد مرت عليّ تلك الليلة مرعبة ولم أذق أثناءها حلاوة النوم ولا عذوبة الراحة، ليلة كلها هموم، جمدت فيها المآقي، وحزنت القلوب، ليلة لبست فيها القلوب الحداد وارتدت فيها الأرواح جلاباب الحسرة والأسى¹

— تفكك قيادة حزب الشعب فيقول أحمد بناسي: "قد تركت في نفسي جرحا عميقا وجعلته ينطوي على نفسه، ويرتدي ملابس التشاؤم، ولا ينظر إلى الدنيا إلا بمنظار أسود، وإذا كانت الحادثة قد أضرت به على المستوى النفسي والجسدي فإنها قد عادت على الحركة الأدبية الجزائرية بالخير العميم لأنها كانت السبب المباشر في تأليفه كتاب صرخة قلب بهذا الأسلوب الرومنطقي الحزين²"

يتحدث بناسي عن مشاعره خلال هذه المرحلة التي كان فيها الرصاص يضرب بين الاخوة في حزب الشعب قائلا: "هذه الكلمة نواة لهذا الكتاب، إذ هي في الواقع أول كلمة وضعتها بهذا الأسلوب الحزين، تسجل حادثة أليمة لازالت أطياف ذكراها تمر عليّ إلى اليوم... تلك الحادثة غيرت مجرى حياتي وأثرت في تفكيري فكانت نتيجتها وضع هذا الكتاب الذي يحمل أنهار من دموعي المنسكبة³"

يبدو أن الكاتب الحبيب كان من أصحاب التيار الوجداني كونه مرهف الحس مرتقيا في أحضان الطبيعة يشكو إليها ظلم الناس ونفاقهم وقسوة قلبهم، فيقول: "أيها الحب لقد جئت إلى معبدك أنشدك السعادة بعدما فتشت عنها في الإنسان، فوجدته منافقا بطبعه، راضيا بالضيم الذي يريزح تحت تقاليده ونواميسه ووجدت الناس، هو هذا الهيكل الذي هيولاه خبث، مادته تراب فكان متكبرا ومتعجرفا⁴"

لا يمكن انكار جرأة بناسي في التحدث في المحظور، فموضوع الحب آنذاك من المواضيع غير المحببة ولكن الأديب الذي وهب عينه لفكرة في رأسه وسيهب رأسه من أجل حرية شعبه لن يوقفه عن التحدث بحرية في كتاباته فيقول: "لقد جفاني الأحباب، وسأمتني الحياة، ولفظتني الطبيعة فجئت أنشد الأحباب وأنشد الحياة والطبيعة في هيكل الخلود الذي هو هيكلك أيها الحب! لقد قيدتني الحياة بهذه القيود، فتاقت نفسي إلى التحرر منها، ولكن عجزت عن إيجاد الحرية والخلاص، فجئت اطلب الحرية مع هذه الملائكة التي ترفرف بأجنحة روحانية تحت سماء

¹ الحبيب بناسي، صرخة القلب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص 61.

² أحمد بناسي، الحبيب بناسي...، المرجع السابق، ص 192.

³ الحبيب بناسي، صرخة القلب، المصدر السابق، ص 59.

⁴ نفسه، ص 25.

هذه الحرية التي ترسلها من أشعتك الالهية أيها الحب! لقد سعت إلى اصلاح هذه الجبال، وترميم هذه الهياكل الخرية، ولكن وجدتها جبالا من حديد، وهياكل من تراب وصديد، فما أجدى الاصلاح، وما أجدى الترميم، أصنام تعبد، وهي أحجار ونواميس تتبع، وهي وهم وضلال...¹

هكذا كانت كارثة سقوط المبنى على الطلبة الذي يدل على الظروف الصعبة التي كان يدرس تحتها الجزائريين والتي كانت تؤدي بجياتهم سببا في ولادة عمل أدبي مطبوع هو صرخة قلب، وعن هذا الكتاب يذكر سعد الله بأن قصة "صرخة القلب" للحبيب بناسي قد تندرج ضمن القصص السردية أو المقالات القصصية، وأشار محمد منيع إلى هذه القصة ووصف جهود المؤلف في صياغتها، حيث تجسد فيها المؤلف مشاعر الحنين والألم للوطن والتحديات التي واجهها بعد عودته من الغربة إلى وطن مضطرب، ومع ذلك، لم يقدم السيد منيع معلومات تفصيلية عن الكتاب أو محتواه، مما جعله غامضاً بالنسبة لأولئك الذين لم يقرؤوه، وتابع الحبيب بناسي نشر قصصه الحيوية والجميلة في تونس بعد انتشار الثورة وتفرق قراؤها وكتابها على الصحف الأخرى، ومن بينها الصحف التونسية خلال فترة الثورة، نشر بناسي ثلاث قصص في جريدة الزيتونة بتونس في سنة 1956، وهذه القصص تحمل عنوان "مأساة أسرة" و"شهيد بلا قبر" و"الدكتور الشهيد"، ويبدو أن هذه القصص الثلاث لم تصل إلى المؤرخ أبو القاسم سعد الله الذي قال: "ولكننا لا نعرف حالياً مواضيع هذه القصص التي يبدو أنها مستوحاة من الثورة، وكذلك لا نعرف ماذا حدث لها فيما بعد"²

قد أدت الأحداث السياسية المتأزمة إلى خيبة أمل الشباب الذين يشاهدون حربا بين الإخوة بعد المجازر التي ارتكبت في حقهم بسنتين فقط، هكذا في ظروف كهذه ولد كتاب آخر سيظل مخطوطا تحت عنوان: هذه الرجعية فاحذروها³.

أما السبب الثالث في تكوين شخصية الحبيب بناسي يعود إلى اضطراب الأحداث في تونس ففي 1954 في شهر مارس وقعت مظاهرات عنيفة قام بها الطلبة فشارك الأديب في هذه المظاهرة بكل جوارحه حتى تلقى قبلة مسيلة للدموع عاد بعدا إلى بلعباس للتداوي والذي فشل في انقاذ عينه فانقطع مؤقتا عن الدراسة ليجد نفسه أمام انفجار الثورة التحريرية التي أخرجته من حالة الانطواء فانفتح مجددا بسبب عودة الأمل إليه وعاد لكتابة المقالات

¹ الحبيب بناسي، صرخة القلب، المصدر السابق، ص 27.

² سعد الله، تاريخ الجزائر النقا...، ج 8، المرجع السابق، ص 180.

³ أحمد بناسي، الحبيب بناسي...، المرجع السابق، ص 194

فمزج بين الخبر السياسي والأسلوب الأدبي وعن استشهاد زيدور قاسم¹ صاغ الخبر على شاكلة قصة: (شهيد بلا قبر)، يعيد الباحث أحمد بناسي أن الأديب الحبيب بناسي هو أول من كتب القصة الثورية في الجزائر².

عودة إلى قصة "شهيد بلا قبر" هي قصة واقعية تم سردها في جريدة الزيتونة³ في 2 أبريل 1956⁴، تروي مأساة الشاب الجزائري أبو القاسم زيدور الذي ولد في عائلة وطنية بمدينة وهران، والده الشيخ الطيب كان عالم دين ومناضلاً، حيث قام بتربية ولده وتعليمه في جامعة الزيتونة بتونس، ثم أرسله إلى القاهرة لإكمال تعليمه ولحمايته من بطش الاحتلال الفرنسي.

مع اندلاع الثورة الجزائرية، عاد أبو القاسم إلى الجزائر وانخرط في النضال، حيث اعتقلته السلطات الفرنسية بتهمة كونه همزة الوصل بين القاهرة والثورة، تعرض أبو القاسم لأشد أنواع التعذيب في السجن، لكنه لم يعترف، حتى أغرقوا جسده بالرصاص وألقوه في البحر، وبعد فترة، وجدت جثته طافية في البحر وعُرفت لاحقاً.

— توضيحات العائلات الجزائرية في تعليم أبنائها، وآمالهم في أن يصبحوا علماء ويحققوا النجاح، سافر أبو القاسم زيدور بين تونس والقاهرة طلباً للعلم، متجاوزاً المخاطر التي قد تواجهه في سبيل تحقيق حلمه وحلم عائلته.

— تصوير الكاتب لصوت الحرية الملح الذي كان يدعو أبو القاسم لاستنشاق الحرية والمشاركة في النضال ضد الاحتلال، ما دفعه للعودة إلى الجزائر والانضمام للثورة.

— الكشف عن ممارسات الاحتلال الفرنسي في تعذيب المناضلين الجزائريين وانتهاك كرامتهم ونفسياتهم، وكيف سعى الاحتلال لإخفاء جريمة قتل أبو القاسم بسبب نشاطه الصحفي والسياسي وتأثيره الكبير.

تجسد القصة بشكل درامي مأساة شاب ناضل من أجل حرية بلاده، حيث تحكي معاناته وتعذيبه واستشهاده بلا قبر كرمز للتضحية الكبرى التي قدمها من أجل قضية وطنه، استخدام البحر كمكان لإخفاء الجثة يرمز إلى

¹ زيدور محمد إبراهيم قاسم (1923-1954): هو أول طالب مناضل يستشهد في الثورة الجزائرية، وُلد في وهران في 02 فيفري 1923، وكان ابن الشيخ سي الطيب المهاجي، حصل على شهادة الليسانس في الأدب من جامعة القاهرة في أواخر 1953، بعد عودته إلى وهران، اعتُقل بعد 24 ساعة من بدء الثورة بسبب نشاطاته النضالية، تعرض للتعذيب حتى وافته المنية، ويُعتبر تاريخ وفاته غير مؤكد، حيث زعمت السلطات الفرنسية أنه هرب من سجنه، بينما أفادت تقارير إعلامية بأن جثته وُجدت في 30 نوفمبر 1954، يُعتبر زيدور رمزاً للطلبة الجزائريين ومثالاً على مشاركتهم الفعالة في تحرير البلاد، ينظر: فايزة مقران، (18 فيفري 2024)، الشهيد زيدور محمد إبراهيم قاسم - فيلم وثائقي-، المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، استرجعت في تاريخ 06 جوان 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://enssp.dz>

² أحمد بناسي، الحبيب بناسي...، المرجع السابق، ص 195.

³ انتدبته جريدة الأخبار التونسية كمراسل رسمي لها في الجزائر واغتنم الفرصة في التعريف بالثورة وأسبابها الخفية، ينظر: أحمد بناسي، الحبيب بناسي...، المرجع السابق، ص 195.

⁴ الحبيب بناسي، "شهيد بلا قبر"، الجريدة التونسية، ع 41، 13 أبريل 1956، ص 06.

محاولات الاحتلال طمس آثار جرائمه، إلا أن الحقيقة ظهرت بفضل التحقيق الصحفي، حيث طفت الجثة إلى سطح الماء رغم تشويهها بالرصاص لتغرق دون عودة.

الأديب عالج موضوعات الطبيعة، وقضايا الحب واتجه في أسلوبه إلى الرومنسية، فتقول عنه الباحثة عايدة بامية: "إن تجربة بناسي في مجال القصة القصيرة في تلك الفترة المؤثرة تعتبر تجربة فريدة من حيث طابعها العاطفي"¹ يقول الباحث محمد علي فقيه: "تحدث قصة شهيد بلا قبر عن شاب مثقف تخرج من كلية الآداب في جامعة القاهرة، وفي أثناء وجوده في القاهرة كان يرسل الصحف الوطنية في الجزائر، ولكنه ما إن سمع بقيام الثورة حتى عاد إلى بلاده، إلا أن سلطات الاحتلال سارعت فألقت القبض عليه بتهمة أنه همزة وصل بين القاهرة، والثورة في الجزائر، ثم أدخلته إلى غياهب السجن، ولما رفض البوح بأسرار الثورة قتل، ثم رموا جثته في البحر... ووصل تأثر هذا الأديب بالثورة الجزائرية إلى درجة تأسيس حركة فدائية"²

تختم القصة بأبيات شعرية تعبر عن الحزن والفقدان، مشيرة إلى نهاية مشابحة لواقع الكاتب، الذي عاش أيضاً حياة من النضال ضد الاحتلال الفرنسي، القصة تظل شاهداً على جرائم الاحتلال وتضحيات الشهداء في سبيل الحرية والاستقلال.

فيقول الحبيب بناسي³:

ذهب الحبيب فيا حشاشي ذوي
أسفا عليه ويا دموعي أجيبي

تعبر الأبيات الشعرية عن مشاعر الحزن العميق لفقدان الشاب المناضل أبو القاسم زيدون، هذه الأبيات تعزز من تأثير القصة وتضفي عليها بعداً شعرياً يجسد الحزن والفقدان بشكل مؤثر، مما يعمق من فهم القارئ لمعاناة الأبطال وشجاعتهم في مواجهة الاحتلال، ولقد لحق الحبيب بناسي بهذا الشهيد بعد أشهر فقط من نشر هذه القصة⁴.

¹ عايدة، تطور الأدب...، المرجع السابق، ص 327.

² محمد علي فقيه، (9 جويلية 2022)، الأدب الجزائري المقاوم: وثيقة تاريخية وسلاح مواجهة، استرجعت في تاريخ 16 أبريل 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.almayadeen.net/arts-culture>

³ الحبيب بناسي، شهيد...، المصدر السابق، ص 07.

⁴ استشهد في 01 ديسمبر 1956، سيتم التفصيل في قتله في الفصل الأخير.

مما سبق نستنتج أن مسيرة الكاتب الحبيب بناسي الأدبية والسياسية تأثرت بالأحداث التاريخية، حيث انضم مبكرًا إلى حزب الشعب الجزائري والكشافة، تعرض لإصابة خلال مظاهرات الطلبة في تونس سنة 1954، وفقد إحدى عينيه، تُظهر أعماله، مثل "صرخة قلب" و"شهيد بلا قبر"، مشاعر الألم والفقدان والرغبة في الحرية، تميز بأسلوبه الجريء وعمقه الوجداني، مما جعله شخصية بارزة في الأدب الجزائري، وشاهدًا على نضال الشعب الجزائري ضد الاحتلال، وخير دليل على ذلك قصته التي قمنا بتقديمها حيث أن قلمه صاح بالحقيقة وبجرمة في حق شاب جزائري في مقتبل العمر هذه المأساة التي وقعت لأبو القاسم زيدور بعد رفضه الاعتراف عن رفاقه، وألقي بجثته في البحر، القصة تسلط الضوء على تضحيات العائلات الجزائرية في سبيل التعليم والنضال ضد الاحتلال، كما تكشف عن ممارسات الاحتلال في انتهاك حقوق المناضلين، تمثل مأساة أبو القاسم رمزًا للتضحية من أجل الحرية، وتظهر كيف سعى الاحتلال لطمر جريمته، لكن الحقيقة أُنِجحت بفضل التحقيق الصحفي.

2.2. قصة فدائية للطاهر وطار

وُلد الطاهر وطار سنة 1936 في بيئة ريفية، وسط أسرة بربرية تنتمي إلى عرش الحراكنة عند سفح الأوراس، وهو العرش الذي وصفه ابن خلدون بأنه ناتج عن تزواج العرب والبربر، كان الابن المدلل لعائلة كبيرة، تحت رعاية جدّه الذي كان شخصية بارزة في مجتمعه، عُرف بكرمه واحتضانه للمسافرين، وافتتح كتابًا مجانيًا لتحفيظ القرآن الكريم، كما كان منادًا للسلطة الاستعمارية الفرنسية، وقد انتقل وطار مع والده بحكم عمله البسيط إلى عدة مناطق، قبل أن يستقر في مداوروش، حيث وجد مجتمعًا مختلفًا في عاداته وثقافته، فانشغل بالملاحظة والتأمل أثناء تعلمه القرآن الكريم¹.

التحق وطار بمدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1950، ثم انتقل عام 1952 إلى معهد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، حيث اتسعت آفاقه الأدبية، فالتهم أعمال جبران خليل جبران²، ميخائيل نعيمة، زكي مبارك، طه حسين، الراجحي، و"ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة"، وقد سعى لمواصلة تعليمه عبر المراسلة، فدرس الصحافة والسينما في مصر، ثم التحق بجامعة الزيتونة بتونس عام 1954 لفترة قصيرة³.

¹ زهرة ديك، من روائع الأدب الجزائري (كاتب ياسين، الطاهر وطار، رشيد ميمون)، دار الهدى، الجزائر، 2014، ص 08.

² حافظ إبراهيم (1872-1932): شاعر مصري يُلقب بـ"شاعر النيل"، عُرف ببجالة أسلوبه وقوة لغته، حيث جسّد قضايا وطنية واجتماعية في شعره، وعُرف بحسه الوطني ومناصرتة للغة العربية، تناول في أشعاره مشكلات عصره بأسلوب يجمع بين الفصاحة والعاطفة القوية، من أبرز أعماله ديوانه الشعري الذي يعكس روحه النائرة واهتمامه بالقضايا القومية والاجتماعية، ينظر: نفسه، ص ص 67-92.

³ مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء...، مج 2، المرجع السابق، ص 706.

انضم وطار إلى صفوف جبهة التحرير الوطني عام 1956، وظل في صفوفها، خلال هذه الفترة، اكتشف أدب السرد الملحمي وتأثر بالروايات العالمية، فبدأ بنشر قصصه في الصحف التونسية مثل "الصباح"، و"العمل"، و"النداء"، ومجلة "الفكر"، واعتنق الفكر الماركسي، لكنه أخفى ذلك عن جبهة التحرير، بينما ظل يكتب وفق رؤيته الفكرية، عمل في عدة صحف تونسية، ثم أسس بعد الاستقلال أسبوعية "الأحرار" بقسنطينة عام 1962، وبعدها "الجماهير" في الجزائر العاصمة، لكنهما توقفتا بسبب الرقابة¹.

وتدور أحداث قصة الفدائية التي نشرها الكاتب الطاهر وطار في جريدة "الصباح" التونسية بتاريخ 22 مارس 1958 حول شابة جزائرية تدعى سعاد وصديقتها جميلة، اللتان تقومان بعملية فدائية جريئة في الجزائر².

تدور قصة "الفدائية" للطاهر وطار حول شابة جزائرية تُدعى سعاد وصديقتها جميلة، حيث تنفذان عملية فدائية جريئة ضد الاحتلال الفرنسي، تبدأ القصة بمشهد توتر في أحد شوارع الجزائر، حيث تسير الفتاتان بحذر تحت أعين الشرطة، تخفي سعاد قنبلتين بدويتين، وبدافع التخلص من المراقبة، تفتعل ارتطامًا برجل يحمل صندوقًا، ما يثير الفوضى ويتيح لهما فرصة الانسلاخ بين الحشود والتوجه نحو مركز الجندرمة لتفجيره، دون علم جميلة بحقيقة المهمة.

تُبرز القصة شجاعة سعاد وذكاءها في تنفيذ العملية، وتجسد روح النضال الوطني ضد الاحتلال، كما تؤكد على الدور الحيوي الذي لعبته النساء الجزائريات في الكفاح التحرري، مشيرة إلى أن الشباب من كلا الجنسين كانوا مستعدين لبذل أرواحهم من أجل حرية وطنهم.

3.2. قصة الأسرة... الشهيدة لمحمد مخلوفي الجزائري:

محمد مخلوفي هو أحد الأصوات الأدبية الجزائرية التي ساهمت في الكتابة الصحفية خلال فترة الاحتلال الفرنسي، رغم أن المعلومات المتوفرة عن سيرته الذاتية قليلة وغير موثقة بشكل كافٍ، إلا أن ما نعرفه عنه يتجلى من خلال أعماله المنشورة، مثل قصته "الأسرة الشهيدة" التي نُشرت في جريدة الصباح بتاريخ 10 أوت 1956³، والتي تعكس توجهه الوطني وانخراطه الأدبي في دعم القضية الجزائرية.

¹ الجابري، الأدب الجزائري...، المرجع السابق، ص 24.

² الطاهر وطار، "فدائية"، الصباح، ع 45، 22 مارس 1958، ص 05.

³ محمد مخلوفي، "الأسرة الشهيدة"، الصباح، ع 55، 10 أوت 1956، ص 09.

تدور أحداث القصة حول امرأة جزائرية تُدعى سعاد تحاول الصمود مع أبنائها في ظل الحرب الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، تعاني سعاد وأطفالها من الفقر والجوع والبرد، وفي ليلة باردة، نامت سعاد وأطفالها دون طعام، في صباح اليوم التالي، اكتشفت سعاد أن أطفالها قد ماتوا من الجوع والبرد، بينما كانت في حالة من الصدمة والحزن، دخل عليها جنود فرنسيون، وحاولوا الاعتداء عليها، ولكنها دافعت عن شرفها ببسالة، تمكنت من قتل أحد الجنود، ولكن الآخر قتلها بوحشية بعد أن أعمى عينها.

اسم "سعاد" يُستخدم بشكل رمزي ليعبر عن السعادة والأمل، ولكنه في هذه القصة يعكس التناقض بين الاسم وما عانته البطلة من مآسي وفقدان، كما تُبرز القصة معاناة النساء الجزائريات تحت الاحتلال الفرنسي، وكيف كنَّ يعانين من الفقر والجوع، وفقدان أفراد أسرهن وكرامتهن، تظهر سعاد كرمز للبطولة والشجاعة، حيث دافعت عن شرفها وأسرتها حتى آخر نفس، فتعكس القصة وحشية الاحتلال الفرنسي، وكيف أنه لم يرحم النساء والأطفال الأبرياء، كما تُصور القصة الحزن العميق واليأس الذي عانت منه سعاد بعد فقدان أطفالها، ويعبر الكاتب عن الغضب الذي شعرت به سعاد والذي دفعها للدفاع عن نفسها بشجاعة ضد الجنود الفرنسيين، ويعتمد الكاتب على أسلوب سردي مشوق يعكس الأوضاع المأساوية للمرأة الجزائرية أثناء الحرب، يوظف الكاتب الوصف الدقيق للحالة النفسية والجسدية للشخصيات لإيصال المشاعر القوية للقارئ، وتسلط القصة الضوء على وحشية الاحتلال الفرنسي وأثره المدمر على المجتمع الجزائري، خاصة على النساء والأطفال كما تعبر عن روح المقاومة والتضحية التي كانت تميز الشعب الجزائري في كفاحه من أجل الحرية والاستقلال.

قصة "الأسرة الشهيدة" لمحمد مخلوفي هي نموذج للأدب الذي يعبر عن المأساة الإنسانية تحت وطأة الاحتلال، من خلال تصوير معاناة وبطولة سعاد، اسم سعاد الذي تغنى به شعراء العرب قديما كيف ينتهك ويغتال تحت وطأة الاحتلال، يبرز الكاتب التضحيات الجسيمة التي قدمها الجزائريون في نضالهم من أجل الحرية، ويسلط الضوء على الدور الهام الذي لعبته المرأة في هذا الكفاح البطولي.

ثالثا: نماذج من الكتابات الروائية:

1. روايات اجتماعية:

1.1. رواية مريم بين النخيل للكاتب محمد ولد الشيخ أغا

هذه الرواية للكاتب محمد ولد الشيخ أغا، يمكننا تقديم لمحة عن هذا الكاتب المعروف باسم محمد ولد الشيخ الوالد بتاريخ 1907م بمدينة بشار¹، ينتمي إلى قبيلة الكرامة² في الجهة الغربية للجنوب الجزائري، درس الكتاب وتعلم الفقه على يد الفقيه محمد بن عبد الكريم، وببشار تابع دروسه الابتدائية في المدرسة (باستور) ثم بعث به والده الآغا الشيخ بن عبد الله، وهو من أعيان بشار وأغنيائها³، إلى وهران لمواصلة الدراسة الثانوية، لكن جو المدينة المشبع بالرطوبة لم يلائم صحته⁴، ورغم مرضه كان مولعا بالقراءة والمطالعة ومخالطة الشخصيات المهمة بالأدب والعلوم⁵، في الجنوب الوهراني، وتحديداً في مدينة بشار، يظل الكاتب الروائي الوحيد الذي اختار العمل داخل الهيئات الاستعمارية، لعب دوراً فعالاً في الهيئات الاستعمارية، على عكس المثقفين الآخرين الذين انقطعوا عن هذا التوجه، يتأثر الكاتب بتاريخ عائلته التي لها تأثير كبير في تطوير المنطقة⁶.

يتميز الكاتب بانتمائه إلى عائلة الأشراف الكبرى لأولاد سيد الشيخ، التي لعبت دوراً رئيسياً في تعزيز الهوية الجزائرية، من خلال الانتفاضات التي وقعت بين 1864 و 1891، أظهرت أولاد سيد الشيخ رفضهم للاستعمار وفخرهم بالهوية الإسلامية، ينعكس هذا التراث في الكاتب، الذي يحمل في داخله ارتباطاً عميقاً بالإسلام، بدون الدخول في النقاش الأيديولوجي⁷.

على الرغم من إصابته بمرض رئوي أدى إلى انقطاعه عن دراسته الثانوية، استمر الكاتب في مساره الأدبي، يعود تأثير أسرته الأرستقراطية إلى تأمين سبل عيشه، رغم قصر فترة استمتاعه بها وبعدما انقطعت علاقته بالسلطة الاستعمارية، برز محمد ولد الشيخ أغا ككاتب سنة 1924م⁸.

¹ معراج أغا، تقديم رواية مريم بين النخيل، دار فواصل للنشر والإعلام، غرداية الجزائر، 2020، ص 6.

² في كتاب أحمد منور ينسب محمد ولد الشيخ إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ إلا أن الكاتب معراج أغا وهو ابن أخت الكاتب ومترجم رواية مريم بين النخيل يؤكد أنه من قبيلة الكرامة ونرجح أن هذا المصدر أدق بصفته قريب الكاتب وينتمي إلى نفس القبيلة معه كما أنه باحث فيكون أقرب للحقيقة، وربما تبدو معلومات القبيلة غير مهمة في الوقت الحالي إلا أنها بالنسبة للباحث في التاريخ تمنحنا عدة معلومات عن الوضع السياسي الذي عاش فيه الكاتب إن كان مستقراً أو مضطرباً حسب المعلومات التي نمتلكها على كل منطقة و قبيلة.

³ نفسه، ص 7.

⁴ منور، الأدب الجزائري...، المرجع السابق، ص 208.

⁵ معراج أغا، تقديم رواية مريم...، المرجع السابق، ص 7.

⁶ في كتاب أحمد منور ينسب محمد ولد الشيخ إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ إلا أن الكاتب معراج أغا وهو ابن أخت الكاتب ومترجم رواية مريم بين النخيل يؤكد أنه من قبيلة الكرامة ونرجح أن هذا المصدر أدق بصفته قريب الكاتب وينتمي إلى نفس القبيلة معه كما أنه باحث فيكون أقرب للحقيقة، وربما تبدو معلومات القبيلة غير مهمة في الوقت الحالي إلا أنها بالنسبة للباحث في التاريخ تمنحنا عدة معلومات عن الوضع السياسي الذي عاش فيه الكاتب إن كان مستقراً أو مضطرباً حسب المعلومات التي نمتلكها على كل منطقة و قبيلة.

⁷ مومن سعد، (11 أكتوبر 2018)، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية (1920-1945)، مجلة الأنطولوجيا، استرجعت في تاريخ 06 جوان 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://alantologia.com/blogs/12542>

⁸ معراج أغا، تقديم رواية مريم...، المرجع السابق، ص 8.

الجدول رقم (08): يبرز أعمال محمد ولد الشيخ أغا الأدبية¹:

عام النشر	عنوان العمل الأدبي	جنسه الأدبي
1924	رزايا الصحراء	قصص قصيرة
1924	فجر الإسلام	قصص قصيرة
1924	الرقصة بالقناع	مجموعة شعرية
1924	أفراح في مأتم	مجموعة شعرية
1924	المهملة	مجموعة شعرية
1924	معاناة سرية	رواية
1925	المتنان	قصص قصيرة
1925	المكتوب	قصص قصيرة
1924-1928	أغاني الياسمين	مجموعة شعرية
1928	الخليفة	مسرحية
1936	مريم بين النخيل	رواية
1936	عذراء الدوار	رواية
1936	المعاناة	رواية
1936	تحيا الجزائر	مسرحية
1937	خالد شمشون الجزائر	مسرحية

يُظهر الجدول الذي يحتوي على أعمال محمد ولد الشيخ أغا مدى تنوع إسهاماته الأدبية بين الرواية، المسرح، والشعر، خلال الفترة ما بين عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، فنجد في عام 1924 وحده إنتاجًا غزيرًا يشمل القصص القصيرة مثل "رزايا الصحراء" و"فجر الإسلام"، إلى جانب ثلاث مجموعات شعرية هي "الرقصة بالقناع"، "أفراح في مأتم"، و"المهملة"، كما تظهر رواية مبكرة بعنوان "معاناة سرية"، ما يدل على أن الكاتب كان في أوج عطائه الأدبي منذ بداياته، واستفاد من الأجناس المتنوعة للتعبير عن الهموم الاجتماعية والثقافية والوجودية التي كانت تطبع حياة الجزائريين تحت الاحتلال.

فيما بعد، يلاحظ انتقاله إلى أشكال أكثر درامية، حيث نُشرت أعمال مسرحية مثل "الخليفة" عام 1928، و"تحيا الجزائر" و"خالد شمشون الجزائر" في منتصف الثلاثينيات، إلى جانب ثلاث روايات في سنة واحدة (1936): "مريم بين النخيل"، "عذراء الدوار"، و"المعاناة"، هذا التحول نحو الرواية والمسرح يعكس نضجًا في تجربته الأدبية ورغبة في مخاطبة جمهور أوسع، مع التركيز على قضايا الهوية الوطنية والصراع الثقافي، في فترة بدأت فيها ملامح الوعي الوطني تتبلور بشكل أقوى في الجزائر.

¹ من اعداد الطالبة وردة عي.

وعن اسم الرواية مريم بين النخيل فهو عن بطلة ابنة زواج مختلط فترة الثلاثينيات من القرن العشرين تعيش في وهران تنتهي بها الظروف لأن تتحول لسجينة في واحة صحراوية بعيدة بشار، صدرت الرواية بعنوان: "Meriem entre les palmiers"، عن دار النشر لبلازا بوهران، وقد نشرت سنة 1936، وأعادت المطبوعات الجامعية نشرها سنة 1985 ولم تحظ الرواية باهتمام كبير بسبب عدم تسليط النقاد الضوء عليها وفي سنة 2020 قام ابن أخت الكاتب بترجمتها أي بعد 84 سنة من صدورهما لأول مرة، والمترجم هو طبيب وشاعر يدعى معراج أغا¹ عن دار فواصل للنشر والإعلام الكائن مقرها بغرداية².

يمكن رصد سبب تأليف هكذا رواية من خلال معرفة أحداث الرواية والفترة التي كتبت فيها، أين كان الزواج المختلط بين المستعمر والمستعمر مطروحا، فلا يمكن بعين الإنسان الذي تجاوز هذه الفترة أو لم يعيشها الحكم على هؤلاء الأشخاص المتجنسين أو الذين تزوجوا من شركاء يخالفونهم دينيا وعقائديا واجتماعيا وسياسيا.

تتناول الرواية قصة مريم ديبوسي، وهي شابة جزائرية-فرنسية تنتمي لعائلة ذات تركيبة معقدة، فوالدها نقيب فرنسي يدعى ليون ديبوسي ووالدتها خديجة جزائرية مسلمة تنتمي إلى عائلة ثرية من وهران، خديجة اختارت الزواج من ليون رغم الفارق الديني والثقافي والاجتماعي، غير أن هذا الزواج سرعان ما تحول إلى عبء بعد أن شعرت بالغيرة داخل بيتها وعجزت عن تربية أبنائها وفق دينها وقيمها، خاصة في ظل رفض ليون لأي تربية دينية، وفرضه قيودًا صارمة على اللغة والعقيدة والموروث الثقافي لخديجة.

أنجبت خديجة طفلين: جون، الذي سمته سرًا حفيظ وختنته خفية عن والده، ومريم، التي كبرت في بيئة فرنسية صارمة داخل فيلا فاخرة في وهران، تعيش حياة مرفهة وتعكس مظاهر الحداثة الغربية، من تعلم القيادة وحب السفر، إلى علاقتها مع خطيب روسي سابق يدعى إيفان، بعد وفاة ليون في معركة بالمغرب، قررت خديجة إصلاح ما تعتبره خطأها بزواجها من رجل لا ينتمي إلى دينها أو وطنها، وبدأت في تعليم مريم اللغة العربية والدين الإسلامي، وسعت لتزويجها من أحمد مسعودي، صديق الطفولة المثقف والمتدين، الذي وافقت مريم على مرافقته في دروسها بل وأبدت سعادة بذلك.

¹ أغا معراج: طبيب متقاعد ولد بتاريخ 14 جوان 1956، ابن بلدة المشية ولاية النعامة، زاول دراسته الابتدائية بمدرسة التعليم العام C.E.G (متوسطة الحاج جلول حاليا بالمشية)، تابع دراسته الثانوية بثانوية عبد المؤمن بسعيدة، وبعد حصوله على البكالوريا سنة 1975 التحق بمعهد العلوم الطبية بوهران فخرج منه سنة 1982م كما أنه زاول مهنة الطب في مدينة عين تموشنت إلى غاية تقاعده سنة 2016، لأغا معراج توجه آخر غير الطب وهو الأدب حيث أنه كاتب وشاعر صدرت له مجموعة شعرية باللغة الفرنسية تحت عنوان Miroir سنة 2014م عن دار Edilivre Paris وتفرغ إلى العمل الخيري التطوعي في إطار الجمعية الولائية للتبرع بالدم جابر بن حيان يعين تموشنت، وهو عضو في المكتب الفيدرالي للاتحادية الجزائرية للتبرع بالدم مكلف بالتنظيم، ينظر: معراج أغا، تقديم رواية مريم...، المرجع السابق، ص06.

² محمد ولد الشيخ أغا، مريم بين النخيل، تر: معراج أغا، دار فواصل للنشر والتوزيع، غرداية- الجزائر، 2020.

كانت مريم تحضر لرحلة طيران ضمن سباق جوي بين الجزائر والمغرب، وهو ما عارضته أمها خوفًا على ابنتها، وخلال الرحلة، تضطر مريم وصديقها دالبري للهبوط اضطراريًا في واحة نائية حيث يتم اختطافهما من قبل رجال بلقاسم، حاكم تافيلالت، تنقل الرواية القارئ إلى عالم مغاير في هذه الواحة، حيث الفوارق الطبقيّة والاجتماعية، تعدد الزوجات، سوق الجوّاري، والسلطة المطلقة لرجل مثل بلقاسم، الذي يحكم بالقوة والقمع، ويملك قصرًا مليئًا بالخادّات المحصّنين وزوجات من طبقات مختلفة.

تُبرز الرواية تفاصيل حياة النساء في تافيلالت، من الأمة التي تُباع وتُشتري، إلى الزوجة الأولى التي تحكم القصر، والمرأة العاملة البسيطة، والعاهرة، والمتمردة مثل زهرة، التي تمثل صوت التحدي والتمرد على القهر، كما تسرد تفاصيل متعددة حول حياة الرجال: القاضي الفاسد، الفارس النبيل، الجندي الكادح، اليهودي التاجر، والسلطان المستبد الذي يحكم بخوفٍ دائم من فقدان سلطته.

يستمر الصراع حين ترفض مريم الزواج من بلقاسم رغم إغرائه لها بالحياة المرفهة، ويُسجن دالبري وتُحتجز مريم، في هذه الأثناء، يظهر جون وأحمد لإنقاذها، حيث يخطط جون لإنقاذ أخته عبر الاستعانة بزهرة، ويشارك أحمد في مسابقة للفرسان كان بلقاسم قد قرر أن تكون الجائزة فيها هي مريم نفسها، يفوز أحمد، الذي تنكر بزي فارس، ويأخذ مريم معه بعد أن يكشف عن هويته.

تبلغ الرواية ذروتها في المعركة الأخيرة بين بلقاسم وقوات الاحتلال الفرنسي، حيث يرفض بلقاسم الاستسلام رغم الفارق الكبير في القوة، وتنتهي المواجهة بهزيمته ومصرعه، بينما تفر زوجته يسة التي سبق وساعدت مريم على الهروب، تحكي الرواية بذلك قصة عبور بين هويتين، بين فقدان الذات واستعادتها، بين القمع والتحرر، وتضع مصير مريم كمجاز للمرأة الجزائرية التي حاولت أن تسترد جذورها في خضم واقع استعماري مفروض.

تناولت رواية مريم بين النخيل للكاتب محمد ولد الشيخ مجموعة من القضايا الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية التي تعكس تعقيد الواقع الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي، ويمكن تلخيص أهم أفكارها كالتالي:

سلّط الكاتب الضوء على قضية الزواج المختلط بين الجزائريين والفرنسيات، والعكس، باعتبارها موضوعًا حساسًا ومثيرًا للجدل في السياق الاستعماري، إذ يرى بعضهم أن هذا النوع من الزواج غير مجدٍ بسبب اختلاف العقيدة والثقافة، بينما يعدّه آخرون وسيلة للتقارب بين المسلمين والمسيحيين، وقد عالج الكاتب هذه الإشكالية كرمز لمسألة الهوية والانقسام الثقافي، مجسّدًا من خلالها مأزق العيش بين عالمين متضادين.

أما الدين، فقد شكل خلفية فكرية قوية في الرواية، حيث حرص الكاتب على الدفاع عن الإسلام وإبراز عظمة مبادئه، مستعيناً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتوضيح مقاصده، ويبرز في الرواية التمسك بالعقيدة كعنصر أساسي في الحفاظ على الهوية ومواجهة التحديات التي يفرضها الاحتلال.

العصرنة ظهرت بوضوح في حياة مريم وجون، اللذين يعيشان حياة عصرية متحررة مستوحاة من النمط الأوروبي، ما يعكس التباين بين أنماط الحياة التقليدية والعصرية، وبين القيم الغربية والشرقية، كما تجلى ذلك في العلاقات الاجتماعية المختلطة والتجارب العاطفية العابرة للثقافات.

قدّم الكاتب شخصيات رجالية متنوعة تعكس أنماطاً مختلفة من الرجال في المجتمع، من القادة المتسلطين إلى البسطاء الكادحين، ومن الشخصيات الظالمة إلى أولئك الذين يدافعون عن القيم الإنسانية، وقد أظهر تنوع الأدوار والهوية الذكورية، وكشف عن تعقيدات الحياة التي تواجه الرجال في مجتمع غير مستقر.

كذلك، أبرزت الرواية أبعاداً متعددة لصورة المرأة، من خلال شخصيات نسائية قوية ومتمردة مثل مريم، وأخريات مكافحات مثل فاطمة، وقد تناولت الرواية التجارب العاطفية والإنسانية للنساء، وعكست واقع التهميش والقهر الذي تعاني منه المرأة في مجتمع تقليدي واستعماري في آنٍ معاً.

من ناحية القمع، تظهر الرواية ممارسات السلطة الاستعمارية القاسية، خاصة في شخصية النقيب ليون الذي يمنع زوجته خديجة من ممارسة دينها وتعليم أبنائها اللغة العربية، ما يكشف عن سياسات التجنيس القسري ومحاولة طمس الهوية الجزائرية.

استعرض النص الوضع المأساوي لمجتمع تافيلالت، من حيث التهميش وفقدان أبسط مقومات الحياة، في إشارة إلى الإهمال المتعمد من قبل الإدارة الاستعمارية، وما نتج عنه من فوارق اجتماعية واقتصادية صارخة.

فرنسا في الرواية تظهر من وجهتين: كرمز للحرية والتحرر من التقاليد بالنسبة لبعض الشخصيات، وكقوة استعمارية تمارس السيطرة والنهب والتدخل السياسي في حياة السكان المحليين، هذا التناقض يعكس رؤية الكاتب المعقدة تجاه فرنسا كمستعمر ومصدر للحدث في آنٍ واحد.

أما موضوع التجنيس، فقد تم التطرق إليه من خلال العلاقة بين جون ومريم، إذ يمثل كل منهما ثقافة وديناً مختلفاً، ويعكس هذا التباين فشل سياسة الاستيعاب الفرنسية، ويظهر الكاتب من خلال ذلك أن الحفاظ على الهوية الأصلية كان تحدياً كبيراً في ظل سياسات التجنيس، خاصة مع اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية سنة 1935 ومنع تدريسها في 1938، ما يكشف البعد الثقافي العنيف لهذه السياسات.

في رأي أبو القاسم سعد الله، تُعد رواية مريم بين النخيل تعبيراً عن رفض الكاتب محمد ولد الشيخ لفكرة الاندماج بين الجزائريين والفرنسيين التي نادى بها بعض الطرفين، حيث رأى في هذا الاندماج أمراً مستحيلاً، كما أشار سعد الله إلى ميل الكاتب الفكري نحو توجهات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من خلال دعوته إلى الإصلاح ومحاربة الطرق الصوفية المنحرفة والبدع، ودفاعه عن الإسلام واللغة العربية في أعماله الأدبية¹.

رغم أن محمد ولد الشيخ لم يحظَ باهتمام واسع في الدراسات الأدبية مقارنة بأسماء أخرى، إلا أن أبو القاسم سعد الله أشار إلى اسمه في تاريخ الجزائر الثقافي، وإن كانت معلوماته عنه محدودة في ذلك الوقت، غير أن رأي سعد الله بدا مناقضاً لأفكار رواية مريم بين النخيل، حيث ركّز على رفض ولد الشيخ لفكرة الاندماج، في حين تُظهر الرواية مشروعاً لوطن جديد يُبنى تحت راية فرنسا من خلال جيل مختلط، ما يعكس تطلعات بعض الشبان الجزائريين في ثلاثينيات القرن العشرين، كما أن الرواية لا تتجاهل الطرق الصوفية، بل تقدمها كملاذ روحي، خاصة من خلال شخصية خديجة، من جهة أخرى، يرى الباحث مومن سعد أن ولد الشيخ كان شخصية موهوبة كتب في صحيفة "الحق"، وأصدر عام 1936 رواية تُعد الخامسة جزائرياً باللغة الفرنسية، وتُبرز تعقيدات الزواج المختلط وصراعات الهوية والتنشئة في ظل الاحتلال.

تمت إعادة نشر "مريم بين النخيل" في الجزائر المستقلة سنة 1985، حيث قدم أحمد الأنصاري تقديمًا مفصلاً حول الظروف التاريخية والثقافية لفترة ما بين الحربين، ويعتقد مومن سعد بأن محمد ولد الشيخ الروائي الوحيد الذي نال قبولاً في الجزائر اليوم، حيث أُعيد إدماجه في التراث الأدبي الوطني الرسمي، مما يميزه عن كتاب آخرين عاصروه، في تلك الفترة، لفتت رواية بارزة انتباه القراء وهي "مريم بين النخيل" للكاتب محمد ولد الشيخ، التي نشرتها دار بلازا في وهران سنة 1936، يبدو أن أصحاب هذه الروايات الرائدة كانوا من المدافعين عن الاندماج، مما يفسر ندرة آثارهم في المكتبات الجزائرية، باستثناء رواية محمد ولد الشيخ التي تم إعادة نشرها في سنة 1985، مما فتح الباب لنا لاطلاع على محتواها والتعرف على مهارة الكاتب في التحكم في فنون السرد².

صنّف بعض النقاد الرواد الجزائريين الناطقين بالفرنسية ضمن خانة الداعين للاندماج، دون التعمق في دراسة أعمالهم، وهو حكم استمر تداوله دون مراجعة حتى في الدراسات الحديثة، مما جعله يُكرر بشكل نمطي بين أغلب الأدباء، باستثناء قلة مثل نظيم شاوش الذي انتقد هذا التبني الأعمى للأحكام الفرنسية القديمة، وهاجم من حاولوا

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 180.

² مومن سعد، (11 أكتوبر 2018)، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية (1920-1945)، مجلة الأنطولوجيا، استرجعت في تاريخ 06 جوان 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://alantologia.com/blogs/12542>

تزييف التاريخ باتباعهم لنقاد مثل "مارسي" و"بارك" و"سطورة"، ومن بين هؤلاء الكتاب، يُعد محمد ولد الشيخ الأكثر قبولاً واعترافاً، حيث أُدرج ضمن التراث الأدبي الوطني، دون أن يُخلد اسمه في المؤسسات الثقافية أو التعليمية، وتُعتبر أعماله، خصوصاً رواية مريم بين النخيل، نموذجاً لجرأة الكتابة والإبداع في مواجهة الاحتلال، حيث استخدم اللغة الفرنسية للتعبير عن قضايا الهوية، وجعل من فضاء الواحة رمزاً للجزائر، بتناقضاتها وجمالها وصراعاتها، ووسيلة لإبراز الثقافة المحلية المتجذرة في الجنوب الجزائري¹.

يتناول الباحث أحمد رحمانى سيرة وأدب محمد ولد الشيخ آغا بوصفه "الأديب الجزائري المنسي"، مشيراً إلى انحداره من مدينة بشار وثرأ بيئته الاجتماعية والثقافية، واختياره لحياة الكرامة والابتعاد عن الإدارة الاستعمارية، ورغم القيمة الإبداعية لروايته مريم بين النخيل، إلا أن اسمه طاله الإهمال والنسيان، ولم يُمنح التقدير الأدبي الذي يستحقه. يرى رحمانى أن الرواية تُعد نموذجاً للإبداع المعيب، وقد عادت إلى دائرة الاهتمام مؤخراً عبر ترجمتها إلى العربية، في اعتراف متأخر بمكانتها الأدبية، كما ينتقد المحاملات السائدة في الأوساط الأدبية ويدعو إلى إعادة إحياء تراث كتاب مبدعين أمثال ولد الشيخ الذين خلفوا إرثاً جديراً بالتأمل والتقدير².

أما مترجم الرواية وقريب الكاتب معراج آغا يرى بعد نشره لرواية "مريم بين النخيل" لمحمد ولد الشيخ بأنها نالت اهتماماً كبيراً مؤخراً، وزاد الطلب على نسختيها العربية والفرنسية، مما يبشر بعودة الاهتمام بأعمال الكاتب الذي كان مهملاً لسنوات، حيث في البداية، كانت الجامعات الفرنسية وحدها تهتم بهذا الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، ورغم انشغال المترجم بالدراسة الطبية في السبعينات، لم يتوقف عن البحث عن أعمال خاله محمد ولد الشيخ، سواء في المكتبات أو عبر أفراد العائلة، حيث قام بجمع معلومات متناثرة من والدته وأحواله، وقرر تنظيمها لتصبح قاعدة لأعماله المستقبلية، كما زار مكتبة فرانسوا ميتران (François Mitterrand) في باريس للبحث أكثر، ثم قرر ترجمة الرواية للعربية بدعم من أصدقائه، ورغم صعوبة التعامل مع دور النشر، استمر حتى تم نشر الرواية³.

2.1. رواية غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو

¹ عبد الحفيظ بن جلوي، (16 أوت 2022)، الرواية الفرنكوفونية في الجنوب الغربي، منصة فيسبوك، استرجعت في تاريخ 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com/share/12CHf7RNE51>

² أحمد رحمانى، (10 فيفري 2021)، الأديب الذي اغتالته الذاكرة وقبرته معاوّل التناسي، على منصة فيسبوك، استرجعت في تاريخ 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com/share/p/1BEUNzVQPY>

³ معراج آغا، (26 أفريل 2022)، رواية مريم بين النخيل لمحمد ولد الشيخ، مدونته على الفيسبوك، استرجعت في تاريخ 20 جوان 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com/share/PTgMoetRvAkUdkbz>

وُلد أحمد رضا حوحو في سنة 1907 في بلدة سيدي عقبة، وقد تم تسجيل ولادته في السجل المدني لبلدية سيدي عليّة في سنة 1911، وكان ابناً لمحمد رضا حوحو، شيخ عشيرة أولاد العربي وكبير شخصياتها، دخل المدرسة القرآنية عندما كان عمره أربع سنوات، وعندما بلغ سن السادسة انتقل إلى المدرسة الفرنسية الرسمية، نظراً لأن التعليم في المدرسة الفرنسية كان يقتصر على اللغة الفرنسية فقط، فقد أشرف والده على دروس خاصة في اللغة العربية وتولى بعض شيوخ القرية تعليمه القرآن الكريم ومبادئ الفقه وقواعد النحو والصرف، كانت هذه العلوم الأساسية هي التعليم العربي الذي كان يعتمد عليه الجزائريون في ذلك الوقت، خاصة في غياب مدارس عربية رسمية تشرف عليها الدولة، وعندما انتهى من دراسته الابتدائية، انتقل إلى مدينة سكيكدة لمتابعة دراسته المتوسطة لمدة ثلاث سنوات وحصل على شهادة المواصلّة، ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث حصل على وظيفة في مصلحة البريد والبرق والهاتف، وفي سنة 1929، شارك في تأسيس جمعية الشباب العقبي الثقافية في سيدي عقبة وأصبح أميناً سرها وعضواً فعالاً، خاصة في مجال التمثيل المسرحي الذي كان يشكل النشاط الرئيسي للجمعية، وفي سنة 1930 تزوج، وفي سنة 1935 هاجر مع أسرته إلى الحجاز، تأثرت حياته بشكل كبير بتلك الهجرة وكان لها تأثير مباشر على توجهه الفكري وتطوره الأدبي¹.

في المدينة الصورة كتب وهو بداية من السماء 1937 في مجلة الرابطة العربية لأمين سعيد الصادرة في القاهرة مجلة المنهل الصادرة في مكة المكرمة حيث تعتبر هذه المجلة عبارة عن حافظة لكتاب الثلاثينيات من القرن العشرين، خلال رحلاته إلى الغرب قارن حوحو التفاوت بين الشعوب العربية والغربية من الحقوق والحريات، وهو الذي عبر سنة 1949 في باريس بمؤتمر السلام العالمي قائلاً: "إن الجزائر تتجرع كل يوم ويلات الحرب يشقى الوسائل برغم تطلعها إلى السلام وأنها لا تريد أن ترى دماء أبناءها تسيل منهمرة"².

بعد الحرب العالمية الثانية عاد حوحو إلى الجزائر سنة 1946 وبدأ في المساهمة في العمل الوطني، فأصدر الصحف وأصبح مديراً لمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، ثم أميناً عاماً لمعهد بن باديس منذ انشائه وبجانب أعماله الإدارية لم يتوقف حوحو عن الكتابة الصحفية والأدبية فعرف عنه الأدب الساخر فتهكم بالاحتلال وبأفعال يمارسها المجتمع، كما كتب في البصائر وأسس جريدة الشعلة سنة 1949 مع أصدقائه وحين الثورة تحول المعهد إلى خلية سرية للثورة يرأسها مزغودي وبوغابة³ التي تولى رئاسة تحريرها وقد كانت الصحافة مجالاً مهماً لتجلى قدرة الكاتب

¹ أحمد منور، الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر، ص 123.

² ولد العروسي، أعلام من الأدب...، المرجع السابق، ص 77.

³ بلي، النهضة الفكرية في الجزائر...، المرجع السابق ص 458.

الأدبية في مقالاته وقصصه وقد كتب من المسرح والقصة القصيرة أيضا وقد كان انتاجه ثريا¹، نشر حوحو في مجلة هنا الجزائر وهذا ما أورده المؤرخ أبو القاسم سعد الله في كتابه ولكنه ليس متأكد من هذه المعلومة².

يُعد أحمد رضا حوحو من أبرز رواد الأدب الجزائري المكتوب بالعربية، رغم تكوينه الفرنسي وتخرجه من مدرسة فرنسية بسكيكدة، فقد اختار عن وعي الكتابة باللغة العربية، متأثراً ببيئته وثقافته، أنشأ سنة 1948 جمعية "المزهر القسنطينية للموسيقى والتمثيل"، وألف العديد من المسرحيات³، بعضها لا يزال غير معروف، كما أشار الباحث محمود الريد أوي في مقال له بـ **مجلة الثقافة** عام 1973، مبرزاً مسرحيات مجهولة مثل بائعة الورد والأستاذ وعنبسة، انطلقت مسيرته الأدبية فعلياً من الحجاز حيث نشر مقالاته وترجماته، ومنها روايته الأولى غادة أم القرى، ونشر ترجمات لأعمال فرنسية في مجلة المنهل بمكة المكرمة⁴، وصفه أحمد دوغان بـ "رائد الكلمة الشجاعة"⁵، نظراً لجرأته وصراحته في تناول قضايا المجتمع، وهو ما تأثر به من بيئة بسكرة، حيث لفت نظره التناقض بين التدين الشعبي وزيارة الأضرحة، فكان نقده للعادات والتقاليد واضحاً في أدبه الاجتماعي.

صدرت الرواية (غادة أم القرى) سنة 1947⁶، هذا العمل تتباين الآراء حول جنسه، هناك من يعتبرها قصة، وهناك من يعتبرها رواية كل معتمد على آراءه وحججه، ولكننا سنضعها في التسمية التي منحها لها الكاتب نفسه أحمد رضا حوحو لأننا بصدد دراسة ما يُصنفه الكاتب بحسب مفهومه في ذلك الوقت، أما عن محتوى الرواية فهي تتكون من خمسة عشر فصل يمكن إيجازها.

حيث تدور أحداث رواية غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو في مدينة أم القرى، حيث تعيش زكية، فتاة شابة نشأت في بيئة محافظة مع والدتها وأختها أسمى ووالدها الشيخ سليمان، تتطور مشاعر زكية تجاه ابن خالتها جميل، وهو شاب يتيم فقد والده في الحرب، نشأ في كنف الكفاح والكرامة، ويعمل في وظيفة بسيطة بعد حصوله على الشهادة الابتدائية، في هذه الأجواء، يكشف الكاتب عن طبيعة العلاقات الاجتماعية والقيود الصارمة المفروضة على المرأة، ويبدأ الصراع العاطفي حين يتقدم جميل لخطبة أسمى.

¹ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص 170

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ...، ج8، المرجع السابق، ص 144.

³ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص 170.

⁴ شريط، الأدباء ...، المرجع السابق، ص 107.

⁵ دوغان، شخصيات من الأدب ...، المرجع السابق، ص 33.

⁶ أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، المطبعة الجزائرية الإسلامية، الجزائر، 1947.

يتعقد الصراع عندما يزور الشيخ أسعد، الرجل الثري المتسلق، منزل الشيخ سليمان طالبًا تزويج ابنه رؤوف، المعروف بسوء خلقه، من إحدى بناته، يرفض الشيخ سليمان العرض بسبب ارتباط ابنته بجميل، مما يثير حقد أسعد وابنه اللذين يقرران الانتقام من جميل، يدبر رؤوف مكيده محكمة يتهم فيها جميل زورًا بشرب الخمر والاعتداء عليه، ويقدم شهود زور، فيحكم على جميل بالسجن ستة أشهر والجلد ثمانين جلدة، فتنهار سمعته وكرامته أمام المجتمع.

تصاب زكية بانحيار عصبي بعد سماعها خبر سجن جميل، وتفقد وعيها ثم عقلها تدريجيًا، في حين تحاول فاطمة، والددة جميل، إنقاذ ابنها بشتى الطرق، وتلجأ إلى الملك عبد العزيز خلال موسم الحج، ورغم أن محاولتها الأولى تفشل بسبب البيروقراطية، فإنها في الثانية تنجح في إيصال صوتها، ويأمر الملك بإعادة التحقيق، ويكشف التزوير والظلم، لكن المأساة تتضاعف عندما يعلن أن جميل مات في السجن قبل أن يُنصف.

في لحظة تتقاطع فيها المأساة والقدر، تلفظ زكية أنفاسها الأخيرة وهي تردد اسم جميل، بعدما فشلت كل محاولات إنقاذها نفسيًا وجسديًا، يتلقى أهلها نبأ وفاة جميل في اللحظة نفسها، لينتهي العمل على مشهد درامي مؤلم يعري الظلم الاجتماعي ويدين الرياء، ويفضح كيف تُداس القيم في مجتمع محافظ يُعلي من شأن المال والنفوذ على حساب الحقيقة والفضيلة، الرواية تعكس نقدًا اجتماعيًا حادًا وتبرز قوة الكلمة في الدفاع عن المظلومين.

نالت الكتابات الأدبية لأحمد رضا حوحو اهتمامًا كبيرًا، خاصة روايته عادة أم القرى التي عبّر فيها عن معاناة المرأة الحجازية مع التعليم وحققها في التعبير، كما أشار بن قينة إلى أن هذه المعاناة تمتد لتشمل المرأة الجزائرية أيضًا، حيث تشتركان في مواجهة واقع ظالم وقاهر، وتبرز في أعمال حوحو قوة العاطفة التي يلجأ إليها للتعبير عن مشاعر الحرمان والقيود المفروضة بفعل التقاليد الصارمة، مما يعكس عمق نقده الاجتماعي للبيئة المحاطة¹.

تتميز كتابات حوحو بالجرأة والتوع وحرية التعبير والرأي، حوحو بالواقعية فهو يستمد معارفة وشخصيات قصصه من الواقع الذي يعيش داخله، فقد أكد حوحو عن التأثير بمجتمعه فقال: "التجأت إلى المجتمع وانتزعت من مختلف طبقاته نماذج عشت مع بعضها وسمعت عن بعضها، نماذج حيّة أقدمها للقارئ لعله يتوصل بها إلى تفهم بعض طباع مجتمعه فيلمس أنين نفس في أحقر شخصية ويلمس الإيمان القوي في قلب الرجل الضال، والزيف والاحاد تحت عمامة رجل شرع"²

¹ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص 172.

² شريط، الأدباء ...، المرجع السابق، ص 107.

يرى الباحث عبد الحفيظ بن جلولي أن رواية غادة أم القرى تمثل محطة مهمة في تطور الرواية الجزائرية، حيث جاءت في مرحلة انتقالية بين رواية الحمار الذهبي لأبوليوس وأعمال لاحقة مثل ربح الجنوب واللاز، وبرغم بساطة لغتها ومباشرتها، فإن الرواية تعكس تطوراً فنياً وجمالياً، وتستمد قوتها من سياقها التاريخي الذي يمنحها طابعاً دفاعياً وتوثيقياً، يعتبرها الباحث نصاً تبشيراً وفنياً يجمع بين البعد النضالي والوعي الاجتماعي، خصوصاً من خلال تناولها لوضعية المرأة كأداة لنقد التقاليد الاجتماعية التي تعيق التقدم، ويشيد بأسلوب حوحو البسيط والمباشر الذي يستهدف فئات واسعة من المجتمع بهدف إثارة الوعي الوطني¹.

ويرى الباحث الطيب ولد العروسي أن حوحو كتب عمله الأول غادة أم القرى وقد أصبح أحد أهم الأعمال الأدبية العربية، كما يرى بختي بن عودة أن حوحو كتب عن موضوع لا يتعلم فيه داخل المجتمعات الذكورية، والملاحظ لأعمال حوحو وكتاباته أنها في العادة تخلو من روح الابداع في الصحافة الإصلاحية وأن لغتها العربية غير مفهومة بينما هي بسيطة ومبدعة في أعماله الأدبية الحرة وقد لبس المهوم الحقيقية حين غادر الحدود التي فُرضت عليه².

أما الروائي والناقد السعودي أحمد أبو الدهمان³ يرى بأن أحمد رضا حوحو لديه الدور الكبير في ريادة القصة في العالم العربي وقد وجد وثائقاً هامة تؤكد أن حوحو أراد نشر أم القرى وهو في السعودية أي قبل 1947 في المجلات السعودية لكنه مُنع من ذلك وربما سبب العودة إلى الجزائر كان أدبيا فالسعودية أغلقت أبوابها في وجه حوحو، فيرى أبو الدهمان أن الجزائر والسعودية لم تمنح الأديب حقه وأن أدبه لا يزال قابعا في أرشيفه العائلي أو موزعة لدى أصدقاءه في الحجاز⁴.

كما ترى الباحثة عايدة بامية أن أحمد رضا حوحو تميز عن غيره من الأدباء في تناوله لشخصية المرأة، حيث لم يصورها بصورة باهتة كما فعل كثير من الكتاب، بل قدّمها من موقع الاهتمام والدفاع عنها، وليس من باب الشفقة. وتشير إلى أن بطلنة رواية غادة أم القرى سعودية وليست جزائرية، وأن النهاية المأساوية لركية كانت بفعل الصدف التعيسة لا التقاليد، مما اعتبرته نقطة ضعف في حبكة الرواية، كما تنتقد بامية حوحو لسقوطه في فخ

¹ عبد الحفيظ بن جلولي، (10 أكتوبر 2018)، وثائقية النص في رواية «غادة أم القرى» لأحمد رضا حوحو، صحيفة القدس العربي، استرجعت في تاريخ 06 جوان 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.alquds.co.uk/>

² ولد العروسي، أعلام من الأدب...، المرجع السابق، ص 82

³ أحمد أبودهمان: كاتب وقاص سعودي، ولد في قرية آل خلف الواقعة في محافظة سراة عبيدة في منطقة عسير، جنوب المملكة العربية السعودية، مقيم في العاصمة الفرنسية باريس، ألف رواية الحزام بالفرنسية في سنة 2000، وطبعها دار (غاليمار) الفرنسية، وعلى إثرها حقق نجاحاً كبيراً في فرنسا، ينظر: مريم الصغير، (09 نوفمبر 2016)، أبو دهمان: الحزام ليست سيرة ذاتية... ولم أصنفها (رواية)، مجلة عكاظ، استرجعت في تاريخ 06 جوان 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.okaz.com.sa/culture/na/1507954>

⁴ ولد العروسي، أعلام من الأدب...، المرجع السابق، ص ص 88-99

التعميم، معتبرة أن الأمية في صفوف النساء كانت نتيجة حلقات اجتماعية معقدة تورط فيها الرجل أيضًا تحت الاحتلال الفرنسي، وتلفت إلى أن موضوع الحب كان من المحرمات الأدبية في أربعينيات القرن الماضي، حتى بين الكتاب الجزائريين الفرنكوفونيين، مما يجعل من تناول حوحو لهذا الموضوع خطوة جريئة في سياق محافظ¹.

كما كتب صالح خرفي كتابًا حول حياة حوحو في الحجاز، وقد ألقى ضوءًا جديدًا على حياته الأدبية هناك، أحد أعمال حوحو المبكرة نُشرت في مجلة "المنهل" في ختام سنتها الأولى بعنوان "نبيل"، وعند عودته إلى الجزائر، كتب حوحو القصص ونُشرت في "البصائر" وغيرها، وجمع ما كتب في كتابين هما "مع حمار حكيم" و"صاحبة الوحي وقصص أخرى"، وكذلك "نماذج بشرية"، كما نشر في مجلة "إفريقية الشمال" التي كان يجرها إسماعيل العربي، ومن أمثلة قصصه فيها "جرمة حماة"، كما نُشرت قصصه في مجلة "هنا الجزائر"، على ما يبدو².

يُعتبر "حوحو" دون شك من أبرز الكتاب الجزائريين موهبة وإلمامًا بفن القصة القصيرة في مرحلتها الأولى، وعلى الرغم من بعض الضعف الذي قد يعتري بعض قصصه، إلا أن أعماله تعكس معرفته بالقواعد الأساسية لفن القصة القصيرة، يتميز "حوحو" عن غيره من كتاب تلك الفترة بكونه واحدًا من قلة من الكتاب الجزائريين الذين قرأوا الأدب الفرنسي إلى جانب الأدب العربي، وعلى عكس الكثير من كتاب المرحلة، لم يكتب حوحو من أجل خدمة العلماء أو التعبير عن سياساتهم من خلال القصص، بل كان يكتب لإشباع رغبته الشخصية في الكتابة، ومع ذلك، قدم "حوحو" خدمات للجمعية من خلال دفاعه عن قضاياها، ولكنه عندما قام بذلك كان أسلوبه مباشرًا وبسيطًا، مما جعل قصصه ذات الطابع الدعائي غير ناجحة بشكل عام؛ لأن تلك الكتابات لم تعبر عن طبيعته الحقيقية، بل بدت كأنها محاولات تجارية، وهذا لا يعني أن آراء "حوحو" كانت متناقضة مع العلماء، بل إن حالته تكشف عن التناقض بين الوعظ المباشر وبين الفن³، حيث يصعب الجمع بينهما بشكل طبيعي⁴.

3.1. رواية الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي

ولد عبد المجيد الشافعي في 22 جويلية 1933 وتوفي في 23 نوفمبر 1973، وبين هذين التاريخين عاش حياة مليئة بالمآسي والمعاناة، حيث نشأ في ظل الاحتلال الفرنسي الذي كان يزرع تحتها الشعب الجزائري، بدأ الشافعي تعليمه في الكتاب المحلي وانتقل بعدها إلى زاوية سيدي عبد الرحمن بن الحمالوي في التلاغمة، والتي كانت

¹ عابدة، تطور الأدب...، المرجع السابق، ص 318-323.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص144.

³ مما يعكس سعيه لخلق توازن بين الفن القصصي والرسالة الإصلاحية.

⁴ عابدة، تطور الأدب...، المرجع السابق، ص 328.

مركزًا دينيًا وتعليميًا مهمًا في الشرق الجزائري، ثم استكمل تعليمه الثانوي في جامعة الزيتونة في تونس، التي كانت تمثل قبة علمية للجزائريين في ذلك الوقت، خلال فترة دراسته في تونس، تفتحت موهبة الشافعي الأدبية، وكتب قصة "الطالب المنكوب"، التي تعتبر ترجمة لسيرته الذاتية، ولكنها تعبر أيضًا عن معاناة الشعب الجزائري بأسره في ظل الاحتلال الاستيطاني¹.

في سنة 1952، عاد إلى وطنه محملاً شهادة التحصيل التي تُحول حاملها القدرة على التدريس، وسرعان ما انضم إلى مجال التعليم تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تم تعيينه كمدرس في إحدى مدارسها، لقد أثار مهارته في التدريس وحسن معاملته إعجاب التلاميذ وتفاعلهم معه بشكل كبير، وفي ذلك الوقت، تواصل وتطورت صداقته مع الأديب الجزائري الموهوب أحمد رضا حوحو، نتج عن هذه العلاقة التعاونية إنشاء تمثيليات لأعمال حوحو على خشبة المسرح، بالإضافة إلى المسرحيات التي كتبها الشافعي بنفسه، والتي قام التلاميذ بتمثيلها داخل وخارج المدرسة².

انطلقت الثورة التحريرية الكبرى في الأول من نوفمبر سنة 1954، وعاش الشافعي حزنًا عميقًا لفقدان صديقه وزميله الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو، الذي تم اختطافه وقتله بطريقة وحشية لا مثيل لها تحت ظلمة الليل، وعلى الرغم من المأساة، إلا أن جوابًا لهذه الفاجعة كان موجودًا؛ إنها التضحية من أجل الله والوطن، كان الشافعي يدرك أن الثورة تتطلب تضحيات، ولذلك اضطر إلى مغادرة الوطن في سنة 1956 باتجاه فرنسا بسبب متابعة مصالح الأمن الاستعماري لنشاطه الثقافي والسياسي الذي كان يدعم الثورة، قضى سنوات في فرنسا حتى سنة 1959، عندما تمكن من العودة إلى الوطن، عمل في التعليم في مدرسة مولود فرعون بقالة حتى سنة 1962، وهو العام الذي عين فيه مديرًا لمدرسة الشهيد خليل مختار في شارع سويداني بوجمعة، الشارع الرئيسي في مدينة قالة اليوم، بعد ذلك، أصبح مستشارًا تربويًا ومفتشًا في سلك التعليم³.

¹ فوزي حسانينة، (03 جوان 2020)، الأديب الراحل عبد المجيد الشافعي: حبٌ وألمٌ... "أو عندما يتكلم الصمت"، استرجعت في تاريخ: 21 أبريل 2023 من الموقع الإلكتروني، <https://alme7war.net>

² نفسه.

³ شريط أحمد شريط، (29 مارس 2021)، بحوث ودراسات رواد الإصلاح أحمد رضا حوحو وعبد المجيد الشافعي، استرجعت في: 21/04/2023 من الموقع الإلكتروني، <https://binbadis.net/archives/11210>

يختلف البعض في تصنيف "الطالب المنكوب"، حيث يعتبره البعض رواية، في حين يصنفه آخرون في فئة القصة الطويلة، تم نشرها في سنة 1951 وهو لا يزال طالبًا في تونس، وتتناول الرواية رحلة السعي وراء العلم والحب في ظل أجواء من البؤس والفقر.

تباين آراء النقاد حول تصنيف "الطالب المنكوب"، حيث يعتبره البعض رواية، بينما يصنفه آخرون ضمن القصة الطويلة، نُشر العمل سنة 1951، ويستعرض رحلة البحث عن العلم والحب في ظل ظروف من البؤس والفقر، تتألف الرواية من مقدمة وستة عشر فصلاً، وقد صدرت عن مطبعة الشريف في تونس¹.

يبدأ الكاتب بتقديم شخصية عبد اللطيف، الذي نشأ في بيئة مليئة بالظلام والجهل، حيث عانى من قسوة قومه وفقدانه لوالديه الذين كانا يسعيان لتربيته وتعليمه، رغم التحديات، ظل عبد اللطيف مرتبطاً بالعلم، ومع مرور الوقت قرر بيع المنزل الذي ورثه عن عائلته بسبب ظلم قومه، وأصبح في حالة نفسية مضطربة، حيث يعبر الكاتب عن مشاعره قائلاً: "أزعم الشاب الرحيل عن مسقط الرأس، وهو يتأسف لما أصابه فيه من تعب ونكد"

غادر عبد اللطيف قومه متوجّهاً إلى تونس، لكنه واجه العديد من الصعوبات، فاتته الرحلة بسبب التعب، وضاعت تذكّراته، وتسبب سوء فهم لحالته في اعتقاله، بعد أن أُطلق سراحه، عمل لدى نجار لتوفير المال اللازم للسفر، وفي رحلته الثانية، شعر بالوحدة وهو يلاحظ أن الآخرين كانوا يساعدون بعضهم في حمل أمتعتهم.

في تونس، قرر عبد اللطيف الالتحاق بكلية الزيتونة، بفضل مساعدة أحد الطلاب، أصبح طالباً في الكلية وكون صداقة مع عبد الودود، الذي ساعده في تقديم أوراقه للمدير، وقد شعر عبد اللطيف بالملل فقرر الذهاب إلى المدينة لرؤية الحداثق، جذبته حديقة جميلة، مما دفعه إلى قضاء وقت فيها للترويح عن نفسه، في الحديقة، لاحظ شابة تهتم بحديقته، وقد تأثر بجمالها المتناغم مع جمال المكان.

استمع عبد اللطيف بإعجاب إلى حوار دار بين الشابة وزهرة في الحديقة، مما جعله يقترب منها بشكل أكبر، في وقت لاحق، أُغمى عليه بسبب حالته النفسية بين الواقع والأحلام، ونقلته الشابة إلى قصرها حيث استفاق ليجد نفسه في مكان غير مناسب، مما دفعه إلى الخوف على سمعتها، فسألت الشابة عبد اللطيف عن سبب إغمائه، وبعد تردد، أخبرها بأنه سمع حديثها مع الزهرة، اعترفت الشابة بأنها تدعى لطيفة، وبدأت قصة حب بينهما، أصبح عبد اللطيف متردداً بين مواصلة تعليمه وحبه لطيفة، وأخبر صديقه عن توتره، وقد وعده صديقه بكتمان سرّه.

¹ عبد المجيد الشافعي، الطالب المنكوب، دار الكتب العربية، تونس، 1951.

سرد عبد اللطيف قصته لصديقه، وأصبح مشغول البال والقلب، مما دفعه إلى التفكير في ترك الدراسة، في فصل الصيف، اختار والد لطيفة منزلاً قرب البحر، بينما كانت لطيفة تستمتع بالسباحة، أنقذ عبد اللطيف حياتها عندما جرفت الأمواج، مما جعله يلتقي بأسرتها، وبعد أن دعا والد لطيفة عبد اللطيف إلى العشاء، كانت تلك الليلة مليئة بالعاطفة بين الشابين، حيث تعانقا لفترة طويلة وصفها الكاتب بأنها "ليلة سعيدة لم يحلم بها هذا الغريب المنكوب" أصبح عبد اللطيف شخصية معروفة، حيث أصبح كاتباً في الصحف والمجلات، كما كان والد لطيفة معجباً به.

نضج عبد اللطيف وأصبح ناشطاً فكرياً واجتماعياً، فاعلاً في قضايا الأمة ومؤيداً للعلم والإصلاح، استغل أموال والد لطيفة لبدأ مشروعه، وأصبح تاجرًا ناجحًا وعاد إلى مسقط رأسه حاملاً أفكاراً إصلاحية، وعلى الرغم من محبة والد لطيفة لها، فإنه كان حريصاً على أن تزوج من رجل صالح، وقبل خطوبة عبد اللطيف لها، عبد اللطيف أعد منزلاً عصرياً لزوجته لطيفة، وتزوجا في موكب كبير، ثم اختتم الكاتب بتعريف السعادة وأهمية المعرفة في توجيه الإنسان نحو حياة أفضل، مشيراً إلى دور الحب في الزواج كأساس لبناء حياة سعيدة ومستقرة.

وفي المجلد فإن رواية "الطالب المنكوب" تتناول المنشورة سنة 1951 هي رحلة عبد اللطيف من الفقر والجهل إلى النجاح والتعليم، تبدأ الرواية بتقديم خلفية مؤلمة لشاب يتيم نشأ في بيئة قاسية، مما يخلق ارتباطاً عاطفياً مع القارئ، يتعرض عبد اللطيف لصعوبات أثناء سفره وحيداً نحو تونس، حيث يُعبر عن شعوره بالوحدة والحزن، ومع ذلك، يبدأ في رحلة التعليم في كلية الزيتونة، حيث يلتقي بلطيفة، فتتطور بينهما قصة حب، تتناول الرواية أيضاً التوتر بين الحب والدراسة، مع تسليط الضوء على التحديات الاجتماعية والسياسية التي يواجهها عبد اللطيف، تنتهي القصة بنجاحه المهني وزواجه من لطيفة، مما يمثل انتصاراً على ظروفه السابقة، تقدم الرواية تجربة إنسانية لشاب جزائري، تعكس القيم المهمة للمعرفة والحب، يتناقض فيها الكاتب بين عواطف الشباب تجاه الارتباط والبحث عن المكانة والجاه وبين الفكر الإصلاحي الذي تدعو إليه الجمعية والذي تركه إلى آخر الرواية، تتسم الرواية ببعض الجرأة مقابل الروايات الأخرى في التحدث عن المرأة.

يُبرز شريط أحمد شريط مسيرة الأديب الجزائري عبد المجيد الشافعي، الذي يعتبر ثاني روائي جزائري بعد محمد ديب في مجال الرواية¹، ويذكر أن الشافعي كتب في معظم الأجناس الأدبية الشائعة بين معاصريه، مثل الرواية، القصة القصيرة، المسرح، الشعر، النقد، الخاطرة، والمقالة الأدبية والاجتماعية، كما يسلط شريط الضوء على

¹ قدمنا جدولاً حول الروائيين الجزائريين في هذه الفترة، ونجد أن عبد المجيد الشافعي قد سبقه الكثيرون في كتابة الرواية، ولكن يمكن اعتباره من الأوائل والنادرين الذين كتبوا رواية باللغة العربية.

التحديات التي واجهها الشافعي بسبب تهميش المثقفين باللغة العربية في الجزائر خلال تلك الفترة، حيث تعرض للمضايقات والعراقيل سواء في مؤسسات التربية أو في المجال الثقافي، ورغم كل ذلك، واصل الشافعي إنتاجه الأدبي ونشاطه الثقافي، وتقلد عدة مناصب تربوية منها مدير مدرسة الفتح ومفتش اللغة العربية، فتأثير الشافعي الأدبي والثقافي، متمثل في إصراره على الإنتاج رغم الظروف الصعبة التي أحاطت به¹.

كما يسلط الباحث فوزي حساينية الضوء على حياة الأديب الجزائري عبد المجيد الشافعي، الذي عاش حياة قاسية وملينة بالتحديات، حساينية يصف الشافعي بأنه أديب متشائم، عاش مأساة شعبه وعبر عن تلك المأساة في أعماله الأدبية، حيث تعتبر "الطالب المنكوب" تصويرًا صادقًا لمعاناة الأمة الجزائرية، التي كانت محرومة من حقوقها في الحرية والكرامة الإنسانية تحت وطأة الاحتلال العنصري².

تؤكد الباحثة نادية أديب بامية على الصعوبات التي واجهت الرواية الجزائرية قبل الاستقلال، مشيرة إلى أن الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي كانت الرواية الوحيدة التي ظهرت في تلك الفترة³، مما يبرز ندرة الإنتاج الروائي في الجزائر تحت الاحتلال، كما توضح أن القصة القصيرة ازدهرت في صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بينما كانت الرواية محدودة بسبب الظروف السياسية، وتشير بامية إلى الصعوبات المادية والعملية المتعلقة بطباعة الروايات في الجزائر، مما دفع الشافعي إلى طباعة روايته في تونس، كما تطرقت إلى عائق الحجم الكبير للرواية في نشرها ضمن الدوريات الصحفية، مؤكدة أن القيود الاستعمارية على الإنتاج الأدبي الطويل ساهمت في تأخر ظهور الرواية، في مقابل ازدهار أشكال أدبية أخرى مثل القصة القصيرة⁴.

2. روايات حول الهوية والثورة

1.2. رواية الأرض والدم لمولود فرعون

مولود فرعون (1913-1962) هو أديب ومربي جزائري وُلد في قرية تيزي هبيل لعائلة فقيرة، يوم 08 مارس 1913، بدأ مسيرته التعليمية منذ صغره، حيث انتقل إلى المدرسة الابتدائية ثم إلى المدرسة التكميلية بتيزي

¹ شريط، (29 مارس 2021)، بحوث ودراسات رواد الإصلاح أحمد رضا حوحو وعبد المجيد الشافعي، استرجعت في: 2023/04/21 من الموقع الإلكتروني، <https://binbadis.net/archives/11210>

² فوزي حساينية، (03 جوان 2020)، الأديب الراحل عبد المجيد الشافعي، المرجع السابق.

³ ليست الوحيدة، بل يوجد رواية الحريق لنور الدين بوجدر، سيتم دراستها في هذا الفصل.

⁴ عايدة، تطور الأدب...، المرجع السابق، ص 301.

وزو، مما كان حدثاً مهماً في حياته وحياة قريته، بعد اجتيازه لمسابقة دخول دار المعلمين الابتدائية في بوزريعة، أدرك شغفه بالتعليم¹.

في سنة 1939، بدأ بكتابة روايته الشهيرة "فورولو منراد" المعروفة لاحقاً بـ "نجمل الفقير"، ترقى إلى مدير مدرسة في سنة 1946، وكان معروفاً بحرصه على تحسين ظروف التعليم، في سنة 1952، أصبح مدير المدرسة التكميلية بالأربعاء ناث ايراثن، ومن ثم انتقل إلى الجزائر كمدير مدرسة النادر في سنة 1957².

قد تميزت كتاباته بالتعبير العميق عن حياة الإنسان الجزائري ومعاناته اليومية وصراعه من أجل العيش الكريم، حيث صور واقعهم بشكل واقعي، وعبرت عن الفوارق الاجتماعية والطبقية، كما سعت كتاباته إلى التعبير عن هوية الإنسان الجزائري وثباته على تقاليده وعاداته رغم التحديات³.

اغتيال مولود فرعون في 15 مارس 1962 على يد المنظمة المسلحة السرية، إلى جانب شخصيات أخرى، وقد قال مولود معمري عن هذه الحادثة إنهم لم يستطيعوا إسكات صوت فرعون، إذ ستبقى أعماله حية، كان فرعون قد انتهى من كتابة رواية بعنوان "مدينة الورد" قبل اغتياله، والتي تناولت جرائم الاحتلال، كتب أيضاً عن حال الجزائر قبل وفاته، معبراً عن مخاوفه على عائلته في ظل الرعب الذي كان يعم البلاد قائلاً: "في الجزائر العاصمة الرعب في كل مكان، رغم ذلك الناس يخرجون لقضاء حاجاتهم... طبعاً لا أريد أن أموت، ولا أريد أن يموت أبنائي لكنني لم أحتاط لأي طارئ"⁴.

يشير الزاوي إلى فرعون كنسوي⁵ مبكر، وذلك من خلال تعليمه لزوجته ذهبية التي تزوجها في سنة 1938 وكانت فتاة أمية، فرغم المجتمع المحافظ، تحدى فرعون الأعراف الاجتماعية، إذ اصطحب ذهبية إلى المدرسة وجلسها

¹ مصطفى ولد يوسف، من أعلام الرواية الجزائرية - مولود فرعون ومولود معمري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو - الجزائر، 2012، ص 09.

² نسيب يوسف، مولود فرعون، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص 151.

³ شريط، الأدباء ...، المرجع السابق، ص 113.

⁴ زهرة ديك، من روائع الأدب الجزائري (محمد ديب، مولود فرعون، أحلام مستغانمي)، دار الهدى، الجزائر، 2014، ص 223.

⁵ النسوية: النسوية كحركة اجتماعية وسياسية، وكإطار نظري، تهدف إلى دراسة موقع المرأة في المجتمع وتعزيز مصالحها، حيث تسعى إلى تغيير التوزيع القائم للسلطة الذي يضع النساء في مرتبة أدنى من الرجال، ضمن النسوية، تبرز عدة توجهات؛ فالنسويات الليبراليات يركزن على تحقيق المساواة عبر تكافؤ الفرص ضمن الهياكل القانونية والاقتصادية، بينما ترى النسويات الاشتراكيات أن تحرير المرأة يتطلب إنهاء النظام الرأسمالي، أما نسوية الاختلاف، فتري أن الفروق بين الجنسين لا يمكن اختزالها، بل يجب الاحتفاء بها كجزء من قوة المرأة الإبداعية، أيضاً، تسلط النسوية السوداء الضوء على التداخل بين الجندر والعرق، وتأثير الاستعمار والعنصرية على تجارب النساء، تأثرت النسوية بمدارس ما بعد الحداثة والبنوية، حيث بات يُنظر إلى الجنس والجندر كإنشاءات ثقافية تتجاوز التفسيرات البيولوجية، مما يجعل قضايا الذكورة والأنوثة ساحة صراع مستمر حول المعنى والتمثيل الاجتماعي، ينظر: كريس باركر، معجم الدراسات الثقافية، تر: جمال بلقاسم، دار رؤية، القاهرة، 2018، ص 356.

بين تلاميذه، كما كان يقرأ لها الأدب العالمي، ويشاركها شغفه بالمعرفة، بذلك، جعل التعليم حجر الزاوية في علاقتهما الزوجية، محاربا الجهل والتخلف ومتطلعا لبناء مجتمع واع ومستقل¹.

العنوان الأصلي لرواية "الأرض والدم" باللغة الفرنسية (La terre et le sang)² وهذا العنوان يوحي على علاقة الأرض بالدم، وهذا الكتاب ظل مخطوطا منذ 1938م وأصبح مطبوعا منذ سنة 1953م، هذه الرواية يقول عنها الكاتب أنها قصة حقيقية.

تحتوي الرواية على سبعة وعشرون فصلا مرقمة فقط دون تسمية للفصول، وتدور أحداث هذه الرواية في فترة 1910 إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، حين قرر شاب صغير يدعى عامر لم يصل للسن القانوني للعمل الهجرة من قريته إيغل نزمان أو ربوة زمان بتيزي وزو، تاركا خلفه قريته ووالديه اللذان لا يملكان إلا هذا الطفل بعد أن فقدوا جميع أطفالهم، تدعى الأم قمومة والأب قاسي، وفي غياب ابنهما ووصولهما إلى عمر العجز قررا التخلي عن القطع الأرضية التي يمتلكانها لأنهما لا يريدان الموت من الجوع ولأن عامر لم يعد يفكر فيهما ولا يرسلهما وقد أكلت الغربة قلبه فيواجهان عمليات تحيل من قبل أقرباء قاسي الذين اشتروا الأراضي بأثمان بخصة لعلمهم بحاجة قاسي وقمومة للأكل.

يسرد عامر تفاصيل رحلته من الجزائر إلى فرنسا ثم التقائه بأوائل العمال المهاجرين نحو فرنسا من الجزائريين وهناك يلتقي بقريته الذي يدعى رابح فيعجب بقوته وشجاعته في اثبات مكانته وسط المهاجرين وينظر مدة سنتين ليصبح عامر قادرا على العمل في المنجم، وقد عاش عامر في هذه الفترة بسكن خاص بالعمال حيث أنه التقى هناك بعمال من جنسيات أخرى من بينهم البولنديين وهناك تعرف على رجل يدعى أندريه وهو زوج صاحبة السكن الذي يستأجره العمال تدعى هذه السيدة إيفون، مما لاحظته عامر هو العلاقة الطيبة بين قريته رابح والسيدة إيفون بل تتعدى هذه العلاقة لكونها صداقة، بل ابنة إيفون ماري هي ابن رابح.

في المنجم أين يعمل عامر يُقتل قريته رابح وقد دبر هذه الجريمة أندريه زوج إيفون ويتهم عامر بأنه القاتل بسبب استعماله كوسيلة للقتل بعربة نقل الفحم من قبل أندريه الذي على علم بنوم السيد رابح على السكة الحديدية، ثم يبدأ عامر في عيش كوابيسه ثم هناك اعترف لرجل يدعى رمضان وهو قريته أيضا من قرية إيغل نزمان ومحدثه فهم العمال هذه المكيدة وعرفوا أن أندريه يعلم بشأن زوجته ورابح لهذا قرر قتله باستعمال قريته، ولكنهم

¹ أمين الزاوي، (06 ماي 2021)، أمين الزاوي - مولود فرعون الفمينيست منذ 1938، مجلة أنطولوجيا، استرجعت في تاريخ 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://alantologia.com/blogs/43717>

² Mouloud Feraoun, La terre et le sang, Edition du Seuil "Collection Mediterranee", 1953.

علموا بأنه لا جدوى للحديث عن هذه الجريمة فلقد تم اغلاق القضية ولا تستطيع الشرطة الفرنسية أن تساوي بين بولندي وعربي.

بمرور الأيام يجد عامر نفسه معتقلا في السجون الألمانية حيث عاش القهر والبؤس ولم يستطع نسيان قريه الذي كان قريبا له في غربته وقريبا له في الدم، وبعد نهاية الحرب تم اطلاقه متوجها إلى باريس حيث أنه أراد تغيير مكانه في فرنسا فسكن في فندق يعيش فيه رجال وعائلات من شمال أفريقيا، كان الفندق ملكا لسيدة تدعى مارغريت وفي حديث عامر معها اكتشف أنها صديقة مارغريت وأكدت له أن ماري ابنة قريه رابع.

يياشر عامر في البحث عن ماري التي عاشت سنوات مع أمها وزوج أمها تتعرض للاستغلال فهربت نحو شوارع باريس الضيقة حيث أنها اضطرت للعمل منظفة فندق وهي قاصر وحامل فولدت ابنها ميتا، يسمع عامر قصتها من مارغريت التي تساعده في إيجادها، وهناك في فرنسا يتزوجها ويعيشان مدة ثلاث سنوات، ثم يقرر عامر العودة إلى قريته إيغل نزمان، هذه القرية البائسة أمام معمار فرنسا، يبدأ عامر في المقارنة بين قريته وفرنسا، ويبدأ سكان القرية في المقارنة بينهم وبينه وبين زوجته الغربية ويذهب نحو أمه التي تغفر له غيابه ولكن والده لا يفعل لأنه فارق الحياة، وعاشت أمه سنوات وحيدة تحت رحمة صدقة أهل القرية عليها.

تتعدد الأحداث في قرية إيغل نزمان حيث يُطرح موضوع الثأر لدم رابع من قبل أخيه سليمان الذي يرى أن شرفه مرهون بقتل عامر وإلا لن يسلم من أهل القرية ولكن بسبب حكمة رمضان الرجل الذي هدأ من روع عامر وقت الجريمة في فرنسا، تدخل في تهدئة نفس سليمان خصوصا وأن رمضان والد زوجة سليمان وهي امرأة يقترب عمرها من الثلاثينيات تدعى شابحة مشكلتها في الحياة أنها لم تنجب الأطفال ليرثوا أرض سليمان زوجها، ثم يعرض لنا الكاتب أوجه الحياة في إيغل نزمان، يسرد حيل النساء في الحصول على أطفال كي لا تذهب أراضي أزواجهن إلى أبناء العمومة بعد وفاتهم، يتخلل الرواية تأملات لعامر في حياة أهل القرية.

يُقرَّب رمضان عائلة قمومة آيت حموش من قريها سليمان حيث أنهما يقرران أن يتشاركا في فلاحه الأرض وتتقاسم قمومة حياتهما بين قريها سليمان حيث تنام هذه الحوز في بيت سليمان وشابحة ليلا وتعود في النهار إلى منزل ابنها وزوجته مدام ماري وهذا النمط الجديد للحياة فرضته طبيعة المسكن الضيق وانعدام خصوصية ابنها مع زوجته، وتُعجب ماري بالحياة في هذه القرية لأنها اكتسبت مكانة فيها وتشعر بأنها تُعامل مثل الأميرات كونها مختلفة، وتبدأ بالتأقلم مع القرية حيث تتخلى عن نمط الحياة الأوربي وتبدأ بتعلم اللهجة القبائلية وتقلد النساء القبائليات وتتعلم منهن الطبخ والأعمال المنزلية وهكذا تصبح ماري صديقة شابحة.

تلتقي قمومة وأسمينه وهي والددة شابحة ويتحاوران حول مصير شابحة بعد وفاة سليمان حيث أنهما لم يرزقا بالأطفال ويسردا بعض الحيل في الحصول على طفل حتى ولو لم يكن شرعيا من أجل الحفاظ على ملكية الأرض، خصوصا وأن أعداء قمومة هم أعداء شابحة وزوجها سليمان وتصلان هاتين العجوزتين إلى خطة مفادها تقريب زامر من شابحة حتى تحصل من ابن منه، وهكذا حتى تنجح الخطة رغم تردد الاثنين، وبسبب انعدام الحلول لدى سليمان يرفض أن يتزوج امرأة أخرى بسبب حبه لزوجته فيكتب الأرض والبيت لزوجته شابحة حتى لا يطردها أقاربه بعد وفاته، وتنتشر الاشاعات في القرية بسرعة بواسطة حسين ابن عم عامر، وزوجته أمحامة وهما جارا شابحة وسليمان، وتستمر الاشاعات إلى أن تصل إلى سليمان الذي يظل يصدق زوجته إلى أن يتبعها ذات ليلة ويجدها تتحدث مع عامر قبل الدخول لمنزل قمومة ويتأكد من خيانة قريبه عامر حتى بعد أن سامحه على قتله لأخيه، وخيانة زوجته بعد كل التضحية التي قدمها لها.

تنتهي الرواية بجريمة قتل وانتحار، حيث أن رجلا من القرية يقوم بتفجير أحد الكهوف في الجبل تتم تلهيته بواسطة سليمان حيث أنه ما إن رأى عامر يدخل الكهف لحق به وانفجر بهما وماتا الاثنين مع فارق في لحظة الموت حيث أن عامر سبقه، موت عامر يرمز إلى فشل مشروع التعايش بين الثقافتين فالمثاقفة الناجحة تتطلب توازنا بين الأخذ والعطاء، وأي محاولة للتقارب دون هذا التوازن تعدّ غير مجدية، وآخر صفحة من الرواية تعلم قمومة بحمل زوجة ابنها وهكذا فإن أرض ابنها ستذهب إلى الوريث الوحيد وهو ابنه.

أما عن الموضوع فهو يتمحور حول مصطلحين الأرض والدم:

- الأرض:

يقصد الكاتب بها قرية إيغل نزمان، عادة ما يستعمل الأدباء الأفق الضيق للتعبير عن أفق واسع، وكتابة رواية بها كل هذه المعاني الوطنية والتمسك بالهوية ونشرها في خمسينيات القرن العشرين أين كانت الجزائر تحت حكم الاحتلال الفرنسي ليس بالأمر الهين والسهل، ولكنه ابتعد عن أي صراع سياسي مباشر كان سيدخل فيه وعبر عن مساحة صغيرة من الجزائر، قرية نائية وبعيدة في قبائل تيزي وزو.

علاقة السكان بالأرض علاقة وثيقة وقوية، سكان إيغل نزمان يعتبرون أن الأرض محور حياتهم، لهم علاقة خاصة مع الأرض إلى أن يصلوا إلى اعتبارها أهم شيء يتم توريثه إلى الأبناء وأن العائلات المحترمة لها أبناء، والعائلات التي لها أبناء لا تضيع أرضها ولا يضيع شرفها.

يضع الكاتب قراءه في تساؤل: هل يمكن لمكان متطور كفرنسا أن ينسي الإنسان مسقط رأسه؟

تجيب الحوارات بين عامر ونفسه وعامر وزوجته ماري عندما كانا في فرنسا عن هذا حيث أن عامر حدث ماري عن أرضه ووصف لها أهله وتحدث لها عن الشجرة العملاقة في القرية ووصف لها كل القرية وهذا يدل على شيئين: الحنين إلى الأرض والاشتياق لها، تجيب القرية لماري الفرنسية حتى تقبل الذهاب معه إلى قريته وتترك فرنسا.

- الدم:

ولادة ماري نتيجة علاقة إيفون الأوروبية ورايح الجزائري هو رمز للدماء التي ستسافر إلى أرض الأب حين هجرها.

مقتل رايح وتلطخ يد عامر بدم قريبه ثم العودة أرضه وإعادة فتح موضوع الثأر لرايح هي قصة تتعلق بالدم وأهميته لدى العائلات التي تحافظ على شرفها وأرضها.

الدم الذي يمثل الدورة الشهرية لشابحة هو رمز لعدم الانجاب وبالتالي حرمان زوجها سليمان من الورثة وبالتالي يكون سليمان أقل شرفا حيث أن أرضه ستقسم على أبناء العمومة بعد موته.

الحيل غير الأخلاقية التي تفتعلها النساء في قرية إيغل نزمان من أجل إنجاب الأطفال حتى ولو كانوا من دماء غير شرعية ففي سبيل الأرض وشرفها يحصلن على أطفال في الأوضاع التي يكون فيها الأزواج عاقر.

موت عامر وانتحار سليمان واستخراجهما من تحت الحجر المتفجر تحت كومة الأتربة واختلاطها بدمهم هي صورة لاتحاد الدم والأرض معا والوصول إلى توافق الدم مع الأرض.

وجود طفل في بطن الأم ماري هي استمرار لدماء عامر وسلامة أرضه من الانقسام بين الورثة.

وفي المجمل، يرمز الدم إلى الإنسان، من الولادة إلى الموت، حيث يعود للرمز الأول وهو الأرض، كما طرح فرعون مواضيعا تدخل ضمن الإنسان وأرضه كالعقم والتقرب للأولياء، الزنا داخل المجتمع التقليدي، الهجرة، الفقر، وضع العمال وغيرها من المواضيع.

يمكننا تصنيف أعمال مولود فرعون الأدبية والفكرية ضمن ما يعرف بالدراسات العرقية، وهذا الوصف قدمه شريط أحمد شريط على أعمال مولود فرعون، وقد وصف الأستاذ نسيب يوسف أهداف وتأثيرات مولود فرعون قائلاً: "يشير كل الدلائل إلى أن مشروع فرعون الأدبي كان يهدف إلى وصف الواقع بشكل شامل، وتقديم شهادته كمؤلف يرصد ويكشف للقراء حياة المجتمع، ووصفت أعماله الروائية أيضاً بأنها لوحة جدارية مليئة بمشاهد الحياة في جبال جرجرة خلال الخمسينات، حيث صورت بدقة الحياة القبائلية بشكل يتجاوز ما قدمته الدراسات

الاثنوجرافية في عهد الاحتلال، ويتضح من خلال كتاباته التعبير الجريء والشجاع عن رفض الوجود الفرنسي، وانتقد موقفهم من الجزائريين الذين تخلوا عن دينهم الإسلامي واعتنقوا الديانة المسيحية بحثاً عن المصلحة الشخصية، يبرز وعيه الوطني العميق من خلال المفارقات التي تصادفه والمقابلات بين الواقع المادي للإنسان الجزائري والمحتل الأجنبي، حيث يشعر بالمأساة الجزائرية كمأساته الشخصية¹

كما تطورت نظريته الوطنية من التعبير عن المشاعر المحلية إلى التعبير عن قضايا الإنسان الجزائري بشكل عام، مع تصوير بداية الثورة ونهاية صدام الحضارات، وقد تفتنت المنظمة المسلحة لهذا التطور، وقامت بمراقبته وتتبع خطواته حتى تمكنت من اغتياله في 15 مارس 1962، قبل بضعة أيام فقط من إعلان توقف القتال².

يعتبر مولود فرعون شخصية أدبية جزائرية تحظى باهتمام لدى القراء من كل أنحاء العالم كون رواياته ترجمت إلى العربية والانجليزية، بما فيها رواية الأرض والدم التي ترجمت إلى اللغة الروسية والألمانية والبولندية أيضاً، كما احتفت الجزائر به سنة 2013 كأديب صانع للتاريخ الأدبي الجزائري، كما يتم استدعاء أبنائه في معارض الكتاب الدولية في الجزائر وفرنسا للتحدث عن والدهم وحياته الأدبية التي لم تنته بالاغتيال.

2.2. رواية سأمهك غزالة لمالك حداد

مالك حداد، شاعر وروائي جزائري كتب بالفرنسية، وُلد في 5 جويلية 1927 بمدينة قسنطينة، عمل معلماً لفترة قصيرة، ثم تنقل بين عدة مدن مثل باريس، القاهرة، لوزان، تونس، موسكو، ونيودلهي، اشتهر بعبارته الشهيرة: "الفرنسية منفاي"³، مجازر 8 ماي 1945، حيث قُتل عشرات الآلاف من الجزائريين المطالبين بالحرية، شكلت نقطة تحول في حياة حداد، إذ بدأ ينشد الحرية خلال الثورة (1954-1962)، كتب أعماله الأدبية بالفرنسية، التي اتسمت بعمقها الوطني والإنساني رغم كونها قليلة العدد⁴، عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال وقرر التوقف عن الكتابة بالفرنسية، وأشرف على القسم الثقافي في جريدة "النصر" بقسنطينة، ثم انتقل إلى العاصمة حيث شغل منصب مستشار ومدير للآداب والفنون بوزارة الإعلام والثقافة، أسس سنة 1969 مجلة "آمال"، وكان أول أمين

¹ شريط، الأدباء ...، المرجع السابق، ص114.

² نفسه، ص114.

³ محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج2، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، 65.

⁴ عبد الرزاق بوكبة، (05 جانفي 2014)، مالك حداد يخرج من منفاه، شبكة الجزيرة الإعلامية، استرجعت في تاريخ 06 أوت 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.aljazeera.net/culture/2014/1/5>

سنة لاتحاد الكتاب الجزائريين بين 1974 و1978، كتب العديد من الروايات والقصائد التي تُرجمت معظمها إلى اللغة العربية، توفي في 2 جوان 1978¹.

يقول الباحث محمد علي فقيه: "ولحداد روايات كثيرة منها روايته الرائعة "سأهبك غزالة"، التي صدرت عن "الدار التونسية للنشر" سنة 1968، وترجمها للعربية التونسي صالح القرمادي حيث قورنت برائعة الأديب الإيطالي إيتالو كالفينو (Italo Calvino)² "لو أن مسافراً في ليلة شتاء"، وله رواية أخرى بعنوان "رصيف الأزهار لا يجيب"، التي أصدرتها دار "غاليمار" في باريس سنة 1961، ونشرت "الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر" ترجمتها بالعربية سنة 1970، بقلم المترجم السوري ذوقان قرقوط³.

"سأهبك غزالة" هي رواية للكاتب الجزائري مالك حداد، صدرت في سنة 1959 تعد هذه الرواية واحدة من أبرز أعماله، ولقد ترجمه إلى العربية الأستاذ التونسي بدار المعلمين العليا صالح القرمودي وقد نشرته الدار التونسية للنشر 1968، حيث تعكس بعمق التحديات الاجتماعية والثقافية التي واجهها المجتمع الجزائري خلال فترة ما بعد الاستقلال⁴، يوحي عنوان الرواية "سأهبك غزالة"، بأنها في بيئة صحراوية عن قصة رومانية يستخدم فيها حداد الغزالة⁵ كمفتاح في روايته.

يبدأ الكاتب روايته بإهداء يعبر عن الكثيرين من الأدباء الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية قائلاً: "اللغة الفرنسية حاجز بيني وبين وطني، أشد وأقوى من حاجز البحر الأبيض المتوسط، وأنا عاجز عن أن أعبر بالعربية

¹ مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، مج 1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014، ص701.

² إيتالو كالفينو (1923-1985): هو كاتب إيطالي بارز وُلد في 15 أكتوبر 1923 في كوبا، إيطاليا، وتوفي في 19 سبتمبر 1985 في تورينو، يُعتبر كالفينو واحدًا من أهم الشخصيات الأدبية في القرن العشرين، حيث تميزت أعماله بتنوعها وعمقها الفكري، كتب بأسلوب يجمع بين الخيال والواقع، مما خلق عوالم سحرية وغريبة تجذب القارئ، تناولت رواياته مواضيع متعددة، مثل الهوية، الذاكرة، والأسطورة، بالإضافة إلى قضايا اجتماعية وسياسية، من أشهر أعماله "إذا كان شتاءً، فلتكن ليلته" (1979)، و"المدن الخفية" (1974)، و"الأبراج المتحركة" (1959)، يُعتبر كالفينو رمزًا للأدب الإيطالي، وقد أثر في العديد من الكتاب بأسلوبه الفريد، مما جعل أعماله تُترجم إلى العديد من اللغات، وتحتل مكانة مرموقة في الأدب العالمي، ينظر:

Peter Brand , Lino Pertile ,The Peter Brand,Lino Pertile,Cambridge History of Italian Literature,Cambridge University Press, Cambridge, 1996.

³ محمد علي فقيه، (9 جويلية 2022)، الأدب الجزائري المقاوم: وثيقة تاريخية وسلاح مواجهة، الميادين، استرجعت في تاريخ 16 أفريل 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.almayadeen.net/arts-culture>

⁴ حداد، سأهبك غزالة، المصدر السابق، ص 12.

⁵ "الغزالة" في الأدب تُعتبر رمزًا غنيًا بالمعاني، حيث تعكس الجمال والأنوثة من خلال صفاتها الرشيقة والناعمة، تُستخدم للإشارة إلى الحرية، حيث تُصوّر ككائن يعيش في الطبيعة بعيدًا عن القيود، كما تحمل دلالات على الهروب من الواقع والبحث عن ملاذ آمن، مما يعكس الصراعات الداخلية، تُعبر أيضًا عن الحب والعاطفة، وغالبًا ما ترتبط بالبراءة والنقاء، في بعض الثقافات، تحمل "الغزالة" رمزية ترتبط بالأساطير والفولكلور، مما يُضفي عمقًا إضافيًا على النصوص الأدبية التي تتناولها.

عم، أشعر به بالعربية، ان الفرنسية لمنفاي¹، وفي كل فصل من الرواية يضع الكاتب عبارات ليست مباشرة وواضحة، وهو أسلوب يستعمله الأدباء لكي يتم تأويل عباراتهم بحسب الحالة الشعورية للقارئ أو درجته الثقافية والفكرية فمثلا يقول في بداية الفصل الأول: "لا تطرق الباب كل هذا الطرق فإني لم أعد أسكن هنا!"²3.

تتكلم الرواية عن كاتب جزائري وحيد يعيش في باريس يدعى (جان دوروك)، لديه مخطوط أنهى كتابته وتراوده أفكار في اعدام هذا العمل، لم يكتب هذا المؤلف اسمه على الرواية واكتفى بعنوان للرواية وهو (سأهبك غزالة)، يلاحظ هذا المؤلف أن القلم لا يوقف الكاتب عن الكتابة عكس المحابر⁴ التي تعود عليها والتي تفقده سير أفكاره حين ينفذ حبرها، فيقول: " ترى من الذي نصل لونه على الآخر؟ أهو الذي صبغ المكتب بلونه أم المكتب الذي صبغه؟ فالمكتب كان حزينا، إن جميع المكاتب حزينة فهي لا تحب العمل وهي حزينة مثل محطات الأرتال، إلا أن محطات الأرتال معذورة في ذلك وعذرهما أنها لا تسافر أبدا"⁵

تقرأ (جيزال دوروك) وهي امرأة كثيرة التدخين والتفكير تعمل كمسؤولة عن قبول الأعمال في دار النشر، أمام السيد (درنار) ويدعوه المؤلف بالسيد (موزار) وهو مدير مصلحة الصحافة، وفي مكتبه الواقع (بحي سانت جونوفيايف) تقبل جيزال قراءة بقية المخطوط وتتحمس لاكمال غرابة العبارات الأولى منه.

يعيش المؤلف في حي سان جيرمان في باريس ويعتاد الذهاب إلى حانة صديقه الفرنسي السيد (موريس) وشرب خمر (الروزي)، وقد صادف الكاتب في إحدى جلساته في تلك الحانة رؤية رجل تعتقله الشرطة وقد قال لهم بأنه رجل شارك في حرب 1914 إلا أنهم طلبوا هويته فالمشاركة في حرب 1914 ليست كافية، بينما تركوا المؤلف بعد أن أخبرهم أن هويته كاتب، وهي عادة الشرطة لمعرفة ما إن كان الذي في باريس جزائري دون هوية.

يذهب المؤلف إلى قاعة الجمعيات الحكيمة وهناك سيكون ألبير كامو، جون بول سارتر، والصحفي بوردي حاضرين، وقد كان المؤلف في الصف الأول كان حضور الجزائريين هناك نادرا، وهذا الجو الذي بدأ أدبيا تحول إلى

¹ نفسه، ص 05.

² نفسه، ص 11.

³ هذه العبارة تعبر عن رفض أو عدم استعداد الشخص الذي يتحدث لاستقبال أو الرد على أي طرقات على الباب، يعبر عن قرار الشخص بعدم الإقامة أو العيش في ذلك المكان، وبالتالي، فإنه يطلب عدم مضايقته أو محاولات التواصل معه عبر طرق الباب، يمكن أن يكون هذا نتيجة لتغيير في ظروفه أو رغبته في الخصوصية.

⁴ المحبرة: الوعاء أو الإناء الذي يُوضع فيه الحبر، ويُستخدم للكتابة حين كانت تتم بواسطة القلم المصنوع من القصب أو الريشة.

⁵ نفسه، ص 19.

جو مشحون بالسياسة والتطرف وعبارات يصيح بها الحضور، عبارات مثل أعدموا منداش فرانس¹، أطرّدوا اليهود إلى بلاد اليهود، فتحول الجو إلى فوضى وشجارات وهتافات تقول: الجزائر فرنسية، تحيا الجبهة الشعبية، اسجنوا الشيوعيين، تحيا الوحدة، ارموا بن بلة بالرصاص وفي هذه الأثناء غادر المؤلف القاعة.

يسير المؤلف في شوارع باريس تحت المطر بثوب رث فهو لا يبالي بأجواء باريس المتقلبة والباردة، ويشعر أنه في المنفى يسير حتى وصل إلى صديقه (موريس) وهناك يسأله عن أخبار روايته (سأهيك غزالة) ولكن الكاتب يعتبر هذا العنوان لفظا شاذا في باريس، لفظا في المنفى، المؤلف يصف صديقه بالأمر لأن المؤلف لديه فلسفته في رؤية صديقه الطيب وكرر موريس استفساره عن رواية صديقه عن مكان أحداثها فكانت إجابة المؤلف أنها تجري في كل مكان.

يلتقي المؤلف بشابة ألمانية تدعى (غردا) تبلغ من العمر ثلاث وعشرون سنة جاءت لتتعلم اللغة الفرنسية مع قاموسها الألماني الفرنسي، يدها المؤلف عن الطريق دون أن يعرف الألمانية ودون أن تعرف اللغة الفرنسية، وقد أطلق عليها المؤلف اسم (فراشة) فقد جاءت الشابة من قرية بها شجر وتلوج يحب سكانها الحكمة والموسيقى وقد بنى المؤلف علاقة حميمة معها وكان يخبرها كل شيء دون أن تفهم كلامه وهذا ما كان يجعل المؤلف كثير الكلام خصوصا عن روايته وما كتبه فيها، ثم يلتقي المؤلف بالسيد (فرونصوا ليزيو) وهو رجل مشهور في الوسط الأدبي، فهو شاعر كبير أمام شاعر مبتدئ ودار بينهما حوار انتهى بتعبير ليزيو بإعجابه بمخطوط المؤلف، وأخبره أن زوجته جيزال معجبة بهذا العمل لكنها تريد أن تضع اسم الكاتب على العمل.

تعجب جيزال بالرواية، بل ويعجبها الكاتب وتفهم الرواية ولكنها تريد أن تفهم الكاتب فتقرر أن تتحدث عن الأدب في مكان غير مخصص للأدب، لقد اقترض المؤلف مالا من صديقه لكي يدفع ثمن مشروب الروزي² مع السيدة جيزال، في اللقاء بينه وبينها في المطعم كان حديثه غريبا، فقد تحدث عن الأثاث وتغيره إلى أثاث عصري، في الماضي كان ضخما لأن الأسرة لا تفتقر وحين أصبح عصريا أصبح سهلا نقلها عند الفراق، وكانت جيزال تستمع إليه بتمعن لأنها تشعر أن معرفة الانسان تكون من خلال حديثه عن الأشياء الذي يهتم بها وليس عمره وحالته الاجتماعية، وراح في تعريفه للصحراء والقفز والعطش.

¹ سياسي فرنسي، تبوأ منصب الوزير الأول وكان من مناصري فكرة استقلال المستعمرات الفرنسية.

² الروزي: هو نبيذ يُصنع من العنب الأحمر، لكن قشور العنب تبقى ملازمة للعصير لفترة قصيرة فقط (من بضع ساعات إلى يوم أو يومين)، مما يمنحه اللون الوردي بدلا من اللون الأحمر الداكن.

كان المؤلف يعيش في غرفة نزل بها أثاث ليس عتيقا وليس عصريا كذلك¹، وحصل المؤلف على هدية من غردا الفراشة عبارة عن آلة هارمونيكا²، هذه الآلة التي منحها المؤلف لطفل في حديقة لكسمبورغ يعرف العزف عليها واحتفظ بغطاء الآلة في حوار مع الطفل قائلا: "أنا أعطيك هذه الهارمونيكا وأنت تعطيني عمرك"³ مما يبرز مفهوم التبادل بين الأجيال، وقد استفز تخبط طائر حمام من البرد الحزن في قلب المؤلف الذي انتهى بموتها، وحين لمس يد غردا الباردتين جراء الاستحمام بالماء البارد علم أنها لا تخشى البرد فحدثها عن وضاعة البرد ولكنها ضجرت منه، وشعر المؤلف أنه موعد الفراق فلم يعرف كيف يشرح لها ذلك إلا عندما بحث داخل قاموسها عن كلمة (افتراق) وكلمة (مؤبد)، كانت غاردا لا تفهمه ولكن حين اجتمعت الكلمتان فهمت مقصوده ورحلت كما طلب، وهي لحظة مؤثرة تعكس عمق الحزن والتخبط الذي يعاني منه المؤلف بسبب فقدان طائر الحمام، الذي يمثل رمزاً للبراءة والحياة، هذا الموت يترك أثراً عميقاً في قلبه، مما يضيف إلى شعوره بالوحدة والضياع، عندما يلاحظ أن يد غردا باردة نتيجة للاستحمام بالماء البارد، يتحدث معها عن "وضاعة البرد" مما يُظهر محاولته للتواصل ومحاولة فهم مشاعرها، لكن رد فعلها بالضجر يعكس الفجوة العاطفية بينهما، وكأن كل منهما في عالم مختلف.

مع اقتراب موعد الفراق، يشعر المؤلف بالقلق والحزن، لكنه يجد صعوبة في التعبير عن مشاعره، يلجأ إلى البحث في قاموسها عن كلمتي "افتراق" و"مؤبد"، مما يبرز شعوره بالعجز عن وصف الفراق العاطفي، لكنه أيضاً يعكس أسلوبه في محاولة فهم الموقف بلغة مشتركة، عندما تجمع غردا بين الكلمتين، يدرك كل منهما المعنى الحقيقي لما يجري، مما يؤدي إلى رحيلها، هذه اللحظة تُظهر الافتقار للتواصل العاطفي الحقيقي بينهما، مما يجعل الفراق أكثر ألماً، بصفة عامة، تعكس الفقرة مشاعر الفقد والفراق وتعقيد العلاقات الإنسانية، حيث يُظهر المؤلف التحديات التي يواجهها في التعبير عن مشاعره بشكل فعال.

فقد المؤلف توازنه بعد هذا الفراق وحاول نسيانه بالطريقة التي ينسى بها سكان باريس أحزانهم وهي شرب الروزي والموسيقى في حانة صديقه موريس يقول الكاتب: "سواء أكان المؤلف ثملاً أم كان صاحباً فإن الحياة كانت عنده ظاهرة أدبية وليس إلا ظاهرة أدبية"⁴، فكان يطلق أسماء عن الغرباء والأصدقاء الذين يلتقيهم مثل فتاة الزاوية

¹ ما يعكس حالة من عدم الاستقرار أو البحث عن الهوية.

² هارمونيكا (Harmonica): وتُعرف أيضاً باسم آلة الفم أو الأكورديون الفموي، هي آلة موسيقية هوائية صغيرة تُعزف بالنفخ والسحب عبر فتحات تحتوي على ألصقة معدنية تهتز لتصدر النغمات.

³ نفسه، ص 97.

⁴ نفسه، ص 114.

لامرأة تجلس في حانة، دون كيشوت أو الأمير لصديقه مورييس، وانتهت ليلة المؤلف ثلثاً أمام دكان مغلق على الساعة الثالثة صباحاً كان دكاناً للحيوانات المحنطة وقد قابلته غزالة محشوة بالتبن.

استمرت جيزال في قراءة الرواية وقررت في وقت متأخر مغادرة منزلها والذهاب للقاء المؤلف في الحانة التي سبق وأن تحدث عنها فيقول الكاتب: "من المستحيل على المرأة أن تحب زوجاً لم يبق وفيها للصورة التي كان عليها ابان مقابلتهما الأولى، ان الخيانة الزوجية لا تتمثل في تلك الفعلة المعروفة فليس الزواج هو الذي يخان وإنما المرأة هي التي قد غلظت¹"، وقد انتظرت جيزال المؤلف في الحانة فوجدت هناك أن مورييس الأمير يضع غزالاً محشواً في الحانة كان قد وضعها المؤلف كأمانة لدي، وحين قدم المؤلف للحانة جلست معه على نفس الطاولة وقد شاب الجو عبارات الغزالة، الغزالة المحشوة، غزالة يمينية، ساهبك غزالة، إفريقيا الخالدة.

للمؤلف علاقة بالصحراء، في كلامه عن القفر والشجر المقطوع، العطش، كره البرد، والغزالة، والعلبة التي يحتفظ فيها بالرمل في باريس، رمل كان يتساقط مع الزمن وكأنه ساعة رملية لحياة المؤلف، يبدو أنه من الصحراء فدخل المؤلف حلم يقظة، يتخيل بأنه عاد إلى الجزائر عبر الطائرة ويتخيل بأن له صديقاً قديماً يعلم عنه كل شيء اسمه (الصديق)، والتقى بامرأة تدعى وريدة وقد سماها بالوردة اليتيمة هناك، ثم يحلم بدخول تيمقاد² من باب تراجانوس الامبراطور الروماني في الليل داخل المسرح الصحري وهناك تأتي الوردة اليتيمة لتقابلها وهناك يقابل شعبه فيمنحوه هويته بأنه ابنهم ويزوجوه وريدة، عاد عمر المؤلف للعشرين حينها من خلال تلك البوابة، ويستيقظ المؤلف من حلمه ويعرف أن هناك مسافة بعيدة بين باريس والجزائر، ليست تقاس بالجغرافيا بل في أربع سنوات من الحرب³ بينهما.

يلتقي المؤلف بصديقه القديم الصديق وقد حال بينهما وبين الذكريات القديمة الزمن، فتحدثا عن ألمانيا وتذكر المؤلف غرداً فأخبره أن ينادي فراشة في ألمانيا الواسعة والكبيرة، كان المؤلف يحن لفراشته، وودع المؤلف صديقه الذي رحل إلى ألمانيا.

¹ نفسه، ص 120.

² تيمقاد: هي مدينة أثرية رومانية تقع في شمال شرق الجزائر، تأسست في سنة 100 ميلادي في عهد الإمبراطور تراجان كمستعمرة للجنود الرومان المتقاعدين لتعزيز السيطرة الرومانية في المنطقة، تتميز بتصميمها الهندسي المميز الذي يعتمد على شبكة من الشوارع المتعامدة، ويحتوي على معالم بارزة مثل قوس تراجان، وهو قوس نصر شهير، والكابيتول، وهو معبد لعبادة الآلهة الرومانية، إضافة إلى مسرح واسع للفعاليات والعروض، والحمامات العامة التي كانت جزءاً من الحياة اليومية للرومان، تيمقاد اليوم موقع تراث عالمي يعكس روعة الحضارة الرومانية وشاهد مهم على التاريخ القديم في الجزائر، ينظر: موقع اليونسكو: <https://whc.unesco.org>

³ يقصد الثورة التحريرية فأحداث الرواية سنة 1958.

قرر المؤلف الخروج مع جيزال للمشي، وتعتبر جيزال حياتها مملّة أحبّت المؤلف وفهمته وأخبرته بما تشعر به نحوه ولكنه أخبرها بأنه ليس غزالة وأنه يحترمها، فيعود المؤلف مرة أخرى بذكرياته إلى وريدة، أين بلاده أين حلم بمخطوط يمر من تمنراست¹ إلى ورقلة ثم من الحقار إلى الطاسيلي الزجر، ثم يرحل بحلمه إلى مدينته قسنطينة ثم الأوراس بباتنة، وهناك يشعر بأن وريدة قد تخلت عنه.

أصبح كتاب المؤلف مطبوعاً يباع في المكتبات، يلاحظ ردة الناس حوله، الناس الذين يرون ثمنه غال وأنه لا يحتوي على صور، بينما يخبر ليزيو أن الكتاب بدأ يشق طريقه للرواج فشعر المؤلف أن كتابه مثل المومس يتجول في العالم، يتساءل الناس لماذا صدر الكتاب في سنة 1958 وفي الصحراء ولا ذكر للبتول فيه²، وقد وصل الكتاب إلى ألمانيا ووصل لصديقه الصديق هناك الذي غضب من الشخصيات الدخيلة في روايته فأخبره في رسالة إن الشعب الجزائري لا يعير أهمية للغزالة والهارمونيكا والروزي والحانة والأمير.

انتظر المؤلف أن يعترف به شعبه في بوابة حلمه ولكن ذلك الشعب لم يأت فانفجر المؤلف بالبكاء في حانة صديقه، ويدرك المؤلف أن روايته مجرد خرافة عارية في بلاده، بلاده التي تلتحف فيها نساءه، فهم لن يقرؤوا له، ولن يقرأ له هؤلاء الذين يبحثون عن الصور في كتابه أيضاً، فيفكر المؤلف أن الرواية ممنوعة عن هؤلاء وعمن يحيطون بليزيو أي ذلك المحيط الأدبي وممنوع أيضاً عن الأصدقاء، وأن من يظن أن الشعب يكافح، فهو يكافح من أجل الغزلان والهارمونيكا، وقد كان كل هذا حلماً في ذهن الكاتب فهو في الحقيقة تراجع عن طبع كتابه وأخذه من جيزال ورحل بينما ركضت خلفه جيزال كالغزال.

وهنا تنتهي الرواية في مدينة آكس آن بروفانس (Aix-en-Provence) سنة 1958، أما عن رواية ساهبك غزالة التي هي داخل روايتنا فظلت مخطوطاً، تأتي قصة يمينية ومولاي في قلب الأحداث، لتعكس حكاية حب وسط البيئة الصحراوية القاسية، يمينية فتاة تعيش في الصحراء، تتسم برقة وحيوية، بينما مولاي هو سائق شاحنة عبور في الصحراء، يعاني من الفقر بعد وفاة والده الذي كان أميراً مفلساً، فيتقابلان عند أطراف الواحة، حيث يكون الليل حليف لقاءاتهما، وتشكل المقبرة المحيطة خلفية رمزية تمثل الخوف من الموت والتعلق بالحياة والحب، يمينية

¹ تمنراست: الواقعة في أقصى جنوب الجزائر، هي عاصمة منطقة الهقار الصحراوية وتعد موطناً لقبائل الطوارق الذين يشكلون جزءاً أساسياً من هويتها الثقافية، تشتهر المدينة بجمال تضاريسها، حيث تطل على جبال الهقار البركانية التي تجذب السياح وعشاق الطبيعة، خاصة إلى قمة أسكرام التي توفر مشهداً مذهلاً عند غروب الشمس، ينظر:

² تم اكتشاف البتول في الجزائر لأول مرة في سنة 1956 في منطقة حاسي مسعود الواقعة في الصحراء الجزائرية.

تنتمي إلى عالم الأحلام والخيال، وتتعلق بمولاي بشغف، بينما مولاي يبحث عن تحقيق الوعد بمنحها غزالة حية، التي تصبح رمزًا للحب والحرية.

تتجلى المأساة في العلاقة عندما يحاول مولاي الإمساك بالغزالة في الصحراء لتقديمها هدية ليمينة، إلا أن محاولة القبض على الغزال تعكس الصراع بين الحرية والتملك، بين البراءة والرغبة في السيطرة، فبينما تصبح الغزالة هدفًا ماديًا، تتحول العلاقة بين الحبيبين إلى اختبار لمدى إمكانية امتلاك الأحلام أو تركها طليقة، ويواصل مولاي رحلته في مطاردة الغزالة، في مشهد يمزج بين التشويق والحزن، إذ تصبح الغزالة رمزًا مزدوجًا؛ فهي تمثل الحلم الذي يسعى وراءه مولاي، لكنها أيضًا تجسد حرية يصعب ترويضها، ورغم جهوده الحثيثة، يدرك في النهاية أن الإمساك بالغزالة لا يمنحه السعادة التي كان يتوق إليها، حين ينهك الغزالان، تنفصل إحداها عن الأخرى، وتجد الغزالة المنهكة نفسها وجهًا لوجه مع مولاي.

في هذا اللقاء الأخير، تتجسد الغزالة تحت وقع الخوف والاستسلام، بينما يشعر مولاي بوخز الضمير، وكأن القبض عليها أفقده جوهر الحلم ذاته، هنا تتضح مفارقة الحب والرغبة في الامتلاك؛ ما كان حلمًا جميلًا أصبح عبئًا يتلاشى حين يتحقق، تموت الغزالة بين يديه، ومعها تموت الرمزية التي كانت تمثلها، تاركةً مولاي غارقًا في شعور بالفراغ والحسرة.

في النهاية، تعكس العلاقة بين يمينه ومولاي صراع الإنسان بين الرغبة في الاحتفاظ بالأشياء الجميلة والتحرر من قيود التملك، الحب بينهما لا يتحقق كما تخيلاه؛ إذ تظل يمينه تنتظر شيئًا أكبر من مجرد هدية مادية، بينما يُدرك مولاي أن الحلم كان أجمل من الواقع، وتنتهي القصة بإشارة إلى العجز عن امتلاك الأحلام بشكل كامل، ويظل السؤال مطروحًا: هل يمكن أن نحافظ على جمال الحب والأمل دون أن نحاول الاستحواذ عليهما؟ مولاي يعود وحيدًا، والغزالة الميتة تصبح شاهدًا على رحلة نفسية معقدة حيث كان السعي وراء الحلم أكثر إيلا من الفقدان.

في رواية "سأهبك غزالة"، يظهر الغزال كرمز مركزي يتكرر في أكثر من مشهد، ليعكس وحدة الحلم المفقود عبر الزمن، الغزال الأول الذي وعد مولاي بإهدائه إلى يمينه يمثل الحب الحر والرغبة الطاهرة التي تسعى للتحقق في فضاء الصحراء الشاسعة، ومع ذلك، تنتهي هذه المطاردة بالفشل، إذ يموت الغزال بين يديه، محوّلًا الحلم إلى ذكرى مؤلمة، هذا الغزال يظهر مجددًا في بداية الرواية، لكن هذه المرة محنطًا ومجردًا من حياته، في حوزة الكاتب، مما يعكس كيف تتحول الأحلام حين تفشل إلى أطلال ملموسة نحاول الاحتفاظ بها عبثًا، الغزال المحنط ليس مجرد حيوان

ميت؛ إنه نفس الغزال الذي طاردته الشخصيات في الماضي، وقد أصبح شاهداً صامتاً على رحلة البحث عن معنى الحب والحرية، وهكذا، يربط الكاتب بين الماضي والحاضر، ليبين كيف أن محاولتنا للاحتفاظ بالأشياء الجميلة غالباً ما تقتل روحها، لتبقى فقط كذكرى بلا حياة—تماماً كما بقي الغزال محشواً في النهاية، بلا روح أو أمل في الانطلاق مجدداً.

أسلوب رواية "سأهبك غزالة" للكاتب مالك حداد يتميز بتشابك الشعري بالسرد، حداد يعتمد على لغة غنية بالرمزية، ويستخدم الاستعارات والصور الشعرية للتعبير عن مشاعر الاغتراب والبحث عن الهوية، يظهر في الأسلوب أيضاً تأثير ازدواج اللغوي، حيث أن الكاتب كتبها بالفرنسية لكنه ينقل الكثير من الروح العربية والثقافة الجزائرية، الرواية تعبر عن صراع الهوية بين اللغة والثقافة، وهو ما يجعل الأسلوب متوتراً أحياناً لكنه يعكس بصدق التجربة الإنسانية التي يعيشها البطل، بالإضافة إلى ذلك، يتسم أسلوبه بالعمق والتأمل، حيث يمزج بين الأسئلة الفلسفية والوجدانية التي تتعلق بالحلم، الوطن، والحب.

3.2. رواية إدريس علي الحمامي

يعتبر علي الحمامي شخصية جزائرية قد تكون مغمورة رغم قراءته من قبل عدد من الباحثين، برزت ملامح هذه الشخصية من خلال قصته التاريخية "إدريس"، التي نشرها في سنة 1942 باللغة الفرنسية في القاهرة، مع مقدمة للأمير عبد الكريم الخطابي باللغة العربية، وعلى الرغم من نفاذ الكتاب بسرعة، إلا أن الاهتمام به جاء لاحقاً عندما أعادت الشركة الوطنية طبعه في الجزائر سنة 1976، وتعد المعلومات حول حياة علي الحمامي نادرة، فقد وُلد سنة 1902 في مدينة تيارت، حيث عاش حتى سنة 1922 عندما رافق أسرته لأداء فريضة الحج، لكنه قرر عدم العودة إلى الجزائر رفضاً لسياسة الاحتلال، فتجول في العالم وعمل على باخرة تجارية، مما ساعده في تنمية ثقافته والاطلاع على أعمال ابن خلدون¹.

وصل الحمامي إلى باريس في فترة سياسية مضطربة، فتأثر بالأجواء الثورية وشارك في دعم المقاومة الريفية بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي، انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، لكنه اختلف معهم بسبب تجاهلهم للقضية الاستعمارية في الجزائر، مثل الجزائر في مؤتمر الأممية الشيوعية الخامس بموسكو، وكتب مقالات وأسهم في تأسيس منظمات ومجلات وطنية، كان مناضلاً ملتزماً رغم ظروفه الصعبة، ويتقن عدة لغات، فبعد مرافقة أسرته للحج واستقرارهم في الإسكندرية، بدأ مسيرته النضالية، متنقلاً بين طنجة وباريس، حيث التقى بزعماء جزائريين ومغربيين

¹ أبو عمران الشيخ، قضايا في الثقافة والتاريخ، ط2، دار ثالة، الأبيار-الجزائر، 2006، ص23.

مثل الأمير خالد وعبد القادر حاج علي، في عام 1924، سافر إلى موسكو حيث التقى هوشي منه، ثم واصل تنقلاته لدعم قضايا التحرر، ما عرضه للملاحقة الفرنسية والإسبانية، ف لجأ إلى المشرق، وقد استقر في بغداد (1935-1946) مدرساً للتاريخ والجغرافيا، ثم انتقل إلى القاهرة والتقى مجدداً بالأمير عبد الكريم الخطابي، في المغرب، تعرف على الأمير عبد المالك، وشارك في ثورة الريف، ما ألهمه لكتابة روايته "إدريس"¹.

في عام 1949، مثل علي الحمامي الجزائر في المؤتمر الاقتصادي الإسلامي الأول بكراتشي، حيث ندد بشدة بالاحتلال، لكنه توفي هناك في حادث طائرة مع عدد من المندوبين المغاربة، نُقلت رفاته إلى الجزائر ودُفن في مقبرة سيدي محمد بيلكور في جنازة وطنية مهيبه²، وكتب رفيقه في النضال والمنفى مصطفى بشير مريثة مؤثرة قال فيها: "كنت أتمنى يا الجزائر أن يعود إليك طفلك الكريم بين احتفالات النصر... نعيده إليك بارداً ودموياً لأنه أحبك كثيراً..."، داعياً إلى عدم نسيان رسالته البطولية³، كما نشر أحمد رضا حوحو مقالاً بعنوان: "الشهيد العزيز... يسكن مقرّه الأخير"⁴، تناول فيه تفاصيل الجنازة، الحضور، ومكان الدفن، مؤكداً على أهمية الحمامي ودوره البارز في الحركة الوطنية والثقافية⁵.

يتناول أبو القاسم سعد الله في كتاباته سيرة علي الحمامي ودوره في الحركة الوطنية بالمغرب العربي، مشيراً إلى حياته الحافلة بالنضال والمغامرات، يسلط الضوء على تنقلاته على متن البواخر التجارية، وانخراطه المبكر في مقاومة الاحتلال الفرنسي، من خلال مشاركته في ثورة الريف إلى جانب الأمير عبد الكريم الخطابي، وكذلك إلى جانب الأمير عبد المالك بن عبد القادر، كما يؤثق سعد الله تفاصيل نضاله، ما بين الثورات، والمنفى، والتشرد، إضافة إلى انتقاله إلى روسيا حيث تعرف على الأمير خالد، كما يبرز دعم الأمير شكيب أرسلان له، ويستعرض نشاطه الفكري والسياسي، خصوصاً خلال عمله في العراق، ويختتم سعد الله بالإشارة إلى البعد الأدبي في مسيرة الحمامي، خاصة نشره قصة "إدريس" بالقاهرة سنة 1948، والتي تعكس تداخل الأدب بالنضال في تجربته، وتبرز تأثيره في الوعي الوطني والسياسي العربي⁶.

¹ Amar Belkhdja, Ali El Hammami 1902-1949 du Rif à Karchi l'épée et la plume, Editions ANAP, Alger, 2006, p 13.

² دفن عام 1950 في مقبرة سيدي محمد بجنازة شارك فيها نحو 12 ألف شخص من مختلف التيارات الوطنية، حيث كانت جنازته رمزاً للوحدة الوطنية، رغم أن قبره تعرض للإهمال لاحقاً، ما يعكس فقدان الذاكرة التاريخية في الجزائر، لكنه يبقى رمزاً ونبراساً لنضال الجزائر، وأقسم على مواصلة الكفاح حتى تحقق التحرير الذي تحقق بعد سنوات من النضال الوطني. Ibid, p 17.

³ Ibid, p16.

⁴ الملحق رقم 11.

⁵ أحمد رضا حوحو، الشهيد العزيز يسكن بمقره الأخير"، الشعلة، قسنطينة - الجزائر، ع 04، 05 جانفي 1950.

⁶ سعد الله، تاريخ الجزائر النفا...، ج8، المرجع السابق، ص 181.

يعبر أحمد منور عن أسفه لتجاهل ذكرى علي الحمامي، مؤكداً أنه كان من أبرز الشخصيات الوطنية الجزائرية في القرن العشرين، ولعب دوراً محورياً في النضال ضد الاحتلال الفرنسي، لم يكن الحمامي مجرد مشارك، بل ساهم بفاعلية في تشكيل وعي المقاومة الجزائرية، واصل نضاله من خلال تنقله في البلدان العربية، واستقر في بغداد حيث كتب روايته "إدريس" التي خلد فيها كفاح ثورة الريف، ظل ملتزماً بالقضية الجزائرية حتى توفي في حادث طائرة أثناء توجهه لحضور مؤتمر اقتصادي إسلامي في كراتشي¹.

الباحث عمار بالخوجة أصدر في 2006 كتاباً عن حياة علي الحمامي، مركزاً على تعقيد شخصيته وأدواره الثقافية والسياسية، مع الإشارة إلى صعوبات توثيق سيرته بسبب ندرة الأرشيفات وتشعب مسار حياته في النفي، إضافة إلى حاجته لموارد مالية ولغوية لفهم أعماله المتعددة اللغات، يعتبر بالخوجة رواية "إدريس" أبرز أعمال الحمامي، التي حظيت باهتمام نقاد كبار وتعكس قيمته الأدبية والسياسية، رغم بعض الدراسات، تظل سيرته ناقصة وتحتاج لمزيد من البحث، مع دعوات لترجمة أعماله إلى العربية وإحياء ذكره في الجزائر، ويرى بالخوجة أن توثيق إرث الحمامي مسؤولية مستمرة تتطلب جهوداً بحثية أوسع².

يقول عمار بالخوجة: "من أهم أعمال علي الحمامي رواية إدريس، التي تُعدّ من علامات الأدب التاريخي والسوسيولوجي، في هذا العمل، يوجّه الحمامي لائحة اتهام للنظام الاستعماري، ويحلل المجتمع المغاربي، تدهور ونهضة البلدان العربية الإسلامية، ووحدة مصير الشعوب المغاربية ونضالها من أجل التحرر الوطني، كما أُلّف دراسات تاريخية وسيرة ذاتية لشخصيات بارزة مثل ابن خلدون، ابن تومرت، الأمير عبد القادر، المقراني، أبولوس، سييتيموس سيفيروس، ترتليان، الأمير خالد، ابن باديس، عبد القادر حاج علي، ومحمد بن علال ولد سيدي مبارك"

رواية "إدريس" لعللي الحمامي، التي نُشرت في الجزائر عام 1949 بالفرنسية تحت عنوان (Idris: Roman Nord-Africain)، تُعدّ من الأعمال الأدبية الرائدة في تاريخ الجزائر، تستعرض الرواية قضايا الهوية المغاربية وتسبر أغوار تداعيات الاحتلال الفرنسي في شمال أفريقيا، مما يمنحها طابعاً تاريخياً وفلسفياً عميقاً³.

في رواية "إدريس: رواية شمال إفريقيا"، استخدم علي الحمامي الشخصيات التاريخية بشكل مبدع لربطها بالسياقات الثقافية والسياسية لشمال إفريقيا، يستعرض تاريخ أجداد إدريس، وهم من البربر الذين قاوموا الاحتلال الأجنبي وتعايشوا مع القادمين المسلمين، رافضين السيطرة الأجنبية، يتناول الرواية فترتي النوميدية والرومانية، مشيراً

¹ أحمد منور، ملامح أدبية-دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل، الجزائر، 2008، ص 97.

² Amar Belkhdja, Ali El Hammami 1902-1949 du Rif à Karchi l'épée et la plume, Editions ANAP, Alger, 2006, p 08-10.

³ Ali Elhamamy, Idris: Roman Nord-Africain, Entreprise nationale du livre, Alger, 1988.

إلى القوة والاستقلال في ممالك نوميديا ودورها في تشكيل الهوية الثقافية للبربر، كما يبرز التحولات التي أحدثتها الاحتلال الروماني ومحاولات دمج البربر في الإمبراطورية، مع إبراز المقاومة التي قدمها السكان الأصليون للحفاظ على هويتهم، يشير الحمامي إلى القديس أغسطين كشخصية محورية تعكس التفاعل الثقافي والديني بين البربر والرومان، كما يذكر الملك يوبا الثاني الذي تأثر بالثقافة الرومانية، الرواية تصور تاريخ البربر المعقد وتفاعلهم مع الحضارات المختلفة، مع التركيز على المقاومة والحفاظ على الهوية وسط التحولات السياسية والاجتماعية¹.

يوضح الحمامي أن يوبا الثاني، الملك النوميدي، خضع للحضارة الرومانية واعتنق ثقافتها، حيث منحه الرومان السلطة وأصبح جزءًا من النخب الرومانية، عايش قيم وأعراف الإمبراطورية، بينما القديس أغسطين، الفيلسوف واللاهوتي المسيحي، تأثر بالثقافة الرومانية والمسيحية معًا، وكان مدافعًا قويًا عن المسيحية ضد الوثنية، في المقابل، رفض قسم من البربر الخضوع للمسيحية والثقافة الرومانية، وتمسكوا بمعتقداتهم الوثنية القديمة، واحتقروا الذين خضعوا للثقافات الأجنبية واعتبروهم خانوا هويتهم الأصلية، هذا الصراع بين البربر المتمسكين بتقاليدهم وبين الذين تبناوا الثقافات الأجنبية شكل توترًا ثقافيًا ودينيًا مهمًا في شمال إفريقيا القديمة، ويشير الحمامي إلى أن القديس أغسطين، رغم أصله البربري، انخرط عن مجتمعه بسبب أرثوذكسيته وولائه لدين ساهمت فيه الثقافات الهلينية واللاتينية في تحريفه، مما جعله مكروهًا بين البربر، كما يوضح كيف أن يوبا الثاني، رغم ثقافته المتطورة ومحاولته إرضاء روما، لم يحظَ بالإعجاب من شعبه، بل تعرض للسخرية والإهانات بسبب تماهيه مع الحضارة الرومانية، وهو مثال على الصراعات والاحتقارات التي واكبت التوتر بين الهوية البربرية الأصيلة والانصهار في الثقافة الرومانية².

زمن الرواية ومكانها الأساسي هو الربع الأول من القرن العشرين، في شمال المغرب الأدنى، وشخصيات الرواية هم: "إدريس" بطل القصة أي الشخصية الرئيسية في رواية "إدريس" ووالد إدريس، الحاج علال، شخصية متعددة المهارات تشمل الجغرافيا والطب والصيدلة والنجارة والحدادة والفقه، ويجسد الإنسان المغاربي التقليدي القادر على التكيف، يتميز بروح المغامرة والسفر، حيث أدى الحج ثلاث مرات وطمع في رابعة، مما يعكس انفتاحه الثقافي وانتماءه للعالم الإسلامي، للحاج علال زوجة أخرى في وهران وأبناء لم يلتق بهم إدريس، ما يبرز التعقيدات الاجتماعية لعصره، كما يملك الحاج علال أسلحة تميزه في قريته، مما يرمز إلى مكانته وقدرته على الحماية، وشخصية أخرى مهمة هي عبد السلام، معلم تقليدي أمازيغي درس بفاس، يعتمد في تدريسه على تحفيظ القرآن في حجرة

¹ علي الحمامي، إدريس، رواية شمال إفريقية، تع: محمد الناصر النفاوي، معهد الهوفا، 2011، ص 12.

² نفسه، ص 22.

الفصل الأول: ————— الكتابات القصصية والروائية

متعددة الاستعمالات قرب المسجد تُستخدم للولائم والاحتفاء والجنائز والتدريس، إضافة إلى التطبيب التقليدي والخياطة والتدخين.

تتضمن الرواية شخصيات أخرى مثل أصدقاء طفولة إدريس، الأسمر والممتلئ الخدين، وأيضاً قصة الفيلاي الجزائري من البلدة الذي أُجبر على تسليم أرضه إثر مضايقات الكولون، مع تدخل يهودي محلي كان وسيطاً في هذه الصفقة، مما يسلط الضوء على تعقيدات الاحتلال والصراعات الاجتماعية والاقتصادية في ذلك الزمن¹.

في الحج، يحدثنا الكاتب عن شخصية سلفية من مصر درست بالأزهر فتسرد لعلال عن الدين وتاريخ الإسلام والانحرافات التي طالت هذا الدين حتى حاد عن هدفه الأسمى، وانتقد الممارسات التي يفعلها الحجاج ليس لها علاقة بالدين

الشخصيات الأخرى في القصة هي أصدقاء الحاج لعلال وأفراد آخرون لا يلعبون دوراً رئيسياً، كما يتناول المؤلف وصف السلطة الاستعمارية، بما في ذلك المارشال ليوتي، والأب دي فوكو، والكاردينال لا فيجري، والأب توكواتو الإسباني.

تلخص الرواية السياسة الاستعمارية في استغلال الشعوب وانتزاع الأراضي، إضافة إلى خطة الاستيطان الأجنبي وطمس الثقافة واللغة الوطنية، من خلال مقارنة أشكال الاحتلال الأوروبي، يشير المؤلف إلى أن الاحتلال الفرنسي كان الأكثر استبداداً ونفاقاً، معتبراً أن شعارات "رسالة التمدن" و"إعلان حقوق الإنسان" ما هي إلا أكاذيب تنكشف من خلال الواقع اليومي، كما ينتقد مواقف بعض الكتاب الفرنسيين مثل فيكتور هوغو، الذي يُثني على حرية الشعوب بينما يتجاهل فتوحات بلاده، أو لويس برتراند، الذي لم يعترف بوجود شعوب المغرب وحضارتها، فيقول: "لا يمكن لأي استعمار أن يقتلع جذور ثقافتنا، لأنها مزروعة في قلوبنا، إن هويتنا هي ما يجعلنا نستمر، حتى في أصعب الظروف"²

أما شخصية الأزهرى تجسد رجلاً مصرياً يعتقد أفكار الجامعة الإسلامية، حيث انتقد التعليم التقليدي ورفض التجديد، كما قدّم تعريفاً للسلفية "إنما هي في الفلسفة الإسلامية والعودة إلى المصادر الأولى للفكر الإسلامي بغض النظر عن الإضافات المذهبية والطائفية التي كبلت العقيدة والمذهب الأصلي... إن هذه السلفية بضرها البدع اللاحقة التي جاءت بعد عهد الرسول والخلفاء، عرض الحائط، لا تقبل إلا بالقرآن الكريم، إنها نوع من البروتستانتية

¹ نفسه، ص 82.

² نفسه، ص 90.

قبل أوانها، وهذه السلفية تتفرع إلى عدة مدارس¹، وذكر الكاتب أسماء إسلامية تاريخية مثل ابن تيمية، ابن حل، ابن تمورت، ويحيى اللبنيوية، وأبو حامد الغزالي، حيث عرض فلسفته ضمن السياق الفكري الذي تناقشه شخصية الأزهرى، وبعد وفاة مصطفى كمال بأيام قليلة، غادر الأب علال القاهرة متجهًا إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وهناك وجد فرصة للاطلاع على أعمال رحلات ابن بطوطة وابن جبير، وفي هذا السياق، يعلق الأزهرى: "هذه الطقوس وهذه الأعراف التي تشاهد، جلها مناف ومناقض لروح وقوانين الإسلام، في الواقع ليست سوى عادات وثنية تصر على البقاء والاستمرار تحت قناع دين جوهره التوحيد والمساواة الاجتماعية، فالإسلام كأى دين آخر منزل، مثل اليهودية والمسيحية، اضطر في عهوده الأولى المجيدة الحالية، أن ينزل من السمو الأخلاقي حيث كان يقيم إلى درك هذه الممارسات التي حاربها واستهجنها الرسول والخلفاء الأوائل، فالإبقاء على الكعبة بعد تحطيم الأوثان وما يتصل بها من عبادات ووظائف، ترجمان الإرادة تعظيم الخالق دون سواه² على استمرار وجود الرق في مكة، مشيرًا إلى ذلك فيقول: " أنظر إلى وجوه هذه الضباع التي تتحدث عن بيع هاتين المسكينتين الرنجيتين اللتين استغلاهما طيلة أسابيع على الأقل، وفي يدهما مسبحة هلا لاحظت نظراتهما المريبة وحركاتهما المناقضة؟ إنهما يتعهدان بنشر تقليد أولئك الرهبان المزيفين الذين وضعتهم قريش لحراسة الآلهة الوثنية في نفس المعبد الذي سخره إبراهيم في السابق لتعظيم الخالق³"

لاحقًا، يواصل علال رحلته نحو مشق، واصفًا إياها بقوله: "كانت دمشق آنذاك مدينة في طور التجديد والترميم، لقد احتفظت دائما كعجوز مدللة بمحاسنها السالفة، كان نهر بردى يدللها كما البحيرة الصغيرة ذات دفع معقول، وكان البحر الهادر الاخضرار يلفها من كل الجهات، وكان مسجد الأمويين يعلوها⁴ من الجدير بالذكر أن الكاتب علي الحماسي لا ينسج رواية خيالية، بل يؤرخ لفترة معينة من منظور رحلاته، حيث يمزج بين أدب الرحلة والسرد التاريخي، مضيًا التحليل السياسي والثقافي برؤية إبداعية، كما تناول في دمشق سيرة صلاح الدين الأيوبي⁵، مشيرًا إلى زيارته ضريحه هناك.

¹ نفسه، ص 100.

² نفسه، ص 115.

³ نفسه، ص 116.

⁴ نفسه، ص 137.

⁵ صلاح الدين الأيوبي (1137-1193م): هو قائد عسكري مسلم ومؤسس الدولة الأيوبية، اشتهر بدوره في مقاومة الصليبيين وتحرير القدس، وُلد في تكريت ونشأ في كنف الدولة الزنكية، حيث برز كقائد عسكري في خدمة نور الدين زنكي، بعد توليه حكم مصر، أنهى الدولة الفاطمية وأعادها للخلافة العباسية، ثم وُحد مصر وسوريا واليمن تحت سلطته، كانت أبرز إنجازاته انتصاره في معركة حطين (1187م) التي مهدت لاستعادة القدس بعد 88 عامًا من الاحتلال الصليبي، واجه الحملة الصليبية الثالثة وتصدى لريتشارد قلب الأسد، لينتهي الصراع بصلح الرملة (1192م)، تميز بعدله وتسامحه

انتقل علال عبر باخرة إلى إسطنبول (القسطنطينية)، حيث أبدى إعجابه بجمالها، يقدم لنا الحمامي شخصية مغربية تتواصل مع أرضها عبر أكرام أبناء المغرب القادمين من هناك، وهو تاجر ثري من القبائل، ومن بينهم الحاج بشير من تيزي وزو، يُبرز الحمامي في كتاباته الأجواء المغربية في الرواية، حيث نجد الشاي المغربي، الكسكس، والتجار المغربية من تونسيين، جزائريين، ومغاربة، إضافةً إلى الحديث باللهجة المغربية وسط أجواء الثقافة العربية.

في هذه الجزئية من الرواية، يصف علي الحمامي كيف حقق الحاج علال حلمه بلقاء آخر سلطان عثماني، السلطان عبد الحميد، خلال حفل السلملك في قصر يلدز بالقسطنطينية، يرافق الحاج علال الحاج بشير إلى الحفل حيث شهد المراسيم الرسمية المعقدة والحراسة المشددة، ولاحظ تقاليد الإمبراطورية العثمانية التي كان السلطان حريصاً على إحيائها، مستذكراً أجداداً كهرقل وكسرى، بهذه المناسبة، رأى الحاج علال آخر خلفاء الإسلام، وهو تحقق لأمنيته التي عبر عنها في مكة.

يركز الحمامي أيضاً على وضع الإمبراطورية العثمانية في أواخر عهدها، مشيراً إلى أنها كانت تواجه تحديات كبيرة من الغزو الأوروبي المتصاعد، والتمردات الداخلية، وحركة المثقفين الثورية التي طالبت بتغيير جذري في أسلوب الحكم، كان على السلطان عبد الحميد أن يتصرف كريان سفينة يحاول النجاة في بحر هائج من الصراعات، ولم تكن مسؤولياته مجرد منصب رسمي، بل حمل ثقل على مستقبل الإمبراطورية والخلافة الإسلامية معاً.

يصور الكاتب السلطان في لحظة ضعف وانكسار، فيقول: "عندما رأى الحاج علال السلطان في هذا اليوم الربيعي الآفل ألفاه شيخاً هرمًا ظهره مقوّس والوجه تكسوه لحية شهباء يحدها أنف أفطس، كانت هذه اللحية غارقة في شحوب أضفى عليه مسحة كثيبة كتلك التي تغشى الأولياء"¹

عاد علال عبر باخرة كانت تُستخدم لتموين الجيوش المتجهة إلى طرابلس الغرب، وعند وصوله هناك، كانت الثورة التركية قد بدأت، كما يوضح الحمامي فيقول: "بعد أسبوع حل أب إدريس في المدينة البربرية وهناك علم بفضل المرس بخبر اندلاع الثورة التركية، وهكذا أعلن رسمياً عن المشروطيات، وبأمر من الجيش، تنازل السلطان عن حكمه المطلق وقبل بإصدار دستور قائم على الحريات البرلمانية، عمت المدينة الإفريقية الأفراح ودوت المدافع احتفاء

وزهد في الدنيا، وتوفي في دمشق عام 1193م، حيث دُفن بجوار المسجد الأموي، ينظر: أبو المحاسن بهاء الدين بن شداد، سيرة صلاح الدين الأيوبي، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012، ص12.

¹ الحمامي، إدريس...، المصدر السابق، ص 153.

بالحدث، ودون أن يفقه الحاج علال هذا التغيير الذي قتل أثناء العديد من الوزراء، راح ينخرط في الفرحة العامة العارمة مطلقا العنان لتفاؤل جم¹"

غير أنه في هذه المرة، أدرك نحائيا شيئا بعينه وهو أن روح الشرق قد تغيرت وأنه من اليوم فصاعدا على كل بلد، وقد عاد إلى القوانين الأزلية التي تملئها الأرض والدم، والدروس التاريخية، أن يسهر على خلاصه الشخصي، وهكذا برزت الفكرة القومية تحت الفكرة الدينية، هذه هي الخلاصة التي استمدتها أب إدريس من الحوار الذي كان له مع الأزهري في زاوية إبراهيم، تحت كعبة عبد المطلب جد الرسول ﷺ

عاد الحاج علال إلى الجبل في زمن كان المغرب فيه على حافة الحرب والاحتلال، مع تصاعد الصراع بين الإسبان والفرنسيين، وتزامن ذلك مع مراهقة إدريس الذي كان مولعا بالأدب العربي وحكايات ألف ليلة وليلة، في هذه الفترة، كانت الممارسات الوثنية مثل السحر والشعوذة منتشرة، وامتزجت مع بعض الطقوس الدينية والمعتقدات القادمة من الزواج، ما أدى إلى ظهور شخصيات دينية مزعومة تستخدم الدين لترويج الجهل، شارك إدريس ووالده وسكان قريتهم في معركة مقاومة ضد الإسبان والمرتقة، حيث تمكنوا من تحقيق النصر وأسر الجنود الإسبان، ورعاية المرضى، وإعدام الخونة، وفي سياق سرد الأحداث، يسلط الكاتب الضوء على قصة أحد المرتقة المسكين الذي انضم إلى الجيش الأجنبي هربا من الجوع، واكتسب عادات جديدة سيئة، لكنه في النهاية قتل في معركة ضد إخوته تحت شجرة بلوط، كتكفير عن ذنبه في قتال أبناء وطنه².

الشخصيات التي جعلها الحمامي أبطال هذه المعركة تشمل: علال، إدريس، الأسمر، ذو الخدين، سي عمر، عبد السلام، وسي بوعزة أما عن قائد المعركة من الجانب الإسباني، فيتحدث عنه الحمامي فيقول: " نظر إدريس إليه بكآبة مبهمة، لقد شعر رغم أنفه بنوع من النفور وعدم الرغبة في إيذاء هذا الشجاع الذي جاء إلى المغرب لمواجهة أناس لا يعرفهم قط، إن الشجاعة تفرض ذلك دائما وكان إدريس واعيا بذلك، والحال كان يكفي أن ينظر إلى الشيخ لي بن عمر المسمر أمام فوهة السلاح القاتل كي يقتنع بهذا المطلب الحاسم الذي لا يقاوم ألا وهو نداء الضمير"³.

¹ نفسه، ص 155.

² نفسه، ص 84.

³ نفسه، ص 185.

في معركة أخرى، هذه المرة هي معركة تتمحور حول سعي علال لإيجاد تعليم قوي يناسب ذكاء ابنه إدريس، بعد معاناة طويلة مع أسلوب التعليم التقليدي القائم على التلقين، ينتقد الكاتب هذه المرحلة عبر شخصياته، مشيرًا إلى جمود المعلمين الذين يحفظون ألفية ابن مالك وشرح ابن عقيل دون إضافة أي جديد.

يقدم الكاتب نموذجين مختلفين للمعلمين: الأول هو عالم جزائري وهراني، جمع بين علوم الفلك والجبر وساهم في توسيع مدارك إدريس، أما الثاني، فهو الراهب الفرنسي سكاني الذي أوفدته الإرسالية الإسبانية، والذي لقّن إدريس نقد رجال الدين المتواطئين مع السلطة، والمتلاعبين بالعلم والتعليم، ودفاعا عن حرية التعليم دون توجيه يعرض نفسه للخطر فنقتبس من كلام الكاتب على لسانه قائلا: "لقد أخطأت يا عقيد، لست مسكونًا قط بهذه الخزعبلات... إن هؤلاء الطلبة الذين أحبهم واحترمهم لهم دينهم المشابه بل المتفوق على ديننا، فليحتفظوا به، أنا لا أسعى - بناءً على رغبتهم - إلا إلى تعليمهم اللغة القشتالية والتحدث معهم حول مسائل التاريخ التي تمس جزءًا من ماضٍ مشترك¹" ويواصل الراهب قائلا حول رجال الدين: "رغم هذه الثياب التي هي في نظر الجاهل، الرمز المادي لحسن نيتنا وتقشفنا، فإننا لم نتخلّ قط عن الانشغال بأمور الدنيا، فلا زلنا نعيث الفساد في هذه الدائرة السيئة دون الاعتاز بدروس الماضي الثقيلة²"

وعند ترحيل هذا الراهب عن طنجة انتهى بنصيحة إلى طلبته قائلا: "قد تنطوي الصحافة على أهمية وقد تكون لها فائدة في الحياة الاجتماعية والكونية على شاكلة لغات إيزوب، فالصحافة الحرة الزاهدة تلعب دور العنصر المحرك بامتياز وتسهم في تحرير الشعوب والفرد من المعوقات التي تحول دون تطورها صوب أفضل الأشياء، ولكن الصحافة اليوم ليست حرة ولا زاهدة³"

في سعيه لتعليم ابنه، قرر علال إرساله إلى فاس للإقامة في البوعنانية تحت وصاية صديقه عبد الجبار، وهو ابن جلدتهم وقد قدم إلى المدينة وأصبح ذا جاه فيها، وهناك، ينتقل إدريس إلى فاس، حيث يصف الحمامي أوضاع الطلبة في تلك الإقامة وفي جامع القرويين: "عند تأمله هذا المشهد أدرك إدريس الأسباب الحقيقية لانحطاط بلده إدراكا أفضل من أي تحليل للأشياء لقد فهم جيدا وهو يرى الجيوش الأجنبية تحتل بلاده وتصادر أراضيه وتقيد

¹ نفسه، ص 206.

² نفسه، ص 207.

³ نفسه، ص 210.

شعبه بقوانين خاصة، جسامة الضرر المتنامي في ظل عقيدة أسيء فهمها ومفرعة من جوهرها الحي حتى النجاء بعد أن استقر في البوعنانية وأصبح يختلف على منزل مولاي عبد الجبار، شرع في متابعة دروسه في القرويين¹

يقارن الكاتب بين التعليم المزدهر في قرطبة في الماضي، وما آل إليه التعليم في زمن الرواية، كما يقدم شخصية سي عبد الباقي، الذي كان نموذجًا آخر للمعلم التقليدي، المتشبث بمعارف قديمة لا تمت بصلة للمدرسة الحديثة، ومع ذلك، لم تمنع هذه الأوضاع مجموعة من الشباب الراضين لهذا النمط من التعليم، وكذلك للاستعمار، من التجمع في نادي برئاسة صحفي شاب يدعى عبد الرحمن المنوغي، وقد ضمّ معهد المولى إدريس وهم معظم أعضاء هذا النادي، حيث اهتموا بالتاريخ، اللغات، وتحليل الأوضاع السياسية في تونس، الجزائر، ومصر وبقيّة العالم.

يتحدث الكاتب عن تجربة تعليمية مر بها البطل، حيث استخلص مجموعة من الدروس من عدة معلمين، منهم سي عبد السلام، الأستاذ الزروالي في تطوان، سي بوزيان، والقس توركوأتو، مما أتاح له تكوين فكرة شاملة عن التعليم والحياة الدراسية، ورغم أنه لم يكن يتمتع بذكاء يؤهله لمؤسسات التعليم العالي المرموقة، إلا أن المعرفة المتفرقة التي اكتسبها ساعدته على مواجهة تحديات الحياة في فاس، خاصة دروس سي بوزيان، التي مكنته من ترتيب وتنظيم ما تلقاه بشكل عشوائي.

ثم ينتقل السرد إلى لحظة مغادرته قريته تيزران، مودعًا أماكن طفولته وعناصر هويته الأولى، متجهًا إلى فاس، حيث سيواجه عالمًا جديدًا يتسم بصدام حضاري بين ثقافتين متنافستين، وهو صدام ظل المغرب الأقصى مسرحًا له عبر التاريخ.

في الوقت نفسه، ينخرط علال وأبناء جيله في مقاومة جديدة يزهق فيها العديد من أصدقاء طفولة إدريس، ويصاب علال بفقدان أحد أطرافه، مع تصاعد التضيق على نشاطهم الثقافي، يقرر الشباب التحول إلى النهج السلمي، مستفيدين من الصحف لنشر أفكارهم وآرائهم، يصف الحماامي حالة الرقابة الصارمة على الصحافة العربية في الجزائر، موضحًا أن النسخ التي تحتوي على نقد لاذع تُباع بسرعة، لكن البريد يصادر النسخ المرسلة إلى المشتركين داخل الجزائر، مع تسجيل عناوينهم، بينما تُرسل النسخ الممنوعة إلى الخارج، مثل المشرق وفرنسا، حيث يوجد جمهور أقل تحمسًا للاستعمار، ويرى أن الهدف من هذا التوزيع هو إتاحة النقد للعالم الخارجي دون السماح له بالتأثير على الداخل، خصوصًا الجزائر والمغرب وتونس، ومع ذلك، فإن السلطات لا تسمح باستمرار هذا الوضع، إذ يُفرض قمع شديد على الصحافة الحرة من خلال الشرطة والمحاكم، بهدف إخماد أي نشاط فكري حر ينمو في

¹ نفسه، ص 229.

الجزائر، وهو ما كان قد بدأ يجرب في تونس والمغرب، ولا يقتصر القمع على الصحافة المغاربية فقط، بل يمتد ليشمل كل الصحافة الشرقية التي تخضع لرقابة صارمة قبل دخولها إلى شمال إفريقيا.

رواية "إدريس" لعللي الحمامي تنتهي باستشهاد البطل إدريس، الذي أصيب برصاص حراس السلطان الذين كانوا ينفذون أوامر الإسبان خلال مظاهرة، ويُصوّر إدريس كشخص دفع ثمنًا باهظًا عن خطايا الأجيال السابقة، في لحظاته الأخيرة، يقارن إدريس معاناة بلده بمآسي المسيح، معبرًا عن تشابه الألم والتضحية عبر التاريخ، وصول خبر استشهاد إدريس إلى والده الحاج علّال، وهو شيخ مسن جريح بجسد منهك، يظهر هول الفاجعة التي انهارت معها آمال الأسرة والقبيلة، لكنه يواجه المصاب بثبات ورباطة جأش، مستندًا إلى مبادئ تربيته العريقة، الرواية تُبرز عمق ثقافة الحمامي التي تمتد بين التراث العربي والإسلامي وتاريخ أوروبا وسياساتها، مع انتقادات لافطة لسياسات المستعمرين، مثل رفض القديس أوغسطين للحركة الدوناتيّة وانتقاد "ميثاق" الرئيس ويلسون الذي لم يخدم مصالح الشعوب المستعمرة، من خلال أسلوب روائي ونقدي، تتناول الرواية قضايا الاحتلال في شمال إفريقيا، كاشفة عن الظلم والتناقضات التي مارسها الفرنسيون والإسبان، وتفصح الأكاذيب التي روج لها الاحتلال، تتجاوز الرواية السرد التاريخي لتقدم رؤية فلسفية عميقة تربط الماضي بالحاضر، مع التركيز على تأثيرات الاحتلال على البنية الاجتماعية والاقتصادية للمنطقة، والتشويه الثقافي الذي مارسه المستعمرون، بالإضافة إلى إبراز دور المقاومين في استعادة الذاكرة الثقافية والحفاظ على الهوية.

4.2. رواية الحريق للكاتب نور الدين بوجدر

رغم صدور رواية الحريق للكاتب الجزائري نور الدين بوجدر سنة 1958، إلا أن سيرة هذا الكاتب بقيت طيّ النسيان، حيث لم نجد له أثرًا في كتب التاريخ أو النقد الأدبي، سواء في الجزائر، بلده الأم، أو في تونس، التي طُبِعَ فيها عمله، ولا حتى في المكتبة الفرنسية، التي عُرفت بعنايتها الكبيرة بتوثيق الإنتاج الأدبي في مستعمراتها السابقة، هذا الغياب الملفت، يجعل من نور الدين بوجدر حالة ليست استثنائية لكاتب لم تُنصفه الذاكرة الثقافية، وظل مجهولًا رغم مساهمته المبكرة في التعبير عن هموم الوطن وقضاياها.

رواية الحريق تُعد من النصوص الأدبية القليلة التي صدرت أثناء الحقبة الاستعمارية، وتناولت بشكل مبكر قضايا الهوية والانتماء الوطني في ظل الاحتلال الفرنسي، نُشرت هذه الرواية سنة 1958¹، في وقت كانت الجزائر تغلي بثورة التحرير، وجاءت لتسلط الضوء على معاناة الشعب الجزائري في مواجهة الظلم والقمع الاستعماري، من

¹ نور الدين بوجدر، الحريق، دار بوسلامة للنشر، تونس، 1958.

خلال سردٍ يستعرض التحولات الاجتماعية والثقافية التي فرضها الاحتلال، وما خلفته من صراعات داخل الذات الجزائرية.

عنوان "الحريق" يحمل دلالات عميقة تتجاوز المعنى الحرفي، الحريق إلى المشاعر الملتهبة داخل الانسان، يمكن أن يرمز الحريق إلى عملية التجديد والتحرير، حيث يحرق الشيء القديم ليفسح المجال للجديد، أي يحرق الاحتلال لتظهر الجزائر المحررة، قد يمثل الحريق في هذا السياق نهاية لشيء ما وبداية لشيء جديد، أو عملية تطهير وتنقية، يُمكن تفسير "الحريق" على أنه رمز للنضال والثورة، حيث يُعبر عن الشرارة التي تُشعل روح المقاومة في قلوب الناس، كما يُشير الحريق إلى الفوضى والدمار الذي تسببه الحروب والنزاعات، مما يعكس الوضع المأساوي الذي عاشته الجزائر في فترة الاحتلال، العنوان أيضاً يُثير تساؤلات حول آثار الحريق، سواء على المستوى الشخصي أو الجماعي، مما يساهم في خلق جو من التوتر الدرامي والتعاطف مع الشخصيات، إن اختيار بوجدره لهذا العنوان يُبرز أهمية الكفاح المستمر والتضحيات التي بُذلت من أجل تحقيق الاستقلال، مما يجعل الرواية ذات صدى قوي في الذاكرة الثقافية الجزائرية.

يفتح الكاتب روايته بمقولة لجواهر لال نهرو¹، ليبدأ المشهد بعد ذلك بلقاء علاوة مع زهور، ابنة عمه وخطيبته، يستغرب علاوة خروج زهور في هذا الوقت المتأخر من الليل، خصوصاً مع الوضع الأمني المتدهور، حيث لا يفرق الجنود بين الأشخاص، يُظهر قلقه تجاه سلامتها ويعبر عن خوفه من أن يصيبها مكروه، لكن زهور تُخبر علاوة بأنها عازمة على الانضمام إلى جيش جبهة التحرير، يتطور الحوار بينهما، حيث تعبر عن تصميمها على المشاركة في الكفاح من أجل حرية الجزائر، مما يُظهر قوتها وعزمها في مواجهة الاحتلال.

يقع علاوة أمام خيارين، خيار الحب وخيار الواجب، فزهور وحيدة مع والديها الشيخين التي لن تجد من يسندها من بعده، فقبل هذا كان علاوة سعيداً مع زهور أما الآن فلن يستطيع الفرح والعيش كجبان وبلاده منتهكة، وانتصر سلطان الواجب على الحب في قلب علاوة، وحينما دخل المعسكر وبدأ يشعر بالسكينة لأنه يحقق ارادته في الانتقام لوالديه الأبرياء وإلى جميع الأبرياء، كان نشيد الجزائر في صفوف الثوار وعادت إليه روح الكفاح، ودخل علاوة مقر الرئيس المدعو إسماعيل، رجل في عقده الرابع، كانت ظروف المدينة الاقتصادية قاسية والجنود لا يفرقون

¹ جواهر لال نهرو (1889-1964): هو أول رئيس وزراء للهند بعد استقلالها عن الاستعمار البريطاني، ويُعتبر أحد أبرز القادة في الحركة الوطنية الهندية. وُلد في عائلة نبيلة وتعلم في جامعة كامبريدج، حيث تأثر بالأفكار الاشتراكية والديمقراطية، كان له دورٌ بارز في تأسيس مؤسسات تعليمية وصناعية حديثة، واهتم بقضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الهند، كما كان من مؤسسي سياسة عدم الانحياز خلال فترة الحرب الباردة، مما ساهم في تعزيز مكانة الهند على الساحة الدولية، تُوفي نهرو في سنة 1964، ولا يزال يُعتبر رمزاً للنهضة الهندية الحديثة، ينظر: جواهر لال نهرو، رسائل نهرو إلى أنديرا، تر: أحمد بهاء الدين، دار زهور الفكر، 1986، ينظر أيضاً: جورج عزيز، جواهر لال نهرو، دار الهلال، القاهرة- مصر، د ت، ص 13.

بين الطفل والشاب والمرأة والشيخ، يقتلون ويهتكون الأعراض، وكان إسماعيل يتساءل حول ثقة الناس في الثورة فيجيبه علاوة أن الناس تتوق إلى الانتقام خصوصاً وأنهم يرون الاضطهاد عن قرب وأنهم يفقدون أحبتهم دون أي عدالة وهذا ما يجعلهم ينضمون إلى جيش التحرير ويؤمنون بانتصاره في هذه الحرب وكان علاوة يجيب إسماعيل بغضب وحرقة فيرد عليه إسماعيل: " عفوك أيها المواطن العزيز! إنه يحق لي أن أثور على هؤلاء الظالمين الذين جعلوا منا عبداً نسخر! فنشقى في بلادنا ويسعدون! ثم تذهب بهم غطرسهم إلى اعتبار الجزائر جزءاً من فرنسا! أنى واثق من أن العالم يهزأ بهم وبادعائهم! متى اندمجت الجزائر في فرنسا ومتى كان الجزائريون فرنسيين ومتى كانوا مسيحيين؟ اننا مسلمون وسنبقى مسلمين على مر الدهور، الاسلام ديننا، والاستقلال هدفنا ولا ترغمننا القوة على إنكار ذلك...! ثم استطرد قائلاً: علمت من المقاوم الذي أتى بك أنك تريد تعزيز صفوفنا! فهل قمت سابقاً بالخدمة العسكرية؟¹"

هكذا انضم علاوة رسمياً إلى الجيش، ثم ينتهي المشهد بوصف مروع حيث قتلت الجنود والد زهور أمام عينيه، كل صباح، يصطف الجنود بأسلحتهم في شوارع سكيكدة لإرهاب السكان ومنع أي فكرة قد تدعو إلى دعم المقاومين والثوار، يتم إطلاق النار على أي شخص يُشتبه به، وقد قاموا بإعدام مائة شخص بعد جمعهم في الملعب البلدي، يتحدث الكاتب عن مشهد الرثاء الذي أعقب ذلك، حيث غمرت المدينة أجواء الخوف والرعب، وتحولت إلى ما يشبه المقبرة، ويصف الكاتب المعركة الأخرى التي تخوضها النساء، وهي معركة الحفاظ على عفتهم، مما يعكس الأوضاع الاجتماعية الصعبة في تلك الفترة.

ترجع القصة إلى زهور، حيث تتبلور في داخلها فكرة الانتقام من الوحوش الذين قتلوا عائلتها، بما في ذلك عمها وزوجته ووالدها، وحرموها من علاوة، زوجها المستقبلي، مسلحة بمسدس والدها، تغادر قاصدة حصن الثوار. ثم يبدأ الفصل بوصف جبال الأوراس، المكان الذي يثير الرعب في قلوب الفرنسيين، حيث ارتبكت فرنسا أمام الثورة الجزائرية وقررت جلب شبابها بالقوة للقتال ضد المقاومين الذين صعدوا الجبال بإرادتهم الحرة، يشير الكاتب إلى المظاهرات التي حدثت في فرنسا احتجاجاً على قرار التجنيد الإجباري لأبنائهم في الجزائر، كما يتناول وضع الجزائريين الذين وُضعوا في الجبهات الأمامية للجيش الفرنسي في مواجهة الألمان.

يتساءل الكاتب عن كيفية اعتبار الجزائر جزءاً من فرنسا، في سياق المقارنة بين الوضعين، وقد نصب الثوار كميناً لكتيبة فرنسية بين الأشجار، وأسروا عدداً من الجنود، يصف الكاتب الفارق في معاملة الأسرى بين الأفارقة

¹ بوجردة، الحريق، المصدر السابق، ص 63.

الذين يظهرون الإحسان، والمستعمرين الذين يتسمون بالوحشية، يتفاجأ الجنود الفرنسيون عندما يدركون أن عدوهم ليس مجرد عصابات، بل هم رجال مقاومون، ويظهر علاوة كقائد عسكري، يتقدم نحو الأسرى ويتحدث معهم، يخبره شاب أسير أنه جاء إلى الجزائر مكرهاً، موضحاً أن الاقطاعيين (المستوطنين) هم من يضغطون على فرنسا للتخلي عن مبادئها، يعبر علاوة عن الفظائع التي ارتكبت ضد الجزائريين، حيث حاربوا العرب في كل مكان وقتلوا اللغة والهوية واستبعدوا الجزائريين، محرمين إياهم من مقومات الحياة، وفي لحظة مؤثرة، يعلم علاوة أن زهور جاءت لزيارته، ويذهب إليها الشاب، يُظهر الكاتب هنا غربة هذين الشابين في عالم مليء بالظلم والقهر، حيث يتحملان معاً عبء فقدان الأهل والعيش في سبيل الحرية والنصر.

وتبدأ الأحداث عندما تخبر زهور خطيبها علاوة بأنها ترغب في الانتقام لوالدها، لكن علاوة يرفض هذا الطلب ويأمرها بالعودة، مؤكداً أن النساء لا يُسمح لهن بالمشاركة في الكفاح وسط الرجال، تنتهي هذه المشهد بتقبيل زهور العلم الجزائري، مما يدل على إيمانها بقضيتهم، وقد أمر علاوة أحد الجنود بإعادة زهور إلى منزلها بعد أن تنكر في زي فلاح، قبل مغادرتها، تركت زهور لعلاوة منديلاً أبيض دسه في جيبه كرمز للحب والدعم.

في هذه الأثناء، كان الثوار يستعدون لمعركة بعد أن وصلهم خبر عن اقتراب دورية فرنسية، ينصح علاوة رفاهه بضرورة التحلي بالصبر والتركيز، ثم تظهر دبابة فرنسية وخلفها جنود يتفوقون عدداً على الثوار الذين بجانب علاوة، يتخذ علاوة قراراً شجاعاً برمي قنبلة على الدبابة، بينما يساعده الثوار بإطلاق النار.

تنتهي المعركة بخسائر، حيث أصيبت الدبابة بأضرار وقتل سبعة فرنسيين، بينما استشهد ثلاثة من الجزائريين، وجرح الكثير منهم، مع تصاعد الأحداث وتضييق الخناق عليهم، يستسلم البقية، ومن بينهم علاوة، بعد أن تم محاصرتهم، ثم يصف الكاتب مدينة قسنطينة المقسمة بين الأوربيين والجزائريين، يظهر الكاتب الفروق الواضحة بين الحيين: الحي الأوروبي نظيف وراقي، بينما الحي الجزائري قذر وضيق، حيث منازل آيلة للسقوط وأطفال مشردون يتجولون في الأزقة، يعكس هذا الوضع معاناة الجزائريين بسبب قرن من الاحتلال، حيث يتمتع الأوروبيون بكل شيء بينما يعيش الجزائريون في شقاء وقنوط.

يُسجن علاوة ورفاهه في سجن قسنطينة الكئيب، حيث يلتقي علاوة بصديق قديم له يُدعى عبد الكريم، الذي اعتُقل بسبب حيازته لآلة حادة يحتاجها في عمله، يروي عبد الكريم لعلاوة كيف تم تعذيبه، ويشير إلى أن هذا السجن لا يتركه أي شخص إلا وهو ميت، حيث تتعدد أساليب التعذيب المستخدمة، ثم ينتهي الفصل بعلاوة ورفاهه وهم يفكرون في خطة للهروب من السجن، مما يضعهم على مشارف تحدٍ جديد في كفاحهم ضد الاحتلال.

صباح اليوم التالي، يُساق علاوة إلى مكتب الكوميسار، حيث يدور بينهما حوار حاد حول شرعية المقاومة، يزداد التوتر في الحوار حتى يقوم الكوميسار بتهديد علاوة بمسدس، مما يدفعه إلى طرده وشمته، ويعلمه بأنه سيُحاكم مع أصدقائه في اليوم التالي.

في المشهد الثاني، نجد علاوة ورفاقه في زنزانتهم يستمعون إلى خطة علاوة للهرب تلك الليلة، تتضمن الخطة خدعة تتعلق بظهور مرض أحد رفاقهم عندما يأتي السجن لتوزيع الماء والخبز، يتم اختيار عبد الكريم لأداء هذا الدور، عندما يدخل السجن ويكتشف مرض السجن، يستغل علاوة الفرصة وينقض عليه، ويستولي على مسدسه ومفاتيحه، يتعاون جميع الأسرى في زنزانتهم للهروب، ويهدد علاوة رئيس الشرطة ومعاونيه بالسلاح، مُخبراً إياهم أن هذا الفرار ليس خوفاً من الموت، بل هو لمواصلة الكفاح، مؤكداً أن الموت شرف لكل جزائري، وعندما يخرجوا من مبنى السجن، يتعين عليهم الفرار من السور، ينتظرون وسط الظلام، وعندما يزحف علاوة نحو الحارس، يطلب الحارس الرحمة، فيرد علاوة بشكل قاطع.

ينتشر خبر فرار المقاومين في الجزائر، مما يؤدي إلى ردود فعل متباينة؛ حيث أدانت الصحافة الفرنسية السلطات المحلية بشدة، بينما فرح الجزائريون وتبادلوا التهاني، لكن الشرطة لم تظل مكتوفة الأيدي، بل بدأت في أعمال التنكيل والتعذيب، يظهر في هذا السياق أن الطغاة والمستبدين يُقهرون بالصبر والمقاومة، كما أن تاريخ الإنسانية مليء بممارسات الظلم والاستبداد، حيث يدفع الظالمون ثمن تصرفاتهم، وتتجلى رغبة الاستعماريين في الاستمرار في التنكيل، معتقدين أن قوتهم العسكرية كافية لسحق طموحات الشعوب الحرة، ومع ذلك، فإن الشعوب مثل الصين والهند قد صمدت بقوة أمام الاحتلال، مما يعكس تضامن الشعب الجزائري مع الشعوب الآسيوية في نضالهم ضد الاحتلال.

على الرغم من الكفاح المرير، يتمسك الشعب الجزائري بالعقيدة التي توحدتهم، مؤمنين بأن القيود ستنكسر وأن الظلم سيزول، يتساءل الفصل عن حق الشعب الجزائري في العيش بكرامة في ظل الاحتلال، وعن حق الفرنسيين في اعتبار الجزائر جزءاً من فرنسا، وفي قلب جبال الأوراس، يقف رجل يتأمل في الأفق، مستعيداً ذكرياته مع حبيبته التي تخلت عن كل شيء لتكون بجانبه في صراعه، يتسلل إليه الشوق والحنين، لكنه يتذكر والدينه ويشعر بالحاجة للصمود، يظهر صديقه عبد الكريم، الذي يطمئنه بأن الأمور ستتحسن، ويشدد على أهمية التفاؤل والصبر.

في مؤتمر باندونغ، تتحد شعوب آسيا وإفريقيا ضد الاحتلال، معبرة عن عطفها على الإنسانية، يؤكد علاوة أن الثورة الجزائرية ليست ناتجة عن البؤس والبطالة كما يدعي الفرنسيون، مشيراً إلى دعم الدول العربية للجزائر،

فرنسا تحشى من تدخل الدول العربية في شؤون الشمال الإفريقي، مما يثير مخاوفها من فقدان السيطرة، في ختام النقاشات، تقرر الحاجة إلى فترة راحة للتجديد، وتعكس الأجواء القائمة في سكيكدة، حيث كانت السماء ملبدة بالسحب الداكنة، المدينة تعيش في هدوء يعكس الكوارث المحيطة، مع تمسك سكانها بالأمل، في وسط هذه الأجواء، كانت زهور تبكي على حبيبها المناضل علاوة الذي اختفى منذ فراره من السجن.

تدخل خديجة لتخبر زهور بوجود زائر ينتظرها، عندما تلتقي الزائر، تجد أنه مولود، الرجل الذي يعرف بحبها لعلاوة والذي كان وراء مآسيها، وهو عازم على الانتقام، يحاول مولود تعزيتها بعد وفاة والدها، لكنه يجد زهور باردة تجاهه، ويعبر عن حبه لها، تهدده بمصير علاوة يدفعه للخروج دون أن يلتفت، وتستعيد زهور ثقتها بالله، وتظهر المفاجأة عندما ترى عبد الكريم مع خديجة، حيث يقدم لها رسالة من علاوة تعبر عن حبه ودعمه لقضيتهم، تعبر زهور عن سعادتها بعد قراءة الرسالة وتضعها في جيبها، بينما يبدو عبد الكريم متأثراً بتغيير حالتها، تستمر زهور في حديثها مع عبد الكريم وتؤكد أن الخائن لن ينجو من الموت، مما يعكس مشاعرها القوية.

تدخل والدته مع امرأة أكبر سناً، وتستقبلهم زهور بحفاوة، مما يخلق جوّاً من الألفة في المنزل، يُختتم الفصل بتأكيد على أن الجريمة الأفظع هي الخيانة، وأن الثوار يجب أن يقاوموا المتعاونين مع الاحتلال، يُذكر أن الشعب لا يستحق الظلم، وأن النصر سيكون حليفهم في النهاية، وفي سياق موازٍ، تعثر الجندما الفرنسية على جثة جزائري قتل برصاصها، وتنشر الصحف صورته وطالبت بمعاينة المجرمين، بينما تبرز إحدى الصحف الاستعمارية الاعتداء على الجزائريين كدليل على وحشية المتمردين، يُعبر الكاتب عن استنكاره لهذه الآراء، ويشير إلى أنها تحامل على الجزائريين وتضليل للرأي العام، معتبراً أن هذه التصرفات تعكس فشل الطغاة في فهم الواقع.

تدهورت الأوضاع في الجزائر بشكل سلبي، حيث أدرك الفرنسيون أنهم أصبحوا موضع سخرة على مستوى العالم، عندما قرر رئيس الوزراء الفرنسي التجنيد وإرسال المزيد من الجنود إلى الجزائر، استيقظ الفرنسيون على حقيقة الوطنية الجزائرية المتنامية، تشكل الحزب الاشتراكي والحركة الراديكالية، مما أدى إلى تكوين الجبهة الجمهورية، التي عازمت على إجراء انتخابات حرة، وتصاعدت الحملة الدعائية العنيفة ضد الحكومة الفرنسية، حيث حث التجار الصغار على عدم دفع الضرائب، مما أحدث تغييرات سياسية كبيرة، فازت الجبهة الجمهورية في الانتخابات وحلت محل الحكومة السابقة، مما أثار ردود فعل قوية في الصحافة الباريسية، حيث استنكر العديد من الصحفيين السياسات الفرنسية، تحولت الحملة الانتخابية إلى مواجهة عنيفة، وتم انتخاب زعيم جديد للبلاد.

تظهر الجوانب المختلفة من الحياة في الجزائر، حيث تتداخل الثقافة العربية مع الفرنسية، يتجول الأوروبيون بسعادة في الشوارع بينما يعاني المسلمون من الفقر والبؤس، بأجساد عارية ووجوه شاحبة وعيون غائرة، يبحثون عن لقمة عيش، في إحدى زوايا المدينة، تعاني امرأة شابة مع طفلها وزوجها من الصعوبات اليومية، مما يثير الألم والحزن في نفوس المراقبين.

تشهد العاصمة مواجهات في الشوارع بين المحتجين والشرطة، حيث يندد المحتجون بسياسات الحكومة ويطالبون بالتغيير، تصبح الأجواء مشحونة، ولكن الشرطة لا تستخدم القوة ضد المتظاهرين الأوروبيين، بينما يتم قتل أو احتجاز الجزائريين، مع هدوء الأوضاع ليلاً، اجتمع الوطنيون في بيت قديم بالقصبة، وقد حضر عبد الكريم متذكراً بزي امرأة بالحايك لتجنب لفت الأنظار، نصحهم بعدم الانجرار وراء خطط الفرنسيين التي تهدف لدفع الجزائريين للتمرد في اليوم الذي سيزور فيه الجنرال كاترو ورئيس وزراء فرنسا الجزائر، خلال هذه الزيارة، وقعت مظاهرات من قبل الأوروبيين، حيث أهانوا رئيسهم مانديس فرانس ووصفوه بالجرم، بالمقابل، لم يفعل الجزائريون شيئاً، مما أظهر الفجوة بين الأوروبيين والوحشيين والجزائريين الناضجين، وفي هذه المعركة، انتصر الأوروبيون في الجزائر مع تغيير حكومتهم، مما يفسر الضغوطات التي تفرضها الأقدام السوداء على الشعب الجزائري.

يشعر علاوة بفخر واعتزاز برسالة ابنة عمه زهور، ويجد نفسه مرتاحاً بعد فترة من القلق، يشجع زهور على الاعتماد على الله والقتال من أجل تحرير الجزائر، لكن سرعان ما ينتابه شعور بالتوتر والقلق، مما يثير تساؤلات حول حالته العاطفية.

خلال حديثه مع صديقه عبد الكريم، يعبر علاوة عن إحساسه بأن العالم قد تحول إلى جحيم غير إنساني، ويرغب في الحرية والتحرر من الظلم، يتعجب عبد الكريم من هذه الثورة الداخلية، لكن بعد انتهاء انفعالات علاوة، ينتقلون إلى مواضيع أخرى، وفي الصباح التالي، يتلقى علاوة دعوة للقاء الرئيس إسماعيل، أمام الرئيس، يستمع علاوة لخطاب إسماعيل الذي يتحدث عن الاستسلام والوعد بعدم تقتيل أي من الفرنسيين، فيسخر علاوة من هذا الخطاب ويؤكد على أهمية استمرار النضال.

تعجب الرئيس بإباء علاوة وثباته، ويطلب منه الاستعداد للمهام المقبلة، يتحدث الضباط عن الوضع الحالي وضرورة المقاومة، ويعلن الرئيس أن الجزائر ستصبح جمهورية عصرية مع توجه نحو ديمقراطية حقيقية، مؤكداً أن الأقلية الأوروبية ستمتع بالمساواة في الحقوق، وأن من يختار الجنسية الفرنسية سيعتبر أجنبياً، يؤثر هذا التصريح بعمق في نفوس الثوار الذين يهتفون بالتأييد.

تتناول "نكبة تبسة" تصلب الاحتلال الفرنسي وتحالفه مع الإقطاعيين في مواجهة الثورة الجزائرية، حيث أظهرت الحكومة الفرنسية تجاهلاً لمطالب الشعب الجزائري نحو الاستقلال، مفضلةً تعزيز وجود الأقلية الأوروبية في الجزائر، وتصل زهور إلى بلدة تبسة مع والدتها وخادمتها لزيارة خالتها الحامل، تشعر زهور بالدهشة وتذكر أيام طفولتها، لكن الإهمال والهدوء في المكان يغضبها تجاه الاحتلال، في منزل خالتها، تشعر بالحمى وتسقط على الفراش، مما يدفع خادمتها خديجة إلى محاولة تقديم الرعاية، بينما تعاني زهور من الهذيان، تشتاق لرؤية حبيبها، فتخرج خديجة للبحث عن طبيب، لكن تواجه جندياً متهوراً يحاول التحرش بها، وينقذها شيخ كبير يطعنه بالخنجر، يتبين لاحقاً أن هذا الشيخ هو علاوة متنكراً، ويعود إلى زهور لتبدأ حواراً حول انتهاء الحرب.

في سياق الأحداث، يتم العثور على جثة جندي مقتول بالخنجر، مما يثير جنون الدوريات الفرنسية في تبسة، يتأمل الكاتب في الفظائع التي ارتكبتها هتلر بحق اليهود، ويتساءل عن سبب عدم اهتمام الأوروبيين بما يحدث في الجزائر، مشيراً إلى ازدواجية المعايير في الغرب، ويشعر علاوة بتأنيب الضمير بسبب مقتل الجندي، فيما تعود فكرة الكفاح إلى زهور، التي تقرر الانضمام إلى علاوة في الكفاح، يعجز علاوة عن رفض مشاركتها، حيث لا يجد حججاً تمنع امرأة من القتال في حرب التحرير، وتتأمل زهور وعلاوة في بلدة تبسة، حيث ودعا بعضهما بحزن، تتذكر زهور كلمات أمها الداعمة، مما يدفعها للبكاء، لكن علاوة يعتقد أنها تشعر بالندم على مغادرتها، يُشيد علاوة بقوة زهور ويحثها على تجنب المناطق الخطرة، بعد ساعات من السير، تتعب زهور، لكن علاوة يطمئنها بقرب هدفهم، فجأة، يسمعان صوت طائرتين هليكوبتر، فيتظاهران بالنوم.

تعمل زهور لفترة طويلة في خدمة جيش التحرير، تعني بالجرحى، لكن تسقط مغشياً عليها، ويكتشف الطبيب احتمال إصابتها بمرض قلبي، يُقرر علاوة نقلها إلى تونس لتلقي العلاج، ثم يتجهون مع مقاوم شاب إلى تونس، حيث يشعر علاوة بصمت الشاب، الذي فقد والده على يد الفرنسيين.

عندما تقترب القافلة من حدود تونس، يتعرضون لهجوم من العدو، ينقذ علاوة زهور، لكنه يجدها مصابة بجروح خطيرة، بينما يحاول مساعدتها، تموت زهور، مما يدفع علاوة للانتقام، يراقب العدو وينفذ خطته بتفجير نفسه مع المفرقة، مما يؤدي إلى مقتله ومقتل العديد من الجنود الفرنسيين، وبعد ثلاثة كيلومترات من الحدود، يجد مجاهد جزائري جثتي علاوة وزهور، ويدفنها معاً احتراماً لحبهما، ينظر رفيقهما إلى السماء ويدعو الله لقبولهما كشهيدين، معتبراً حبهما أسمى حب شهد عليه في حياته، كما نلاحظ أن الكتاب يعالج عدة قضايا وهي:

— الظلم:

تعرض الجزائريين للقتل والفقر واليتم والقهر، وهذا ما يشعر به علاوة الذي دفن والديه بعد انتشالهما من ركام منزلهم المهديم بقذيفة طائرة مما جعل علاوة يعزم على الانتقام وكذلك زهور التي قتل والدها أمامها بدون ذنب.

- كان على غالبية الشباب الجزائريين الاختيار بين الانصياع لعواطف الحب أو الاستجابة لنداء الواجب الوطني:

يوضح لنا الكاتب صعوبة الاختيار بين الحب والواجب، فالزواج من زهور يؤدي به إلى العيش بجبن وتناسي ما يفعله الفرنسيون بأرضهم، أما خيار الواجب وهو الوقوف بجانب الوطن والانتقام للأبرياء وتحرير الوطن من الأعداء وبعدها إن كتبت لهم الحياة سيعيشون حياة شريفة وحرّة، وهذا الخيار أيضا تتعرض له الشابة زهور التي ستكون أمام الزواج بعلاوة ولكنها سيموتان داخل الخوف والعيش تحت رحمة جنود وحوش أو ترك علاوة يذهب للثوار ويجلب لها شرف الانتصار أو الموت من أجل الواجب، وفي نهاية المطاف زهور وعلاوة يحاربان جنبا إلى جنب، علاوة بسلاحه، وزهور بقدرتها على الاهتمام والتطبيب.

- الفروقات بين الحياة في الجانب الأوروبي والجانب الجزائري:

هذه الفروقات يضعها في سكيكدة، قسنطينة، العاصمة، تبسة، حيث أن الجانب الأوربي ينعم بالأمان والرقى والنظافة والظروف الصحية الممتازة، بينما الجانب الجزائري قذر وضيق يعاني البؤس والمجاعة، سكانه يعيشون تحت رحمة الجنود وسياسة الأقدام السوداء.

- ضغوط الأقدام السوداء:

يطرح الكاتب قضية فقدان الحكومة الفرنسية السيطرة على الأوربيين المتواجدين بالجزائر، وتحول الحكم من فرنسا نحو الجزائر إلى تحكم المتواجدين من الأوربيين بالجزائر بفرنسا مما جعل الفرنسيين يرسلون أبناءهم من فرنسا للتحند الاجباري في الجزائر، كما وصلت الضغوطات بتغيير السياسيين وكذا تغيير سياسة فرنسا والانتقاص من أي قائد يظهر بعض التعاطف أو العدل تجاه الجزائريين.

- معاملة الأسرى:

في هذه الرواية يطرح الكاتب فكرة الأسير الفرنسي عند الثوار وما يلقاه من رحمة وكرم وأسلوب في الحوار حول القضية الجزائرية، وما يلقاه الأسير الجزائري من ضرب وتعذيب في سجون الفرنسيين وانحطاط في الحوار يصل بالشتم والاهانة والتهديد بالسلاح.

- دور المرأة الجزائرية في الكفاح:

هذه الرواية نجحت في وضع المرأة إلى جانب الرجل في الكفاح، لم يفرق الكاتب بين الاثنين فلم ير من تنكر عبد الكريم بزي الحايك عيباً، ولا في التحدث عن مشاعر المرأة في الحب، الغضب، الحزن، وقد وصف كفاحها في الدفاع عن شرفها وسط غابة من الوحوش، كما وصف الرعب والظلم الذي تتعرض له وموت أحببتها ومغادرتهم أمامها، كما وضع نهاية محاولات زهور في الصعود إلى الجبل تكلل بالنجاح فعلاوة استطاع اقناعها في البداية بأن النساء يجب أن يلزمن بيوتهن ولكن بعد اشتداد الضرب والحصار وافق من انضمامها وتطبييها لجرحي التحرير.

— التعامل مع الخائن الجزائري:

تعتبر الثورة الشخص الذي يقدم معلومات إلى الثورة خائناً أما فرنسا فتعتبره صديقاً لها وأمام هذا الاختلاف يتم تصفية الخائن أما فرنسا فتبحث عن الجاني وتعتبر هذا الاغتيال خطراً عليها، هذا ما حدث لمولود الذي مزج بين مصالحه الشخصية ومصالح فرنسا فتحظى فرنسا بالجزائر وهو بزهور وهنا يوضح الكاتب التداخل الكبير بين الخيار الأول الذي وقع فيه علاوة وزهور.

— دور اليهود:

يضع الكاتب مقارنة بين إنسانية الجزائريين وتعاطفهم مع اليهود الذين كانوا يتعرضون للإبادة في أوروبا تحت الحكم النازي وبين اليهود وفرحهم برؤية جثث الجزائريين تساق نحو الدفن، فيتساءل الكاتب عن سبب هذا الحقد أليس الجزائري إنساناً؟ لماذا يتم تجاهل قصته ولماذا اليهود يشمتون في موته؟

— انتصار الحب والواجب في النهاية:

في الرواية يظهر لنا تصارع فكرة الحب كنزعة إنسانية مع فكرة النضال والثورة، وموت البطلين في الرواية يدل على انتصار الفكرتين، الموت بشرف من أجل قضية الحرية والموت معاً كإنسان الكاتب يقول أن الموت ليس نهاية بل بداية أبعديتهما، ويحلل واسيني الأعرج رواية "الحريق" لنور الدين بوجدرية ليكشف بأن بناءها بسيط في الشكل الخارجي لكنها غنية بالأفكار العميقة التي تتناول قضايا اجتماعية وسياسية تلامس واقع الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، يرى أن الرواية تصور شخصيتي علاوة وزهور اللتين تمثلان معاناة المجتمع الجزائري، حيث يدفعهما الظلم الاجتماعي والاقتصادي للانضمام إلى المقاومة الجزائرية، هنا، يعكس بوجدرية تداخلاً بين الوعي الذاتي والشعور الجماعي، حيث يقود الحب إلى وعي نضالي لتحرير الجزائر، فالرواية تعتمد على الفكر الثوري، تظل الرواية شاهدة

على الواقع الاستعماري وتكشف عن الفشل في ادعاءات البرجوازية الفرنسية بقيم الحرية والمساواة، مما يعكس الوعي العميق بحتمة الثورة وانهيار الاحتلال¹.

يشير سعيد خطيبي إلى أن رواية "الحريق"، التي نُشرت سنة 1957 للكاتب نور الدين بوجدر، كانت أول رواية جزائرية باللغة العربية، ومع ذلك، تم تهميشها أو محوها من الذاكرة الجماعية بسبب السردية الرسمية التي فرضتها السلطة الجزائرية بعد الاستقلال، السلطات الجديدة رغبت في التأكيد على أن الاحتلال الفرنسي حرم الجزائريين من لغتهم العربية، بينما يشير خطيبي إلى أن هذا الادعاء غير دقيق تاريخيًا، هذا التهميش لرواية "الحريق" جزء من محاولات تكذيب التاريخ من قبل السلطة التي سعت لترويج فكرة أن الشعب الجزائري كان محرومًا تمامًا من اللغة العربية خلال فترة الاحتلال، وهو ما يناقض الحقائق التاريخية التي تظهر أن الفرنسية والعربية تواجدتا جنبًا إلى جنب في التعليم قبل الاستقلال².

¹ واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية -دراسة-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1985، ص ص 37-50.

² سعيد خطيبي، (09 فيفري 2024)، في الجزائر... (العربية) خلف حيطان الدين والسياسة، صحيفة القدس العربي، استرجعت في تاريخ 16 سبتمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.alquds.co.uk/>

خلاصة:

تشكلت الكتابات القصصية والروائية في الجزائر ضمن سياقات ثقافية وتاريخية مركبة، إذ جاءت القصة كفن حديث متأثر بالأدب الغربي، لكنها حملت في جوهرها امتدادًا للحكايات الشعبية العربية، وتطورت تدريجيًا من المقالة القصصية إلى القصة الفنية، وقد واجهت القصة الجزائرية صعوبات في بداياتها بسبب التحديات الاستعمارية، إلى أن بدأت تنضج في ثلاثينيات القرن العشرين، وتحديدًا خلال الثورة التحريرية، حيث غلب الطابع الوطني على مضامينها، لتصبح أداة مقاومة وتعبير عن الهوية، أما الرواية، فظهرت لاحقًا كامتداد سردي أكثر تعقيدًا، يعكس تحولات المجتمع الجزائري ويستثمر تقنيات فنية متقدمة كالاسترجاع والتقطيع الزمني، وجاءت لتعيد بناء الواقع عبر الخيال، مساهمة في رسم صورة متعددة الأبعاد للذات الجزائرية في مواجهة الاحتلال والتحديث، وبهذا، أضحت القصة والرواية مجالين أساسيين في الأدب الجزائري الحديث، يجمعان بين التعبير الجمالي والوظيفة الثقافية والسياسية.

الفصل الثاني: الكتابات المسرحية والرسائل

أولا/ دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي

ثانيا/ نماذج من الكتابات المسرحية

ثالثا/ نماذج من كتابة الرسائل

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

في سياق البحث في الكتابات الأدبية الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية، يبرز هذا الفصل ليتناول شكلين تعبيريّين يختلفان من حيث البنية والأسلوب، لكنهما يتقاطعان في الوظيفة والدلالة؛ وهما: الكتابة المسرحية وكتابة الرسائل، وإذا كانت الرواية والقصة قد رسّخت حضورها في المتن الأدبي، فإن المسرح والرسالة قد شكّلا بدورهما امتداداً تعبيريّاً أصيلاً، حمل نبض المرحلة وأسئلتها العميقة، من هذا المنطلق، يسعى هذا الفصل إلى مساءلة حضور هذين الجنسّين داخل إطار الكتابات الأدبية الجزائرية، بوصفهما تحليلين لممارسات خطابية تفتح على الاجتماعي والسياسي والوجداني، وتكشف عن تفاعلات الذات الكاتبة مع واقعها، ضمن شروط قاسية صنعتها الهيمنة الاستعمارية.

أولاً: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي

1. مفهوم الكتابة المسرحية

الكتابة المسرحية هي نوع من الكتابة الأدبية التي تُعنى بإبداع نص يُقصد منه أن يُعرض على خشبة المسرح، وتتميّز هذه الكتابة بخاصيتها الحوارية، حيث يتم بناء الأحداث والشخصيات من خلال الحوار بين الشخصيات، بالإضافة إلى التوجيهات المسرحية (التي تُعرف بالديداكاليا) التي يضعها الكاتب لتوضيح الحركة، والمكان، والانفعالات¹.

يختلف النص المسرحي عن غيره من الأجناس الأدبية في كونه مزدوج البنية: فهو أدبي من حيث اللغة والأسلوب، ومسرحي من حيث التمثيل والعرض، وتشكل الكتابة المسرحية جزءاً جوهريّاً من الفعل المسرحي، لأنها تضع الأساس الذي تُبنى عليه بقية العناصر كالإخراج، والتمثيل، والديكور، والإضاءة².

ويمكن أن تتخذ الكتابة المسرحية أشكالاً متعددة، منها المأساة (التراجيديا)، والملهة (الكوميديا)، والدراما، والمونودراما (مسرحية لشخص واحد)، وغيرها، بحسب الغاية الفنية أو الفكرية التي يسعى الكاتب لتحقيقها³.

¹ رشاد رشدي، فن كتابة المسرحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص 33.

² لايوس اجري، فن كتابة المسرحية، تر: دريني خشبة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2012، ص 27.

³ رشاد رشدي، فن كتابة...، المرجع السابق، ص 56.

2. نشأة الكتابة المسرحية

قبل الاحتلال الفرنسي، عرف الجزائريون مسرح الظل المعروف بالكركوز¹، وكان شائعاً أيضاً في المشرق، ازدهر هذا المسرح حتى بعد 1830، وقد دونه بعض الأوروبيين في كتاباتهم، من أبرز رموزه كان الحاج عيواز، مع الاحتلال، ظهرت أساليب جديدة في المسرح، لكن السلطات الفرنسية قمعتها، ووصفتها بالفظيعة، ومنعت الكركوز تماماً في الأربعينات، معتبرة إياه رمزاً للعهد العثماني الذي أرادت طمسه، رغم ذلك، ظل التمثيل حاضراً في المجالس الصوفية والشعبية، وعاد لاحقاً بأشكال جديدة، خصوصاً بعد الخمسينات، مع توظيف شخصيات من التراث العربي الإسلامي كجحا وعنتر².

مع بداية الاحتلال الفرنسي، تدهور مستوى الكاركوز³، إذ تحول إلى وسيلة تسلية للسياح وفقد طابعه الأخلاقي والتعليمي المبني على الفانتازيا والعبرة، وفي سنة 1941، قررت السلطات الاستعمارية حظره بحجة أنه فن مبتذل وفاقد للأخلاق، رغم أنه كان يحمل صوتاً سياسياً أقلق الإدارة الفرنسية، مما يجعل هذه الذريعة واهية، خصوصاً أن المسرح الفرنسي نفسه يبرر هذه الممارسات باسم حرية التعبير، في هذه الفترة، دخل المسرح الفرنسي إلى الجزائر من خلال فرق جاءت لتسلية الجنود في الشكنات، حيث شارك الجنود أنفسهم في عروض مسرحية، مؤدين أدواراً رجالية ونسائية⁴.

كما أشار أبو القاسم سعد الله، فإن المسرح كان جزءاً لا يتجزأ من حياة الفرنسيين، بما فيهم العسكريون، فشهد المسرح في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي تطوراً ملحوظاً من حيث البنية والتأثير، حيث تم إنشاء المسرح البلدي سنة 1853، واحتضن عروضاً فنية عالمية مثل عرض سارة القديسة عام 1889، كما أنشئ المسرح الإمبريالي سنة 1860 لتقدم عروض الأوبرا والباليه، واستُخدمت هذه الفضاءات للتأثير على النخبة الجزائرية من

¹ الكاركوز: هو مسرح للعرائس الظلية، تُحْرَك فيه دُمى مصنوعة من الجلد أو الورق خلف شاشة بيضاء مضاءة، فيراها الجمهور على شكل ظلال، في الجزائر شخصية البطل الشعبي عند الحضر يتميز بارتفاع قامته، يلقي النكت والبهلوانيات، بارع في المثل وتوجيه اللكمات لغيره في المسرحية التي تقدم باللغة العربية أو الفرنسية، ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 418.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 135.

³ لقد عرف العرب المسرح عبر طقوسهم الدينية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، لكنها كانت في شكلها البدائي بعيدة عن المسرح كفن، وفي مرحلة الدولة العباسية اشتهر لديهم مسرح الظل، وقد فضّل عامة العرب سماع القصص من الحكائين الذين يسردون النوادر وغرائب الأخبار والقصص والنكت ومحاكاة الحيوانات وتقليد اللغات واللهجات القادمة إلى بغداد وأشهر من تميزوا بهذا الفن هو ابن المغازلي، وفي التاريخ الحديث بالعهد العثماني، مارس الجزائريون المسرح من خلال الكاركوزيين أوساط شعبية حيث كانت نصوص هذه المسرحيات تميل إلى الخرافات والقصص الشعبية كان أغلب جمهورها من الأطفال، أما طبقة الباشوات والدايات فكانوا يستمتعون بالمسرح أيام محددة في رمضان، ينظر: غيث، فنيات...، المرجع السابق، ص 89.

⁴ صالح مباركية، المسرح في الجزائر، دار الحكمة، الجزائر، 2017، ص 22.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

خلال استدعاء الأعيان لحضور عروض تهدف إلى فرض النموذج الثقافي الفرنسي، الذي غالبًا ما كانت مواضيعه تدور حول الجنس والمجون والتهكم على المجتمع الجزائري، لاحقًا، استُخدمت المسارح الرومانية القديمة لتقديم عروض كلاسيكية، غير أن الحرب العالمية الثانية أوقفت هذا النشاط، ليعود المسرح بعدها بمضامين جزائرية من حيث العنوان، لكن بهوية فرنسية خالصة¹.

أما بدايات المسرح العربي في الجزائر، فكانت متعثرة بسبب غياب الدعم المادي والإداري، وعزوف الجمهور الذي لم يكن يرى فيه سوى ترف لا يليق بالوضع الاقتصادي الصعب، كما أن غياب العنصر النسوي على خشبة المسرح شكل عائقًا إضافيًا، إذ حاول الرجال أداء أدوار النساء دون نجاح يذكر، وعلى الرغم من زيارات بعض الفرق العربية مثل فرقة جورج أبيض سنة 1921، والفرق التونسية قبل الحرب العالمية الأولى، إلا أن المسرح العربي لم يلقَ رواجًا كبيرًا في البداية، ولم يبدأ الجزائريون في ممارسة هذا الفن إلا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث ظهرت أولى المحاولات لكتابة مسرح باللغة العربية، رغم استمرار النظرة المحافظة التي اعتبرت المسرح فناءً دخيلًا ومخالفًا للعادات والتقاليد².

سنقدم أهم ملامح هذه المراحل المسرحية في جداول مخصصة، تبرز أبرز الأسماء، الأعمال، والمواضيع التي طُرحت في كل فترة، لتقديم صورة أوضح عن تطوّر المسرح الجزائري بين 1920 و1962.

✓ المرحلة الأولى 1920 إلى 1939:

بين الحربين العالميتين، وتحديدًا خلال المرحلة الثانية من 1920 إلى 1939، عرفت الجزائر تناميًا في الوعي الوطني رغم شدة القمع الاستعماري، هذه المرحلة تميزت بظهور بوادر حركة ثقافية وسياسية تسعى إلى إثبات الذات الجزائرية في وجه محاولات الطمس والفرنسة التي انتهجتها سلطات الاحتلال، فقد بدأت النخب المثقفة، خاصة تلك المتخرجة من المدارس الفرنسية أو المتأثرة بالإصلاح الديني، في تنظيم أنفسهم داخل جمعيات ومساجد وصحف، وكان لها دور بارز في بعث الروح الوطنية من خلال التعليم والدعوة إلى التمسك بالهوية العربية الإسلامية.

ورغم أن العمل السياسي كان محدود التأثير، فإن المسرح، إلى جانب الصحافة والأدب، بدأ يأخذ مكانته كوسيلة للتوعية والنقد، وإن كان ذلك يتم في إطار ضيق وتحت الرقابة، فقد استُخدم المسرح كأداة للتثقيف الاجتماعي والتعبير عن هموم الناس، لكنه ظل يعاني من نقص في الدعم والتنظيم، ومع ذلك، ساهم هذا النشاط

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، المرجع السابق، ص 412.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، المرجع السابق، ص 418.

الفصل الثاني: الكتابات المسرحية والرسائل

الثقافي في بناء قاعدة فكرية ستثمر لاحقاً في الأربعينيات والخمسينيات، ليصبح المسرح أحد أدوات المقاومة الرمزية في وجه الاحتلال، وممهّداً لميلاد الوعي الثوري.

تم تقديم مسرحية "في سبيل الوطن" في العاصمة في 29 ديسمبر 1922 على خشبة المسرح الحديد الذي كان يعرف سابقاً باسم "الكورسال"، تتألف المسرحية من فصلين ولا تنسب إلى مؤلف محدد، قامت فرقة مكونة حديثاً بتمثيلها، ويبدو أن هذه الفرقة كانت تتأثر بحركة الأمير خالد وأفكار النهضة العربية، حيث تناولت المسرحية موضوعاً حساساً وسياسياً، ورغم منع السلطات الفرنسية إعادة تمثيلها، إلا أن إقدام المسرحيين على ذلك يدل على اهتمام الجمهور بها، حيث ناقشت بعض الصحف اليومية ومضمونها، كان من غير المعتاد عادة تمثيل المسرحية أكثر من مرة بسبب قلة الجمهور المهتم، ولكن بسبب أهمية موضوعها، حاول الممثلون إعادة تمثيلها، ولكن تم منعهم من ذلك من قبل السلطات الفرنسية، وعلى الرغم من ذلك، لم يشر سعد الدين بن شنب إلى لغة المسرحية¹ في "في سبيل الوطن"، لكن يبدو أنها كانت باللغة العربية الفصحى، كما أشار في مكان آخر إلى أن معظم المسرحيات التي قدمت بين 1921 و1924 كانت بالفصحى².

جدول رقم (9): يعرض قائمة لبعض المسرحيات (1920-1939)³:

المسرحية	اسم صاحبها	سنة تقديمها	لغتها
الواهم ⁴	أحمد رضا حوجو	د.ت	العربية
المصلح ⁵	أحمد فارس	1923	العربية الفصحى
جحا ⁶	علالو ⁷	1926	اللهجة الدارجة

¹ سعد الدين بن أبي شنب، "المسرح العربي الجزائري"، المجلة الإفريقية، ع 94، 1935.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 8، المرجع السابق، ص 137

³ من اعداد الطالبة وردة عي.

⁴ أحمد رضا حوجو، "الواهم"، مجلة الشهاب، د.ع، الجزائر، د. ت.

⁵ في سنة 1923، قامت فرقة بتمثيل مسرحية "المصلح"، كتبت هذه المسرحية بواسطة أحمد فارس باللغة العربية الفصحى، وتم تخصيص إيراداتها لصالح جمعية الطلبة المسلمين في المغرب العربي، يبدو من عنوان المسرحية أنها مستوحاة من الحياة الواقعية، لاحظ سعد الدين بن شنب أن المسرحيات هذه كان لدور محدود للمرأة، حيث قام أحد الرجال بتجسيد شخصية المرأة بسبب عدم توفر ممثلة في ذلك الوقت، ينظر: سعد الدين بن أبي شنب، "المسرح...، المرجع السابق.

⁶ مسرحية "جحا" كتبها، وفقاً لبعض نقاد المسرح، علالو ودحمون في عام 1926، وتم عرضها باللهجة العامية على المسرح الجديد في 12 أبريل 1926، تم عرضها ثلاث مرات متتالية نظراً لنجاحها، ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 8، المرجع السابق، ص 139

⁷ علالو (1902-1992): واسمه الحقيقي علي السلاي، وُلد في 30 مارس 1902 بالقصبة في الجزائر العاصمة وتوفي في 19 فيفري 1992، هو أحد رواد المسرح الجزائري الحديث، بدأ حياته العملية في سن مبكرة بعد وفاة والده، واشتغل في مجالات مختلفة، منها في صيدلة وسائق ترام. دخل عالم الفن منذ 1917، حيث قدّم عروضاً بسيطة ومونولوجات غنائية، وتأثر بعروض الفرق المسرحية المصرية، تعلّم الموسيقى على يد إدمون يافيل، وشارك لاحقاً مع =محيي الدين بشطارزي في أعمال ناجحة، أسس فرقة "مسرح الزاهية" وكتب أول مسرحية باللهجة الجزائرية "جحا" سنة 1926، والتي تُعدّ

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

أبو الحسن أو النائم اليقظان ¹	علاو	1926	اللهجة الدارجة
أبو الحسن الغافل ²	علاو	1927	اللهجة الدارجة
العهد الوفي ³	رشيد القسنطيني	1927	اللهجة الدارجة
الصيد والعفريت ⁴	علاو	1928	اللهجة الدارجة
زوج بو برمة ⁵	رشيد القسنطيني	1928	اللهجة الدارجة
الخليفة ⁶	محمد ولد الشيخ	1928	الفرنسية
زغريبان وشرويطو ⁷	رشيد القسنطيني	1929	اللهجة الدارجة
بابا قدور الطماع ⁸	رشيد القسنطيني	1929	اللهجة الدارجة
خذ كتابي ⁹	رشيد القسنطيني	1929	اللهجة الدارجة
عنتر الحشايشي ¹⁰	علاو	1930	اللهجة الدارجة
لونجا الأندلسية ¹¹	رشيد القسنطيني	1930	اللهجة الدارجة
كاهنة الأوراس ¹²	محمد البشير الإبراهيمي	1931	
حلاق غرناطة ¹³	علاو	1931	اللهجة الدارجة
الخليفة والصيد ¹⁴	علاو	1931	اللهجة الدارجة
حفرة في الأرض ¹⁵	رشيد القسنطيني	1931	اللهجة الدارجة
انتظر ¹⁶	رشيد القسنطيني	1931	اللهجة الدارجة

انطلاقة المسرح الجزائري الشعبي، قدم أيضًا "زواج بوعكلىن" التي شهدت ظهور رشيد قسنطيني، اضطرر للانسحاب من الفن عام 1932 بسبب الظروف المادية، لكنه بقي رمزًا في تاريخ المسرح الجزائري، ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 137.

¹ علاو، زواج بوعكلىن، عرضت لأول مرة بتاريخ 26 أكتوبر 1926، الجزائر العاصمة.

² (_____)، أبو الحسن أو النائم اليقظان، عرضت لأول مرة بتاريخ 23 مارس 1927، أوبرا الجزائر.

³ (_____)، أبو الحسن أو النائم اليقظان، عرضت لأول مرة بتاريخ 23 مارس 1927، الجزائر العاصمة.

⁴ (_____)، الصيد والعفريت، عرضت لأول مرة بتاريخ 16 ماي 1928، الجزائر العاصمة.

⁵ رشيد القسنطيني، زواج بوبرمة، عرضت لأول مرة بتاريخ 22 مارس 1928، الجزائر العاصمة.

⁶ كتب ولد الشيخ مسرحية "خالد" في سنة 1937 تخليدًا لروح الأمير خالد، والتي تعرضت لتعديلات بسبب الرقابة الاستعمارية، ينظر: معراج أغا، تقديم رواية مريم بين النخيل، دار فواصل للنشر والإعلام، غرداية الجزائر، 2020، ص13.

⁷ (_____)، زغريبان وشرويطو، عرضت لأول مرة بتاريخ 10 فيفري 1929، الجزائر العاصمة.

⁸ (_____)، بابا قدور الطماع، عرضت لأول مرة بتاريخ 11 مارس 1929، الجزائر العاصمة.

⁹ (_____)، خذ كتابي، عرضت لأول مرة بتاريخ 13 نوفمبر 1929، الجزائر العاصمة.

¹⁰ علاو، عنتر الحشايشي، عرضت لأول مرة بتاريخ 26 فيفري 1931، الجزائر العاصمة.

¹¹ تم عرضها في مسرح الأوبرا بالعاصمة في 28 فيفري 1928، على الرغم من كون موضوعها تاريخيًا، إلا أن المؤلف استمد من الذاكرة الشعبية وليس من الكتب، ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 139.

¹² محمد البشير الإبراهيمي، كاهنة الأوراس، الجزائر، 1931.

¹³ (_____)، حلاق غرناطة، عرضت لأول مرة بتاريخ 5 ماي 1931، الجزائر العاصمة.

¹⁴ (_____)، الخليفة والصيد، عرضت لأول مرة بتاريخ 6 أفريل 1931، الجزائر العاصمة.

¹⁵ رشيد القسنطيني، حفرة في الأرض، عرضت لأول مرة في شهر رمضان 1931، الجزائر العاصمة.

¹⁶ (_____)، انتظر، عرضت لأول مرة في شهر رمضان 1931، الجزائر العاصمة.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

الأكاذيب مرة أخرى ¹	رشيد القسنطيني	1932	اللهجة الدارجة
عائشة أوياندو ²	رشيد القسنطيني	1932	اللهجة الدارجة
فاقو ³	رشيد القسنطيني	1932	اللهجة الدارجة
استرنا يا الله ⁴	رشيد القسنطيني	1933	اللهجة الدارجة
زيد عليا ⁵	رشيد القسنطيني	1933	اللهجة الدارجة
الزمان ⁶	رشيد القسنطيني	1933	اللهجة الدارجة
الكاهنة، ملكة البربر ⁷	بيرت بينشو أبو الكبير	1933	الفرنسية
العطر، المرأة والصلاة ⁸	إليسيا رايس	1933	الفرنسية
سي عاشور والتمدن ⁹	أحمد رضا حوحو	1934	العربية
البخيل ¹⁰	أحمد رضا حوحو	1935	العربية
أمليه ¹¹	رشيد القسنطيني	1935	اللهجة الدارجة
لويز دي لافالير ¹²	بيرت بينشو أبو الكبير	1935	الفرنسية
أرض اللهب ¹³	بيرت بينشو أبو الكبير	1935	الفرنسية
النائب المحترم ¹⁴	أحمد رضا حوحو	1936	العربية
تحيا الجزائر ¹⁵	محمد ولد الشيخ	1936	الفرنسية
صنيعة البرامكة ¹⁶	أحمد رضا حوحو	1937	العربية
خالد شمشون الجزائر ¹⁷	محمد ولد الشيخ	1937	الفرنسية
قالو ¹⁸	رشيد القسنطيني	1938	اللهجة الدارجة

¹ (_____)، الأكاذيب مرة أخرى، عرضت لأول مرة في شهر رمضان 1931، الجزائر العاصمة.

² (_____)، عائشة أوياندو، عرضت لأول مرة بتاريخ 22 جانفي 1932، الجزائر العاصمة.

³ (_____)، فاقو، عرضت لأول مرة في 1932، الجزائر العاصمة.

⁴ (_____)، استرنا يا الله، عرضت لأول مرة في شهر رمضان 1931، الجزائر العاصمة.

⁵ (_____)، زيد عليا، عرضت لأول مرة في شهر رمضان 1931، الجزائر العاصمة.

⁶ (_____)، الزمان، عرضت لأول مرة في شهر رمضان 1931، الجزائر العاصمة.

⁷ Berthe Bénichou-Aboulker, **La Kahéna**, reine barbare, P. & G. Soubiron, Alger, 1933.

⁸ Berthe Bénichou-Aboulker, **La pièce "Le Parfum, la Femme et la Prière"**, et a été jouée pour la première fois en 1933.

⁹ أحمد رضا حوحو، سي عاشور والتمدن، عرضت في الجزائر، 1934.

¹⁰ (_____)، البخيل، نشرت في الجزائر، 1935.

¹¹ رشيد القسنطيني، أمليه، عرضت لأول مرة في عام 1935، الجزائر العاصمة.

¹² Berthe Bénichou-Aboulker, **Louise de Lavallière**, P. & G. Soubiron, Alger, 1935.

¹³ Berthe Bénichou-Aboulker, **Pays de flamme**, P. & G. Soubiron, Alger, 1935.

¹⁴ أحمد رضا حوحو، النائب المحترم، نشرت في الجزائر، 1936.

¹⁵ العنوان جريء بالنسبة إلى سنة 1936م من كاتب جزائري تعيش بلاده تحت الحكم الاستعماري الفرنسي وفي ذروة تيار الإدماج.

¹⁶ أحمد رضا حوحو، "صنيعة البرامكة"، الشهاب، الجزائر، 1937.

¹⁷ محمد ولد الشيخ، خالد شمشون الجزائر، عرضت لأول مرة سنة 1937، وقد استمر عرضها حتى بعد وفاة صاحبها.

¹⁸ رشيد القسنطيني، قالو، عرضت لأول مرة بتاريخ 19 فيفري 1938، الجزائر العاصمة.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

العربية	1939	محمد العيد آل خليفة	بلال بن رباح ¹
اللهجة الدارجة	1939	محيي الدين بشطارزي	سحار بالرغم منه ²

شهدت الفترة الممتدة بين 1920 و1939 تطوراً ملحوظاً في الحركة المسرحية الجزائرية، حيث برزت أسماء لامعة مثل علالو، رشيد القسنطيني، أحمد رضا حوحو، ومحمد ولد الشيخ، تميزت هذه المرحلة بالتعدد اللغوي في الكتابة المسرحية، إذ كُتبت بعض المسرحيات بالعربية الفصحى، بينما استُخدمت اللهجة الدارجة بشكل واسع، مما يعكس الرغبة في الوصول إلى الجمهور الشعبي، ومن الملفت أيضاً استخدام اللغة الفرنسية في بعض الأعمال، وهو ما يعكس تأثير الاحتلال الفرنسي على الحياة الثقافية، كما أظهرت النصوص المسرحية تنوعاً في المواضيع، بين ما هو اجتماعي، مثل "المصلح" و"سي عاشور والتمدن"، وما هو تاريخي وشعبي كما في "بلال بن رباح" و"الكاهنة، ملكة البربر"، مع بروز أساليب كوميدية وساخرة في أعمال علالو والقسنطيني.

يتضح من خلال التواريخ أن الإنتاج المسرحي كان مستمراً ومتنامياً، بل وشهد كثافة في بعض السنوات كالعقد الثالث من القرن العشرين، ما يدل على نضج التجربة المسرحية الجزائرية في تلك المرحلة رغم القيود الاستعمارية، كما أن حضور شخصيات بارزة مثل محيي الدين بشطارزي وعلالو كان حاسماً في ترسيخ فن المسرح الشعبي، من خلال تقديم عروض باللهجة الدارجة، وملاستها لقضايا المجتمع اليومية، وظهر كذلك توجه نحو توظيف المسرح كأداة للمقاومة الثقافية، خاصة من خلال الأعمال التي تمجد التاريخ الإسلامي والعربي وتستنهض الهمم الوطنية، مما يعكس وعياً سياسياً متزايداً لدى المثقفين الجزائريين في تلك الحقبة.

في حديثها عن مسرحيتها العطر، المرأة والصلاة، تقول إيسا رايس: "أردت أن أظهر شيئاً من الحقيقة الحقيقية لسكان شمال إفريقيا الأصليين، من روحهم الفكاهية وحبهم للنكتة، إنها روح صاحبة وفظة أحياناً لكنها دائماً طبيعية وخالية من الرذيلة"³، يكشف هذا التصريح عن رؤية رايس لروح الدعابة والمرح التي كانت، من وجهة نظرها، جزءاً من الشخصية الجزائرية، لكن الالفت في السياق المسرحي لتلك الفترة هو أنّ أداء بعض الأدوار النسائية كان يُسند إلى الرجال، سواء في الجزائر أو في عروض المسرحيات الجزائرية في فرنسا، وهو تقليد ارتبط بجذور المسرح الشعبي وقيوده الاجتماعية، ففي المجتمعات التقليدية التي كانت تتحفظ على ظهور النساء على خشبة، كان من

¹ وهي مسرحية تاريخية وشعرية تحدثت عن صبر بلال بن رباح في سبيل الدين والمبادئ، تم عرضها لأول مرة في قسنطينة في 4 جانفي 1939 على المسرح البلدي، وتم تقديمها بالتعاون مع جمعية التربية والتعليم والفرع الموسيقي لجمعية الشباب الفني، ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 139.

² محيي الدين بشطارزي، سحار بالرغم منه، عرضت لأول مرة في الجزائر العاصمة، وقد تم عرضها بمناسبة انعقاد المؤتمر الكشفي في جويلية 1939.

³ Aua, Elissa Rhaïs : Le parfum, la femme et la prière », **Commedia**, Paris, n° 7401, 15 mai 1933.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

الطبيعي أن يؤدي الرجال أدوار النساء، بل ويتقنونها بمهارة تُحوّلها إلى عنصر من عناصر الفكاهة والمرح، وربما حتى النقد الاجتماعي، نجد أن اختيار الرجال أيضا لأداء أدوار النساء لم يكن فقط استجابة للقيود الاجتماعية الجزائرية، بل كان أيضًا محاولة لإضفاء طابع هزلي مألوف لدى الجمهور الفرنسي، الذي كان معتادًا على رؤية هذا النوع من العروض في الفودفيل والكوميديا الأوروبية.

- المرحلة الثانية: 1940 إلى 1945:

شهدت فترة الحرب العالمية الثانية انقطاعًا واضحًا بين المسرح والجمهور، نتيجة لتصاعد القمع الاستعماري وبروز الأحزاب السياسية الوطنية، التي بدأت تتشكل في جبهات مناهضة للاستعمار الفرنسي، ولم يكن المسرح بمنأى عن هذه التحولات؛ بل كان في صلب الأحداث، ما جعله عرضة للتضييق والتشديد، بسبب دوره البارز في إذكاء الروح الوطنية لدى الجماهير، ورغم الظروف القاسية، ظل المسرح معبرًا صادقًا عن واقع الوطن، ومواكبًا لمرحلة بلغت فيها درجة الوعي الوطني لدى الشعب الجزائري أوجها.

بذل الاحتلال آنذاك جهودًا حثيثة لإفشال الأهداف النبيلة التي حملتها التجربة المسرحية، وسعى بكل الوسائل لعرقلة نشاط الفرق المسرحية العربية التي كانت تزور الجزائر حاملة رسائل ثقافية وتوعوية تهدف إلى معالجة القضايا السياسية والاجتماعية الراهنة، ولم يكتفِ بقطع الصلة بين المسرح الجزائري ونظرائه في الوطن العربي، بل سعى كذلك إلى عزل الجزائر عن محيطها العربي، وتجميع هويتها الوطنية، وتحييدها عن الرأي العام العربي والدولي، حتى لا يُتاح لها فرصة المطالبة بحق تقرير المصير، وتجاوز الاحتلال هذه الإجراءات ليصل إلى إغلاق قاعات العرض ومنع العروض التي كانت تحمل رسائل توعية صادقة، الأمر الذي دفع بعض المسرحيين الجزائريين إلى اللجوء للاقتباس، ما جعل المسرح في تلك الفترة يبتعد شيئًا فشيئًا عن التعبير الحقيقي عن الواقع الوطني¹.

رغم محاولات التعتيم والإجهاض، تحدّى رجال المسرح الجزائري تلك السياسات القمعية، فظهرت أعمال مسرحية مؤثرة من أبرزها أعمال كل من محمد الثوري ومصطفى قزدي، وقد حاول الاحتلال طمس وجود المسرح الجزائري وقطع تواصله مع الفرق المسرحية العربية، في سعي منه للسيطرة التامة على الشعب وهويته الثقافية، ومنعه من الدفاع عن حقوقه وفهم واقعه من خلال المسرح، ومع ذلك، باءت محاولاته بالفشل كسابقاتها، وظل المسرح صامدًا، معبرًا عن صوت الشعب وقضاياه.

¹ بوعلام رمضان، المسرح الجزائري بين الماضي والحاضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 17.

– المرحلة الثالثة: 1946 إلى 1954:

تميزت المرحلة الرابعة من تاريخ الجزائر الممتدة من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية (1946-1954) بجملة من التحولات العميقة، اتسمت بفشل العمل السياسي السلمي أمام تعنت الاحتلال الفرنسي، الذي قابل مطالب الجزائريين بالقمع والتضييق، بدلاً من الإصلاح والاستجابة، فرغم مشاركة الجزائريين في الحرب إلى جانب فرنسا، عادوا لمواجهة سياسة إقصائية، زادت من حدة الخيبة الشعبية وانعدام الثقة في إمكانيات الحلول السياسية، وعلى الصعيد الثقافي، مارست سلطات الاحتلال قمعاً ممنهجاً استهدف كل أشكال التعبير الوطني، بما في ذلك المسرح، الذي رغم ذلك تمكن من الصمود وتقديم مضامين ذات طابع اجتماعي وتاريخي بلغة عربية واضحة وهوية جزائرية راسخة، تعكس رفض الهيمنة الفرنسية وبذور الوعي الثوري الذي سيتفجر لاحقاً في نوفمبر 1954.

جدول رقم (10): يعرض قائمة لبعض المسرحيات (1946-1954)¹:

المسرحية	اسم صاحبها	سنة تقديمها	لغتها
سحر ²	عبد الله نقلي	1950	اللهجة الدارجة
موني رجل ³	محيي الدين بشطارزي	1950	اللهجة الدارجة
حنبل ⁴	أحمد توفيق المدني ⁵	1950	العربية
ملكة غرناطة ⁶	أحمد رضا حوحو	1950	العربية
أدباء المظهر ⁷	أحمد رضا حوحو	1948	العربية
زواج عقونة ⁸	أحمد رضا حوحو	1949	العربية
بائعة الورد ⁹	أحمد رضا حوحو	1951	العربية
امرأة الأب ¹⁰	أحمد بن ذياب	1952	العربية

¹ من اعداد الطالبة وردة عي .

² عبد الله نقلي، سحر، عرضت لأول مرة في الجزائر العاصمة، 1950.

³ محيي الدين بشطارزي، موني رجل، الجزائر العاصمة، 1950.

⁴ أحمد توفيق المدني، حنبل-رواية تاريخية، المطبعة العربية بالجزائر، الجزائر، 1950.

⁵ الملحق رقم 12

⁶ أحمد رضا حوحو، ملكة غرناطة، عرضت لأول مرة عام 1950، الجزائر العاصمة، تُعد هذه المسرحية اقتباساً من مسرحية "Ruy Blas" للكاتب الفرنسي فيكتور هوغو.

⁷ (_____)، "أدباء المظهر"، المنهل، السعودية، جويلية 1939.

⁸ (_____)، زواج عقونة، مسرحية اجتماعية، عُرضت ضمن نشاطات جمعية "المزهر القسنطيني"، الجزائر، 27 أكتوبر 1949.

⁹ مقتبسة عن رواية "حاملة الخبز" (La Porteuse de Pain) للكاتب الفرنسي كزافييه دي مونتبان (Xavier de Montépin).

¹⁰ أحمد بن ذياب، امرأة الأب، الجزائر، 1952.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

شهدت الفترة ما بين 1946 و1954 حراكًا مسرحيًا لافتًا في الجزائر، تميز بتنوع لغوي وفني يعكس التوجه الوطني المتصاعد في ظل الاحتلال الفرنسي، فقد تميز الإنتاج المسرحي في هذه المرحلة باستخدام كل من العربية الفصحى واللهجة الدارجة، في محاولة للوصول إلى مختلف شرائح المجتمع الجزائري، وقد ظهرت أسماء بارزة مثل أحمد رضا حوحو، عبد الله نقلي، ومحيي الدين باشطارزي، الذين أسهموا في إغناء الحركة المسرحية بنصوص تناولت قضايا اجتماعية وتاريخية، مثل "زواج عقونة" و"حنبل"، حيث اتخذ بعضها الطابع المحلي، فيما استلهم البعض الآخر من الأدب الفرنسي، كما في "ملكة غرناطة" و"زواج عقونة"، مما يعكس انفتاحًا على الثقافة الغربية وتوظيفها لخدمة قضايا الهوية الوطنية.

كما لعبت الجمعيات الثقافية، مثل جمعية "المزهر القسنطيني"، دورًا مهمًا في احتضان هذه العروض وتقديمها إلى الجمهور، ما يدل على وعي متزايد بأهمية المسرح كأداة للتثقيف والمقاومة الرمزية، وفي ظل سياسات التجهيل الفرنسية، مثلت هذه الأعمال المسرحية نوعًا من المقاومة الثقافية، ومحاولة للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للجزائريين، وهكذا، شكلت هذه المرحلة التمهيد الحقيقي لبروز مسرح وطني جزائري ملتزم، مهّد الطريق لمسرح الثورة بعد اندلاع حرب التحرير في 1954.

— المرحلة الرابعة: 1955 إلى 1962:

المرحلة الخامسة من تطور الحركة الثقافية والمسرحية في الجزائر، الممتدة من 1955 إلى 1962، تزامنت مع اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، فكانت بحق مرحلة التحول من المقاومة الرمزية إلى المقاومة المباشرة، لقد أصبح المسرح خلال هذه الفترة أداة نضالية بامتياز، تُسخر لخدمة القضية الوطنية، من خلال تجسيد معاناة الشعب الجزائري تحت نير الاحتلال، وتوعية الجماهير، وشحذ الهمم، ورغم الظروف القاسية من رقابة وقمع وملاحقة، لم يتوقف النشاط المسرحي، بل تحول إلى فعل ثوري يُمارس في السر أحيانًا، وفي الأرياف والمناطق المحررة أحيانًا أخرى، ليواكب نضال الشعب ويعكس بطولاته وتضحياته، وقد أسهمت هذه المرحلة في ترسيخ فكرة المسرح الوطني المقاوم، الذي لم يكن ترفًا فنيًا، بل جزءًا من معركة التحرير الثقافي والسياسي، تمهيدًا لميلاد دولة جزائرية مستقلة ذات سيادة وهوية ثقافية واضحة المعالم.

جدول رقم (11): يعرض قائمة لبعض المسرحيات (1955-1962)¹:

المسرحية	اسم صاحبها	سنة تقديمها	لغتها
نحو النور ²	مصطفى كاتب ³	1958	العربية
عبد الحميد رايس ⁴	مصطفى كاتب	1958	العربية
أبناء القصبة ⁵	مصطفى كاتب	1958	العربية
الخالدون ⁶	مصطفى كاتب	1959	العربية
العهد ⁷	مصطفى كاتب	1959	العربية
على الضفة الأخرى ⁸	الطاهر وطار	1960	العربية
دم الأحرار ⁹	مصطفى كاتب	1960	العربية
الهارب ¹⁰	الطاهر وطار	1962	العربية

يتضح من الجدول المسرحي الممتد بين 1955 و1962 أن المسرح الجزائري دخل مرحلة جديدة من الالتزام الوطني، حيث تحوّل إلى صوت فعال في خدمة الثورة التحريرية، وقد برز في هذه المرحلة اسم: مصطفى كاتب بوصفه أحد أعمدة المسرح المقاوم، إذ كتب وأخرج العديد من المسرحيات ذات الطابع الثوري والاجتماعي، مثل نحو النور، عبد الحميد رايس، أبناء القصبة، ودم الأحرار، وكلها غُرِضت في تونس ضمن نشاطات فرقة جبهة التحرير الوطني المسرحية، التي مثّلت واجهة ثقافية نضالية للثورة في الخارج.

كما يظهر في هذا السياق اسم الطاهر وطار، الذي قدّم بدوره أعمالاً مثل على الضفة الأخرى والهارب، تعكس وعياً أدبياً وسياسياً باللحظة التاريخية، وقد نُشرت هذه الأعمال في مجلات فكرية بتونس، ما يؤكد الدور

¹ من اعداد الطالبة وردة عي.

² مصطفى كاتب، نحو النور، تونس، 1958.

³ مصطفى كاتب (1920-1989): هو أحد أبرز أعلام المسرح الجزائري، وُلد عام وارتبط اسمه بتأسيس وتطوير المسرح الوطني الجزائري بعد الاستقلال، كان ممثلاً ومخرجاً وكاتباً، وشارك في تأسيس فرقة جبهة التحرير الوطني المسرحية في تونس، شغل منصب المدير الأول للمسرح الوطني الجزائري عند إنشائه عام 1963، وساهم في إنتاج مسرحيات ملتزمة بالقضايا الوطنية والاجتماعية، ينظر: المسرح الوطني الجزائري محي الدين بشطارزي، (29 مارس 2018)، مصطفى كاتب، استرجعت في تاريخ 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.tna.dz/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89-%D9%83%D8%A7%D8%AA%D8%A8>

⁴ مصطفى كاتب، عبد الحميد رايس، تونس، 1958.

⁵ (_____)، أبناء القصبة، تونس، 1958.

⁶ (_____)، الخالدون، تونس، 1959.

⁷ (_____)، العهد، تونس، 1959.

⁸ الطاهر وطار، "على الضفة الأخرى"، مجلة الفكر، تونس، ع 7، 1 أبريل 1960.

⁹ مصطفى كاتب، دم الأحرار، تونس، 1960.

¹⁰ الطاهر وطار، "الهارب"، مجلة الفكر، تونس، ع 3، 1 ديسمبر 1962.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

الحيوي الذي لعبته النخبة المثقفة في تصدير القضية الجزائرية إلى المحافل العربية والدولية، إن اللغة العربية التي وُحِّدَت هذه الأعمال تعبر عن التشبث بالهوية الثقافية في وجه المسخ الاستعماري، بينما تشير مضامين المسرحيات إلى تصعيد رمزي ومباشر في مواجهة الاحتلال، مما جعل من المسرح أداة تعبئة وتحريض موازية للبندقية، ورافدًا ثقافيًا من روافد الكفاح الوطني نحو الاستقلال.

3. لغة الكتابة المسرحية

ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر محاولات لكتابة مسرحيات متأثرة بالمسرح الفرنسي، مثل المسرحية التي كتبها القاضي محمد بن علي بن الطاهر الجباري بلغة عربية دارجة تحت اسم مستعار "محمد قبيح الفعل"، حيث كانت المسرحية تدور حول مغامرات طالبين عربيين في قرية زنجية بوهران، أما عن تاريخ المسرح الفرنسي في الجزائر يعكس تفاعلات ثقافية وسياسية متعددة، حيث استوحيت العديد من المسرحيات الفرنسية التي قدمت في الجزائر من الواقع الجزائري، وركزت على التنوع التاريخي والثقافي للبلاد، هذه المسرحيات كانت تعكس قصصًا وشخصيات من الثقافة الجزائرية والعربية، وأحيانًا كانت تحمل رسائل سياسية ودينية، مثل مسرحية "أسير الداي" التي قُدمت في باريس عام 1830¹.

في بدايات المسرح الجزائري، كانت اللغة العامية هي السائدة في النصوص المسرحية، عام 1926، استخدم رشيد القسنطيني وعلالو العامية في تقديم مسرحيات تاريخية ونقدية، مثل مسرحية "جحاح" التي كتبها علالو، لكن رغم الجهود المبذولة، انتهت مسيرة علالو المسرحية بشكل مأساوي، إذ اضطر لترك المسرح لأسباب اقتصادية بعد أن وجد أن الجمهور الجزائري لم يكن مستعدًا بعد لهذا الفن².

كان استخدام اللغة العربية الفصحى في المسرح الجزائري يمثل تحديًا كبيرًا بسبب عدم إلمام الجمهور بها، إضافة إلى صعوبة العثور على ممثلات جزائريات يؤديين الأدوار النسائية بالفصحى، مما اضطر المسرحيين إلى إسناد الأدوار النسائية للرجال³.

ففي فترات ما قبل الحرب العالمية الثانية، لم يكن الجمهور الجزائري يميل إلى المواضيع التاريخية، إذ أن التفاعل مع التاريخ يتطلب الانتباه والتركيز، وهو ما لم يكن الجزائريون مستعدين له في تلك الفترة، غالبًا ما كانت النصوص

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، المرجع السابق، ص 410-441.

² نفسه، ص 425.

³ بن أبي شنب، المسرح...، المرجع السابق، ص 14.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

المسرحية التاريخية تعتمد على الأساطير والحكايات الشعبية بدلاً من المصادر التاريخية الموثوقة، حتى وإن كانت الشخصيات خيالية، ورغم ذلك، تم إنتاج بعض المسرحيات الجزائرية التي تناولت التاريخ، مثل "لونجا الأندلسية" لرشيد القسنطيني و"عنتر الحشايشي"¹ لعلالو².

سيطرت الكوميديا على المسرح الجزائري لأنها نجحت في جذب الجمهور والتفاعل معه، يرجع هذا الأمر إلى حاجة الناس إلى الهروب من واقعهم المرير، إذ لم يكونوا يرغبون في رؤية المزيد من المآسي في المسرح بعد أن عاشوها في حياتهم اليومية، الكوميديا كانت وسيلة للتخفيف من التوتر السائد في المجتمع الجزائري آنذاك، وكانت أيضاً وسيلة للسخرية من الأوضاع الاجتماعية والسياسية.

المسرح الجزائري لم يواجه فقط التحديات الناتجة عن الاحتلال ومؤسساته المختلفة، بل واجه أيضاً رفض بعض الفئات الاجتماعية، خاصة من العلماء والمعممين الذين اعتبروا المسرح ممارسة غير أخلاقية ومنحطة.

أما ندرة النصوص المسرحية الجزائرية ترجع، بحسب بعض النقاد، إلى عدم القدرة على إنتاج نصوص أدبية ناضجة، إذ كانت النصوص تستهلك بسرعة دون إعطاء الكتاب الوقت الكافي للتأليف والتفكير³.

يرى سعد الدين بن شنب أن جمعية العلماء والصحافة الجزائرية في العاصمة لم تهتم بالمسرح العصري، مما دفع الكتاب إلى تأليف مسرحياتهم بالعامية، فيقول: يقول سعد الدين بن شنب: "من الواضح أيضاً أن عدم اكتراث جمعية العلماء بالجزائر العاصمة والصحافة المحلية بالمسرح العصري هو الذي جعل المستغلين به يؤلفون مسرحياتهم باللغة العامية، هذه اللغة التي كان هؤلاء العلماء يمتقونها ويودون تجاهل وجودها تماماً، وهذا النبذ للإنتاج الشعبي بصفة عامة يفسر لنا سبب عدم طبع المسرحيات العصرية، كما أن هناك سبب آخر لانقراض هذا الإنتاج وهو أن النصوص التي كتبت لكي تُمثّل لا أن تُطبع... كما أنهم -المؤلفون الجزائريون- يتبعون المؤلفين الفرنسيين ومن هنا يتجلى أثر المسرح الفرنسي على المسرح الجزائري"⁴.

كما كانت النظرة المحافظة والتقليدية للمجتمع، ولا سيما تلك التي كرّستها الحركة الإصلاحية، تعارض بشكل واضح ظهور المرأة على خشبة المسرح، فقد اعتُبر ظهور المرأة أمام الجمهور سلوكاً منافياً للأخلاق العامة، ومرتبكاً

¹ تحتوي المسرحية هذه المسرحية الهزلية على ثلاث فصول تتحدث عن فقير مدمن حشيش وهي مسرحية تشبه الدون كيشوت، قدمت يوم 25 فيفري 1930م، ينظر: فضلاء، المسرح...، المرجع السابق، ص 51.

² بن شنب، المسرح...، المرجع السابق، ص 14.

³ فضلاء، المسرح...، المرجع السابق، ص 24.

⁴ بن شنب، المسرح...، المرجع السابق، ص 14.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

بالسفور والتبرج، وهو ما جعل الممثلات نادرات جدًا في الساحة المسرحية الجزائرية آنذاك، وقد أدّى هذا الرفض الاجتماعي والديني إلى حصر أدوار التمثيل في الرجال، الذين كانوا يؤدّون أحيانًا أدوار النساء أيضًا¹، مما انعكس مباشرة على طبيعة النصوص المسرحية، التي انحصرت في معظمها في شخصيات ذكورية، وقصص تهم الرجال بالدرجة الأولى، بعيدًا عن قضايا المرأة أو تمثيلها الواقعي في المجتمع.

ومن بين الاستثناءات القليلة التي ظهرت في هذا السياق، نذكر الممثلة اليهودية ماريا سوزان، التي كانت من أوائل النساء اللواتي ظهرن على خشبة المسرح بقيادة الرشيد القسنطيني.

رغم هذا الرفض، إلا أن بعض رموز الحركة الإصلاحية لاحقًا، خاصة مع تطور الوعي الثقافي وازدياد الإحساس بالخطر الثقافي الذي شكّله الهيمنة الفرنسية، بدأوا يرون في المسرح وسيلة فعالة لإحياء اللغة العربية ونشر القيم الأخلاقية والدينية، فظهرت مسرحيات باللغة العربية الفصحى، تحمل مواضيع وعظية وتربوية، تستلهم مادتها من التراث العربي والإسلامي، وتسعى إلى تهذيب النفوس وتوعية الجماهير، ولكن دون كسر الحاجز المفروض على مشاركة المرأة، مما أثر على الكتابة المسرحية.

4. مفهوم كتابة الرسائل

أدب الرسائل هو نوع أدبي يعتمد على النصوص المكتوبة في صيغة رسائل، سواء بين أفراد أو شخصيات خيالية، يتميز بأسلوب شخصي ينقل المشاعر والأفكار بصدق، ويعكس التفاعلات الاجتماعية، يمكن أن يكون حقيقيًا أو خياليًا ويتناول موضوعات متنوعة، وأهم خصائص هذا النوع هي الشخصية والذاتية، إذ يعكس الأفكار بصدق، يعتمد على التفاعل بين طرفين، ويوضح تسلسل الأحداث باستخدام التواريخ، تتنوع موضوعاته، وتتميز الرسائل بالحميمية والخصوصية في التعبير عن تفاصيل حياة الكاتب².

تنقسم الرسائل إلى عدة أنواع، منها: رسائل الحب بين الأدباء، الرسائل الأدبية بين الكتّاب والشعراء، الرسائل التاريخية التي توثق الأحداث، والرسائل الفلسفية التي تناقش القضايا الفكرية.

¹ سعد الدين بن شنب، "المسرح العربي لمدينة الجزائر"، مجلة الثقافة، ع 55، 1980، ص 33.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 85

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

يعد أدب الترسل كما يصفه محمد ناصر من أقوى أشكال التعبير الأدبي، وخاصة في الفترتين الأموية والعباسية، حيث اشتهر العديد من الكتاب في تلك الحقبتين بتقديمهم لمساهمات مميزة في تطوير الكتابة العربية، كان الخلفاء والحكام والأمراء يولون اهتمامًا خاصًا للكتاب والشعراء، وكانوا يختارونهم بعناية فائقة لمهمة الكتابة¹.

الرسائل التي نركز عليها الآن هي تلك التي تتناول موضوعًا محددًا، سواء كان سياسيًا أو إداريًا أو اجتماعيًا، حيث يتميز كُتَّابُها بمهارة في الأسلوب والتعبير باللغة والتصوير اللفظي، عادةً ما تتم هذه الرسائل بين الفئات الخاصة وليس العامة، أما الرسائل البسيطة التي تتبادلها عامة الناس، فغالبًا ما تهدف إلى تلبية الحاجات اليومية ونقل التحيات والاطمئنان على الأحوال، ولا تأخذ مكانًا مهمًا في هذا السياق².

يرى عبد المالك مرتاض أن رسائل الكتاب في الجزائر كانت تعاني من ضعف في المحتوى وعدم الاتساع الأدبي، خصوصًا في العقد الرابع من القرن التاسع عشر، يُظهر الباحث أن هذا الفن لم يكن مفهومًا بالشكل الصحيح قبل الحرب العالمية الثانية، مما أدى إلى قلة الأسلوب والتعبير في الرسائل وقصرها وتضييق موضوعاتها، في المقابل، تطورت الفنون الأدبية الأخرى مثل الخطابة والمقالات بشكل ملحوظ، يشير مرتاض إلى أن الموضوعات الدينية لم تُثري خيال الكتاب العاديين أو المتوسطين، مما أسهم في ضعف الرسائل، ومع ذلك، تبرز رسالتان للكتاب محمد البشير الإبراهيمي كأفضل ما كتب في تلك الفترة، حيث أظهر الإبراهيمي جمال التعبير وعمق المحتوى³.

يعتبر محمد ناصر أن شخصية أبو اليقظان، الصحفي والمثقف، كانت بارزة في أدب الرسائل، أسس أول جرائد عربية في الجزائر وقاد حركة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، تعتبر مراسلاته مصدرًا هامًا لفهم الفكر الجزائري، حيث اعتبر المراسلات وثائق تاريخية، كان يؤكد على أهمية الحفاظ على تلك الرسائل لدورها في توثيق التاريخ الوطني والإسلامي، وكان يشير دائمًا إلى الفوائد العلمية والأدبية التي تحملها رسائله⁴.

يتضح أن أدب الرسائل يحتل موقعًا مركزيًا في التعبير الأدبي، لما يتيح من كشف للذات وتوثيق للظرف الاجتماعي والسياسي في آن واحد، فهو يجمع بين صدق التعبير وخصوصية التفاعل بين المرسل والمرسل إليه، ورغم التراجع الذي شهده هذا الفن في الجزائر خلال القرن التاسع عشر بسبب ضيق الأفق الموضوعي وضعف الأسلوب، كما أشار عبد المالك مرتاض، إلا أن بعض النماذج اللاحقة مثل رسائل الإبراهيمي أعادت الاعتبار لهذا الشكل

¹ محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ج2، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص68.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 85

³ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 311.

⁴ ناصر، أبو اليقظان...، ج2، المرجع السابق، ص 72.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

من الكتابة، كما تبرز شخصية أبو اليقظان بوصفه نموذجًا للمثقف الذي وظّف الرسائل كأداة للتوثيق والنضال، ما يبرهن على أن هذا النوع من الأدب يمكن أن يتجاوز الطابع الشخصي ليغدو سجلًا تاريخيًا وفكريًا يوازي في أهميته الأجناس الأدبية الكبرى.

ثانيا: نماذج من الكتابات المسرحية

1. اجتماعية وثقافية:

1.1. مسرحية بابا قدور الطماع لرشيد القسنطيني

مسرحية "بابا قدور الطماع" هي إحدى الأعمال البارزة للفنان الجزائري رشيد القسنطيني، الذي يُعتبر من رواد المسرح الجزائري الفكاهي، قدّم القسنطيني هذه المسرحية في 23 ديسمبر 1929، وتتناول بأسلوب ساخر ظاهرة الطمع في الزواج من خلال رفع قيمة المهر، وقبل التعرف على المسرحية يمكننا تقديم المسرحي رشيد القسنطيني، المعروف أيضًا برشيد بلخضر، هو فنان مسرحي جزائري عصامي ومؤسس مهم في المسرح الجزائري الحديث، وُلد في 11 نوفمبر 1887 في الجزائر العاصمة، في أسرة فقيرة، وبدأ حياته كحرفي قبل أن يتحول إلى المسرح، واجه تحديات كبيرة، منها الفقر والحرب العالمية الأولى، لكنه تمكن من تحقيق نجاحات ملحوظة في عالم المسرح¹.

بدأ مسيرته المسرحية في فرق مختلفة مثل فرقة "الزاهية"، ثم أسس فرقته الخاصة "الهلال الجزائري"، كتب وأدى العديد من المسرحيات التي امتازت بالكوميديا السوداء، وهو ما أكسبه لقب "أب فن السخرية السوداء" في المسرح الجزائري، كان مسرحه يهدف إلى نقد العادات السيئة والنظرة الاجتماعية السلبية التي نشأت من الاحتلال، مستهدفًا تحسين الوضع الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجزائري².

قدم قسنطيني العديد من المسرحيات والأغاني التي تناولت مواضيع اجتماعية، مثل الفساد، والنفاق، والتعصب، وعرض فيها شخصيات تمثل الفئات المستغلة في المجتمع، كما كان مسرحه يعكس الوعي الوطني ويحفز المجتمع على التغيير، مستخدمًا الفكاهة الساخرة والمواقف المرتجلة لإيصال رسائله، على الرغم من أن العديد من

¹ أحمد تيلاني، رشيد قسنطيني "رائد الكوميديا السوداء في المسرح الجزائري"، منشورات الوطن اليوم، الجزائر، 2019، ص ص 05-07.

² أحمد بيوض، المسرح الجزائري 1926-1989، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، 1998، ص ص 27-29.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

أعماله لم تُدون بشكل رسمي، فإن إسهاماته في المسرح الجزائري جعلته واحداً من أبرز الشخصيات في تاريخ الفن المسرحي بالجزائر، توفي عام 1944¹.

بالعودة إلى المسرحية، فهي تُعد هذه مثالا على استخدام قسنطيني للفكاهة والسخرية لمعالجة قضايا اجتماعية، مما جعل أعماله قريبة من الجمهور وتعكس همومه اليومية، إذ تُعتبر مسرحية "بابا قدور الطماع" واحدة من الأعمال البارزة في المسرح الجزائري، حيث يقدم الكاتب رشيد قسنطيني نقداً اجتماعياً ساخراً لمظاهر الطمع والجشع التي أثرت في العلاقات الإنسانية، يستخدم النص أسلوب الفكاهة والسخرية لتسليط الضوء على التناقضات والأخطاء التي تنتج عن الانشغال بالمصالح المادية على حساب القيم الإنسانية.

يظهر في قلب المسرحية شخصية "بابا قدور"، الرجل الكبير في السن الذي يُعرف بطمعه الشديد وسعيه الدائم لتحقيق الثروة بأي وسيلة، يتصرف بابا قدور بأنانية واضحة حيث يُخطط لترتيب زواج ابنته "زينب" ليس لأجل سعادتهم أو مصالحهم، بل لتحقيق مكاسب مالية شخصية تضمن له الاستمرارية في الثراء والهيمنة داخل عائلته².

تلعب "زينب"، ابنة بابا قدور، دور الضحية التي تُستخدم لتحقيق أغراض والدها، تتعرض زينب لضغوط مجتمعية وعائلية تجعلها أداة في يد الطمع، إذ يُخطط والدها لزواجها من ابن أخيه لتحقيق مكاسب مالية، مما يُظهر كيف تُستغل مشاعر الأبوة والمحبة لتحقيق مصالح دنيوية دون مراعاة لرغبتها أو سعادتها، ثم تدخل شخصيتنا "خليل" و"مراد" في دائرة الأحداث لتكمل معركة الطمع، فخليل هو الخادم الذي يُعتمد عليه لتنفيذ بعض الخطط، لكنه يستغل مكانته لإيجاد منافع شخصية، بينما يظهر مراد، الصديق المقرب لخليل، كشخصية تسعى وراء الربح بكل حيلة، مما يزيد من تعقيد المؤامرة ويبرز مدى انتشار المكر والاحتيال في هذا المجتمع.

تأخذ الحبكة منعطفاً درامياً عندما يُحضر المرشح المرتقب للزواج من إسطنبول، لكن سرعان ما يتضح أن هذا الشاب ليس هو المراد تحقيقه من أجل تحقيق المكاسب المالية، مما يؤدي إلى سلسلة من المواقف الكوميدية والفوضي التي تكشف زيف المظاهر والطموحات الشخصية لكل الأطراف، تُبرز هذه الوقائع تناقض سلوك الشخصيات وسخريتها من أنفسهم ومن النظام الذي يحكمهم.

¹ تليلاني، رشيد قسنطيني...، المرجع السابق، ص 10.

² رشيد القسنطيني، بابا قدور الطماع، تح: حسين نذير، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2025، ص ص 07-20.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

في ختام المسرحية، يُقدّم رشيد قسنطيني نقدًا لاذعًا للطمع والجشع الذي يُفترس القيم الاجتماعية ويُخلّ بفهم العلاقات الإنسانية، تُعتبر الشخصيات — من بابا قدور إلى زينب وخليل ومراد — مرآةً تعكس واقع مجتمعٍ مسيطر عليه الانشغال بالمصالح المادية على حساب المبادئ الإنسانية، داعية بذلك الجمهور إلى إعادة النظر في قيمهم والابتعاد عن سلوكيات الطمع والأنانية.

استخدم رشيد القسنطيني في مسرحيته مزيجاً من اللغة الفصحى واللغة العامية ليصل برسائله إلى الجمهور بشكل مباشر، مبتعداً عن استخدام الرموز، كان هدفه تقريب الصورة إلى المشاهد ودعوة المجتمع إلى النهوض السياسي والاجتماعي من أجل حماية حقوق الشعب الجزائري وثرواته من الاستغلال، كما أن استخدام اللغة العامية كان يعكس واقع المجتمع الجزائري خلال فترة الاحتلال القاسي، ويعزز التواصل مع الجمهور بلغة قريبة إلى لسانه، وقد استخدم قسنطيني أيضاً تقنيات السخرية من خلال ألفاظه وأمثاله الشعبية التي تعكس نقداً حاداً للواقع الاجتماعي والسياسي في الجزائر، مما أضفى على المسرحية طابعاً موسيقياً ساخراً وساهم في إبراز انتقاده للنظام الاستعماري والطريقة التي أثرت بها سياساته على المجتمع الجزائري مثل: "اللي يشوف القمة يطير"¹ و"كل واحد يحفر حفرة يوقع فيها"²، والمثل الذي يقول: "اللي يزرع الريح يحصد العاصفة"³ ومثل: "اللي فوقها طيبتها واللي تحتها حرام"⁴.

تُعد مسرحية "بابا قدور الطماع" لرشيد قسنطيني عملاً فنياً يحمل في طياته قراءة نقدية عميقة للمجتمع الجزائري، إذ يُوظف الكاتب السخرية والفكاهة في تصوير مفاسد اجتماعه، خاصةً في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها بداية القرن العشرين، يقدم النص رؤية نقدية تُسلط الضوء على تأثير الضغوط المادية والطموحات الشخصية على العلاقات الإنسانية، وترتكز المسرحية على شخصية "بابا قدور"، الذي يُمثل رمز الطمع والجشع؛ فهو رجل يتلاعب بمصير أفراد عائلته لتحقيق مكاسب مالية شخصية، من خلال هذه الشخصية، يقوم قسنطيني بنقد سلوكيات المجتمع الذي بدأ يُولي الثروة أولوية على القيم الإنسانية، مما يعكس تأثير الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي سادت في تلك الحقبة.

¹ يمكن أن تُستخدم هذه العبارة للإشارة إلى طموح شخصيات المسرحية الذين يسعون لتحقيق مصالحهم الشخصية بأي وسيلة، مثل بابا قدور الذي يسعى للثراء على حساب الآخرين.

² قد تعبر هذه المقولة عن المكر والخداع الذي يمارسه بعض الشخصيات مثل خليل ومراد في محاولتهما لتحقيق مصالح شخصية، وفي النهاية، يقعان في فخ خداعهما.

³ هذه المقولة قد تكون مناسبة للحديث عن تصرفات بابا قدور وجشعه الذي يؤدي إلى مواقف غير متوقعة ومشاكل له ولعائلته

⁴ قد تتكرر هذه الفكرة لتسلط الضوء على الطبقة الاجتماعية وتفاوت الفرص بين الناس، مما يُستغل في مواقف مضحكة لكنها مليئة بالتأمل الاجتماعي.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

يبرز النص أيضاً أهمية اللغة في بناء الهوية الثقافية، حيث اعتمد الكاتب على "اللغة العامية الجزائرية"، مما جعل الحوار قريباً من المشهد الشعبي والواقع الاجتماعي، هذا الاستخدام للغة المحلية لا يمنح المسرحية طابعاً فكاهياً فحسب، بل يعد أيضاً محاولة لاسترجاع الهوية الثقافية وتأكيداً في مواجهة الهيمنة الثقافية للاستعمار والنماذج الغريبة.

من الناحية التاريخية، ترتبط المسرحية ببداية القرن العشرين في الجزائر، حيث كانت تلك الفترة مليئة بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن تأثيرات الاحتلال الفرنسي، كانت الجزائر تشهد تغيرات في الهيكل الاجتماعي وصعود طبقات جديدة، ما خلق حالة من الاضطراب والبحث عن هوية متجددة، وهو ما ترجمه أعمال مثل هذه المسرحية في نقدها للفساد والمصالح الشخصية.

نرى "بابا قدور الطماع" ليست مجرد مسرحية هزلية، بل هي عمل نقدي وثقافي يُوثّق مرحلة تاريخية حساسة في الجزائر، من خلال استعراضه لمظاهر الطمع والجشع باستخدام لغة الشعب وأسلوب السخرية، يُساهم قسنطيني في إعادة قراءة الهوية الاجتماعية والثقافية للجزائريين في بداية القرن العشرين، مؤكداً على دور المسرح كوسيلة لتبسيط الضوء على القضايا المجتمعية والسياسية ودفع الجمهور نحو التأمل والتغيير.

رشيد قسنطيني، مثل تشارلي تشابلن¹، استخدم الكوميديا لمقاومة القمع والظلم، حيث دمج الفكاهة مع رسائل سياسية عميقة، في حين اشتهر تشابلن عالمياً من خلال أفلامه التي كانت تنتقد الأنظمة الاستبدادية وتفصح مآسي الحرب العالمية الثانية، اختار قسنطيني المسرح ليعبر عن معاناة الجزائريين تحت الاحتلال الفرنسي، مسرحياته مثل "بابا قدور الطماع" و"زواج بوبرمة" كانت مليئة بالسخرية من الواقع الاستعماري، حيث عرض فيها قضايا مثل الفقر والظلم، رغم أن قسنطيني لم يحظَ بشهرة عالمية كالتّي حققها تشابلن، إلا أن تأثيره في الجزائر كان كبيراً، حيث أضحك الجمهور وأثار وعيهم السياسي، محرّضاً إياهم على الثورة ضد الاحتلال، لم تكن الكاميرات موجهة نحوه كما كانت مع تشابلن، لكنه استخدم خشبة المسرح والارتجال ليوصل رسائل قوية حول مقاومة التخلف الاجتماعي.

2.1. مسرحية مضار الجهل والخمر والحشيش والقمار لمحمد العابد الجلاّلي

¹ تشارلي تشابلن (1889-1977): هو ممثل ومخرج وكاتب ومنتج إنجليزي، يُعد من أبرز رموز السينما الصامتة في القرن العشرين، اشتهر بشخصية "المتشرد" ذات الملامح المميزة: القبعة الصغيرة، العصا، والشارب القصير، والتي أصبحت رمزاً عالمياً للكوميديا الساخرة، تميز بأفلامه التي مزجت بين الفكاهة والرسائل الاجتماعية العميقة، حيث تناول قضايا مثل الفقر، الظلم، والديكتاتورية، كما في فيلمه الشهير الديكتاتور العظيم (1940) الذي انتقد فيه الفاشية وهتلر، استطاع تشابلن أن يضحك العالم وسط المآسي، وبُعث أن الكوميديا يمكن أن تكون سلاحاً قوياً للتعبير عن قضايا الإنسان، ينظر: رؤوف سلامة موسى، موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، ج2، دار ومطابع المستقبل، الإسكندرية-مصر، 2002، ص235.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

في الوقت الذي سعى فيه المسرح الشعبي، بقيادة رشيد وعلالو ومحي الدين باش تارزي، إلى جذب الجمهور عبر طرح قضايا اجتماعية بأسلوب ساخر، برز ما يمكن تسميته بالمسرح الأدبي-التعليمي، الذي نشأ على يد مجموعة من المعلمين في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أو من أنصار التيار الإصلاحية الذي تبنته الجمعية، ومن بين هؤلاء المؤلفين المسرحيين الذين انبثقوا من صفوف المعلمين محمد العيد، ومحمد العابد الجلالي، ومحمد النجار، حيث تناولت أعمالهم موضوعات اجتماعية وتاريخية وسياسية، وكان التلاميذ أنفسهم يشاركون أحياناً في التمثيل¹.

محمد العابد الجلالي، وُلد في قرية أولاد جلال قرب بسكرة، وتلقى تعليمه الأولي على يد والده، ثم تتلمذ على الشيخ عبد الحميد بن باديس، أمضى أكثر من ثلاثين عاماً في التدريس بالمدارس التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مع اندلاع الثورة الجزائرية عام 1954، انضم إلى صفوف جيش التحرير الوطني، لكنه اعتُقل وتعرض لشتى أنواع التعذيب في السجن، بعد الاستقلال، عاد إلى مهنة التدريس، كما يُعدّ من أوائل كُتّاب القصة في الجزائر، وكان يُعرف باسمه المستعار "رشيد"، في عام 1937، أسس جريدة بعنوان "أبو العجائب"، التي مزج فيها بين النقد والفكاهة، توزّع إنتاجه الأدبي بين صحف مثل "الصديق" و"الشهاب"، كما كتب القليل من الشعر²، وله تجارب في كتابة المسرح³ من بينها مسرحية معنونة بـ: "مضار الجهل والخمر والحشيش والقمار لمحمد العابد الجلالي"⁴، يحمل عنوان المسرحية دلالة واضحة على محتواها ورسالتها الإصلاحية، حيث يسلط الضوء على أربع آفات اجتماعية خطيرة: الجهل، الخمر، الحشيش، والقمار، يجمع العنوان بين هذه القضايا في سياق التحذير من أضرارها وتأثيرها السلبي على الأفراد والمجتمع⁵.

يشير مصطلح "مضار" إلى التأثيرات السلبية التي تنتج عن الظواهر المذكورة في العنوان، هذا يوحي بأن المسرحية لا تقتصر على وصف هذه المشكلات، بل تهدف إلى كشف مخاطرها والتحذير من عواقبها، مما يجعلها عملاً ذا طابع توعوي وتوجيهي، ويأتي "الجهل" في بداية العنوان، مما يعكس أهميته كمشكلة رئيسية تؤدي إلى انتشار باقي الآفات، في المسرحية، يُنظر إلى الجهل على أنه سبب رئيسي للتخلف، حيث يمنع الأفراد من إدراك مخاطر العادات السيئة، مثل الإدمان والمقامرة، يظهر الجهل أيضاً كعامل يساهم في حرمان الأطفال من التعليم، مما يؤدي

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 139.

² محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، ج2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 223.

³ مسرحية عباقرة العرب، النهضة الجديدة، ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 141.

⁴ نص المسرحية المخطوط قام بنشره لأول مرة الباحث عبد المالك مرتاض في كتابه فنون النثر الأدبي في الجزائر.

⁵ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 462.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

إلى نشوء جيل غير واعٍ بمصيره ومستقبله، ويرمز "الخمر" في المسرحية إلى فقدان السيطرة على العقل والانحراف الأخلاقي، يُظهر النص كيف يتحول مدمنو الخمر إلى شخصيات تائهة غير قادرة على تحمل المسؤولية، حيث يؤدي الإدمان إلى تدمير العلاقات الاجتماعية والكرامة الإنسانية، مما يجعل المجتمع أكثر عرضة للتفكك، أما "الحشيش" فيمثل التخدير العقلي والهروب من الواقع، حيث يُصوّر المدمنون في المسرحية على أنهم يعيشون في عالم وهمي، يظنون أنه يمنحهم الراحة بينما هم في الحقيقة يغرقون في الضياع والانحطاط، تكشف المسرحية كيف أن المخدرات تساهم في نشر الكسل والبطالة، وتضعف قدرة الأفراد على التفكير والإنتاج، ويُبرز "القمار" في المسرحية باعتباره إدماناً مدمراً، حيث يعيش المقامرون في وهم الشراء السريع بينما يتكبدون الخسائر المتتالية، تؤكد المسرحية أن القمار لا يؤدي فقط إلى الفقر، بل يخلق مجتمعا يعتمد على الحظ بدلاً من العمل، ويفقد قيم المسؤولية والتخطيط للمستقبل¹.

يعكس عنوان المسرحية فكرة محورية مفادها أن الجهل هو الجذر الأساسي للمشكلات الاجتماعية، حيث يؤدي إلى انتشار الإدمان والقمار كوسائل هروب من الواقع، ومن خلال هذا العنوان، يحدد المؤلف بدقة القضايا التي يعالجها في المسرحية، مما يجعلها عملاً ذا رسالة توعوية تدعو إلى التعليم والوعي باعتبارهما الحل الأساسي لإنقاذ المجتمع من هذه الآفات، وتتكون المسرحية من تسعة عشرة صفحة.

تتناول المسرحية قضية الجهل وأثره المدمر على الأفراد والمجتمع، كما تسلط الضوء على العادات السيئة مثل شرب الخمر وتعاطي الحشيش والمقامرة، وتنقدها بحدة من خلال مواقف وحوارات تظهر الفجوة بين الجهل والعلم، والانحراف والاستقامة.

- الفصل الأول: الجهل وأثره على الأطفال

يبدأ المشهد بمجموعة من الأولاد يلعبون في الشارع، فيلتقيهم تلميذ متعلم ويحاورهم حول أهمية المدرسة والعلم. يكتشف أنهم جميعاً لم يلتحقوا بالتعليم لأسباب مختلفة؛ فبينما لم يدخل أحدهم المدرسة لأن والده لم يأمره بذلك، يُجبر آخر على رعي الأغنام، أما الثالث فهو يتيم يعمل لإعالة أسرته، يحاول التلميذ إقناعهم بأهمية المدرسة، فيقررون استئذان آبائهم للالتحاق بها، لكن الأحداث تكشف عن عراقيل اجتماعية واقتصادية تعيق ذلك².

- الفصل الثاني: رفض الآباء للتعليم

¹ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 462.

² نفسه.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

يعود الأولاد إلى التلميذ محبطين بعد رفض آبائهم إرسالهم إلى المدرسة، يتحجج أحد الآباء بعدم القدرة على تحمل نفقات التعليم، رغم إنفاقه أمواله على التدخين والقهوة، بينما يبرر آخر رفضه بالحاجة إلى من يساعده في أعماله اليومية، يتدخل التلميذ في محاولة لإقناع الآباء، ويتمكن من تغيير موقف أحدهم الذي يقرر السماح لابنه بالدراسة، مما يعكس بداية وعي مجتمعي بأهمية التعليم¹.

- الفصل الثالث: القمار وأضراره

تنتقل الأحداث إلى مشهد في مقهى، حيث يجتمع رجال وأطفال حول طاولة قمار، غارقين في الرهانات والمشاحنات، يتدخل تلميذ آخر لمواجهتهم بحقيقة ما يفعلونه، ويبين لهم كيف أن القمار لا يكتسب سوى الهزائم والخسائر، إلى جانب ضياع الوقت، يحاول المقامرون تبرير لعبهم بأنه مجرد وسيلة للتسلية، لكن التلميذ يثبت لهم أن القمار يهدم البيوت ويدمر العائلات، في النهاية، يقتنع أحد المقامرين بخطأه ويقرر التوقف عن هذه العادة السيئة².

- الفصل الرابع: الحشيش والخمر وتأثيرهما

تجري الأحداث في محل لتعاطي الحشيش، حيث يجلس مجموعة من المدمنين يتبادلون الحديث عن نشوتهم الزائفة، يدخل شاب متزن في النقاش معهم، ويواجههم بحقيقة أن الحشيش لا يجلب سوى الضياع والانحطاط، في الوقت نفسه، يظهر سكير في مشهد بائس، ملقى على الأرض بملابس ممزقة ووجه شاحب، مما يعكس الانحدار الذي يعيشه المدمنون، تسخر المجموعة من السكير رغم أنهم جميعًا في دوامة الإدمان ذاتها، مما يبرز التناقض بين نظرهم لأنفسهم والواقع المرير الذي يعيشونه.

- الفصل الخامس: المواجهة والتغيير

في النهاية، يواجه التلاميذ مجموعة مدمني الحشيش والخمر في نقاش جريء حول أثر هذه العادات على المجتمع، يقتنع البعض بضرورة الإقلاع عنها، بينما يرفض آخرون الاعتراف بخطئهم، يؤدي الخلاف إلى شجار بين المدمنين، مما يستدعي تدخل الشرطة التي تلقي القبض عليهم وتقتادهم إلى السجن، في إشارة إلى أن الانحراف لا يؤدي إلا إلى الهلاك، والمسرحية تقدم نقدًا لاذعًا للجهل والعادات السيئة مثل القمار، الحشيش، والخمر، وتدعو إلى التعليم كوسيلة أساسية للنهوض بالمجتمع، توظف المسرحية الحوار المباشر بين الشخصيات لتوضيح أفكارها

¹ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 465-573.

² نفسه.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

التربوية والأخلاقية، وتعتمد على شخصيات بسيطة تمثل المجتمع بكل تناقضاته، لتوصل رسالة واضحة مفادها أن الجهل والانحراف هما العدو الأول لتقدم الأمة¹.

تبرز مسرحية مضار الجهل والخمر والحشيش والقمار لمحمد العابد الجلاي كعمل توعوي يعكس التوجه الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تناول المسرحية بأسلوب تعليمي قضايا اجتماعية خطيرة مثل الجهل والإدمان والمقامرة، وتسلب الضوء على آثارها المدمرة على الأفراد والمجتمع، من خلال شخصياتها البسيطة وحواراتها المباشرة، تقدم المسرحية رسالة واضحة مفادها أن التعليم والوعي هما السبيل الوحيد للنهوض بالمجتمع والتصدي للآفات التي تعيق تقدمه، تعكس هذه المسرحية الدور الريادي الذي لعبه المسرح في نشر الوعي الاجتماعي خلال النصف الأول من القرن العشرين، مما يجعلها نموذجًا بارزًا للمسرح الإصلاحي في الجزائر.

3.1. مسرحية الخليفة لمحمد ولد الشيخ أغا

يشير الدكتور معراج أغا ابن أخت ومترجم أعمال الكاتب بأن إعادة إصدار أعمال محمد ولد الشيخ أغا، أحد الرواد البارزين للأدب الجزائري في فترة ما بين الحربين العالميتين، تعتبر خطوة هامة وضرورية لإتاحة الفرصة للقارئ الجزائري اليوم للوصول إلى هذا التراث الأدبي والثقافي الذي كُتب باللغة الفرنسية في ثلاثينيات القرن الماضي، هذا التراث يعكس الأصوات المبكرة التي بادرت إلى الكتابة باللغة الفرنسية في تلك الحقبة، ويعد من المصادر الأساسية لفهم الثقافة الجزائرية في مرحلة الاحتلال، كما أن إعادة إصدار أعمال محمد ولد الشيخ وترجمتها إلى اللغة العربية تساهم في إعادة ربط هذه الفترة من تاريخ الجزائر بحاضرها، وتتيح للقارئ المعاصر فرصة لاستيعاب الأبعاد الاجتماعية، السياسية، الثقافية والدينية التي عاشها المؤلف في تلك المرحلة، مما يساعد في فهم أعمق للواقع التاريخي الذي شكّل جزءًا من الهوية الجزائرية في ذلك الوقت².

يعتبر محمد ولد الشيخ أول جزائري على الإطلاق من كتب النص المسرحي إذ قام بإصدار في سنة 1928 أول نص مسرحي بعنوان " الخليفة"³، والمسرحية تسلط الضوء على شخصية "الخليفة"، شاب جزائري يبلغ من

¹ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 477 484

² تقدم معراج أغا لترجمة مسرحية: محمد ولد الشيخ أغا، الخليفة، (لم يتم النشر بعد، لا يزال الكتاب مخطوطًا تم إرساله إلينا من قبل المترجم معراج أغا الذي لم يرد لنا التأخر في دراسة مسرحية الخليفة حيث يعود سبب عدم نشر الكتاب لأعطاب تقنية في دار النشر التي يريد نشر ترجمة المسرحية فيها، وقد تم وصول النسخة بتاريخ 07 نوفمبر 2024).

³ معراج أغا، (24 جويلية 2023)، محمد ولد الشيخ: رائد المسرح الجزائري باللغة الفرنسية، على منصة الفيسبوك، استرجعت في تاريخ 08 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com/share/15VgeNYhzC/>

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

العمر عشرين عامًا يعيش في ظل الحكم الاستعماري، يطمح الخليفة إلى شق طريقه الخاص في الحياة، متحديًا أقدارها وأوامر والده "القايد"، يتميز الخليفة بثقافته وسعيه لإيجاد حلول لمشاكل الأهالي، مثل حالات السرقة والقتل وقطع الطرق، لذا، يخصص رجالًا لملاحقة المجرمين ومكافأة من يتمكن من القبض عليهم.

على الصعيد الشخصي، يعاني الخليفة من اضطراب داخلي وعدم شعوره بالسعادة، رغم زواجه من "يمينة"، وهي شابة تبلغ من العمر ثمانية عشرة عامًا ولديهما ابنة تُدعى "حبيبة"، في خضم الأحداث، تظهر "بدره"، شابة ذات أصول أوروبية، تطلب من الخليفة الزواج بها بعد أن تركت زوجها العجوز، يتردد الخليفة في قبول طلبها بسبب مشاعره تجاهها، لكنه في النهاية يقرر الزواج منها، متحديًا اعتراض عائلته المكونة من زوجته يمينة وزوجتي والده، عالية وعائشة.

تتأجج الغيرة بين بدره ويمينة، حيث تحاول كل واحدة منهما كسب الخليفة إلى صفها، في النهاية، تستسلم يمينة وتغادر القصر مع ابنتها المريضة، التي تموت بعد فترة وجيزة، يغضب "القايد" ويطلب من الخليفة تطبيق بدره، معتبرًا أنها سبب خراب بيته، أما على المستوى الأمني، تنتهي الأحداث بالقبض على المجرمين واستعادة النظام.

رغم انقلاب أهل القصر على بدره وإهانتها، يظل الخليفة متمسكًا بها وبجبه لها، وهكذا تُختتم المسرحية بمزيج من الصراعات العائلية والاجتماعية، التي تعكس واقعًا مأزومًا تحت وطأة الاحتلال.

في المسرحية بعض من الاقتباسات التي تحمل أبعادًا سياسية تعكس واقعًا مرتبطًا بالسياق الاستعماري والمجتمعي الذي تدور فيه أحداث المسرحية، فيقول الكاتب على لسان أحد الشخصيات: "لا داع للقلق فهم من قبائل لا تزال متمردة، وأغلبهم اليوم من القتلة الذين يجردون الموتى من ملابسهم"¹، حيث يعكس هذا الاقتباس تصورًا للقبائل المتمردة، وهو خطاب يمكن تفسيره كجزء من السياسة الاستعمارية التي تصنف المقاومة الشعبية ضد الاحتلال على أنها تمرد أو أعمال إجرامية، يعبر النص عن كيفية تعامل السلطة مع هذه القبائل بوصفها "خطرة" آمنًا، مما يعكس البعد السياسي في مواجهة الحركة الوطنية أو المقاومة.

كما يقول الكاتب على لسان شخصية الخوجة: "لماذا تعطي أهمية للغريب مادام أنه سيتم دفع أجرته مقابل تدخله في حالة النجاح؟"²، وفي هذا الاقتباس، يظهر نقد ضمني لاستغلال القوى الخارجية (الغريب) كأداة لحل

¹ محمد ولد الشيخ أغا، الخليفة، المصدر السابق، ص 10.

² نفسه، ص 10.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

المشاكل الداخلية، يمكن اعتباره إشارة إلى الاعتماد على العناصر الأجنبية أو الموالية للاستعمار، مع تجاهل أهمية الدور الوطني أو الذاتي، وهو جانب سياسي يعكس التوتر بين الوطنيين والمتعاونين مع السلطة الاستعمارية.

على لسان شخصية الخليفة يقول الكاتب: "ألا تعلم أن الجنود ذوي الأجور المتدنية نادراً ما يكونون شجعاناً؟"¹، حيث يحمل هذا الاقتباس دلالة سياسية ترتبط بالاقتصاد العسكري والسياسات الإدارية التي تنتهجها السلطة، يعبر عن علاقة القوة بالاستغلال الاقتصادي، حيث تكون الأجور المتدنية أداة لإضعاف معنويات الجنود، ما قد يشير إلى انتقاد النظام الاستعماري الذي يستغل الأفراد دون تقديم حقوقهم الكاملة.

يعكس الكاتب محمد ولد الشيخ ممارسات وسلوكيات تعبر عن ثقافة دينية متأثرة بالخرافات والتقاليد الشعبية التي كانت شائعة في بعض المجتمعات الجزائرية، خاصة خلال فترة الاحتلال، تحليل الثقافة الدينية التي حاول الكاتب إيصالها يتضح من العناصر التالية²:

شخصية زردودة تمثل نموذجاً للساحرة التي تلجأ إليها الشخصيات لتحقيق أهدافها، مثل استمالة الخليفة في هذه الحالة، استخدام التعويذات والكلمات السحرية يعبر عن وجود ثقافة تؤمن بقوة الخرافات والسحر في التأثير على الناس، وهي ممارسات تعارض القيم الإسلامية التي تدعو إلى الإيمان بالله وحده والابتعاد عن الشعوذة، كما يوجد تناقض بين الشعوذة والدين، حيث أن زردودة تبدأ بذكر "بسم الله" في طقوسها الشعوذية وتنتهي بعبارة "إن شاء الله"، مما يبرز التناقض بين استخدام ألفاظ دينية إسلامية وبين ممارسة الشعوذة، هذا المزج يعكس ثقافة دينية مشوشة، حيث يتم خلط العقيدة الإسلامية بالموروث الشعبي والخرافات.

كما أن التعويذة التي تقدمها زردودة تهدف إلى التحكم في مشاعر الخليفة تجاه يمينه، مما يعكس كيف يمكن استخدام السحر كأداة للتلاعب بالعلاقات الإنسانية، هذا الأمر يشير إلى وجود ثقافة تتعامل مع السحر كوسيلة لتحقيق السيطرة، وهو ما يتناقض مع المبادئ الدينية التي تحترم حرية الإرادة.

يظهر الكاتب كيف أن هذه الممارسات قد تكون انعكاساً للاضطهاد الاجتماعي والسياسي الذي عانى منه المجتمع الجزائري، في ظل الحكم الاستعماري، قد يكون اللجوء إلى السحر تعبيراً عن إحساس بالعجز واليأس أمام ظروف قاسية، مما جعل البعض يلجأ إلى وسائل غير تقليدية وغير دينية.

¹ نفسه، ص 12.

² نفسه، ص ص 53-55.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

نهاية القصة التي تنتهي بعدم تأثر الخليفة بتعويضات زردودة بل انقلاب السحر على الأم وفقدانها ابنتها وانتصار بدرة في النهاية، الزوجة الثانية التي تحلت بالذكاء والطيبة جعلت الخليفة لا يمكنه التضحية بها رغم معارضة مجتمعه لها.

في حوار يتسم بالجدية بين الشخصيات، حيث يطرح الشيخ مسألة تقدم "الدية" كحل تقليدي لمنع الانتقام بين العائلات المتنازعة، في المقابل، يعبر الخليفة عن موقف حازم، داعيًا إلى تطبيق العدالة الحديثة عبر محاكمة القاتل، الخوجة يتدخل في محاولة للتوفيق بين وجهتي النظر، موضحًا أهمية التدخل الإيجابي لتهدئة الأمور، خاصة مع معاناة الكثيرين من النزاعات المتكررة، المشهد ينبض بالتوتر بين القيم العرفية والعدالة الحديثة، مع خلفية من التقاليد التي تسود المكان والأجواء المحيطة.

المشهد يعكس الصراع بين التقاليد العرفية والعدالة الحديثة في المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، يظهر الشيخ ممثلًا للنظام القبلي الذي يعتمد على "الدية" كوسيلة لحل النزاعات ومنع الانتقام، مما يعبر عن ثقافة اجتماعية متجذرة في الأعراف القبلية، في المقابل، يرفض الخليفة هذا النهج، داعيًا إلى تقديم القاتل للعدالة القضائية، وهو ما يعكس سعيه نحو تبني القوانين الحديثة كبديل للأنظمة التقليدية، هذا الصراع يبرز التوتر الثقافي بين الأجيال والقيم المتغيرة في ظل الاحتلال، حيث يواجه المجتمع ضغوطًا للتوفيق بين التقاليد والمحاولات للتحديث.

من ناحية أخرى، يلقي المشهد الضوء على أهمية الجماعة في حل النزاعات، حيث يتحدث الشيخ "باسم الجماعة" سعيًا لإطفاء النزاع قبل تصعيده، الخطاب يتداخل مع القيم الدينية التي تُظهر الرحمة والحكمة في منع سفك الدماء، وهو ما يبرز مزيجًا من الأعراف الدينية والقبلية في معالجة القضايا الاجتماعية، يعكس الحوار معاناة الناس من المآثم المتبادلة، مشيرًا إلى الحاجة الماسة لإيجاد حلول سلمية، بينما يسلط الضوء على التحديات الناتجة عن النظام الاستعماري الذي يفاقم الانقسامات.

تُقدّم المرأة في منظور الكاتب محمد ولد الشيخ كعنصر فاعل يعكس التوترات الاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال فترة الاحتلال، حيث شخصية يمينية تمثل المرأة التقليدية الملتزمة بالقيم الأسرية، لكنها تعاني من آثار تعدد الزوجات والصراعات الناتجة عن الغيرة، من خلال معاناتها وصمتها، يبرز الكاتب صورة المرأة الجزائرية التي تجسد التقاليد، لكنها ضحية للتحويلات الاجتماعية، في المقابل، بدرة، المرأة التي نشأت على النمط الأوروبي، تُجسّد النموذج المختلف للمرأة الذكية التي تنوق إلى الحرية حين سمعت ما يقرأه زوجها في الكتاب قائلة¹: "إذا هددت

¹ نفسه، ص71.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

جميع النساء المسلمات بقتل أنفسهن مثلها، فسيضطر الأزواج إلى إزالة الرحم النسوي كون أخواتنا من تركيا ومصر يعشن مستقلات ولا يغطين وجوهن¹، وعبر هذه الشخصية، يسلط الكاتب الضوء على تأثير القيم الغربية على العلاقات العائلية.

الصراع بين يمينه وبدره لا يعكس فقط غيرة النساء، بل هو رمز للتغيرات الثقافية والاجتماعية في المجتمع الجزائري، حيث تواجه الهوية الوطنية ضغط التأثيرات الغربية، المرأة، في منظور الكاتب، ليست مجرد شخصية في القصة، بل أداة للتعبير عن صراع أكبر بين التقاليد والحداثة، وبين القيم المحلية والمستوردة، بهذا، يُظهر الكاتب دور المرأة كمحور في هذه التحولات، سواء كانت ضحية لهذه التغيرات أو قوة تؤثر فيها.

تعكس المسرحية التوترات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي ميزت المجتمع الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي، ومن خلال شخصياتها وأحداثها، ألقى الكاتب محمد ولد الشيخ الضوء على القضايا الجوهرية، مثل الصراع بين التقاليد والحداثة، وتأثير الاحتلال على العلاقات الاجتماعية، ودور المرأة كمحور للتغيرات الثقافية، كما سلطت المسرحية الضوء على محاولات الجزائريين للتكيف مع واقعهم المعقد، سواء عبر المقاومة أو الاستسلام للضغوط المفروضة، وبهذا، تبرز المسرحية ليس فقط كعمل فني، بل كشهادة تاريخية تحمل في طياتها صراعات وآمال مجتمع يسعى للحفاظ على هويته وسط التحديات.

4.1. مسرحية أدباء المظهر لأحمد رضا حوحو

تجربة حوحو الأدبية لم تقتصر على الصحافة فحسب، بل سعى إلى تطوير الأدب الجزائري من خلال توجيهه نحو القصة الأدبية، معتبراً أنها أوسع أرجاء وأكثر نفعاً من المقالة الأدبية، ويكشف في هذا السياق عن نظريته العميقة لدور الأدب في التعبير الصادق عن مشاعر المرء وخلجات نفسه، معتبراً أن الأدباء في الجزائر حينها هم "مواد خام" بحاجة إلى التوجيه والتشجيع²، كما أنه مزج بين النقد الأدبي والثقافي في مقالاته ومكاتباته المسرحية وما مسرحية

¹ من خلال الإشارة إلى "أخواتنا من تركيا ومصر"، يبدو أن الكاتب يسعى إلى تسليط الضوء على أمثلة من العالم الإسلامي حيث تعيش النساء حياة أكثر استقلالية، مما يثير تساؤلات حول الأعراف المحلية والتقاليد التي تقيد المرأة، كما أن الجملة تعكس سخرية من محاولات فرض الهيمنة الذكورية والسلطة على النساء، مع طرح فكرة مستفزة تتمثل في تصور متطرف لردود الفعل إذا تجرأت النساء على المطالبة بحريتهن أو استقلاليتهن، هذا الاقتباس يُظهر رغبة الكاتب في فتح نقاش حول أهمية التوازن بين التقاليد والحداثة، مع التركيز على ضرورة منح المرأة حقوقها وفرصة عيش حياة حرة ومستقلة، دون المساس بالقيم الدينية والاجتماعية الجوهرية.

² مولود عومر، (12 ماي 2012)، الأديب أحمد رضا حوحو (1910-1956) في جريدة البصائر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، استرجعت في تاريخ 07 جويلية 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://oulama.dz>

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

"أدباء المظهر" للكاتب أحمد رضا حوحو إلا انعكاس لرؤية نقدية ساخرة للأدب والمجتمع في فترة زمنية معينة، وهي تركز على ظاهرة تدهور القيم الأدبية والاهتمام بالمظاهر على حساب المضمون¹.

يمكن تلخيص مسرحية "أدباء المظهر" في عرض درامي ساخر يعالج أزمة الهوية الثقافية والانحدار الأدبي في سياق اجتماعي متغير، تدور أحداث المسرحية حول الأستاذ خليل، الأديب التقليدي الذي أفنى حياته في الكتابة الجادة، ولكنه يجد نفسه مرفوضاً ومهمشاً من قبل مجتمع لم يعد يقدر الأدب الحقيقي، إلى جانبه يقف مراد، تلميذه الوفي، الذي يشعر بالإحباط من واقع أدبي أصبح يفضل السطحية والمظاهر على المضمون.

يبدأ العمل بمشهد يعبر فيه مراد عن استيائه من نظرة المجتمع السطحية للأدب، مشيراً إلى أن أعمال أستاذه لا تحظى بالتقدير لأنها "لا تحتوي على الصور الشائقة"، في محاولة يائسة لحث أستاذه على التكيف مع الواقع، يقترح عليه العمل بواجباً في فندق، غير أن خليل يرفض، متمسكاً بكرامته ووفائه لقيمه الأدبية، لكنه مع تصاعد الضغوط، يرضخ في النهاية ويبدأ بتقديم "دروس" للأدب تختزل فيه القيم الأدبية إلى مجرد مظهر خارجي، كارتداء الملابس الأنيقة واستخدام الأقلام الفاخرة.

في مشاهد لاحقة، تظهر مجموعة من الطلاب الجدد — كمال، جمال، عزيز، ونحيب — يمثلون الجيل الذي يسعى إلى الشهرة السريعة دون جهد حقيقي أو عمق فكري، يستقبلهم خليل ويقدم لهم دروسه الجديدة التي تروج لأفكار سطحية حول الأدب، فيتلقفونها بحماسة، مراد، من جهته، لا يستطيع إخفاء اشمئزازه مما آلت إليه الأمور، ويصف ما يجري بأنه "وفاة الأدب".

المسرحية تسخر بذلك من التحول الثقافي الذي جعل من الأدب استعراضاً ومظاهر براقاً بدلاً من كونه أداة فكرية وجمالية، وتكشف عن صراع عميق بين القيم الأدبية الأصيلة وقيم الحداثة السطحية التي سادت خلال القرن العشرين، خاصة في المجتمعات العربية التي شهدت تغيرات اجتماعية وثقافية نتيجة الاحتلال والتأثر بالغرب، في السياق الجزائري تحديداً، تبدو هذه التحولات أكثر حدة بسبب التأثير الفرنسي العميق في البنية الاجتماعية والثقافية للبلاد.

شخصية الأستاذ خليل تجسد خيبة الأمل التي يعاني منها الأدباء الحقيقيون، فيما يعكس الحوار بينه وبين مراد صراعاً بين جيلين: جيل متمسك بالمبادئ الفنية والفكرية، وآخر ينحرف وراء البريق الخادع والاعتراف السريع، الطلاب الجدد في المسرحية يمثلون هذا الانحراف، حيث يبحثون عن طرق مختصرة ليصبحوا "أدباء" دون أن يمتلكوا أدوات الفكر أو موهبة التعبير.

¹ أحمد رضا حوحو، الأعمال الكاملة...، المصدر السابق، ص 97.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

تقدم المسرحية نقدًا لاذعًا للنخب الثقافية التي تبنت أدب "المظاهر"، وتشير إلى حالة "الاغتراب الثقافي" التي أصابت المجتمع، حين أصبح تقليد الغرب هدفًا، بينما ضاعت القيم الجمالية الحقيقية، وتعكس المسرحية تأثيرها بالمدرسة الواقعية في الأدب، حيث يتم تسليط الضوء على الواقع المجتمعي بكل تناقضاته من دون تحميل، مع استخدام السخرية والفكاهة كأدوات للتعبير والنقد.

في النهاية، تبرز مسرحية "أدباء المظهر" كعمل في وصف بمرارة أزمة الثقافة والهوية في الجزائر وفي العالم العربي عمومًا، وهي صرخة في وجه الانبهار بالمظهر على حساب الجوهر، ودعوة للتأمل في مصير الأدب في زمن التغيرات السريعة والقيم المتبدلة.

2. سياسية:

1.2. مسرحية الهارب للطاهر وطار

نُشرت مسرحية "الهاب" للطاهر وطار لأول مرة في مجلة "الفكر"¹ التونسية في أواخر الخمسينيات، ولاحقًا، تم إصدارها ككتاب في الجزائر عام 1971، وفي عام 2013، أعادت المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية نشرها.

يحتوي الفصل الأول على تسعة مشاهد مسرحية ويتحدث الفصل عن حياة السجينين إسماعيل والصادق في الزنزانة، حيث تتجلى المفارقة بين الحرية والسجن من خلال حواراتهما، يقترب موعد إطلاق سراح إسماعيل بعد عشرين عامًا، لكنه لا يشعر بالفرح، بل يرى أن العالم الخارجي قد يكون سجنًا آخر، في المقابل، يتمسك الصادق بالأمل رغم حكمه المؤبد، تتفاقم المأساة عندما يُخبر السجان إسماعيل بأنه لن يغادر كما كان متوقعًا، بينما يُسحب الصادق إلى العقاب بسبب مرضه، ما يكشف قسوة السجن وظلمه، يعيش إسماعيل صراعًا نفسيًا حادًا، يصل إلى ذروته بمحاولة انتحاره، لكنه يفشل، فيغرق في هلوسات تعكس ألمه النفسي².

يستيقظ إسماعيل ليجد الصادق في حالة يُرثى لها بعد تعرضه للتعذيب، وتدور بينهما حوارات فلسفية حول المعاناة والحرية، يعترف إسماعيل بأنه لم يقتل زوجته، بل انتحرت، مما يثير تساؤلات حول العدالة، في النهاية، يواجه

¹ مجلة الفكر: هي مجلة تونسية شهرية تعنى بالأدب والفكر، انطلقت في أكتوبر 1955 واستمرت في الصدور حتى عام 1986، أسسها محمد مزالي، وسانده في استمرار إصدارها البشير بن سلامة، وكلاهما شغل مناصب وزارية خلال حكم الرئيس الحبيب بورقيبة، تميزت المجلة بانفتاحها على الأدباء والشعراء والمثقفين من مختلف التوجهات الفكرية، كما لعبت دورًا بارزًا خلال السبعينات في الدفاع عن التعريب وتعزيز مكانة اللغة العربية، ينظر: أحمد القديدي، (11 ديسمبر 2020)، مجلة الفكر: أسسها الاستقلال وقتلها الاستبداد، مجلة الشرق، استرجعت في تاريخ 18 فيفري 2025، من الموقع الإلكتروني: <https://al-sharq.com/opinion/11/12/2020>

² الطاهر وطار، مسرحية الهارب، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص ص 0736.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

المدير الذي يسعى لإقناعه بالخروج، لكنه يرفض، مقترحًا إطلاق سراح الصادق بدلًا منه، يُنقل إسماعيل إلى مكتب المدير، حيث تثير قصته اهتمام الدكتورة راضية وصديقها صاحب النفوذ، يبدأ بسرد ماضيه، متأملًا مصيره في ظل مجتمع لا يفهم ألمه، لتنتهي بذلك أحداث الفصل الأول وسط تساؤلات عن المصير والحرية.

في الفصل الثاني من المسرحية، يستمر الصراع الداخلي لإسماعيل، حيث يبدأ المشهد الأول بمواجهة بينه وبين ذاته "أنا"، التي تحاول منعه من الاستسلام لليأس، يفكر إسماعيل في الانتحار، متأثرًا بالإحباط الذي يشعر به، لكن "أنا" يجادله محاولًا إقناعه بأن حياته ليست بلا معنى، في المشهد الثاني، يظهر إسماعيل وسط شخصيات أخرى مثل سالم وعبد الحق، اللذين يمثلان المجتمع من حوله، يعبر إسماعيل عن معاناته وظلمه، بينما تتباين مواقف الشخصيات تجاهه، فبعضهم يبدي تعاطفًا، بينما يسخر منه الآخرون أو يتجاهلونه تمامًا، مما يعمق شعوره بالعزلة¹.

يعود إسماعيل في المشهد الثالث إلى ذكرياته، حيث يستعيد لحظات الطفولة والشباب، ويظهر كيف شكلت الأحداث التي مر بها إحساسه بالخدلان واليأس، في المشهد الرابع، يواجه إسماعيل شخصية تمثل السلطة، مثل المفتش أو أحد المسؤولين، الذي يعكس قسوة النظام الاجتماعي وقمعه، يحاول إسماعيل الدفاع عن نفسه، لكن السلطة تفرض عليه واقعيًا لا يترك له مجالًا للمقاومة، في المشهد الخامس، تتدخل شخصية أخرى، ربما تكون حكيمةً مثل العم رشيد، الذي يحاول توجيه إسماعيل وإقناعه بإمكانية التغيير، لكن إسماعيل يظل غارقًا في شكوكه ومخاوفه، متسائلًا عن معنى الحياة والمصير.

يصل الصراع الداخلي ذروته في المشهد السادس، حيث يعيد إسماعيل النظر في قراره بالانتحار، مترددًا بين الاستسلام والمقاومة، في المشهد السابع، تحدث مواجهة حاسمة بينه وبين العالم من حوله، قد تكون مع السلطة أو مع أشخاص تسببوا في معاناته، مما يؤدي إلى إدراك جديد بداخله، وأخيرًا، في المشهد الثامن، يواجه إسماعيل مصيره، فإما أن يقرر المقاومة والاستمرار رغم الألم، أو يختار الاستسلام لليأس، تاركًا النهاية مفتوحة لتأويل الجمهور، مما يضفي على المسرحية عمقًا فلسفيًا حول الإنسان وصراعه مع ذاته ومجتمعه.

في الفصل الثالث من المسرحية، نجد إسماعيل في غرفته برفقة خادمه و"أنا"، وهو يحاول معرفة أوصاف فتاة يريد رؤيتها، يسأل إسماعيل عن جمالها وطولها ولون شعرها وعينيها، لكن الأجوبة تبقى غامضة وغير دقيقة، مما يزيد من فضوله، يتدخل "أنا" في الحوار بتعليقات ساخرة وعبارات فلسفية، محاولًا أن يجعله يرى الأمور من زاوية أخرى، رغم ذلك، يظل إسماعيل متحمسًا لرؤية الفتاة، ويطلب من الخادم الإسراع بإحضارها.

¹ وطار، مسرحية الهارب، المصدر السابق، ص ص 37 64.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

في المشهد الثاني، يبدأ إسماعيل في التفكير بصوت عالٍ حول الفتاة القادمة، متأرجحًا بين التوقعات والرغبات، يظهر "أنا" ليحذره من الانجراف وراء العواطف دون وعي، مقارنةً حالته بضفدعة تمتص الدخان حتى تنفجر، إسماعيل يرفض هذا التشبيه ويصر على أنه يتزحلق في الحياة وفق ما يجذبه، رغم معرفته بالمآسي التي قد تواجهه، تتصاعد المواجهة بينه وبين "أنا"، حيث يحاول الأخير جعله يفكر بعمق أكبر، بينما إسماعيل متمسك برغبته في الانغماس في اللحظة.

يستمر الحوار بين إسماعيل و"أنا" حول مفهوم الحياة والانجراف وراء المشاعر، حيث يؤكد إسماعيل أن كل جديد يثير الغبطة، حتى لو كان مؤلمًا، يحاول "أنا" إقناعه بالترث والتفكير بحكمة، لكن إسماعيل يفضل الشعور بالفرح المؤقت، رغم إدراكه أن الغبطة قد تتلاشى، ينتهي المشهد بتوتر متزايد بين الشخصيتين، حيث يشعر إسماعيل بأن "أنا" يزرعه ويمنعه من الاستمتاع، مما يعكس صراعه الداخلي بين العقل والعاطفة¹.

في الفصل الرابع، يُحاكم إسماعيل بتهمة قتل صفية، لكنه يُصدم عندما يعلم أن الحكم يقضي بزواجه منها بدلًا من إعدامه، يلتقي بصفية بعد المحاكمة، حيث تعترف له بأن والديها طرداها وأجبراها على الزواج منه، لكنها تبدو مترددة بين الحب والرفض، في الوقت نفسه، يعاني إسماعيل من صراع داخلي حاد ويفكر في الانتحار، لكنه يتردد حين تظهر صفية أمامه، مما يزيد من تعقيد مشاعرها.

مع تصاعد التوتر، يعرض إسماعيل على صفية الانتحار المشترك، وتكاد توافق، لكنها تتراجع في اللحظة الأخيرة، فيقتلها إسماعيل بدافع اليأس والغضب، بعد وقوع الجريمة، يُقبض عليه ويُسجن، حيث تلتقي به راضية، ابنة مدير السجن، وتحاول إقناعه بأن للحياة معنى يستحق أن يُعاش، رغم رفضه لفكرة الاستمرار في الحياة، تثير راضية في داخله شكوكًا حول مصيره وتمنحه فرصة جديدة.

في مفاجأة غير متوقعة، تعلن راضية رغبتها في الزواج من إسماعيل لإنقاذه، ما يثير دهشة الجميع، يوافق إسماعيل على مغادرة السجن معها، لكنه لا يزال يشعر بأنه "هارب"، غير متأكد مما إذا كان قد وجد طريقه الحقيقي أم أنه فقط انتقل إلى هروب جديد، النهاية تظل مفتوحة، تاركة القارئ أمام تساؤل حول معنى الحرية والمصير².

تلخص الخاتمة مصير إسماعيل في مكتب مدير السجن، حيث تنفجر الأوضاع خارجًا مع دخول مجموعة من الثوار بقيادة توفيق، الذين يعلنون انتصار الثورة واعتقال المدير وراضية وصديقها بتهمة العمالة للمخابرات الأمريكية،

¹وطار، مسرحية الهارب، المصدر السابق، ص ص 65- 94 .

² نفسه، ص ص 95 - 133.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

يُعاد إسماعيل إلى زنزانته بدلاً من نيل حريته، إذ يُقرر الثوار وضعه في "مدارس إصلاح الأخلاق البرجوازية"، مما يبرز أن النظام الجديد، رغم شعاراته الثورية، لا يختلف كثيراً عن سابقه في قمع الأفراد.

اللحظة الأخيرة تحمل دلالة رمزية عميقة، حيث يصرخ الصادق: "تحيا الثورة الاشتراكية! لقد تغيرت معالم الطريق"، قبل أن ينهار إسماعيل فاقداً وعيه، مما يوحي بأن تحولات الأنظمة لا تعني بالضرورة الحرية الفردية، يظل إسماعيل "الهارب"، ليس فقط من الواقع السياسي، بل من أي انتماء حقيقي، مما يعزز فكرة الاغتراب الذي يطغى على شخصيته طوال المسرحية، فتعكس النهاية رؤية سوداوية حول الثورة، حيث لا يُنظر إلى التغيير السياسي كضامن للخلاص، بل كامتداد حلقة لا تنتهي من الاستبداد بأشكال مختلفة، تُرك إسماعيل في دوامة الضياع، وتُرك القارئ أمام تساؤل مفتوح: هل هناك سبيل حقيقي للتحرر، أم أن الإنسان سيبقى دوماً "الهارب" في عالم لا يمنحه الأمان؟

تندرج هذه المسرحية ضمن سياق الكتابات الأدبية الجزائرية خلال الاحتلال الفرنسي، كما تتقاطع مع النتاج الفكري والأدبي الذي حاول تفكيك بنية القهر والاستبداد، سواء في صيغته الاستعمارية المباشرة أو تبعاتها، وكما عبّر العديد من الأدباء الجزائريين عن معاناة الفرد والمجتمع تحت وطأة الاحتلال، والبناء الرمزي للصراع في المسرحية يتوافق مع طبيعة الأدب الجزائري في الحقبة الاستعمارية، الذي غالباً ما لجأ إلى التلميح والرمز هرباً من رقابة المستعمر، فكما كان الأدباء في تلك الفترة يستخدمون شخصيات تاريخية أو حكايات غير مباشرة للتعبير عن قضايا التحرر والهوية، نجد أن المسرحية تطرح إشكالية القمع عبر شخصيات تجسد صراع الإنسان مع المنظومات السلطوية.

بهذا، فإن المسرحية لا تنفصل عن الامتداد الفكري للأدب الجزائري في ظل الاحتلال، بل تُعيد طرح السؤال ذاته الذي شغل الكتّاب آنذاك: هل الاستقلال السياسي يكفي لتحرير الإنسان؟ أم أن التحرر الحقيقي يتطلب إعادة بناء وعي اجتماعي وثقافي جديد، قادر على كسر القيود التي فرضها الاحتلال واستمرت بأشكال أخرى بعده؟ بهذا المعنى، تقدم المسرحية تأملاً عميقاً حول الإرث الثقافي والسلطوي للاستعمار.

يشير عز الدين جلاوي في هذا الاقتباس إلى مسرحية "الهارب"، التي كُتبت سنة 1961، ويصفها بأنها من "أنضج المسرحيات الجزائرية بل العربية"، مع الإشارة إلى أنها لم تحظَ بالاهتمام النقدي الكافي، وفي سياق دراسة الأدب الجزائري خلال الاحتلال الفرنسي، نجد أن العديد من النصوص المسرحية لم تحظَ بالاهتمام الكافي مقارنة بالشعر والرواية، ربما بسبب طبيعة المسرح الذي يحتاج إلى فضاء عرض وتفاعل مباشر مع الجمهور، وهو ما كان

يواجه عراقيل كبيرة في ظل الرقابة الاستعمارية وظروف الإنتاج الثقافي المحدودة، ومع ذلك، فإن المسرح ظل أداة قوية للتعبير عن قضايا التحرر والمقاومة، حتى وإن لم ينل الاعتراف النقدي الذي يستحقه في حينه¹.

2.2. مسرحية حنبعل لأحمد توفيق المدني:

وُلد أحمد توفيق المدني في تونس في 1 نوفمبر 1899 لعائلة جزائرية ذات أصول غرناطية، هاجرت عائلته إلى تونس بعد احتلال الجزائر من قبل الفرنسيين، حيث نشأ في بيئة مفعمة بالروح الوطنية، درس في جامعة الزيتونة، وكان شغوفاً بالتاريخ والمطالعة، مما أسهم في تكوينه العلمي والفكري، وقد كتب أول مقال له في جريدة الفاروق سنة 1914، فيقول عن هذا المقال في مذكراته: "ولا أنسى ما اعتراني من نشوة وما وجدته في نفسي من اعتزاز، عندما جاءنا الفاروق في نوفمبر 1914 بعد مدة طويلة يحمل بين طياته ذلك المقال، وكنت أنظر إلى اسمي مطبوعاً تحت مقالي بشيء من الخيلاء والعجب كأنني ملكت الدنيا وما فيها"².

قد بدأ نشاطه السياسي في تونس، حيث أسس خلية طلابية لمناهضة الاحتلال خلال الحرب العالمية الأولى، مما أدى إلى اعتقاله عام 1915 وسجنه حتى 1918، كما شارك في تأسيس الحزب الدستوري التونسي عام 1919، لكن نتيجة لنشاطه المناهض للاستعمار، نُفي إلى الجزائر عام 1925³.

في الجزائر، ساهم في إنشاء نادي الترقى، الذي أصبح منبراً ثقافياً وسياسياً للنخبة الجزائرية، وكان من أبرز مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931، حيث شغل منصب أمينها العام ورئيس تحرير جريدتها "البصائر".

انضم إلى جبهة التحرير الوطني عام 1956، وأصبح عضواً في وفدها الخارجي، ثم عضواً في الحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية، كان له دور بارز في التعريف بالقضية الجزائرية على المستوى الدولي، وقد توفي في 18 أكتوبر 1983، بعد مسيرة حافلة بالنضال الفكري والسياسي، ليبقى أحد رموز الحركة الوطنية الجزائرية وأحد أبرز المدافعين عن الهوية الجزائرية⁴.

¹ عز الدين جلاوي، "العبث والتحول في روايات الطاهر وطار"، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين وبحت في نظرية القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، ع 01، 02 ماي 2011، ص 35.

² أحمد توفيق المدني، مذكرات حياة كفاح، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976، ص 06-62.

³ جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850-1950، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الرواية-الجزائر، 2007، ص 277.

⁴ أحمد توفيق المدني، حنبعل...، المصدر السابق.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

يأتي إهداء أحمد توفيق المدني لمسرحية "حنبل" موجهاً إلى "الشباب المغربي"، في دلالة واضحة على وعيه بوحدة المصير بين الجزائر والمغرب في ظل الاحتلال الفرنسي، فاخياره لمخاطبة الشباب كـ "حامل راية الكفاح" يعكس رهانه على الجيل الجديد كقوة محركة للنضال من أجل الحرية، وهو خطاب يتجاوز البعد الأدبي للمسرحية ليحمل بُعداً تحريضياً ووطنياً، كما أن الإشارة إلى "حرية الأمة وشرف الوطن" تضع المسرحية في سياقها السياسي كمحاولة لإحياء الروح القومية في زمن كانت فيه السياسات الاستعمارية تهدف إلى طمس الهوية الوطنية¹.

يتجلى البعد التاريخي في قوله إن المسرحية تحيي "صفحة من جهاد أبطاله الأولين"، حيث يستحضر الماضي البطولي ليكون نموذجاً يُحتذى به في الحاضر، فحنبل، القائد القرطاجي، يُقدم هنا ليس فقط كشخصية تاريخية، بل كرمز للمقاومة والصمود ضد الهيمنة الأجنبية، في إسقاط واضح على نضال الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي، أما عبارة "فيها عبرة وذكرى"، فتكشف عن غاية مزدوجة: العبرة، لتحفيز الوعي الوطني، والذكرى، لحفظ الذاكرة الجماعية.

تدور أحداث المسرحية في القرن الثالث قبل الميلاد، خلال الحروب البونيقية الثانية بين قرطاج وروما، والتي كانت من أبرز صراعات العصور القديمة، تمثل الرواية حياة القائد القرطاجي حنبل، الذي قاد واحدة من أعظم الحملات العسكرية في التاريخ، بما في ذلك عبوره الشهير لجبال الألب لمهاجمة روما، تستعرض الرواية فترة زمنية تتميز بالصراع على السيطرة في منطقة البحر الأبيض المتوسط، حيث كانت قرطاج تمثل الحضارة الفينيقية الغنية مقابل القوة الصاعدة للإمبراطورية الرومانية.

تُظهر المسرحية حنبل² كشخصية مركبة تجمع بين الدهاء العسكري والإنسانية العميقة، استلهم أحمد توفيق المدني الشخصية التاريخية من السجلات والوثائق التي تناولت سيرته، مثل كتابات المؤرخين الرومان بوليبيوس

¹ الملحق رقم 13

² حنبل: برقة (247-183 ق.م) هو أحد أعظم القادة العسكريين في التاريخ، وقد برز خلال الحروب البونيقية الثانية بين قرطاج وروما، وُلد في قرطاج لعائلة عسكرية أرستقراطية، وكان والده هاميلكار برقة قائداً عظيماً غرس فيه العداء لروما منذ صغره، تلقى حنبل تدريباً عسكرياً صارماً ورافق والده في حملاته بإسبانيا، حيث تعلّم فنون القتال والقيادة، في عام 221 ق.م، تولى قيادة الجيوش القرطاجية في إسبانيا بعد وفاة صهره هسدرويل، وسرعان ما بدأ في تنفيذ خطته الجريئة لمهاجمة روما، وكان حنبل عبقريةً استراتيجية، اشتهر بعبوره جبال الألب بجيش ضخم يضم الفيلة، وهو إنجاز عسكري غير مسبوق مكّنه من تحقيق انتصارات كبرى ضد الرومان، مثل معركة ترييبا (218 ق.م) ومعركة كاناي (216 ق.م)، التي اعتُبرت واحدة من أعظم التكتيكات الحربية في التاريخ، رغم هذه الانتصارات، فشل في غزو روما نفسها بسبب نقص الإمدادات والدعم من قرطاج، بعد هزيمته في معركة زاما (202 ق.م) أمام سكيبيون الإفريقي، اضطر إلى مغادرة قرطاج، وتجوّل في عدة ممالك قبل أن يُطارد من قبل الرومان في بيشنيا، حيث اختار الانتحار بالسهم عام 183 ق.م بدلاً من الوقوع في الأسر، ينظر: محمد الصغير غانم، *المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم*، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، ص 150 - 155.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

وليفيوس¹، ومع ذلك، أضاف الكاتب أبعادًا أدبية، مما جعل حنبعل أكثر حيوية ودرامية، فقدّم حنبعل كرجل طموح، يصطدم بالخيانة الداخلية والخذلان، وهو ما يتماشى مع الأحداث التاريخية، لا سيما تخلي حلفائه عنه بعد معركة زاما.

كتب أحمد توفيق المدني المسرحية في سياق استعماري فرنسي للجزائر، مما يجعل الرواية تعبيرًا عن معاناة العالم العربي أمام القوى الاستعمارية، يظهر الصراع بين قرطاج وروما كإسقاط رمزي للصراع بين المستعمر والمستعمر، قرطاج تمثل حضارة متقدمة وثقافة إنسانية، في حين تعكس روما طموحات الهيمنة والتوسع، وهي رمزية واضحة يمكن إسقاطها على حالة الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

التزم الكاتب في معظم أجزاء الرواية بتوثيق الأحداث التاريخية، مثل معركة كاناي² التي تُعتبر من أعظم انتصارات حنبعل، ومعركة زاما³ التي شهدت هزيمته، كما أشار إلى تفاصيل عبوره جبال الألب والصعوبات التي

¹ بوليبيوس وليفيوس: هو مؤرخ يوناني وُلد حوالي عام 200 ق.م في مدينة ميغالوبوليس في أركاديا (اليونان) وتوفي حوالي عام 118 ق.م، اشتهر بمؤلفه "التواريخ"، الذي تناول فيه التاريخ الروماني واليوناني، مع تركيز خاص على الحروب البونيقية وصعود روما كقوة عظمى، يُعد من أبرز المؤرخين الكلاسيكيين بسبب أسلوبه التحليلي ومنهجته الدقيقة في كتابة التاريخ، حيث اعتمد على المشاهدة المباشرة والمصادر الأولية، مما جعل كتاباته مرجعًا رئيسيًا لفهم تلك الحقبة، عاش بوليبيوس في روما كرهينة بعد هزيمة العصبة الأخية أمام الرومان، لكنه سرعان ما أصبح مقرّبًا من العائلات الأرستقراطية، وخاصة سكيبيو الإفريقي الأصغر، الذي رافقه في حملاته، بما في ذلك تدمير قرطاج عام 146 ق.م، ينظر: عبد الحميد بعبيطش، "التكتيك العسكري القرطاجي والروماني في معركتي ترازامانيا وكاناي - دراسة من خلال روايتي بوليبيوس وتيتوس ليفيوس"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 06، 02 ديسمبر 2020، ص312.

² معركة كاناي: التي وقعت في 2 أوت 216 ق.م، تعد واحدة من أبرز المعارك في الحرب البونيقية الثانية بين قرطاج وروما، حيث قاد حنبعل القوات القرطاجية ضد الجيش الروماني بقيادة القنصلين لوسيوس إيميليوس باولوس وكايوس ترينتوس فارو، كانت ساحة المعركة بالقرب من بلدة كاناي في جنوب شرق إيطاليا، وشهدت تكتيكًا عسكريًا بارعًا من حنبعل، تمثل في استخدام تشكيل الهلال أو الكماشة، حيث استدريج الجيش الروماني إلى الوسط ثم طوقه من الجانبين، مما أدى إلى إبادة معظم القوات الرومانية، كانت نتائج المعركة كارثية على روما، إذ فقدت ما يقارب 50,000-70,000 جندي، من بينهم القنصل باولوس وكبار القادة العسكريين، بينما نجح القنصل فارو مع عدد قليل فقط، رغم هذا الانتصار الساحق، لم يتجه حنبعل مباشرة إلى روما، وهو قرار أثار جدلًا تاريخيًا واسعًا، أدت المعركة إلى انشقاق عدد من الحلفاء الإيطاليين عن روما وانضمامهم إلى قرطاج، لكنها لم تحسم الحرب، حيث تمكنت روما لاحقًا من تغيير استراتيجيتها واستنزاف قوة حنبعل عبر حرب طويلة الأمد، ينظر: جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس - الجزائر - المغرب الأقصى)، من البدء إلى الفتح الإسلامي (647م)، تع: البشير بن سلامة وآخرون، الدار التونسية للنشر، 1983.

³ معركة زاما: معركة زاما وقعت عام 202 ق.م بين القوات الرومانية بقيادة سكيبيو الإفريقي والقوات القرطاجية بقيادة حنبعل، وكانت المعركة الحاسمة التي أنهت الحرب البونيقية الثانية، جرت المعركة بالقرب من بلدة زاما في شمال إفريقيا، حيث حاول حنبعل استخدام الفيلة في مقدمة جيشه، لكن الرومان تمكنوا من تشتيتها وإبطال فعاليتها، كما نفذ سكيبيو تكتيكًا عسكريًا ذكيًا عبر استغلال خبرة فرسان النوميديين بقيادة ماسينيسا، الذين التفوا حول الجيش القرطاجي وأجهزوا عليه من الخلف، كانت الهزيمة في زاما قاسية على قرطاج، حيث فقدت آلاف الجنود وأجبرت على الاستسلام بشروط قاسية تضمنت تسليم أسطولها وتقليص جيشها ودفع تعويضات ضخمة لروما، هذه المعركة أنهت طموحات قرطاج كقوة عسكرية كبرى، وأجبرت حنبعل على الفرار من المدينة، ليبدأ فصل جديد من حياته كقائد مرتزق في خدمة الممالك الأخرى حتى وفاته، ينظر: عبد الحميد بعبيطش، "التكتيك العسكري..."، المرجع السابق، ص312.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

واجهها جيشه ومع ذلك، استخدم الكاتب بعض الحرية الأدبية لتقديم رؤية أعمق لشخصيات الرواية ودوافعها، هذا التوازن بين التاريخ والخيال ساهم في إبراز الأحداث بشكل درامي دون الإخلال بحقيقتها.

المسرحية لا تقتصر على سرد الوقائع، بل تسعى إلى تقديم دروس سياسية وإنسانية، فركزت على أهمية الوحدة الداخلية في مواجهة التحديات الخارجية، حيث أظهر الكاتب كيف ساهمت الانقسامات الداخلية والخيانة في سقوط حنبعل، كما تبرز الرواية أهمية القيادة الاستراتيجية والقدرة على التضحية في سبيل الوطن، في السياق التاريخي الحديث، يمكن قراءة الرواية كتأكيد على أهمية المقاومة في مواجهة الاحتلال، مع إبراز التحديات التي تعيق نجاح حركات التحرر.

رواية حنبعل ليست مجرد عمل أدبي، بل هي تأمل تاريخي عميق يتناول صراع الحضارات والقيادة العسكرية، نجح أحمد توفيق المدني في تقديم رؤية متكاملة لشخصية حنبعل، مع إسقاطات واضحة على قضايا التحرر الوطني، الرواية تمثل إضافة مهمة إلى الأدب العربي التاريخي، وتجمع بين الدقة التاريخية والبراعة الأدبية لتقديم نص يظل ملهمًا عبر الأجيال.

يركز النص على الحروب البونيقية الثانية¹، خاصة حملة حنبعل الجريئة لعبور جبال الألب مع جيش ضخم ضم الفيلة، وهو حدث غير مسبوق عسكريًا، تتناول الرواية الخطط الحربية التي نفذها حنبعل بدهاء، مثل معركة كاناي التي عُدت واحدة من أعظم الانتصارات العسكرية في التاريخ القديم، حيث تمكن من الإطاحة بالجيش الروماني بأسلوب تكتيكي عبقرى.

لكن الرواية لا تقتصر على البطولات العسكرية؛ بل تعمق في الجانب الإنساني لحياة حنبعل، حيث تُبرز التحديات النفسية التي واجهها كقائد تحت ضغوط الحرب والخيانة من حلفائه، يظهر حنبعل كرجل متأرجح بين طموحاته العسكرية وواقعه السياسي، مما أضفى على الرواية بُعدًا دراميًا مؤثرًا.

¹ الحروب البونيقية الثانية: اندلعت الحرب البونيقية الثانية (218-201 ق.م) بين روما وقرطاجة نتيجة التوسع القرطاجي في إسبانيا، قاد حنبعل حملة جريئة بعبوره جبال الألب إلى إيطاليا، وحقق انتصارات كبرى في معارك ترييبا وترازامانيا و كاناي، مستخدمًا تكتيكات عسكرية بارعة ألحقت بالرومان خسائر فادحة، غير أن روما تبنت استراتيجية استنزاف بقيادة فاييوس ماكسيموس، مما أضعف موقف حنبعل، في عام 202 ق.م، نقل سكيبيو الإفريقي الحرب إلى شمال إفريقيا، حيث هزم حنبعل في معركة زاما، مجبرًا قرطاجة على الاستسلام بشروط قاسية أنهت نفوذها العسكري، ومهدت لسيطرة روما على البحر المتوسط، ينظر: بسام العسلي، هانيبال القرطاجي 183-247 ق.م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

تُظهر الرواية أيضًا الصراع الحضاري بين قرطاج وروما، كرمز لصراع الهيمنة بين القوى العظمى آنذاك، وتسلط الضوء على مفاهيم الحرية والمقاومة، في هذا السياق، يُبرز الكاتب كيف مثلت قرطاج حضارة مفعمة بالإنسانية والإبداع، مقابل الطموح التوسعي لروما، مما يُكسب النص أبعادًا رمزية يمكن إسقاطها على واقع الاحتلال.

تسعى الرواية إلى إبراز دروس مستفادة من حياة حنبعل، لا سيما أهمية الوحدة والإرادة في مواجهة القوى الكبرى، ومع ذلك، تشير أيضًا إلى التحديات التي قد تعوق النجاح، مثل الخيانة الداخلية، بهذا، تعد حنبعل عملاً ملهمًا يمزج بين الحقائق التاريخية والخيال الأدبي في سرد ممتع يحمل رسائل سياسية وإنسانية عميقة.

قد تناولت الصحافة المغاربية والعربية مسرحية "حنبعل" للأديب أحمد توفيق المدني باهتمام لافت سنة 1951، حيث صدرت عدة مقالات نقدية في جرائد ومجلات متعددة، تشيد بالعمل وتناقش مضامينه وأبعاده الرمزية والوطنية، في جريدة النهضة¹، نُشر نقد بعنوان "حنبعل" سلط الضوء على البعد التاريخي للمسرحية وربط بين شخصية حنبعل التاريخية والنضال الوطني في سياق الاحتلال، مشيدًا بلغة المدني الأدبية وقدرته على بعث روح المقاومة من خلال الدراما، أما جريدة العلم فقد أثنت على المسرحية بوصفها "تجربة فنية رائدة" تبرز بين التاريخ والفكر التحرري، بينما أشارت جريدة العرب (باريس) إلى نجاح المسرحية في إيصال رسالة سياسية ضمن حبكة درامية محكمة، كما أبرزت مجلة البصائر² القيمة التربوية للمسرحية ودورها في توعية الجمهور بتاريخهم وهويتهم، وقد تضافرت آراء الصحف الأخرى مثل الأسبوع³، الوزير⁴، المغرب⁵، البيان⁶، الصريح⁷، التقدم⁸، الصباح⁹، الزهد¹⁰،

¹ مجهول، "رواية حنبعل"، النهضة، ع 150، تونس، 25 جانفي 1951، ينظر: أحمد أمين الشريف الزهار، (23 أبريل 2025)، مسرحية "حنبعل" نُقل في الصحافة وكتابات الأدباء، الموقع الخاص بالأستاذ النابعة أحمد توفيق المدني، استرجع بتاريخ 18 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.elmadani.org/ar>

² أ. ب. ق، "رواية حنبعل"، جريدة البصائر، ع 140، الجزائر، 05 فيفري 1951، ص 3.

³ مجهول، "حنبعل"، جريدة الأسبوع، ع 342، تونس، 05 فيفري 1951، ص 04.

⁴ مجهول، "رواية تاريخية تمثيلية"، جريدة الوزير، ع 749، تونس، 08 فيفري 1951.

⁵ مجهول، "رسالة"، رسالة المغرب، ع 94، 22 جانفي 1951.

⁶ مجهول، "حنبعل"، جريدة البيان، ع 74، 28 جانفي 1951.

⁷ مجهول، "حنبعل"، جريدة الأسبوع، ع 342، تونس، 05 فيفري 1951، ص 05.

⁸ مجهول، "حنبعل"، جريدة التقدم، ع 334، 31 جانفي 1951.

⁹ مجهول، "حنبعل لأحمد توفيق المدني"، جريدة الصباح، ع 08، 31 جانفي 1951.

¹⁰ مجهول، "حنبعل رواية تاريخية لأحمد توفيق المدني"، جريدة الزهد، ع 1142، 09 فيفري 1951.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

ومنبر الشعب¹ لتُجمع على أن مسرحية "حنبل" ليست مجرد عمل فني، بل موقف ثقافي وسياسي جريء يعكس الروح الوطنية في وجه الاحتلال.

كما تلقى أحمد توفيق المدني مجموعة من رسائل التهئة عقب صدور مسرحيته التاريخية "حنبل"، عكست مكانته الأدبية والفكرية، وأبرزت التقدير الواسع الذي حظي به عمله في الأوساط الثقافية العربية، من بين هذه الرسائل، برزت رسالة الشيخ عبد الرحمن الجيلالي التي أثنت على الطرح التاريخي العميق للمسرحية²، ورسالة الأستاذ سعد الدين بن أبي شنب الذي قدّر الجانب اللغوي والرمزي في العمل³، كما عبّر المجاهد الفلسطيني محمد علي طاهر عن إعجابه بالمسرحية، معتبراً حنبعل رمزاً للمقاومة⁴، وكتب السيد الأمين سوسى من تونس مشيداً بالبعد المغاربي للمسرحية وتوظيفها للتاريخ في خدمة الوعي القومي⁵.

من تونس أيضاً وصلت رسالة مؤثرة بالفرنسية من شخص مجهول وقّعها باسم "ابنكم علي"، حملت تعبيراً وجدانياً عن الاعتزاز بالمسرحية⁶، أما من لندن، فقد بعثت هيئة الإذاعة البريطانية (BBC)⁷ برسالة تقدير تشير إلى الاهتمام العالمي بهذا العمل التاريخي⁸، كما تلقى رسالة من الشاذلي خزنة دار⁹، المعروف بدعمه للإنتاج الثقافي المغاربي، ورسالة أخرى من القاهرة من امرأة تُدعى "نادرة"¹⁰، عكست بدورها الصدى الواسع الذي أحدثته المسرحية في مشرق الوطن العربي، هذا التفاعل الكبير يبرز كيف تحولت "حنبل" إلى صوت في وثقافي يتجاوز الحدود، حاملاً في طياته رسائل تاريخية وهوماً قومية مشتركة.

ثالثاً: نماذج من كتابة الرسائل

¹ مجهول، "تحفة فنية مغربية فريدة يهديها الأستاذ أحمد توفيق المدني إلى شباب المغرب العربي"، منبر الشعب، ع 08، 03 فيفري 1951.

² عبد الرحمان الجيلالي، (01 فيفري 1951)، رسالة تهئة إلى أحمد توفيق المدني، ينظر: نفسه.

³ سعد الدين بن أبي شنب، (17 فيفري 1951)، رسالة تهئة إلى أحمد توفيق المدني، الجزائر، ينظر: أحمد أمين الشريف الزهار، نفسه.

⁴ في رسالته المؤرخة ب 20 جانفي 1949، عبّر المجاهد والصحفي الفلسطيني محمد علي طاهر عن إعجابه الكبير بمسرحية "حنبل" التي بعثها له أحمد توفيق المدني، حيث وصفها بأنها "أثر أدبي" يعبر عن روح الأمة ويؤيد النزعة القومية ويقوّي العزائم ويبعث الهمم، مؤكداً أنها عمل يُعزّز به في سياق النهضة الفكرية والتحررية للعالم العربي، واختتم الطاهر رسالته بالدعاء للمدني بالتوفيق وطول العمر لخدمة البلاد، ينظر: المرجع نفسه.

⁵ الأمين سوسى، (01 جانفي 1951)، رسالة تهئة إلى أحمد توفيق المدني، مداوروش - تونس، ينظر: المرجع نفسه.

⁶ مجهول، (24 فيفري 1951)، رسالة تهئة إلى أحمد توفيق المدني، تونس، ينظر: المرجع نفسه.

⁷ الملحق رقم 14.

⁸ ه.د. دكورت، (31 جانفي 1953)، رسالة تهئة إلى أحمد توفيق المدني، هيئة الإذاعة البريطانية، لندن، ينظر: نفسه.

⁹ الشاذلي خزنة دار، (20 جانفي 1951)، رسالة تهئة إلى أحمد توفيق المدني، د.م، ينظر: نفسه.

¹⁰ نادرة، (02 جويلية 1950)، رسالة تهئة إلى أحمد توفيق المدني، مصر، ينظر: نفسه.

1. رسائل وجدانية:

1.1. رسائل من إليسا رايس إلى لويس بيرتراند

تنتمي هذه الرسائل إلى السياق الاستعماري الفرنسي في الجزائر، وترجع على الأرجح إلى العقد الثاني أو الثالث من القرن العشرين، وهي جزء من "Fonds Louis Bertrand"، أي من أرشيف مراسلات الكاتب الفرنسي المعروف لويس برتراند¹ (1866-1941)، أحد منظري الفكر الاستعماري في الجزائر، والذي تبني خطاب «الاستيعاب الثقافي» واحتفى بما سَمَّاه "الحضارة الفرنسية في شمال إفريقيا".

في الرسالة التي أرسلتها الكاتبة الجزائرية اليهودية إليسا رايس إلى الأديب الفرنسي لويس برتراند (Louis Bertrand) في 20 نوفمبر 1924²، تهنئه فيها على انتخابه عضوًا في الأكاديمية الفرنسية، تعكس هذه الرسالة طبيعة العلاقة التي جمعت بين بعض الأدباء الجزائريين والفرنسيين، حيث كانت تقوم على التقدير الأدبي والاعتراف بالمكانة الثقافية، كتبت رايس في رسالتها: "اسمح لي، سيدي وأستاذي العزيز، أن أعبر لكم من أعماق قلبي عن أسمى تهنئي مناسبة انتخابكم في الأكاديمية الفرنسية، وهو شرف طال انتظاره من قبلنا، ستكون الجزائر فخورة وسعيدة للغاية بذلك، وهذا يمنحني الفرصة لأعبر لكم مرة أخرى، بكل سرور، عن إعجابي الشديد وامتناني العميق والمخلص"³

هذه الرسالة تُظهر مدى احترام إليسا رايس لبرتراند، حيث وصفته بـ "الأستاذ العزيز"، وأكدت أن انتخابه كان منتظرًا منذ فترة طويلة، مما يعكس مدى تقديرها له ولمكانته في عالم الأدب، هذه الرسالة، رغم بساطتها، تعكس جانبًا من التفاعل الثقافي بين الأدباء الجزائريين والفرنسيين في تلك الحقبة، حيث لم يكن هناك قطيعة تامة بين الطرفين، بل كانت هناك روابط قائمة على الإعجاب والتقدير، حتى لو لم تخلُ من التأثيرات الاستعمارية.

¹ لويس برتراند (1866-1941): هو كاتب ومؤرخ فرنسي اشتهر بكتاباتة حول الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، وخاصة الجزائر، كان من أبرز دعاة الاستيطان الأوروبي في الجزائر، حيث قدم في أعماله صورة مثالية للمستعمر الفرنسي، محاولاً إضفاء الشرعية على الهيمنة الفرنسية من خلال الأدب والتاريخ، وعُرف برتراند بأسلوبه المتأثر بالكلاسيكية اللاتينية، وكتب عدة روايات ومؤلفات تاريخية، من بينها "رومان الجزائر" (Le Roman de l'Algérie)، حيث مجدّ الاستعمار الفرنسي، كما كان عضوًا في الأكاديمية الفرنسية عام 1925، رغم أن أعماله كانت تحظى بشعبية في الأوساط الاستعمارية، إلا أنها تُنتقد اليوم لكونها تعكس رؤية استشرافية مبررة للاستعمار، ينظر:

Michèle Rault, (14 août 2009), Henri BERTRAND Louis, consulté le 15 novembre 2024, sur le site : <https://maitron.fr/spip.php?article50089>

² الملحق رقم 15.

³ BnF, Fonds Louis Bertrand – Éliassa Rhaïs, (20 Novembre 1924), document numérisé, disponible sur Gallica : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b10016788k>.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

في رسالة أخرى¹ من إليسا رايس إلى لويس برتران يمكن أن نعتبرها وثيقة فريدة تعبّر عن طبيعة العلاقة بين الكاتبة الجزائرية والمشهد الأدبي الفرنسي زمن الاحتلال، وتُظهر في طيّاتها السعي العميق إلى نيل اعتراف من السلطة الثقافية الفرنسية، إن إرسالها لمجموعة من كتبها إلى هذا الكاتب المرموق لم يكن مجرد مبادرة أدبية، بل كان فعلاً رمزياً بالغ الدلالة، يعكس موقع الكُتّاب المحليين في زمنٍ كانت فيه الثقافة الفرنسية تحتل مركز الحكم على القيمة الأدبية. تقول في رسالتها: "أبعث إليكم ببعض كتي، هي ثمرة جهودي الجادة والحماسية، والتي تُعبّر بصدق عن شجاعي"²، وتعبّر بذلك عن رغبة قوية في أن تكون أعمالها موضع تقدير من أحد أعمدة الأدب الفرنسي المرتبط بالاحتلال، تكشف هذه العبارة أيضاً عن وعي الكاتبة بالمكانة الأدبية التي يحتلها برتران، إذ تتوجه إليه ليس فقط بكتبتها، بل باعتراف ضمني بأنها تنتظر منه رأياً يضفي الشرعية على ما تكتبه، فهي لا تُخفي أنها ترى في تشجيعه لها دعماً معنوياً بالغ الأهمية، بل تقول بصراحة: "كانت كلماتكم عذبة للغاية بالنسبة لي، وكانت تشجيعاً ثميناً"، ما يعكس هشاشة موقعها كامرأة وككاتبة تنتمي إلى مشهد أدبي غير مركزي في منظومة الأدب الفرنسي، الكاتبة، إذن، لا تخاطب فقط ناقدًا أو زميلًا في الحقل الأدبي، بل تخاطب سلطة معنوية ومؤسسية يمكنها أن تفتح لها أبواب الاعتراف والنشر والتقدير.

إن مبادرة إرسال كتبها تعبّر عن استراتيجية واعية، تسعى من خلالها إليسا إلى تثبيت حضورها في الفضاء الأدبي الفرنسي انطلاقاً من هوية معقدة: امرأة، يهودية، جزائرية، تكتب بلغة المستعمر، ومن خلال رسالتها، تؤكد على رغبتها في أن تُفهم أعمالها في ضوء هذه الخصوصية، لكن دون أن تطرحها صراحة، فهي تقول: "أتمنى أن تصدقوا، سيدي العزيز، امتناني العميق والصادق"، وهي عبارة توحى بأن الاعتراف الذي تطلبه ليس مجرد مجاملة، بل حاجة حيوية لنمو مشروعها الأدبي.

في العمق، تعبّر هذه الرسالة عن تموضع الكُتّاب الجزائريين الفرنكوفونيين في ظل هيمنة خطاب أدبي فرنسي يتعامل معهم بوصفهم مُكتشفين لا شركاء، إن الكاتبة ترسل كتبها، ليس من موقع الندية، بل من موقع من يطلب القبول والمصادقة، ويُظهر الامتنان لأبسط كلمات التشجيع، هذه الوضعية تلقي الضوء على مفارقة الاحتلال الثقافي: كيف يُطالب الكُتّاب المحليون بإثبات جدارتهم بلغة المستعمر، ضمن منظومة لا تعترف بسهولة إلا بمن يتبني مقاييسها.

¹ الملحق رقم 16.

² BnF, Fonds Louis Bertrand – Éliisa Rhaïs, (s.d.), dans le Fonds Louis Bertrand, Correspondance, Montpellier Méditerranée Métropole – Médiathèque centrale Émile Zola, cote LBC 959. Consultable en ligne sur Gallica : <https://gallica.bnf.fr>

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

أخيرًا، إن الرسائل تحمل دلالة أرشيفية وثقافية مهمة، ليس فقط لأنها تكشف عن علاقة شخصية بين كاتب وكاتبة، بل لأنها توثق لحظة من لحظات السعي إلى الاعتراف، حيث تشكّل الكتب المرسلّة وسيلة للتقرب من المركز الثقافي الفرنسي، وسندًا تطلبه الكاتبة من رموز ذلك المركز، لقد أرادت إليسا رهايس أن تُقرأ، لكن ليس فقط من قبل العموم، بل من قبل الذين يصنعون شرعية النصوص، وتاريخ الأدب، وسير الكتاب.

مع ذلك، فإن هذه العلاقات لم تكن دائمًا ودية أو متكافئة، فقد شهدت المراحل اللاحقة من الاحتلال توترًا بين الأدباء الجزائريين والفرنسيين، خاصة مع بروز الوعي الوطني وتطور الكتابات التي تعبر عن الهوية الجزائرية ومناهضة الاحتلال، ورغم أن بعض الأدباء الجزائريين اليهود، مثل إليسا رايس، ظلوا على ارتباط وثيق بالثقافة الفرنسية، فإن أدباء آخرين ابتعدوا تدريجيًا عن هذا التأثير، وساهموا في بناء أدب جزائري مستقل يعبر عن القضايا الوطنية والهوية الثقافية.

2.1. رسالة جان عمروش إلى والدته فاطمة آيت منصور عمروش

جان عمروش هو كاتب وشاعر جزائري من أصول أمازيغية، برز في ثلاثينيات القرن العشرين، حيث أصدر جان عمروش مجموعته الشعرية "رماد" سنة 1936¹، التي تُعدّ أول ديوان شعري جزائري مكتوب باللغة الفرنسية، ويُعتبر عمروش أول جزائري يكتب الشعر بالفرنسية، وقد اشتهر بجمع وتوثيق التراث الشعري الأمازيغي، وخاصة التراث الشفهي لمنطقة القبائل في الجزائر، ويُعتبر من أبرز الشخصيات الأدبية في شمال إفريقيا، وقد لعب دورًا مهمًا في الحفاظ على الثقافة الأمازيغية من خلال توثيق الأغاني والقصائد التقليدية، ومن أعماله البارزة، كتاب "Chants Berbères de Kabylie"، الذي قام فيه بجمع القصائد والأغاني التقليدية لشعب القبائل، وهو مثال على التزامه بتوثيق التراث الثقافي الأمازيغي والمحافظة عليه.

جدول رقم (12): يبرز الكتابات الأدبية لجان عمروش²:

اسم العمل الأدبي	جنسه	سنة النشر	دار النشر	مكان النشر
رماد، أشعار 1928-1934 ³	شعر	1934	طبقات السراب	تونس
النجم السري ⁴	شعر	1936	دفاتر البربري	تونس

¹ أحمد حمدي، أحاديث مع رواد وأحاديث عن رواد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2018، ص 197.

² من إعداد الطالبة وردة عي.

³ Jean Amrouche, *Cendres, poèmes (1928-1934)*, Éditions de Mirages, Tunis, 1934.

⁴ Jean Amrouche, *Étoile secrète, poème*, Les Cahiers de Barbarie, Tunis, 1936.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

باريس	السفينة	1946	مقال	يوغرطة الأبدية ¹
الجزائر	إدموند شارلوت	1947	شعر ومسرح	الأغاني البربرية في منطقة القبائل ²
سويسرا	هنري شابلو، طبعة محدودة.	1960	شعر	إيتو ري ³
ليون	منشورات جامعة ليون	2010	رسائل	أندريه جيد وجان عمروش: المراسلات (1928-1950) ⁴

يعكس الجدول تنوع الإنتاج الأدبي لجان عمروش من حيث الأجناس الأدبية، فنجد أنه يتنقل بين الشعر والمسرح والمقال والرسائل، مما يدل على غنى تجربته الفكرية والأدبية، تبدأ مسيرته الشعرية المبكرة في تونس من خلال ديوان "رماد" سنة 1934، ثم يتبعه بـ "النجم السري" سنة 1936، وكلاهما يعكسان البعد الروحي والوجداني في كتاباته، في عام 1947، يُظهر انفتاحه على التراث الثقافي الأمازيغي من خلال "الأغاني البربرية في منطقة القبائل"، الصادر بالجزائر، جامعًا بين الشعر والمسرح، وهو ما يدل على وعيه بالهوية الثقافية، أما عمله "إيتو ري"، الصادر في سويسرا بطبعة محدودة سنة 1960، فيبرز طابعًا تأمليًا وشخصيًا، من جهة أخرى، يتجلى في مقاله "يوغرطة الأبدية" المنشور في باريس عام 1946، بعد سياسي وتاريخي مرتبط بالذاكرة الجماعية الجزائرية، وأخيرًا، تُبرز مراسلاته مع أندريه جيد، التي جُمعت في كتاب صدر سنة 2010 بليون، عمق علاقاته الثقافية والفكرية مع رموز الأدب الفرنسي، كما تسلط الضوء على التبادل الثقافي بين الضفتين المتوسطيتين.

الرسالة مكتوبة في باريس، 18 أبريل 1945، أي في نهاية الحرب العالمية الثانية، وهي فترة عصيبة عانت فيها الشعوب المستعمرة، بما في ذلك الجزائر، من تبعات الاحتلال والقهر، على الرغم من أن الرسالة لا تذكر السياسة بشكل مباشر، إلا أن السياق التاريخي الذي كتبت فيه يضعها ضمن إطار أوسع من الكفاح الشخصي والجماعي، فباريس هنا ليست فقط المدينة التي يعيش فيها عمروش، بل هي أيضًا رمز للاستعمار الفرنسي الذي كان يسيطر على الجزائر، مما قد يفسر جزئيًا مشاعر الاغتراب التي يعبر عنها.

رسالة جان عمروش إلى والدته، المكتوبة في 18 أبريل 1945، تقدم نافذة على العلاقة العميقة والمشارع الجياشة التي ربطته بوالدته، هذه الرسالة تتميز بنقطتين هما أن المرسل هو الابن والشاعر والمرسل إليه هي الأم والكاتبة فاطمة آيت منصور عمروش، ويمكن تقسيم الرسالة إلى الأفكار التالية:

— استعادة الطفولة والحنين:

¹ Jean Amrouche, « L'Éternel Jugurtha », L'Arche, Paris, n° 13, 1946.

² Jean Amrouche, **Chants Brébères de Kabylie**, Éditions Les soins de monomotapa, Tunis, 1939.

³ Jean Amrouche, **Étore**, Henri Chabloz, tirage limité, Suisse, 1960.

⁴ Jean Amrouche & André Gide, **Gide & Amrouche**, Correspondance (1928-1950), éd. Pierre Masson et Guy Dugas, Presses Universitaires de Lyon (PUL), Lyon, 2010.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

في هذه الرسالة، يظهر الحنين بوضوح كموضوع مركزي، حيث يستعيد جان عمروش ذكرياته مع والدته في رادس، يمزج بين الحاضر والماضي من خلال تصوير مشاهد مليئة بالعاطفة، مثل سيرهما البطيء بجوار السكك الحديدية، يُظهر عمروش من خلال وصفه الدقيق تلك التفاصيل الصغيرة، مثل النعل القديم والshal الباهت، مدى ارتباطه العاطفي بتلك اللحظات البسيطة ولكن العميقة.

يقول جان: "عزيزتي أمي، منذ عدة أسابيع وأنا أريد أن أكتب لك رسالة طويلة، أثناء مشيبي في شوارع باريس، يحدث أن أتخيل أنك إلى جانبي، نحن نسير ببطء، ببطء شديد، كما كنا نفعل في المساء على الطريق بالقرب من خط السكة الحديدية في رادس، كنت تجرين وقدميك المتعبتين في نعالك القديمة، وتربطين شالك الباهت على صدرك، ولكن، عيناك الطفوليتان المليئتان بالحيوية تراقبان كل شيء من حولك، ولا تفوتكما أي تفاصيل، من تغيرات السماء إلى النجوم التي تلمع لنا بإشاراتها، السلام العميق يملأ الحداثق، بين الروائح التي تمتزج بالسلام الذي ينزل من السماء... وأفكر بحزن أن الحياة لن تمنحنا العديد من تلك الزهات قبل أن تغلق علينا الأجنحة الليلية للمنزل، منزلنا في رادس¹، لا أتذكره أبدًا دون أن أشعر بالعاطفة حتى حدود الدموع، إنه مليء بالذكريات، مفعم بالأحلام التي تدمج بين الصور الحزينة وتلك التي تضيئها الفرحة — رغم أن الفرحة أقل بكثير من الأولى — لتشكل تناغمًا مرًا وحلوًا معًا، وكأنه موسيقى روحك ذاتها²"

— الأم كرمز للتحمل والقوة:

والدته ليست مجرد شخصية عائلية، بل هي رمز للقوة والصبر، يستدعيها بألقاب مثل "أمي الصغيرة"، "أمي الحنونة"، و"أمي المؤلمة والشجاعة"، مما يعكس مزيجًا من الحنان والألم الذي عاشته، يبرز هذا الوصف مكانة الأم في حياة جان عمروش بوصفها حاملة للقيم، وتحسبًا للصمود في مواجهة المصاعب، يشير إلى جهودها الشاقة ودورها المستمر في حياته وحياة أسرته، مما يعزز فكرة الأم كرمز للتحمل والمقاومة، فيقول:

"أمي الصغيرة، أمي الحنونة، أمي الصبورة والمستسلمة، أمي المؤلمة والشجاعة! هل تعلمين فقط أنني، ابنك الصغير، لم أتحرر من طفولتي أبدًا، ولن أشفى منها؟ أينما كنت، وفي أي وقت، أنت معي دائمًا، لست فقط صورة عابرة تمر في ذاكرتي كبرق، بل أنت الهواء الذي أتنفسه، وبدونه سأختنق... كيف حالك في هذا الربيع الذي يشبه الصيف؟ كيف تتحملين كل أعباء المنزل؟ كل الأعمال تقع على عاتقك وعلى عاتق أبي، بعد أكثر من خمسين عاما من العمل الشاق، كان لكما الحق في الراحة، لكن لم يتمكن أي من أبنائك بعد من تأمينها لكما، لكن،

¹ رادس: البلدة التونسية التي يشير إليها عمروش، تبرز كرمز للهوية والماضي، اختيار عمروش يعود إلى مكان نفي عائلته إلى تونس.

² F.Menssour, Op.cit, p 15.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

أمي الصغيرة، أنتِ معجزتنا الخفية، رغم كل الأعمال التي ترهق الجسد والروح، منحك الله النعمة النادرة: تحت التجاعيد والشعر الأبيض، ما زلتِ تحتفظين بروح شابة، ومصدر فرح يفيض من عينيك المرهقتين¹

تجلى في الرسالة مشاعر مختلطة بين الرغبة في العودة إلى الماضي والتعايش مع الحاضر، باريس التي يعيش فيها جان عمروش، رغم جمالها، لا تقدر على أن تمنحه الراحة التي يجدها في ذكرياته عن رادس ووالدته، يبدو أن عمروش يعيش في اغتراب مزدوج: اغتراب مكاني عن وطنه واغتراب نفسي عن ذاته التي لم تتحرر من طفولته.

— دعوة جان لأمه لكتابة سيرتها الذاتية:

في نهاية الرسالة، يطلب عمروش من والدته أن تدون ذكرياتها وخبراتها في القبائل، مشددًا على أهمية نقل هذه التجربة للأجيال القادمة، يظهر هذا الطلب اهتمامًا واضحًا بالحفاظ على التراث الثقافي والذاكرة الجمعية، مما يعكس شعورًا بالمسؤولية تجاه الهوية الثقافية، يعتبر هذا الأمر إرثًا مقدسًا بالنسبة له، وهو تعبير عن التزامه بحفظ ذاكرة والدته والشعب القبائلي، فيقول في نهاية الرسالة: "إذا كان لدينا، أنا وماري-لويز²، أي شعر أو شعور بالجمال، فنحن ندين لك به، لقد أعطيتنا كل شيء، ونقلت لنا رسالة أرضنا وأرواحنا الراحلة، لكن عملك لم ينتهِ بعد، أمي الصغيرة، في الوقت الذي أبدأ فيه رؤية الهدف الذي يجب أن أركز عليه جهدي الرئيسي، أبدأ إليك مرة أخرى، عليك أن تدوين ذكرياتك، دون اختيار، وفقًا لمزاجك وإلهامك، سيكون هذا جهدًا كبيرًا، لكن فكري، أمي الصغيرة، أنك لا يجب أن تفقدي طفولتك والخبرات التي عشتها في القبائل، يمكن أن يكون هناك تعليم ثمين في ذلك، سيكون هذا بالنسبة لي إرثًا مقدسًا، أرجوك، أمي الصغيرة، خذي طلبي بعين الاعتبار"³ ثم يختم جان رسالته بتوقيعه قائلاً: "أقبلك بحنان، جانوت الخاص بك (جان عمروش)"⁴

تلعب والدته جان عمروش دور الأم التقليدية في المجتمع القبائلي، حيث تمثل عمود الأسرة وحارسة القيم والتقاليد، تظهر في الرسالة كعامل دؤوبة ومصدر إلهام روحي وفكري لأبنائها، طلب عمروش منها تدوين ذكرياتها يعكس دورها المحوري في نقل المعرفة والثقافة الشفوية، وهو جانب أساسي في المجتمعات التقليدية المعتمدة على الرواية الشفوية، يشير جان عمروش إلى أهمية خبرات والدته وتجاربها الشخصية في القبائل، مما يبرز التعليم المستمد من الحياة اليومية والتجربة الذاتية في هذا المجتمع، حيث كانت النساء غالبًا الحاميات للثقافة والتقاليد، دعوة عمروش لوالدته لتوثيق تلك التجارب تكشف عن وعيه بقيمة هذه المعرفة وتأثيرها على الأجيال القادمة.

¹F.Menssour, Op.cit, p 15.

² يقصد اخته طاووس عمروش.

³ Ibid, p 16.

⁴ Ibid.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

تجمع رسالة جان عمروش بين الحنين العميق والوعي التاريخي والأدبي، حيث يستحضر طفولته ويؤكد أهمية التراث العائلي والثقافي، يقدم عمروش رسالةً تمزج بين الذاتية والشمولية، وتظل والدته، التي تمثل رمزًا للثبات والصمود، حاضرة في تفاصيل حياته، مما يجعل الرسالة تعبيرًا عن مقاومة ثقافية أمام الزمن والتحول، الرسالة أيضًا غنية بالعواطف العميقة والحنين، وتكشف عن علاقة مؤثرة بين الأم وابنها، إذ يعبر عن امتنانه الكبير لدور والدته في تشكيل شخصيته وفهمه للعالم، يستخدم عمروش لغة شاعرية تعكس حبه العميق لها، مستحضرًا صورًا حسية مثل نزهاتهم البطيئة وذكرياته عن منزلهم في رادس، كما تتضمن الرسالة تأملات حول الزمن، الشيخوخة، والذكريات، وتُظهر أن والدته كانت مصدر قوته وإلهامه رغم كل ما واجهته من صعوبات، يشجعها على كتابة مذكراتها، مدرِّكًا أن حياتها تحمل قيمة تعليمية وتجربة إنسانية يجب نقلها للأجيال.

2. رسائل فكرية

2.1. رسالة العربي التبسي إلى أبو القاسم سعد الله

كاتب الرسالة هو العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات الجدري، ولقب بالعربي التبسي، وُلِدَ في بلدة السطح قنيس بولاية تبسة في سنة 1895، وكان ينتمي إلى عائلة جزائرية محافظة متوسطة الحال، تولى والده فرحات مهمة جمع بين العمل الفلاحي وتعليم القرآن لأبناء المنطقة، وهو ما ترك أثرًا عميقًا على حياة الشيخ التبسي، حصل الشيخ على تعاليم القرآن الأولى من والده، ثم درس على يد الطبيب الزاوي بعد وفاة والده، بعد ذلك، انتقل إلى زاوية خنقة سيدي الناجي، حيث حفظ القرآن الكريم كاملاً وهو في سن الطفولة، بعدها، انتقل إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز بالجنوب التونسي وقضى فيها أربع سنوات¹، ومن نفطة، انتقل للدراسة بجامع الزيتونة المغمور، ثم في الأزهر حيث تخرج على درجة العالمية، عاد بعدها لأرض الوطن وبدأ نشاطه الدعائي ضد المحتل الفرنسي وتوعية وتعليم أبناء شعبه، تعرض لعدة حملات مضايقة واعتقال، أبرزها خلال مظاهرات 8 ماي 1945²، انضم بشكل علني لدعم الثورة التحريرية عند اندلاعها، وكتب في البصائر معبرًا عن دعمه للحركة الوطنية، بدأت السلطات الفرنسية بالتحرك ضد الشيخ التبسي بعد رفضه التفاوض معهم، وانتهى الأمر بخطفه من منزله في 4 أبريل 1957³، سنقوم في نهاية هذا الفصل للتطرق إلى تفاصيل اغتياله.

¹ بشير سعدوني، الشيخ العربي التبسي العالم المصلح المجاهد، مركز سلف للبحوث والدراسات 2018، ص 148.

² عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، دراسات تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص 167.

³ أحمد الرفاعي شرقي، مقالات وآراء جمعية العلماء المسلمين: الشيخ العربي التبسي، دار الهدى، الجزائر، 2011، ص 21.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

كانت أول مرة يسمع فيها سعد الله عن الشيخ العربي التبسي عندما جاء إلى تونس لحل خلاف بين طلاب جزائريين في الزيتونة، وذلك في أوائل الخمسينات، في تلك الأثناء، كان سعد الله طالبًا في الزيتونة، وكان الشيخ العربي قد عقد اجتماعًا في جامع القصر بحي باب منارة، نفس الجامع الذي كان يسكن فيه، لكنه لم يكن حاضرًا في ذلك اللقاء لأنه اعتاد الخروج إلى جبل الرابطة للتأمل والقراءة، ولم يصله علم بالاجتماع، وعندما عاد من رحلته قرب المغرب إلى الجامع، سمع سعد الله بالاعتداء الذي تعرض له الشيخ التبسي وتعرضه لكلمات مسيئة من بعض الطلاب الطائشين¹.

أما المناسبة الثانية التي عرف سعد الله فيها الشيخ التبسي دون أن يلتقي به كانت عندما وصلت رسالة إليه من معهد ابن باديس، يطلب فيها العربي التبسي من سعد الله الإشراف على مركز جمعية العلماء ورئاسة جمعية البعثة الزيتونية، بالرغم من تردد سعد الله فقد وافق مؤقتًا على الطلب بعد مطالبة مُستمرة من صاحب العربي التبسي².

أما المناسبة الثالثة، فكانت عندما كان سعد الله في العاصمة الجزائرية وتردد على مركز جمعية العلماء في شارع بومي بالقصبة السفلى، وقد كان الشيخ العربي متواجدًا في العاصمة لقضاء بعض الأمور المتعلقة بلجنة التعليم العالي التي كان يترأسها، والتي كانت تعقد اجتماعاتها في المركز، وكانت لسعد الله عادة زيارة المركز، خاصة في أوقات تعطل الدروس³.

عن الرسائل المستلمة من العربي التبسي يقول سعد الله أنه في عدة مناسبات سابقة لنشرها، ذكر بأنه استلم رسالتين من الشهيد الشيخ العربي التبسي، النائب الأول لرئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في تواريخ مختلفة، وأشار أيضًا إلى قلقه من فقدان تلك الرسائل، على الرغم من حرصه الشديد على الاحتفاظ بهما خلال عملية نقل مكتبته إلى منزله الجديد، فلقد فقد الرسالتين في الفوضى التي نشأت خلال هذه العملية، ولكنه كان سعيدًا بعد أن وجدهما وعثر عليهما بين العديد من الوثائق الأخرى، وبمجرد اكتشافهما، قرر مشاركتهما مع القراء قبل أن تفقداهما أقدار الزمن، ومنذ ذلك الحين، تلقى نصيحة من شيخ موثوق به على حد تعبيره، والذي يحمل علاقة وثيقة مع الشيخ التبسي وجمعية العلماء، بعدم نشر الرسالتين، كانت نصيحته تأتي من حرصه على سمعة الشيخ التبسي وجمعية العلماء، بالرغم من أنه لم يطلع مباشرة على محتوى الرسائل، إلا أنه اعتبر أن وقت نشرهما قد مرّ، لكن سعد الله

¹ سعد الله، حاطب أوراق، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص 11.

² نفسه، ص 12.

³ نفسه، ص 11.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

يعتقد أنه إذا كان هذا الشخص مؤرخًا، لرأى الرسالتين كمصادر مهمة تسلط الضوء على فترة من تاريخنا من خلال العلاقات الشخصية والأحداث التي تناولتها¹.

هذه الرسالة كتبها الشيخ العربي التبسي في 10 ماي 1955 من مدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة، إلى أبو القاسم سعد الله في الجزائر العاصمة²، أما عن محتوى الرسالة فقد كان الشيخ العربي يقضي بعض الوقت في العاصمة ويبيت في المركز بدلاً من الفندق، وكانت غرفته قاعة أو غرفة واسعة هادئة في دار أندلسية (موريسكية) تُعتبر من التحف العمرانية، كان الشيخ التبسي يدعو سعد الله ليجلس إلى جانبه ويبدأ حديثه بوضع الطلبة في تونس، ثم ينطلق في الحديث عن موضوعات كانت تشغل باله وكان سعد الله ينصت إليه، كان محتوى الحديث شبيهاً بما كتب في رسالته الأولى: شكاوى من الأوضاع في الجمعية وتظلمات ومعاناة شخصية من حالة لم يكن قادراً على السيطرة عليها، كان يشعر أن إخوانه قد تركوه خلال غيابه في رحلة الحج قبل الثورة في صيف سنة 1954، وربما شعر بأن القطار قد انطلق بدونه، لقد عبّر سعد الله عن تساؤله حينها قائلاً: "لماذا يحدثني الشيخ عن هذه الأمور الداخلية التي لا علاقة لي بها؟ حتى أنني اعترفت لخالي بحالة الشيخ، فنصحتني بأن أكتفي من الاستماع، ولاحظت أنه يفعل ذلك مع الآخرين أيضاً"³.

كما يبدو من خلال بداية الرسالة مكانة الشاب سعد الله في قلب العربي التبسي، حيث قال له في هذه الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم مدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة، كتاب خاص بك من العربي التبسي تبسة في 18/09/1374 هـ الموافق ل: 10/05/1955 م ... إلى ابن حركتنا الإسلامية العربية الثقافية أديب نابطة الجزائر الشيخ بلقاسم سعد الله، سعدت أحواله وطابت به أيامه وجنبه ربه خصومة اللثام، السلام عليكم والأشواق المخلصة إليكم"⁴.

بداية الرسالة بعبارة "بسم الله الرحمن الرحيم" تشير إلى بداية مباركة ودعاء الله بالرحمة والرحمة، فيظهر البعد الديني لدى الشيخ التبسي منذ بداية الرسالة، كما أن المعلومات الأولية التي تأتي بعد البسملة تشير إلى أن الرسالة تتعلق بمكان كتابة الرسالة وهو مدرسة تهذيب للبنين والبنات في تبسة، التاريخ المذكور في الرسالة "18/09/1374 هـ الموافق ل: 10/05/1955 م" يشير إلى تاريخ كتابة الرسالة، وقد توجه التبسي إلى أبو

¹ نفسه.

² سعد الله، حاطب أوراق، المرجع السابق، ص 16.

³ نفسه، 17.

⁴ نفسه.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

القاسم سعد الله، الذي يبدو أنه شخصية ذات أهمية رغم صغر سنها ذلك الوقت، كما نلمس الصيغة الودية والمحترمة في التحية "السلام عليكم والأشواق المخلصة إليكم" تعبر عن الاحترام والمودة نحو سعد الله.

ينتقل في هذا الجزء من الرسالة إلى اظهار الامتنان والتقدير لرسالة سعد الله السابقة، وتعبيراً عن استيعابه وتقديره للأفكار والمحتوى الذي يحمله الكتاب أي الرسالة، فقله: "فقد قبضت كتابكم الظريف الطريف الشريفة مقاصد كاتبه والحقة مطالبه" تعبر عن استلام التبسي لرسالة سعد الله، وتقديره لمضمونه وأهداف كاتبه ومطالبه التي يسعى لتحقيقها، أما قوله: "وقد حمدت الله لي ولكم أن كانت مرضي الله هي حاجتنا وتكميل أنفسنا هي همتنا من هذه الدنيا" تعكس هذه العبارة الإيمان والثقة بأنه عندما نسعى لتحقيق مرضاة الله وتكميل أنفسنا بالمعرفة والعلم، فإن الله سيوفقنا ويبارك لنا في جهودنا، وقول التبسي: "والمزيد من العلم هي إحدى قربنا" تؤكد هذه العبارة على أهمية السعي وراء المزيد من العلم والمعرفة، باعتبارها وسيلة للتقرب إلى الله¹.

حين أكمل التبسي حديثه: "نسأل الله أن يعين كلا منا على نصيبه من محتويات كتابك" تعبر هذه الجملة عن الدعاء التبسي لسعد الله أن يساعده الله في استيعاب وفهم محتوى الرسالة الحالية واستفادتهم منها².

فقد أجاب التبسي على كتاب سابق لسعد الله ويقصد بذلك الرسالة، معرباً عن أمله في سعد الله في أن تكون كلمته نافذة في تأليف البعثة الطلابية إلى المشرق.

يشير سعد الله أن محتوى الرسالة التي بعثها إلى العربي التبسي فيقول: "يظهر أنني كتبت إليه بشأن إمكانية ضم اسمي إلى البعثات التي ترسلها جمعية العلماء إلى المشرق، وهي خاصة بطلبة معهد عبد الحميد بن باديس وأنا لست منهم... لم أدمج في البعثة وسافرت بوسائلتي، وقد منحني الشيخ التبسي ألف فرنك عند سفري إلى القاهرة، كما حملني رسالة إلى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، رئيس جمعية العلماء وعبارة من محتويات كتابك احترنا فيها هل هي تابعة لما قبلها أو بداية لما بعدها"³

في هذا الموضع من الرسالة يوجد تعبير عن رغبة التبسي في أن يكون كلمة سعد الله نافذة ومؤثرة في تحقيق البعثة المقررة، مع التأكيد على رغبته في أن تكون البعثة سهلة وميسرة، كما يوجد تحفيز لسعد الله على جمع الموارد والدعم للرحلة المقبلة، مع التأكيد على الاعتماد على الله والتوكل عليه في تجاوز الصعوبات مع وجود توجيهات

¹ سعد الله، حاطب أوراق، المرجع السابق، ص 17.

² نفسه.

³ نفسه، ص 18.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

ونصائح من التبسي لتوفير الدعم المالي للرحلة، مع التشديد على أهمية التقوى والاعتماد على الله في كل الأمور والاهتمام بالموضوعات ذات الصلة بالحركة والمبادرة لتوجيه الجهود نحو تحقيق الأهداف، مثل التعليم والإصلاح العام، كما يوجد في هذا الجزء استعراض مجموعة من الأسئلة والاهتمامات حول حال الحركة الآن مقارنة بالسنوات السابقة، ودعوة لتقديم المعلومات المفيدة حول هذا الموضوع، يقول سعد الله: "نصحي بأن أوفر ما أمكن من النقود للسفر مع إعراب استعدادي لمساعدتي إذا قررت السفر"¹

يشير التبسي إلى طلب مساعدة من سعد الله في اخباره ما يحدث في غيابه ولكن لم يكن ذلك بأسلوب مباشر، ويظهر استياء التبسي من عدم تلقي الدعم الذي كان يتوقعه من اخوانه، يقول سعد الله: "طلب مني التفصيل في كتابتي له عن سمعة الحركة، خاصة في شهر رمضان"²، ويشعر التبسي إلى أن في مكانته كان يتوقع دعمًا سريعًا قويًا من طرف مجموعته، لكنه لم يحصل عليه، بل انقسموا إلى ثلاث فئات.

الفئة الأولى تُظهر تخوفها من الله وتركيزها على النصح واتباع الحق، ويعتبر الكاتب أن هذه الفئة تستحق الدعم والتشجيع من الحركة، أما الفئة الثانية فتبدي ولاءً لقرابة الدم دون اعتبار للأولويات والمصالح الحقيقية، مما يثير استياء التبسي أما الفئة الثالثة تتدخل في الأمور لا تعنيها، مما يجعلها مشاركة غير مرغوبة وغير موضوعية³.

يقول سعد الله: "الشكوى من الذين كان من المفترض أن يساعدوه ولكنهم بدأوا يعرقلونه، وتقسيمهم إلى ثلاث فئات: فئة تخشى الله وتطلب حقها، وفئة تقدم له مثلما قدم لهم، وفئة أخرى تستغل المغفلين أصحاب النوايا السيئة"⁴

يُظهر التبسي استيائه من سلوك الطائفة الثانية التي شاركت في التعاهد على العمل بالمثل، مستخدمًا مثالاً شعبياً لتوضيح ذلك حيث يقول: "احلب لي حلباً ولك شطره"⁵، هذا المثل يُستخدم للدلالة على التعاون والتضامن في العمل أو النشاط مع الآخرين، يعني أن الشخص يطلب من شخص آخر أن يقوم بجزء من العمل، بينما يقوم هو بالجزء الآخر، مما يؤدي إلى تحقيق الهدف بشكل مشترك ومتكافئ بين الطرفين، يتناول هذا الجزء من الرسالة الطائفة التي تتفق مع الآخرين على العمل بنفس القواعد والمبادئ، ويبدو أن الكاتب يرى في هذا السلوك عدم

¹ نفسه.

² نفسه، ص 15.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

⁵ نفسه، ص 19.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

الأصالة والتميز، ويرى في الطائفة الثالثة الغرور والاستغلال، والتي يبدو أنها وقعت في فخ الأوهام والفرضيات والأكاذيب التي قدمت لها بشكل ممتع، مما جعلها تقبلها دون تمحيص.

ينتقل التبسي في الجزء الأخير إلى تنبيه سعد الله عن بعض الممارسات السلبية التي يقوم بها أفراد الحركة الإصلاحية، مثل استعمال بعض الأشخاص للتجسس على رأس الحركة، مما يدعو إلى اليقظة والحذر، يختتم الكاتب بتحية السلام دون أن يعيد كتابة اسمه كتوقيع¹.

لسنا نعلم عما كان يشعر به التبسي إن كان مجرد وساوس وأوهام تجسدت له بسبب معطيات لا نعلم خلفياتها ولا نستطيع الحكم عليها بمنظار الزمن الحالي، أو أن كل وساوسه كانت صحيحة وربما هذه الرسائل والأحداث التي كان يحدث بها الجميع كانت تعبر عن خوفه من انهاء مساره الفكري وعدم الاعتراف بجميله على الأقل وربما كانت المخاوف أبعد من ذلك، أي الإطاحة به وتوريثه فيما لا يحمد عقباه.

لا نعلم أيضا إن كانت مشاعر التبسي المستاءة ونفسيته الحزينة وشكواه لها علاقة بمقتله سنة 1957، فكل موته ظل مجهولا ولا يوجد اثبات عن طريقة موته الفعلية أو مكان جثته، فهو الشهيد الذي بلا قبر.

يبدو أن تأثيرات الثورة كانت تضغط على أعضاء الجمعية داخل البلاد، دون أن يكون لديهم رؤية واضحة عن الأحداث التي تجري في الخارج، مما جعل من الصعب عليهم تنسيق استجاباتهم واتخاذ المواقف المناسبة، بمعنى آخر، كانت حجم الأحداث أكبر من قدرة العديد منهم على التعامل معها، وتأثر هذا الوضع بنقص في شبكة الاتصال والمعلومات التي كانت متاحة لهم، على غرار الوضع الذي كان يمر به معظم الجزائريين في ذلك الوقت.

من خلال ما تم التطرق إليه نتوصل إلى مدى أهمية هذه الرسائل في اسقاط الضوء على جزء مهم من شخصية التبسي فالرسالة التي قام بنشرها سعد الله في كتابه : (حاطب أوراق) تضمنت الكثير من المعلومات القيمة، أولها علاقة التبسي بسعد الله ومشاعره نحوه التي تجسدت في دعمه المادي والمعنوي له، كما يتبين لنا أيضا أن التبسي محب للعلم وطلبة العلم، من خلال انشغاله في التفكير بأوضاع الطلبة في الخارج، تظهر لنا أيضا سلسلة من المشاكل والتوترات التي تكررت في عديد المرات بين قادة وأعضاء الجمعية خاصة بعد وفاة الإمام بن باديس واشتدت أكثر خلال الثورة التحريرية.

لعل عدم التطرق للثورة في هذه الرسائل راجع إلى الرقابة الصارمة على الرسائل المتبادلة بين الأعضاء آن ذاك فأبي معلومات واضحة تؤدي إلى اعتقال صاحبها أو حرمانه من العودة نحو الجزائر أو مضايقة عائلته فنجد أن المرسل والمستلم لن يتطرقا لأي موضوع عن أوضاع الجزائر رغم أننا في أشد أيام الثورة اشتعالا بين 1955 و1956،

¹ نفسه، ص 18.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

يبدو لنا أيضا أن التبسي مرهف الحس يشعر بخيبة أمل من الذين حولته، فقد كان يشعر باضطراب كبير جراء الأحداث التي تحصل للجمعية، أو ما يحصل للجزائر من أوضاع مرعبة فالإدارة الاستعمارية نجحت في زرع الخوف والتوجس في قلوب بعض العلماء والقادة لإبعادهم عن الثورة.

تبقى كل هذه القراءة ناقصة لعدم توفر ردود أبو القاسم سعد الله عليها، بسبب أن الرسائل موجودة عند التبسي وبعد موته لا نعلم مصيرها كجهلنا بمصيره، كما أن صحة هذه الرسائل لا تدع للشك بسبب أنها واردة من المؤرخ أبو القاسم سعد الله فمعروف عليه الاعتدال والأمانة العلمية، فلا يرجح أنه قد يزور أو يقدم للتاريخ ما هو مزيف، إضافة إلى أننا نلمس من سعد الله حرصه عدم تدخله في الحكم على الرسائل فقد قدم معلومات عن المبلغ الذي منحه التبسي لسعد الله عندما كان طالبا كحقيقة تاريخية، كما شرح سعد الله عما يقصده التبسي بكل تلك الإشارات لشخصيات معينة.

2.2. رسالة محمد الغسيري إلى محمد الصالح رمضان

يقول عبد المالك مرتاض: "عثرنا على نص رسالة مخطوطة كتبها محمد الغسيري من سكيكدة الى محمد الصالح رمضان حين كان مديرا لمدرسة دار الحديث بتلمسان، تقع في صفحتين صغيرتين، ولأهميتها الأدبية والتاريخية، والجمال صياغتها ايضا، ارتأينا أن نثبت نصها هنا، الذي ينشر لأول مرة"¹

المرسل سبق وأن قدمنا تعريفا له، أما المرسل إليه صديقه محمد الصالح رمضان ويمكننا تحليل ما جاء في رسالة محمد المنصوري الغسيري لمحمد الصالح²، فالرسالة بتاريخ 15 جانفي 1953، والمكان هو سكيكدة، الكاتب هو محمد المنصوري الغسيري، يكتب إلى صديقه محمد صالح رمضان، مدير مدرسة دار الحديث في تلمسان، وعن مضمون الرسالة فهي تعكس حالة من الإحباط والقلق الفكري والأدبي الذي يعيشه الكاتب، يشير الغسيري إلى الانشغالات الإدارية والمدرسية التي تعيقه عن ممارسته الأدبية والفكرية، يعبر عن خوفه من أن تقتل هذه الأعمال الروتينية روح الإنتاج الأدبي والفكري لديه.

الرسالة مكتوبة بأسلوب أدبي واضح، يعكس تردد الكاتب وحيرته بين التمسك بالأدب القديم والانفتاح على الجديد، يستخدم الغسيري تعبيرات مجازية مثل "روح الإنتاج الأدبي والفكري" و"أشباح بلا أرواح" ليعبر عن إحساسه بالفراغ والانحدار في المستوى الأدبي.

¹ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 463

² رسالة من محمد الغسيري إلى محمد الصالح رمضان، سكيكدة، بتاريخ 15 جانفي 1953، ينظر: نفسه، ص 463.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

يشعر الغسيري بالإحباط من الصحافة الأدبية، مثل جريدة "البصائر" التي أصبحت في نظره سطحية ولا تحمل مقالات تستدعي التأمل، كما ينتقد المجلات الشرقية التي لم تعد تسمن وتغني من جوع فكري، حتى الشخصيات الأدبية الكبيرة مثل أحمد أمين لم تعد تثير اهتمامه.

يعبر الكاتب عن ميوله للعودة إلى الأدب القديم، حيث يجد فيه الخلاص من الأدب الحديث الذي يراه غير ذي قيمة، يجد في قراءة القرآن ملاذاً روحياً وبلاغياً، ينتقد أيضاً ما يسميه "سفاسف الأفكار" في نشرات الأخبار والأدب الحديث، كما يشير إلى غياب الرئيس الإبراهيمي وتأثير هذا الغياب على الأجواء الأدبية والفكرية، مما يشعرهم بنوع من الفقر والحاجة.

يعبر الغسيري عن استيائه من نظام التعليم وضعفه، وينتقد حتى الطلاب الذين يراهم غير نجباء، ويتهم نفسه أحياناً بالتحيز أو الميل إلى الغث السهل المضم، وينهي الرسالة بالدعاء لصديقه وعائلته، مما يعكس أواصر الصداقة القوية التي تجمع بينهما، رغم كل الإحباطات والتحديات التي يعاني منها الغسيري.

إن رسالة محمد المنصوري الغسيري تعكس بوضوح حالة من الإحباط والقلق الفكري والأدبي، حيث يجد نفسه محاصراً بين أعماله الروتينية وحنينه إلى الأدب القديم، يعبر عن نقده الشديد للواقع الأدبي والتعليمي، مما يعكس عمق التحديات التي تواجهه كشخصية أدبية في تلك الفترة.

3. رسائل نضالية

1.3. رسالة مولود فرعون إلى ألبير كامو

بتاريخ 27 ماي 1951 أرسل مولود فرعون من تاوريرت موسى¹ رسالة إلى الكاتب ألبير كامو² يقول في بدايتها: "عزيزي السيد، لقد تلقيت هنا في تاوريرت موسى زيارة من صديقي روبليس، أخبرني بكل ما تعتقده عن

¹ تاوريرت موسى: تقع في منطقة القبائل الكبرى في شمال الجزائر، وتحديداً في ولاية تيزي وزو، تشتهر هذه المنطقة بطبيعتها الجبلية وثقافتها الأمازيغية، وهي واحدة من المناطق التي لها تاريخ طويل في النضال والثقافة، حيث ساهمت في الحفاظ على اللغة والثقافة الأمازيغية وتعزيزها.

² ألبير كامو (1913-1960) كاتب وفيلسوف فرنسي، وُلد في مدينة موندوفي بالجزائر لعائلة فرنسية فقيرة، فقد والده في الحرب العالمية الأولى، ونشأ في حي شعبي بالجزائر العاصمة، بفضل معلمه لويس جيرمان، التحق بالمدرسة الثانوية الكبرى في الجزائر، ثم درس الفلسفة في الجامعة، لكن إصابته بالسلّ حالت دون متابعة مسيرته الأكاديمية، انخرط في الصحافة والأدب، وبرز كأحد رموز الفكر الوجودي والعشي، حيث تناول في أعماله قضايا العبث والتمرد والحرية، من أبرز مؤلفاته: "الغريب" (1942)، "الطاعون" (1947)، "السقطه" (1956)، و"أسطورة سيزيف" (1942)، خلال الحرب العالمية = الثانية، انضم إلى المقاومة الفرنسية وعمل محرراً في صحيفة "كومبا" السرية، نال جائزة نوبل للآداب عام 1957 عن أعماله التي تناولت بوضوح مشاكل الضمير الإنساني في عصرنا، توفي في حادث سير عام 1960 عن عمر يناهز 46 عاماً، ينظر:

André Abbou, *Albert Camus, entre les lignes : 1955-1959 : adieu à la littérature ou fausse sortie*, Séguier Atlantica, Paris Biarritz, 2009, p 196.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

عملي المتواضع وأعطاني عنوانك الذي كنت أرغب في معرفته منذ فترة طويلة، في الشتاء الماضي، طلبت من بيري مارتن من S.C.I أن يرسل لك نسخة من "ابن الفقير"، كان بإمكانه أيضًا إعطائي عنوانك، لكنني لم أجرؤ على الكتابة إليك¹

حيث يعبر مولود فرعون في هذا المقطع من الرسالة، عن سعادته بالاهتمام الذي أبداه ألبير كامو تجاه عمله الأدبي، يذكر أنه تلقى زيارة من صديقه روبليس، الذي أخبره برأي كامو في كتابه "ابن الفقير" وقدم له عنوان سكن كامو، الذي كان يتمنى معرفته منذ فترة، يُظهر فرعون تواضعه، حيث يعتبر عمله "متواضعًا"، كما يُظهر ترددا في التواصل مباشرة مع كامو، مما يعكس احترامه الكبير له، ثم يواصل مولود فرعون رسالته قائلا: "أنا سعيد جدًا لأنني نجحت في إثارة اهتمامك، لأنني أعرفك منذ زمن، رأيتك في سنة 1937 في تيزي وزو، كنا حينها في مستقبل الشباب، كنت تكتب مقالات عن القبائل في الجزائر الجمهورية، التي كانت صحيفتنا، ثم قرأت كتاب الطاعون² وشعرت أنني فهمت كتابك بطريقة لم أفهم بها كتبًا أخرى من قبل³؛ لكنني ندمت على عدم وجود أي شخصية من السكان الأصليين ضمن هذه الشخصيات، وعلى أن وهران لم تكن بالنسبة لك سوى محافظة فرنسية عادية⁴"

يشيد بتأثير كتاب "الطاعون"⁵ لألبير كامو عليه، لكنه يعبر عن أسفه لعدم وجود شخصيات من السكان الأصليين في النص أي الجزائريين، مما يعكس انشغال فرعون بقضية هوية الجزائري المملغة حتى في روايات من تربو في نفس المكان معه وصادقهم وصادقوه وتجمعه معهم ذكريات طيبة، كما يشير إلى تصوير وهران كمحافظة فرنسية عادية، مما يعكس نظرة استعمارية تتجاهل العمق الثقافي والتاريخي للمدينة، ويعكس بذلك حاجة الأدب لتمثيل الأصوات المحلية في سرد القصص، يواصل فرعون رسالته فيقول: "آه! هذا ليس انتقادًا، فكرت فقط أنه لو لم يكن هناك هذا الحاجز بيننا، لكنت قد تعرفت علينا بشكل أفضل، وكنت ستشعر أنك قادر على الحديث عنا بنفس الكرم الذي يشمل الآخرين، يؤلمني بصدق أنك لم تعرفنا بما يكفي، وأنه ليس لدينا من يفهمنا، أو يجعل الآخرين يفهمونا، أو يساعدنا في فهم أنفسنا⁶"

¹ Moulod Feraoun, **Lettres à ses amis**, Éditions du Seuil, Paris, 1969, p 107.

² Albert Camus, **La Peste**, Gallimard, Paris, 1947.

³ تحكي رواية الطاعون عن تفشي وباء الطاعون في مدينة وهران الجزائرية، حيث يعاني السكان من العزل والخوف، عبر شخصيات مثل الدكتور ريو والصحفي رامبير، تستعرض الرواية ردود فعلهم المختلفة، من التضحية إلى اليأس، تتجاوز القصة الحديث عن الوباء لتصبح رمزية للصراع ضد قوى الشمولية والعبث، مشيرةً إلى أن التضامن الإنساني والعمل الجماعي هما السبيل لمواجهة المحن.

⁴ M.Feraoun, Op.cit, p54.

⁵ A.Camus, Op.cit.

⁶ M.Feraoun, Op.cit, p54.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

هذا الجزء من الرسالة، يستمر مولود فرعون في توضيح مشاعره تجاه ألبير كامو، مؤكداً أن ملاحظاته ليست انتقاداً، بل تعبيراً عن أسفه لوجود حاجز يعيق التعارف والتفاهم بين الثقافات، يشير إلى أن هذا الحاجز حال دون أن يتعرف كامو على الجزائريين والجزائريين بشكل أفضل، مما كان سيمكنه من الحديث عنهم بكرم مماثل لما يقدمه للآخرين، يعبر فرعون عن ألمه لعدم فهم الآخرين لهم، ولعدم وجود من يمثلهم أو يساعدهم في فهم هويتهم الثقافية، هذا يعكس شعوراً عميقاً بالوحدة والتجاهل، فعندما يتحدث فرعون عن الألم الذي يشعر به بسبب عدم فهم الآخرين لهم، فإنه يتطرق إلى الإحساس العميق بالاغتراب الذي يعاني منه الشعب الجزائري تحت الاحتلال، حيث تصبح الحاجة إلى وجود من يمثلهم ويفهمهم أكثر إلحاحاً، حيث أن الأدب والفكر يمكن أن يلعبا دوراً مهماً في تبيان القضايا الثقافية والسياسية للشعوب المستعمرة، لذا، تعكس هذه الفقرة من الرسالة أيضاً رغبة الشعب الجزائري في أن يُسمع صوته، وأن يُفهم بعمق من قبل الآخرين، خاصة في ظل الظروف الاستعمارية القاسية، يستمر فرعون ليقول: "أنوي الكتابة عن أبناء وطني كما أراهم، لكنني لا أتوهم، ستكون رؤيتي ضيقة وموارد محدودة، لأن الحكمة ليست موزعة كما يُقال، إذا تمكنت يوماً من التعبير بحدوء، فسيكون ذلك بفضل كتبك التي ساعدتني في فهم نفسي والآخرين"¹

في هذه الفقرة، يُظهر مولود فرعون إصراره على كتابة تجارب أبناء وطنه من وجهة نظره الشخصية، لكنه يعبر أيضاً عن وعيه بحدود رؤيته وموارده، يشير إلى أن الحكمة والمعرفة ليست متاحة للجميع بنفس القدر، مما يبرز التحديات التي يواجهها ككاتب ينتمي إلى ثقافة مستعمرة، كما يعكس فرعون تقديره للكتب والأدب، وخاصة أعمال كامو، التي ساعدته في فهم نفسه وفهم الآخرين، يُظهر ذلك كيف أن الأدب يمكن أن يكون وسيلة لفهم التعقيدات الثقافية والإنسانية، ويعبر عن الأمل في أن يتمكن من التعبير عن أفكاره بشكل هادئ وموضوعي، رغم التحديات التي يواجهها، يواصل فرعون: "هل يمكنني تحمل هذه الجراءة: أن أحاول بدوري شرح شعب القبائل وإظهار أنهم مثل الجميع؟ مثل باقي الجزائريين مثلاً؟ أليس من الأجدر أن نحاول ردم هذا الحاجز الذي يتسع بحماقة؟ لا بأس إن فشلت، أنا معلم جيد ولديّ العديد من الطلاب وأحب صفتي، لا أطلب شيئاً، وأحلم كما أشاء، لقد جذبنا انتباه أوديسيو، كامو، وروبليس، هذا إنجاز رائع، أنتم جميعاً جزائريون، ولا ينبغي لكم تجاهلنا"²

¹ Ibid.

² M.Feraoun, Op.cit, p54.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

يتحدى مولود فرعون نفسه ويعبر عن شغفه ورغبته في أن يشرح ثقافة شعب القبائل، مشيرًا إلى أن لهم الحق في أن يُعتبروا مثل باقي الجزائريين، يطرح فكرة أن تجاوز الحواجز الثقافية بين مختلف الجماعات في الجزائر هو أمر حيوي، ويؤكد على ضرورة ردم هذه الفجوات التي يمكن أن تتسع نتيجة الجهل أو الإهمال.

فرعون يعبر عن تواضعه حين يقول إنه قد يفشل، لكنه يتمتع بثقة كمعلم يجب طلابه ويؤمن بقيمة التعليم، يتجلى إيمانه بالقدرة على إحداث تغيير من خلال كلماته وأفكاره، حيث يعتبر أن اهتمام شخصيات مثل كامو وروبليس هو إنجاز يعكس أهمية صوت الشعب الجزائري، تتضمن هذه الفقرة من الرسالة دعوة واضحة للتضامن والوحدة بين مختلف الجماعات الجزائرية، فبالرغم من تباين الثقافات، يُظهر فرعون أن جميعهم جزء من نفس الوطن، ويجب أن يتحدوا في مواجهة التحديات المشتركة، بما في ذلك التحديات التي أوجدها الاحتلال، هذه الكلمات تدعو إلى الوعي والتفاهم، مما يساهم في تعزيز الهوية الوطنية والتقارب بين أبناء الوطن، وفي خاتمة رسالته، يعبر مولود فرعون عن اعتذاره عن طول الرسالة، مما يدل على تواضعه ورغبته في عدم إزعاج كامو، يشعر أنه ربما تجاوز الحدود في حديثه، وهو ما يعكس حساسية تجاه العلاقة بين الكتاب بين كاتب جزائري وكاتب فرنسي، هذه الإشارة إلى القلق بشأن عدم وضوح أفكاره توضح التحديات التي يواجهها ككاتب يسعى للتعبير عن هوية شعبه وثقافته.

يُبرز فرعون تقديره للدعم والتشجيع الذي حصل عليه من روبليس، مما يشير إلى أهمية الروابط الأدبية بين الكتاب، وكيف يمكن لهذه الروابط أن تعزز الإبداع وتعبّر عن تجارب الشعوب، تختتم الرسالة بشعور من الامتنان والتقدير، مما يبرز أهمية التواصل بين الكتاب في تعزيز الفهم المتبادل ودعم الأصوات المختلفة في ظل ظروف تاريخية صعبة، في النهاية، يُظهر فرعون التزامه العميق بتمثيل شعبه ومساهمته في النقاش الثقافي، مما يعكس روح المقاومة والفخر الوطني، فيقول: "أعتذر على هذه الرسالة الطويلة، قد تعتقد أنني تجاوزت الحدود في حديثي معك، وربما هذا دليل على أن كلماتي لم تعبر عن أفكاري بشكل صحيح، لا تتذكر من كل هذا إلا شكري الصادق على التشجيع الذي حمّله لي روبليس من باريس¹".

يُعد كامو مثالًا حيًا على هذه المفارقة، فقد كتب عام 1939 في جريدة الجمهورية الجزائرية مقالات مؤثرة عن أوضاع القبائل ومعاناتهم تحت وطأة الاحتلال الفرنسي²، ورغم لغته القوية وانتقاده للظلم الاجتماعي، إلا أن

¹ M.Feraoun, Op.cit, p 54.

² يسلط ألبير كامو في مقاله "بؤس منطقة القبائل" الضوء على المعاناة الشديدة التي يعيشها سكان المنطقة في ظل الاستعمار الفرنسي، حيث يصوّر بواقعية مأساوية حالة الفقر المدقع وسوء التغذية التي طالت معظم السكان، وخاصة الأطفال الذين يعانون من أمراض ناجمة عن نقص الغذاء، يشير كامو إلى أن هذه الأزمة ليست جديدة، بل متجذرة منذ زمن طويل، ومع ذلك لم تتحرك السلطات الفرنسية بجديّة لمعالجتها، ويؤكد أن الحل لا يكمن فقط في

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

موقفه تغير عند اندلاع الثورة الجزائرية عام 1954، حيث تبني خطابًا ضبايًا لم ينحز فيه بوضوح إلى قضية استقلال الجزائر، هذا الصمت لم يكن مجرد موقف فردي، بل يعكس تردد العديد من المثقفين الأوروبيين في اتخاذ موقف واضح ضد الاحتلال.

في روايته "الغريب"¹ (1942)، يصوّر كامو عالم المستعمرين الفرنسيين في الجزائر من خلال شخصية ميرسو، الذي يقتل عريقًا دون اسم أو هوية واضحة، مما يعكس إقصاء الجزائريين من السرد الاستعماري، كما أن روايته "الطاعون" (1947)، التي تجري أحداثها في وهران، تتناول معاناة المدينة أثناء انتشار الوباء، لكنها بالكاد تذكر السكان الجزائريين، مما يعكس منظورًا استعماريًا يُقصي الأهالي الأصليين من المشهد الروائي.

رغم أن كامو انتقد بعض الممارسات الاستعمارية، إلا أنه لم يكن من دعاة استقلال الجزائر، بل سعى إلى إيجاد "حل عادل" يُبقي على وجود الفرنسيين في البلاد، في قصته "الضيف" من مجموعة "المنفى والمللكوت" (1957)، يعالج موضوع التوتر بين المستوطنين والجزائريين من منظور أخلاقي، لكنه يقدم ذلك من زاوية الإنسان الأوروبي الذي يشعر بالحيرة والاعتراب، متجاهلاً جوهر النضال الوطني، هذه الرؤية جعلته محل انتقاد من الأدباء الجزائريين الذين رأوا في أعماله تهميشًا لمعاناة الجزائريين الحقيقية خلال الاحتلال.

تعبّر رسالة مولود فرعون إلى ألبير كامو عن رغبة عميقة في تمثيل ثقافة الأهالي الجزائريين وإظهارهم كجزء لا يتجزأ من الهوية الجزائرية، يعكس فرعون وعيه بالحدود التي تواجهه ككاتب في التعبير عن تجارب شعبه تحت الاحتلال الفرنسي، ويؤكد على أهمية ردم الحواجز الثقافية بين مختلف الجماعات في الجزائر، يتحدث عن تأثير الأدب على

تقدم مساعدات غذائية عاجلة، بل في إجراء تغييرات جذرية تشمل تطوير البنية التحتية، وتحسين التعليم، وضمان سبل العيش الكريم، كما ينتقد غياب الإرادة السياسية الحقيقية لإنهاء هذه المأساة، محذّرًا من أن تجاهل هذه الأزمة سيؤدي إلى استمرار المعاناة وتفاقم الأوضاع، ينظر: A.Camus, « **Misère de la Kabylie** », Alger Républicain, Alger, n° 242, 5 juin 1939, p08. ينظر أيضا:

A.Camus, « **Misère de la Kabylie VI. L'assistance** », Alger Républicain, Alger, n° 247, 10 juin 1939.
(), « **Misère de la Kabylie VII. L'enseignement** », Alger Républicain, Alger, n° 248, 11 juin 1939.
(), « **Misère de la Kabylie VIII. Deux aspects de la vie économique kabyle** », Alger Républicain, Alger, n° 249, 12 juin 1939.
(), « **Misère de la Kabylie IX. L'avenir politique ; les centres communaux** », Alger Républicain, Alger, n° 250, 13 juin 1939.
(), « **Misère de la Kabylie X** », Alger Républicain, Alger, n° 251, 14 juin 1939.
(), « **Misère de la Kabylie. Conclusion** », Alger Républicain, Alger, n° 252, 15 juin 1939.
(), « **Misère de la Kabylie II – Dénouement** », Alger Républicain, Alger, n° 243, 6 juin 1939.
(), « **Misère de la Kabylie III. Le dénuement** », Alger Républicain, Alger, n° 244, 7 juin 1939.
(), « **Misère de la Kabylie IV. Les salaires insultants** », Alger Républicain, Alger, n° 245, 8 juin 1939.
(), « **Misère de la Kabylie V. L'habitat** », Alger Républicain, Alger, n° 246, 9 juin 1939.
¹ (), **L'Étranger**, Gallimard, Paris, 1942.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

فهم الذات والآخرين، مُبرزًا دور الكتاب في تعزيز الفهم المتبادل، في النهاية، يعبر عن امتنانه للدعم الذي تلقاه من روبليس، مما يسلط الضوء على أهمية الروابط الأدبية في بناء جسور التواصل والتضامن بين الكتاب والشعوب.

2.3. رسالة الجنيدي خليفة إلى منصور

الجنيدي خليفة، أحد أبناء جيل الثورة الجزائرية، برز كطالب نشط في المجال السياسي والفكري، حيث تولى مسؤوليات طلابية في تونس والقاهرة خلال الخمسينيات، حين كان يدرس الفلسفة بجامعة القاهرة، عُرف في جامع الزيتونة بشغفه بالمطالعة وتحرره الفكري، إذ لم يكن يقتصر على ما تقدمه المناهج التقليدية، بل تجاوزها إلى آفاق أوسع، نشط ضمن طلبة حزب الشعب في تونس قبل الثورة، ثم أصبح من الفاعلين في صفوف جبهة التحرير الوطني أثناءها، واعتُقل وسُجن قبل استقلال تونس، نشر أعمالًا فكرية ونقدية في الصحافة التونسية قبل أن ينتقل إلى القاهرة، حيث واصل الكتابة في شكل يوميات، تأملات فلسفية، ورسائل، تناول فيها موضوعات متصلة بالثورة، مثل تهريب السلاح، دور الطلبة، والتفجيرات الذرية الفرنسية في الصحراء الجزائرية، التي وصفها بـ "خلاصة علمية"، بعض هذه الأعمال نُشر في مجلة الآداب¹ البيروتية، ومن أبرز أعماله رسالة من سجين جزائري (1958)، التي تعكس تجربته الشخصية أو مشاهداته حول الاعتقال والقمع الاستعماري، وتمثال الحقد (1962)، الذي يجسد البعد العاطفي والنفسي للصراع الاستعماري، كما كتب من يوميات مناضل جزائري: ساعات من نوفمبر، حيث وثّق مراحل من الثورة بأسلوب يومياتي تأملي، اهتم كذلك بالفلسفة، كما يظهر في كتاباته مثل الحقيقة من خلال مبدأ الذاتية بأجزائه المتعددة، والوجود - بلا - وسيط (1961)، حيث قدم رؤى مستقلة حول مفاهيم الوجود، ولم تقتصر أعماله على التحليل الفكري، بل امتدت إلى الأدب، كما في كتابه الإمتاع الخادم في الفن والأدب (1954)، مما يدل على اهتمامه بالبعد الجمالي للمعرفة².

وصف الجنيدي كتاباته بأنها يوميات لم تُصغ في الماضي رغم مرور فترة طويلة على الأحداث، حيث استلهمها من حوار بينه وبين صديق قديم، بدأه بذكرى الأول من نوفمبر 1954، حين فوجئ بحبر اندلاع الثورة الجزائرية أثناء اجتيازه امتحانًا في تونس، عبّر في يومياته عن ردود فعل الشباب المتحمسين للانضمام إلى الثورة، إذ رأوا فيها

¹ مجلة الآداب: مجلة أسسها سهيل إدريس في بيروت عام 1953، تعد من أبرز المجلات الفكرية والأدبية العربية التي ساهمت في تطور الأدب العربي الحديث ونشر القضايا الفكرية والنقدية، احتضنت المجلة أعمال كبار الأدباء والمفكرين مثل نجيب محفوظ وأدونيس وغسان كنفاني، وساهمت في تعريف القارئ العربي بالأدب العالمي من خلال الترجمات، تميزت بتوجهها التقدمي والتزامها بقضايا النهضة العربية، واستمرت في أداء دورها الثقافي حتى توقف صدورها الورقي عام 2012، لكنها واصلت نشاطها إلكترونيًا، محفوظةً على تأثيرها في المشهد الأدبي العربي، ينظر: أرشيف مجلة الآداب: <https://al-adab.com/index>

² محمد الأخضر عبد القادر السائحي، الدكتور الجنيدي خليفة، منشورات السائحي، الجزائر، 2014، ص 78.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

استعادة لكرامتهم الضائعة عبر الأجيال، بأسلوب قصصي مباشر، روى تجربته في الالتحاق بالحرب، وتنقله بين تونس والمشرق للدراسة¹.

أكمل الجنيدي خليفة دراسته في القاهرة حتى نال شهادة الليسانس، ثم عاد إلى الجزائر حيث حصل على الدكتوراه في علم النفس والفلسفة، وشارك بفاعلية في اتحاد الكتاب الجزائريين، وساهم في دراسة الفكر الثوري، كما تولى عدة مناصب جامعية، رحل عام 1993 تاركًا وراءه أعمالًا أكاديمية وفكرية لم تحظَ إلى اليوم بالدراسة والتجميع اللذين يليقان بدوره في الثورة والثقافة².

رسالة الجنيدي خليفة، المؤرخة في 7 مارس 1957 من سجن بربروس، والمنشورة في مجلة الآداب في 01 فيفري سنة 1958، بواسطة المرسل إليه وهو (م. ط)، ويبدو أن حرف الميم يشير إلى اسم منصور الذي كتبه خليفة في مطلع الرسالة³، وتعكس هذه الرسالة سياق الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، حيث يتداخل البعد الذاتي للكاتب مع الأوضاع العامة التي تعيشها الجزائر آنذاك، إذ تنتمي الرسالة إلى أدب السجون الذي يعكس المقاومة الفكرية والعاطفية في ظل القمع الاستعماري، يتخذ الكاتب من السجن منبرًا لمخاطبة صديقه منصور، مستعرضًا فيها رؤيته حول الثورة الجزائرية من حيث المعاناة، النضال، والمآل المستقبلي، يقول في مستهل رسالته: "أكتب إليك من وراء القضبان، من سجن بربروس، حيث لا شيء يربطنا بالعالم الخارجي سوى الأمل في الغد والانتماء لهذا الوطن الجريح"⁴.

تبرز الرسالة الأوضاع الصعبة التي يعانيها الجزائريون تحت الاحتلال، حيث يسرد الكاتب جانبًا من المجازر والقمع المنهجي الذي يمارسه الاحتلال الفرنسي، ورغم هذا الواقع القاسي، فإنه يرفض تصوير الموت كنتيجة نهائية، بل يراه امتدادًا للحياة الثورية، مؤكدًا أن الشهادة تتحول إلى طاقة تحافظ على استمرار الكفاح، فيكتب: "إن دماء إخواننا التي تسيل في الجبال والقرى ليست خسارة، بل هي النور الذي يرسم طريق الاستقلال، وكل شهيد يسقط هو شعلة تضيء ظلام الاحتلال"⁵.

¹ الجنيدي خليفة، من وحي الثورة، دار الثقافة، بيروت، 1963.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج9، المرجع السابق، ص 560.

³ م. ط، "رسالة من سجين جزائري"، مجلة الآداب، مج 06، بيروت، 06 أوت 1958، ص ص 25 26.

⁴ نفسه، ص 26.

⁵ نفسه، ص 26.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

وهذا التصور يعكس الذهنية الثورية التي لا تستسلم أمام البطش، بل تعتبره جزءًا من مسار التحرر الوطني، كما يرفض الكاتب النظرة السطحية إلى فرنسا التي تُقدّم في الخطاب الأوروبي كمهد للثورة وحقوق الإنسان، موضحًا أن فرنسا الاستعمارية ليست استثناء عن سياستها، بل هي امتداد طبيعي لذهنية السيطرة والعدوان التي مارستها عبر حكوماتها وجيوشها، يستند في ذلك إلى منهج المقارنة بين المبادئ المعلنة والممارسات الفعلية، حيث ينفي إمكانية التوفيق بين صورة فرنسا الفكرية المشرقة وصورتها الاستعمارية القائمة على القهر، ويقول في ذلك: "يتحدثون عن الحرية والإخاء والمساواة، لكن في الجزائر نرى فقط القتل والتدمير والتشريد، فأبي تناقض هذا بين القول والفعل؟"¹

تعتمد الرسالة على تحليل الثورة الجزائرية بوصفها فعلاً مستمرًا وليس مجرد وسيلة لتحقيق الاستقلال، حيث يبرز مفهومه العميق للنضال، الذي لا يقاس فقط بالنتائج السياسية بل بالروح الجماعية والإرادة الشعبية التي تدفعه إلى الأمام، في هذا السياق، يستخدم الكاتب مقاربة رياضية رمزية توضح أن كل خطوة ثورية، مهما كانت صغيرة، تساهم في بلوغ الهدف النهائي، ويؤكد ذلك بقوله: "كل رصاصة تُطلق، كل منشور يُوزع، كل كلمة تُقال، هي لبنة في بناء هذا الوطن المستقل، ولن تضيع أي خطوة في طريق النصر"² وهذا الطرح يكشف عن رؤية جدلية لمسار التحرر، حيث يصبح الفعل المقاوم قيمة بحد ذاته، لا مجرد وسيلة لغاية منفصلة عنه.

ينتقل الكاتب إلى بعد أكثر شمولًا من خلال التأكيد على أن استقلال الجزائر لا يمثل نهاية المعركة، بل هو بداية مرحلة جديدة تتطلب نهضة فكرية وعلمية، وهنا يعكس فكرًا استراتيجيًا يتجاوز الانتصار العسكري إلى التأسيس لحضارة عربية تنهض بمقوماتها الذاتية، متجاوزة الإرث الاستعماري الذي فرض عليها التبعية والتخلف، فهو يرى أن الاستقلال السياسي لا يكفي، بل يجب أن تتبعه حركة فكرية تعيد تشكيل الوعي العربي وفقًا لمتطلبات العصر، مما يعكس تأثره بالفكر الإصلاحي والتجديدي الذي ساد في الأوساط الفكرية العربية خلال النصف الأول من القرن العشرين، ويشير إلى ذلك بقوله: "لن نكون أحرارًا حقًا ما لم نتحرر عقولنا من بقايا الاحتلال، وما لم نبني مدارسنا وجامعاتنا على أسس وطنية تعيد لنا هويتنا المسلمة"³

يؤسس الكاتب لمفهوم "التعبئة الفكرية"، التي يرى أنها الأساس لأي تحرر حقيقي، حيث يعتبر أن تحرير العقول لا يقل أهمية عن تحرير الأرض، مؤكدًا أن غرس القيم الوطنية في الأجيال الصاعدة هو السبيل لضمان عدم الارتداد إلى التبعية الفكرية والروحية، ويتجلى في طرحه هذا تأثره العميق بالفكر التنويري العربي، الذي ربط النهضة

¹ نفسه.

² نفسه.

³ نفسه، ص 26.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

بالتححر من الاحتلال الفكري والاجتماعي، وليس فقط بالتححر العسكري والسياسي، ويؤكد ذلك بقوله: "أخشى أن نحصل على استقلالنا ثم نجد أنفسنا أسرى أفكارهم، فالنضال الحقيقي يبدأ بعد رحيل المستعمر"¹

تُحتّم الرسالة برؤية متفائلة رغم الظروف القاسية التي يمر بها الكاتب، حيث يؤكد أن الثورة الجزائرية ليست حدثاً منعزلاً، بل جزء من حركة عربية أوسع تسعى إلى تجاوز واقع التخلف إلى آفاق التقدم والقيادة الحضارية، ومن خلال مخاطبته لصديقه، الذي يمثل جيل الشباب المثقف، يحاول الكاتب زرع وعي استراتيجي بمسؤولية الجيل القادم في استكمال المسيرة النضالية، ليس فقط على المستوى السياسي، بل أيضاً على المستوى الفكري والحضاري، يقول في ذلك: "يا منصور، إن الجزائر التي نحلم بها ليست مجرد أرض حرة، بل أمة عظيمة تنهض بسواعد أبنائها وعقولهم، فلا تتوقف عند النصر، بل اجعله بدايةً لطريق طويل من البناء والتقدم"²

تنسم رسالة الجنيدى خليفة بطابعها الأدبي العميق، حيث يوظف فيها لغة خطابية مشحونة بالعاطفة تعكس روح التحدي والصمود، كما يظهر ذلك في تعبيره المجازي عن استمرار الجزائر رغم القمع الاستعماري، كما يعتمد على الأسلوب الجدلي والفلسفي، مستخدماً المقارنات والتناقضات، مثل تفرقه بين "فرنسا الكتب" و"فرنسا الوحشية"، مما يعكس وعياً فكرياً متقدماً، بالإضافة إلى ذلك، تحمل رسالته بعداً رمزياً قوياً، حيث يحول الموت إلى "طاقة مساهمة"، في إشارة إلى فلسفة التضحية في الأدب الثوري، كما أن التكتيف اللغوي والصور البلاغية تمنح النص بُعداً إنسانياً، مما يجعله شهادة أدبية ونصاً يعبر عن نضال الجزائريين بقدر ما هو وثيقة تاريخية.

3.3. رسالة عيسى أبو اليقظان إلى والده أبو اليقظان

إبراهيم بن عيسى حمدي أبو اليقظان، وُلد في 5 نوفمبر 1888 في المحاضر بمنطقة القرارة بوادي ميزاب جنوب الجزائر، وهو من أبرز أعلام الفكر والإصلاح في الجزائر، نشأ يتيم الأب منذ عامه الأول، فتميز بالجد والاجتهاد منذ صغره، حفظ القرآن الكريم وتلقى علومه الأولى في القرارة وبني يزقن على يد علماء مثل عمر بن يحيى وإبراهيم اطفيش³، سافر إلى تونس عام 1912 لمتابعة دراسته، ثم أشرف على طلاب البعثات الجزائرية هناك، بعد عودته إلى الجزائر، انخرط في التعليم والإصلاح، وأصبح عضواً نشطاً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁴، اهتم بالتأليف والصحافة والتربية، وألف نحو 60 عملاً في مجالات التاريخ، الفقه، الأدب، والسير، منها "سلم الاستقامة"

¹ نفسه.

² نفسه.

³ ناصر، أبو اليقظان...، ج1، المرجع السابق، ص 15.

⁴ الربيعي بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، مج2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 732.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

و"سليمان باشا الباروني"، أسهم في تأسيس العديد من الصحف الوطنية والدينية مثل "النور" و"الفرقان"، عُرف بشعره الحماسي والوطني، وتوفي في 30 مارس 1973 ودفن في مسقط رأسه القارة¹.

بدأت هذه المراسلات الغنية، التي استمرت بين القارة والجزائر العاصمة، حوالي سنة 1930 وكانت تتم بانتظام أسبوعيًا، وأحيانًا أكثر من مرة في الأسبوع، عانى الشيخ أبو اليقظان من صعوبات في توصيل رسائله إلى ابنه عيسى في العاصمة دون تأخير، ويعتقد محمد ناصر أن زخم هذه المراسلات زاد بعد توقف صحافة أبو اليقظان عن الصدور في سنة 1939، نتيجة لظروف تفصيلها في موضعها².

لقد كانت محافظة ابنه عيسى على رسائل والده الشيخ، ومحافظة الشيخ على رسائل ابنه عيسى، هي التي فتحت أبوابًا للاستفادة منها اليوم بقيمة لا تُقدر بثمن، ويمكن القول بثقة إن حس الشيخ أبو اليقظان الصحفي والتربوي والسياسي أضفى لمسة خاصة على تلك الرسائل، فأصبحت شواهدًا تروي تاريخًا هامًا من تاريخ الجزائر الداخلي والخارجي، من بعد الحرب العالمية الأولى إلى قيام الثورة التحريرية، وحتى فترة الاستقلال، وبصدق، يمكن القول إن تاريخ الجزائر في تلك المراحل يجد تجسيده في تلك الرسائل³.

لكن لم يكن الشيخ أبا اليقظان يولي اهتمامه برسائله أو برسائل ابنه عيسى وحده، بل كان يتعامل مع رسائل جميع الذين كانوا يرسلونه، سواء كانوا مفكرين أو مشايخ أو أدباء أو سياسيين أو مربين أو أساتذة أو طلاب، حيث كان يولي اهتمامًا كبيرًا بجميع رسائلهم دون استثناء، ونحن نشكر الله على أننا نحتفظ بكمية كبيرة من هذه الرسائل، بل ويمكن اعتبارها كمنجم ثمين للمعرفة، كما وصفها في إحدى المناسبات، ولقد استمر هذا الحفظ والاستفادة منها بفضل الله، وأتمنى صادقًا أن تكون مصدر إفادة لجميع طلاب العلم والمعرفة في بلاد الإسلام.

وعن الرسالة⁴ التي نحن بغرض دراستها الآن فهي تبدأ بالبسملة وتحتوي الرسالة على 1846 كلمة، والمرسل هو عيسى ابن أبو اليقظان وهو الذي يدير مطبعة والده، المطبعة العربية التي أسسها أبو اليقظان في سنة 1931م، والذي تنقسم إلى أجزاء:

— الجزء الأول: يتضمن التحية لوالده ولوالدته وأهله وأبنائه وأساتذته وأخوانه:

¹ ناصر، أبو اليقظان...، ج1، المرجع السابق، ص 15

² ناصر، أبو اليقظان...، ج2، المرجع السابق، ص71.

³ نفسه، ص73.

⁴ من عيسى أبي اليقظان (06 أبريل 1957)، إلى والده إبراهيم أبو اليقظان، الجزائر، ينظر: ناصر، أبو اليقظان...، ج2، المرجع السابق،

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

نلاحظ في هذا الجزء التقدير الكبير الذي يحمله الابن لوالده، من خلال الأدب في التراسل معه فيقول: "جناب الوالد المحترم الجليل، سيدي أبو اليقظان حفظه الله وأبقاه، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وعلى الوالدة المحترمة، والعطرة، والأهل، والأبناء الأعزاء كافة، والأساتذة، والإخوان¹"، ونلاحظ هنا عدم السؤال عن زوجته بسبب حاجز الاحترام مع والده ولكنه اكتفى بالسؤال عن الأبناء.

- الجزء الثاني: وضعه الحاضر أثناء كتابة الرسالة بعد مرور ثلاث أسابيع من الاعتقال:

الكاتب يعبر عن شكره وامتنانه لله بعد تحمله فترة من الظروف الصعبة والتحديات، ويقول إنه لولا الإيمان القوي والإرادة الصلبة، لم يكن بإمكانه التغلب على الصعوبات والتحمل، يثني على الله على قوة الإيمان التي تجعل الإنسان يتحمل المحن والصعاب بابتسامة وصبر، ويشير إلى أن تلك الصعوبات تزيد الإنسان قوة ورسوخا في عقيدته وإيمانه، يستشهد بقول النبي محمد ﷺ "أكثركم بلاء أقوام إيمانا" ليؤكد على أن الصعاب تزيد الإنسان إيمانا وقوة.

- الجزء الثالث: سرد تفاصيل القبض عليه يوم الاثنين 18 مارس 1957 والتهمة الموجهة إليه:

فيوثق عيسى هنا تجربته مع الشرطة، حيث تعرض منزله لتفتيش من قبل مجموعة من رجال الشرطة، حيث يصف كيف كانت تلك التجربة مفرقة ومحرجة له، حيث قاموا بتفتيش كل زاوية في المنزل بحثًا عن أي دليل يرتبط بتهمة محددة، وأظهر عيسى لهم توازنه وعدم ارتياكه قدر الامكان، ويعبر عيسى لوالده عن انزعاجه من طريقة التفتيش وتعامل الشرطة مع بعض الأشياء في منزله، مثل التهكم على صورة جمال عبد الناصر، في النهاية، يعرض الكاتب الكراسة التي حصل عليها القبطان ويطلب منه إطفاء الأضواء وإغلاق الباب بشكل جيد، مما يشير إلى انتهاء جزء معين من التفتيش ويقول في الرسالة: "على الساعة الثانية بعد منتصف الليل من يوم الإثنين 18 مارس الفارط، سمعت فرقة في الباب بضرب خفيف، قمت مذهولا وقلت: من؟ فقال: "البوليس"، ففتحت الباب ودخلوا، وكانوا نحو ثلاثة عشر قبطانًا، وفتيان إلى أقل درجة، وفرقوا أنفسهم هنا وهناك، في المطبخ، والبيت الوسطى والداخلية، فطلب مني قبطانهم ورقة تعريفني بعدما سأل عن اسمي، فقال: هات ما عندك من السلاح، فقلت: لا سلاح عندي أصلا، وبدأوا بتفتيش الخزانة والأوراق التي فيها، ولم يعثروا على شيء يسترعي أنظارهم إلا قصبة كبيرة كان فيها ورقة كبيرة مكتوب ومنسوخ فيها كامل القرآن الكريم، فأريتها لهم، وكذلك عدد ممتاز من "المصور"² عن الحجاز أخذوه معهم، ولم تطل المدة هناك، ومن هناك خرجنا ذاهبين إلى المطبعة بعد سؤال القبطان عن مفتاحها، فقلت له: إنه عندي، ومشيت حدوه وأول ما سألني وكأنه يلفت نظري إلى المهمة التي أتوا إليها، والتهمة التي أنا متهم بها، لكي

¹ نفسه، ص 317.

² مجلة مصرية اسمها المصور.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

أقرب لهم المسافة، وأنجو من عذاب البحث والقهر، هل إنك تبيع الماكينات؟ فقلت له: لا يا سيدي القبطان، محلي للعمل وللتجهيز لا للبيع، ثم سألني ثانياً -وكأنه ليصرف صدقي ونزاهتي -هل تعرف "البكاي"¹؟ فقلت له: نعم أعرف عائلة "البكاي"، وهذا بعض التساؤلات طفيفة حتى وصلنا المطبعة، فتحتها وهجموا كلهم منهم من دخل البيرو وبدأ التفتيش، ومنهم من هبط إلى الدهليز، وبعضهم بفرق هنا وهناك، وبحثوا جيدا في كل مكان ولم يعثروا على شيء يلفت نظرهم إلا بعض أعداد "المصور" قديمة، وفي أحدهم وجدوا صورة مكبرة لجمال عبد الناصر، وكالوا له من التهكم والشتم ما شاءوا وتركوا الورقة كما وجدوها، وأخيرا نزل القبطان وحده إلى الدهليز، وبعد مدة طلع ومعه كراسة من كرايس "التاريخ"، وقال: أطفئ الأضواء، وأغلق الباب جيدا².

- الجزء الرابع: ظروف الاعتقال في سجن قاليني وتعرضه للاستنطاق:

بعد ذلك، ركب عيسى السيارة مع رجال الشرطة وتوجهوا إلى عدة أماكن في المدينة، وصلوا إلى دار فخمة حيث أمر القبطان بوضع الكاتب في غرفة الحمام ليمضي الليل هناك، وفي الصباح، نُقل الكاتب للتحقيق الأول، حيث استجوبه ضابط غير القبطان بشأن رحلاته ونشاطاته السابقة منذ 1954م، وطلب منه أن يعترف بأنشطته دون سؤال، تم سؤال عيسى عن عدة أمور، بما في ذلك اتصاله بحركة تحريرية وأنشطتها، وكانت الردود سلبية وإيجابية، وتركوه لنفسه بعض الوقت وأخبروه بأنه سيتم استدعاؤه مرة أخرى للتحقيق³.

بعد ذلك، نقلوا عيسى إلى غرفة أخرى داكنة ومظلمة، حيث قضى الليل هناك حتى الصباح التالي، استدعوه مرة أخرى للتحقيق، حيث تم سؤاله مرة أخرى بشدة، ولكنه بقي على أجوبته الأولى، فتغير الأسلوب وبدأوا بضربه وتهديده بالتعذيب، لقد تعرض عيسى لتعذيب شديد بواسطة الكهرباء، ولكنه لم يستسلم وظل يصبر على براءته، أمر عيسى بمزيد من التحقيقات والتعذيب⁴.

فيقول عن هذه الظروف: "أخبرنا لمن بعت الماكينة الكاتبة؟ قلت: "لم أبع لأي أحد هناك على غليانه، وأمر بنزع ثيابي كله إلا السروال، فقلت: لماذا؟ قال: الآن تقول الحقيقة وترى العمل الذي ينطلق بك ما تعرف، وبدأوا القرص بالكهرباء في الأذن أولا، هناك غير السؤال وقال: أريد أن تعرفنا من هو الرجل الذي أتى لكم بالآلة الكاتبة في تاريخ كذا، ثم بعد أيام أتت فتاة وأخذتها في سيارة مع صاحبها، هناك قلت له: لم تسألني عن من أتى، بل قلت لم تبيع؟ ولو سألتني عن هذا لأخبرتكم الحقيقة، هناك عرفت وتحققت أن الفتاة قد أقرت بنا كما أقرت بنحو عشرون

¹ عائلة من بني يزقن.

² نفسه، 317.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

قبلنا، فقلت له قصة هذه الآلة أولاً، وامتناعي عن مسكها وتركها عندنا، وعن جهلي بشخصية هذا الإنسان الذي أتى بها وتهديده، وبعد عذاب أليم من تلك الكهرباء وأنا أتصيب عرقاً، أطلقوني وعداً لملاقاة بعد ساعات للإدلاء بما أعرف من غير هذه الآلة... وكان الجو قارصاً، والرياح شديدة، قال ذلك القبطان تكلم وقال ما تعرف؟ قلت ما قلته سابقاً لا أزيد عليه حرفاً ولا أنقص... هناك أمر بنزع ثيابي ثانياً، وقال للمكلف بالكي: ما هي العملية الأولى؟ قال: عملية القرص في الأدنين، قال: سنرى اليوم أكثر ما ينطقك جبراً، وبدأوا أول عملياتهم بالكي في الصدر أحياناً، وأخرى في البطن، وتارة في الظهر، وهذا الكي الكهربائي يتفاوت قوة وضعفاً حسب أوامر القبطان، وهذا يقع بعد تكثيف الأيدي إلى الخلف، وربط الرجلين في ساق الكرسي، وتغصيب العينين بشيء، وكم الفم بمنشفة أو بمنديل لكي لا يسمع الصوت خارجاً، ولا تسأل ما يقع هناك من الصياح والقفز من أثر ذلك العذاب إلى أن يشبعوا نهمهم من ذلك الإنسان المسكين، ثم يطلقوني وأنا أتصيب عرقاً وألماً من شد تلك الحبال¹

- الجزء الخامس: نشاطه في السجن وعلاقته بالسجناء:

تم إلزام الكاتب بالاختلاط مع المساجين الآخرين في مكان إقامتهم، حيث كانت هناك قاعة كبيرة أمامها حديقة ذات أشجار، كان الموقع يطل على البحر ومناطق محيطة مثل بلكور وحسين داي، المكان كان مرتفعاً وكانت الإضاءة جميلة، وهو عكس السجون والمعتقلات الأخرى التي تشبه الجحيم وتسبب العذاب الشديد، وتميزت المعاملة باللطف والاهتمام، وكان الأكل والنظافة مرتبطان بأولوياتهم، وهذه الظروف جاءت بعد مروره من التجربة الصعبة التي شهدناها، وكانت عبارة عن نعمة من الله وعبوراً من الصراط الصعب، ولو كان ممكناً لهم أن يشاركوا في تلك التجربة لأدركوا مدى الصعوبة التي واجهوها، وأظهر الإخوة السابقون له احتراماً وتقديراً، خاصة بعد أن قدم لهم بعض النصائح والعبر حول الصبر والاحتساب والتجربة التي مروا بها، وكان بعضهم من الشباب المثقفين ذوي العائلات المحترمة².

- الجزء السادس: انتقاله إلى معتقل آخر بتاريخ الثلاثاء 26 مارس 1957 وتعرضه للاستنطاق:

عيسى يشير إلى فترة وجوده في المركز الذي يدعى "سيزيني" في شارع "بري"، والذي كان يقع في مبنى سابق للقنصلية الألمانية، يصف كيف تغيرت الظروف هناك بالنسبة للمركز السابق الذي كان فيه، حيث كانت العذابات أكثر، ويقول إنها لم تكن له بل لمن كان قبله في التحقيق، يصف صعوبة الحياة هناك بسبب ضيق المساحة وعدم وجود الراحة في النوم والأكل وحتى في قضاء الحاجة، يعتبر أنه كان محظوظاً بتواجده هناك لمدة 27 ساعة فقط

¹ نفسه، ص 321

² نفسه، ص 322.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

بسبب أن آخر جلسة استجواب رسمية كانت هناك، وكانت الفتاة التي اعترفت وأقرت أيضًا هناك، وذلك لإجراء مقارنة بين الأبحاث، يشير إلى وقوع حادثة لم يذكر تفاصيلها، ويبدو أنه يتوقع أن يستمع والده إليها في المستقبل من شخص آخر¹.

- الجزء السابع: الانتقال إلى المحتشد يوم الأربعاء 27 مارس 1957 وأوضاعه هناك:

يصف في هذا الجزء من الرسالة تحركه وانتقاله إلى المحتشد الكبير في "بني مسوس" في مساء يوم الأربعاء 27 مارس، يوضح أن المحتشد يقع على رتبة عالية وواسعة، وقد بنيت فيه نحو عشرون (20) قيطونا واسعة لإيواء المساجين، يلاحظ أن الظروف هناك كانت أفضل قليلاً مقارنة بالمراكز السابقة، حيث كانت هناك إمكانية للنوم والأكل بشكل أفضل، يوضح أن المحتشد هو لغرض التصفية، حيث يتم إرسال المساجين إما للخروج أو إلى محتشدات أخرى خارجية، مثل "عين وسارة" أو "برواقية" أو السجون مثل "بربروس" وغيرها، يشير إلى تنوع السكان في المحتشد، حيث يتواجد أطباء وأساتذة وأصحاب رؤوس أموال كبيرة وأشخاص من أوروبا بالإضافة إلى مسلمين من الرجال والنساء، يوضح أنه قضى وقتاً هناك حتى يوم الأربعاء 3 أبريل، عندما نزل إلى قاضي البحث الذي أمر بإعطائه الحرية المؤقتة حتى يتم محاكمته أمام المحكمة المدنية².

- الجزء الثامن: الإفراج عنه ومحاولة الاطمئنان على والده المريض

يختتم عيسى رسالته بتوجيه شكره لله على سلامته وسلامة الآخرين وتأكيدده على الإيمان واليقين بقضاء الله، ويشير إلى تواصله مع الأشخاص المهمين في حياته، ويعبر عن تكدره بسبب مشاكل صحية واجتماعية تعرض لها هو ومعارفه بالعاصمة، يوجه الدعاء لشفاء والده المريض ويعبر عن شكره للدعم والاهتمام الذي تلقاه من الأهل والأصدقاء في الأوقات الصعبة، يشير أيضًا إلى دور الأخوة الصديقة والداعمة في مساعدته في مواجهة التحديات، ويختتم بالتمنيات بالخير والسلام للجميع³.

تفاصيل في الرسالة تحمل حاول الابن عيسى تخفيفها وتقديمها لوالده في رسالة ليطمئن عليه، كما توضح الرسالة ما تعرض إليه أصحاب المطبعة فالحكومة الفرنسية كانت تعتبر المطبعة سلاحاً أيضاً أي أن الرسالة شهادة ناطقة عن وطنية وجهاد عيسى أبو اليقظان عيسى، ودور المطبعة العربية في حرب التحرير والتعذيب الذي تعرض له عيسى ربما هو ما استطاع سرده لوالده بطريقة لا تؤذي والده الذي يحب ابنه هذا وهو ابنه الكبير المسمى عن

¹ نفسه، ص 324.

² نفسه.

³ نفسه.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

والد إبراهيم أبو اليقظان، وقد كان يشعر فيه بأنه خلفه فكلفه بإدارة المطبعة ويبدو أن صفات عيسى تشبه والده فهو واعظ وصابر، يمتلك أسلوبا كتابيا راقيا كما أن الرسالة توضح تكافل المجتمع المزايي فيما بينه أثناء حملة الاعتقالات التي طالتهم في العاصمة، هذه الرسالة كان لها وقع عظيم على إبراهيم أبي اليقظان الذي لم تقسم ظهره حملات التشويه التي طالته ولا الأزمات التي افتعلها الأعداء له، ولا التهديدات التي تعرض لها من قبل الإدارة الفرنسية وتحميد جرائده التي بناها بالحرف والكلمة وما يمتلك من مال وحرمة نفسه وعائلته من لذة الحياة ليتمكن من تموينها، كل هذا لم يزد إبراهيم إلا عزيمته وثباته.

4.3. رسالة أحمد طالب الإبراهيمي إلى ألبير كامو

ولد أحمد طالب الإبراهيمي في 05 جانفي 1932 بسطيف، وهو ابن الشيخ البشير طالب الإبراهيمي وحليمة شوكتلي، وهو الابن الرابع للبشير الإبراهيمي، غادرت به عائلته إلى تلمسان بعد سنة وتربى في منزل يجمعه مع عمته وأبناءها وعاش هناك من 1933 إلى 1941 ثم من 1942 إلى 1945، وقد تأثر بوالده الإبراهيمي أحد علماء الجمعية وأهمهم، فسمع الأناشيد وشاهد المسرحيات وردد الابتهالات التي تمدح الرسول ﷺ كما شاهد والده يقرأ خطابه فيبدو تأثر أحمد بوالده جليا في مذكراته¹، كما كان الإبراهيمي يشاهد شخصيات ثقافية وأخرى سياسية على مستوى الجزائر وخارجها تزور منزلهم بتلمسان من بينهم فرحات عباس، محمد أمين دباغين، إنعام الله خان²، وعبد الحميد بن باديس الذي نصح صديقه البشير الإبراهيمي بتدريس ابنه في المدرسة الفرنسية الابتدائية ليكون على مسار الأمين العمودي المتمكن من اللغة الفرنسية قائلا: "كان والدي معارضا للالتحاق بالمدرسة الفرنسية بسبب محتواها الاغترابي، والدليل على ذلك هو أن أخي، الذي كان عمره تسع سنوات حين قدمنا إلى تلمسان سنة 1933، لم يدخلها، والشيخ ابن باديس هو الذي أقنع والدي بفوائد تعلم الفرنسية خلال زيارته إلى تلمسان في العام نفسه، وقد روى لي أخي أنه كان شاهدا على حديث مثير بين الرجلين بشأنه، وكان ابن باديس يرى أن اللغة الفرنسية ستساعدنا في كفاحنا، مستشهدا بمثال الأمين العمودي، الذي برع في اللغتين، وأفاد بذلك الجمعية، وابن باديس نفسه، هو الذي رافق أخي إلى أقرب مدرسة من أغادير، وهي مدرسة ديسيو التي سيتردد عليها، ويتابع في الوقت نفسه دروس والدي، وقد مكّنه ذلك من إتقان اللغتين بامتياز³".

¹ أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري — أحلام ومحن —، ج 1، دار القصة للنشر، 2006.

² الأمين العام للمؤتمر الإسلامي.

³ نفسه، ص 30.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

سجل في مدرسة ديفو (Dufau) وبالمدرسة أحب أحمد معلما فرنسيا كان يقول لهم: "أحب تعليم الأطفال الجزائريين، إنها طريقتي الخاصة في التكفير عن ذنوب بلدي الذي حمل إليكم بحد السيف الإنجيل، الكحول، السيفلليس¹"، أحمد شهد اعتقالات شملت والده مما جعله يفهم قسوة الاحتلال، وقد حرمت هذه الإقامة الجبرية بأفلو 1940-1943 شباب تلمسان ومترددي محاضرات الشيخ البشير إلا أنه كان فرصة لأحمد وعائلته للجلوس مع الشيخ والانتفاع من دروسه بشكل أكبر وأعمق، وقد قرأ القرآن مع والده وفهم بعض تفاسير السور وحفظ من الشعر العربي وهكذا بدأ ينمو حب الأدب العربي لدى أحمد طالب، وفي تيارت سنة 1942 حصل أحمد طالب على شهادة التعليم الابتدائي، والثانوية كان أحمد يلاحظ الكتابات الجدارية التي كانت تصرخ بإطلاق سراح مصالي والإبراهيمي والده الذي اعتقل مرة أخرى إثر مظاهرات الثامن ماي 1945².

كان أحمد الإبراهيمي مولعا بالأدب خلال فترة دراسته بثانوية ابن ميمون بالعاصمة التي كانت قريبة من المكتبة الوطنية التي قضى فيها ساعات طويلة يقرأ الكتب وقد بدأ معلموه يلاحظون أن له موهبة في الأدب لا سيما الشعر، وقد حاز أحمد طالب على البكالوريا في الطور الأول جوان 1948، ولقد أحب أحمد الكتب وبدأت علاقته تتوطد أكثر مع المطالعة هذه الفترة، حيث كان ينتقص من مصروفه الخاص لشراء الكتب خاصة تلك الكتب القديمة التي يشتريها من ساحة لالير وفي هذه المرحلة قرأ لغوته، فيكتور هوغو، بلزاك، لامارتين، فلوكنر، فلوبيير، تولستوي كما أعجب ما تنشر دار النشر نيلسون³.

يقول أحمد طالب: "ولدت ومعي ميل إلى المطالعة، كنت محاط بالكتب وكانت مكتبة والذي تصحبنا من مسكن إلى آخر وكانت هي غرفة تومي المفضلة، وفي تلمسان لم تبرحني صورة الخزانة الأربع من الخشب المنقوش: كتب عليها عبارات من العربية منها بيت شعر للمتنبي: أعز مكان في الدني سرج سابح، وخير جليس في الأنام كتاب وأضيفت المكتبة الخامسة من العاصمة لتمامها كتب الفرنسية التي اقتنيناها أنا وأخي⁴"

أراد أحمد نشر مقالاته الأولى بالعربية إلا أن الإبراهيمي والده لم يوافق على نشرها بحجة أن لغته العربية لم تكن ناضجة فقل له: "وشرعت في كتابة مقالاتي الأولى باللغة العربية أملا نشرها في البصائر، وكانت في غالبها

¹ نفسه، ص 32.

² نفسه، ص 48.

³ نفسه.

⁴ نفسه، ص 49.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

تقارير عن النشاطات الثقافية في مقر الجمعية، لكن والذي كان يرفضها، طالبا مني أن أحسن أسلوبني بالقراءة المستمرة، وكان يوصيني قائلا: قبل أن تكتب يجب أن تحسن القراءة، وقبل أن تتكلم يجب أن تحسن الإصغاء¹

في الطور الثاني للباكالوريا نجح أحمد سنة 1949 واختار تخصص الطب طامحا في طب الأمراض العقلية فقال في مذكراته عن سبب اختياره لهذا التخصص: "كنت أطمح إلى التخصص بعد ذلك في طب الأمراض العقلية وهو التخصص الوحيد الذي كان يبدو لي جامعا بين الصرامة العلمية وميولي الأدبي"²

أهداه البشير الابراهيمي نسخة نادرة من كتاب القانون لابن سينا يعود تاريخ طباعته لعام 1593م، وقد التحق أحمد بكلية الطب العام الأولى التحضيرية في 1949 وقد تخلى عن منحة المقدمة من الحكومة الفرنسية بنصيحة من والده، وبدأ نشاطه كطالب مسلم فانضم إلى جمعية الطلبة لشمال إفريقيا المسلمين الذين كان معظمهم داخل صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بلغ عددهم عشرة طالب وفي هذه المرحلة قرأ أحمد طالب الأدب الفرنسي وقرأ لبول إيليار (Paul Éluard)³، ريجين ديفورج (Régine Deforges) وغيرهما، وقد بدأ يقارن بعض الكتابات بالواقع وينقد فاعتبر كتاب اني اخترت الحرية لفكتور كرافت شيتكو كتابا كاذبا من نسج الخيال⁴.

أنشأ أحمد طالب جريدته باللغة الفرنسية الشاب المسلم⁵ (Le jeune Musulman) وهي جديدة صدر عددها الأول في جوان 1952، وقد عرض في البداية فكرتها على العربي التبسي ومحمد خير الدين وأحمد توفيق

¹ نفسه، ص 57.

² نفسه، ص 59.

³ بول إيليار (1895-1952): واسمه الحقيقي أوجين إميل بول غراندل، من أبرز شعراء فرنسا في القرن العشرين ومن المؤسسين البارزين للحركة السريالية، وُلد في 14 ديسمبر 1895 بمدينة سان دوني، وتوفي في 18 نوفمبر 1952، بدأ مسيرته الشعرية خلال الحرب العالمية الأولى، حيث تأثر بتجربته كمرض عسكري، وهو ما انعكس في أولى أعماله مثل: قصائد من أجل السلام (1918)، تميز شعره بالعاطفة العميقة والتصوير الرمزي، وكان لزوجتيه، غالاً ونوسش، أثر كبير في إلهامه الشعري، انخرط في حركة الدادا ثم أصبح ركيزة في التيار السريالي إلى جانب أندريه برتون، من أبرز أعماله عاصمة الألم (1926) والحرية (1942)، الأخيرة أصبحت نشيداً رمزياً في المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي، جمع إلوار بين الشعر والنضال، وظل صوته حاضراً في قضايا السلام والحرية حتى وفاته، يُدفن في مقبرة بير لاشيز بباريس، ينظر:

Nicole Racine, (19 avril 2022), ÉLUARD Paul Pseudonymes : Didier Desroches, Brun, Jean du Haut, Maurice Hervent, maitron, consulté le 18 novembre 2024, sur le site : <https://maitron.fr/spip.php?article24290>

⁴ أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري...، ج1، المصدر السابق، ص 65.

⁵ جريدة الشّاب المُسلم: هي صحيفة وطنية إصلاحية جزائرية باللغة الفرنسية، صدرت بين عامي 1952 و1954، وكانت لسان حال شباب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالفرنسية، ساعية إلى ربط الصلة بين المثقفين باللغتين العربية والفرنسية، تميزت بخطابها الوطني والدعوي إلى الإصلاح، العروبة، والإسلام، على غرار ما كانت تدعو إليه صحف مثل البصائر والمنار، وقد أسهم فيها العديد من الأفلام الجزائرية البارزة مثل مالك بن نبي، ود. عبد العزيز خالدي، وكانت مختلفة عن الصحافة الفرنسية التي سيطرت عليها سلطات الاحتلال، إذ جاءت لتعبر عن صوت وطني صادق في مرحلة ما قبل اندلاع الثورة التحريرية، ينظر: محمد ياسين رحمة، (26 أكتوبر 2023)، "الشّاب المُسلم" جريدة "إصلاحية" بالفرنسية، الأيام نيوز، استرجع بتاريخ 18

ديسمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://elayemnews.dz/>

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

المدني واعتبروها مقدمة لحركة شباب الجمعية، وقد أدار الجريدة عطاء الله سوفاري وأشرف على المطبعة والاشتراكات والتوزيع، بريد القراء، أما هيئة التحرير أشرف عليها علي مراد¹.

هذه الدورية نصف شهرية دامت (1952 - 1954)، يطبع منها 10 آلاف نسخة لكل عدد، من بين الأمور الادبية التي نوقشت في هذه الدورية نقد لرواية مولود معمري الربوة المنسية من قبل عبد القادر فارس الإيمان، وقد كتب في هذه الدورية مالك بن نبي، كما تمت لدى أحمد طالب المطالعة حول الإسلام وفلسفته وقراءة ما كتبه الآخرون عن الاسلام وأعجب بأفكار أحمد رضا وغيره، وكان كل القائمين على الجريدة متطوعون، وقد نشر في هذه الجريدة يوسف الغفاري أشعاراً وهو اسم مستعار للشاعر محمد البجاوي، كما أرسل أحمد شامي أشعاره أيضاً من عين الصفراء².

قامت الادارة الفرنسية باستدعاء طالبي للخدمة العسكرية الايقاف نشاط جريدته واعتبرته هارباً عن الخدمة وقد تدخل فرحات عباس لاطلاق سراحه³، ويقول: "كنت أحتقن في جو من العنصرية آخذ في التفاقم، إن الظاهرة الاستعمارية لا تقرأ في الكتب، وإنما يعيشها الإنسان بامتحان جسده وكرامته"⁴

فيوم وصول طالب إلى باريس كان هو اليوم الأول لاندلاع الثورة التحريرية في الجزائر وقد تابع أحمد طالب في هذه الفترة جدل الأدباء حول الثورة في المجالات مثل كامو ألبير وجون بول سارتر وقد أعجب بأفكار إيمانويل موني⁵ (Emmanuel Mounier) الذي كانت أفكاره تنشر في مجلة اسبيرت (Esprit) فمن المقولات التي أعجب بها أحمد لهذا الكاتب: "الثورة ليست كلمة نبيلة ولا هي مطمئنة فأصدقائها هم الأيدي القذرة والأفواه المرة والرجال الخشنون، وإذا كانت كلمة ثورة محقة رغم بعض وساختها، فلأنها مكثت طويلاً بجانب أولئك الذين يتلقون الضربات ضربات الدهر وضربات السلطة وضربات الشرطة وبجانب القابعين في دهاليز الاضطهاد حيث بقايا من الاحساس الغريزي بالعدل"⁶ ويقول هذا الكاتب أيضاً: "جبهة التحرير الوطني هي محط أمل اليائسين"⁷.

¹ نفسه، ص 65.

² نفسه، ص 72.

³ نفسه.

⁴ نفسه، ص 82.

⁵ إيمانويل موني (1905-1950): فيلسوف وكاتب فرنسي، ومؤسس "الفلسفة الشخصية". اشتهر بتأسيس مجلة "إسبري" (Esprit) عام

1932، ودعا إلى بناء مجتمع روحي وإنساني يرفض الاستغلال الرأسمالي والتسلط، معتبراً أن "الشخص" هو جوهر الوجود الحر والمسؤول.

⁶ نفسه، ص 93، ينظر:

Jean-Marie Domenach, Emmanuel Mounier, Éditions du Seuil, Paris, 1972.

⁷ نفسه.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

أصدر جريدة الطالب الجزائري سنة 1955 في فرنسا، وصدر منها ثلاث أعداد، وحاول طالب أحمد الدخول في معركة يدافع عنها الادباء الفرنسيون إلى جانبهم، أدباء أبحروا العالم بكتاباتهم حول الانسانية والحرية والثورة والمساواة والعدالة، وكانت لقاءات أحمد كالتالي:

- عام 1955 التقى أحمد بموريك في منزله لاقناعه بأن يفعل أي شيء ضد التعذيب في الجزائر كما فعل مع محمد الخامس الذي قاموا بعزله فكتب موريك عنه آنذاك، تحدث أحمد يشعف ممزوج بتعصب على حد تعبيره وكان الرد من موريا: "تعلمت منذ طفولتي أن الجزائر هي ثلاث مقاطعات فرنسية يلزمك يا بني الكثير من الوقت والصبر لاقناعي يعكس ذلك"¹.

- نفس العام أي 1955 اتصل بألبير كامو مرتين الأولى في مكتبه الواقع بدار غاليمار للنشر والثانية في مكتب الشانزر ايليزي، فلم يترك كامو لأحمد أي فرصة للحوار وقد فهم أحمد أنه يحاول المراوغة باللغة، وفي اللقاء الثاني أثار أحمد قضية التعذيب ولكن كامو أيضا كان يتحدث بلغة ودية منمقة، كان كامو يشعر بالحيرة عن مصير الاقدام السوداء².

بدأ طالب أحمد نشاطه في الثورة في مارس 1956 تحت اسم نضالي (الطاهر) وقد كان له أمل كبير في الثورة إلا أنه بدأ يشعر بخيبات الأمل حين تشوهت صورة قادتها وقد بدأ يلاحظ تدمير التونسيين من المشاكل الجزائرية التي وصلت إلى التراشق بالرصاص، شارك أحمد في توصيل الأسلحة والذخائر في فرنسا عبر القطار إلى الباخرة الزاهية نحو الجزائر وقد استعان بأصدقاء فرنسيين، وكذلك شارك في الاجتماعات السرية بفرنسا وفي أحد هذه الاجتماعات تم اعتقاله بتاريخ 26 فيفري 1957 وقد تم سجنه يوم 28 مع رفاقه في سجن فران في زنزانة رقم 497 دامت فترة سجنه من فيفري 1957 إلى 1961³.

نشاطاته خلال السجن كانت الاضراب عن الطعام لتحسين وضعهم فتم نقلهم باعتبارهم سجناء سياسيين ومن سجن فران أصبح أحمد سجيناً في المصححة الملحقة مع رفاقه في 02 أفريل وخلال الفترة قرأ أحمد الكتب من المكتبة المتواجدة بالمصححة وتابع المجلات والجرائد المتحدثة عن أخبار الجزائر المسرية إليهم عن طريق المحامون⁴.

¹ نفسه، ص 96.

² نفسه.

³ نفسه، ص 121.

⁴ نفسه، ص 122.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

من الكتب التي قرأها: ذكريات بيت الموتى لدستوفيفسكي¹ حيث قال: "أما فيما يخص الأدب الأجنبي، فإن دستوفيفسكي الذي كنت اعتبره من أعظم الكتاب الذين سبّروا أغوار النفس الإنسانية، صرت أفضله أكثر بفضل عمله ذكريات بيت الموتى، ولم أستغرب لماذا أبكت قراءة هذا الكتاب قيصر روسيا، بينما لم يحرك إمبراطور النمسا ساكنا أمام "سجوني لسيلفيو بليكو الكتاب المفضل لدى السجناء السياسيين"²، وقد لاحظ حبه هذه الفترة لأدب السجون، كما قرأ كتاب سجوني لسيلفيو بليكو³ (Silvio Pellico) وكتاب رسائل من السجن لانتونيو غرامشي⁴ (Antonio Gramsci)، ورسائل من السجن⁵ لشارل موارس⁶ (Charles Mauras) وحياتي وسجوني لنهرو⁷.

¹ Dostoïevski, Fiodor, *Souvenirs de la maison des morts*, Traduit par M. Neyroud, préfacé par Eugène-Melchior de Vogüé, Paris : Plon, 1886.

² أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري...، ج1، المصدر السابق، ص 135.

³ سيلفيو بيلليكو (1854-1891): هو كاتب ومسرحي ووطني إيطالي وُلد في مدينة سالوتسو وتوفي في تورينو، يُعرف بشكل خاص بكتابه الشهير "Le mie prigioni" (سجوني)، الذي وثق فيه معاناته خلال فترة اعتقاله من قبل السلطات النمساوية بسبب انخراطه في أنشطة سياسية سرية مناهضة للحكم النمساوي في شمال إيطاليا، كان بيلليكو منخرطاً في جمعية "الكاربوناري" الثورية، واعتُقل سنة 1820 وقضى ثماني سنوات في سجون قاسية، أثر كتابه في الوعي الأوروبي حول القمع السياسي، ولاقى شهرة واسعة بفضل أسلوبه الإنساني والمؤثر، مما جعله رمزاً للنضال من أجل الحرية والوطن، ينظر:

Jean-Claude Vimont, (2012), *Silvio Pellico, Mes prisons: un "best-seller" de l'édification*, consulté le 10 Mars 2025, sur le site : <https://journals.openedition.org/criminocorpus/1946?lang=it>

⁴ أنطونيو غرامشي (1891-1937): هو مفكر ماركسي إيطالي بارز، عُرف بتحليلاته العميقة حول العلاقة بين السلطة والثقافة، طوّر مفهوم "الهيمنة الثقافية"، حيث رأى أن الطبقة الحاكمة لا تسيطر فقط بالقوة، بل من خلال فرض قيمها وأفكارها على المجتمع عبر مؤسسات مثل التعليم والدين والإعلام، أكد على دور "الثقاف العضوي" المنتمي للطبقات الشعبية في قيادة التغيير الاجتماعي، وميّز بين المجتمع السياسي (أداة القمع) والمجتمع المدني (أداة التوافق)، أسهمت أفكاره، التي كتب معظمها أثناء سجنه من قبل النظام الفاشي، في تطوير نظرية سياسية واجتماعية تؤكد أن التغيير الحقيقي يبدأ من الوعي والثقافة قبل الوصول إلى السلطة، ينظر:

Clark, Martin (1977), *Antonio Gramsci and the Revolution That Failed*, New Haven: Yale University Press, USA, p17.

⁵ Charles Mauras, *Lettres de prison 8 Septembre 1944-16 Novembre 1952*, Edité par Flammarion, France, 1958.

⁶ شارل موارس (1868-1952): كان كاتباً وصحفيّاً ومنظراً سياسياً فرنسياً، وُلد في مدينة مارتينغ، فقد سمعه في سن مبكرة، ما دفعه للتوجه نحو دراسة الآداب الكلاسيكية، وشارك في تحرير عدد من المجلات الأدبية، يُعتبر المؤسس والمنظر الرئيسي لحركة "العمل الفرنسي" (Action française)، وهي حركة ملكية قومية، دافع من خلالها عن "القومية الشاملة" التي تنادي بعودة الملكية ورفض النظام الديمقراطي البرلماني، انتُخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية عام 1938، وتسلم مقعده رسمياً في 1939، بعد الحرب العالمية الثانية، حُكم عليه بالسجن مدى الحياة بسبب دعمه لنظام فيشي المتعاون مع الاحتلال النازي، وتم تعليق عضويته في الأكاديمية، توفي في مدينة تور عام 1952، ينظر:

Yann Lagarde, (26 novembre 2021), *Que veut dire être "maurassien" aujourd'hui*, radiofrance, consulté le 11 Mars 2025, sur le site: <https://www.radiofrance.fr/franceculture/que-veut-dire-etre-maurassien-aujourd-hui-3832244>

⁷ أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري...، ج1، المصدر السابق، ص 136.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

في السجن زارتهم سجينات مناضلات وقد التقى بجميلة بوحيرد التي قالت له ولرفاقه "يبدو أنه في الوقت الذي كحات الاخوات يضربون عن الطعام كنتم أنتم الخمسة تتلذذون يأكل السلمون والكافيار"¹، وقد قام أحمد بمراسلات داخل السجن من بينهم كلود روا² (Claude Roy) وحيدر بامات³ ورينييه حبشي⁴ (René Habachi) وجاك بيرك⁵ (Jacques Berque)، ومكسيم رودستون (Maxime Rodinson) وعبد القادر محداد⁶ وجميعهم قاموا بالرد عليه ووصل بهم إلى زيارته إلا ألبير كامو (Albert Camus) الذي فتح رسالته ولكنه لم يرد عليه.

¹ نفسه، ص 136

² كلود روا (1915-1997): وهو شاعر وروائي وناقد وصحفي فرنسي، بين المثقفين الفرنسيين الذين اتخذوا موقفًا ناقدًا للاستعمار الفرنسي عُرف بانخراطه في قضايا الحرية وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها. وبعد أن كان قريبًا من بعض التيارات السياسية في شبابه، انخرط في المقاومة الفرنسية خلال الحرب العالمية الثانية، ثم أصبح من أبرز الأصوات الفكرية التي انتقدت السياسات الاستعمارية، وأعلن تأييده لحق الشعب الجزائري في الاستقلال، وهو ما جعل كتاباته ومواقفه تُعد جزءًا من المساندة الفكرية الأوروبية للقضية الجزائرية، ينظر:

Grégory Cingal, (4 juillet 2022), ROY Claude, maitron, consulté le 26 Aout 2024, sur le site : <https://maitron.fr/spip.php?article172057>

Peter France, *The New Oxford Companion to Literature in French*, Oxford University Press, Oxford, 1995, p 234.

³ حيدر نجم الدين بامات (1889-1965): كان سياسيًا ومفكرًا وحقوقيًا قوقازيًا بارزًا من قومية الكوميك في داغستان، شغل منصب وزير خارجية "جمهورية شمال القوقاز الجبلية" بين عامي 1918 و1920، بعد سيطرة الشيوعيين على القوقاز، لجأ إلى باريس عام 1921، حيث واصل نشاطه السياسي والثقافي، وأصدر مجلة "القوقاز" بعدة لغات، وترأس "مركز المهجرين السياسيين القوقازيين في باريس"، ألف عدة كتب عن القوقاز والإسلام، أبرزها "مجلي الإسلام" الذي تُرجم إلى العربية وصدر في القاهرة عام 1956، و"مساهمة المسلمين في الحضارة" الصادر في جنيف عام 1962، دعا في كتاباته إلى تحالف الدول الإسلامية وتطويرها، توفي ودفن في مقبرة إسلامية قرب باريس، ينظر: أمين قاسم، (19 فيفري 2022)، "حيدر بامات" ..

أحد أعلام داغستان الكبار، أوكرانيا برس، استرجع بتاريخ 10 مارس 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://ukrpress.net/node/17988>

⁴ رينييه حبشي (1915-2003): كان فيلسوفًا وأستاذًا جامعيًا لبنانيًا وُلد في القاهرة، تلقى تعليمه في مصر، ثم انتقل في العشرين من عمره إلى فرنسا لمتابعة دراسته الجامعية في باريس وغرونوبل، كان فرانكوفوني اللغة والثقافة، واهتم بالفكر الإنساني المتوسطي، حيث ركز على العلاقة بين الإنسان والوجود، وسعى إلى بناء فلسفة تجمع بين البعد الروحي والبعد الاجتماعي، يُعتبر من أبرز المفكرين الذين حاولوا التوفيق بين الفكر الفلسفي الغربي والهوية الثقافية العربية، ينظر: جورج طرابيشي، *معجم الفلاسفة*، دار الطليعة بيروت-لبنان، 2006، ص 272-273.

⁵ جاك بيرك (1910-1995): كان مستعربًا وعالم اجتماع فرنسيًا وُلد في فرنده بالجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، ويُعد من أبرز المفكرين الذين سعوا إلى فهم المجتمعات العربية من الداخل وبعيدًا عن النظرة الاستشراقية التقليدية، دَرَس في كوليج دو فرانس كأستاذ لتاريخ الإسلام الاجتماعي المعاصر، وأسهم بعمق في الحوار الثقافي بين العالمين العربي والغربي، من أبرز أعماله كتاب "إعادة قراءة القرآن"، حيث قَدَم ترجمة وتأويلًا حديثًا للنص القرآني، إلى جانب مؤلفات مثل "أي إسلام؟" و"العرب، الإسلام ونحن"، التي تناول فيها التنوع الإسلامي والعلاقات بين الشرق والغرب، يُعتبر بيرك صوتًا مميزًا في محاولة التقريب بين الثقافات من خلال البحث العلمي والاحترام المتبادل، ينظر:

Mohamed Kerrou, « Jacques Berque et les villes de l'Islam », *Open Edition Journal*, n° 107-110, 2005, p483-500.

⁶ عبد القادر محداد (1896-1994): كان مفتشًا أكاديميًا ومثقفًا بارزًا في الجزائر، درس في تلمسان ثم عمل في التدريس بعد حصوله على شهادة في الأدب واللغة العربية، واجه عراقيل مهنية بسبب التزامه السياسي، إذ دعم المؤتمر الإسلامي الجزائري ومطالب إلغاء القوانين التمييزية ضد الجزائريين، كان ناشطًا في المجال الثقافي، فساهم في مجلة الضمائر الجزائرية المناهضة للاستعمار، وكتب عن الأدب الأندلسي وترجم أعمالًا هامة، منها عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد المغربي، كما كان عضوًا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بعد الاستقلال، كُلف بمهام بحثية في التراث الجزائري، خاصة في تركيا، ينظر:

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

طلب كلود روا وهو شاعر وناقد وروائي من أحمد طالب أن يسمح له بالاحتفاظ بنسخة من رسالته وأخبره أن رسائله تحمل قيمة أدبية، هو السبب الذي شجعه لتنشر مجموعة الرسائل¹ تحت اسم رسائل من السجن²، ويقول أحمد عن السجن: "إن السبحة هو المكان الأمثل لمعرفة المرء لرفاقه بكل محاسنهم ومساوئهم ومدى مطابقة أفعالهم لأقوالهم، إنه المكان الذي يعرف فيه المرء ذاته أيضا"، وبسبب اشتباه طيب في السجن يمرض أحمد ومع تدويل القضية الجزائرية غادر سجن فران في 08 سبتمبر 1961.

بخصوص الرسالة التي أرسلها أحمد طالب الإبراهيمي إلى الكاتب والفيلسوف ألبر كامو فقد كانت بتاريخ 26 أوت 1959 من السجن وكما سبق الذكر فإن أحمد طالب كان قد التقى بألبر كامو مرتين وموضوع اللقاءين كان حول التحرك للتحديث عن التعذيب والقمع الذي يتعرض إليه الجزائريون، وبعد أربعة سنوات قرر أحمد طالب مجدداً التحديث إلى ألبر كامو هذه المرة كانت الرسالة كمحاكمة بين أديب وأديب، فكانت هذه الرسالة مفتوحة دون رد من ألبر كامو أي أنه قرأها ولم يرد، هذه الرسالة التي يمكننا تقديم ملخصها:

في مستهل رسالته، يعرض أحمد طالب الإبراهيمي لألبر كامو مضمون الرسالة بشكل مباشر، مؤكداً أن القضايا الإنسانية لا تحتمل الانتظار وتتطلب اتخاذ موقف حازم للدفاع عن المظلومين، ويرى أن هذه المعارك الأخلاقية يقودها كبار المفكرين المعروفين بدفاعهم عن قيم الحرية والمساواة، ومن بينهم ألبر كامو (Albert Camus)، الذي تحظى أفكاره بإعجاب عالمي واسع وله قراء أوفياء، وبناءً على مبادئه، يُفترض ألا يتخلف عن الوقوف مع من يناضلون من أجل الحرية.

يربط أحمد طالب بين نداء الضمير الإنساني في تلك المرحلة من التاريخ وبين مقاومة الاحتلال الفرنسي الذي ارتكب جرائم بشعة في الجزائر، مشيراً إلى أن العالم استنكر هذه الأفعال، ما عدا فرنسا التي كانت ردودها بطيئة، خاصة من جهة المثقفين والكتاب.

يستعرض الإبراهيمي مواقف أدباء فرنسيين مثل مارتين دوغار (Martin du Gard)، أندريه مالرو (André Malraux)، وموريس موريال (Maurice Mourial) الذين أبدوا مواقف واضحة في رفض الظلم، شأنهم شأن فولتير (Voltaire) الذي فضح مظلمة كالاس، وفكتور هوغو (Victor Hugo) الذي ندد بجرائم

A.Messaoudi, Op. cit, 2015, p 80.

¹ أحمد طالب الإبراهيمي، رسائل من السجن، تع: الصادق مازيغ، الدار التونسية للنشر.

² أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري...، ج1، المصدر السابق، ص 137

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

نابليون الثالث، وبير لوتي (Pierre Loti) الذي تعاطف مع تركيا في لحظات ضعفها، وأميل زولا (Émile Zola) الذي واجه الشتائم والضرب دفاعًا عن دريفوس.

ثم يعرّج على قضية حظر كتاب "التعذيب"، متأسفًا لغياب صوت ألبير كامو عن هذه المعركة الأخلاقية، ما أصاب محبيه بالدهشة، خصوصًا من كانوا يرونه "كامو الجزائري"، ويعبّر عن خيبة الأمل حين لم يُظهر كامو أي موقف يُذكر، رغم الانتظار الطويل من قبل الجزائريين.

في انتقال من الطابع العام إلى الخطاب الموجّه مباشرة لكامو، يعيد أحمد طالب التذكير بتأثير كتابات كامو عليه وعلى زملائه التلاميذ الذين كانوا يعتبرونه واحدًا منهم، بل أحد أبناء الجزائر الذين بلغوا قمة المجد، ويذكر أنه من أوائل الكتاب غير المسلمين الذين التفتوا إلى البؤس الإنساني في الجزائر، بدلًا من الاكتفاء بوصف سحر الطبيعة، مشيدًا بمقولته الشهيرة: "الجزائر وطني الحق، وإني أينما كنت في الأرض، أتعرف إلى إخوتي من أبنائها بما يملكني من تهلل لرؤيتهم"، مؤكّدًا أن الجزائر ليست فقط طبيعة خلابة، بل هي بشر يشعرون ويفكرون ويعملون.

ينتقد أحمد طالب الإبراهيمي بشدة موقف ألبير كامو (Albert Camus) المعارض لاستقلال الجزائر، ويُعبّر عن استنكاره لما يعتبره ازدواجية في مواقف كامو ومناصريه تجاه نضال الجزائريين من أجل التحرر، ويشير إلى أن كامو كان "من ألدّ المعارضين لحصول وطنه على استقلاله"، في تعبير يحمل نبرة واضحة من خيبة الأمل، حيث يُذكر بأن كامو اعتبر مشروع الاستقلال بمثابة "تخلّ" من طرف الحكومة الفرنسية و"عجز" في إدارة المستعمرة، وهي أوصاف توحى بعدم مشروعية الحركة التحررية من وجهة نظره.

يسخر الإبراهيمي من هذه المواقف واصفًا تعاطف كامو مع الجزائريين بـ "الرأفة الأبوية المصطنعة"، معتبرًا أنها تغلّف موقفًا استعماريًا يسعى إلى استمرار الهيمنة الفرنسية، تحت غطاء إنساني زائف، ويكشف أن كامو كتب بأن الجزائريين "يلقون بأنفسهم في البؤس"، بينما في الحقيقة — كما يرى أحمد طالب — فإن كامو ذاته يسهم في بؤسهم من خلال تبريره لاستمرار الاحتلال.

لإبطال مزاعم كامو وأتباعه، يستشهد الإبراهيمي بقول ريمون آرون¹ (Raymond Aron): "إنه لا يبدو في نظرنا من باب الحل المثالي لقضية انتشار الجزائر من بؤسها أن يوجه إليها بجيش يربو عن 400.000 من

¹ ريمون آرون (1905-1983): هو مفكر وفيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، يُعدّ من أبرز الأصوات الليبرالية في الفكر السياسي الفرنسي في القرن العشرين، تخرّج من المدرسة العليا للأساتذة (École normale supérieure) وكان زميلًا لجان بول سارتر، لكنه خالفه فكريًا واتخذ موقفًا نقديًا من الماركسية والشيوعية، اشتهر بمواقفه الواقعية والبراغماتية، خاصة في تحليله للصراعات الدولية خلال الحرب الباردة، عُرف بدعوه لفكرة الديمقراطية الليبرالية ورفضه للنزعات الثورية الراديكالية، كما تميز بنقده للهيمنة الأيديولوجية اليسارية على الساحة الفكرية الفرنسية، ورغم كونه محافظًا نسبيًا، فقد عبّر في =

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

الجنود"، في إشارة إلى أن الرد العسكري الفرنسي لم يكن حلاً إنسانياً أو عقلائياً، بل تعبيراً عن عنف الدولة الاستعمارية.

يلخص أحمد طالب الإبراهيمي موقفه من مواقف ألبير كامو تجاه القضية الجزائرية، فيرفض أولاً حجة "عدم شرعية" استقلال الجزائر بسبب غياب موافقة الرأي العام الفرنسي، ويسائل كامو بحدة عن سبب تجاهل أصوات الجزائريين المطالبة بالتحرك: "فليت شعري كيف أهملتم دوماً الاستشهاد بأقوال الشق المعارض لكم في هذا الصدد؟"¹. ويؤكد أن الثورة الجزائرية ليست حركة انتقام، بل مشروع تحرري يعترف بالأوروبيين "كأفراد لهم كيان ذاتي"، ويحمل الاحتلال مسؤولية المآسي، لا الثورة.

كما ينتقد الإبراهيمي انصراف كامو ومن معه عن القضايا الجوهرية كالقمع والانتخابات المزورة نحو الاهتمامات الفنية، قائلاً: "أجل إنكم ما تزالون رافعين عقيرتكم بالذنب عن معاصريكم الممتهين في كرامتهم". ويصف القمع الذي يتعرض له الجزائريون: "فنحن اليوم يسلطون علينا في منازلنا وفي غياهب السجون، وفي أحيائنا الريفية وفي المحتشدات"²، مشيراً إلى الاعتقالات والتعذيب والتضييق على الحريات، ثم يتهم كامو بالصمت والحذر المريب أمام الظلم، معتبراً موقفه مستهترة ومنحازة للعنف الاستعماري، وأنه يفتقر إلى الحس الإنساني الصادق، وفي الختام، يحيي الإبراهيمي الثورة والمقاومين، مؤمناً أنهم هم من سيننون مستقبل الجزائر على أسس الحرية والكرامة والعدالة.

في خاتمة رسالته، يدعو أحمد طالب الإبراهيمي ألبير كامو وكل من يشبهه إلى الانضمام إلى النضال من أجل الحرية والعدالة في الجزائر، مؤكداً أن الجزائريين، ومن بينهم كامو، يجب أن يتحلوا بالحماس والشجاعة في مواجهة التحديات هذه المرة، يوجه نقدًا لاذعًا لأولئك الذين مجّدوا كامو وتغنّوا بكتابات، واصفاً إياهم بأنهم يصنعون له أكاليل من الثناء رغم التناقض بين أقواله وأفعاله، مذكراً بأنهم لا يزالون يقدمونه كـ "رجل المسرح" الذي يختلف ظاهراً عن حقيقته.

=عدة مواقف عن تعاطفه مع الشعوب المستعمرة، ورفض الحلول العسكرية التي انتهجتها فرنسا في مستعمراتها، كما في الحالة الجزائرية، حيث اعتبر أن إرسال مئات الآلاف من الجنود الفرنسيين إلى الجزائر لا يمكن أن يكون حلاً لإنهاء معاناة الجزائريين، ينظر:

Jean-Louis Swiners, (13 avril 2025), **Raymond Aron, penseur du 21e siècle ?**, radiofrance, consulté le 20 avril 2025, sur le site : <https://www.radiofrance.fr/franceculture/podcasts/signes-des-temps/une-conception-originale-de-nos-societes-modernes-la-pensee-de-raymond-aron-1744974>

¹ أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري...، ج 1، المصدر السابق، ص 87.

² نفسه، ص 88.

الفصل الثاني: ————— الكتابات المسرحية والرسائل

تمنحنا هذه الرسالة، التي كتبها أحمد من داخل السجن، نظرة عميقة إلى نفسيته ونفسية المثقفين الجزائريين الشباب المسجونين في فرنسا، المحملين بمشاعر الغضب وخيبة الأمل والثورة تجاه المفكرين الأوروبيين، وخاصة أولئك الذين يتحدثون عن القيم الإنسانية ويحصدون الجوائز العالمية بينما يتجاهلون المعاناة الحقيقية.

يبرز أحمد طالب في هذه الرسالة كمقاتل في معركة فكرية وأدبية، حيث واجهت أقلامًا جزائرية صغيرة أقلامًا فرنسية كبيرة مشهورة، حائزة على أرقى الجوائز الأدبية، مثل كامو، يتضح أيضًا متابعته الدقيقة للصحافة الفرنسية وكتابات الأدباء الأوروبيين، حيث يضع كامو في مواجهة مباشرة مع تصريحاته ومواقفه السابقة حول الجزائر.

يُرجّح أن حدة وصراحة الرسالة جعلت كامو يلتزم الصمت ولم يردّ، ما دفع الإبراهيمي إلى تفسير هذا الصمت بالخوف من احتمال استقلال الجزائر، وقد أصبحت هذه الرسالة، التي لم يتلقَ عنها جوابًا، آخر ما كُتب في حوار غير مكتمل، إذ توفي ألبيير كامو في حادث سيارة يوم 04 4 1960، بعد أشهر من تلقي الرسالة.

خلاصة:

تكشف النماذج التي تناولها هذا الفصل من الكتابات المسرحية والرسائل الأدبية عن حضور فاعل للكتابة الأدبية الجزائرية بوصفها أداة تعبيرية واعية، تستند إلى البناء الفني والجمالي أكثر من اعتمادها على مجرد السرد أو الإخبار، فالكتابة المسرحية عند رشيد القسنطيني في بابا قدور الطماع، أو عند محمد العابد الجلالي في مضار الجهل والخمر والحشيش والقمار، لم تكن مجرد تمثيل لواقع اجتماعي أو تقليد لأساليب تعبيرية سائدة، بل جاءت محملة برؤية نقدية وسخرية هادفة، وظّفت الحوار الرمزي والتجسيد الدرامي لتفكيك الظواهر السلبية ومواجهة التخلف، ضمن خطاب ثقافي يحمل بصمة أدبية واضحة، وهو ما نجده كذلك في الخليفة محمد ولد الشيخ أغا وأدباء المظهر لأحمد رضا حوحو، اللتين وظّفتا الشخصيات والصراعات لتعرية الزيف الاجتماعي والديني بأسلوب أدبي محكم.

أما في رسائل أمثال جان عمروش إلى والدته، أو رسالة العربي التبسي إلى أبو القاسم سعد الله، أو حتى رسالة مولود فرعون إلى ألبير كامو، فنحن أمام نصوص لم تُكتب على سبيل العفوية أو البوح العادي، بل صيغت بأسلوب أدبي عميق يمزج بين الذاتية والفكر، وبين اللغة الوجدانية والرسالة الرمزية، هذه الرسائل تنبع من خلفيات ثقافية ومعرفية راسخة، وهي تحمل ملامح فن أدبي متكامل يميزها عن الكتابات اليومية أو الرسائل العادية، كما في رسالة أحمد طالب الإبراهيمي إلى كامو أو رسالة عيسى أبو اليقظان إلى والده، حيث تتحول الكتابة إلى شكل من أشكال المواجهة الرمزية والفكرية مع الاحتلال ومع الذات في آنٍ واحد، لقد كانت الكتابة الأدبية هنا ليست مجرد وسيلة بل جوهرًا وهوية، ونمطًا مميزًا في مقارنة الحياة والتاريخ والنضال.

الفصل الثالث: الكتابات الشعرية

أولاً: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي

ثانياً: نماذج من الشعر الذاتي

ثالثاً: نماذج من الشعر الملتزم.

رابعاً: نماذج من الشعر الغنائي والطبيعة والرياء.

خامساً: نماذج من شعر الإخوانيات وتعريب الشعر.

في هذا الفصل، سنكشف كيف تجسد الكتابات الشعرية التنوع الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي مر به المجتمع الجزائري، من خلال أنماط مختلفة من الشعر تتراوح بين الوجداني، والإيديولوجي، والفني، والإنساني، هذا الفصل سيأخذنا في رحلة عبر تجارب شعراء مختلفين، تكشف عن عمق العلاقة بين الشعر والواقع، وكيف شكّل الشعر منبراً للتعبير عن الذات والنضال.

عبر هذا الاستكشاف، سنقف على نماذج شعرية مختارة تعكس أبعاداً متعددة، بداية من مشاعر الحزن والغزل إلى التزام الشعراء بالقضايا القومية والثورية، وصولاً إلى التعبير الفني، كما سنسلط الضوء على أهمية التعريب في إثراء المشهد الشعري الجزائري، مما يوضح كيف أن الشعر لم يكن مجرد كلمات بل أداة فعالة للتواصل الثقافي والفكري، بهذا، يصبح الفصل بمثابة نافذة لفهم الدور الحيوي للكتابات الشعرية في تشكيل الهوية الجزائرية وتوثيق تاريخها الأدبي.

أولاً: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي:

1. مفهوم الشعر في الجزائر

الشعراء التقليديون والمحافظون استندوا في تعريفهم للشعر إلى آراء النقاد العرب القدامى، مثل قدامة بن جعفر في "نقد الشعر" وابن قتيبة في "الشعر والشعراء" وغيرهم، التزمت هذه المفاهيم بخصائص الشعر من حيث الوزن والقافية والاعتدال في التعبير والخيال، هذا التوجه كان سائداً في المغرب العربي بين الأدباء والنقاد الذين سعوا إلى إعادة إحياء التراث الأدبي العربي، فالشعراء الإصلاحيون في الجزائر، مثل أحمد الأكلحل وأبو اليقظان، تأثروا بالتقاليد النقدية القديمة ولكنهم حاولوا تقديم رؤى متجددة، أحمد الأكلحل مثلاً، وصف الشعر بأنه "كلام موزون مقفى، ذو خيال بديع ومعانٍ رقيقة"، مشدداً على الاعتدال وعدم المبالغة، ومع ذلك، ركز الإصلاحيون على وظيفة الشعر في المجتمع، معتبرين أنه وسيلة لنشر القيم وتوجيه المجتمع وتعزيز الهوية الثقافية والوطنية¹.

ارتبط مفهوم الشعر لدى الإصلاحيين بالأخلاق، حيث اعتُبر الشاعر مرشداً أخلاقياً، كما رأى أبو اليقظان أن الشعر يجب أن يوقظ الإحساس ويهذب النفس، ويعارض استخدامه للتحريض على الفتن أو الغرق في الشهوات، تبنى الإصلاحيون تصوراً سلفياً للشاعر بوصفه فرداً مجتهداً في خدمة القيم، يجب أن يعكس من خلال سلوكه الالتزام بالأخلاق الفاضلة.

¹ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 66.

الشعراء الإصلاحيون في الجزائر، مثل أحمد الأكل وأبو اليقظان، تأثروا بالتقاليد النقدية القديمة ولكنهم حاولوا تقديم رؤى متجددة، أحمد الأكل مثلاً، وصف الشعر بأنه "كلام موزون مقفى، ذو خيال بديع ومعانٍ رقيقة"، مشدداً على الاعتدال وعدم المبالغة، ومع ذلك، ركز الإصلاحيون على وظيفة الشعر في المجتمع، معتبرين أنه وسيلة لنشر القيم وتوجيه المجتمع وتعزيز الهوية الثقافية والوطنية، وأكد محمد الهادي السنوسي على دور الشعر في المعركة ضد الجهل والاحتلال، حيث رأى أن الشاعر يتحمل مسؤولية توجيه المجتمع وتعزيز الوحدة الوطنية، شبه السنوسي دور الشعراء الجزائريين بدور شعراء الثورة الفرنسية، مثل فيكتور هوغو (Victor Hugo) ولامارتين¹ (Alphonse de Lamartine)، في إشعال الحماسة والتنوير والتمرد على الظلم².

يؤكد جان سيناك (Jean Sénac) أن للشعر في الجزائر تاريخاً طويلاً بوصفه أحد أشكال المقاومة، إذ كان حاضراً منذ الاحتلال الفرنسي عام 1830 وحتى المجازر المروعة في سطيف وقلمة وخراطة، التي شهدت بزوغ الصحو القومية الجزائرية، ويرى أن هذا الشعر نما وسط ركام التاريخ الاستعماري، تماماً كما شهدت فرنسا قبل عقد أو عقد ونصف ظهور الشعر الملتزم، مستشهداً بقصيدة صديقه رينيه شار باعتبارها أبرز مثال على ذلك، كما يسلط الضوء على نصوص قديمة مستخرجة من النسيان، مترجمة عن العربية، تعود بعضها إلى القرن التاسع عشر، وتشمل القصائد والأغاني والحكايات الشعبية، والتي يصفها بأنها تجسّد الروح الجزائرية المتحركة، بالنسبة له، تمثل هذه النصوص أرضاً خصبة و"مادة داعمة" لحركة أدبية انبثقت في ثلاثينيات القرن العشرين وتبلورت بشكل أكبر بعد عام 1945، فيما يمكن اعتباره "انتفاضة الروح"³.

يظهر الشعر أهمية كوسيلة للنضال الوطني والتغيير الاجتماعي، مع التأكيد على أن هذه الرسائل غالباً ما تأتي بشكل غير مباشر بسبب الظروف الاستعمارية، محمد الهادي السنوسي يشير إلى دور الشاعر الجزائري في تعزيز الانتماء الوطني، مستعرضاً أمثلة من شعراء الثورة الفرنسية لتوضيح الدور المتوقع من الشعراء⁴، ويعكس ديوان "نائر وحب" مزيجاً بين الثورة والحب، ويعبر عن وعي شعري نابع من انفعال عاطفي عميق، يوضح سعد الله في مقدمته

¹ ألفونس دو لامارتين (1790-1869): كان شاعراً وكاتباً ومؤرخاً ورجل دولة فرنسياً، ويُعد من أبرز رموز المدرسة الرومانسية في الأدب الفرنسي، اشتهر بديوانه "تأملات شعرية" (Méditations poétiques) الذي نُشر عام 1820، والذي جعله من أبرز شعراء عصره، كما لعب دوراً سياسياً مهماً خلال ثورة 1848، حيث تولى منصب وزير الخارجية في الحكومة المؤقتة وأسهم في إعلان الجمهورية الثانية في فرنسا، ينظر:

Pierre Jouanne, *Les variantes des Harmonies de Lamartine*, Jouve, Paris, 1926, p 202.

² ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 69.

³ Françoise Feugas , (7 août 2020), *L'Algérie des mots et des armes du poète Jean Sénac*, Orient XXI , consulté le 18 novembre 2024, sur le site : <https://orientxxi.info/lu-vu-entendu/l-algerie-des-mots-et-des-armes-du-poete-jean-senac.4060>

⁴ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 69.

أن الشعر يُولد في لحظات تأزم حاد، سواء كان بفعل الحب أو الثورة، فيقول: "لو طُلبَ مني أن أعرف الشعر، لقلت بأنه قصة شعور إنساني في اللحظة خاصة تؤدي بالحرف، فالشاعر لا ينظم في حالة عادية، بل عندما يبلغ شعوره درجة الانفعال العاطفي، وهو لا ينتج في كل وقت، ولكن في لحظة تأزم حاد... وقمة الشعور الإنساني لها أسماء مختلفة في عالم الشعر، فقد تكون لوعة حب أو شعلة ثورة أو احتناق بأس، وهذا يصدق على كل موضوعات الشعر"¹

يؤكد الباحث العربي دحو على أهمية التعمق في تناول القضايا الوطنية، حيث وجد أن الأدب الجزائري يعكس جدية في تناول مواضيع مثل ثورة نوفمبر، ما يدحض الاتهامات بالجمود الثقافي، ويشدد على ضرورة أن يُسهم الباحثون في كشف الجواهر الأدبية وتعزيز الذائقة الشعرية لدى المجتمع.²

كما يوصف الشعر كمخطط ثوري، حيث يتجاوز وظيفته الجمالية ليصبح أداة للتمرد والتغيير ضد الظلم، من جانبه، يُبرز أدونيس مفهوم الشعر الثوري كأداة لا تقتصر على التغيير السياسي بل تمتد إلى المجالات الثقافية واللغوية، ووفقاً لهذا التصور، يُصبح الشاعر فاعلاً في الحركة الثورية، يعبر عن آمال الجماعة وآلامها، مما يجعل الشعر جزءاً أساسياً من الوعي الاجتماعي والتاريخي للشعوب.³

2. نشأة الشعر في الجزائر

لم يكن مقتصرًا الشعر في القرن التاسع عشر لم يكن مقتصرًا على الشعراء المحترفين فحسب، بل كان جزءًا من الثقافة العامة، حيث كتب العديد من المثقفين، مثل الفقهاء والصحفيين والأبطال، قطعًا شعرية دون اعتبارهم شعراء بالمعنى الكلاسيكي، ورغم قلة عدد الشعراء المحترفين، كانت هناك وفرة من الإنتاج الشعري، الذي استمر في الانتشار بفضل سهولة تداوله شفهيًا.⁴

كما أن كبار شعراء العربية والبربرية في الجزائر لم يكونوا يعرفون الفرنسية، ولذلك يبدو أن تأثير الشعراء الفرنسيين على الشعر الجزائري كان محدودًا، علاوة على ذلك، فإن العديد من الشعراء الذين لم يُعرف من إنتاجهم شيء حاليًا قد تأثروا بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عاشوا فيها، مما أدى إلى ضياع الكثير من

¹ أبو القاسم سعد الله، ثائر وحب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 6.

² العربي دحو، قراءات في ديوان...، المرجع السابق، ص 55.

³ مهداوي، هموم الكتابة...، المرجع السابق، ص 183.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 8، المرجع السابق، ص 202.

شعرهم وعدم اهتمامهم بتوثيقه، لذلك، يبقى من الصعب تقدير تأثير الشعراء الفرنسيين على الشعر الجزائري بشكل دقيق، ولا يمكن الحكم على الشعراء وأعمالهم بناءً على قطع شعرية قليلة¹.

مقارنة بالنثر، كان الشعر أكثر حضوراً في الساحة الأدبية الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث وفرّ الشعر وسيلة سريعة للتعبير عن المشاعر والأحداث، على العكس، النشر، مثل الرواية والقصة القصيرة، تطلّب وقتاً أطول للتحرير ووسائل مادية للتوثيق، مما جعله أقل قدرة على التكيف مع ظروف الكتمان التي فرضها الاحتلال².

في تلك الفترة تنوّع الشعر الفصيح في مستوياته بين القوي والضعيف، لكنه بقي محترماً من الناحية اللغوية، ملتزماً بقواعد العروض، تناول الشعر موضوعات متعددة مثل الفخر والهجاء والرثاء والغزل، كما برزت موضوعات وطنية وقومية وإسلامية تعكس الدعوة إلى التحرر من البدع والعودة إلى الإسلام الصحيح والتضامن الاجتماعي³، ويشير أبو القاسم سعد الله إلى الجهود البحثية التي بذلها صالح خريفي في دراسته لنيل شهادة الماجستير من جامعة القاهرة عام 1966، حيث تناول شعر المقاومة في الجزائر بين 1830 و 1930، تضمّنت الرسالة أربعة أقسام: المقاومة المسلحة، المقاومة الانطوائية، المقاومة القلمية، والمقاومة في مفترق الطرق، بالإضافة إلى مراجع قيمة من كتب ودوريات، مما يعكس جدية البحث وثراء موضوعه⁴.

يناقش أبو القاسم سعد الله صعوبة دراسة شعر المقاومة في الجزائر خلال الفترة العثمانية والاحتلال الفرنسي بسبب قلة النصوص الأدبية المطبوعة والضعف العام للأدب في تلك الفترة، مما جعل القصائد تبدو "كبيحة"، رغم ذلك، اعترف بأن الشعر استمد قوته من الشعب، أشار سعد الله إلى أن خريفي ألقى اللوم على العثمانيين فيما يسميه "الفاقة الأدبية"، وأن الشعر كان غالباً مخصصاً للمناسبات، مع تأثير كبير من الموجه الصوفية، ورغم اختلافه مع بعض استنتاجات خريفي، أثنى سعد الله على قيمة بحثه الأكاديمية، معرباً عن أمله في طباعة الأطروحة لتكون مفيدة للقراء⁵.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 201.

² عايدة، تطور الأدب...، المرجع السابق، ص 301.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 191.

⁴ سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 141.

⁵ نفسه، ص 142.

جدول رقم (13): يوضح مراحل تطور الشعر في الجزائر¹:

الفترة	الوضع الأدبي والشعري	العوامل المؤثرة	النتائج
1900-1925	- حالة انحطاط الحركة الأدبية والشعرية بسبب تأثيرات العهد التركي والاحتلال الفرنسي. - وصف الشاعر عمر بن قدور للحالة بأنها "استلاب". - افتقار الشعراء للإبداع وكونهم مقلدين.	- تأثير الثقافات الغربية على عقول الشباب. - الركود في المدارس التقليدية (الزوايا والكتاتيب). - ضعف التوجه الأدبي بسبب قلة الشعراء المبدعين ² .	- افتقار الشعراء لدعم النقد والمعنوي. - الشعر أصبح يبدو كحرفة بئسة. - الأمل في التحسن مع بداية الثلاثينات عبر نشر المجلات الأدبية.
1925-1954	- إحياء الأدب العربي بعد تأثيرات الحرب العالمية الأولى. - نهاية الحرب العالمية الثانية ومجازر 08 ماي 1945 ³ . - تأسيس جريدة "المنتقد" كمنصة ثقافية. - التجديد في أسلوب الشعر وتناول مواضيع جديدة.	- دور الشباب المثقف في تعزيز الوعي الوطني والثقافي. - تأسيس جمعية العلماء في عام 1931 وانتشار المدارس الحرة ⁴ .	- ظهور أدباء وشعراء جدد، مثلما أصدر جان عمروش مجموعته الشعرية "رماد ⁵ " عام 1934 ⁶ . - مواضيع وطنية وإصلاحية قوية في الشعر. - تأثير المجازر على الكتاب ودعوتهم للثورة.
1954-1962	- فترة حاسمة للشعر الجزائري، مع تأثير الأوضاع الاجتماعية والدينية. - الاحتفاء بالثورة التحريرية.	- ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 وما تبعها من تحولات عميقة.	- انبثاق حركة شعرية تحريرية. - ظهور الشعر الحر بفضل شعراء مثل أبا القاسم سعد الله ⁷ . - تعزيز الوعي الوطني والنضال من أجل الاستقلال ⁸ .

¹ اعداد الطالبة وردة عي.

² ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص30.

³ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 153

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص196.

⁵ J.Amrouche, Op.cit.

⁶ أحمد حمدي، أحاديث مع رواد...، المرجع السابق، ص 197

⁷ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص77.

⁸ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص152.

في الفترة بين 1900 و1962، مرّ الشعر الجزائري بثلاث مراحل متباعدة تعكس التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمع تحت الاحتلال الفرنسي، ففي الفترة الأولى (1900-1925)، عانى الشعر من حالة ركود وصفها عمر بن قدور بـ "الاستلاب"، نتيجة تراكم آثار الحكم العثماني وسياسات الطمس الفرنسي، وضعف الروايات والكتاتيب، وغياب شعراء مبدعين، ما جعل الشعر في نظر الكثيرين مجرد تقليد خالٍ من الإبداع، وأشبه بحرفة بائسة بلا روح، أما المرحلة الثانية (1925-1954)، فقد شهدت بدايات النهضة الأدبية بفضل تأثيرات الحريين العالميتين، وصعود الوعي الوطني، خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، وظهور صحف ثقافية مثل "المنتقد"، تميزت هذه المرحلة بتجديد في الأسلوب وتناول مواضيع إصلاحية ووطنية، كما ظهر شعراء جدد مثل جان عمروش الذي نشر مجموعته "رماد" سنة 1934، ومع اندلاع الثورة التحريرية (1954-1962)، دخل الشعر الجزائري مرحلة جديدة اتسمت بالتححرر من الأشكال التقليدية، وبرز الشعر الحر كأداة نضالية، خاصة في أعمال شعراء مثل أبو القاسم سعد الله، ليصبح الشعر صوتاً للثورة ومجسداً لروح المقاومة والوعي الوطني.

3. أنواع الكتابات الشعرية:

1.3. الشعر الذاتي

يمثل الشعر الذاتي في الجزائر، المتأثر بالرومانسية الأوروبية، تحولاً جوهرياً في المسار الأدبي، حيث تمرد على التقاليد الكلاسيكية وركز على التعبير عن الذات والمشاعر الفردية كالحب، الألم، والتأمل، وقد جاء هذا التيار استجابة للتحولات الاجتماعية والثقافية، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى¹، حيث انعكست آثارها على شعراء جزائريين مثل محمد العيد آل خليفة، جلواح العباسي، رمضان حمود، وأحمد سحنون، الذين عبّروا بصدق عن معاناة الإنسان الجزائري في ظل الاحتلال²، رغم عدم وجود مدرسة رومانسية واضحة في الجزائر³، إلا أن التجارب الشعرية تأثرت بالاتصال بالثقافة الغربية والتغيرات السياسية، فظهر اتجاه وجداني خاص يزاوج بين الذاتية والنضال، وأسهم في تجديد الشعر الجزائري وتطوير لغته الفنية عبر التركيز على الحرية والصدق التعبيري⁴.

¹ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 85.

² مهداوي، هموم الكتابة ...، المرجع السابق، ص 167.

³ نفسه، ص 156.

⁴ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 86.

يعكس الشعر الجزائري في هذه المرحلة تنوعاً دلاليًا ووظيفيًا يعكس تفاعل الأديب مع واقعه السياسي والاجتماعي والنفسي، ف"شعر الحزن والشكوى" يمثل مرآة للحالة السوداوية التي كانت تخيم على الجزائر تحت الاحتلال، حيث عبّر شعراء مثل محمد السعيد الزاهري ورمضان حمود عن الألم والمعاناة والاعتراب، متأثرين بالآزمات السياسية والاجتماعية، أما "شعر الغزل"، فقد واجه انتقادات في ظل توجه الإصلاح الذي اعتبره ترفاً غير مناسب لظروف الوطن، فدعا شعراء كرمضان حمود إلى توجيه العاطفة نحو الوطن بدل الانشغال بالغزل التقليدي، في مقولة دالة: "من يحب التغزل فليغزل في وطنه الجميل"، وفي "شعر الطبيعة"، لم تكن الطبيعة ملاذاً للهروب، بل وسيلة فنية للتعبير عن الحزن والألم بعمق وجداني، وقد ظهر ميل قوي في الأدب إلى استخدام الشعر كأداة نضالية وإصلاحية، ونتج عن ذلك تراجع الاهتمام بالشعر الغزلي، إذ اعتُبر ترفاً غير مقبول في ظل الظروف القاسية، أما الشعر الطبيعي، فقد عكس في أغلبه مشاعر الحزن ولم يكن مجرد هروب من الواقع، بل كان وسيلة للتعبير عن الألم، فيقول محمد السعيد الزاهري¹:

إذا كان عشق في المها وهيام
فلي في بلادي دوخن غرام
ويقول الطيب العقبي²:

دع ذكر سلمى وسعاد
وانهض الإصلاح البلاد
ويقول اللقاني بن السائح:

لا فدع التغزل في غوان فتلك طبيعة المستهترينا
فمن صوت البلاد لنا نداء يكاد المرء يسمعه أنينا

خلال فترة الإصلاح في الجزائر، تبنى الشعراء دوراً اجتماعياً وتربوياً، حيث تحوّل الشعر إلى وسيلة لخدمة القضايا الوطنية والدينية³، متأثراً بتوجهات الجمعيات الإصلاحية، اعتبر محمد العيد آل خليفة أن الموهبة الشعرية لا بد أن تُوظف لخدمة الشعب، منتقداً الغزل لابتعاده عن هموم الأمة⁴، فيما دعا رمضان حمود إلى تغزل وطني صادق⁵، رغم ذلك، فرض الإصلاحيون قيوداً أخلاقية وفنية على التعبير الشعري، مطالبين بالاعتدال والالتزام، وهو ما انعكس

¹ محمد السعيد الزاهري، "قصيدة"، البرق، ع 18، 11 جويلية 1927، ص 90.

² الطيب العقبي، "الإصلاح الإسلامي"، الوفاق، ع 22، 23 فيفري 1939، ص 09.

³ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 78

⁴ سعد الله، محمد العيد آل خليفة، دار المعارف، مصر، 1960، ص 113.

⁵ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص294

في لجوء الشعراء إلى التلميح والرمزية بدل التعبير المباشر عن المشاعر، وقد أدى هذا التوجه، بحسب حمزة بكوشة، إلى انكماش التنوع الفني في الشعر وانحصاره في المناسبات الرسمية، مما أفقده كثيرًا من جماليته وإبداعه، ومع ذلك، حافظ الشعر على دوره في بث الوعي الاجتماعي والديني، كما سعت تجارب شعراء مثل ابن علي إلى التوفيق بين الإبداع الشعري والالتزام الديني.

من جهة أخرى، عبّر الشعراء عن مشاعر الألم والتشاؤم والغربة نتيجة الواقع الاستعماري المأساوي¹، وهو ما أشار إليه محمد السعيد الزاهري "الشعر هو الشعور، وأبناء الجزائر يشعرون جميعًا بهذه الآلام، وفي بالهم أن لا يكونوا شعراء أجمعين، أشعر بمجد الجزائر القديم، وأشعر بما صارت إليه هذه الأمة من البؤس الأليم، فينفطر قلبي انفطارًا، ويعلي قلبي همومًا وأجزاءً، فأتنفس من الموسم أروح ما بين جوانحي، ثم ما زلت كذلك، أنفث من صدر موتور، وقلب محرون، فئات أرسلت إليك ما حضر عندي منها، لتختار منها الكتاب²"، وفي ظل هذا المناخ، لجأ الشعراء إلى الطبيعة لا كهروب، بل كأداة لإيصال الحزن والانكسار، فتجلى شعر الطبيعة كمرآة للواقع النفسي والاجتماعي، كما في قصائد عبد الله شريط ومحمد الأخضر السائحي، فالصحراء، بجفافها وهدوئها، تحولت إلى مصدر إلهام يعكس قسوة الحياة ويجسد تجربة الاغتراب والانفصال³، ورغم الظلال القاتمة التي خيمت على الشعر، فقد شكّلت هذه المرحلة أرضية خصبة لبروز خطاب شعري وجداني ملتزم، جمع بين التعبير الجمالي والهَمّ الوطني، وأسهم في تجديد الثقافة الأدبية الجزائرية في سياق الإصلاح والتنوير⁴.

2.3. الشعر الملتزم:

يقصد بالشعر الملتزم ذلك الشعر الذي لا يقتصر على التعبير الجمالي، وإنما يتخذ من الكلمة موقفًا تجاه قضايا الإنسان والمجتمع، فيسعى إلى الدفاع عن قيم الحرية والعدالة والكرامة، والتعبير عن هموم الوطن والأمة، واستنهاض الوعي الجماعي، وينطلق الشاعر الملتزم من قناعة بأن الإبداع الأدبي مسؤولية أخلاقية وفكرية، وأن الشعر أداة للتأثير في الواقع، لا مجرد غاية جمالية. لذلك ارتبط الشعر الملتزم في الأدب العربي الحديث بقضايا التحرر الوطني، ومقاومة الاستعمار، والدفاع عن الهوية، ومناصرة القضايا الإنسانية، مع المحافظة على القيمة الفنية للنص الشعري⁵.

¹ حمزة بكوشة، "هل في الجزائر شعراء"، البصائر، ع 85، 05 جويلية 1949، ص 07.

² خري، محمد السعيد ...، المرجع السابق، ص 18.

³ مهدي، هموم الكتابة ...، المرجع السابق، ص 171.

⁴ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 124.

⁵ أبو حاقّة أحمد، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، لبنان. بيروت، 1997.

يندرج ضمن هذا الإطار الشعر القومي، وهو الشعر الذي يعبر عن انتماء الشاعر إلى وطنه وأمته، ويستحضر تاريخها وتراثها وتطلعاتها، ويجسد قيم الحرية والوحدة والكرامة والتضحية، ويدعو إلى مقاومة الاحتلال والظلم. ولا يقتصر هذا اللون من الشعر على تمجيد الوطن أو التغني بأمجاده، بل يتجاوز ذلك إلى نقد الواقع، والدعوة إلى الإصلاح، وتوثيق البطولات الوطنية والقومية، جامعاً بين الوظيفة الجمالية والرسالة الفكرية.

أما الشعر السياسي، فيمثل أحد أبرز تجليات الشعر الملتزم، إذ يتخذ من القضايا السياسية والاجتماعية موضوعاً له، فيعبر عن مواقف الشاعر من الأحداث والوقائع، ويكشف مظاهر الظلم والاستبداد والاستعمار، ويدافع عن الحرية والعدالة والحقوق المشروعة للشعوب، كما يسعى إلى توثيق التجارب الإنسانية في أزمنة الأزمات والثورات، وتحفيز الوعي الجماهيري، وحشد الطاقات من أجل التغيير، ومن ثم يغدو الشعر السياسي وسيلة للتعبير عن الاحتجاج والمقاومة، إلى جانب كونه عملاً فنياً يستثمر أدوات الشعر في التأثير والإقناع.

وفي هذا السياق، يؤكد أدونيس¹ العلاقة الوثيقة بين الشعر والثورة بقوله: "أن يكون الشعر العربي ثورياً يعني أن يخلق باللغة العربية في ميدان الثقافة ما يعادل ما يخلقه الشاعر بالفعل في ميدان الحرب"، وهو قول يبرز أن الثورة في الشعر لا تقتصر على الموضوع، وإنما تشمل أيضاً الرؤية واللغة وأشكال التعبير الفني².

يُعدّ الشعر الثوري ضمن الشعر الملتزم أيضاً فهو ملتزم بالتعبير عن مشاعر الثورة حين يعبر عن رؤى وأفكار تتحدى الواقع القائم، وتكشف عن نزعة تمردية تسعى إلى مساءلة الوضع الراهن وتجاوزه، ولا يقتصر البعد الثوري على الموضوعات المباشرة ذات الطابع السياسي أو النضالي، بل قد يتجلى أيضاً في اللغة والرؤية الجمالية وطريقة بناء الصورة الشعرية، بحيث يغدو كل إبداع شعري أصيل، من حيث قدرته على كسر المألوف وإعادة تشكيل الوعي، فعلاً ذا بعد ثوري.

¹ أدونيس (1930): الاسم الأدبي لعلي أحمد سعيد إسبر هو شاعر ومفكر وناقد سوري يُعد من أبرز رواد الحداثة الشعرية في العالم العربي، ولد في قرية قصابين قرب جبلة في سوريا، وبدأ تعليمه بحفظ القرآن والشعر الكلاسيكي على يد والده، في سن الثالثة عشرة، ألقى قصيدة أمام الرئيس السوري شكري القوتلي، مما منحه فرصة للالتحاق بالتعليم الرسمي. درس الفلسفة في جامعة دمشق، ثم انتقل إلى بيروت حيث شارك في تأسيس مجلة "شعر" عام 1957، التي كانت منصة لتجديد الشعر العربي، لاحقاً، أسس مجلة "مواقف" عام 1968، واستقر في باريس منذ عام 1985، أدونيس معروف بتجديده للشعر العربي من خلال إدخال الشعر الحر والتأثر بالتصوف والسريالية، وله إسهامات بارزة في الترجمة والنقد الأدبي. يُعتبر من أبرز المرشحين العرب لجائزة نوبل في الأدب، وقد حصل على جوائز مرموقة مثل جائزة غوته الألمانية عام 2011، ينظر: عبد العالي مجذوب، (10 أكتوبر 2017)، من هو أدونيس؟، مؤسسة الدراسات العلمية، استرجع بتاريخ 18 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://iss-foundation.com/home/freethoughtdet/NTc>

² أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار الساقي، بيروت، 2009، ص45.

في السياق الجزائري، ارتبط الشعر ارتباطاً وثيقاً بالثورة التحريرية، إذ وظّف الأدباء إنتاجهم الشعري للتعبير عن معاناة الشعب تحت الاحتلال، ونقل تطلعاته نحو الحرية والاستقلال، والمساهمة في تعبئة الوعي الجماعي، وقد اضطلع الشعراء بدور مسؤول في هذا الإطار، فعبروا عن الانتماء الوطني، وجعلوا من القصيدة صوتاً للمقاومة، ووسيلة لإيصال معاناة المجتمع وآماله في التحرر¹.

كما أبرزت الثورة الجزائرية دور المرأة كرفيقة نضال، وشارك الأدباء في تسليط الضوء على هذه التحولات، الشعر في الجزائر قبل الثورة كان يحمل نبرة الثورية، بينما بعد اندلاعها، تحول إلى تجربة تعكس البطولات والتحديات، فشعراء مثل "مفدي زكرياء" عبروا عن صمت القلم كتعزيز لقوة السلاح، فيقول في قصيدة (وتعطلت لغة الكلام)²:

نطق الرصاص، فما يباح كلام
وجرى القصاص فما يتاح ملام

اتخذ الأدباء من المجال السياسي ساحة للتعبير، فتأرجحت كتاباتهم بين التودد لفرنسا وانتقادها، وبين مشاعر اليأس من تعنتها واستعلائها، ومع حلول ثلاثينيات القرن العشرين، برزت أحداث مؤثرة، أبرزها الاحتفال بمئوية الاحتلال الفرنسي للجزائر، الذي جسّد استعراضاً للقوة وأعاد إحياء ذكريات مؤلمة، مما عمّق شعور الاستعلاء لدى المستعمر وأدكى النزعة العسكرية، هذا الوضع أدى إلى تراجع القيم التقليدية، وظهور مواقف وطنية واضحة لدى السياسيين في مواجهة الاحتلال، كما ساهم في تبلور توجهات فكرية متباينة أثرت بعمق في مجريات المرحلة³.

شكّلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحولاً مهماً في المشهد الأدبي، إذ أصبحت منابرهم الإعلامية فضاءً للشعر الإصلاحي الذي تأثر بالحركات الإصلاحية العربية، معبراً عن رفض الانحرافات الدينية والاجتماعية في المجتمع الجزائري، ورغم أن هذا الشعر لم يكن وليد الجمعية فقط، بل نشأ في سياق ديني مضطرب سبقها، فإنها عملت على مواجهته ومراقبته رغم محدودية تأثيرها الخارجي، خاصة في ظل استغلال المستعمر لهذه الانحرافات لتعزيز قبضته على شعب محروم من الحوار والإصلاح الحقيقي⁴.

يشمل الشعر الديني في الجزائر طيفاً واسعاً من المواضيع مثل العبادات والأخلاق والمدح النبوي والتصوف، ونجده في دواوين مطبوعة ومخطوطة، لكنه ظل محدوداً رغم كثرة المناسبات الدينية، بسبب الرقابة الاستعمارية التي

¹ مهداوي، هموم الكتابة... المرجع السابق، ص 191.

² كتبت هذه القصيدة في سجن بربوس بالقاعة التاسعة شهر فيفري 1957 بمناسبة خذلان المنظمة الدولية لقضية الجزائر في دورتها الثالثة عشر، ينظر:

مفدي زكرياء، اللهيب المقدس، دار الكتب، لبنان، 1961، ص 42.

³ خري، محمد السعيد... المرجع السابق، ص 21

⁴ نفسه، 31.

دفعت الشعراء إلى التعبير الرمزي، وقد ساهمت الطرق الصوفية في حماية هذا الشعر من خلال مدح الشيوخ وإنشاد الأشعار في حلقات الذكر، مما جعل التصوف ملاذًا وإلهامًا للشعر الديني في تلك المرحلة¹.

قصائد المديح² في الجزائر كانت تُنشَد للمجد والتوجيه الروحي، سواء للنبي محمد ﷺ أو للأنبياء والصالحين والقادة الدينيين والعلماء الصوفيين، تميزت هذه القصائد بجمالها الشعري وعمقها الديني، وكانت وسيلة للتعبير عن الولاء والتقدير لتلك الشخصيات، حيث يُنشَد المديح في المناسبات الدينية كالمولد النبوي والحج، كما احتوت قصائد المديح على نصائح وتوجيهات أخلاقية وتربوية، مما يعكس الدور التربوي للشعر في توجيه المجتمع نحو السلوك الصالح والمعتدل في شتى جوانب الحياة³.

من ناحية أخرى، يُظهر كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" لمحمد الهادي السنوسي الزاهري تحولًا في دور الشاعر الجزائري من التعبير عن العواطف الفردية إلى أداء وظيفة اجتماعية وإصلاحية، داعيًا إلى تجاوز أغراض الشعر التقليدية كالمديح والهجاء نحو شعر تحريضي يواكب قضايا الإصلاح والتغيير في ظل الاحتلال، ورغم أهمية هذا التوجه، يحذر السنوسي من أن التركيز المفرط على الجانب الإصلاحي قد يؤثر سلبًا على الجانب الفني، مشددًا على ضرورة التوازن بين الوظيفة الاجتماعية للشعر وجودته الفنية، وهو ما ظهر في دواوين شعرية بين 1925 و1954 تميزت بالصدق الفني والإحساس الشخصي⁴.

يتضح أن الشعر الجزائري الملتزم على وجه الخصوص، يشكل إطارًا جامعيًا لأنماط شعرية متعددة تتقاطع جميعها في الوظيفة الرسالية للنص الشعري، رغم اختلاف موضوعاتها وتوجهاتها، فهو شعر يتجاوز حدود التعبير الجمالي الخالص ليحفل من الكلمة أداة للتفاعل مع قضايا الإنسان والمجتمع، سواء تعلّق الأمر بالدفاع عن الوطن والهوية في الشعر القومي، أو بالتعبير عن المواقف السياسية ومناهضة الاستعمار في الشعر السياسي، أو باستلهاهم قيم الثورة والتحرر في الشعر الثوري، كما يكشف هذا التصور عن وحدة عميقة بين البعد الفني والبعد الفكري، حيث لم يُلغِ الالتزام الشعري جماليات الإبداع، بل أعاد توجيهها نحو خدمة الوعي الجمعي وصياغة موقف من

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 234.

² شعر المديح: شعر المديح هو نوع من الشعر يهدف إلى تمجيد شخص معين أو كيان، سواء كان ذلك شخصًا حيًا مثل الزعماء أو القادة الدينيين، أو كانت المديح لشيء مجرد مثل الطبيعة أو الفن، يستخدم شعر المديح للتعبير عن الإعجاب والتقدير، وغالبًا ما يتم في إطاره استخدام مجموعة متنوعة من الصور والمفردات الجميلة لتصوير الصفات الإيجابية للشخص أو الشيء الذي يُمَجَّد، غالبًا ما يكون شعر المديح مرتبطًا بالأدب الديني والثقافي، حيث يتم فيه تمجيد الأنبياء، أو القديسين، أو الله، وهو نوع شائع في الشعر العربي التقليدي والشعر الإسلامي، ينظر: سراج الدين محمد، المديح في الشعر العربي، دار الراتب الجامعي، بيروت لبنان، 2000، ص 78.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص 292.

⁴ ناصر، الشعر...، المرجع السابق، ص 72.

الواقع التاريخي والاجتماعي، بما جعل الشعر الجزائري خلال هذه المرحلة وثيقة فنية وفكرية تعكس تحولات المجتمع وهمومه وتطلعاته.

3.3. الشعر الغنائي والطبيعة وتعريب الشعر:

الشعر الغنائي هي نوع من التعبير الشعري يتميز بالعاطفة الجياشة واللغة الموسيقية، ويعتمد على الإيقاع والصورة الفنية لنقل الأحاسيس والانفعالات الشخصية، مثل الحب، الحنين، الحزن، أو الفرح، وغالبًا ما تتسم هذه الكتابة بقصر النص وتركيزه على لحظة شعورية خاصة، ما يجعلها قريبة من وجدان المتلقي، وتستخدم فيها تقنيات التكرار والترنيم والتشبيه والمجاز لإضفاء طابع غنائي مؤثر¹.

الكتابة الشعرية الغنائية في الجزائر بين 1900 و1962 تميزت بطابعها العاطفي والوجداني، لكنها لم تنفصل عن السياق السياسي والاجتماعي الذي كانت تمر به البلاد تحت الاحتلال الفرنسي، فقد اتخذت القصيدة الغنائية الجزائرية خلال هذه المرحلة مسارًا خاصًا، حيث مزج الشعراء بين التعبير الذاتي والوجداني من جهة، وبين الانشغال بالهَم الوطني والديني والاجتماعي من جهة أخرى.

رغم أن الغنائية بطبيعتها تميل إلى تناول الحب، والحنين، والطبيعة، إلا أن الشعراء الجزائريين وظفوها لتوصيل رسائل عميقة حول الهوية والانتماء، مثلما فعل محمد العيد آل خليفة ورمضان حمود، حيث أصبحت القصيدة الغنائية وسيلة راقية للتأثير في وجدان الشعب، وحملته على التأمل في واقعه والاستفاقة من حالة الاستلاب، كما أن الاحتفال بالمناسبات الدينية والوطنية كان يُترجم في قصائد غنائية تُلقى في المحافل والمناسبات العامة، مما ساهم في تعزيز حضور الشعر الغنائي كأداة تعبئة وجدانية وروحية.

كان لدى عمر راسم اهتمام شديد بالموسيقى الأندلسية، حيث كتب عدة مقالات تتناول تاريخها وأصولها وتطورها، وكان الدافع وراء هذا الاهتمام هو رؤيته لتهديد الموسيقى الغربية للموسيقى العربية التقليدية، كان يعتز عمر راسم بالموسيقى الأندلسية، التي كان يروج لها بأنها تعتبر أكثر نقاءً وأصالَةً في الجزائر مقارنةً بغيرها من البلدان، يتمثل تراث عمر راسم في مجموعة من المقالات التي نشرها في الصحف التونسية والجزائرية، بالإضافة إلى الخطب التي كان يلقيها باللغتين العربية والفرنسية، وقد تضمنت هذه المقالات مجموعة من التراجم لأعلام علماء الجزائر، بالإضافة إلى بعض اللوحات الفنية التي اعتمدت على استخدام الخط العربي الذي كان يتقنه، ومن بين تراثه أيضًا

¹ عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1966، ص 43.

كتابه "تراجم علماء الجزائر"، الذي تناول فيه تراجم مختصرة لعدد من العلماء المعاصرين والسلف، مثل الشيخ محمد بن مصطفى خوجة، وحمدان خوجة، والمجاوي، وابن سماية¹.

أن الكتابة الشعرية الغنائية في الجزائر بين عامي 1900 و1962 لم تقتصر على التعبير الوجداني والعاطفي فحسب، بل تجاوزت ذلك لتصبح أداة فنية مؤثرة في التعبير عن القضايا الوطنية والدينية والاجتماعية، حيث استخدمها الشعراء الجزائريون وسيلة لإيقاظ الوعي الجماعي وتعزيز الهوية والانتماء في ظل الاحتلال الفرنسي، كما يظهر من خلال تجربة عمر راسم أن الاهتمام بالموروث الموسيقي والأدبي كان جزءاً من هذا المسعى الثقافي، حيث وظّف الفن والكتابة للدفاع عن التراث العربي والإسلامي أمام التحديات الثقافية الوافدة، مما يجعل من الشعر الغنائي والموسيقى الأندلسية معاً شكلين من أشكال المقاومة الثقافية.

4.3. الاخوانيات والمرثيات

يُعد شعر الاخوانيات نوعاً من الشعر الانساني، يتبادل الشعراء والعلماء في مناسبات خاصة مثل الرثاء والمدح والتقدير، بعيداً عن مدح الحكام أو رجال الدين، وقد هيمن هذا النوع على البيئة الشعرية، حيث تبادل الشعراء فيه المدح والفخر وأحياناً الهجاء والنكت، ورغم أن فقد الألفة يثير مشاعر قوية، فإن شعر الرثاء كان نادراً، وكذلك شعر الجون، بسبب طبيعة المجتمع المحافظ، كما أن مشاركة المرأة في هذا المجال كانت محدودة، سواء كشاعرة أو كمصدر إلهام شعري².

ثانياً: نماذج من كتابة الشعر الذاتي

1. كتابة الحزن والشكوى:

1.1. قصيدة نار عصية التّلهاب لمحمد الأمين العمودي

وُلد محمد الأمين العمودي عام 1890 في وادي سوف، وتلقى تعليمه الأولي في المكتب الفرنسي الابتدائي والكتاب بمدينة الوادي³، ثم واصل دراسته في مدرسة الممر الإسلامية تحت إشراف عمه الشيخ عبد الرحمن⁴، التحق

¹ بعلي، النهضة الفكرية في الجزائر...، المرجع السابق، ص132.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص287.

³ أحمد دوغان، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص52.

⁴ ناصر، المقالة الصحفية...، ج2، ص232.

في سن السادسة عشرة بمدرسة قسنطينة الفرنسية الإسلامية، التي كانت مخصصة لتكوين القضاة والمترجمين وأعوان الإدارة، نشأ العمودي في عائلة ميسورة ومعتبرة، وعبر في رسالة إلى الزاهري بتاريخ 14 جويلية 1927 عن واقع الجزائري المسلم المتألم من ظلم المستعمر، مشيراً إلى يأسه من الحاضر وعدم اطمئنانه للمستقبل¹.

بعد تخرجه، عمل محمد الأمين العمودي في عدة مناصب قانونية، منها كاتب عدل في محكمة فج مزالة، حيث ألهمته تجربته لكتابة قصيدته "رواية زوجان يتحاكمان أمام القاضي"، كما شغل وظيفة مساعد ترجمان شرعي في برنيل، ووكيل شرعي في بسكرة، حيث كان له تأثير كبير في المجالات القانونية والأدبية والاجتماعية، كما أشار إلى ذلك الأستاذ محمد الصالح رمضان².

شارك محمد الأمين العمودي في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتولى أمانتها العامة، كما رأس تحرير جريدة "اللغة" الفرنسية (1934-1939)، ونشر في صحف إصلاحية عدة، ترجم تقرير جبهة التحرير للأمم المتحدة عام 1957، ووجه خطابه الإصلاحي للشباب الجزائري ذي التكوين الفرنسي، أسس "شباب المؤتمر الإسلامي" عام 1939، وترأس جمعية ثقافية نظمت ملتقيات دورية، كما أسس عدة جرائد منها "الدفاع" و"الجحيم" و"الأمة" باللغة الفرنسية³.

كان محمد الأمين العمودي شخصية متعددة الأبعاد في الفكر والصحافة والسياسة، وأحد أبرز المدافعين عن الإصلاح في الجزائر، عرف بروحه المرححة في الشعر⁴، دون أن يفقد الجدية في تناول القضايا الوطنية والشخصية، استخدم اللغة الفرنسية كوسيلة نضال ضد التيارات اللائكية والمفرنسة، وكتب تحت أسماء مستعارة مثل "سمهري" و"ديك الجن" و"جساس"، جمع بين الانتماء للحركة الإصلاحية وعلاقاته مع المثقفين الفرنسيين، مما منحه مكانة مميزة، تميزت كتاباته بدقة في معالجة القضايا الفكرية والأدبية والسياسية، وظل صوتاً قوياً للحركة الإصلاحية رغم انسحابه من الساحة السياسية لاحقاً⁵.

¹ محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي-الشخصية المتعددة الجوانب، دار الهدى للطباعة والتوزيع، عين مليلة-الجزائر، ص 22.

² السائحي، الأديب الشهيد محمد الأمين العمودي وشهادات ونصوص، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر، ص 80.

³ بعلي، النهضة الفكرية في الجزائر...، المرجع السابق، ص 377.

⁴ دوغان، شخصيات...، المرجع السابق، ص 52.

⁵ بعلي، النهضة الفكرية في الجزائر...، المرجع السابق، ص 377.

من أبرز مساهمات محمد الأمين العمودي النضالية ترجمته لتقرير جبهة التحرير الوطني المقدم للأمم المتحدة عام 1957، والذي كشف جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر، عُرف شعره بالسلاسة والعمق، مجسداً مشاعر الحرب واليأس¹، وصفه الشيخ حمزة بوكوشة بأنه ثائر منذ شبابه ضد الظلم في المدارس الرسمية التي سيطر عليها الفرنسيون، حيث واجه ضغوطاً إدارية قاسية واحتج على الأوضاع، مما أدى إلى طرده من المدرسة، وقد برز منذ تلك المرحلة في الكتابة الصحفية باللغتين العربية والفرنسية، مشكلاً شخصية قوية ورافضة للظلم².

عن القصيدة "نار عصبية التلهاب" لمحمد الأمين العمودي المنشورة سنة 1927 في ديوان شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي السنوسي³، ويبدو أن عمر الشاعر حينها كان 37 سنة، أي أنه بدأ يخرج من مرحلة الشباب إلى الكهولة، والقصيدة التي يتضح من عنوانها تعبيراً عن شدة الألم والمعاناة التي يواجهها الشاعر، ف"نار" هنا تُستخدم كاستعارة للمصاعب أو الآلام الشديدة، بينما "عصبية" تعني شديدة أو عسيرة، و"التلهاب" يدل على حالة من الاشتعال أو الاحتراق، إذن، المعنى العام للعبارة هو أن الشاعر يواجه ألماً شديداً ومُلحاً يشبه النار التي تزداد اشتعالاً، وهو يشير إلى معاناة متزايدة أو صراع داخلي يزداد سوءاً مع مرور الوقت، ويشمل مشاعر الحزن والألم الذي لا ينتهي.

تعكس معاناة الشاعر وصراعه المستمر مع الزمن، وهي في جوهرها تعبير عن الحزن واليأس الناتج عن تقلبات الحياة والصراعات التي يواجهها، بداية القصيدة تُظهر ذكريات الشاعر في مدينة قسنطينة، حيث قضى شبابه في ظل صعوبات مستمرة، متوالية تزداد مع مرور الوقت، وتعرضه للمحن والمصائب، فيقول⁴:

في قسنطينة قضيت شبابي	وخطوب تحل بعد خطوب
في عناء ومحنة وعذاب	ومصاب يجيء بعد مصاب
حزني دائم بها مستمر	كعروض الطويل قد طال قبضي
فرمتني نواجد الدهر وانقضت	كاسة ملؤها الحوادث شربي

القصيدة تُظهر أيضاً استياء الشاعر من الزمن الذي مر به، محملاً إياه مسؤولية المصاعب التي يعاني منها، وتكرار المفردات المرتبطة بالزمن مثل "الدهر" و"الزمان" يظهر التفاعل السلبي مع هذه القوى الغير مرئية التي تتحكم

¹ بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر...، مج 2، المرجع السابق، ص 369.

² السائحي، الأديب الشهيد...، المرجع السابق، ص 78

³ محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 2، مطبعة النهضة، تونس، 1927، ص ص 23-25.

⁴ نفسه.

في مصير الإنسان، من جهة أخرى، يظهر الشاعر استنكارًا لحال المجتمع والأشخاص من حوله، خاصة في جملته الشهيرة "قبح الله أهل هذا الزمان"، حيث يُحمل المجتمع جزءًا من المسؤولية عن معاناته، فيقول¹:

دار عني دهري وما عصمتني	ذاك أكلني لا حبذا الأكل أكلني
الدهر، قبح الله أهل هذا الزمان	إنما الدهر كربة وصروف
وكبعض البحور دام اقتضائي	وسروري يمر مر السحاب
وهموم تحيء من كل باب	حياتي وما أخذت منابي
من زماني وأهله آدائي	لا، ولا حبذا الشراب شرابي
كل من ساد اسود مثل الغراب	نار عصيبة التلهاب
من ورماني مشائخي بدنايا	عفت أحوال كل مدرسة
صار لي الامتحان أصعب منايا	كان للامتحان قبلاً دخولي
جلياً أو يهتدي للصواب	لا أرى فيه منصفاً يظهر الحق
وأمر يجمل عنها انتسابي	قل مالي وخانني أصحابي
يوم لقاء العدا ويوم الحساب	كدخول الإمام للمحارب

إضافة إلى ذلك، يظهر في القصيدة نوع من الإحباط الشخصي، حيث يشعر الشاعر أنه لا يجد من ينصفه أو يساعده في الحن التي يواجهها، بل يرى أن من حوله خانوه وتحلوا عنه، ومع ذلك، يعبر عن قوته الشخصية من خلال المقارنة بينه وبين "سيف البطل الشجاع المهاب"، حيث يُظهر أنه لا يتأثر بالكلام الساخر أو الحقد من الآخرين، بل يستمر في صموده، فيقول²:

يا إلهي نكت قواهم وأفسد	لا يضر السباع نبج الكلاب
إذ لست كل شكري لمن يواتيه	وأحاشي من قد حماني بدنايا
إني ويراعي في الضرب والفتك	شكري قلت للشامتين عرضي
لمن لم يهربي سعيهم ورم	ماضاهاه وقصارى قولي
ما الظلم دابي وعتابي لمستحق	ما بنوا بالخراب من الظالمين
سيف البطل الشجاع المهاب	العتاب هيرزي مهند الأنباب

¹ نفسه.

² السنوسي، شعراء الجزائر ...، ج2، المصدر السابق، ص ص 23-25.

القصيدة مليئة بالصور البلاغية التي تعكس التوتر النفسي للشاعر، مثل تشبيه الزمن بال "نار" وال "بحر" الذي لا نهاية له، وتصوير الحياة ك "امتحان" صعب لا مفر منه، كما أن العتاب في آخر الأبيات يظهر شعورًا بالخذلان، لكنه في الوقت نفسه يحمل رسالة عن القوة الداخلية وعدم الانكسار أمام الصعوبات.

القصيدة تعبير عن الألم والحزن الناتج عن الصراعات الداخلية والظروف الاجتماعية الصعبة، مع إصرار الشاعر على الصمود والمواجهة رغم المعاناة، مع تأكيد على أن الظلم والتقلبات الزمنية لا يمكن أن تهز من عزيمته، كانت السياسة الاستعمارية الفرنسية تسعى إلى طمس الهوية الثقافية والعربية الإسلامية للجزائريين فالعنف والاضطهاد السياسي كانا جزءًا من الحياة اليومية للشعب الجزائري، في تلك الفترة، كانت الجزائر تشهد بداية انطلاق العديد من الحركات الفكرية والثقافية الوطنية التي تهدف إلى مقاومة الاحتلال واستعادة الهوية الثقافية، وكان الأدب يلعب دورًا كبيرًا في التعبير عن الألم والحزن والخيبة بسبب واقع الجزائر تحت الاحتلال.

2.1. قصيدة حرفة الأدب لأحمد سحنون

أحمد سحنون، الذي وُلد في ليانة بالقرب من مدينة بسكرة، نشأ وتلقى تعليمه الأولي من والده ومن الشيخ محمد خير الدين وشيوخ زاوية طولقة، تأثر بفكر العصامية والتوجه الإصلاحية، واستفاد من نصائح الشيخ ابن باديس، كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بيئة تشجع على ذلك، حيث كان من المتوقع أن يكون لسحنون صلة بالحركة ورجالها¹، حتى أصبح جزءًا من روافد الحركة الإصلاحية في الأربعينيات²، تعلم سحنون العربية والإسلامية بجهده الشخصي، وأصبح واحداً من رجال الثقافة العربية الإسلامية، حيث ساهم بفكره وقلمه في الحياة الدينية والثقافية والأدبية، نشط بقلمه في الصحافة الوطنية، خاصة في الصحيفتين "الشهاب" و"البصائر"، وفي عام 1936، اتجه إلى العاصمة وأسس مدرسة التهذيب الحرة في حي سانت أوجن (المعروفة الآن ببولوجين)، إلى جانب مشاركته في كتابة الشعر والمقالات الإصلاحية الدينية في جريدة البصائر، ثم ألقت الحرب التحريرية بظلالها عليه، فعاش ارتفاع التوتر خلال الثورة التحريرية في 1954³.

قصيدة "حرفة الأدب" لأحمد بن سحنون التي نشرتها البصائر بتاريخ 16 أكتوبر 1936، تعبر عن تأملات الشاعر في حقيقة حياة الأدباء وأهمية العلم والثقافة في الحياة، يتناول الشاعر الصعوبات والتحديات التي يواجهها

¹ بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 297.

² ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 679.

³ بن قينة، صوت الجزائر، المرجع السابق، ص 299.

الفصل الثالث: ————— الكتابات الشعرية

الأدباء في حياتهم، ويعبر عن التأثير العميق الذي يمكن أن يكون للمصاعب والتجارب الصعبة على الشعراء والكتاب.

يسلط الضوء على أهمية العلم والثقافة في الحياة، ويعكس الشعراء والأدباء كمصابين بالضيق والوصب بسبب تجاربهم الفكرية والمعنوية، يقول أحمد سحنون¹:

أني لأرحم إخواني ذوي الأدب

في هذه البيت، يعبر الشاعر عن تعاطفه ورحمته تجاه زملائه الأدباء، مما يدل على وجود ترابط وتلاحم بين أفراد المجتمع الأدبي، ثم يقول²:

لكل قوم نصيب في الحياة وما نصيبهم

يشير الشاعر هنا إلى فكرة توزيع الأقدار والمصائب بين الناس، وأن كل فرد له نصيبه المحدد في الحياة فيقول³:

أي امرئ شاعر لم ينفطر ألما

وأي ذي أدب في الناس لم يصب

تعبّر هذه الأبيات عن فكرة أن الشعراء وأهل الأدب يعيشون تجارب مؤلمة وصعبة، وأن الألم والمعاناة جزء لا يتجنب من حياتهم، ويقول الشاعر⁴:

كأن ذنب الفتى آدابه وعلى

قدر العقول تصاب الناس بالذوب

تعكس هذه البيتان فكرة أن الفتى أو الشاعر يُحكم عليه بسبب أخلاقه وتصرفاته، وأن الناس يُصابون بالغم والكتابة بحسب قدرتهم العقلية والثقافية، فيواصل الشاعر قوله⁵:

فالمرء إن كان ذا عقل ومعرفة

يفوته حظه في الجاه والنسب

¹ أحمد سحنون، "حرفة الأدب"، البصائر، ع 39، 16 أكتوبر 1936، ص 7.

² نفسه.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

⁵ نفسه.

يستعرض هذه البيت فكرة أن الشخص الذي يمتلك العقل والمعرفة قد يفوته الحظ في الحصول على الجاه والنجاح، ويركز على أهمية العقل والثقافة في الحياة، وفي الختام تبرز قصيدة "حرفة الأدب" للشاعر أحمد بن سحنون عواطفه مع زملائه الأدباء وتوزيع الأقدار في الحياة، يعكس الشاعر في القصيدة فكرة أن حياة الشاعر وأهل الأدب لا تخلو من التحديات والمصائب، وأن الألم والمعاناة جزء لا يتجنب من حياتهم، كما يسلط الضوء على أهمية العقل والمعرفة في تحقيق النجاح والتفوق في الحياة، ويؤكد على أن كل شخص يعيش تجاربه الخاصة ويحمل نصيبه المحدد في هذا العالم.

تميل القصيدة نحو التشاؤم في التعبير عن الصعوبات التي يواجهها الأدباء والشكوى من أوضاعهم الصعبة والمزربة، تتجلى قيمة القصيدة في كونها من الكتابات الشعرية التس جاءت ما بعد الحربين فهي تمنحنا صورة عن وضع أحمد سحنون النفسي مع زملائه من الشعراء في هذه الحرفة التي لا تطعمهم خبزاً بل هي سبب شقائهم.

3.1. قصيدة في السجن لرمضان حمود

وُلد الشاعر حمود سليمان رمضان في مدينة غرداية عام 1906، نشأ في ظل ظروف صعبة بسبب الجهل والانحطاط الذي كان يعانيه المجتمع الجزائري في ذلك الوقت، وكان والداه يسعيان جاهدين لتعليم ابنهم رغم التحديات التي فرضها الاحتلال، من خلال والدته، تعلم حب الوطن والانتماء له، حيث كانت تزرع فيه مشاعر الوطنية وهو يستمع إلى قصائد الشعر التي كانت تهدده له: "يا ابني، عش بين الناس عزيزاً، فأنت روعي ومُهجتي وفؤادي، بذراعي أحملك كطفل صغير، وحين تكبر ستحمي وطني" أظهر حمود منذ الصغر ذكاءً كبيراً، وكانت عائلته توفر له الوسائل اللازمة لتعليم جيد، بعد قضاء أربع سنوات في غليزان، عاد إلى غرداية ليكمل تعليمه ويطور مهاراته، ونجح في مسيرته التعليمية بفضل اجتهاده وذكائه¹.

كان حمود سليمان رمضان من أبرز الشخصيات الثقافية في الجزائر، حيث ساهم بفعالية في الجمعية الأدبية الوطنية وأطلق جريدة حائطية تعبر عن آراء الشباب، والتي تطورت لاحقاً إلى مجلة نصف شهرية أصبحت منبراً للأدباء والمثقفين، بعد عودته من تونس محملاً بالمعرفة، واصل نشاطه الصحفي وكتب في جريدة "الشهاب" وجريدة "وادي ميزاب"، حيث نشر مقالاته وأشعاره التي حملت رسالة قوية ضد الاحتلال الفرنسي، كما كتب أولى مؤلفاته مثل "بذور الحياة" و"الفتى"، وتجلت في كتاباته شخصيته الثائرة والمتمردة على التقاليد والمجتمع الاستعماري.

¹ محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود-شاعر التقليد والتجديد-، الملكية للطباعة والنشر والتوزيع، الحراش-الجزائر، 2007، ص 53.

على الرغم من التزامه بالحياة الزوجية بناءً على رغبة والده، استمر حمود في تعزيز مسيرته التعليمية والثقافية، تعلم في تونس الخط العربي والشعر والنثر، ثم توسع في دراسته لتشمل علوم الطبيعة والجغرافيا والتاريخ، إضافة إلى العلوم العربية مثل النحو والمنطق، في جامع الزيتونة، التقى بأساتذة بارزين وواصل تعليمه في جو ثقافي غني، ودرس أيضًا اللغة الفرنسية، ما ساعده في تكوين فكر مستنير وداعم للتجديد والإصلاح.

حمود سليمان رمضان كان يولي أهمية كبيرة للاستفادة من كل لحظة في حياته، خاصة خلال فترة إقامته بعيدًا عن وطنه، كان يشارك في حلقات الدروس ويسعى دائمًا للاستزادة من المعرفة، في تونس، أسس مع أصدقائه جمعية ثقافية تهدف إلى تعزيز التواصل بين الطلاب، ونجحوا في تأسيس جمعية أدبية وطنية، كانت جهودهم تؤتي ثمارها بإصدار جريدة حائطية تحفز الشباب على الانتماء للوطن والعطاء، ومع مرور الوقت تطورت الجريدة إلى مجلة نصف شهرية، وكان حمود من أبرز كتابها وأعضائها النشطين.

رغم أن خلفيته الثقافية لم تتجاوز المرحلة الإعدادية، إلا أن حمود تمكن من إثراء معرفته بنفسه من خلال القراءة في شتى المجالات، كما اهتم بتطوير مهاراته الأدبية والشعرية من خلال الاطلاع على دواوين كبار الشعراء مثل أحمد شوقي¹ وحافظ إبراهيم وجبران خليل جبران، في تونس، تخصص في حفظ الشعر، وهو ما ساعده في صقل موهبته الشعرية، كان يرى أن الحفظ هو الأساس لإنتاج شعر قوي وهادف².

ولقد مثّلت إقامة رمضان حمود في تونس محطة مفصلية في تطوره الأدبي، حيث تأثر بالأدب الرومانسي الفرنسي والعربي، واستلهم من جمال الطبيعة وأصواتها مادة شعرية غنية، وقد برز حمود كأحد أبرز نقاد المدرسة الكلاسيكية العربية، رافضًا الشعر التقليدي المحصور في المدح والثناء والتفاخر، ومؤكّدًا في مقالاته "حقيقة الشعر وفوائده" التي نشرها في مجلة الشهاب عام 1927، أن الشعر الحقيقي يجب أن يكون أداة للتحرر الوطني والتغيير، يعبر عن طموحات الأمة في مواجهة الاحتلال، لا مجرد تكرار لأغراض أدبية موروثة.

كان حمود يؤمن بأن الشعر يجب أن يكون صادقًا ومعبرًا عن روح العصر، بعيدًا عن التقليد والرمزية السائدة، داعيًا إلى أسلوب جديد يعبر عن معاناة الشاعر وهموم مجتمعه، رفض تقليد الكلاسيكيين، ودعا إلى توجيه الشعر

¹ أحمد شوقي (1868-1932): شاعر مصري بارز يُلقب بـ "أمير الشعراء"، يُعد من رواد التجديد في الشعر العربي الحديث، تميزت أشعاره بجزالة الأسلوب وقوة السبك، حيث تناول في قصائده قضايا وطنية وقومية، كما أبدع في الشعر المسرحي، تأثر بالتراث العربي الكلاسيكي، إضافةً إلى تأثره بالثقافة الأوروبية نتيجة دراسته في فرنسا، من أبرز أعماله الشوقيات، التي ضمت قصائد في مختلف الأغراض، ومسرحياته الشعرية مثل مجنون ليلى وقمبيز وعنترة، ينظر: نجيب البعيني، موسوعة الشعراء العرب المعاصرين، ج1، دار المنهل، بيروت- لبنان، 2009، ص ص 35-66، ينظر أيضًا: بوعلی كحال، أحمد شوقي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط 1، تيزي وزو، الجزائر، 2002، ص 16.

² بوطارن، رمضان حمود...، المرجع السابق، ص 57.

للطبقات الشعبية بلغة بسيطة وهادفة، تأثر بالشعر الرومانسي الغربي وشعراء مثل هوغو وجبران، كما تأثر بجماعة الديوان، خاصة العقاد، مما يعكس انفتاحه على الأدب الحديث، ورغم وفاته المبكرة عام 1929، تركت أفكاره بصمة واضحة في مسار تجديد الشعر العربي¹.

في كتابه "بذور الحياة" الصادر عام 1927 بتونس، قدّم رمضان حمود مجموعة من المقالات النقدية التي عبّر فيها عن دعوته لتجديد الشعر والحياة، انتقد التقليد والرجعية التي كرّسها الاحتلال عبر الجهل والعادات البالية، لكنه لم يدعُ إلى هدم القيم أو السخرية من الدين، بل ركز على تجاوز الجمود بأسلوب راقٍ، دعا إلى التحرر من القيود الشكلية للشعر، وإلى استخدام لغة مبتكرة تعبّر عن المعاني بجمال ووعي، تأثر بالواقع الجزائري، ما منح رؤاه الأدبية عمقاً جديداً، وجعل من "بذور الحياة" مساهمة متميزة في الفكر الأدبي النهضوي²، ورغم وفاته المبكرة في عام 1929 عن عمر يناهز 23 عاماً، كان لحمود دور ريادي في التمهيد للشعر الحر في الجزائر، كما أشار الدكتور محمد ناصر، حيث كان الوحيد الذي تبنى هذا النوع بوعي كامل، على عكس تردد الشعراء الآخرين في هذا المجال³.

قصيدة "في السجن" للأديب والشاعر رمضان حمود، التي وردت في الجزء الأول من كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي الزاهري (طبعة 1926)، تُعد تعبيراً عن تجربة حمود الشخصية ومعاناته في السجن، يقول⁴:

سمعتُ أنّ السّجنَ أضيقُّ من قبرٍ فألقيتُ قعرَ السجنِ أحسنَ من قصرٍ

في هذا البيت، يعبر رمضان حمود عن تجربة السجن كمعاناة جسدية تحمل في طياتها حرية معنوية تتفوق على حياة القصور التي قد ترمز إلى الترف الزائف والاستعباد، يبدأ بتصوير السجن كما هو متعارف عليه، مكاناً ضيقاً أشد وطأة من القبر، لكنه يبرز المفارقة حين يصف قعر السجن بأنه أفضل من القصر، هذه المفارقة تحمل دلالات عميقة؛ فالسجن بالنسبة إليه مكان يحفظ الكرامة ويعبر عن التمسك بالمبادئ، بينما القصر، رغم رفاهيته، قد يكون رمزاً للخضوع والفساد، بذلك، يؤكد الشاعر أن القيمة الحقيقية للإنسان لا تُقاس بالراحة المادية، بل بالمواقف النبيلة والإيمان بالحرية، ثم يواصل الشاعر⁵:

¹ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 135

² مهدي، هموم الكتابة ...، المرجع السابق، ص 161

³ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص 79.

⁴ السنوسي، شعراء الجزائر ...، ج 1، المصدر السابق، ص 176.

⁵ نفسه.

فماذا يُفيدُ القصرُ والقلبُ حائرٌ وماذا يضُرُّ السجنُ، من كان ذا قدرٍ

في هذا البيت، يواصل رمضان حمود إبراز المفارقة بين السجن والقصر، ليوضح أن القيمة الحقيقية للحياة لا تُقاس بالمظاهر المادية، بل براحة الضمير وقوة الشخصية، فالقصر، مهما كان مترقًا، لا يمنح السعادة لمن يعيش فيه بقلب حائر وممزق، بينما السجن، رغم قسوته، لا يضُرُّ إنسانًا ذا قيمة وكرامة، يمتلك القدرة على الصمود والإيمان بمبادئه، من خلال هذه الأبيات، يبرز الشاعر فلسفة الترفع عن الظروف الخارجية والتركيز على القوة الداخلية، حيث تصبح الحرية الحقيقية في القناعة والثبات، لا في المظاهر الزائفة، ويكمل حمود رمضان قصيدته¹:

ومن لم يذق طعمَ الردى بنضاله سيشكو الأذى والدمع من عينيه يجري

حيث في هذا البيت، يشير رمضان حمود إلى أن النضال الحقيقي يتطلب استعدادًا للتضحية حتى بالموت، فالشخص الذي لم يواجه المخاطر أو يذق طعم الردى في سبيل مبادئه وأهدافه النبيلة سيظل يعاني من الأذى النفسي والحسرة، وتنهال دموعه بسبب العجز أو الندم، فيؤكد الشاعر أن النضال هو الطريق لتحقيق الكرامة والحرية، وأن الخوف من الموت أو التضحية يجعل الإنسان عرضة للشقاء والدموع، بهذا المعنى، يدعو الشاعر إلى الشجاعة والثبات، معتبرًا أن الموت في سبيل القيم أشرف من حياة يكتنفها الذل والمعاناة، فيقول²:

يعيشُ كثيلاً حائرًا طولَ دهره يرى من صروفِ الدهرِ عُسرًا على عُسرٍ

يُبرز رمضان حمود في هذا البيت الحالة النفسية لمن يتخلى عن النضال والتضحية، حيث يعيش في حالة من الكآبة والحيرة طوال حياته، يصوّر الشاعر هذا الشخص بأنه ضحية للتقلبات القاسية للزمان، إذ لا يجد في حياته إلا المزيد من العسر والمشقة دون أي أمل أو مخرج، يعكس البيت رسالة مفادها أن الاستسلام والخوف من المواجهة يؤديان إلى حياة مليئة بالبؤس، بينما النضال والتضحية يمنحان الإنسان معنى وقيمة لحياته، حتى لو كان الثمن كبيرًا، بهذا يربط الشاعر بين الشجاعة في مواجهة التحديات والسعي نحو حياة كريمة، وبين الخنوع وما يجلبه من معاناة أبدية.

القصيدة تعبر عن تجربة السجن ومعاناة الحرمان من الحرية، وهي تجربة شديدة الوقع على النفس، الشاعر يستخدم التناقض بين السجن والقصر لتسليط الضوء على أن الحرية الداخلية والقيم النبيلة أهم من الرفاهية المادية.

¹ نفسه.

² نفسه، ص 176.

النضال والتضحية هما محور القصيدة، حيث يرى الشاعر أن الحياة بلا نضال هي حياة بلا معنى، يفضل الشاعر قعر السجن على القصر، لأنه يرى في السجن تأكيداً على مبادئه وقيمه، كذلك، يبرز الشاعر الأذى النفسي والجسدي الذي يعاني منه السجن، لكنه يظل ثابتاً بفضل قوة مبادئه وعزمته.

4.1. قصيدة ظلال لمحمد ديب

القصيدة هي لمحمد ديب، وهي من أعماله التي نشرت في عام 1961، فمحمد ديب يمثل جزءاً من الأدب الذي نشأ في سياق الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، ولكنه اشتهر في تجاربه النثرية أكثر من تجاربه الشعرية، والقصيدة تعكس تأملات عميقة في مفاهيم الهوية والتحول، حيث يظهر فيها البحر كرمز للأفق المفتوح والتغيير المستمر، ويظهر في نفس الوقت كعنصر ثابت يرمز إلى الثبات والاستمرارية، الطيور في القصيدة تظهر في البداية كرمز للحرية والانطلاق، لكن هذه الطيور تتكرر في النص بطريقة توحى بوجود دورة لا تنتهي، في تكرار مستمر يحاكي دورة الحياة ذاتها، الطيور، كما المرأة في القصيدة، هي كائنات في حالة انتقال دائمة، حيث لا يمكن الإمساك بها أو تحديد هويتها، مما يعكس حالة التمرد على القيود، فيقول¹:

تظهر الطيور،
ويشتعل شعاع،
هي المرأة؛
لا اسم، لا روابط، لا حجاب،
تسير بعينين مغلقتين،
المرأة، تحت نسيمات البحر الباردة.
ثم فجأة، تعود الطيور،
وتتسع تلك الشعلة
أبعد من لحظة في أعماق الغرفة.
وهذا هو البحر.

القصيدة تبدأ بإشارة إلى الطيور التي تظهر وتطلق شعلة، وهو ما يمكن تفسيره كرمز لبداية أو لحظة ولادة جديدة، ربما ولادة فكرة أو تغيير، الشاعر لا يعطي للمرأة اسماً أو رابطاً، مما يعكس سعيه لإظهار المرأة ككيان غير

¹Mohammed Dib, *Contre-jour*, Ombre gardienne, Paris, Gallimard, 1961, pp 38-39.

محدد وغير مرتبط بالقيود التقليدية أو المجتمعية، هذه المرأة هي رمز للحرية، فهي بلا حجاب أو تعريف، تتحرك بعينين مغلقتين، مما يمكن أن يرمز إلى حالة من التشتت أو الاغتراب، ولكن أيضًا إلى الاستقلال الكامل عن الأعراف المألوفة.

ثم يعود البحر كرمز رئيسي في القصيدة، حيث يظهر البحر في صور متعددة: أذرع ناعسة تحمل الشمس، لا شرق ولا شمال، لا عائق ولا حاجز، البحر هنا لا يمثل فقط عنصرًا طبيعيًا بل يشير إلى حالة من الوجود الغامض الذي لا يمكن تقييده، ويُظهر صورة للعزلة أو الوحدة التي لا تقتصر على مكان معين، بل هي شاملة وعالمية، كما أن البحر يتماهى مع المرأة في القصيدة، فكما هو البحر لا يحده شيء، كذلك المرأة هي كائن حر ومستقل، غير مقيد بأطر محددة، ومن خلال هذه الرمزية، يتضح أن الشاعر يعبر عن مسألة الهوية الجزائرية في مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث كانت الجزائر تبحث عن ذاتها وسط التغيرات الكبرى التي عصفت بها، والتكرار في القصيدة (الطيور، البحر، المرأة) يحمل دلالات على الديمومة والتكرار في البحث عن الهوية والتجديد، كما يرمز إلى الدورات الحياتية المستمرة، الطيور تعود في كل مرة، مثل التغيرات التي تحدث بشكل متكرر في حياة الشعوب، ولكن البحر يبقى ثابتًا كرمز للوطن، كما أن المرأة تظل رمزًا للتحرر والبحث الدائم عن المعنى، ويواصل ديب قصيدته قائلاً¹:

البحر، بأذرع ناعسة، تحمل الشمس.
لا شرق ولا شمال، لا حاجز ولا حدود، البحر؛
لا شيء سوى البحر، مظلمًا وهادئًا
سقط من النجوم، شاهداً على جروح السماء،
العزلة، التوقعات، الهمسات.
لا شيء سوى البحر،
والعيون التي غابت.
بلا موج، بلا ربح، بلا حجاب.
ثم فجأة، تعود الطيور،
وهذه هي المرأة.
لا نجم، لا حلم، لا نافورة، لا عجلة، المرأة.
الطيور تعود،
ولا شيء سوى البحر.

¹ Mohammed Dib, *Contre-jour, Ombre gardienne*, Gallimard, Paris, 1961, pp 38-39.

نُشرت القصيدة في عام 1961، وهو العام الذي كان يشهد لحظة فارقة في تاريخ الجزائر، حيث كانت الثورة التحريرية ضد الاحتلال الفرنسي قد أوشكت على نهايتها، وكانت الجزائر تستعد لاستقلالها، كانت تلك الفترة مليئة بالتحويلات الكبرى، إذ كان الشعب الجزائري في حالة من البحث المستمر عن هويته الوطنية بعد عقود من الاحتلال، القصيدة تتماهى مع هذا السياق التاريخي، حيث يعكس البحر والطيور في النص حالة الانطلاق نحو المستقبل بينما المرأة تمثل جوهر الهوية المتجددة التي تتجاوز القيود الاجتماعية والتاريخية، فتعكس القصيدة حالة الوجود بعد الاستقلال، محاولة تتجاوز الجراح الماضية، والنظر إلى المستقبل بعينين مغلقتين، بمعنى أن الجزائر كانت في مرحلة من التأمل الداخلي والبحث عن ذاتها الجديدة بعيداً عن تأثيرات الاحتلال، البحر والطيور في القصيدة يشيران إلى آفاق جديدة لم تُكتشف بعد، بينما المرأة تظل رمزاً للقوة والتحرر من القيود التي فرضتها السلطة الاستعمارية.

5.1. خواطر كئيب لمفدي زكرياء

وُلد مفدي زكرياء في بني يزقن عام 1908، ونشأ في بيئة وطنية مليئة بالتربية القومية، بدأ حفظ القرآن الكريم في إحدى كتاتيب بني يسمن وأتمه في مدينة عنابة، حيث تلقى أيضاً دروساً في اللغة العربية والشريعة الإسلامية، نشأ في أجواء ثقافية ووطنية، متأثراً بنشاط أقرائه في الحزب الحر الدستوري التونسي ودعمهم للحرب الطرابلسية، وقد كان لعلاقته بعمه الشيخ صالح بن يحيى، أحد أبرز الشخصيات الوطنية في تونس، أثر كبير في تشكيل وعيه الوطني، كما تعمّقت رؤيته السياسية من خلال صداقته الوثيقة مع الزعيم الوطني عبد العزيز الثعالبي، الذي كان يزور منزلهم بانتظام، مما ترك بصمة واضحة في شخصيته¹.

تشكّلت في كنف البعثة العلمية الميزابية بتونس بيئة تربوية وطنية ودينية غرست حب الوطن والاعتزاز بالهوية الإسلامية واللغوية في نفوس الشباب، بفضل رموز مخلصه كإبراهيم اطفيش وأبي اليقظان، شارك الشباب في أنشطة ثقافية ووطنية، والتقوا بزعماء بارزين كالثعالبي وابن باديس، في ظل مناخ تونسي مشحون وطنياً بعد الحرب العالمية الأولى، وهو ما وثّقه ابن باديس في مقاله "هضة جزائرية بالحاضرة التونسية"، وكان مفدي زكرياء تجسيدا لهذا الحب الوطني، فقد عبّر شعره منذ بداياته عن حب عميق للجزائر وهويتها، وبلغ هذا الحب ذروته في "إلياذة الجزائر"، حيث جعل من الجزائر معشوقته الأولى، مستبدلاً الحب التقليدي للمرأة بحب الوطن، متأثراً بصديقه رمضان حمود، ليُعد من أوائل من رمزوا "ليلي" للجزائر في الشعر الوطني².

¹ محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 1984، ص ص 7-8.

² ناصر، مفدي زكرياء...، المرجع السابق، ص 9.

عند عودته إلى الجزائر، واصل مفدي زكرياء نشاطه الوطني رغم انخراطه في العمل التجاري، حيث ظل وفيًا لقضايا الوطن، مناضلاً بالكلمة والقلم، شارك في حزب نجم شمال إفريقيا وتولى رئاسة لجنته التنفيذية، كما أشرف على تحرير جريدة "الشعب"، واستخدم الصحافة وسيلة لتعزيز الوعي السياسي، لم تنه الاعتقالات والسجون عن مواصلة النضال، بل كانت دافعاً لتكثيف نشاطه الشعري والإعلامي في خدمة قضية الاستقلال، عُرف بلقب "شاعر الثورة" لما كان لصوته من أثر في تعبئة الجماهير من خلال الصحف، والإذاعات، والمؤتمرات، وبعد الاستقلال، انتقل إلى تونس ثم المغرب، وواصل نشاطه الأدبي حتى وافته المنية في تونس سنة 1977، تاركاً إرثاً أدبياً خالداً، يتقدمه ديوانه "اللهب المقدس" الذي عبّر فيه عن لهيب الثورة الجزائرية وأحلام شعبها في الحرية¹.

وبالعودة إلى القصيدة "خواطر كئيب"، المنشورة في ديوان شعراء الجزائر في العصر الحاضر الجزء الأول المنشور سنة 1926، حيث يعكس العنوان حالة وجدانية يغلب عليها الحزن والتأمل العميق، فكلمة "خواطر" تشير إلى الأفكار والمشاعر العفوية التي تخطر على البال، وهي تعبير ذاتي يحمل طابعاً شخصياً، أما كلمة "كئيب" فتدل على الحزن والأسى، مما يوحي بأن هذه الخواطر نابعة من تجربة مؤلمة أو مشاعر حزينة، العنوان بذلك يُمهّد لنص يحمل طابعاً وجدانياً عميقاً، حيث يتأمل الشاعر أو الكاتب في قسوة الحياة، مرور الزمن، أو فقدان شيء عزيز، ليقول رابطاً قوياً بين القارئ ومضمون النص من خلال التعبير عن آلام مشتركة وتجارب إنسانية مؤثرة.

في العقد الثالث من القرن العشرين، استخدم الجزائريون اللغة العربية والشعر كأدوات مقاومة ثقافية ضد سياسات الاحتلال الفرنسي، التي استهدفت طمس الهوية الوطنية والدينية، فقد أصبح الشعر وسيلة للتعبير عن معاناة الشعب وآماله في الحرية، وبرزت قصائد مثل "خواطر كئيب" كمرآة لهذا الواقع، حيث عبّر الشاعر فيها عن الحزن لفقدان "العهد الجميلة"، في إشارة إلى الماضي السيامي للجزائر قبل الاحتلال. كما صوّر الزمن كـ"قوس الطوارق"، في تعبير رمزي عن دهر قاسٍ يوجّه سهامه نحو الجزائريين، مستهدفاً حياتهم وقيمهم، مما يعكس شعوراً عميقاً بالألم والاعتراب في ظل واقع استعماري قاهر²:

هو الدهر في قوس الطوارق ما أبقى	فله ما لقيت منه وما ألقى
وتلك عهود ما ألد كؤوسها	لو أن يريق السعد كان بها صدقا
رعى الله أياما لنا ولياليا	أبى الله إلا أن تعد مع العنقا

¹ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص 72.

² السنوسي، شعراء الجزائر ...، ج2، المصدر السابق، ص 157.

أويقات عز، كم خلعن مطارفا	علينا سنيات، مفوفة بلقا
عهد رشفنا من سلافة ثغرها	نمير معالينا فتيمننا عشقا
وعصر تقضى فاستهلت عيوننا	بمخضل دمع ظل مسترسلا طلقا
وما الدمع بالسلى إذا هو لم يكن	ترقرق في شعر تردده الورقا
هو الشعر أسرار القلوب تقمصت	لديه، فأولاه الصراحة والنطقا
هو الشعر آيات النبوغ تفجرت	بكاساته البيضاء، فناولها الخلقا
هو الشعر أنات القلوب ترددت	بمزهرة الصداح تخترق الأفقا
هو الشعر للإحساس أهدى من القطا	وأبصر في بحر العواصف من زرقا

قصيدة "خواطر كئيب" تعبر بعمق عن حزن وتأملات الشاعر مفدي زكرياء في قسوة الزمن الذي يشبهه بقوس الطوارق اللارحمة، حيث يذكر بمرارة الأيام الحميلة التي مضت، مشبها إياها بالكؤوس اللذيذة المليئة بالفرح، لكنه يراها الآن ذكرى بعيدة وحزينة، الشاعر يتمنى عودة تلك الأيام المشرقة ويرجو رعاية الله لها، لكنه يدرك أن الدموع لا تكفي للعزاء الحقيقي، يبرز في القصيدة دور الشعر كأداة صادقة للتعبير عن آهات القلب ومشاعر الألم، حيث يرى فيه وسيلة للنبوغ والإبداع تكشف أعماق الأحاسيس الداخلية بدقة وشفافية، يعكس الشاعر تردده بين الأمل والحزن، ويختتم بتصور أن الشعر قادر على تجاوز الحدود والوصول إلى القلوب، ليُعبر عن أعماق مشاعره وينقلها إلى الآخرين.

6.1. قصيدة مصابك يا وادي الشلف لمحمد بولبينة

الشاعر محمد بولبينة هو أحد الأصوات الشعرية الجزائرية التي ظهرت في فترة حاسمة من تاريخ البلاد، في ظل الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، ورغم أن العديد من الشعراء الجزائريين الذين شاركوا في هذه الفترة قد نالوا شهرة واسعة، فإن هناك آخرين مثل محمد بولبينة الذين ظلوا في الظل بعد الاستقلال، ولم يحصلوا على تسليط الضوء الذي يستحقونه في الأدب الجزائري الحديث.

قصيدة "مصابك يا وادي الشلف" التي كتبها محمد بولبينة عام 1954 تعد من أبرز أعماله، رغم ذلك اختفى اسمه من الساحة الأدبية بعد الاستقلال، وهو واقع يعكس هيمنة الأيديولوجيات السياسية والثقافية التي قيدت المشهد الأدبي وطمست أصواتاً مهمة لم تتوافق مع التيارات السائدة، هذا الوضع يطرح تساؤلات حول ضرورة إعادة الاعتبار لتاريخ الأدب الجزائري وتقديم هؤلاء الشعراء الذين ساهموا في النضال الأدبي والثقافي، مثل

محمد بولبينة، المعروف بشاعر سيرتا، الذي رغم شهرته آنذاك في صحف مثل الشهاب والنجاح، غاب عن الدراسات والاهتمام الأكاديمي، عبد الله حمادي وصفه بأنه شاعر مجهول رغم تأثيره وحضوره اللافت، ويبدو أنه أنهى حياته خارج الجزائر، مع العلم أنه كان حاضراً في مناسبات وطنية مثل تدشين نادي الاتحاد بقسنطينة عام 1932 حيث ألقى قصيدة مميزة¹.

وبالعودة إلى القصيدة ففي التاسع من سبتمبر عام 1954 ضرب زلزال عنيف مدينة الشلف (المعروفة سابقاً باسم الأصنام) زلزالاً مدمراً، مما أسفر عن مقتل حوالي 1500 شخص وإصابة 5000 آخرين، وفقاً للسلطات الفرنسية، بلغت قوة الزلزال 7 درجات على مقياس ريختر، بينما تشير مصادر أخرى إلى أن قوته كانت 6.5 درجات، عندما سمعت الدول الخارجية بهذه الفاجعة التي هزت كيان سكان الجزائر، سارعت بتقديم مساعداتها من مختلف أنحاء العالم، على سبيل المثال، قدم وزير الداخلية الفرنسي ميثيران² (François Mitterrand)، 15 مليون فرنك فرنسي كدعم، في العاشر من سبتمبر 1954، قدم حلف الناتو والصليب الأحمر مساعداتهم اللازمة لمساعدة منكوبي زلزال الشلف³.

تبع الزلزال حوالي 70 هزة ارتدادية خلال اليومين التاليين، شعر بها سكان المدن المجاورة مثل وهران وسعيدة، تسبب الزلزال في انهيار نحو 90% من مباني المدينة، مما أدى إلى دمار واسع النطاق⁴.

وقع الزلزال قبل أقل من شهرين من اندلاع الثورة الجزائرية، ولذلك اكتسب أهمية تتجاوز كونه كارثة طبيعية. تشير دراسات تاريخية إلى أن طريقة إدارة السلطات الاستعمارية للإغاثة أثارت انتقادات واسعة، بينما لعبت هيئات وجمعيات دولية دوراً في تنظيم التضامن ومساعدة المتضررين.

تأثر الجزائريون بهذا الحدث وقد عبر الأدباء بطريقتهم عن الكارثة، فكتب محمد الأخضر السائحي قصيدة بعنوان على أشلاء الأصنام⁵، وكتب قصيدة "مصائبك يا وادي الشلف" لشاعر سرتا الأستاذ بولبينة كما كتب تحت

¹ مجموعة شعراء، ديوان هنا الجزائر 1952-1960، تح: عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020، ص 194.

² فرانسوا ميثيران (1916-1996): سياسي فرنسي بارز، يُعد من أهم الشخصيات السياسية في فرنسا خلال القرن العشرين. شغل عدة مناصب وزارية في الحكومات الفرنسية المتعاقبة، وكان وزيراً للداخلية الفرنسية سنة 1954، ثم تولى لاحقاً رئاسة الجمهورية الفرنسية من سنة 1981 إلى سنة 1995، ليكون أول رئيس اشتراكي للجمهورية الخامسة يحكم فترتين رئاسيتين متتاليتين، ينظر:

Jean Lacouture, François Mitterrand, Éditions du Seuil, Paris, 1998.

³ هاشي آمال، "أحداث زلزال منطقة الشلف 1954، دراسة من خلال الصحف الفرنسية"، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع 19، 19 جانفي 2019، ص 08.

⁴ James W. Dewey, The 1954 and 1980 Algerian Earthquakes: Implications for the Characteristic-Displacement Model of Fault Behavior, Bulletin of the Seismological Society of America, Vol. 81, No. 2, 1991, pp. 446-467.

⁵ محمد الأخضر السائحي، "على أشلاء الأصنام"، مجلة هنا الجزائر، السنة الثالثة، ع 28، أكتوبر 1954، ص 10.

الفصل الثالث: ————— الكتابات الشعرية

عنوان القصيدة في مجلة هنا الجزائر¹، تتناول القصيدة للشاعر بولبينة حادثة زلزال وادي الشلف الذي ضرب الجزائر بقوة، حيث يعبر الشاعر عن الحزن العميق والمواساة للأمة الجزائرية، ويشيد بالتحمل والصمود في مواجهة هذه المحنة، فيقول²:

مصائبك يا واد الشلف مروع وخطبك يا قطر الجزائر مفزع

يصف الشاعر شدة الزلزال الذي أصاب وادي الشلف بالمروع والمفزع، مما يبرز فداحة الكارثة وتأثيرها على النفوس، ثم يشير إلى أن الزلزال أصاب الأمة بالحيرة والذهول، وأنه يأتي بفعل القدر الذي لا يمكن مقاومته، ثم يستعمل الشاعر هنا استعارة "سهام القضاء" للإشارة إلى القدر القاسي، ويؤكد على الرضا بقضاء الله وقدره، ثم يبرز الشاعر التحمل والصبر في مواجهة المحنة، حيث يظهر البؤس والدموع في أعين الناس، فيقول³:

أصابك زلزال فحير أمة لمفعول سلطان المقادير تخضع
سهام قضاء باغتتك بقسوة فقلت: إله الكون ما شاء يصنع
تواجه يا قطر الجزائر محنة بصبر، وتُفشي البؤس في العين أدمع

يعبر عن تضامن الجميع مع ضحايا الكارثة، حيث يقفون بخشوع أمام الضحايا المتعددين، ويدعو الشاعر إلى التحمل والصمود أمام أهوال الحياة، مشيرًا إلى أن الأفراح تأتي بعد الصبر على المحن، فيواصل⁴:

يشاطر كل البلاء وإننا أمام ضحاياك العديدين خُشِعْ
تجلد فأهوال الحياة جريئة ومن شأن أفراح الزمان التمتع
واصل مساعي تبعث الدور والقرى بعيش جديد بالهناء يُشَفِّعْ

يشجع الشاعر على الاستمرار في الجهود لإعادة بناء الدور والقرى، مبشرًا بحياة جديدة مليئة بالسعادة، ثم يوضح أن الشعوب الأخرى تبدي عطفها وتقدم المساعدة للتخفيف من المشقة، ويواصل⁵:

إليك شعوب الأرض تُرسل عطفها وتهديك عونًا للمشقة يدفع

¹ محمد بولبينة، "مصائبك يا وادي الشلف"، هنا الجزائر، السنة الثالثة، ع 28، أكتوبر 1954، ص 11.

² نفسه.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

⁵ نفسه.

فشكرا لإحسان تسارع أهله كذلك رجال الخير للخير تهرع
وبشرى بعيش لا تكدر صفوه خطوب، وذئ شمس اليسارين تطلع

القصيدة تعبر عن شكر الشاعر لإحسان الناس الذين سارعوا لتقديم المساعدة، مع تقدير رجال الخير الذين وقفوا لدعم المتضررين، وتنتهي برسالة أمل بمستقبل مشرق وحياة هادئة تخلو من الكوارث، تحمل القصيدة رسالة قوية عن الصمود والتحمل في وجه المحن، وتعكس التضامن والتعاطف مع المتأثرين، مشيدة بروح الصبر والإصرار على إعادة البناء، ومثمّنة جهود الدعم من الشعوب الأخرى، مع دعوة للاستمرار في العمل والأمل، استخدم الشاعر أسلوبًا بلاغيًا مؤثرًا غني بالاستعارات والتشبيهات ليرز شدة الكارثة وعظمة التحمل، مما يعزز تفاعل القارئ مع مشاعر الحزن والأمل، من خلال تضامنه مع أهله في مصاب زلزال الشلف، يجسد الشاعر دوره الاجتماعي والإنساني كصوت يعبر عن الآلام الجماعية ويقوّي الوحدة والتكاتف، فشعره يصبح وسيلة لإعادة بناء الروح الجماعية، حاملاً مشعل الأمل والعزاء، مؤكّداً أن الأدب ليس مجرد تسلية بل أداة للتضامن والمواساة في أوقات الأزمات.

2. كتابة شعر الغزل

1.2. مساجلة أدبية

المساجلة الأدبية هي نوع من التفاعل الأدبي بين الشعراء، حيث يرد كل شاعر على الآخر بيت أو أبيات شعرية تحمل نفس الموضوع أو تتعلق به، في هذه المساجلة، يجتمع ثلاثة شعراء جزائريين: بدوي جلّول، أحمد سحنون، ومحمد العيد في أحد المنتزهات الجميلة بالعاصمة الجزائرية، ويتبادلون الأبيات الشعرية التي تعكس مشاعرهم وتفاعلهم مع مشهد معين، وقد نشرت جريدة الشهاب هذه المساجلة سنة 1938 عبر صفحاته¹، ويمكننا تقديم وتحليل هذه المساجلة كالآتي:

يقول جلّول البدوي²:

وفتاة مرت بنا ذا صباح تشنى كأنها غصن بان

¹ بدوي جلّول، أحمد سحنون، ومحمد العيد، "مساجلة أدبية"، الشهاب، ج 2، مج 14، ماي 1938، ص 114.

² نفسه.

يصف البدوي مشهداً لفتاة تمر أمامهم في الصباح، تتحرك برشاقة تشبه غصن البان، استخدم الشاعر تشبيهاً
جَمِلاً يعكس رقة الفتاة وخفة حركتها.

يرد أحمد سحنون¹:

ثم ولت وما رأت القلوب رشقتها بلحظها الفتان
يصف أحمد سحنون كيف أن الفتاة مضت في طريقها دون أن تنتبه إلى تأثيرها على القلوب التي أُصيبَتْ
بسحر نظراتها الفاتنة، يعكس البيت التأثير العاطفي الذي أحدثته الفتاة رغم مرورها العابر.
يقول محمد العيد آل خليفة²:

قربت وصلها القلوب ولكن حال من دونها اختلاف اللسان
يشير محمد العيد إلى أن القلوب ترغب في التقرب من الفتاة، ولكن حاجز اللغة أو الاختلاف يمنع ذلك،
هذا البيت يحمل رمزية عن العوائق التي تحول دون التواصل، ربما تشير إلى اختلاف الثقافات أو الفهم، فالشعراء في
العاصمة وربما من مرت بهم امرأة أوروبية.
يرد مرة أخرى الشاعر جلول البدوي³:

ربة الدل داركي أنفسا حيرى تعاني من الضنى ما تعاني
لفته ترجع الحياة إلى القلب وعطفاً يُعيدُ مَنبت الأمانى
يطلب البدوي من الفتاة أن تلتفت وتمنح قلبه نظرة تعيد له الحياة وتعيد إليه الأمانى، يعكس البيت حالة
العاطفة الشديدة التي يشعر بها الشاعر تجاه الفتاة.
يرد سحنون (مرة أخرى)⁴:

وارتشافا من ريقك يطفئ خمر وارتشافا من ريقك يطفئ خمر
وابتساما ينير ظلمة نفس عذبت بالصدود والهجران

1 نفسه.

2 نفسه.

3 نفسه.

4 نفسه.

يطلب سحنون من الفتاة أن تروي عطشه بابتسامة أو بقبلة، مما يخفف من عذابه، يعبر البيت عن الألم العاطفي الناتج عن الصد والهجران.

يرد العيد (مرة أخرى):

أحسني فالحسنان في شرعة الآداب أولى الأنام بالإحسان
ملك الحسن أمرنا فارنا كيف يتلى الإنسان بالإنسان

يدعو العيد في قصيدته الفتاة إلى حسن المعاملة، مؤكداً أن الجمال الحقيقي ينبع من الأخلاق والإحسان، مما يسلط الضوء على أهمية الجمال الداخلي وسلوك الإنسان، تعكس هذه المساجلة الشعرية حواراً جمالياً عاطفياً بين شعراء التيار الإصلاحية، الذين عبروا عن إعجابهم بجمال فتاة أوروبية غريبة، مما أضفى عمقاً وحساسية على النص رغم التناقض مع الأهداف السياسية لتلك الفترة، يبرز هذا العمل أن الشعراء، مهما انتموا إلى تيارات فكرية، يظلون بشراً يعبرون عن تجاربهم الشخصية والجمالية، وليسوا مجرد أدوات أيديولوجية، وتوضح التجربة كيف بدأت جرائد الجمعية الإصلاحية تسمح بمواضيع أدبية مختلفة في بداياتها، قبل أن تتجه لاحقاً إلى تقنين المواضيع ومنع الحديث عن المرأة، وهو ما سيُناقش لاحقاً.

2.2. قصيدة (دنيا) لعناني سليمان

وُلد سليمان عناني في ولاية تيبازة وامتاز منذ صغره بحبه الكبير للتعلم واهتمامه العميق بالفكر والأدب واللغة العربية، تلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه ثم انتقل إلى المدرسة "الثعالبية" في الجزائر العاصمة، خلال فترة الاحتلال الفرنسي، كان عناني من المدافعين عن اللغة العربية حيث حرص على تعليم الأطفال والتلاميذ قواعد اللغة العربية في سرية تامة، كما كان يقدم دروساً في المسجد حفاظاً على تعاليم الدين الإسلامي، وبعد الاستقلال، واصل سليمان عناني العمل في مجالات الفكر والشعر والتاريخ، مفضلاً الابتعاد عن السياسة، بدأ في نظم الشعر العمودي خلال الأربعينيات والخمسينيات بتشجيع من أساتذته، كما تعمق في تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها، مما أهله لترجمة العديد من الكتب من الفرنسية إلى العربية، توفي في ماي 2013 بولاية تيبازة، تاركاً إرثاً ثقافياً وأدبياً مهماً¹.

¹ مجموعة شعراء، ديوان هنا الجزائر، المصدر السابق، ص 200.

قصيدة "دنيا" للشاعر سليمان عناني تتناول موضوعات الحب، التردد، والتصوف الروحي في مواجهة تقلبات الحياة ومرارتها، حيث يعبر الشاعر عن معاناته النفسية الداخلية والصراع العاطفي بين الأمل والخوف من الخيبة، مع تساؤلاته المستمرة حول معنى الحب والحياة، فيقول¹:

عندما يصبو إليك القلبُ	من بعد الصدود
ويُعاني ما يعاني	من تمنٍ ووعود
يعرف القلبُ معاني الحب	أو معنى الخلود
إذ يرى الغابر يمضي	ثم يدنو ويعود
هكذا الحب دواليك	طريف وتليد
هكذا الحب قديم	يتلاشى وجديد
عندما يصبو إليك	قلبٌ يدري ما الوجود
في ليالي الحب، يا صاح	وجدتُ القلبَ ذائبًا
كنتُ خلوا من جحيمٍ، ال	حبٌ لا أشكو عذابًا
فغزا الحبُّ فؤادي	ودعاه فاستجابا
ورأى الدنيا جمالًا	ووصلاً واقترابًا
غير أنَّ الخِلَّ قد يخ	طئُّ أو يلقي الصوابًا
فإذا الصَّحو يجيء	للمحبين سحابا
عندما يصبو إليك القلبُ	تدريه الشهود

القصيدة تبدأ بتعبير عن الوله والشوق، حيث يتحدث الشاعر عن صَبْوَة القلب، وهو تعبير عن الشوق العميق واللهفة نحو المحبوب، يروي كيف أن القلب يُعاني ما يعانيه من أمل وآمال قد تتلاشى، يظهر في هذه الأبيات التأرجح بين الأمل والواقع، بين الحلم الذي يحلم به الحب والعذاب الذي يعانيه، وعند وصول القلب إلى المعنى الحقيقي للحب، يكتشف أنه ليس مجرد شعور عابر بل هو معنى الخلود، في تعبير عن شدة العمق الروحي الذي يجلبه الحب.

يواصل الشاعر في قصيدته ليصف الذكريات التي ترافقه، حيث يعبر عن كيف أن ذكرياته "كلها سُحْبٌ" تتجدد وتختلط بين الوجد والألم، يقارن الذكريات بحالة من "الظمأ الروحي" التي لا يجد لها إرواءً إلا من خلال الحب، في نفس الوقت، يرى أن هذه الذكريات تكون أحياناً مصدرًا للألم، لكنها أيضًا تحمل معه معانٍ من الجمال

¹ عناني سليمان، "دنيا"، مجلة هنا الجزائر، السنة الثالثة، ع 30، ديسمبر 1954، ص 10-11.

والشوق إلى الماضي، يتساءل أيضًا في حالة من الندم عن معنى وجوده وما إذا كان يسير في "طريق الخير" أم في طريق الضلال الذي لا يجد له فيه مخرجًا.

يشير الشاعر إلى "تقلّب الحياة" والعاطفة بين الفرح والحياة، فيقول إن الحب في هذه الدنيا يشبه "الظلام"، الذي يجعل الناس يبحثون عن نورٍ في وسطه، لكن هذا النور ليس دائمًا موجودًا، هناك إشارة إلى التحديات التي يواجهها القلب، حيث يصفه بأنه "يُضنيه الصدود"، أي أن القلوب يمكن أن تتعرض للخيانة والتجاهل، يتساءل الشاعر إن كان "الحب" في النهاية "مغزى الحياة"، أم أنه مجرد سراب تلاحقه الأماني.

في جزء آخر من القصيدة، يبدأ الشاعر في التفكير في مصيره الشخصي وما إذا كان يسير في الطريق الصحيح أم لا، يتأمل في معنى "الخير" وما إذا كان يستطيع تمييزه وسط الزمان الذي يتغير باستمرار، وفي هذه الأبيات، يظهر الشاعر في حالة "حيرة" مستمرة، يعبر عن تساؤلاته الوجودية المتعلقة بالاختيارات والحياة، هذا التأمل يبرز الصراع الداخلي بين العواطف والعقل، حيث يتساءل عن مدى إمكانية الإيمان بمستقبل مضمون في عالم مليء بالتحديات. قصيدة "دنيا" هي رحلة عاطفية وفكرية في نفس الشاعر، تمزج بين الرغبة في الحب والتساؤلات العميقة حول معنى الحياة والحب، الحب في هذه القصيدة ليس مجرد علاقة بين شخصين بل هو تجربة روحية مليئة بالتأملات، الصراع، والتساؤلات حول الحقيقة والمصير، كما أنها تُظهر كيف أن الشاعر يرى نفسه محاصرًا بين الأمل في الحب والشكوك التي تطرأ على قلبه نتيجة لتقلبات الحياة.

إنَّ النظر إلى القصيدة "دنيا" في سياقها التاريخي والعاطفي يشكّل بُعدًا إضافيًا لفهم الرسائل المتضمنة فيها، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما حدث في الجزائر في فترة ما بعد اندلاع الثورة التحريرية، الشاعر سليمان عناني قد كتب هذه القصيدة في فترة زمنية حرجة، حيث كانت الجزائر في خضم ثورة شديدة ضد الاحتلال الفرنسي، وفي هذا السياق، يمكننا تفسير القصيدة على مستويات متعددة، سواء كانت قبل أو بعد بداية الثورة، نظرًا لتأثير تلك الظروف على الإبداع الأدبي والفكري في الجزائر.

إنَّ الثورة الجزائرية التي بدأت في 1 نوفمبر 1954، كانت لحظة فارقة في تاريخ الجزائر، إذ أُطلق صوت المقاومة بوجه الاحتلال الفرنسي، من جهة أخرى، كان الشعر والأدب أحد الأدوات الأساسية في النضال الثقافي والسياسي في الجزائر، قبيل الثورة وأثناءها، استخدمت العديد من الأصوات الأدبية لمجلات وصحف مثل "هنا الجزائر" وغيرها من الوسائل الثقافية، التي لعبت دورًا حاسمًا في نقل الوعي الوطني وتعريف الرأي العام العالمي بالوضع

في الجزائر، إذا كانت القصيدة قد كتبت في فترة قريبة من اندلاع الثورة أو بعدها بقليل، فإن ذلك يضيف بُعداً جديداً من الإحساس برفض التمرد على الواقع الاستعماري ويمزج بين التأمل الشخصي والهم الوطني.

يظهر في القصيدة صراعٌ داخلي بين الرغبة في الحب والأمل في الحرية والتجدد من جهة، وبين الألم والخذلان الناتج عن الواقع الاجتماعي والسياسي المحيط به من جهة أخرى، هذا الصراع الداخلي يتناغم مع الصراع الكبير الذي كان يعيشه الشعب الجزائري في مواجهة الاحتلال الفرنسي، ومن خلال القصيدة، يمكن أن نرى تأثير الحرية الشخصية على الحرية الوطنية، حيث تتشابك الروح الإنسانية في بحثها عن الحب والأمل مع البحث عن التحرر والكرامة الوطنية.

يستعير الشاعر في قصيدته موضوع الحب كأداة رمزية، فالحب هنا ليس مجرد علاقة بين فردين، بل هو رمز للتحرر والسعي نحو الكرامة، هذا التوق إلى الحبيبة يمكن أن يُفهم على أنه توق إلى الحرية، تلك الحرية التي كان الشعب الجزائري يتوق إليها منذ زمن طويل، لذلك، يمكن للقصيدة أن تكون بمثابة إعلان عن المقاومة الثقافية ضد الاحتلال، حيث يتحوّل حب الشاعر إلى حلم أو تمّن للحرية في سياق الزمان والمكان الذي كان يعيشه.

القصيدة تكتسب أهمية خاصة عندما نربطها بالإطار الثقافي الذي نشأت فيه، إذ كانت الأقلام الجزائرية تحت الاحتلال بمثابة أسلحة ثقافية في مواجهة القوة الاستعمارية، من خلال هذه القصيدة، يمكننا ملاحظة أن الشاعر يعبر عن التمرد الصامت، الذي يختلف عن التمرد العلني المسلح لكنه يتفق معه في الهدف: تحقيق الحرية، إذ كان الشاعر يسعى من خلال الأدب إلى إشعال الوعي لدى القراء، وإضاءة الطريق نحو التحرر الفكري والعاطفي، وإذا كانت القصيدة قد كتبت في الظروف الاستعمارية، فإنها تصبح جزءاً من تلك الحركة الأدبية التي حاولت مقاومة القهر من خلال الكلمة، مثلما كانت المجالات الأدبية والأقلام الوطنية تشكل سلاحاً ثقافياً.

إن القصيدة، في هذه الحالة، يمكن أن تمثل جزءاً من النضال الأدبي ضد الاحتلال، فالشاعر عناني يقدم صورة رمزية عن الإنسان الجزائري الممزق بين الألم والأمل، كما يُظهر كيف أن الزمن والذاكرة لا ينفصلان عن المقاومة، وهذا يشير إلى أن الشاعر لم يكن فقط معنياً بالحب الشخصي، بل كان يشير أيضاً إلى التوق الجمعي للحرية، والذي كان يعبر عنه الجزائريون في كل مجالات حياتهم، بما في ذلك الأدب والفن، ولكنها تعبيرات بين السطور كونه ينشر في مجلة استعمارية.

إذا أخذنا في الاعتبار أن القصيدة كانت قد نُشرت بعد شهر من اندلاع الثورة، فإنها قد تكون قد كتبت قبل الثورة بفترة معينة، لكن من المؤكد أنها تستدعي أيضاً معاني الثورة وأحداثها، إذ يمكن فهم الحب في القصيدة

كشوقٍ ورفضٍ للواقع، حيث يظهر الشاعر بين تمنٍّ لوعود لم تتحقق وبين الصدود الذي يعيشه في حياته الخاصة وفي حياته الاجتماعية والسياسية، هذا يتناغم مع الواقع الجزائري في تلك الفترة الذي كان مليئًا بالوعود والاستفهامات حول مصير الوطن.

ثالثًا: نماذج من الشعر الملتزم:

1. كتابة الشعر القومي:

1.1. قصيدة دمعة على الملة لعمر بن قدور

عمر بن قدور، صحفي وكاتب وشاعر جزائري، ويعتبر من رواد الصحافة العربية الوطنية في الجزائر، ولد في مدينة الجزائر العاصمة سنة 1886م، خلال حكم لويس تيرمان (Louis Tirman)، في فترة اعتبرت جافة في تاريخ الجزائر¹.

نشأ عمر بن قدور في بيئة اجتماعية وفكرية مميزة خلال الحقبة الاستعمارية في الجزائر، التي شهدت استمرار المقاومة في شكلها الفكري وظهور تيارات الحركة الوطنية، تأثر بفكر الإصلاح الديني المنتشر في العالم الإسلامي، المتزامن مع سقوط الدولة العثمانية وتنامي القومية العربية، وكان لهذا السياق دوره في تشكيل وعيه الوطني والإصلاحي، تلقى تربية دينية وروحية عميقة من والدته، التي كانت نموذجًا للتقوى والإيمان، ورافق والده إلى المسجد منذ طفولته، حيث تشرب القيم الدينية والأخلاقية، مما شكّل أساسًا متينًا لشخصيته².

تكوّن الوعي الفكري والديني لعمر بن قدور من خلال دروس الشيخ محمد السعيد بن زكري في جامع "سيدي رمضان"، ما أسّس لرؤيته الإصلاحية ووعيه الوطني، وقد انعكس ذلك في نشاطه الصحفي بتأسيسه جريدة "الفاروق"، التي لاقت دعمًا من رموز الإصلاح، ورغم غموض أصله العائلي، ساهم بن قدور، المتخرج من المدرسة الثعالبية، في نشر الوعي الوطني والتعليمي، جامعًا بين الفكر الديني والتحديث الثقافي، ليصبح من أبرز أعلام الصحافة الإصلاحية في الجزائر وشمال إفريقيا خلال الاحتلال الفرنسي³، يُعدّ بن قدور من أبرز الشخصيات الإصلاحية والصحفية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث تأثر بشخصيات إصلاحية مثل الشيخ عبد

¹ عادل نويهض، كتاب معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، 1980، ص 257.

² ساحل عبد الحميد، عمر بن قدور الجزائري: رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر - منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الروية-الجزائر، 2014، ص 67.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الفقا...، ج5، المرجع السابق، ص276.

القادر المجاوي، أستاذه في المدرسة الثعالبية، الذي كان له دور كبير في تكوين بلاغته ونبوغه في الكتابة الصحفية، وقد عبّر عن حزنه العميق لفقدان المجاوي في جريدته "الفاروق"، واصفاً دروسه بأنها كانت تفتح القلوب لتلقي العلم والفضيلة¹.

كان بن قدور شاهداً على أحداث مهمة في الجزائر والعالم العربي والإسلامي، عكست مواقفه الوطنية والقومية المناهضة للاستعمار، نُفي إلى مدينة الأغواط قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى مكبلاً بالسلاسل، وأُطلق سراحه عام 1918م ليعود إلى نشاطه الصحفي، مواصلاً دعوته للإصلاح الاجتماعي والسياسي، مثّلت هذه التجارب والتحديات نقطة انطلاق لتكثيف جهوده الفكرية، معبراً عن انتمائه العميق لدينه ووطنه ومبادئه الإنسانية. إلى جانب إسهاماته الصحفية والتصوفية، كان شاعراً بارعاً استخدم شعره للتعبير عن القضايا الوطنية، وتميزت قصائده برسائلها الوطنية ومشاعرها الحزينة تجاه حال البلاد الإسلامية تحت الاحتلال، ومن أبرز قصائده قصيدة "يا شر"، التي عكست موقفه الرافض للاستعمار وتحسره على أوضاع وطنه، وبفضل جهوده في الصحافة والشعر والتصوف، لعب دوراً مهماً في إحياء الوعي الوطني والثقافي في الجزائر خلال فترة حرجة من تاريخها، وقد نشر عمر بن قدور قصيدته في جريدة المشير في 01 جانفي 1911، فيقول²:

أيا قومي ما تحلو لقلبي حياة	وقد دوخ (السمحاء) هوا فناها
بكائي عليها لا على الخل والحمى	وخوفي عليها لا أريد سواها
أضيعت فضاع المجد منا ولم نكن	شدادا وقد هم القضاء لقها
ولما غدت بين اللئام غريبة	أهينت بيعث الخائنين فواها؟

تعكس قصيدة "دمعة على الملة" لعمر بن قدور مشاعر الحزن والأسى على تدهور حال الأمة نتيجة الفساد والتآمر الداخلي والخارجي، حيث يصوّر الشاعر خيبة أمله في الناس الذين خذلوا أمتهم بجبنهم وتخاذلهم، يتوسل من خلال تساؤلاته الاستنكارية عن أسباب الانحدار، ويكشف عن خيانة أهل البغي وسعيهم وراء مصالحهم الشخصية على حساب المصلحة العامة، بأسلوب إنشائي حزين ومفردات مأساوية، يصوّر الشاعر واقع الأمة المنهك بالانقسام والفساد، منتظراً الخلاص دون جدوى، في تعبير صادق عن الألم القومي والقلق على المصير.

الغرض من القصيدة هو التعبير عن الحزن والأسى على حال الأمة بسبب تأمر الأعداء وسوء تصرفات أهل الفساد والبغي، كما تهدف القصيدة إلى تحفيز الأمة على اليقظة والعمل الجاد لإصلاح حالها واستعادة مجدها، يعتبر

¹ ساحل عبد الحميد، عمر بن قدور الجزائري...، المرجع السابق، ص 57.

² عمر بن قدور، "دمعة على الملة"، جريدة المشير، 01 جانفي 1911، ص 04.

سعد الله بأن قصيدة "دمعة على الملة" هي تعبير مؤلم عن حال الأمة وما آلت إليه بسبب سوء الأفعال والتصرفات، الشاعر ينقل مشاعره الحزينة والقلقة على الأمة، ويحثها على الاستيقاظ والعمل من أجل تغيير واقعها المؤلم واستعادة مكانتها¹.

في الفاتح من شهر جانفي سنة 1911، نشر عمر بن قدور قصيدة "دمعة على الملة" والتي تجسد حالة الحزن العميق على تدهور الأمة الإسلامية تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، من خلال أبياتها، يعبر الشاعر عن ألم فقدان الهوية وتراجع القيم الأخلاقية والثقافية، مع مقارنة مؤثرة بين الماضي الإسلامي المشرق والحاضر المظلم، الشاعر يستعرض مظاهر الانحلال والظلم، منتقدا تراخي الأمة في مواجهة هذه الأزمات، خاصة في ظل هيمنة القوى الأجنبية التي لم تحترم تراثها وتعاليمها الدينية، فيقول²:

أكيدُ اللَّيالي بالسُّقُوطِ دَهاها	أم المجدُ من سوءِ الفِعالِ فلاها؟
تَنكَرَتِ الأفكارُ فيها فَعَرَفْتُ	فما رَضَخْتُ، فاندكَّ طولُ رجاها
فكم عندها من ألفِ باغٍ ومُسْرِفٍ	يَكيدُونَهَا كيدَ اللَّئامِ عَداها
رَمَوْها، وما مَسَّتْ يَدَاها جِناية	بِفِعْلي قَبِيحٍ، لا يَضُرُّ عَداها
وشدُّوا عليها فأنَّنتْ وتَوَشَّحتْ	بِغِبِنِ اللَّيالي، وارْتَدَّتْ بِعَناها
لهذا تراها في نُكُوصٍ بِسُرعة	وتَهْذي، وما طَيفُ الجُنُونِ أَتاها
وقالوا جئِ مَنْ قد تَفَرَّغَ لِلنُّهى	يُدافعُ عنها حينَ غابَ هُداها
وفي ظَنِّهم أنَّ الحَريصَ على ولا	ئِها مَعْرِفُ يَبْغِي نَوالَ نَداها
وعابَ الهوى عَيْبَ التملُّقِ لِلْمُنَى	كما عابَ أهلُ البَغْيِ رِيحَ شَداها
فما انفكَّ ربُّ السَّعْيِ يُلقَى مَجَّ	أهلا تُريه صُنُوفاً من أليمِ جَواها
وقالت: "جئِ قومي" فَصَارَتْ فَضِيحَ	تي يُشارُ لها قَبْلَ السَّما وسَناها

في هذه الأبيات المذكورة، يعبر الشاعر عن تداعيات انهيار الأمة، حيث يرى أن "الليالي" كانت شاهداً على السقوط، والوقت قد أظهر انحراف الأفكار والمعتقدات، مما أدى إلى تراجع المبادئ وتعرض الأمة للعديد من الهجمات والمخططات، الشاعر يصف الأمة بأنها تعرضت للهجوم من "باغين ومُسرفين"، مشيراً إلى القوى الاستعمارية والداخلية التي ساهمت في تدميرها، هذه السطور تعكس الواقع المرير للأمة في مواجهة الاحتلال الذي

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر القفا...، ج5، المرجع السابق، ص276.

² عمر بن قدور، "دمعة على الملة"، المصدر السابق، ص 04.

استخدم كافة الوسائل لتفكيك هويتها ونسيجها الاجتماعي، دون أن تشارك الأمة في مواجهة هذا الخراب بنفس العزم.

يبرز بن قدور في هذه الأبيات حالة الفوضى والخذلان التي أصابت الأمة، إذ تُظهر الصور التي استخدمها الشاعر كناية عن الخيانة والانقسامات الداخلية، مما أدى إلى فقدان الأمة لما كان لها من مجد سابق، التشبيه بـ "كيد اللثام" يعكس مدى الحقد والاحتلال الموجه ضد الأمة، بينما "توهجت" و"حجبت" تمثل معاناة الأمة من فقدان هويتها الروحية والسياسية في تلك الفترة، الشاعر يستنكر التراخي في مواجهة الظلم، ويكشف التناقضات بين من يحاول الخلاص من الواقع القاسي وبين من يستمر في خيانة القضية، فتمثل هذه الأبيات ملامح الفكر الوطني الجزائري في بداية القرن العشرين، حيث كان الشعر وسيلة تعبير عن الألم الوطني والنضال ضد الاحتلال، فيواصل عمر بن قدور¹:

ألا فأعجبوا، أهلُ الجِنَايَةِ بَرُّثُوا	ونالوا على رِغَمِ الشَّرَائِعِ جاها
كذا تُكْرِمُ الأيامُ مَنْ ظَلَّ عامِلاً	على كَيْدٍ مَنْ يَهْدِي الْوَرَى لِبِهاها
وما هي إلا شَهْوَةٌ قد تَنَوَّعَتْ	فجاسَ خِلالَ الحَلْقِ جيشُ هَواها
فهذا يُحِبُّ الرّاحَ واللّهوَ عادَةً	يَظُنُّ العُلا في حَمَرَةٍ فَسَقاها
وهذا عَتِيدٌ، شَأْنُهُ النَّهْبُ كَمْ أَتَى	على أُمَّةٍ فابْتَزَّها وسبّاها
وهذا شَعُوفٌ في المواطنِ كُلِّها	بلا هِمَّةٍ أو خِدْمَةٍ بِعُلاها
وهذا على دَرِّ المِفاَسِدِ عاكِفٌ	يُجِيدُ لها خِراباً لِيُذهِبَ داها
وهذا إذا عُذَّتْ حِصَانُ أُمَّةٍ	يَرى خَيْرَةً مِنْ خَيْرَةٍ بِذَراها
وهذا يُغَضُّ العَيْنَ في كُلِّ وَجْهَةٍ	عَنِ النَّفْعِ والإِحسانِ عَكْسَ مُناها
يُسارِعُ في نَسَجِ المِفاَسِدِ، حَسْبُهُ	على نَفْسِهِ ما قد جَنَّتُهُ يَدَاها
وإِنِّي لَمَنْ وَقَتِ الفِطامِ تَيَسَّرت	لها فِكرَتِي مِنْ حِساها وَهَماها
نشأتُ بِها طِفْلاً بَرِيئاً، فَأشَعَلْتُ	شُعوري بِنوعٍ مِنْ عَتَبِقِ جَواها

في هذه الأبيات، يعبر الشاعر عن حالة من السخرية والدهشة تجاه الأشخاص الذين يتباهون بأفعالهم السيئة ويتنصلون من المسؤولية عن الجنايات التي ارتكبوها، بن قدور يطرح تساؤلاً عما إذا كان من الممكن أن يُكرم أولئك الذين ارتكبوا الأخطاء، لافتاً إلى التفاوت الكبير بين ما يستحقه الأفراد من تكريم بناءً على أفعالهم، يرى الشاعر أن الأفعال ليست سوى مجرد شهوات ورغبات تتنوع بين حب اللهو والراحة، وبين رغبة الآخرين في ممارسة النهب

¹ عمر بن قدور، "دمعة على الملة"، المصدر السابق، ص 04.

والتسلط على الآخرين، يستخدم الشاعر هذه الصور ليوضح الفوضى التي يعاني منها المجتمع، مشيرًا إلى أن كل فرد في هذا المجتمع يتبع رغباته الشخصية، سواء كانت شهوات دنيوية أو دافعًا لتحقيق مآربه الخاصة. يتناول الشاعر في قصيدته تحولات المجتمع في ظل هذه التصرفات المذمومة، حيث يرى أن الأمة في طريقها إلى السقوط نتيجة لهذه الرغبات والانقسامات، يشير إلى أن بعض الناس يسرعون في نشر المفاسد والفتن، ويتفاخرون بها دون أن يدركوا عواقب أفعالهم، كما أن الشاعر يلفت الانتباه إلى التناقضات في أفعال هؤلاء الناس الذين يسعون وراء الجاه والسلطة على حساب المبادئ والمفاهيم السامية، ويمزج الشاعر بين التأمل في المجتمع وألمه الشخصي، حيث يعبر عن شعوره بالمرارة حيال التحولات السلبية التي مر بها وطنه، وكيف أثر ذلك في تكوينه الشخصي ونشأته، ويستمر في قصيدته قائلاً¹:

ويومَ أتيتُ الدَّارَ طالبَ راحةٍ	فَضَلُّ بِهَا عَقْلِي لَصَوْتِ نَدَاهَا
وطلَّقَ حِسِّي هَيْئَتِي، فتَجَزَّأتْ	نَوَامِيصُهَا وَاسْتَسَلَمَتْ لِقَنَاهَا
وَأَلْقَتْ عَلَى قَلْبِي دُرُوسًا كَأَنَّهَا	مَيَازِيبُ نَارٍ أُرْتَمِي بِلَطَّاهَا
وما قمتُ إلا عن وبالٍ وبَلَّةٍ	تُضَمِّحُ مِنْهَا صَخْرُهَا وَفَنَاهَا
تَحَيَّرَ ذَهْنِي فَالْتَمَسْتُ مُؤَانَسًا	يَعْرِفُنِي مَنْ بِالزُّلَّالِ سَقَاهَا
أَبْلُ ثَرَاهَا سَيْلَ مَاءٍ سَمَائِهَا	أَمِ السَّيْلُ مِنْ عَيْنِي أَبَانَ بُكَاهَا
سَأَلْتُ سَحَابَ الْجَوِّ فَانْسَلَّ هَازِنًا	يُقْنَدُ مِنْ نَفْسِي ظُنُونُ هَوَاهَا
أَفِي حَرٍّ هَذَا الصَّيْفِ يُنْشِرُ قَطْرُهُ؟	سَحَابُ شِتَاءٍ غَابَ قُرَّ هَوَاهَا
غَرِيبٌ إِذَا دَمَعِي وَمَا كُنْتُ عَاقِلًا	وَقَدْ كَانَ عَقْلِي شَدَّ حِينَ أَتَاهَا
أَلَا عَجَبًا كَيْفَ الدَّمُوعُ بِشَدَّةٍ	تَسِيلُ وَعَيْنِي لَا تَكَادُ تَرَاهَا
وما ذاكَ عن سوءٍ أَصَابَ جَفُونَهَا	وَلَكِنْ مُصَابِي حَالٌ دُونَ سَنَاهَا
فَضَلًّا عَلَى شَغْفِي بِمَجْدِ أَيْمَتِي	أُكَابِدُ مِخْنَاتِ الصَّبَا وَبَلَاهَا
إِذَا جَلَّ مَنْ يَجْتُو أَمَامَ مَصَابِ	الْحَيَاةِ، فَلِإِنِّي قَدْ لَثِمْتُ رَدَاهَا
لَكَ الْحَمْدُ يَا مَوْلَى الْخَلَائِقِ شَرَّفْتُ	نُفُوسٌ تَلَقَّتْ ضَعْفَهَا لِقَوَاهَا
جَعَلْتَ هُدَاهَا فِي الْبِلَادِ إِذَا نَمَا	بِلَادٌ بِهَا يَدُو جَمَالُ هُدَاهَا
وما أَوْجَهُ الْأَيَّامِ إِلَّا عَوَابِسُ	لِفَلَّا تَرَى نَفْسٌ تَحُورُ رِضَاهَا
فَحَسْبِي عَظِيمٌ لَا يُنَالُ فَإِنَّهُ	إِذَا ضَاعَفَ الْأَمَالَ تَمَّ فَنَاهَا

¹ عمر بن قنبر، "دمعة على الملة"، المصدر السابق، ص 04.

وإن نلت يوماً منه فضل عناية
أَكُنْ مَهْبطاً سعيِ الغدولِ عداها

في هذه الأبيات يعبر الشاعر عن حالة حيرة وتأمل داخلي عميق، حيث يدخل إلى الدار طالباً الراحة لكنه يشعر بتجزؤ هويته وضياع السلام الداخلي، الحياة ألقت عليه دروساً ثقيلة أثقلت قلبه، فبحث عن مواساة لكنه وجد المزيد من الحيرة، فتوجه إلى الطبيعة ليجد سلوى لكنه واجه السخرية والخذلان، يعبر الشاعر عن حزنه العميق الذي ينبع من مآسيه الشخصية، وليس من أذى خارجي، ويشكر الله على الهداية التي تنير له الطريق رغم الصراعات الداخلية التي يمر بها، رغم الصراع الدائم مع ذاته، يظل متمسكاً بالأمل ومواصلاً معركة الحياة، ويقول¹:

يَلومونني عن وقفةٍ أو مواقفٍ	نَدَبْتُ بِهَا ذِكْرِي حُمَاةَ حِمَاهَا
يقولون لا تُبْذِلْ حَيَاتَكَ دَفْعَةً	سُدَيِّ فَاتِنْدُ، وَأَعْطِ الْحَيَاةَ مَنَاهَا
يقولون لا تَحْزَنْ طَوِيلًا فَإِنَّا	لَفِي رَاحَةٍ مِنْ نَدْبِهَا وَبُكَاهَا
ألم يعلموا أيّ مَلُولٍ لراحةٍ؟	أَعُودُ بِهَا صِفَرَ الْيَدَيْنِ خَلَاهَا
ألم يعلموا أنّ المعيشةَ إنْ حَلَّتْ	تَكُنْ فِتْنَةً يَخْشَى الْأَرِيبُ بِلَاهَا
أيا قومَ ما دُقِّمَ حلاوةَ حُبِّهَا	وَمَا مَسَّكُمْ يَوْمًا أَلِيمٌ جَوَاهَا
وقد أعزَّبَ الأعراضُ عنكم بأنَّكم	تُرِيدُونَ مَوْتًا لَا حَيَاةَ وَرَاهَا
أيا قومَ ما تَحْلُو لِقَلْبِي حَيَاتُهُ	وَقَدْ دَوَّخَ السَّمْحَاءُ هَوْلُ فَنَاهَا
بُكَائِي عَلَيْهَا لَا عَلَى الْخِلِّ وَالْحِمَى	وَحُزْنِي عَلَيْهَا، لَا أُرِيدُ سِوَاهَا
أَطْبَعْتَ فَضَاعَ الْمَجْدُ مِنَّا وَلَمْ تَكُنْ	شِدَادًا إِذَا هَمَّ الْقَضَاءُ لِقَاهَا
أَقَامَ الرَّسُولُ الْهَاشِمِيُّ صُروحَهَا	وَأَوْصَى بِأَنْ لَا تُزْدِرِي بَعْلَاهَا
مُقَدَّسَةً ضَمَّتْ حَيَاةَ وَرَفَعَةَ	وَقَدْ خَلُصَتْ مِمَّا يُشِينُ بِهَاهَا
أَنْتِ لِلْوَرَى بِالْمَكْرُمَاتِ وَخَيْرِهَا	وَحَثَّتْ عَلَى نَيْلِ الْعُلَا وَهْدَاهَا
وَضَمَّتْ شَعُوبًا قَدْ تَنَاءَتْ لِبَعْضِهَا	وَكَمْ حَلَّ ظُلُمُ الظَّالِمِينَ غُرَاهَا
وصارت تقاليدُ العقولِ حقيقةً	فَلَمْ يَعْتَرِبْهَا الرِّيبُ بَعْدَ سَنَاهَا
وصارت حياةُ الاقترانِ سعيَدة	فَضُمَّتْ بِخَيْرٍ لِلْفَتَاةِ فَنَاهَا
وفاضت علومُ العالمينَ بفضْلِهَا	عَلَى الْخُلُقِ، فَاهْتُمُّوا بِطَيْبِ
	شَذَاهَا
وصاتت حقوقُ الناسِ دوماً فسرَّهم	نَهَاها، وَكَانَ السَّعْيُ وَفْقَ نَهَاها
فما خابَ بعدَ القائِمُونَ بِأَمْرِهَا	وَلَا مِنْ هَدَوَا أَنْ يَحْتَمُوا بِحِمَاهَا

¹ عمر بن قنبر، "دمعة على الملة"، المصدر السابق، ص 04.

ولمّا بدت غراءً فَنَد مُنْصِف
رأى كُلَّ وَهْمٍ سَادَ حَوْلَ قُرَاهَا
فلم يتبع الأهواءَ مَنْ مَالَ فَهْمُهُ
إلى مُحْكَمَاتِ الذِّكْرِ حِينَ تَلَاهَا
وقد نُشِرت في الأرضِ دون مُبَشِّر
ولكنْ وَضُوحُ الحَقِّ كَانَ لِوَاهَا

تُعبّر هذه الأبيات عن تمجيد قيم الحق والمجد، وتكشف رؤية الشاعر للواقع المتدهور للأمة بعد أن كانت في أوج عظمتها، ينتقد الشاعر تمّاون الناس وتناقضاتهم في الحفاظ على المبادئ السامية، ويرفض الخضوع لفتن الحياة المادية، مؤكداً أن المجد الحقيقي يكمن في التمسك بالحق ونشر الفضائل، يستعيد الشاعر ذكرى عظمة الأمة التي ارتكزت على تعاليم الرسول (ﷺ) وقيم الإسلام التي ضمنت الوحدة وازدهار الحضارة، لكنه يأسف لتراجع تلك القيم، ويعتبر العودة إليها السبيل الوحيد لاستعادة العزة والمجد، تحمل القصيدة روحاً تاريخية وفكرية تنسجم مع الدعوات الإصلاحية في أوقات الانحطاط، مستعرضة الانحطاط والضياع نتيجة التخلي عن القيم الأصيلة، وتحول الأمة إلى بيتٍ لئامٍ استغل فيه الخائنون الأهواء والمصالح الشخصية، بينما استغل الغرب المسيحي هذا الضعف لفرض سيطرته، مما أدى إلى محو الحدود التي رسمها الدين لحماية الأمة.

يقارن الشاعر بين الغرب الذي تخلى عن تعاليم المسيحية لكنه حقق تقدماً مادياً، والشرق الذي أضاع القيم الإسلامية فانهار وتحول إلى أمة ضعيفة ومهانة، مؤكداً أن الفرق الأساسي يكمن في الالتزام بالقيم والمبادئ، يدعو عمر بن قدور أبناء الأمة الإسلامية إلى العودة إلى دينهم وتعاليمه لاستعادة الكرامة والتغلب على الذل، فنياً، استخدم لغة قوية وألفاظاً تراثية وصوراً بلاغية مثل الاستعارة والتشبيه والكناية، التي عمّقت المعاني وأضفت على القصيدة بعداً رمزياً، مع التزامه بالوزن والقافية مما زاد من تأثير النص الموسيقي، تمثل القصيدة وثيقة أدبية تاريخية تعكس وعي المثقف الجزائري في أوائل القرن العشرين، حيث وظف الشعر لمواجهة الاحتلال، وإحياء روح النضال، وبث رسائل أمل وإصرار على أن النهوض ممكن بالتمسك بالدين والعمل الجاد.

2.1. قصيدة حبيبت يا قصيدة حبيبت عبد القادر الحسيني للربيع بوشامة

وُلد بوشامة في قرية قنّزات بولاية سطيف في ديسمبر عام 1916¹، وكان الطفل الثاني من بين خمسة أشقاء، نشأ في بيئة هادئة تميزت بتعليم القرآن والدراسة على يد شيوخ القرية وعلمائها، حيث بدأ بحفظ القرآن في سن السابعة وأكمل على يد الشيخ الصديق بن عبد السلام في سن الثانية عشرة، بعد إنجائه الدراسة الفرنسية، واصل تحصيله العلمي من شيوخ بني يعلى واهتم بتطوير نفسه من خلال القراءة، مما أسفر عن مكتبة غنية منذ سن مبكرة في الثلاثينات، انخرط في العمل الوطني والإصلاحي بمنطقة بني يعلى، حيث بدأ وعيه السياسي والأدبي بالنضوج،

¹ بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر...، مج 1، المرجع السابق، ص 214.

وكان على اتصال وثيق مع الحركة الإصلاحية، خاصة عبر شيوخه والشيخ الورتلاني، وأصبح عضواً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عام 1937، مؤسساً نادياً للشباب في قنرات، في عام 1938، انتقل إلى باريس لفترة قصيرة ثم عاد إلى الجزائر بناءً على استدعاء السلطات الاستعمارية لإجراء فحص طبي للتجنيد، ولكن أعفي من الخدمة بسبب ضعف بصره، بعد ذلك، انتقل إلى قسنطينة للتعليم على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي نصحه بالسفر إلى جامع الزيتونة لمواصلة تعليمه، لكن الظروف المالية منعت من ذلك¹.

كانت إقامة بوشامة في قسنطينة نقطة تحول، حيث عمل كمعلم في مدينة خراطة وساهم في التعليم والإصلاح رغم تهديدات السلطات الاستعمارية، في الأربعينات، عانت خراطة من قمع الاحتلال، الذي زرع الفرقة بين السكان مما أدى إلى تفشي العنف والجريمة، لكن بوشامة وطنيين آخرين رأوا في تأسيس مدرسة لتعليم الجيل الجديد وسيلة لمكافحة هذا الوضع، وقد ازدهرت المدينة خلال تلك الفترة بسبب مشاريع استعمارية مثل سد خراطة، ومعمل الكهرباء، ومشاريع السكك الحديدية، حيث أصبحت خراطة نقطة عبور للقوات الحليفة خلال الحرب العالمية الثانية، توافدت مجموعات من مختلف المناطق للاستقرار في خراطة، مما دفع العمل الوطني إلى الأمام، فشهدت المدينة تمازجاً بين السكان الجزائريين، الفرنسيين، واليهود، وأقيمت مناسبات احتفالية تعكس التعايش والسلام بينهم².

شارك الربيع في مظاهرات 8 ماي 1945م، وفيما يتعلق بتلك المظاهرات، فقد نقل الدكتور جمال قنان عن أخيه رمضان بوشامة، أحد الشهداء، قصصاً مروعة عن القمع الذي تعرض له السكان، وتأثرت حياته بشكل كبير بالعقيد البطل عميروش الذي كان رئيساً لخلية جمعية العلماء في باريس، تطورت علاقتهما إلى ود وثقة، وخلال الثورة التحريرية، كان يعمل بأوامر عميروش ويتلقى منه التوجيهات³.

¹ جمال قنان، الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر، ص 199.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج9، المرجع السابق، ص530.

³ شريط، الأدباء...، المرجع السابق، ص109.

والقصيدة التي نظمها الربيع بوشامة في 10 ماي 1948 عن عبد القادر الحسيني¹ تندرج ضمن سياق شعري قومي ملتزم، حيث تتقاطع التجربة الأدبية مع اللحظة التاريخية الحادة التي مثلها استشهاد قائد فلسطيني بارز قبيل وقوع نكبة 1948، فيقول²:

حي ذاك الصريع في الميدان	باسم الثغر هادئ الوجدان
يرفع الطرف للسماء شكورا	نعمة الموت عن حمى الأوطان
والدماء الحمراء، تدفق نوراً	وحياة مشبوبة الألوان
بطل "القسطل" الشهيد المفدى	حزت مجدداً مخلداً في الزمان
ان تعاجلك في الجهاد المنايا	قد بلغت المدى على الأقران
رح شهيداً مقدس الروح شهما	مشرق الوجه عاطر الأكفان
أيها العرب أمة المجد والعل	ياء ماذا ترجون غير التفاني؟
انه الموت في الكرامة والع	ز، أو العيش في الشقا والهوان
كيف ترضون عيش أمن وخير	وفلسطين في الجحيم تعاني
فانهضوا للفدا ولبوا سراعاً	داعي الله من سما الأكوان
لا رعى الله أنفساً تتملى	عيشة الذل في صفوف الغواني

يفتح الشاعر قصيدته بتحية إلى الشهيد الذي "يرفع الطرف للسماء شكورا"، وهي صورة تمزج بين السمو الروحي والإيمان بالقدر، وتضفي على الموت معنى القداسة لا الحزن، إذ تتحول الدماء إلى نور، فتنتقل دلالة الجسد المنكوب إلى رمز أخلاقي وثنوي ينير درب الأمة، هذا التحويل الرمزي للدم إلى نور يعيد تأويل فكرة الشهادة من مجرد فداء جسدي إلى قيمة رمزية قابلة للاستمرارية والتناسل، وبنفس الطريقة تكون نهاية بوشامة الذي لا تختلف نهايته عن عبد القادر الحسيني كثيراً.

¹ عبد القادر الحسيني (1908-1948): كان قائداً فلسطينياً بارزاً في مقاومة الاحتلال الصهيوني خلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين. وُلد في القدس لعائلة الحسيني المعروفة، وتلقى تعليمه في مدارس القدس، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت لدراسة الكيمياء، شارك في الثورة الفلسطينية الكبرى (1936-1939)، ثم أسس وقاد "جيش الجهاد المقدس" للدفاع عن القدس والمناطق المحيطة بها، استشهد في 8 أفريل 1948 خلال معركة القسطل، التي كانت من المعارك الحاسمة في الدفاع عن القدس، يُعد الحسيني رمزاً للنضال الوطني الفلسطيني، وقد ترك إرثاً نضالياً استمر من خلال أبنائه، أبرزهم فيصل الحسيني، الذي واصل العمل السياسي والدبلوماسي في منظمة التحرير الفلسطينية، ينظر: نبيل خالدة الأغا، "قضية فلسطين في سيرة بطل: الشهيد الحي عبد القادر الحسيني"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.

² الربيع بوشامة، "عبد القادر الحسيني"، البصائر، ع 35، 10 ماي 1948، ص 98.

يحضر عبد القادر الحسيني في القصيدة ليس بوصفه فرداً بل بوصفه تمثيلاً مجسداً لمفهوم البطل الذي يختزل قضايا الأمة كلها، يقول الشاعر إنه "بطل القسطل الشهيد المفدى" الذي "قد بلغ المدى على الأقران"، وهي أوصاف تنزله منزلة الأنموذج الذي يسمو على أقرانه، البطل هنا هو من يختصر الشرف، المروءة، البطولة، وهو من يتقدم، ليحمل عبء النكسة عن الأمة، وصفه بأنه "مشرق الوجه عاطر الأكفان" يكشف عن وظيفة جمالية للتضحية، حيث لا يظهر الموت كخراب، بل كخاتمة بهية يتعطر فيها الجسد بدل أن يتحلل، الشهادة إذن تُحوّل الجسد إلى طيف معنوي.

تميّزت القصيدة بانتقالها من الرثاء إلى التوبيخ، حيث لم يكتفِ الشاعر بتأبين عبد القادر الحسيني، بل وجّه خطاباً تحريضياً صارماً إلى العرب، مندّداً بصمتهم وتقاعسهم، ودافعاً إليهم إلى خيار حاسم: إما الموت بكرامة أو العيش بذل، هذا الطرح الثنائي يعكس منطقاً شعرياً وسياسياً منبثقاً من أدبيات الكفاح، ويُعدّ تمهيداً لما سيظهر لاحقاً في أدب الثورة الجزائرية، قصيدة الربيع بوشامة تُعد وثيقة شعرية سياسية، تُبرز التزام الشاعر الجزائري بقضايا الأمة، وتجسد الوعي القومي الذي ازدهر في الأدب الجزائري بين الحرب العالمية الثانية والثورة، حيث رأى في فلسطين مرآة لوضع الجزائر، وفي استشهاد الحسيني إنذاراً لما قد تؤول إليه الشعوب إن بقيت بلا إرادة.

3.1. قصيدة تحية عبد الكريم الخطابي لعبد الكريم العقون

ولد الشاعر عبد الكريم العقون في قرية برج الغدير، التابعة لولاية سطيف، في الثامن عشر من شهر مارس عام 1918¹، حيث أتم دراسته الابتدائية، ثم انتقل إلى قسنطينة ليتلمذ على يد المثقفين هناك²، وكان من بين أساتذته الأديب والباحث موسى الأحمدي، بعد ذلك، سافر إلى قسنطينة حيث درس تحت إشراف الإمام ابن باديس بين عامي 1933 و1936، بعد ذلك، انتقل إلى تونس حيث حصل على شهادة التحصيل، وعاد بعدها إلى الجزائر العاصمة حيث عمل كمدرس لمدة خمسة عشر عاماً، أولاً في مدرسة الفلاح وثم في المدرسة الملحقة بمسجد المرادية³.

¹ دوغان، شخصيات...، المرجع السابق، ص52.

² بن قينة، صوت الجزائر، المرجع السابق، ص200.

³ دوغان، شخصيات...، المرجع السابق، ص52.

في ظل نشاط الحركة الأدبية، برزت موهبته الشعرية حيث كتب قصيدته الأولى في عام 1938 أثناء دراسته في معهد ابن خلدون وهو في سن العشرين، ولكنه لم يقيم بنشرها، بل قام بإلقائها في اجتماع الطلبة الجزائريين الزيتونيين تحت عنوان: "يا شبابا قد طال نومك فانهض"، في هذه القصيدة، تذكر الشباب بمسؤولياتهم وينصحهم بالاستعداد بالعلم والمعرفة¹.

بعد عودته إلى الجزائر، بادر إلى نشر قصائده الأولى في الصحف الوطنية مثل "البصائر"، و"المنار"، و"الإصلاح"، يجب التأكيد على أن فترة تونس كانت محطة أساسية وهامة في حياة العقون، حيث ساعدت في تكوين نضجه الفكري والوعي السياسي، إذ كانت فرصة قيمة لقراءة الأحداث الهامة في الصحف والمجلات، وللقاء العلماء والأساتذة الذين كانوا معروفين في الساحة الثقافية في ذلك الوقت، عندما اندلعت أحداث الحرب العالمية الثانية في عام 1939، عاد العقون إلى أرض الوطن بشهادة التحصيل، فاحتفلت به أسرته ونظمت له حفلا كبيرا حضره جميع أفراد قريته، احتفاءً بعودته ونجاحه الدراسي، استغلت أسرته هذه الفرصة السعيدة لتنظيم حفل زفافه، بهذه الظروف السعيدة التي أتت معها الاستقرار والسكينة، ينهي العقون فترة طفولته وسنوات الترحال، وتبدأ مرحلة جديدة وحاسمة في حياته مليئة بالمسؤوليات والتحديات المستقبلية، وترنم بصوت الوطن الذي يستدعيه².

تُعد قصيدة "تحية عبد الكريم الخطابي"، المنشورة في جريدة البصائر بتاريخ 19 سبتمبر 1947، نموذجًا بارزًا من الأدب العربي المرتبط بالحركات التحررية في العالم العربي، وتحديدًا في المنطقة المغاربية، فقد جاءت القصيدة في لحظة تاريخية حساسة، عقب وصول محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مصر بعد فراره من منفاه الطويل في جزيرة "رجوان"، لتُخلد هذا الحدث وتقدمه بوصفه انتصارًا رمزيًا للعرب جميعًا، وليس للمغرب وحده، تعكس القصيدة بذلك مزاجًا سياسيًا وأدبيًا مشتركًا ساد أوساط النخبة المثقفة في الجزائر والمشرق العربي، يقوم على تمجيد الرموز المقاومة واعتبارهم نماذج للوحدة والصمود، فنجد عبد الكريم العقون يقول³:

قد انفلت الضرغام من عنت الأسر	وحن إلى أسد هنالك في مصر
إلى وطن فيه العظيم معظم	وفيه يعيش الحر حرًا من الأسر
أخواناً حموه من الأذى	كراماً لقوه بالحفاوة والبشر
تيمم والفى بوادي النيل جنداً	بليث نجح من ظلم قوم ذوي مكر

¹ صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977 ص 77.

² نفسه، ص 77.

³ عبد الكريم العقون، "تحية عبد الكريم الخطابي"، البصائر، ع 7، 19 سبتمبر 1947، ص 34.

مرحبا أولئك قوم ذاده الحق- ان دجا
 كذا العرب جسم واحد
 ان يذق أذى فأكرم بإخوان نباهي
 وكل ديار العرب دارك فلتكن
 لقيت من "الفاروق" عطفاً ورحمة
 رعى الله "فاروق" المفدى وشعبه
 أيا بطلا خاص المعامع وانبرى
 عهدناك لا تلهو عن المجد دائماً
 فما أنت إلا السيف سل على العدى
 وقفت بوجه الظلم تهدم صرحه
 ورثت عن الآباء عزاً ومنعة
 وعلمتنا كيف النضال الذي به
 لئن صدك استبداد قوم عن الحمى
 بلى انه يمشي وراءك لا يني
 فما كنت يوماً في جهادك وانياً
 تمرست بالهيجاء تمضي تخوضها
 فكم لك في تلك الميادين صولة
 وها أنت ذا تسعى لتحرير أمة
 تؤمل أن يحيا "الشمال" منعما
 تؤمل أن تهديه في حالك الدجى
 يعلق آمالا عليك فراعها
 فكن لبني العرب الميامين قائداً
 سيبقى على الأيام صيتك ذائعاً
 فلله ما كابدته في (جزيرة)
 لبثت بها عشرين عاماً على الأذى
 والله ما قاسيته من مكاره
 ألا فلتعش "للريف" والعرب حاميا

باخوانهم خطب أهابوا إلى النصر
 تداعت له الأعضاء بالسهد والضر
 بعزمهم ونجدتهم للعرب في حالة العسر
 قريراً بعطف النيل منشرح الصدر
 سير عاهما التاريخ للملك الحر
 وأيده بالنصر في المسلك الوعر
 لاجلاء أعداء البلاد عن الوكر
 تشيد له الأركان بالرأي والسم
 يذوقون منه الموت بالفتكة البكر
 بصدق وإيمان وسيفك والفكر
 وخلدت آثاراً تشع مدى الدهر
 نحطم أغلال الطغاة ذوي الغدر
 فشعبك لا ينساك يا طيب الذكر
 كمشييك للعلياء في السر والجهر
 عن المجد تبنيه بأخلاقك الغر
 فأنت امرؤ الهيجاء والسبق والظفر
 تخر لها شم الجبال من الذعر
 بحزم وإخلاص أيا بطل العصر
 بحرية غراء طيبة النشر
 كما يهتدي الساري بمنبلج الفجر
 ويبض لياليه الحوالك كالبدر
 وجدد عهود العرب نسل بني فهر
 يخلده التاريخ بالنظم والنشر
 بعيداً تعاني شدة الظلم والقهر
 فردت على الأبعاد صبراً على صبر
 حدث بك للهيجاء في جيشك الجر
 فإنك رمز للمكارم والفخر

تُسجّت القصيدة بأسلوب عمودي تقليدي، تزاوج بين الفصاحة التراثية والروح النضالية، يتجلى في النص حضور واضح للصورة البطولية، حيث يُصور الخطابي "ضرغامًا" خرج من أسر الظلم إلى وطن يقدره ويعترف بمقامه، وتظهر مصر في هذه الصورة كحضن عربي يحتضن القادة الأحرار ويمنحهم مكانة تليق بتضحياتهم، ويتجلى ذلك في التمجيد الموجه إلى الملك فاروق، الذي وُصف بأنه حامٍ للمجاهدين وسندٌ لهم. أما الخطابي، فيُقدّم لا كمجاهد مغربي فحسب، بل كـ "بطل العصر"، و"قائد لبني العرب الميامين"، في تأكيد على البعد القومي العام لحركته.

تُبرز القصيدة مبدأ التضامن العربي القومي من خلال صور بلاغية مكثفة، كما في قول الشاعر: "كذا العرب جسم واحد، إن يذق أذى / تداعت له الأعضاء بالسهد والضر"، مما يعكس رؤية وحدوية ترى في قضايا التحرر شأنًا جامعًا، وتُسند للشخصية المحتفى بها صفات النبل والصلابة والخبرة الطويلة في النضال، حيث تصفه الشاعرة بأنه قد "تمرس بالهيجاء"، ويُجيد الجمع بين الفكر والسياف، في صورة مثالية للقائد الذي لا يلهو عن المجد ولا ينثني أمام المحن. إن طول فترة نفيه في الجزيرة - عشرين عامًا - لم تُضعف عزمته، بل زادت صلابته، وهو الآن يسعى إلى "تحرير أمة" و"تجديد عهد العرب"، في توظيف شعري يحمل طابعًا نبويًا وملحميًا.

تُمثل القصيدة تداخلًا واضحًا بين التاريخ والسياسة والشعر، فليست مجرد تحية عابرة لقائد محرّر من منفاه، بل هي أيضًا تأريخ شعري لمرحلة كاملة من النضال، تُعيد رسم رموزها وتربطها بحلم عربي جامع، تنتمي هذه القصيدة إلى تيار شعري وطني كان حاضرًا بقوة في الصحافة الأدبية الوطنية الجزائرية، وخاصة عبر منبر جمعية العلماء المسلمين، التي تبنت خطابًا إصلاحيًا ومقاومًا في آن، من هذا المنطلق، لا تُقرأ القصيدة باعتبارها مديحًا لشخص، بل باعتبارها قطعة في بناء سرديّة كبرى عن المقاومة والتحرر والنهضة، حيث يُصبح عبد الكريم الخطابي فيها رمزًا متجاوزًا للحدود القطرية، ونموذجًا يُحتذى به في معركة الكرامة العربية ضد الاحتلال.

2. كتابة الشعر الثوري:

1.2. قصيدة لبيك يا ثورة شعب للشاعر محمد الشبوكي

إن الارتباط بين كلمتي "ليبك" و"ثورة شعب" في العنوان يعطي إحساسًا بالعزم والإصرار، الشاعر مسجل بالكامل لدعوة الثورة، سواء على مستوى المشاركة في النضال، أو دعمها معنويًا وأدبيًا، فعقب معركة الجرف¹ سنة 1955، كتب محمد الشبوكي قصيدته، والتي تقول²:

وَأَرْشَدَ الْمَدْلِجَ الْحَيْرَانَ حَادِينَا	غَنَى فَأَطْرَبَ بِالْأَمَالِ شَادِينَا
وَشَاعَ لِلْحَقِّ صَوْتُ فِي بَوَادِينَا	وَدَاعَ لِلْسَّرِّ نَشْرٌ فِي حَوَادِرِنَا
كَتَابُ النَّصْرِ مِنْ أَعْلَى رَوَابِنَا	تَحَقَّقَ الْأَمَلُ الْمُنْشَوْدُ وَأَنْطَلَقَتْ
بِالْأُتْحَادِ وَبِالرَّشَاشِ أَيْدِينَا	وَأَمَّنَ الشَّعْبُ أَنَّ الْمَجْدَ تَصْنَعُهُ
وَلَا الشَّكَاوِي أَفَادَتْ عَبْرَ مَاضِينَا	فَمَا السِّيَاسَةُ أَجَدَتْ فِي مَطَالِينَا
يَا طَالَمَا عَرَفَلْتَنَا عَنْ مَرَامِينَا	إِنَّ السِّيَاسَةَ أَوْهَامٌ مُضَلِّلَةٌ
وَطَالَمَا شَتَّتْ أَحْزَارَ وَادِينَا	وَطَالَمَا أَوْهَنْتْ قُوى جَمَاعَتِنَا
اللَّهُ أَكْبَرُ، لَاحَ الْفَجْرِ وَانْبَعَثَتْ	وَكَمْ أَضْعَعْنَا مِنَ الْأَوْقَاتِ أَثْمَنَهَا
وَكَمْ لَهَوْنَا فَهَلْ كُنَّا بِجَانِينَا؟	أَنْتِ الدَّوَاءُ لِشَعْبٍ عَزَّ مُرْمُهُ
لَبَيْكَ يَا ثَوْرَةَ الشَّعْبِ الَّتِي رَحَفَتْ	أَنْعَامُ ثَوْرَتِنَا الْكُبْرَى تُنَاجِينَا
فَطَالَمَا دَاوَاهُ أَعْيَا الْمُدَاوِينَا	تَطَهَّرُ الْأَرْضُ مِنْ رَجَسِ الْمَنَاوِينَا
أَنَا جَهَّزْنَا عَلَى قُوى غَازِينَا	هَذِهِ مَعَارِكُنَا يَا قَوْمَ شَاهِدَةٍ
في (الجرف) كَيْفَ حَصَدْنَا مِنْهُمْ مَا شِينَا	سَلُّوا الْفَرَنْسِيَّسَ عَنَّا يَوْمَ نَكَبْتِهِمْ
وَقَدْ أَذِيقُوا مِنَ الْبَلْوَى أَقَانِينَا	وَكَيْفَ فَرَّتْ بَقَايَاهُمْ هَشَمَةٌ
كَانَتْ لِثَوْرَتِنَا نَصْرًا وَتَمْكِينًا	يَا وَقْعَةَ (الجرف) بِأَتَارِيخٍ مَلْحَمَةٍ
وَحَقَّقُوا النَّصْرَ أَبْطَالًا مَيَامِينَا	إِنَّا نُحْيِي رِجَالًا فِيكَ قَدْ صَمَدُوا
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ (البِيكُو) يَجْرَحُنَا	قَالَتْ فَرَنْسَا وَجَيْشُ الشَّعْبِ يُرْعِبُهَا
قُلْنَا لَهَا: نَحْنُ شَعْبٌ فِي جَزَائِرِنَا	مَتَى وَأَيْنَ اسْتَقَامَ الرَّأْيُ عِنْدَهُمْ؟

¹ معركة الجرف: معركة الجرف (22-25 سبتمبر 1955) كانت من أبرز وأعنف معارك الثورة الجزائرية، وقعت في منطقة استراتيجية بجبل الجرف بولاية تبسة، تميزت بتضاريس صعبة وكهوف طبيعية ساعدت المجاهدين في الدفاع عن مواقعهم ضد هجوم فرنسي كبير شمل 40,000 جندي مدعومين بالطائرات والدبابات، رغم التفوق العددي والتكنولوجي للجيش الفرنسي، أبدى حوالي 300 مجاهد شجاعة استثنائية في مواجهة قصف مدفعي وجوي كثيف، وتمكنوا من تكبيد العدو خسائر فادحة تُقدر بـ 800 قتيل و1500 جريح، بينما استشهد 90 مجاهدًا، والمعركة شكلت نقطة تحول في الثورة الجزائرية، إذ أبرزت قوة المقاومة الجزائرية وقدرتها على مواجهة الاستعمار، ساهمت في رفع الروح المعنوية للشعب الجزائري ودعمت تدويل القضية الجزائرية في الأمم المتحدة، كما كشفت هشاشة الاستراتيجية الفرنسية في التصدي لحرب العصابات، وألهمت الجزائريين لمواصلة الكفاح المسلح حتى تحقيق الاستقلال، ينظر: سعدي بن الحاج عثمان، مذكرات الرائد عثمان سعدي، دار الأمة للطباعة، الجزائر، 2006.

² محمد الشبوكي، ديوان محمد الشبوكي (المجموعة الأولى)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص ص 13-14.

كَفَّاكَ جَهْلًا فَرَنْسَا إِنَّنَا عَرَبٌ
فَالشَّعْبُ إِنْ وَحَّدَ الْآرَاءَ مُحْتَسِبًا
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ يَغْزُو الْمَيَادِينَ
حَتَّى نَرِي هُمْ جَيْشًا يَغْنِينَا
لَا نَحْنُ نَيْتٌ عَلَى ضَمِيمِ الْمُغِيرِنَا
لَا بُدَّ مِنْ نَصْرِهِ رَغْمَ الْمُعَادِينَ
فَتِلْكَ أَيَّامُكَ زَالَتْ وَلَا عَجَب
وَاللَّهُ يَنْصُرُ كُلَّ الشَّاكِرِينَ عَلَى
وَيَنْبَرِي بِرِصَاصِ الْمَوْتِ يَرْمِينَا
ثَرْنَا لِلنَّيْلِ عَلَى لَا شَيْءٍ يُثْنِينَا
مِنْ سُورَةِ الدَّهْرِ أَنَا سَاءَةٌ حِينَا
ظَلُمَ الْأَعَادِي وَإِنْ كَانُوا فِرَاعِينَا

قصيدة محمد الشبوكي تعبر عن فرحة الانتصار في معركة الجرف عام 1955، حيث يصف الشاعر كيف أعادت هذه المعركة الأمل في النفوس وأثبتت للشعب الجزائري أن التحرر ممكن، الأبيات الأولى تحتفي بروح النصر وتوثق لحظة تاريخية مميزة أظهرت شجاعة المجاهدين وصمودهم في وجه جيش استعماري مدجج بالسلاح، مؤكدة أن المجد تصنعه الإرادة والتضحيات الجماعية، الشاعر يربط هذا الانتصار بنهضة الأمة، حيث أصبح الشعب يؤمن بقدرته على تحقيق الاستقلال عبر الثورة.

تمثل القصيدة المكتوبة بعد انتصار المجاهدين في معركة الجرف عام 1955 وثيقة أدبية ووطنية تعكس روح الثورة الجزائرية ومقاومة الاحتلال الفرنسي، ينقل الشاعر من خلالها لحظة تاريخية حاسمة، حيث شكّل هذا الانتصار دليلاً على قدرة الشعب الجزائري على مواجهة قوة استعمارية متفوقة عسكرياً.

في هذا السياق المشحون بالقمع الاستعماري، يعبر الشاعر عن خيبة الأمل من السياسات السلمية والمفاوضات العقيمة، مؤكداً أن الثورة المسلحة كانت الخيار الحتمي لنيل الاستقلال، ويأتي نقده للسياسة كوسيلة فاشلة لتحقيق المطالب الوطنية، ليعكس وعياً جماعياً بأن الكفاح المسلح، إلى جانب وحدة الشعب، هما السبيل الحقيقي للتحرر.

تشيد القصيدة ببطولات المجاهدين في معركة الجرف، وتبرزها كملحمة خالدة ترمز إلى الشجاعة والتضحية والوحدة الوطنية، كما تبرز توظيفاً دينياً مكثفاً مثل تكرار عبارة "الله أكبر"، مما يُضفي على الثورة بعداً روحياً يعكس إيمان الجزائريين بعدالة قضيتهم.

القصيدة بذلك لا تكتفي بتوثيق نصر عسكري، بل تتجاوز ذلك لتؤكد على الهوية الوطنية، والكرامة الإنسانية، والبعد الإيماني للثورة، مشددة على أن المجد صُنِعَ بدماء المجاهدين، وأن الشعب كان المحرك الأساسي للثورة، في تجلٍ واضح للوعي القومي المتنامي بضرورة التحرر الوطني والعمل الثوري الجماعي.

تتميز الأبيات باستخدام رمزية عميقة تمزج بين الماضي والحاضر، حيث يشير الشاعر إلى معركة الجرف كبداية ملحمة لعصر جديد، مؤكداً أن الثورة ليست مجرد فعل عسكري، بل هي حركة تاريخية تعيد بناء الكرامة الوطنية، والإشارة إلى "الجرف" كموقع للانتصار تمثل رمزاً لوحدة المجاهدين وصمودهم، بينما يُصوّر الاحتلال الفرنسي كمصدر للظلم والقهر الذي يجب إزالته.

يتضح أن الشاعر يرى الثورة كأداة لتطهير الأرض من رجس المستعمرين وإعادة بناء المجتمع على أسس الحرية والكرامة، هذا البعد الأخلاقي والروحي للثورة يظهر بوضوح في استخدامه للغة دينية وقيمية، مثل "الله أكبر" و"المجد"، مما يمنح القصيدة طابعاً ملهماً يربط بين الكفاح الوطني والإيمان بقضية التحرر، وتعتبر هذه القصيدة شهادة على التحول الذي أحدثته الثورة الجزائرية في وعي الشعب، حيث أدرك الجزائريون أن تحقيق الأمل يكمن في التضحية والعمل الجماعي، النص يحمل رسالة خالدة بأن التحرر لا يتحقق إلا بالإصرار، وأن المجد يصنعه الشجعان الذين يثبتون أمام التحديات، بهذا، فإن الشبوكي لا يكتفي بوصف لحظة الانتصار، بل يوظفها في سياق تاريخي وثوري يجعل منها درساً للأجيال القادمة.

2.2. قصيدة الجزائر الخالدة لأبو القاسم سعد الله

في عامي 1955-1956، ومع تصاعد الثورة الجزائرية خاصة بعد هجومات الشمال القسنطيني والقمع الفرنسي العنيف، برز وعي وطني متزايد تُرجم إلى تعزيز تنظيم جبهة وجيش التحرير الوطني وتنامي الدعم العربي والدولي، في هذا السياق الثوري والسياسي، كتب الشاعر الشاب أبو القاسم سعد الله قصيدته "الجزائر الخالدة" في القاهرة يوم 10 ديسمبر 1956، معبراً عن إيمانه بخلود الجزائر رغم محاولات الاحتلال طمس هويتها، جسدت القصيدة روح المقاومة والأمل، مؤكدة أن الجزائر ليست مجرد جغرافيا، بل رمز خالد للكفاح والحرية، وستظل مصدر إلهام للأجيال القادمة مهما اشتدت التحديات.

يُبرز الشاعر فيها الروح الوطنية المتجذرة في تربة البلاد، رغم الاحتلال والمعاناة، وعلى غرار بقية القصائد التي نشرها في ديوان النصر للجزائر فلم يكتب هذه القصيدة على الشكل الحر بل نظمها على الشكل العمودي فيقول¹:

دماً تضيء لربي اليانعة	بلادتي التي تطلع الشمس فيها
على عنق لغصب جائعة	بلادتي التي تلتقي قبضاتها
تري الخلد في لوحة رائعة	بلادتي الجزائر التي إذ تحتليها

¹ سعد الله، النصر للجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 33.

القصيدة تعكس الصورة البطولية والشجاعة للشعب الجزائري في مقاومته للاستعمار الفرنسي، في البيت الأول "بلادي التي تطلع الشمس فيها"، يُصوّر الشاعر الجزائر كأرض تُشرق فيها شمس الأمل والنضال، بينما "بلادي التي تلتقي قبضاتها" تعبر عن الوحدة الوطنية والتضامن بين أفراد الشعب في مواجهة العدو، في البيت الثالث، "بلادي الجزائر التي إذ تحتليها دماءً تضيء لربي اليانعة"، يشير الشاعر إلى تضحيات الشعب الجزائري التي أصبحت نوراً يهديهم نحو الاستقلال والحرية، أما في البيت الأخير "على عنق لغصب جائعة ترى الخلد في لوحة رائعة"، فيصور الجزائر التي تعاني من الاحتلال والجوع، لكن على الرغم من ذلك، تبقى متمسكة بالأمل في المستقبل، حيث يرى الشعب الخلود في نضاله الذي سيسجله التاريخ كلوحة فنية عظيمة، ثم يكمل سعد الله قصيدته قائلاً¹:

أضاءت بلادي طريق الخلاص	لمن يسأل الليل أن ينجلي
وحطمت أسداً انساح منه	على أطلس الخالد المخملي
جداويل نور وأنهار حُب	تزفُ الصَّبّاح إلى المقبل
إذ هي ثارت على غاصبيها	رأيت البطولة ملء الجباه

في هذه الأبيات تعكس صورة الجزائر كأرض مقاومة ونضال مستمر، في هذا البيت "أضاءت بلادي طريق الخلاص"، يُصوّر الشاعر الجزائر كمصدر للنور والهداية نحو الحرية، حيث تضيء طريق الخلاص للشعب الذي كان يعاني تحت وطأة الاحتلال، "وحطمت أسداً انساح منه جداويل نور وأنهار حُب" يُعبّر عن القوة التي تمثلها الثورة الجزائرية، حيث حطمت الاحتلال، وأطلقت شعاع النور والحب، وهو رمز للحرية والتضامن بين الشعب الجزائري. وفي "إذ هي ثارت على غاصبيها"، يُذكر أن الثورة الجزائرية كانت رد فعل على الاحتلال الفرنسي، حيث قامت الجزائر بثورة على من اغتصبوا أراضيها وحرّيتها، أما في البيت "لمن يسأل الليل أن ينجلي"، فيشير إلى أن الشعب الجزائري كان ينتظر فجر الحرية، وأن الليل الطويل (رمز للظلم والاحتلال) سينقشع بقدوم الاستقلال.

هنا "على أطلس الخالد المخملي تزفُ الصَّبّاح إلى المقبل"، يشير إلى أن الجزائر، فوق جبال الأطلس الخالدة، تحتفل بصباح جديد من الحرية والاستقلال، وأن هذه الثورة هي بداية لعهد جديد، "رأيت البطولة ملء الجباه" يختم الصورة البطولية للشعب الجزائري، الذي أصبح يحمل على جباهه شرف النضال والتضحية في سبيل الحرية، وتستمر القصيدة ليقول²:

صواريخ تنفض نارا ونورا	فتردي حياة وتبني حياة
------------------------	-----------------------

¹ نفسه، ص 34.

² سعد الله، النصر للجزائر، المصدر السابق، ص 34.

هنا مصرع الغاصبين الطغاة	وكل الحصا شارة تتلظى
وشفت على روحها الطيبة	وإن هي هشت إلى ناظرها
وأضفوا عليها الحلى المسهبة	رأيت الكرام الأولى جملوها
وعبر الوجوه دنى مطربه	وتلقاك منها الوجوه الحسان

القصيدة "الجزائر الخالدة" تجسد مشاهد حية من نضال الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، حيث يستخدم الشاعر صوراً بلاغية قوية مثل الصواريخ المتألفة والنيرون المتقدمة لتصوير شراسة المعركة، ويحول كل شيء فيها إلى رمز للمقاومة، من الحصى إلى دماء الشهداء الأوائل الذين مهدوا الطريق للثوار، كما يعكس الشاعر في أبياته روح الشعب الجزائري الذي، رغم المآسي والمعاناة، يظل متمسكاً بالأمل ويعيد بناء وطنه بحيوية وإصرار، مؤكداً أن النصر على الغاصبين هو بداية عهد جديد من المجد والكرامة.

تتجاوز القصيدة كونها سرداً للأحداث لتصبح رمزاً خالداً يعبر عن الهوية الوطنية والروح الجماعية للجزائر، حيث تبرز الجزائر كفكرة حية وأبدية في ذاكرة الأمة، تضيء درب التحرير والتضحيات، كما تؤكد على أن الثورة لم تكن فقط مواجهة عسكرية، بل كانت بداية لفصل جديد من البناء والازدهار، تعكس فيه البطولة والتضحية الحقيقية للشعب الجزائري الذي صنع تاريخاً مشرفاً، ليبقى اسمه خالداً في وجدان الأجيال وفي ذاكرة التاريخ العربي والعالمي.

3.2. قصيدة بندقية للشاعر محمد بوزيدي

وُلد الشاعر محمد بوزيدي في حي القصبة بالعاصمة الجزائر عام 1934، حيث حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة، تلقى تعليمه الأساسي في مدرسة الشبيبة الإسلامية التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نفس الحي، من أبرز أساتذته الشاعر محمد العيد آل خليفة، وفي سن مبكرة، بدأ بوزيدي العمل في إذاعة الجزائر، حيث شارك في برنامج "جنة الأطفال"، وفي عام 1957، وهو في الثالثة والعشرين من عمره، تم اعتقاله من قبل السلطات الفرنسية بتهمة الانتماء إلى مجموعة طالب عبد الرحمن الفدائية، في نفس العام، التحق بالثورة الجزائرية، وفي 1958 أصبح عضواً بارزاً في إذاعة "صوت الجزائر" التي كانت تبث رسائل الثورة وأنشطة المجاهدين في القرى والمدن، إضافة إلى نشر أخبار النضال السياسي للجزائريين في الخارج¹.

¹ بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر...، مج 1، المرجع السابق، ص 198.

عمل محمد بوزيدي في مجال الإعلام الثوري خلال الثورة الجزائرية، حيث انضم في عام 1958 إلى إذاعة "صوت الجزائر" بعد وصوله إلى تونس، وذلك دعمًا لجيش التحرير الوطني، هناك، تعاون مع مجموعة من رفاقه الثوار مثل عيسى مسعودي وأمني بشيشي، وشارك في بث الرسائل الإعلامية التي كانت تصل إلى المجاهدين في الداخل والخارج، بعد استعادة السيادة الوطنية، استمر بوزيدي في العمل مع التلفزيون الجزائري، حيث جمع بين الصحافة والمسرح، وكتب عددًا من النصوص التي تم تصويرها وعُرضت على التلفزيون، أبرزها مسلسل "السحار" الذي شارك فيه كبطل¹.

بالإضافة إلى ذلك، استمر بوزيدي في كتابة الشعر الذي يعكس مشاعر حبه العميق لوطنه الجزائر، متناولاً هموم شعبه وتضحياتهم في مواجهة الاحتلال، ظلّ بوزيدي مخلصًا لخدمة قضايا الجزائر حتى وفاته، مبرزًا التزامه الوطني عبر فنه وكلماته.

توفي محمد بوزيدي في 10 أوت 1994، وبعد وفاته تم إصدار ديوانه الشعري تحت عنوان "صوت الجزائر"، وقد كتب محمد بوزيدي قصيدة "بندقية" المكتوبة سنة 1957 وهي السنة التي تم سجنه فيها، ولا معلومات لدينا ما إن كانت مكتوبة في السجن أو خارجه فالمعلومة الوحيدة المكتوبة في ديوانه هي أن القصيدة تعود لسنة 1957².

تحمل قصيدة "بندقية" لمحمد بوزيدي (1957) رمزية قوية تعكس روح الثورة الجزائرية، حيث تتحول البندقية من أداة قتال إلى رمز للشجاعة والمقاومة في وجه الاحتلال الفرنسي، العنوان يعبر عن التحام الكلمة بالفعل، وعن ضرورة الكفاح المسلح لاستعادة الكرامة الوطنية، كما توثق القصيدة التضحيات الجسيمة التي قدمها الشعب الجزائري، وتبرز البندقية كصوت للحرية ورفض للظلم، مما يجعلها جزءًا من الذاكرة الوطنية ومسارًا للخلاص، في تعبير شعري عن مرحلة تاريخية مصيرية في نضال الجزائريين، فيقول³:

أنتِ كالوردِ نقيّة وطريّة
كصباحٍ من أهاريحٍ شجيّة
أنتِ للحبِّ هدية
ساقكِ الحظُّ إليّ في عشية
كانَ جوّ، كانَ شيء

¹ مسعود كواقي، محمد شريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، دار الحضارة، ط 1، 2007، ص 78.

² محمد بوزيدي، صوت الجزائر (مجموعة شعرية)، دار الكتاب العربي، خرايسية-الجزائر، 2014، ص 210.

³ نفسه، ص 210.

من وراء تلك العشيّة كالبلية
علّم القلب النواح
كنتُ وحدي في انفضاح
هاربًا من كلّ صباح
وملايين الرؤى
حامت عليّ يا هديّة
اسمعيها، صوّثها في أذني هاتِقًا: هيا إليّ
قد أرادتُ كنتفي
انظريها ها هنا في مقلتي
من تعيدُ البسمةَ الحمراءً إليّ
ودعيني يا هديّة
فغرامي ليس لي إنّه للبندقيّة
يا هديّة

تعكس القصيدة صراعًا داخليًا بين العاطفة الشخصية المتمثلة في الحب والواجب الوطني المتمثل في الالتزام بالكفاح المسلح خلال الثورة الجزائرية، الشاعر يصوغ مشاعره بأسلوب وجداني يمزج بين الجمال والرقّة من جهة، والحزم والالتزام من جهة أخرى.

الشاعر يبدأ بإظهار مشاعره نحو محبوبته، التي يصفها بأنها "كالورد" نقيّة وطريّة، مما يعكس جمالها وصفاءها، يشبّه وجودها في حياته بـ: "الصباح الشجي"، الذي يملأ النفس بالسعادة والسكينة، في هذه المرحلة، نلمس جانبًا شخصيًا من الشاعر، حيث يرى الحب كهديّة ساقها القدر إليه، ويعيش لحظة سعادة عابرة معها.

سرعان ما تتحول الأجواء في القصيدة عندما يصف الشاعر تلك "العشيّة" بأنها حملت شيئًا "كالبلية"، مما يشير إلى حدث غيّر حالته النفسية، هنا يتعلم القلب "النواح"، وتظهر علامات الحزن والانكسار، الشاعر يشعر بالانفضاح، وكأن مشاعره أصبحت مكشوفة، ويبدو هاربًا من كل صباح جديد، ربما بسبب استدعائه إلى مواجهة واقع أكبر من الحب الشخصي.

يعبر الشاعر عن حالة نفسية مضطربة، حيث يقول إن "ملايين الرؤى" حامت عليه، وكأن عقله وقلبه يعجّان بأفكار متناقضة، يستمع إلى صوت داخلي يهتف في أذنه "هيا إليّ"، وهو نداء الوطن أو الثورة الذي يجذبه بعيدًا عن حياته الشخصية، هذه اللحظة تمثل الصراع بين واجبه تجاه محبوبته وواجبه تجاه قضيتّه.

الشاعر يتخذ قراره في النهاية بوضوح: "غرامي ليس لي، إنه للبندقية"، هنا يؤكد أن التزامه الأكبر هو تجاه الوطن والثورة، يعبر عن استعدادده للتضحية بحبه الشخصي من أجل السلاح الذي يمثل الكفاح ضد الاحتلال، ينتهي النص بإعلاء الواجب الوطني على المشاعر الفردية، مما يعكس روح التضحية التي كانت سمة بارزة في تلك الحقبة.

القصيدة تجسد صراعًا عاطفيًا ووطنياً، حيث ينتصر الواجب الوطني على الحب الشخصي، الشاعر يصور البندقية كرمز للحرية والنضال، مما يجعلها محور حياته وأساس التزامه، القصيدة تحمل رسالة عميقة عن التضحية في سبيل الوطن، وتجسد روح الثورة الجزائرية في ذروتها.

3. كتابة الشعر الديني:

1.3. قصيدة تحية المولد النبوي الشريف لمحمد الهادي السنوسي الزاهري

ولد محمد الهادي بن علي بن محمد بن السنوسي الزاهري في 13 جوان 1902م بقرية ليانة في بسكرة شرق الجزائر، حفظ القرآن الكريم وتلقى بعضاً من المبادئ في العلوم الدينية واللغوية على يدي والده¹، وقد التحق بدروس الإمام عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة في مطلع العشرينات من القرن العشرين، حوالي سبع سنين، وكان لدروسه وتوجيهاته أثراً في إحداث نقلة كبيرة في حياته فاتبع الفكر الإصلاحية وابتعد عن بيئته التي عاش فيها، البيئة الصوفية².

بدأ الهادي السنوسي نشاطه الإصلاحية في مدينة بسكرة أوائل العقد الثالث من القرن العشرين إلى جانب بعض المصلحين الرواد الذين كان يقود موكبهم الشيخ الطيب العقبي، ثم أصدر ابن باديس جريدته المنتقد، ثم الشهاب سنة 1925م، اشتغل الهادي السنوسي واحداً من المحررين بالجريدتين، ويقوم إلى جانب ذلك بالتجوال في أرجاء البلاد لفائدتهما، معرفاً بأهدافهما، داعياً إلى ما يدعوان إليه من نهضة وتحرر وإصلاح ووطنية³.

الهادي السنوسي يُعد من المؤسسين وأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث أُوفد إلى فرنسا ضمن مشروع الجمعية الدعوية الإصلاحية للمساهمة في توعية المغتربين وإرشادهم، نشاطه تركز بشكل كبير في مجال التربية والتعليم، فعمل مدرساً في عدة مدن، بدءاً بالجزائر العاصمة حيث كان معلماً ومديراً في مدرسة الشبيبة الإسلامية

¹ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 676.

² بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر...، مج 2، المرجع السابق، ص 676.

³ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 676.

سنة 1928، ثم انتقل إلى مدينتي تلمسان وسيدي بلعباس في الثلاثينات، حيث مزج بين التعليم والوعظ الديني، رغم ما تعرض له من ملاحقات وضغوطات من السلطات الفرنسية التي أجبرته على التوقف عن نشاطه الثقافي مؤقتًا والعمل في التجارة، عاد السنوسي في الخمسينات لممارسة نشاطه الثقافي، إذ عمل في الإذاعة الوطنية، كما انضم إلى ثورة نوفمبر 1954 مناضلاً تحت رايتها، مع تصاعد نضال الشعب الجزائري من أجل الحرية، وبعد الاستقلال استأنف عمله التربوي في ثانويات الجزائر العاصمة، إلى جانب نشاطه الأدبي المتزايد، مما يعكس دوره المستمر في التربية والثقافة والنهضة الوطنية الجزائرية عبر مراحل مختلفة من حياته¹.

القصيدة التي أمامنا هي قصيدة "تحية المولد النبوي الشريف" للشاعر محمد الهادي السنوسي الزاهري، المنشورة في السنة الأولى للمجلة في ديسمبر 1952²، تحمل مدح وتبجيل للنبي محمد ﷺ، كتبها الشاعر محمد الهادي السنوسي الزاهري في سياق اجتماعي وتاريخي معقد، حيث كان العالم العربي يشهد تحولات مهمة، حيث أن القصيدة تتسم بأسلوب مدحي تقليدي يحاكي الأساليب الكلاسيكية في الشعر العربي، خصوصاً في المدائح النبوية، تبرز الصور الشعرية التي تدعو للتأمل في سحر المولد النبوي، مثل قول الشاعر³:

"ألا قف معي وقفة في السحر نطالع صبيحة فجر أعر"

القصيدة تصور لحظة مولد النبي محمد ﷺ كمنااسبة دينية وروحية، وينتقل الشاعر بين الأزمنة ليرز الاستمرارية الروحية والفخر بمقام النبي، مستخدماً بحر المتقارب الذي يعكس الإيقاع الحيوي والاحتفالي، وتُظهر القصيدة كيف أن الاحتفال بالمولد النبوي يجمع بين الأجيال ويدعم الوحدة الاجتماعية والثقافية، ويبرز دور الفعاليات التعليمية والتربوية في تعزيز هذا التراث الديني والوطني،

يجب أن نضع في الاعتبار أن نشر مثل هذه القصائد في تلك الفترة، وخاصة عبر مجلات تصدر في ظل الاحتلال الفرنسي، كان جزءاً من سياسة استعمارية تهدف إلى استمالة القارئ الجزائري وإظهار الاهتمام بقضاياها الدينية والثقافية، دون أن تحمل القصيدة بالضرورة دلالة مباشرة على التحرر أو المقاومة، فالاحتفاء بالمولد النبوي في هذا السياق كان أداة ضمن سياسات التهذئة والسيطرة التي تبناها المحتل عبر التظاهر بالتقدير للتراث الديني للشعب الجزائري.

¹ مجموعة شعراء، ديوان هنا الجزائر، المصدر السابق، ص 98.

² محمد الهادي السنوسي الزاهري، "تحية المولد النبوي الشريف"، هنا الجزائر، ع 8، ديسمبر 1952، ص 05.

³ نفسه.

2.3. قصيدة أتى رمضان للشاعر أحمد الهلالي

الشاعر الذي كتب قصيدة "أتى رمضان" في مجلة "هنا الجزائر" قد يكون من الأصوات الأدبية المجهولة أو المهمشة في تاريخ الأدب الجزائري، خاصة إذا لم تتوفر له معلومات دقيقة في المصادر الأدبية المعروفة مثل ديوان عبد الله حمادي الصادر عام 2020، كتب هذا الشاعر في فترة الاحتلال التي شهدت نشر العديد من الأدباء أعمالهم في الصحف والمجلات، لكنها لم تنل الشهرة المستحقة بسبب الظروف السياسية والاجتماعية وقصر دور المجلات مثل "هنا الجزائر" على دعم الأجندة الاستعمارية أكثر من تمكين الأدباء، لذلك، من الممكن أن تكون قصيدة "أتى رمضان" جزءاً من تراث أدبي ضائع يعكس واقع المجتمع الجزائري في تلك الحقبة، سواء من خلال روح المقاومة أو التجارب الاجتماعية والثقافية، لكنه بقي مهمشاً في الذاكرة الأدبية.

قصيدة "أتى رمضان" للشاعر أحمد الهلالي هي تحية ترحيب بشهر رمضان المبارك، حيث يصف الشاعر الأثر الإيجابي الذي يتركه هذا الشهر على الناس والمجتمع، يعبر الهلالي من خلال أبياته عن الفرح والغبطة التي تصاحب قدوم رمضان، بالإضافة إلى القيم الروحانية والإنسانية التي يجلبها، وقد نشرتها مجلة هنا الجزائر سنة 1953¹، فيقول فيها الشاعر²:

أتى رمضان فأهلاً به وسهلاً بموكبه في الشهور
وواني بأنواره الزاهرات يميس بعطفه مجد العصور

يبدأ الشاعر بالترحيب بشهر رمضان، معبراً عن حفاوته وفرحته بقدومه، ويصفه كضيف كريم يأتي في موكب مهيب بين الشهور، ثم يصور الشاعر رمضان كشهر مشع بالنور والضياء، يجلب معه مجد العصور السابقة بكل ما تحمله من تاريخ وإرث عظيم، ثم يقول الشاعر أحمد الهلالي³:

وحقت به حكم ناطقات وآيا من الحق تُشفي الصدور

يشير الشاعر إلى القرآن الكريم الذي يتلى في رمضان ويشفي القلوب، مؤكداً على الحكمة والحق الذي يحمله هذا الكتاب المقدس، ويتحدث الشاعر عن التراتيل القرآنية التي تملأ أيام رمضان، ويصف صباحات هذا الشهر بأنها حافلة بالبركات والخيرات كما يصف الشاعر أيام رمضان بأنها مليئة بالخير والبركة، وكأنها تنشر العطور الزكية في الأجواء، يؤكد الشاعر على نقاء أيام رمضان وخلوها من الألفاظ البذيئة والسلوكيات السلبية، مما يعكس طهارة

¹ أحمد الهلالي، ماي 1953، "أتى رمضان"، مجلة هنا الجزائر، السنة الثانية، ع 13، ص 5.

² نفسه.

³ نفسه.

هذا الشهر، ثم يشير إلى فيض النعم التي تجلبها أيام رمضان وكيف يستفيد الجميع من هذه البركات الوافرة، يواصل الشاعر قصيدته¹:

تفيض بآلائها السابغات فيحظى الجميع بعُنفٍ وفيرٍ
فذي صدقات وتلك صلاة وعلم يُبَثُّ وأنسٍ نُضِيرُ

يذكر الشاعر في قصيدته بعض الأعمال الصالحة التي تتم في رمضان مثل الصدقات والصلاة، إضافة إلى نشر العلم والأنس بين الناس، ويصور رمضان كعروس مزينة بالعطر تعكس جو الفرح والسرور السائد، يختم الشاعر بتكريم الشهر الفضيل باعتباره جزءاً من الوجود والخلود، ويحمله صدى دائماً في التاريخ، مناشداً إياه بأن يمنحه المزيد من الأحاديث والحكم الثمينة كالآلئ، تهدف القصيدة إلى إبراز القيم الدينية والاجتماعية الإيجابية لشهر رمضان، مع التعبير عن الفرح بقدومه والدعوة لاستغلاله في الأعمال الصالحة والارتقاء الروحي، مما يعزز شعور المجتمع والتآخي، ويشجع على التأمل في حكمة وأثر هذا الشهر العميق على الحياة الروحية والنفسية للإنسان.

رابعا: نماذج من الشعر الغنائي والطبيعة وتعريب الشعر:

1. كتابة الشعر الغنائي:

1.1. أغنية نداء الضمير لصالح خرفي وأداء وردة الجزائرية

صالح خرفي وُلد عام 1932 بمدينة القنطرة (الواحات)، حيث تلقى تعليمه الأساسي في مسقط رأسه، في عام 1953، انتقل إلى تونس لمتابعة دراسته في جامع الزيتونة، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1957، حيث حصل على ليسانس اللغة العربية وآدابها، وفي سنة 1961، حصل على شهادة الماجستير بعد تقديمه بحثاً حول "شعر المقاومة الجزائرية (1830-1930)"، ثم أكمل دراساته العليا ليحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة عام 1970 عن موضوع الشعر الجزائري الحديث².

صالح خرفي كان من أبرز المثقفين الجزائريين الذين اهتموا بالأدب الجزائري، حيث أسهم في دراسته وتوثيقه وتحليله بشكل يجمع بين المنهجية الأكاديمية والرؤية الوطنية، أما عن اهتمامه بالأدب فقد برز كشاعر خلال فترة الثورة التحريرية حيث ينتمي إلى التيار التجديدي، حيث يظهر في أعماله التجديد في شكل القصيدة ومواضيعها،

¹ نفسه.

² كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 179.

مما يعكس رغبته في التجديد والابتكار في مجال الشعر¹، ومن بين قصائده، قصيدة "نداء الضمير" التي لحنها رياض السنباطي² وأدتها وردة الجزائرية عام 1960 كأغنية، تحمل معانٍ وطنية عميقة وتعبّر عن مشاعر الألم والحب المرتبط بالنضال من أجل تحرير الجزائر، النص يبرز التقاء الحميمي بالوطني في تجربة وجدانية مشتركة، تتجسد في هذا النشيد الذي يحمل رسائل ثورية وقومية.

عن مغنية نشيد "نداء الضمير"، فهي وردة الجزائرية، المولودة في فرنسا عام 1940، بدأت مسيرتها الفنية منذ طفولتها حيث قدمت برنامج أطفال على الإذاعة والتلفزيون الفرنسي، وغنت أغاني شعبية للأطفال، تأثرت بالأغاني المغاربية والتونسية وقلدت كبار الفنانين مثل أم كلثوم وعبد الوهاب، مع اندلاع الثورة الجزائرية عام 1954، انخرطت في الغناء الوطني داعمة القضية الجزائرية بأغاني مثل "با حبيبي يا مجاهد"، انتقلت إلى بيروت عام 1958 حيث استمرت بالغناء الثوري بأغاني مثل "جميلة" و"أنا من الجزائر أنا عربية"، ثم استقرت في القاهرة عام 1960 وتعاونت مع محمد عبد الوهاب في أغاني قومية مثل "الوطن الأكبر"، اشتهرت باسم "وردة الجزائرية" وظلت مرتبطة بالقضايا الوطنية والقومية عبر أعمال خالدة مع كبار الموسيقيين العرب³، فتقول الأغنية⁴:

يا حبيبي

ذكريات الأمس لم تبرح خيالي
كيف تغفو مُقلتي عن حبنا غير الليالي؟
لا تلمني، إن ترامت بي أمواج البعاد
لا تلمني، لم يزل يخفق للحبّ فؤادي.
غير أن القلب هزّته نداءات شجيرة
صعدتها في دُجى الليلِ قلوبٌ عربية.
وجفونٌ مسّها الضيمُ، فغصّت بالدموع
فاستطارت شعله الحبّ لهيباً في ضلوعي.

¹ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص75.

² رياض السنباطي (1906-1981): أحد أبرز أعلام الموسيقى العربية، اشتهر بإبداعاته التي جمعت بين الأصالة والتجديد، ولد في فارسكور بمحافظة دمياط، وترك بصمة خالدة من خلال ألحانه العميقة، خاصة مع أم كلثوم في أغنيات مثل "الأطال" و"رباعيات الخيام"، لم يقتصر إبداعه على التلحين فقط، بل برز أيضاً كمغني مميز بأدائه، حاز على العديد من الجوائز، منها جائزة الدولة التقديرية في الفنون عام 1964، ليظل رمزاً خالداً للمدرسة الكلاسيكية في الموسيقى العربية، ينظر: محمد قابيل، موسوعة الغناء المصري في القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999، ص98.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج9، المرجع السابق، ص 382.

⁴ وزارة الثقافة، "نماذج من الشعر الجزائري المعاصر (شعر ما قبل الاستقلال)"، مجلة آمال، الجزائر، ع 03، (د.ت)، ص 208.

وتراءت لي وراء الصوتِ أعلامُ البشائر
فوهبتُ الحبَّ قرباناً، وبايعتُ الجزائر.

نشهد عبر هذا المقطع الشعري عن التحول العاطفي للشاعر، حيث يبدأ باستحضار ذكريات الحب الشخصي الذي يسيطر على خياله، مشيراً إلى أن البعد لم يطفئ شعلة هذا الحب في قلبه، لكنه يعترف بأن قلبه قد تأثر بنداءات وطنية شجية أطلقها الليل، نداءات تعبر عن معاناة الأمة العربية من القهر والظلم، هذه النداءات، التي جاءت من قلوب مسّها الضيم وامتألت بالدموع، أشعلت في ضلوعه نار الوطنية، مما دفعه للتضحية بحبه الشخصي وجعله قرباناً للوطن، ليبايع الجزائر ويعلن التزامه بقضيته الوطنية، ثم يواصل الشاعر قائلاً¹:

يا حبيبي،
ربُّنا بالأمس، ربُّ الذكريات
إنه مأوى ذئابٍ كدَّرت صفوَ الحياة.
كان عُشّاً للتناجي، كان أنا ونعيمًا
ثم أمسى للرؤى الغصّة نارًا وجحيماً.
يا حبيبي، كم فرشنا الرِّبعَ وردًا وزهورا
كم بنينا من هوانا لأمانينا قصورا.
فتعالَتْ صرخةُ الرُّعبِ بأشباح المنايا
فاستحالَ الوردُ شوكا ودماءً وضحايا.

ففي هذا الأبيات، يعبر الشاعر عن تحوله من الذكريات السعيدة في الماضي إلى الواقع القاسي الذي فرضته الظروف الاستعمارية، يبدأ بذكر المكان الذي كان رمزاً للحب والتفاهم بينه وبين محبوبه، ولكنه يشير إلى كيف أصبح هذا المكان ملاذاً للظلم والعدوان، يشبهه بمأوى "الذئاب" التي أفسدت صفو الحياة، يتذكر الشاعر كيف كان المكان ملاذاً للحديث والتودد، وكيف تحولت هذه اللحظات إلى كوابيس من المعاناة، حيث تحولت الأحلام الوردية إلى نار وجحيم، في النهاية، يتحدث عن تدمير هذه الذكريات الجميلة، حيث تحول الورد إلى شوك ودماء، وتفجرت الوعود الجميلة إلى ضحايا في معركة من أجل الحرية، ثم في ختام قصيدته يقول²:

يا حبيبي،

¹ نفسه، ص 208.

² نفسه، ص 208.

لم أحنْ عهدِي ولا خنْتُ هوايا
غير أن الحبَّ أمسى ثورةً بين الحنايا.
لك حبيّ في دُرى الأطلس، في تلك الروابي
فهناكَ الأفقُ الرحبُ لأحلامِ الشباب.
لك حبيّ يومَ تعلو بسمهُ النصرِ ثرانا
ويذيبُ الليلَ والآلامَ فجرٌ من دمانا.
سوف ألقاك مع النصرِ وأفراحِ البشائر
سوف نبني عشّنا في ظلّ تحريرِ الجزائر.

يُعبّر الشاعر في الختام عن تحول مشاعره من حب شخصي إلى التزام ثوري ووطني، فيؤكد وفاءه لعهد الحب، لكنه يعلن أن هذا الحب أصبح الآن يحمل معاني أعمق؛ فقد تحول إلى ثورة تتجذر في قلبه، وتصبح جزءاً من نضاله من أجل الوطن، يشير إلى أن حبه أصبح مرتبطاً بالأطلس، وهي رمز للجبال الجزائرية التي تقف شامخة، حيث يحيا فيها الأمل والطموحات الحرة لشباب الجزائر، في المقطع الثاني، يتحدث عن يوم النصر الذي سيضيئ الآلام والأحزان، مؤكداً أن تحرير الجزائر سيكون هو الفجر الذي سيبدد الظلام، يختتم المقطع بتأكيد على لقائه بالمحبيب في ظل النصر، حيث سيبني معاً مستقبلاً جديداً في وطن حر، ليظل حلم الحرية والكرامة هو الدافع الأقوى في حياته.

الشاعر يُعبّر عن مشاعر مختلطة من الحب الشخصي والالتزام الثوري، حيث في البداية، يستحضر الشاعر ذكريات حب قديمة ويعبر عن كيف أن هذه الذكريات قد تحولت بفعل الظروف إلى ذكريات مريرة، حيث أصبح الوطن هو المركز الجديد للعاطفة، مع تطور الأغنية، تتسع دائرة الحب لتشمل الوطن والحرية، ويكتسب الحب طابعاً ثورياً، حيث يصبح نداء للوطن ومقاومة للظلم والاحتلال، يتحول الألم والحزن إلى أمل وقوة دافعة لتحقيق النصر والاستقلال، في النهاية، يؤكد الشاعر على التزامه الثوري، ويعبر عن يقينه بأن الجزائر ستحرر وسيعيش جميع المواطنين في وطنهم بحرية وأمان.

2.1. أغنية الغربة لشاعر مجهول من أداء الطاهر رحاب

في ديسمبر 1954، نُشرت في العدد الثالث من مجلة "هنا الجزائر" قصيدة بعنوان "الغربة"، ألقاها المطرب والشاعر الطاهر رحاب، القصيدة من تأليف عامل جزائري مجهول عاش في المهجر بفرنسا، حيث عبّر فيها عن معاناته ومعاناة العمال الجزائريين المغتربين، وأبرز ملامح القصيدة: أنها للشاعر المجهول فهويته غير معروفة، لكنه كان

عاملاً مغترباً بفرنسا، أما زمن تأليف القصيدة غير محدد، لكنه يرجع إلى الفترة بين نهاية الحرب العالمية الثانية، أما خصائص القصيدة فهي تتألف القصيدة من 41 بيتاً، كُتبت باللهجة الجزائرية العامية الواضحة، التي كانت رائجة في الأدب الجزائري خلال فترة تطور اللغة المسرحية إبان الحرب العالمية الثانية، امتازت باستخدام لغة وسيطة بين العامية البسيطة والأسلوب الأدبي الراقي، لتكون مفهومة وذات عمق¹.

يبدو أن قصيدة "الغربة" حظيت بقبول واسع لدى بعض الجزائريين، حيث نشرتها مجلة "هنا الجزائر" بناءً على طلب مستمعي الإذاعة، ورغم تصويرها للوضع المأساوي الذي يعانيه الأهالي داخل الجزائر وظروف العمال المغتربين القاسية، إلا أن نشرها من قبل الإذاعة الاستعمارية جاء كنوع من التظاهر بحرية التعبير، خصوصاً أنها أذيعت بعد شهر واحد فقط من اندلاع الثورة التحريرية وقد أوضحت المجلة في تقديمها للقصيدة: "أذاع الأديب رحاب الطاهر هذه القطعة الشعبية، التي نقلها على لسان أحد العمال المغتربين في فرنسا ابتغاء عمل يكسبون به معاشهم، وها نحن ننشرها نزولاً عند رغبة بعض المستمعين"²

يظهر أدب المهجر كنتيجة طبيعية للظروف التي يعيشها المهاجرون في بيئة غريبة عنهم، حيث يسعون للتعبير عن تجاربهم للتحرر من مشاعر الاختناق والاعترا ب الناتجة عن الحياة في أجواء يغلب عليها الطابع الآلي، وغالباً ما يلجؤون إلى الفنون، كالغناء والمسرح، كوسيلة للترويح عن أنفسهم، وللتعبير عن مشاعرهم والتضامن مع مجتمعهم المغترب، وقد حظي هذا النوع من الأدب باهتمام خاص في التأريخ الثقافي العربي، وكان من أبرز رواده إيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمة، اللذان ساهما في إرساء دعائمه³.

عن مؤدي الأغنية رحاب الطاهر بن الصادق فقد ولد عام 1917 في بلدة ليوة بولاية بسكرة، ونشأ في كنف عائلة ميسورة الحال، فقد والده في سن الحادية عشرة وكان الابن الوحيد لوالده، إلى جانب ثلاث أخوات من والدته، تلقى تعليمه الأولي في مسجد علي بن عثمان بليوة، حيث حفظ أجزاءً من القرآن الكريم، ودرس على يد عدد من المشايخ، أبرزهم: الشيخ بن ناصر المبروك، وقد بدأ مسيرته الفنية من خلال تقديم الأناشيد الدينية، وشارك في حلقات إنشادية أقيمت في عدة زوايا، منها زاوية الهامل، التي لفت فيها صوته إعجاب شيخها الحاج عبد القادر، والذي بدوره قدمه للإذاعة الوطنية، ما فتح له المجال ليكون أحد الأصوات البارزة في هذا المجال⁴.

¹ فضلاء، المسرح...، المرجع السابق، ص 24.

² نفسه، ص 18.

³ صابر عبد الدائم، أدب المهجر، دار المعارف، مصر، 1993، ص 67.

⁴ مجموعة شعراء، ديوان هنا الجزائر، المصدر السابق، ص 123.

يقول بوليكافسكي: "الأغنية الشعبية هي التي أنشأها الشعب وليست هي الأغنية التي تعيش في جو شعبي"¹، وهو ما ينطبق إلى حد كبير على تجربة رحاب الطاهر، الذي عُرف بحبه للأغاني الشعبية كتابةً وأداءً، كان من أبرز أعماله أغاني عن الغربة مثل: "أنا غريبة"²، "يا وردة ما بك"³، "يا غربي"⁴، "طير المعالي"، و"يا ربي يا خالقي"، التي كتبها عام 1952 واكتسبت شهرة واسعة بعد تسجيلها لأول مرة عام 1953، هذه الأغنية أثرت في قلوب المستمعين، حيث عبّرت بصدق عن مشاعر المغتربين ومعاناتهم النفسية والاجتماعية، لدرجة أنها أبكت الرجال والنساء على لسانه.

رغم أن رحاب عاش حياته في الجزائر، إلا أنه اهتم بأداء أغاني تمثل مختلف شرائح المجتمع، بالإضافة إلى كتاباته الصحفية التي نُشرت في عدة جرائد ومجلات، كانت إذاعة الجزائر تبث أغانيه باستمرار، نظراً لأنها لامست وجدان الشعب، خاصة في خضم الثورة التحريرية.

أما قصيدة "الغربة"، فتُظهر في أسلوبها تشابهاً واضحاً مع أسلوب رحاب الطاهر، ما يشير احتمال أن يكون قد أضاف تعديلاته عليها، خاصة أنه شاعر أيضاً، مما يعكس انسجامه العميق مع هذا النوع من التعبير الشعبي. وبالعودة إلى أغنية "الغربة" فهي تقدم لنا:

— أسباب هجرة الشباب الجزائريين نحو العمل في فرنسا:

إن الأوضاع الاقتصادية سبب رئيسي في الهجرة حيث أن الأهالي قد أثقلوا بالضرائب والعمل سيء الظروف، كما أن الجزائريين تأثروا بمقارنة أنفسهم مع المهاجرين الأوائل في المدن الفرنسية حيث لا يخضعون هناك لقانون الأهالي⁵، وهذه الأسباب متمثلة في الفقر والمجاعة، فيقول الشاعر⁶:

هم الفقر صعب عمره ما يرحم	يا ويح القليل ماذا يجري فيه
يبقى طول الليل ساهاي ويخمد	وأولاده الجياع بأصوات تناديه
لبلاذ الغربة يسافر متحتم	واللي عليه الدين لا بد يقضيه
أخرج من دمار في وطنه عمم	ربي مكتب له الوطن يهاجرليه

¹ Bolokavaski, the commun Habits, (EDS), new view, London, 1985, p10.

² Bibliothèque nationale de France, (1960), **Ana Ghariba (Je suis une exilée)**, Rahab Taher, Dama Harra: Latifa avec choeurs et instr. arabes. Disponible sur : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k88047377>.

³ Bibliothèque nationale de France, (1960), Ya Warda Malek , Rahab Taher, Disponible sur : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k8804677d>.

⁴ الطاهر رحاب، (د ت)، يا غربي، ألبوم دموع الصحراء، استرجعت بتاريخ: 10 ماي 2022 على موقع: https://www.youtube.com/watch?v=D34WotGis_c

⁵ سعد الله، الحركة الوطنية...، ج2، المرجع السابق، ص128.

⁶ الطاهر رحاب، "الغربة"، مجلة هنا الجزائر، ع30، ديسمبر 1954، ص18.

فاستخدام مصطلح "جوع" ليس مجرد تعبير أدبي في الجزائر، إذ عانت البلاد من موجات مجاعة أسفرت عن وفاة الآلاف من الأطفال، ونتيجة لموجة من المجاعة، ارتفعت أسعار اللحوم والسمن والتمر والحبوب والقمح، مما دفع الجزائريين إلى رهن ممتلكاتهم المتبقية أو بيعها للحصول على الطعام، وبعد أن ضاقت سبل العيش في الجزائر، أصبحت الهجرة ضرورة للشباب الجزائري، فالشاعر الذي كتب هذه القصيدة سافر من أجل إطعام أطفاله الجوعى، ويرجع ذلك إلى سياسة التقدير التي اتبعها الاحتلال الفرنسي من خلال سلب الأراضي وتوزيعها على المستوطنين، مما جعل الجزائريين غرباء في أرضهم تحت رحمة الاحتلال، كما يرجع الشاعر أن أسباب الهجرة أيضا هو التضييق على أراضي الجزائريين فيقول¹:

أمي أرض بلادنا رَجَعَتْ قِفَار	يا ويح السكينُ مثلي زوالي
لا غلّه في بلادنا تفوجّي ذا الهم	بالسيف علينا الوطن نصد عليه
ما صبت أمطار عنه في الموسم	لا خدمة لا مال لا غلّة تنجيه
النخلة بلا ثمار لازمها المعزّم	لا عيون من المياه جرّاية تسقيه
والنعجة في السوق لا من يساوم	جاحت ثمرتها واحد ما تكفيه
والزيتون بلا زيت حَبّة زادَ أحطّم	لا عشب في الصحرا هي تتغذاه

يمكن رصد الأوضاع الاقتصادية المزرية في القصيدة حيث أن الأهالي يعتمدون على الأرض في عيشهم من خلال الزراعة وتربية المواشي ثم بيع المحاصيل والمواشي وهكذا، إلا أنّ دورة حياتهم تدخلت فيها السياسة الاستعمارية وسيطرت عليها، وأخيرا تحدث الشاعر عن سبب أساسي للهجرة أيضا وهو البطالة التي انتشرت في أوساط السكان وتفاقت الظروف الاقتصادية مما أنتج شللا في تنمية القطاع الصناعي ومناصب الشغل خارج القطاع الفلاحي كما أن العمل في الفلاحة مرتبطا بالموسم وكل هذه الأوضاع خلقت عدم الأمان الاقتصادي للأهالي²، فيقول³:

وطنه من الأثمار أكلُ راح عديم	مولاهم مسكين قوته حابر فيه
زادت فيه الناس كثرة تنهاوم	من المحال فقير يقدر يسكن فيه
سار لأرض فرانس لعلّ ثم	ماكنش خدمات للواحد تكفيه

— أوضاع العمال الجزائريين في فرنسا من خلال قصيدة الغربة:

¹ نفسه، ص18.

² رشيد زوزو، الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة في علم اجتماع التنمية، جامعة منتوري، قسنطينة - الجزائر، 2008، ص65.

³ رحاب، "الغربة"، المرجع السابق، ص18.

تناول القصيدة الأوضاع الصعبة التي عاشها هؤلاء العمال في المهجر، والتي كانت مفعمة بالاغتراب والفقر والظلم الاجتماعي، ومن خلال هذه القصيدة، يظهر الشاعر كيف أن العمال الجزائريين كانوا يعانون من الاستغلال الشديد، وظروف العمل القاسية، والعزلة الثقافية والاجتماعية في بلد غريب، فيركز على وضع العمال وهم في طريقهم نحو فرنسا فيقول الشاعر¹:

ها هو ينادي لي بالصوت القطار	واللي راكب فيه حاله كي حالي
هاهي المشينة وصلت للقسم	واللي مثلي بعيد ها هي تنادي فيه
وجميع الركاب بانوا في مرصهم	لبلاد الثعالي يجتمعوا فيه
كل أواخر حيران يبكي ويحلم	ماتاقش لفراق أهله وآماله
لما طاح الليل عنه زاد الهم	وركوب البابور ماه موالف به
خلف وطنه وراح في البحر مدعم	قاصد بر فرنسا واش يلاقه
أواخر جابه شوق بالدنيا يحلم	ماه داري في فرنسا واش يلاقه
ما عندوش لسان باش يخاطبهم	ما عندوش أخوان ثم يحنوا عليه

فيعبر الشاعر عن طريق الذهاب الذي سلكه بدءا من القطار حين ودعوا عائلاتهم وصولا إلى مدينة الجزائر حيث كان الوداع ثقيلًا وحزينًا ويصور طريق الرحلة في البحر حين يحل الظلام على الباخرة التي لم يتعودوا على ركوبها، فيتجرد البعض منهم من صلابة مشاعره ويقسمهم بين الحزين الذي يعرف أن مصيره هناك مجهول خصوصا وأنهم يعلمون أن من سيتعاملون معه هناك هو سبب ما يعانونه، وجزء آخر ينتظر بشوق رؤية أرض فرنسا ويحلم بأن يحصل على حياة أفضل دون أن يعرف حتى التكلم باللغة الفرنسية وهنا نقطة أخرى يمكن استخلاصها أن العمل في فرنسا يحتاج جهدا عضليا فقط ولهذا لم تحتاج الإدارة الفرنسية في نقل من يعرفون اللغة الفرنسية للعمل أو للتعامل مع الفرنسيين هناك، ثم يتطرق الشاعر إلى وضع العمال الجزائريين في فرنسا، فيقول²:

كاين اللي عاش فيها متنعم	يُوجَد ما يقتات ويقوت أهليه
كاين اللي خلى أمه تبكي بالدم	لكن ثم قوته حابر فيه

¹ نفسه، ص18.

² رحاب، "الغربة"، المرجع السابق، ص18.

ظلت العلاقات بين المهاجرين وأهاليهم متمثلة في الفوائد المادية¹ أي ارسال جزء كبير من أجورهم إلى عائلاتهم وهنا الشاعر يعبر عن العمال الذين لم يستطيعوا حتى العيش بأجورهم في فرنسا ليتمكنوا من إرسالها إلى عائلاتهم، ولقد تحدث الشاعر عن الوضع النفسي للعمال الجزائريين في فرنسا، فيقول²:

يا لطيف نحس تحت ضلوعي ناز	نخم طول الليل متغير حالي
ما لي صدر حنين نشكيله بمصار	ولا عندي قريب يسمع مقالي
لازم عني يا آمة ندخل للبحار	نمشي لوطن بعيد ماه في بالي
ما تبكيش على وليدك إذا سار	كوني صبرة وبالخير ادعالي
تبقاي على خير قلبي صار أشطار	كوني صبرة وبالخير ادعالي
المكتوب يسوق العبد والأقدار	ربي يجمعنا والأيام توالي

تبدأ القصيدة بمناجاة وتعبير عن الألم النفسي الذي يعيشه العامل من وحدة وحنين والبؤس الذي تعيشه بلاده فيتشوق هذا العامل لقطع البحر للعودة مجددا لأمه ووطنه ثم ينتقل لمخاطبة أمه ويحثها على الصبر على هذا المصاب المتمثل في البعد والفرق ويتمنى عودته إليها، ويستمر الشاعر في مناجاة الله ويشكوه بعد الوطن وحرقة الغربة³:

أدعي رب الناس يجمعنا في نهار	نرجع شور آمة وتنفد أحوالي
يا ربي يا خالقي أنت تعلم	فراق الوطن صعب ما طقناش عليه

ثم يعبر الشاعر على لسان أمه وأمهاة المغتربين الموجودات في الوطن وينقل معاناتهن في انتظار أبناءهن الذين رحلوا في قطار ولم يعودوا لكن إيمانهن بالله سيعيدهم إليهن فيقول⁴:

ولدي ولدي راه تُركني للههم	قلبي خلتيه بناره تقدي فيه
يا قطار الشؤم قلبي صار فحم	رجع لي وليدي علاش عني تدييه
قلبك قاسي لا تحن ولا ترحم	بكي الفرقة دائما أنت تشتيه
زُد وليدي يا الغراب الأسحم	أنت والبابور متفقين عليه
سالوا دمعتي عن ولدي بالدم	ماعنديش حبيب عن حالي نشكيه

¹ سعد الله، الحركة الوطنية...، ج2، المرجع السابق، ص129.

² رحاب، "الغربة"، المرجع السابق، ص18.

³ نفسه.

⁴ نفسه، ص18.

ما عندي جيران قربي نشكيهم وكري خالي خلا من اللي كانوا فيه
قادر الخلاق لي يرجعهم وقلبي يفرح والهموم تزول عليه
في وطن الغربة ربي يحفظهم واللي طالب شي الله به يلاقه

لقد كان استخدام الأسماء المستعارة أو المجهولة شائعاً بسبب انعدام الأمان الذي يتعرض له الشاعر أو بسبب قوة الكلمات، وكانت الأغاني الشعبية تُنسب عمومًا إلى مؤلفين مجهولين للابتعاد عن الرقابة الاجتماعية والاستعمارية، كما تعبر الأغاني التي كان يرددوها العمال المهاجرون عن وضعهم النفسي وحنينهم إلى الوطن والعائلة، وتحمل قصيدة "الغربة" التي كتبها العامل المجهول العديد من الوقائع التي يعيشها المهاجرون، حيث تصوّر رحلتهم ولحظات وداعهم الأخيرة وآملهم في تحسين ظروفهم وظروف عائلاتهم، ثم وضعهم في فرنسا وأملهم في العودة إلى أسرهم، قام الشاعر والمطرب بنقل العديد من الأغاني التي تعبر عن تجارب المغتربين والمهاجرين في أعماله الفنية، حيث كانت إذاعة هنا الجزائر تبث تلك الأغاني في فرنسا والجزائر، وبالتالي يتم نقل هذه القصص الحياتية عبر الأثير على شكل قصائد شعبية ملحنة، وتسجل الكتابات الأدبية الجزائرية، سواء الشعر أو المسرح أو القصة وغيرها، واقع الجزائريين في فترة الاحتلال، وتساهم في توثيق تلك التجارب وإبراز التاريخ والثقافة الجزائرية خلال تلك الفترة المضطربة.

أما عن السياق التاريخي لبث هذه الأغنية عبر الأثير أو مكتوبة بين صفحات المجلة بعد شهر من اندلاع الثورة فإنه يعود لعدة أسباب منها أن الإدارة الاستعمارية توضح بهذا الشكل أنها منفتحة عن الثقافة الجزائرية ولديها حرية التعبير إلى درجة نشر آلام زمرة من الجزائريين ومشاعرهم في الحنين إلى الوطن، الوطن الذي تعتبره فرنسا جزء منها أيضا.

1.3. أغنية دموع الحب للشاعر سعيد حايف وأداء لطيفة

قدّمت مجلة هنا الجزائر هذه الأغنية المنشورة على صفحاتها بتقديم خاص جاء فيه: "نقدّم اليوم لقرائنا الأعزاء شاعراً جديداً، قد لا يكون من شعراء الفصحى، لكنه يُعدّ من أرقّ شعراء الملحنين، وإن كانت بعض أغانيه لا تنتمي إلى اللهجة الشعبية، فإنها تتميز بالسلاسة والجودة، أما من حيث الشعور، فيكفي أن نقول إن أدينا سعيد حائف شاعر بكل ما تحمله الكلمة من معنى... شاعر في كلماته... شاعر حتى في برامجه الإذاعية التي يعشقها المستمعون"¹

¹ نفسه، ص ص 8-9.

تُعدّ أغنية "دموع الحب" تعبيرًا صادقًا عن المشاعر الإنسانية العميقة، حيث تجسد الألم الداخلي وتجربة فقدان التي تعصف بالقلوب، كتب كلمات الأغنية الشاعر سعيد حائف، بينما أبدع في تلحينها الموسيقار الجليلي وأدتها بصوتها العذب الفنانة لطيفة.

تحكي الأغنية قصة حب انتهت بفقدان الحبيب، حيث تنساب الكلمات لتروي معاناة العاشق وآلامه، يبدأ النص بوصف دموع الحب، التي تتحول إلى صوت يعاتب ويعبّر عن الظلم الذي تعرض له القلب المحب، متسائلًا عن أسباب هذا الفراق المروع.

في بداية الأغنية، يبرز الصراع الداخلي الذي تعيشه الشخصية المحورية، إذ تختلط مشاعر الحزن والغضب بالحب الذي لا يزال نابضًا، حيث يقول¹:

دموع الحب في عيوني
تعاتب فيك وتتظلم
وتتساءل بي جفون
علاش تتركني نتألم
ونتظلم نقول ارحم
حبيب ما قدرش يتكلم

تُظهر هذه الكلمات صورة مؤثرة لشخص يُصارع ألم فقدان، متحدًا بلسان الدموع التي تحمل رسالة الحب العاجز عن الفهم أو التصالح مع فقدانه، الأغنية ليست مجرد عمل فني، بل هي رحلة في أعماق التجربة الإنسانية، حيث يتجلى الحزن بأبهى صوره الفنية.

تستمر أغنية "دموع الحب" في استعراض معاناة الحب والفقدان، حيث تتناول حالة الصمت والكتمان التي تعيشها الشخصية المحورية، يتجلى في كلمات الأغنية الخوف من تفجر الدموع وكشف المشاعر الحقيقية، مما يبرز الصراع الداخلي بين الحب والرغبة في إخفاء الألم.

¹ نفسه.

في مقاطعها التالية، تعبّر الأغنية عن القلق الدائم من فقدان السيطرة على المشاعر والبوح بما تخفيه النفس،
إذ تقول¹:

وتتحدث على شهدي
وتكلم وتظلم
ليالي العمر لك تجري
وأنا نخي عليك سري
وتحكي عن حبيب محروم
وتفضح قلب متألم
وحبك كل يوم يزيد
وخائفة من دموع تفيض

تبرز هذه الأبيات معاناة الشخصية التي تجد نفسها مقيدة بين عشقها الذي يزداد قوة وبين خوفها من
انكشاف ما تحمله في قلبها، يُظهر النص شجاعة الإصرار على كتمان الحب والألم، إلا أن الدموع، التي لا يمكن
كبحها، تصبح لسان حال القلب المتألم، كما يتضح في ختام الأغنية²:

وتتكلم وتظلم
غبيت نداري في الظاهر
وقال الدمع في الآخر
وتتكلم وتظلم
وتفضح قلب متألم
وُحُبس دمعي بين الجفون
تُحبك مهما كان ويكون
ويفضح قلب متألم

¹ نفسه، ص ص 8-9.

² نفسه.

تختتم الأغنية بتأكيد الولاء المطلق للحبيب، مهما كانت الظروف، فتُظهر الكلمات أن الدموع ليست ضعفاً، بل هي تعبير صادق عن حب لا يخبو، وصراع داخلي بين التمسك بالمظهر القوي والرغبة في البوح بما يثقل القلب، إنها أغنية تمزج بين العاطفة الصادقة والإبداع الفني لتخلق تجربة شعرية عميقة ومؤثرة.

تُعدّ قصيدة "دموع الحب" من الأعمال المؤثرة التي تتناول مشاعر إنسانية عميقة كالحب والألم، وهي موضوعات ألهمت الأدباء والشعراء على مرّ العصور، لكن نشرها عبر أثر إذاعة هنا الجزائر في عام 1958، وكذا في صفحات مجلة هنا الجزائر، خلال فترة عانى فيها الشعب الجزائري من الجوع والفقد واليتم وسط وحشية المستعمر، يثير تساؤلات حول التناقض الواضح بين الواقع السياسي والثقافي آنذاك.

في سياق كهذا، يصبح هذا التصرف مرتبطاً بآليات النظام الاستعماري الفرنسي، الذي كان يوجه الثقافة والإعلام لخدمة أهدافه، استخدام قصائد عن الحب والألم قد يبدو وسيلة لتضليل الشعب وصرف انتباهه عن القضايا الوطنية الملحة كالثورة والحرية، من خلال تسليط الضوء على المشاعر الفردية بدلاً من الآمال الجماعية، سعى النظام إلى تثبيت سلطته وإضعاف الروح الثورية.

إن اختيار هذا النوع من المحتوى، في وقت كانت فيه الثورة الجزائرية على أشدها، يُظهر استراتيجية ثقافية استعمارية، كان الهدف تشتيت الرأي العام، وجعل القضايا الحياتية الكبرى تبدو هامشية مقارنة بالانشغال بالمشاعر الشخصية.

يمكن القول إن هذا التناقض يكشف طبيعة الاحتلال الفرنسي الذي لم يكتفِ بالقمع العسكري، بل سعى أيضاً إلى السيطرة على العقول من خلال الإعلام والثقافة، في محاولة لطمس الهوية الوطنية الجزائرية وتعطيل زخم الثورة، خاصة في واحدة من أصعب مراحلها خلال عام 1958.

2. كتابة شعر الطبيعة:

1.2. قصيدة ها هو الربيع يا شمسوا، بشار لرحاب الطاهر

ولد رحاب الطاهر بن الصادق سنة 1917 في بلدة ليوة بولاية بسكرة لعائلة ميسورة الحال، وتوفي أبوه وهو في الحادية عشرة من عمره، وكان الابن الوحيد لأبيه وله ثلاث أخوات من أمه، تعلم في مسجد علي بن عثمان بليوة وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم على يد الشيخ بن ناصر المبروك، بدأ مساره الفني مع الأناشيد الدينية، وقدم

حلقات إنشادية في عدة زوايا منها زاوية الهامل، حيث جذب صوته انتباه شيخها الحاج عبد القادر الذي قدمه للإذاعة الوطنية عام 1942 كمنشد، كتب في عدة صحف منها جريدة المساواة والأسبوع التونسي والإصلاح، متناولاً مواضيع وطنية ضد الاحتلال، التحق بالإذاعة الوطنية عام 1947 كمذيع وبدأ الإنتاج سنة 1951، حيث قدم برامج متنوعة مثل "المغالطة" و"الشعر الملحون" و"فلكلور جزائري" التي استضاف فيها كبار فناني الفن البدوي الصحراوي، كما قدم برنامج "القصة الشعبية" الذي تميز بحواره المفتوح وتلقى تفاعلاً كبيراً من المستمعين¹.

أما عن قصيدة "هاهو الربيع يا شمس، بشار" فهي إحدى القصائد الجزائرية الملحونة الشعبية، نشرت في مجلة "هنا الجزائري" عام 1955، وهو العام الذي شهد تصاعد حدة الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، فيقول الشاعر الطاهر رحاب²:

بفضل الربيع، فرحت الأطيّار	ما بين الأغصان بالنعمة عنان
كل أواخر في سماه صَدَّاح	ما أسعد هذا اليوم الشتوي وفان
في الغابة وأشعَابُ فتح النضوار	كي ظهر القلموز، فاحت الريحان
والأعشابُ مخالفة، يعجب الأنظار	يعجز الوصاف عنها في الصفات
تلقي بُو فَرْعُونُ في لونه يَحْمَازُ	والبلسن مشهور، زهاي الولجان
قالوا عنه زمان ماكلت الدوائر	يصلح للفرسان في الغارة قوان
وهلياج وصفين منه ما يصفُر	وأوخر أبيضُ زين يصلح للزينات
كف اللبـه فيه عندك ما تختار	جامِلُ ثَلْتُ أوصاف ها هي بالتبان
أزرق وأبيض فيه وأطرافه تخضار	به الأرض العارية لبست خلان
إذا ربي جاد في فصل الأمطار	وصب المطر كثير، ومزونه تقوات
أرض الصحرا تكون حملت كل أثمار	ما غرسها غَرْصَاسُ من عند الله جات
ما جلبوها ناس من عند التجار	مطر أكتوبر جابها ومعاها أعشاب
"مطر قالوا للأرض اليابسة: "مطره ثمار	يُبعث فيها الروحُ من بعد الممان
وللشـضره اللي جايحة هو دُغار	ترجع فيها الرضوخ وتجيـب الفلان
وءتولي الويدان تجري كي الأنهار	كي يجيها الربيع، القاهـا أبيضات

¹ مجموعة شعراء، ديوان هنا الجزائر، المصدر السابق، ص 123.

² رحاب، "هاهو الربيع يا شمس، بشار"، هنا الجزائر، السنة الثالثة، ع 34، أبريل 1955، ص 08.

القصيدة الشعبية تنتمي إلى الشعر الملحون وتعبر عن فرحة عارمة بقدوم الربيع وتأثيره الحي والطبيعي على الأرض، تبدأ بوصف السعادة التي جلبها الربيع للأطيار والطبيعة، حيث تفتح الغابات والأشجار أزهارها، وتغمر الأرض الأمطار التي تحيي الأعشاب وتجذب الأنظار بجمالها، كما تشير إلى تحول الأرض الجافة والقاحلة في الصحراء إلى أرض خصبة ومثمرة بفضل المطر، وتدعو الشاعر الله للاستمرار في إرسال المطر والبركة، يتناول النص أيضاً أثر الربيع على الثروة الحيوانية ونشاطها، ويبرز ارتباط الجمال الطبيعي بدعاء الشاعر الذي يطلب الخير والبركة لأرضه وشعبه، مؤكداً أن تحقيق ذلك بيد الله وحده، فيقول¹:

ها هو جاء الربيع بشموسة بشار	تفتح الأرض على اللي هي حبات
يا فرحت الأعراب، سكان القفار	يتلمو في بلادهم بعد الرحلات
كل أواخر يكون ديمه لخواه جوار	إذا ربي جاد عنهم بالخيرات
يكثر العسلوج والتعجة تختار	ما تطلب موجود مليانة الضايات
والخرفان مربطه يمى ويسار	ولي يشوف أميمته يعلي الصيحات
أعلى صوت القنقان صقار وخزار	أمه تجيه قصاد تجري لا تلقات
تفرح كيف تراه سالما من الأكدار	تعطف عنه تزيد ترويه بشربات
هذا شي قليل قلنا باختصار	ما تلقاش مثيل صحرنا هيهات

ثم تنتهي القصيدة بتأكيد على أهمية المطر في إحياء الأرض وتحقيق الخيرات، مع دعاء مستمر لله بأن يظل ينزل رحمة على الأرض، ويُعيد الحياة في الطبيعة بشكل متجدد، هذه الصورة للشاعر تعكس حالة من الأمل واليقين بقدرة الله على تحويل القحط إلى خصب، والجفاف إلى حياة، مما يُجسد رؤية شعبية لطقوس الحياة الطبيعية في الجزائر، فيقول²:

إذا ربي جاد عليها بالأمطار	تتغطي بأعشابها، ترجع جنات
سألتك يا خالقي بما في الأسوار	نزل عن أرض بلادنا منك رحمت
عبادك ضعاف، وأهل قلوب صغار	غيث الرحمة نزلاءه عليهم هيلات
تاج الأرض يكون ساطحاً بالأنوار	يدل على توحيد ليك مع آيات
لا غيرك في الكون، نفضاع وضرار	إذا أمرت يكون خيرك في الحطات

¹ نفسه، ص 08.

² نفسه.

يمكن قراءة الحديث عن الربيع في هذه القصيدة الشعبية الملحون المنشورة عام 1955، في خضم ثورة التحرير الجزائرية، على أنه يحمل أبعاداً رمزية تتجاوز مجرد وصف الطبيعة، ليصبح رمزاً للأمل والتجدد والنضال، إذ يعكس الربيع هنا تطلعات الجزائريين نحو التحرر والاستقلال بعد سنوات من القهر والاحتلال، فكما يعيد الربيع الحياة للطبيعة الجافة، تعبر القصيدة عن إيمان الشعب الجزائري بقدرتهم على استعادة حريتهم ونحوض وطنهم من جديد، رغم أن الثورة كانت في أوجها وكانت الأوضاع قاسية، إلا أن تصوير الربيع يعبر عن تمسك الشعب بالأمل والبحث عن بداية جديدة تنعش الروح وتحيي الأرض.

تُبرز القصيدة التناقض بين جمال الطبيعة وفرحة الأرض بالمطر والربيع، وبين معاناة الجزائريين من القمع والحصار، مما يعكس قدرة الشعب على الحفاظ على التفاؤل والجميل حتى في أصعب الظروف، في هذا السياق، يمكن اعتبار الربيع رمزاً للنهضة الوطنية التي كانت الثورة تسعى إليها، حيث يشبه المطر الذي يحيي الأرض الجافة بالثورة التي تسعى لتحرير الوطن من الاحتلال وتطهيره من أزماته الثقافية والسياسية، ليست القصيدة مجرد وصف للطبيعة، بل هي دعوة متجددة للثبات على الأمل والصبر، ورمز إلى الحرية التي ستزهر في نهاية المطاف بعد شتاء طويل من الاحتلال، مؤكدة أن الأرض التي يحبها الجزائريون هي التي تستحق النضال والتضحية.

2.2. قصيدة الصحراء لمحمد الأخضر السائحي

قصيدة "الصحراء" لمحمد الأخضر السائحي قام بنشرها في مجلة **هنا الجزائر** سنة 1953، تتناول القصيدة بجمالية وعمق طبيعة الصحراء وسحرها الغامض، من خلال الأبيات، يعبر الشاعر عن انبهاره بجمال الصحراء وتناقضاتها، فهي ليست مجرد رمال وهضاب، بل هي لوحة فنية تجمع بين السكون والحركة، بين الروعة والهيبة، دعونا نحلل القصيدة بيتاً بيتاً، فيقول¹:

كتب أنت؟ أم سنا وضياء؟ ورمال؟ أم فتنة ورواء؟

يفتح الشاعر القصيدة بتساؤلات تعبر عن حيرة وانبهار تجاه الصحراء، هذه التساؤلات تعكس الغموض والجمال الفريد للصحراء، التي تبدو وكأنها لوحة فنية أو نص مكتوب بلغة الطبيعة²:

وسكون مخيم ووجوم؟ أم غناء مرجع وحداء؟
وبساط ممهد من حرير؟ أم هضاب على الثرى ثماء؟

¹ محمد الأخضر السائحي، "الصحراء"، **هنا الجزائر**، ع 10، فيفري 1953، ص3.

² محمد الأخضر السائحي، "الصحراء"، المصدر السابق، ص03.

يستمر الشاعر في طرح تساؤلاته، متسائلاً عما إذا كانت الصحراء مكاناً للسكون والهدوء، أم مكاناً للأغاني والحداء، هذه الأبيات تصور التناقض بين السكون والحركة في الصحراء، وبين نعومة الحرير وصلابة الهضاب، فيستمر السائح في قصيدته¹:

لست أدري أأنت أرض دحاك أم أنت يا رمال سماء؟

يتساءل الشاعر عما إذا كانت الصحراء أرضاً أو سماءً، مما يبرز الجمال الفريد للصحراء الذي يتجاوز الحدود التقليدية بين الأرض والسماء، ويقول²:

وأنا الشاعر الذي يعشق الحسن لها دُونَ كُلِّ يَسْتَرْهَبُ الطَّرْفُ

الشاعر يعبر عن عشقه لجمال الصحراء، ويصور كيف أن جمال الصحراء يأسر النفس والعقل، الصحراء تعتبر مصدر إلهام للشعراء والفنانين، ثم يصف الشاعر الصحراء كعالم مليء بالأحاسيس، وأنها رحلة تقود إلى اكتشاف الحقائق، هذه الأبيات تعبر عن العمق الفلسفي للصحراء وكيف تؤثر على الفكر والعقل، فيقول³:

هي دنيا من الأحاسيس فيها وهي سفر إلى الحقائق يهدي

ولا تستحفه الأسماء لم تنفقه صنعة وطلاء

يشير الشاعر إلى أن الصحراء لا تتأثر بالأسماء أو الألقاب البشرية، فهي طبيعية وبسيطة، وجمالها مستمر ليلاً ونهاراً، فيذكر الشاعر أن الصحراء ألهمت الكتاب والشعراء، وكذلك النساك والأنبياء، مما يعكس التأثير العميق والمتنوع للصحراء على مختلف الناس، فيواصل السائح قصيدته⁴:

هام فيه الكتاب والشعراء والناسكون والأنبياء

يذكر الشاعر أن الصحراء ألهمت الكتاب والشعراء، وكذلك النساك والأنبياء، مما يعكس التأثير العميق والمتنوع للصحراء على مختلف الناس.

قصيدة "الصحراء" لمحمد الأخضر السائح تعبر عن جمال وسحر الصحراء بكل تفاصيلها وتناقضاتها، الشاعر يستخدم لغة غنية وصوراً شعرية قوية لتصوير الصحراء كعالم مليء بالأسرار والجمال، مما يجعلها مصدر إلهام للفنانين والمفكرين، القصيدة تظهر احترام الشاعر العميق للطبيعة وتأثيرها الكبير على النفس والفكر البشري.

¹ نفسه.

² نفسه.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

3. تعريب الشعر

1.3. قصيدة التجلي لفكتور هوغو ترجمة الطاهر بوشوشي

قصيدة "التجلي" للشاعر الفرنسي فيكتور هوغو، تعكس تجربة فريدة من نوعها للتأمل في جمال الطبيعة وعظمتها، ولقد قدمها الشاعر الطاهر بوشوشة للقراء عبر تعريبها في صفحة من صفحات مجلة الجزائر سنة 1960¹، وقد كانت هذه آخر اطلالة للشاعر وللمجلة معا فبعدها توقفت الجيدة عن الصدور نظرا لفهم المجلة بأن مبدأ المجلة الأول وسياستها التي تدخل ضمن السياسة الاستعمارية الثقافية قد اقتربت من الفشل، ولكن بسبب هذه المجلة تعرفنا على ابداعات أدبية لشعراء ظهوروا على صفحاتها واختفوا معها.

بخصوص القصيدة فهي ضمن الشعر الرومانسي لهوغو في إطار الحركة الأدبية الرومانسية في القرن التاسع عشر، التي تميزت بالتعبير عن المشاعر العميقة والتأملات الفلسفية، فهي تجربة التأمل والتفكير العميق في جمال الطبيعة وعجائب الكون، كما تبرز المشاهد الليلية الجميلة مع النجوم المضيئة والبحار الهادئة كرمز لعظمة الخلق والإبداع الإلهي، يستخدم هوغو صورا شاعرية متقنة لوصف جمال الطبيعة، مما يجعل القصيدة تتمتع بجاذبية بصرية، وتتنوع التقنيات الشعرية المستخدمة، مثل التشبيه والاستعارة والتوزيع اللفظي، لنقل الفكرة المركزية للقصيدة، اذ تعتبر "التجلي"² واحدة من القصائد البارزة لفكتور هوغو، والتي تبرز فيها موهبته في التعبير عن الجمال الطبيعي والروحاني، وقد أثرت القصيدة في الأدب الفرنسي والعالمي، وألهمت الكثير من الشعراء والمثقفين، وقد تركت بصمة عميقة في تطور الأدب الفرنسي، يُعرِّفها الطاهر بوشوشي³:

كُنْتُ وَحْدِي قُرْبَ الْعَبَابِ، وَكَانَ اللَّيْلُ يَبْدُو مُرْصَعًا بِالنُّجُومِ
لَا تَرَى الْعَيْنُ فِي الْبَحَارِ شِرَاعًا، لَا وَلَا فِي السَّمَاءِ طَيْفَ غُيُومِ
وَسَرَى الطَّرْفُ يَجْتَلي عَالَمًا، أَبْعَدَ مِنْ عَالَمِ الْوَرَى الْمَعْلُومِ
وَإِذَا الْغَابُ وَالْهَضَابُ وَمَا فِي الْكُونِ، يَبْدُو كَأَنَّهُ فِي وُجُومِ
يَسْأَلُ الشُّهْبَ وَالْبَحَارَ، كَأَنَّ السَّرَّ عِنْدَ الْبَحَارِ أَوْ فِي الرُّجُومِ
وَإِذَا بِالنُّجُومِ ذَاتِ الشُّعَاعِ الذَّهَبِيِّ السَّنَا وَذَاتِ الْعَلِيدِ
مُنْشِدَاتٍ بِخَافَتِ الصَّوْتِ، أَوْ أَعْلَاهُ لَحْنًا مُوقَّعَ التَّرْدِيدِ

¹ فيكتور هوغو، "التجلي"، تع: الطاهر بوشوشي، مجلة هنا الجزائر، ع89، جوان 1960، ص 7.

² Victor Hugo, « Extase », Ici l'Algérie, n° 89, juin 1960, p09.

³ فيكتور هوغو، "التجلي"، المرجع السابق، ص 7.

حانياتِ رؤوسها بأكاليل، مِنْ النَّارِ مُبْدِعَاتِ النَّشِيدِ
وَإِذَا بِالْبَحَارِ وَهِيَ الَّتِي، لَمْ يَنْ تَيَّارُهَا لِكَبْحِ الْقُبُودِ
طَاطَأَتْ هَامَ جُحُهَا فِي خُشُوعٍ، قَائِلَاتِ كَأَنَّهَا فِي سُجُودِ:
إِنَّهُ اللَّهُ رَبُّ هَذَا الْوُجُودِ

إن تعريب الطاهر بشوشي لقصيدة فيكتور هوغو يُظهر براعة أدبية واضحة، إذ استخدم لغة عربية شاعرية تتسم بالفصاحة والثراء البلاغي، مما أضفى على القصيدة طابعاً جمالياً وخصوصية، ولقد برزت في النص روح التأمل الكوني والطابع الفلسفي للقصيدة الأصلية، مع التركيز على عظمة الكون وتحليلات الإيمان بالله، وهو ما يتماشى مع الحس الديني والثقافي الجزائري.

تميز التعريب أيضاً بحسن توظيف الأوزان والقوافي، مما جعل النص يبدو كأنه قصيدة عربية خالصة، وليس مجرد ترجمة، كما نجح في نقل الصور الجمالية الموجودة في النص الفرنسي، مع إعطائها بعداً عربياً متفرداً، مثل تصوير النجوم وهي "حانياتِ رؤوسها بأكاليل، مِنْ النَّارِ" والبحار وهي "طَاطَأَتْ هَامَ جُحُهَا فِي خُشُوعٍ".

مع ذلك، فقد لجأ المترجم إلى بعض الإضافات التفسيرية التي لم ترد في النص الأصلي، مثل قوله: "كَأَنَّ السَّرَّ عِنْدَ الْبَحَارِ أَوْ فِي الرُّجُومِ"، مما يتعد قليلاً عن الدقة الحرفية، هذه الإضافات تُثري النص من الناحية الأدبية لكنها قد تُغيّر من روح التأمل البسيط الذي يميز القصيدة الأصلية، وفي المجمل، يُعد تعريب بشوشي عملاً أدبياً متميزاً يجمع بين الإبداع والتعبير الجمالي، لكنه أقرب إلى إعادة صياغة شعرية متقنة منه إلى ترجمة دقيقة، وهذا يجعل النص ملائماً للقارئ العربي الباحث عن نص شعري جميل، أكثر من كونه مرآة حرفية للنص الفرنسي.

2.1. أحسنوا للفقير لفيكتور هوغو تعريب جلول البدوي

تُعد القصيدة التي عرّبها الشاعر الجزائري جلول البدوي عن نص فيكتور هوغو، بعنوانها الأصلي "أحسنوا للفقير"¹، شهادة أدبية على الروح الإنسانية التي حملها شعر هوغو العالمي، ودعوة صريحة للأغنياء والسعداء في الدنيا إلى التفكير في حال الفقراء والبائسين الذين يعيشون تحت وطأة الجوع والمعاناة، القصيدة في نصها الأصلي تستعرض مشهداً متناقضاً بين رفاة الأثرياء وفقر المعدمين، وتلمس من الأغنياء أن يجعلوا الرحمة والصدقة وسيلة لتحقيق التوازن الإنساني في عالم يبدو فيه التفاوت صارخاً، فيُعزّب جلول البدوي القصيدة التي كتبها هوغو كالآتي²:

¹ Victor Hugo, **Pour les pauvres-Les Feuilles d'Automne**, Charles Gosselin, paris-France, 1831, p11.

² فيكتور هوغو، "أحسنوا للفقير"، تع: جلول البدوي، هنا الجزائر، السنة الأولى، ع 3، جويلية 1952، ص ص 20-21.

أيها الأغنياء في هذه الدنيا	ومن هم بها سعداء
كيف رحتم لدى مهارجكم في	قصفكم تحت ساطع الأضواء
والمصاييح تغمر البيت لأ لا	ء ودفئا مدى ليالي الشتاء
وقلوب الضيوف تطفح بالبشر	وتنهل نشوة باللقاء
حين يشجيكم العشية لحن	تشتهيه النفوس أي اشتها
عندما يبلغ التفنن في القصف	مدى، دونه رحيب الفضاء
هل تحسون -آنذاك- بنفس	آذنتها أفعى الطوى بالعداء

ألقى جلول البدوي قصيدة معرّبة لفيلكتور هوغو باللغة العربية خلال الأسبوع الأدبي الذي نظّمته الإذاعة الجزائرية سنة 1952، بمناسبة مرور قرن ونصف على ميلاد الشاعر الفرنسي، وأهداها لكل من يحمل في قلبه رحمة تجاه البائسين، وقد نُشرت هذه الترجمة في مجلة "هنا الجزائر"، فجاءت وفيه لروح النص الأصلي، مع إضافة لمسة عربية شاعرية تُناسب السياق الثقافي والاجتماعي للجزائر تحت الاحتلال، حيث برزت فيها دعوة إلى التضامن والرحمة، وتمثل هذه المبادرة مثالا على توظيف المثقفين الجزائريين للأدب العالمي لخدمة القضايا المحلية، وبناء جسر ثقافي وإنساني يوحد بين الشعوب في مواجهة المعاناة.

خامسا: نماذج من شعر الاخوانيات والمرثيات:

1. كتابة الأخوانيات:

1.2. لطيفة بين شاعرين لحمزة بوكوشة ومحمد العيد آل خليفة

نشرت جريدة لبصائر بتاريخ 10 جانفي 1936 على صفحة من صفحتها عن أبيات شعر كتبهما حمزة بوكوشة ومحمد العيد آل خليفة واصفة هذا اللقاء الشعري بلطيفة بين شاعرين، فتقول: "مساء يوم الخميس 21 نوفمبر الماضي، التقى الأديب العبقرى الشيخ حمزة بوكوشة بصديقه الشاعر الكبير الشيخ محمد العيد في مقهى "القلاتي" عند الساعة العاشرة صباحا، لكن بسبب الأمطار، تأخر محمد العيد عن الموعد حتى يؤس صديقه حمزة بوكوشة من قدومه"¹

يقول الشاعر حمزة بوكوشة معاتبا صديقه الشاعر محمد العيد²:

¹ حمزة بوكوشة، محمد العيد آل خليفة، "لطيفة بين شاعرين"، البصائر، ع2، 10 جانفي 1936، ص 08.

² نفسه.

ما كنت أحسب أن الخلف شيمتكم
حتى يؤخركم عن وعيدكم مطر
إن لم تجيئوا بأعذار مسلمة
أقل - برغم الأخ - هل مسكم بطر¹؟

ولكن عندما أطلع محمد العيد على الأبيات، كتب ارتحالاً تحتها²:

ما مسني بطر بل مسني مطر
لكنني رغم هذا جئت أعتذر
هيهات اترك أحبابي وأهجرهم
لا زهد لي في أحبابي وإن هجروا

تظهر القصيدة العلاقة الودية القوية بين الشاعرين، فالعتاب هنا ليس قاسياً، بل يأتي في إطار المزاح والود، استخدام اللغة الشعرية الكلاسيكية يعبر عن مدى تأثر الشاعرين بالتراث الأدبي العربي، رد محمد العيد بسرعة وارتجال يعبر عن مهارته الشعرية وسرعة بديهته، كما أن العتاب على التأخر يُظهر احترام الشاعرين للوقت والمواعيد، والاعتذار والتأكيد على الصداقة يعكسان قيمة العلاقات الإنسانية عندهم، بهذا، يكون هذا الحوار الشعري تعبيراً لطيفاً عن مواقف حياتية بأسلوب أدبي راقٍ، ينتمي لشعر لمحاملات.

نشير بـ "شعر المجاملات" إلى الأشعار التي يصفها بعض المؤرخين الأدبيين، مثل أبو القاسم سعد الله في الجزائر، بأنها تنتمي إلى الشعر الإخواني، تنوع الشاعر محمد العيد في استخدام هذا اللون الشعري لعدة أسباب، يُعتبر العيد شاعرًا اجتماعيًا يتفاعل مع الناس ويستمع إلى شكواهم، كما يظهر كرجل وفيّ لأصدقائه ومعارفه، حتى لأولئك الذين ألحقوا به الأذى أو هجروه، علاوة على ذلك، يأتي العيد كمواطن مهتم بتعزيز النشاط الأدبي والثقافي في بلده، مسهمًا في بناء النهضة الثقافية، بالإضافة إلى ذلك، يظهر كشاعر يشعر بالحزن لفقدان الوطن لشاعر كبير أو زعيم وطني، وأيضًا كشاعر يجيد نظم الشعر وتنسيق الكلمات، سواء كانت تعبر عن العاطفة أو كانت مجرد تجريد للنظم والتوازن الصوتي دون تأثير شعوري، ومن هنا، نجد تكرار استخدامه لشعر المجاملات، حيث كتب أكثر من

¹ أخبرني -على الرغم من الأخوة - هل أصابكم الغرور؟

² نفسه.

عشر قصائد في الرثاء، وأخرى في التهئة والتقدير للكتب الحديثة الصادرة في الجزائر، بالإضافة إلى الأشعار التي يكتبها لتلاميذه وأصدقائه ويطلق عليها "اللغز"¹.

2.2. قصيدة أين فيروز؟ للشاعر محمد الشبوكي

وُلد محمد الشبوكي في ثليجان، بلدية الشريعة، ولاية تبسة، حيث حفظ القرآن في المنزل على يد معلم خاص، انتقل بعد ذلك إلى منطقة جنوبية بتونس حيث درس مبادئ اللغة والحساب، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة في سنة 1934، وتخرج منها حاصلاً على شهادة التحصيل في عام 1942، انخرط في سلك التعليم في مدارس جمعية العلماء، حيث عمل معلماً ومديراً حتى اندلاع الثورة التحريرية. انضم إلى الثورة في عام 1955، وتولى مهمة التوجيه والإعلام، تم القبض عليه في 10 فيفري 1956، وسُجن في معتقل الجرف بالقرب من مسيلة²، ثم تنقل بين المعتقلات في غرب ووسط البلاد، بعد الاستقلال، تم انتخابه رئيساً لبلدية الشريعة في عام 1963، ثم رئيساً للمجلس الولائي في عام 1975، ولم ينشر سوى القليل من شعره، الذي كان في معظمه يتعلق بالوطنية والثورة، وهو مؤلف النشيد الثوري الشهير "جزائرنا"³.

قصيدة "أين فيروز" للشاعر تستحضر تأثير أغاني فيروز الساحر على مشاعر محمد الشبوكي وهو في معتقل "لودي" بجوار مدينة المدية، يعبر الشاعر عن افتتانه بصوت فيروز⁴ الذي كان يستمع إليه أثناء فترة اعتقاله، حيث جاء عنوان القصيدة بأين فيروز؟ وهو سؤال سألَه إلى صديقه في السجن مسعود زيتوني فيقول الشبوكي⁵:

لأغاريدها أذوب اشتياقا	أين فيروز يا رفيقي فإني
وكم لذ شدوها لي وراقا	كم سبتي بصوتها في ربي لودي
تراءت فأشرقت إشراقا	إن فيروز نجمة في سما الفن

¹ سعد الله، محمد العيد...، المرجع السابق، ص 169.

² ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 679.

³ بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر...، مج 2، المرجع السابق، ص 126.

⁴ فيروز: واسمها الحقيقي نهاد رزق وديع حداد، هي مطربة لبنانية تُعتبر واحدة من أبرز رموز الفن العربي والعالمي، ولدت في 21 نوفمبر 1934 في جبل الأرز بלבنة، وأصبحت صوتاً مميزاً يجمع بين الأصالة والتجديد في الأغنية العربية، بدأت فيروز مسيرتها الفنية في الخمسينيات، واشتهرت بتعاونها مع الأخوين رحباني (عاصي ومنصور رحباني)، حيث قدّما معاً مجموعة غنائية ومسرحية استثنائية، تتميز أغانيها بطابعها العاطفي والوطني والروحاني، وغالباً ما تعكس جمال الطبيعة والحنين للوطن والحب الإنساني، كما تُعرف فيروز بلقب "جارية القمر"، وصوتها يعتبر رمزاً للصفاء والرقى، وقد ساهمت أغانيها، مثل "زهرة المدائن" و"كان عنا طاحونه" و"بكتب اسمك يا حبيبي"، في تخليدها كأيقونة للفن العربي، أغانيها تعبر عن مشاعر إنسانية عميقة وتمزج بين الكلاسيكية والمعاصرة، مما يجعلها قريبة من قلوب المستمعين في جميع أنحاء العالم، ينظر: كمال ديب، بيروت والحدائث الثقافية والهوية من جبران إلى فيروز، دار النهار، بيروت-لبنان، 2010، ص 123.

⁵ محمد الشبوكي، ديوان محمد الشبوكي (المجموعة الأولى)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 190.

لحنها العذب يملأ النفس إحسا	سا فقد بات قلبي مدنفا خفاقا
كلما غردت تملكك القلب	وكانت لهمة تريقا
تبعث الآهة الحزينة في الكون	فيغدو مولها مشتاقا
والمزامير حولها والكمنجات	توالي حنينها الدفاقا
فإذا الكون كله في ابتهاج	يتحسى نشيدها الرقراقا
بنت لبنان قد أثرت أحاسيسي	وأضرمت مهجتي أشواقا
فارفقي بي وسالمني قلبي الدامي	فقد بات مدنفا خفاقا

هذه القصيدة تحمل طابعاً عاطفياً وجمالاً ممزوجاً بالسياق السياسي والاجتماعي الذي يعكس فترة الاحتلال، حيث كتبت من داخل السجن، ما يضيف عليها أبعاداً نفسية وإنسانية أعمق، الشاعر يعبر عن حالة وجدانية معقدة تتراوح بين الاستلاب من جمال فيروز الفني والحنين إلى الحرية، مع توظيف فني يمزج بين الموسيقى، الطرب، والأمل.

يفتح الشاعر قصيدته بالتعبير عن افتتانه بصوت فيروز، الذي يعتبره "نجمة في سما الفن"، وصوتها العذب الذي يملأ النفس بالإحساس، يشير إلى التأثير الكبير لفيروز في نفسه، حيث تسلبه بجمال أغانيها وتجعله أسيراً لحنين دائم، يظهر هذا الجزء حالة من الهروب النفسي إلى الفن كوسيلة لتخفيف وطأة السجن والاحتلال.

ينتقل الشاعر إلى وصف التأثير الموسيقي العميق لصوت فيروز، حيث يصفها بأنها "تبعث الآهة الحزينة في الكون"، ما يعكس البعد الحزين في تجربته الشخصية، الكمنجات والمزامير تُضفي على المشهد حالة من الانسجام الموسيقي الذي يثير البهجة في النفوس، في إشارة إلى دور الفن في مقاومة الإحباط والقيود، ثم يعترف الشاعر بأن صوت فيروز أيقظ فيه المشاعر وأثار أحاسيسه، لدرجة أنه يستعطفها لتتفرق به وبقلبه الدامي، يبدو هذا الطلب استعارة رمزية تشير إلى المعاناة الشخصية والوطنية في ظل السجن والاحتلال، حيث يصبح الفن مخرجاً وحيداً للبوح بالألم.

يتصاعد الشاعر في وصف اشتياقه لأغاني فيروز، حيث يؤكد أن شذوها يذيب قلبه شوقاً، ويصفها بأنها مصدر إشراق ونور، فتظهر أبعاد أعمق للقصيدة، حيث تعكس حنين الشاعر للحرية وللوطن، معبراً عن ذلك من خلال ارتباطه بصوت فيروز الذي يمثل بالنسبة له الأمل.

يختتم الشاعر قصيدته بتصوير فيروز كـ "ترياق" لآلامه، حيث يتحول صوتها إلى بلسم يشفي جراحه النفسية، يعكس هذا الجزء محاولة الشاعر إيجاد العزاء في الفن وسط قسوة السجن والحرمان، حيث تصبح الموسيقى وسيلة لرفع المعنويات والبقاء على قيد الأمل.

كتبت هذه القصيدة في السجن خلال فترة الاحتلال، وهو ما يضيف عليها بعداً سياسياً وإنسانياً، الفن هنا يمثل نوعاً من المقاومة غير المباشرة، حيث يظهر دور الأغنية العربية كرمز للهوية والانتماء، استخدام الشاعر لشخصية فيروز وأغانيها يعكس شوقه للحرية والخلّاص، ويعبر عن حالة مشتركة بين المسجونين في تلك الفترة الذين وجدوا في الفن والشعر وسيلة للتعبير عن أحاسيسهم والتواصل مع العالم الخارجي.

2. كتابة شعر المراثيات:

2.1. قصيدتي إلى رحمة الله وإلى الزهرة الآسية للطاهر بوشوشي:

ولد الطاهر بوشوشي ببجاية 1916 درس بمسقط رأسه ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة حيث درس بالمدارس الفرنسية في المراحل الثلاث الابتدائية والثانوية والجامعية، وكان يدرس العربية بمدرسة الشبيبة الإسلامية متتلماً على الشاعر محمد العيد آل خليفة عمل بالإذاعة الجزائرية الفرنسية من أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، وكذلك عمل محرراً رئيسياً في مجلة هنا الجزائر¹.

بعد الاستقلال سافر إلى فرنسا ثم عاد إلى الجزائر وعمل أستاذاً لمادة الترجمة بجامعة الجزائر له إنتاج شعري ونقدي موزع في الجرائد الوطنية مثل: الشهاب هنا الجزائر، الشهاب الثقافية، وكان غالباً ما يكتب تحت اسم مستعار هو: (ابن جلا)، كان متأثراً بالرومنسية العربية والفرنسية، وقد قل شعره في الأيام الأخيرة من حياته².

وعن قصيدة "إلى الزهرة الآسية" فهي قصيدة نظمها ابن جلا لابنة صديقه الذي توفي، والتي تعيش وحيدة في وتبكي أيام شبابه الجميلة التي قضتها في سعادة وهناء تحت ظل أبيها، وقد أتى إليها زميل وصديق والدها، الشاعر، لمواساتها وتعزيتها مقدماً إليها قصيدة نشرها في مجلة هنا الجزائر.

عنوان القصيدة "إلى الزهرة الآسية" فكلمة "آسية" تُستخدم في اللغة العربية للتعبير عن السمات الشديدة اللون أو السواد، و"الزهرة الآسية"، تعبر عن زهرة ذات ألوان داكنة أو غامقة، وقد تكون زهوراً تميل إلى اللون الأزرق

¹ مجموعة شعراء، ديوان هنا الجزائر، المصدر السابق، ص 69

² ناصر، الشعر...، المرجع السابق، ص 672.

الداكن أو البنفسجي أو الأسود، أو حتى لون آخر ذو درجة كبيرة من العمق والغموض، هذا التعبير استخدمه الشاعر للتعبير عن الزهور الجميلة التي لها لون زاهي ولكنها بسبب الحزن أصبحت زهرة قائمة اللون.

تبدأ القصيدة بدعوة لعدم الحزن على مرور الأيام الجميلة وعلى حلول الليل ورحيل والدها، مشيراً إلى أن الكتابة لا تدوم وأنها مجرد ظلال تزول فيقول¹:

لا تحزني إن مرَّ يوم جميل وراعك الليل وحن الرحيل
ففي غد تدرين - قبل الأصيل ظلال تزول أن الكتابات²

يتم التعبير عن حالة الحزن والهم والوحدة التي يمكن أن تمر بها النفس البشرية، ولكن القصيدة تحمل فكرة أن الحياة مستمرة وأن هناك، هذه الأبيات تعبر عن مشاعر الحزن والوحدة، مع التركيز على الجمال الداكن والمأساوي للحياة، يشير هذا الشاعر إلى أن الزهرة تثير الشفقة والحنين في قلوب الناس قريبا، كما يصف حالة الوحدة والارتباك التي يمكن أن تواجهها الزهرة، والتي قد تجدها تسعى للبحث عن السلوى أو المعنى في حياتها، ثم يشير إلى أن الحياة مليئة بالمعاناة والآلام، أما هذا البيت: "ولن تكوني زهرة في الهضاب إلا ومن حولك شوك يصول" يعكس هذا فكرة أن الزهور الجميلة والمأساوية في نفس الوقت قد تجد نفسها محاطة بالألم والمتاعب، مما يمنحها مزيداً من الحزن والوحدة، فيقول الشاعر³:

يا زهرة الآس براها الأسا
أدميت إشفاقا عيون المسا
وحيدة حيرى وما ذا عسى يجديك سجع من بنات الهديل
دنياك ألحان الجور والعذاب
وتارة دممع وآه مـذاب
ولن تكوني زهرة في الهضاب ألا ومن حولك شوك يصول

ثم ينتقل الشاعر إلى التعبير عن الصعوبات والتحديات التي قد تواجهها الشابة، فخطبها بأنها يمكن أن تعاني وتشعر بالألم إذا رغبت، كما يمكنها أن تبتسم وتستمتع بالحياة رغم الصعاب، وبغض النظر عن الاختيار الذي ستقوم به، لن تشعر بالندم، لأنها ستكون قد اتخذت القرار بناءً على ما تشعر به، يشير إلى أن الأوقات الصعبة والجروح النازفة تأتي وتذهب، وأنه يمكن أن تحدث تجارب صعبة ولكنها ستمر وتلاشى مع الوقت، ثم يطلب

¹ طاهر بوشوشي، "إلى الزهرة الآسية"، هنا الجزائر، ع 50، نوفمبر 1956، ص 14.

² جمع كتابة.

³ نفسه، ص 14.

الشاعر من الله أن يكون مغنى السرور والفرح، أي أن يكون مصدر السرور والسعادة في الحياة لهذه الشابة، مؤكداً أن الفرح قد يتلاشى وتأتي لحظات الحزن والألم، لكن مع مرور الوقت يمكن أن يعود الفرح والسرور، وكل هذا قاله في الأبيات التالية كالاتي¹:

تألّمي إن شئت - أو فابسمي
ففي كلا الحالين لن تندمي
وهذه اللجة إذ ترتقي أغرودة - أو شئت - جرح يسيل
يا رب مغنى شاع منه السرور
ففيه الأغاني والأمانى تمور
أمسى مدى تحفر فيه القبور وينبرى بين رباه العويل

يقدم الشاعر نصيحة للشابة بأن تتعايش مع الحياة ومفاجاتها وأحداثها بدون إعجاب زائد، مشيراً إلى أن الحياة مليئة بالتغيرات والمفاجآت، ثم يقارن هذا بين نواح الحياة وبين نغمات المغني، ليعبر عن تنوع المشاعر والأحداث في الحياة، وعن الجمال الذي يمكن أن ينبثق من الألم والحزن، ثم يواصل وصف الحياة، مقارناً بين الظلام والضوء، الفرح والحزن، ليعكس تناقضاتها وتنوعها، يعبر هذا البيت عن مدى القلق والحيرة التي قد يواجهها الإنسان في مواجهة تجارب الحياة، ثم يستكمل وصف تنوع المشاعر التي قد يختبرها الإنسان، بدءاً من الفرح والطموح وانتهاءً بالحسرة والألم، فيقول²:

هكذا الدنيا فلا تعجبي
نواحها كالنغم المطرب
وجدبه كالممرع المعشب ومطلع النجم كمثل الأفول
سيان ما نبصر يا زهرتي
من فرح يطمح أو حسرة
أو بسمة غراء أو زفرة تصعد من أعماق قلب عليل

ينهي الشاعر قصيدته بتوجيه كلامه للابنة بعدم القلق والاهتمام بالصعاب والتحديات، ثم يشير إلى أن الأمل والشوق ينبعان من ذكريات الماضي الصعبة والتجارب القاسية، ثم يُعبر عن الثقة بأن الحزن والألم سيزولان قريباً، وسيحل محلهما السلام والهدوء، معبراً على أن الزهرة يجب أن تتفتح وتزدهر في جميع الظروف، مثلما تمتلئ

¹ نفسه.

² نفسه.

الأجواء بالرحابة والسعادة، مشيراً إلى أهمية أن تتمتع الزهرة بالجمال والعظمة، مثلما تتمتع الطبيعة بالجمال والرونق، يختتم قصيدته بنصح الابنة بعدم الانشغال بأمور الدنيا وماضيها، وبأن تركز على النمو والتطور وتحقيق أهدافها وأحلامها، فيقول¹:

فلا تراعي زهري إننا
أشواقنا من ذكريات الحمى
عما قليل تمحي في السما
وتهدأ الأشجان عما قليل
تضوئي ملء الجواء الرحاب
فأنت بنت الأفق أخت السحاب
ولا تبالي بنداء التراب
وموكب الذكر وطيف الخليل

يمكن تفسير قصيدة "إلى الزهرة الآسية" على أنها تعبير عميق عن مشاعر الحزن والوحدة التي تعيشها فتاة فقدت والدها وصديقها، حيث تظهر الزهرة وحيدة تبكي أيام السعادة والرفاهية التي عاشت فيها قبل الفقد، يعبر الشاعر عن تعاطفه ومحبه للزهرة، مقدماً لها الدعم والتعزية، ليؤكد على أهمية التضامن الاجتماعي والمساندة في أوقات الحزن، القصيدة تحمل رسالة إنسانية عن التلاحم والرحمة، وتبرز قدرة الشعر على نقل المشاعر العميقة، خاصة وأنها جاءت من ابن جلا الذي ربما أراد من خلالها أن يواسي ابنته صديقه الراحل، مجسداً الصداقة والوفاء والحنان، ومكرساً ذكرى الصديق الغائب من خلال تعبيره عن الحب والاهتمام.

تميز هذه القصيدة في مجال الرثاء ينبع من طريقة الطاهر بوشوشي في مأسسة الفقد عبر شخص الزهرة، فتخلد ذكرى صديقه عبر تعاطفه مع ابنته، وتمنحها الأمل في وسط حزنها، كأنه ينطق بلسان صديقه الذي لا يريد أن تستسلم للحزن، تاريخ نشر القصيدة، بعد عام من اندلاع الثورة التحريرية، يطرح تساؤلات حول ظروف وفاة والد الفتاة، وربما كان ضحية الأحداث الدامية آنذاك، رغم أن اسم الصديق الراحل لم يُذكر، إلا أن القصيدة تفتح نافذة لفهم أن الحياة الأدبية والثقافية في تلك الفترة لم تقتصر على الثورة فقط، بل اشتملت أيضاً على موضوعات إنسانية وعاطفية أخرى تعكس جوانب مختلفة من الواقع الجزائري.

2.3. قصيدة دمة أسي لجلول البدوي

¹ نفسه.

هذه القصيدة للشاعر جلول بدوي ولد في مدينة البليدة عام 1906 حيث حصل على تعليمه الأولي¹، واستكمل تعليمه في العاصمة أيضاً، درس في مدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة أثناء إدارتها من قبل الشاعر محمد العيد في الفترة من عام 1931 إلى عام 1942، عاد إلى مدينة البليدة حيث عمل كمعلم وأدار المدرسة حتى عام 1956، بعد ذلك، انتقل إلى المغرب حيث نشر شعره في عدة جرائد مثل الرأي العام والعلم، سبق له أيضاً نشر بعض قصائده في جرائد جمعية العلماء مثل "البصائر"، "الشهاب"، بالإضافة إلى جرائد أخرى مثل "الثبات" و"المرصاد"، لا يُعرف ما إذا كان جزء من شعره المنشور في المغرب كان يتعلق بالثورة أم لا، بعد استقلال البلاد، عاد وعمل كمعلم في بعض المدارس الثانوية في العاصمة حتى تقاعده عام 1971².

نشرت مجلة هنا الجزائر مقدمة للقصيدة قائلة: "في يوم الخميس 23 من شهر صفر سنة 1373 الموافق ل 5 نوفمبر سنة 1953 شيعت جنازة المرحوم الشيخ الحاج الصادق محمد بن العربي في ناحية عين الدفلى، توفي رحمه الله بعد عمر مبارك مديد حافل بالباقيات الصالحات، والجهاد في سبيل العلم والتعليم، وقد خلف ما ينيف على ألف طالب قرآن؛ أي عدة أجيال من حفظة القرآن العزيز، وكان يوم مأتمه مشهودا تداول فيه الشعراء والخطباء يعزون هذه الأسرة الكريمة على فقد شيخها المعلم الفاضل رحمه الله، على أن الدرة اليتيمة التي استرعت الأنظار في هذا المأتم، وأسالت الدموع من الجفون، قصيدة فاض بها خاطر الشاعر المبدع الشيخ جلول البدوي، وها هو نص قصيدة جناب الشيخ جلول البدوي في رثاء الشيخ الحاج الصادق محمد بن العربي رحمه الله قال لأفض فوه³"

تتناول القصيدة موضوع الموت والفقدان، حيث يعبر الشاعر عن حزنه وأسأه لفقدان أحد الأحباء والأقرباء، تتميز القصيدة بتوازنها الصوتي والموسيقي، حيث تجمع بين الحزن والميلودراما في التعبير عن الفقدان، يظهر الإيقاع الثابت والجميل في الأبيات مما يساهم في إيجاد أجواء مؤثرة وملحمية.

يبدأ الشاعر بتسليط الضوء على قسوة الحياة ومرارتها، حيث يقول إن كل إنسان ينطق بحكاية حياته، مشيراً إلى أن الحياة مليئة بالتحديات والصعوبات فيقول⁴:

كل حي وإن تمادت حياته سوف ينعاه بعد حين نُعاته

¹ محمد الأخضر عبد القادر السائحي، الشاعر الأديب جلول البدوي، منشورات السائحي، الجزائر، 2015، ص 7.

² ناصر، الشعر ... المرجع السابق، ص 671.

³ جلول البدوي، "دمعة أسي"، هنا الجزائر، السنة الأولى، ع 18، ديسمبر 1953، ص 19.

⁴ نفسه.

يستخدم الشاعر هنا مصطلح "النعاية" للإشارة إلى الحزن والبكاء على الميت، مشيرًا إلى أن كل إنسان في النهاية سيوارى إلى التراب وينعاه الناس.

يواصل الشاعر الحديث عن الحياة والموت، متسائلًا عن دور الموت وتأثيره في حياة الإنسان، وكيف يحدث التغيرات والتحويلات بعد وفاته، قائلاً¹:

فاسأل الموت كيف دارت رحاه وتوالت على الورى كراته

يُظهر الشاعر هنا تكرار الأحداث والمصائر القاسية التي تتلاحق في حياة الإنسان، مما يؤكد على دور الموت في استمرارية التغيرات والتحويلات، ثم يشير الشاعر إلى رحيل الناس وفقدانهم بشكل متتابع، معبرًا عن تلاشيهم واختفائهم تدريجيًا من على وجه الأرض، ويعبر الشاعر عن قدوم الموت كسلطان يأتي ليأخذ أرواح الناس ويقسمها على ملوكها، مشيرًا إلى عظمة وسطوة الموت على البشرية، فيقول²:

ذهب الناس دفعة بعد أخرى حين دارت لِلْمُلْكِ فيهم سُقَاته

يستخدم الشاعر صورًا قوية ومعبرة لوصف فقدان والحزن، مثل "ذهب الناس دفعة بعد أخرى" و"مضى البلب الذي غمرت أرقه"، مما يضفي عمقًا وقوة على المشهد المرسوم، يتميز الشاعر بحلول بالقدرة على استخدام اللغة بشكل مباشر ومعبر، حيث يعبر عن مشاعر الألم والفقدان بكل وضوح، يظهر في القصيدة استخدام الرمزية، خاصة في البيت الذي يقول "صيفك اليوم أيها القبر فرد"، حيث يرمز القبر إلى الموت والفقدان، ويعكس الحزن العميق لرحيل الشخص العزيز، تنتاب القصيدة مجموعة من العواطف القوية، مثل الحزن، والأسى، والفقدان، والحنين، مما يجعلها قريبة من قلوب القراء وتثير فيهم المشاعر.

تعتبر قصيدة "دمعة أسي" للشاعر حلول البدوي عملاً شعريًا مؤثرًا يعبر عن مشاعر الحزن والفقدان بطريقة جميلة ومؤثرة، يجمع الشاعر بين الصور القوية والتعبير العاطفي، مما يجعلها قصيدة تبقى في ذاكرة القراء وتثير الانتباه لمواضيع الفقدان والحزن في الحياة الإنسانية.

3.1. قصيدة الوداع، الوداع !! لمحمد العيد آل خليفة

¹ نفسه.

² نفسه.

قبل دراسة القصيدة وتحليلها وفق سياقها التاريخي نتعرف على الشاعر محمد العيد آل خليفة فقد محمد العيد آل خليفة وُلد في 28 أوت 1904 في مدينة عين البيضاء لعائلة دينية مرموقة، حيث حفظ القرآن وتلقى تعليمه الابتدائي على يد الشيخين محمد الكامل بن عزوز وأحمد بن ناجي، في عام 1918، انتقل إلى بسكرة لمواصلة تعليمه تحت إشراف المشايخ علي بن إبراهيم العقبي الشريف، والمختار بن عمر البعلاوي، والجندي أحمد مكّي، في عام 1920، سعى للحصول على شهادة التطويع من جامع الزيتونة في تونس، وهو مركز إسلامي عربي قديم معروف في المغرب العربي، هناك، عمل على تعميق ثقافته العربية، محاولاً التوازن بين الحياة الدينية الموروثة والعصرية النابضة، وعاد إلى بسكرة بعد عامين لأسباب عائلية أو شخصية غير مكشوفة، ووفقاً للمؤرخ أبو القاسم سعد الله، ورغم فترته القصيرة في تونس، لم ينسَ تأثير جامع الزيتونة عليه¹.

في قصيدته التي رثا فيها الأمير خالد، أشار محمد العيد إلى تفانيه في القضايا الوطنية ومواقفه الشجاعة، فقد كان الأمير خالد صاحب سيف وقلم، إذ خدم في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى قبل أن يخرج إلى المعركة السياسية، وفي هذه القصيدة، ذكرت جريدة "الإقدام" دور الأمير خالد في الدفاع عن حقوق الشعب بشجاعة وصراحة، وأشادت بنشاطه في الدفاع عن الجزائر، وعندما توفي في دمشق، قدّمت الجريدة اعتذاراً له عن أي نكران لجهوده الجليلة، رغم أن القصيدة لم تكن من أبرز قصائد محمد العيد، إلا أنها كانت صادقة في التعبير عن الوفاء والاعتزاز بمواقف الأمير خالد².

هذه قصيدة "رثاء الأمير خالد" للشاعر محمد العيد آل خليفة، قامت البصائر سنة 1936 بنشرها على إحدى صفحاتها، يعنون الشاعر قصيدته بجملة³: "الوداع الوداع!!"

يُعتبر هذا خطاباً مباشراً للوداع، وتكرار كلمة "الوداع" يعزز من شدة الحزن والفراق الذي يعانيه الشاعر، الاستخدام المتكرر للكلمة يعكس المشاعر العميقة للشاعر تجاه الأمير خالد، مما يجعل البيت يتردد في أذهان القراء. يمكن رؤية هذا العنوان كمقدمة عاطفية للقصيدة، حيث يعرض الشاعر المشهد العاطفي للوداع بشكل ملحوظ، مما يلفت انتباه القراء ويثير مشاعرهم.

¹ سعد الله، محمد العيد...، المرجع السابق، ص 87.

² نفسه، ص 151.

³ محمد العيد آل خليفة، "الوداع الوداع"، البصائر، ع 5، 31 جانفي 1936، ص 07.

يبدأ الشاعر البيت الأول قائلاً¹:

مَا أَطْوَلَ الْمَوْتَ بَاءً لَمْ يَحْشَ حَتَّى السَّبَاعَا

الشاعر يعبر عن عمق الحزن والصدمة برحيل الأمير، ويقارن طول مدة الموت بالشعور بالفقدان، ثم يبين عظمة ومهابة الموت التي لا تهاب حتى اختطاف روح الأسد، ويستمر آل خليفة قائلاً²:

سَطَا عَلَيْنَا بِسُوطٍ مِنْ الْقَضَاءِ فَرَاغَا
وَأُودِعَ التُّرْبَ بَحْمًا مِنْهُ افْتَبَسْنَا الشُّعَاغَا
وَصَارِمًا هَاشِمِيًّا بِهِ هَشَمْنَا الْقِلَاعَا

فيوضح الشاعر عن الغصة التي ألت بالشاعر بعد أن "سطا علينا بسوط من القضاء فراغا"، وهنا يُشير الشاعر إلى أن القضاء (والذي يمكن أن يفسر كالقدر أو الإرادة الإلهية) جاء بقوة وحدث شيء مأساوي أو مؤلم، ثم يُذكر الشاعر بالمفقود بقوله "وأودع التراب نجما منه اقتبسنا الشعاعا"، حيث يشير إلى أنهم دفنوا الشخص الذي فُقد ووضعوا الثرى فوقه، ولكن برغم ذلك يظل ذكره مشرقة وساطعة مثل النجم الذي يتلألأ في السماء، وأنهم سيكملون الاشعاع من بعده، وتستمر القصيدة لتقول³:

الْيَوْمَ يَا قَلْبُ فَاهْلِكْ تَحَسَّرًا وَالتَّبَاعَا
وَالْيَوْمَ يَا طَرْفُ فَادْرِفْ مِنْكَ الدُّمُوعُ تَبَاعَا
ابْنُ الزَّعِيمِ الْمَقْدَى ابْنُ الْأَمِيرِ الْمُطَاعَا

ثم ينتقل في هذه الأبيات عن نحيبه وفقده، حيث يقول الشاعر "اليوم يا قلب فاهلك تحسرا والتباعا"، وهذا يعني أن القلب يجب أن يبكي ويشعر بالحزن الشديد، ثم يُوجه الشاعر كلمات الحزن إلى العين، قائلاً "اليوم يا طرف فاذرف منك الدموع تباعا"، وهنا يطلب من العين أن تذرِف الدموع لتبكي على فقدان الأمير خالد.

¹ نفسه.

² محمد العيد آل خليفة، "الوداع الوداع"، المصدر لسابق، ص 07.

³ نفسه.

ثم يأتي بيت يُعبر فيه عن الحزن والأسى لفقدان شخص مهم، حيث يقول "ابك الزعيم المفدى، ابك الأمير المطاعا"، وهنا يُشير الشاعر إلى أنه يجب على الجميع أن يبكوا فقدان الزعيم أو الأمير خالد الذي كانوا يعتمدون عليه ويطيعونه ويحترمونه، ثم يحدث آل خليفة شعره قائلاً¹:

يَا شِعْرُ إِنَّكَ أَوْفَى	مَنْ صَانَ عَهْدًا وَرَاعَى
إِنِّي أَعِدُّكَ ظَهْرِي	وَسَاعِدِي وَالدَّرَاعَا
هَلُمَّ يَا شِعْرُ فَانْحَبْ	مَعِي لِرُكْنٍ تَدَاعَى
هَلُمَّ تَنْذُكُرُ فَنَشْكُرُ	لِحَالِدٍ، السَّعْيِ سَاعَا
هَلُمَّ تَنْذُكُرُ فَنَشْكُرُ	سَيِّفَاهُ وَبَرَاعَا
هَلُمَّ تَنْذُكُرُ فَنَشْكُرُ	وَأَقْدَامَهُ، وَالِدَفَاعَا

الشاعر يخاطب الشعر نفسه، مشيراً إلى أن الشعر هو أكثر وفاءً من أي شخص يحافظ على العهود ويراعي الالتزامات، ثم يقول إنه يعتمد على الشعر كما يعتمد الإنسان على ظهره وساعديه وذراعيه، مما يعكس أهمية الشعر في حياته، ثم يدعو آل خليفة الشعر ليشركه الحزن والبكاء على ركن أساسي في حياته قد انهار، والذي قد يكون الشخص المفقود.

ثم يدعو آل خليفة إلى تذكّر الأمير خالد وتقدير جهوده وسعيه الدؤوب الذي بذله في حياته، ثم يحث الشاعر على تذكّر وشكر الأمير لشجاعته وإقدامه في الدفاع عن القيم والمبادئ، كما يقصد بالإقدام جريئة الإقدام أيضاً، ويكمل الشاعر قصيدته²:

مَا لِحَزَائِرِ فِينَا	لَمْ تَرَغْ إِلَّا الرُّعَاعَا
تَجَفُّو الْكَرَامَ وَتَحْنُو	عَلَى اللَّئَامِ اتَّضَاعَا
مَا لِلْأُنَاسِ فِيهَا	يَأْبُونَ إِلَّا الْخِدَاعَا
إِنْ صَادِقُوا فَادْعَاءُ	أَوْ صَاحِبُوا فَانْتِفَاعَا
هَلْ فِي الْجَزَائِرِ حُرٌّ	يَأْنِي الْجَمِيلِ إِنِّزَاعَا؟

¹ نفسه.

² نفسه.

ينتقل الشاعر إلى نقد الوضع الاجتماعي والأخلاقي في الجزائر، معبرا عن استيائه من تفضيل الفئات الدينية على الكرام، ومن انتشار الخداع والنفاق بين الناس، في القصيدة تعبير عن استنكار واستفهام حول وضع الجزائر، ثم يشتكي الشاعر من أن الجزائر تفضل الناس الأذنياء (الرعا) على الفئات الكريمة، ثم يقول: تحفو الكرام عن تجاهل الجزائر للناس الكرام، ثم يعبر الشاعر عن استيائه من ميل الجزائر للناس اللئام، ثم يصف الشاعر الناس بأنهم يميلون للخداع ولا يرفضونه، ثم يعبر عن النفاق بين الناس، حيث تكون صداقتهم مجرد ادعاء وأن الصحبة تتم فقط لتحقيق منافع شخصية.

ثم يتساءل الشاعر عن هل يوجد شخص حر ونزيه في الجزائر، يقصد به شخص يقوم بالأفعال الجميلة والنزيهة دون تردد، في هذه الأبيات التي تمثل نقداً لاذعاً للوضع الاجتماعي في الجزائر، حيث يعبر الشاعر عن استيائه من تفضيل الناس الأذنياء على الكرام، وانتشار الخداع والنفاق، الشاعر يبدو محبطاً من غياب النزاهة والشجاعة الأخلاقية بين الناس، ويشعر بخيبة أمل من الوضع الاجتماعي الذي يفضح انعدام القيم النبيلة، ويستمر آل خليفة قائلاً¹:

قُلْ لِلْجَزَائِرِ أَدِّي	حَقَّ الزَّعِيمِ الْمُضَاعَا
هَلَا اصْطَنَعْتَ حِمِيلاً	لَدَى الْجَمِيلِ اصْطِنَاعَا
هَلَا ذَكَّرْتَ كِفَاحَا	مَضَى لِّلْهِ وَصِرَاعَا
كَمْ زَادَ عَنْكَ وَقَاسِي	فِيكَ الْأَذَى وَالنِّزَاعَا
سَلِي الْمُطَابِقَ كَمْ ذَا	إِشْعَاعَهَا وَإِذَاعَا
وَكَيْفَ قَامَ فَوْقِي	الْوَجَبَاتِ اضْطِلَاعَا
وَكَيْفَ نَابَ وَتَوْقَا	بِصِدْقِهِ وَاقْتِنَاعَا
وَكَيْفَ نَادَى قَدَانَتْ	لَهُ الرُّؤُوسُ اتِّبَاعَا
حَتَّى إِذَا طَارَ صِينَا	وَطَالَ فِيكَ ارْتِفَاعَا
وَبَيْتُ الدُّورِ غَيْبَا	لَهُ الْخُطُوبُ الْقُطَاعَا

هذا البيت يبدأ بنداء مباشر للجزائر، حيث يخاطبها الشاعر ليطالبها برّد الحق والاعتراف بالجميل للزعيم الذي ضحى من أجلها، يتساءل الشاعر عن سبب عدم إظهار الجزائر أي معروف أو تقدير لهذا الزعيم، معتمداً

¹ نفسه.

على تكرار الفعل "اصطنعت" لتأكيد أهمية صنع المعروف والجميل، ثم يحث الشاعر الجزائر على تذكر كفاح الزعيم الذي كان مخلصاً في نضاله وقيامه بواجبه لأجل الله والوطن، مبرزاً معاناة الزعيم وتحمله الكثير من الأذى والنزاعات دفاعاً عن الجزائر، ويواصل الشاعر مخاطبته، طالباً من الجزائر أن تسأل عن الأهداف والمطالب التي رفعها الأمير خالد أمام فرنسا والعالم، مشيراً إلى أن هذه المطالب كانت واضحة ومشعة، ويؤكد على إخلاص الزعيم وجديته في أداء واجباته، وصدق نواياه التي أكسبته ثقة الناس واستجابة النداء، يبرز الشاعر كيف أن مكانة الأمير ارتفعت بين الجزائريين في حياته، لكن بعد وفاته، نُسي وُترك البيت الذي كان يرمز إليه مهجوراً، مبتوراً من الأخبار والمصائب، وتنتهي القصيدة بهذه الأبيات التي تحمل دعوة صامتة لإحياء ذكرى الزعيم وتقدير جهوده¹:

لَعَلَّ فِي الْخُلْدِ لُفْيَا بِبَعْضِنَا وَاجْتِمَاعًا
يَا رَاحِلًا لَمْ تُتَّعْ بِهِ وَدَاعًا وَوَدَاعًا

الأبيات تعبر عن مشاعر الفقد والفراق تجاه الأمير خالد، حيث يعبر الشاعر عن أمله في لقاء هذا الشخص في الحياة الآخرة (الخلد) بعد رحيله، أين يكون اللقاء مجددًا في مكان أفضل، ثم يعبر عن الألم والأسى لفراق الزعيم الذي لم يتمكن الشاعر من توديعه كما ينبغي فتكرار "الوداع" يعزز الشعور بالحزن والأسى.

القصيدة تعكس قوة الرباط بين الشاعر والشعر كوسيلة للتعبير عن الأحاسيس والمشاعر، فاستخدام الشاعر للشعر كمخاطب يجسد أهمية الفن والأدب في التعبير عن مشاعر الفقدان والحزن، الأبيات تحتوي على تكرار للأسلوب الدعوي "هلم تذكر فنشكر" مما يعزز الشعور بالحزن الجماعي والتقدير للشخص الراحل، النص يتسم بالصدق والعاطفة الصادقة، مما يجعله مؤثرًا وملامسًا للقلوب.

القصيدة تعبر عن خيبة أمل الشاعر في عدم تكريم الجزائر للزعيم الذي ضحى من أجلها، الأبيات تذكر بالتضحيات والكفاح الذي قدمه الزعيم وتحث الجزائر على الاعتراف بجميله وكفاحه، الشاعر يعبر عن مشاعر الحزن والحزن لهذا الزعيم ويدعو إلى الوفاء والإخلاص لتضحياته.

يعبر محمد العيد عن حزنه لعدم اعتراف الجزائر بالجميل للزعماء الأحرار، الذين ناضلوا من أجلها بإصرار وإيمان، يندب عدم تقديرها للشجعان الذين دافعوا عن قضيتها بكل إخلاص، معتبراً أنها لا تمنح الاهتمام إلا للجهال والأذكياء، يحثها على أن تكرم هؤلاء الزعماء الشجعان، وتذكر إسهاماتهم وتضحياتهم من أجلها، يشدد

¹ نفسه.

على كيفية تقديرهم للزعيم الشعبي، وكيف دانت له الرؤوس عندما تولى المسؤولية، بسبب ثقته في صدقه وعدالته وقوة شعبه¹.

القصيدة تحمل رسالة قوية وتعبيرات عاطفية مؤثرة، الشاعر يستخدم أسلوب الاستفهام والتحفيز لإثارة مشاعر القراء والجزائر، الأبيات مليئة بالتكرار والتأكيد لتعزيز الرسالة، كما أن الأسلوب اللغوي متين والقصيدة تترك أثراً عميقاً على القارئ، مما يجعلها قصيدة رثاء ونقد فعالة.

في النهاية، تعكس القصيدة الحزن والأسى لفقدان شخص عزيز، وتظهر الرغبة في الاحتفاظ بذكره بين الذاكرة والقلب برغم الفراق الأليم، فيها اندمج الحزن والولاء، وتجلي الإعجاب والتقدير.

4.1. قصيدة عزّ الجزائر لمبارك جلواح

وُلد الشاعر مبارك بن محمد جلواح بقلعة بني عباس قرب مدينة أقبو بولاية بجاية، وينحدر من أصول تعود إلى أولاد ماض بولاية المسيلة، تباينت الآراء حول سنة ميلاده، فبينما ذكر بوكوشة في رسالة الخطبة التي كتبها عام 1908 أن ميلاده يعود لتلك السنة، يرى رزاتي عبد العالي أن ولادته كانت سنة 1910، وهو اختلاف لا يؤثر كثيراً على مسار حياته الفنية، ويُرجّح هذا التاريخ الثاني بما يُروى عن أن الشاعر كان يحتفظ بديوان للشيخ عبد الرحمن، الذي كان معاصراً له².

تناول الكاتب أحمد بن عاشور سيرة جلواح بشكل مقتضب في مقال نُشر بجريدة البصائر تحت عنوان "الشاعر مبارك جلواح وجمعية التهذيب"، لكنه لم يذكر تاريخ ميلاده، مكتفياً بتقديم معلومات مرتبطة بنهاية حياته وبنشاطه الإصلاحية في باريس، وقد نقل شقيقه في حديث مؤثر ملامح من طفولة الشاعر، قائلاً إنه نشأ في أسرة متماسكة يربهاها والد عطوف وأم حنون، وكان مبارك أصغر إخوته ومحل عناية خاصة من والديه، امتاز منذ صغره بالذكاء وخفة الروح والقدرة على الحفظ والانضباط، مما جعله محبوباً داخل أسرته ومحل احترام بين أبناء عشيرته، الذين كانوا يتوسمون فيه مستقبلاً واعدًا³.

¹ سعد الله، محمد العيد...، المرجع السابق، ص 151.

² جاب الله أحمد، "الاغتراب في حياة وشعر مبارك جلواح"، مجلة المخبر "أبحاث في اللغة والأدب الجزائري"، مج 1، ع 1، 01 أوت ص ص 137-154.

³ نفسه.

نشأ جلواح في بيئة دينية محافظة، شأنه شأن كثير من رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر، وكان والده عالماً من علماء عصره وتلميذاً للشيخ عبد القادر الميحاوي، وقد تلقى الشاعر تعليمه الأول في القرآن والعلوم اللغوية والدينية على يد والده، غير أن تلك المرحلة الدراسية لم تترك أثراً بارزاً في تكوينه الفكري، كما يبدو، وعرفت حياة الشاعر تحولاً كبيراً حين أجبر على أداء الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي في أواخر العشرينيات (1928-1929)، لم يدم مقامه في سطيف سوى أربعة أشهر، ثم نُقل إلى المغرب، وهناك بدأت تنفتح مداركه على الحياة والثقافة، فقد أتيح له الاطلاع على مصادر الأدب واللغة، وهو ما عمق وعيه بقضايا شعبه وشجّعته لاحقاً على الانخراط في الحركة الإصلاحية¹.

في ثلاثينيات القرن العشرين، ارتبط جلواح فكرياً بالشيخ عبد الحميد بن باديس وتأثر بآرائه، ويبدو أن العلاقة كانت قوية، إذ أرسل الشاعر ضمن وفد إصلاحي إلى باريس للترويج لمبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأثّرت هذه التجربة في حياته تأثيراً كبيراً، وترك مقامه في باريس أثراً واضحاً على نشاطه الأدبي والإصلاحي، حيث أسهم في بث الفكر الإصلاحي بين الجالية الجزائرية والجاليات العربية، وساهم في التعريف بالقضية الوطنية ضمن حدود إمكاناته.

وكان الشاعر كثير التنقل بين الجزائر وفرنسا، خصوصاً باريس، بغرض العمل والنشاط الإصلاحي، وقد ذكر أحمد بن عاشور في مقاله السابق أنه التقى بالشاعر في باريس سنة 1938، حيث دعاه هذا الأخير لحضور أحد اجتماعات جمعية "التهذيب" التي كان يشرف عليها جلواح، تأسست الجمعية سنة 1936، وبلغ عدد نواديها ثمانية، كانت تُعنى بتثقيف أبناء المغرب العربي وتعليمهم اللغة العربية ومبادئ الإسلام²، وهذه الفترة التي تعيننا في قراءة قصيدة جلواح، حيث في صفحة الشباب المتعلم التي خصصتها البصائر هذه المرة للشاعر مبارك جلواح لينشر قصيدته (عزّ الجزائر) المنشورة بتاريخ 21 فيفري 1936، فيقول³:

عَزُّ الْجَزَائِرِ فِي أَعَزِّ حُمَاهَا	وَأَبْرُ خَادِمٍ بِمُجْدِهَا وَعَلَاهَا
الْأَصِيدُ الْبَانِي مَنَارَ رِجَالِهَا	وَالْأَوْحَدُ الْقَاضِي شَهِيدُ هَوَاهَا
"الْحَالِدُ الذُّكْرَى فَتَاهَا "حَالِدٌ"	وَأَمِيرُ كُلِّ مَزْجَرٍ بِحَمَاهَا
عَصَفَتْ بِهِ رِيحُ الْمَنِيَّةِ بَعْدَ مَا	أَلَوَى بِهِ الْأَبْعَادُ عَنْ مَعْنَاهَا

¹ عبد الله الركيبي، جلواح: من التمرد إلى الانتحار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 25.

² نفسه.

³ مبارك جلواح، "عزّ الجزائر"، البصائر، ع 7، 21 فيفري 1936، ص 06.

وَيْحَ الْجَزَائِرِ كَمَا ضَحِكْتَ لَهَا أَمَلُهَا عَيْسَتْ لَهَا دُنْيَاهَا
!! أَيُّ أُمَّتِهِ الثَّكَلَى ثَبَاتًا أُمَّتِهِ كُلُّ النُّفُوسِ إِلَى الرَّدَى مَسْرَاهَا
مَا فِي بُكَاءِ الْبَاكِي لِفَقْدِ رِجَالِهِ فَضْلٌ إِذَا مَسَا نَامَ عَنْ مُسَمَّاهَا

يفتح الشاعر القصيدة بتأكيد عظمة الجزائر وفخرها بواحد من أعز حماتها، وهو الأمير خالد، الذي كان خادماً مخلصاً لمجد وعظمة الجزائر، ثم يصف الأمير خالد بالأسد الشجاع الذي بنى معالم الرجال في الجزائر، وكان القاضي الوحيد الذي استشهد في سبيل حب الوطن، كما يشير الشاعر إلى أن ذكرى الأمير خالد ستظل خالدة في قلوب الجزائريين، وأنه أمير كل من حارب بشجاعة من أجل حماية الجزائر.

يصور جلواح المنية بأنها ريح عاصفة أخذت الأمير خالد بعيداً بعد أن نُفي عن وطنه الجزائر، والظروف الصعبة التي واجهها الأمير خالد في حياته ونهايته المفجعة، ثم يعبر الشاعر عن الحزن العميق لحال الجزائر، التي ضحكت لها آمالها لفترة وجيزة، ولكن الدنيا عبت لها بفقدان الأمير خالد، مما يعكس تقلبات الأقدار، يتوجه الشاعر لينادي أُمته الجزائرية الثكلى، ويدعوها إلى الثبات والصمود في مواجهة هذه المحنة، مذكراً بأن الموت هو مصير كل النفوس، يختم الشاعر بالتأكيد على أن بكاء الناس على فقدان رجالنا لا يكفي، بل يجب أن يتبع ذلك العمل والجهد للحفاظ على إرثهم وذكراهم، فالبكاء بلا عمل لا يحقق الفائدة.

القصيدة تجمع بين الرثاء والحث على التمسك بالمبادئ والعمل من أجل الوطن، الشاعر يعبر عن احترامه وتقديره للأمير خالد، ويحث الأمة الجزائرية على استلهام العزم من تضحياته والعمل على تحقيق أهدافه، القصيدة تبرز مكانة الأمير خالد كرمز للبطولة والتضحية وتدعو الشعب الجزائري إلى مواجهة المحن بروح قوية وإرادة صلبة.

من خلال عرض القصائد الثلاث للشاعر محمد العيد آل خليفة والشاعر حمزة بوكوشة، والشاعر مبارك بن جلواح التي ترثي الأمير خالد نلاحظ قيمة الأمير خالد في قلوب الشباب وأثر فقدته الكبير عليهم، كما تمنحنا القصيدتين (الوداع، الوداع وعبرة من مماته وعظاته) أثر موت الأمير على الجزائر فموته لم يكن له وقع كبير عليها ويعود ذلك للسياسة الفرنسية ربما، التي جعلت الأهالي تبكي ما هو أكبر من موت الأمير خالد.

لهذه القصائد أهمية كبيرة كونها تعبر عن مشاعر شباب جزائري مثقف كان له الأمل في زعيمه الأمير خالد، الأمل الممتد من الأمير عبد القادر قائد المقاومة الجزائرية، كان الفقد يعني لهم أكثر من فقد زعيم سياسي بل هو فقد أملمهم في الوجود كجزائريين في هذا العالم الذي بعث له الأمير عريضة تتحدث عن الجزائر لأول مرة.

خلاصة

تُشكّل الكتابات الشعرية مرآة للتحوّلات التاريخية والاجتماعية والنفسية التي عاشها المجتمع، وتعكس تنوعاً ثرياً في الأغراض والتجارب، فقد امتزجت في القصائد العاطفة الذاتية بالحس القومي والبعد الإنساني، وتوزعت بين الحزن والرثاء والغزل، وبين التحميس الثوري والتمجيد الديني، وبين التعبير الجمالي والغنائي، كما أثبت الشعراء الجزائريون قدرة على التجديد والابتكار مع الحفاظ على الأصالة، من خلال استلهام التراث والانفتاح على التجارب العالمية، ويُظهر هذا التنوع أن الشعر كان ولا يزال وسيلة فعالة للتعبير عن الذات والجماعة، ولتسجيل الذاكرة الجماعية والنضالية في آنٍ واحد.

“
الباب الثاني: الكتابات النسائية والتوثيقية
والاحتجاجية:
”

الفصل الأول: الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

الفصل الثاني: الكتابة الأدبية الاحتجاجية

“

الفصل الأول: الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

”

أولاً: الكتابة النسائية

ثانياً: الكتابة التوثيقية

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

في هذا الفصل، نغوص في عالم الكتابة النسائية الجزائرية التي تشكلت في ظل ظروف تاريخية واجتماعية معقدة، حيث واجهت النساء تحديات كبيرة في التعبير عن ذواتهن وهوياتهن المتعددة، نستعرض المفاهيم الأساسية للكتابة النسائية، ونتابع مراحل ظهور الكتابات الجزائريات، خصوصاً في ظل الاحتلال، مع تقديم نماذج سردية وشعرية غنية تعكس تجاربهن وأصواتهن الخاصة التي تجاوزت حدود التعبير التقليدي، لتبرز قضايا المرأة وتعبّر عن همومها وآمالها.

أما الجانب الآخر من الفصل، فيركز على الكتابة الأدبية التوثيقية التي تمثل جسراً بين التجربة الشخصية والذاكرة التاريخية، من خلال المذكرات واليوميات، وكتابات الرحلات والتراجم، نلقي الضوء على نشأة هذه الأشكال التوثيقية ونقدم نماذج بارزة منها، تكشف عن تفاصيل الحياة اليومية والتحوّلات الاجتماعية والثقافية في الجزائر، بهذه الكتابات، تتجلى قدرة الأدب على حفظ الذاكرة ونقل التجربة الفردية إلى صعيد جماعي، مما يثري فهمنا للتاريخ والواقع الجزائري.

أولاً: الكتابة النسائية

1. دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي

1.1. مفهوم الكتابة النسائية

يرتبط مفهوم الكتابة النسائية بالمنظرة النسوية لوسي إريغاراي¹ (Luce Irigaray)، التي سعت إلى بلورة مفهوم "كتابة المؤنث"، أو كما تصفه، "كتابة ما لا يُكتب"، فالتمة المؤنثة واللذة والفرح تظلّ مفاهيم غير محددة، إذ تستند إلى المخيال ما قبل الأوديبي، وهو المجال الذي يُعدّ مصدراً للمؤنث، لكنه لم يُرمز لكونه سابقاً للدخول في النظام الرمزي، وبما أنه ما قبل أوديبي، فإنه لم يُكتب، غير أن إريغاراي تسعى من خلال الكتابة النسائية إلى التعبير عنه وإبرازه، وتفترض إريغاراي مفهوم "غيرية المؤنث"، وتسعى إلى ترسيخه داخل الجسد النسائي، حيث ترى أن المرأة تُعدّ "الآخر" لأنها توجد خارج الاقتصاد البصري المرتبط باللحظة الأوديبيّة، وكذلك خارج التمثيل، أي خارج النظام الرمزي السائد، ونظراً لافتقار هذا النظام إلى لغة قادرة على استيعاب العلاقة ما قبل الأوديبيّة (الأم-

¹ لوس إريغاراي (1930 - ...): فيلسوفة وناقدة أدبية فرنسية من أصل بلجيكي، تُعد من أبرز المفكرات في التيار النسوي ما بعد البنيوي، اشتهرت بتحليلها للغة والفكر الغربي من منظور نسوي، حيث ترى أن الثقافة الغربية بُنيت على استبعاد الأنثى وتهميش صوت المرأة، من أبرز أعمالها كتاب "هذا الجنس الذي ليس واحداً" (This Sex Which Is Not One)، الذي ناقشت فيه كيف يُنظر إلى النساء من خلال منظومة ذكورية تُخضع أجسادهن ورغباتهن، تأثرت بفرويد، ولاكان، وهيغل، لكنها وجهت نقدًا لاذعًا لهم بسبب طابعهم الذكوري كما دعت إلى تطوير خطاب لغوي جديد يعكس الاختلاف الجنسي الحقيقي، ويمنح المرأة صوتًا خاصًا بها في الفلسفة واللغة والثقافة، ينظر:

Cixous Kelly Ives, Irigaray Kristeva, *The Jouissance of French Feminism*, Crescent Moon Publishing, United Kingdom, 2016.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

المؤنث)، فإنه لا يستطيع سوى إعادة تشكيل المؤنث في صورة "الآخر"، أي ضمن قالب منظم وخاضع للبنية الذكورية¹.

غالبًا ما يُستخدم مصطلحا الحركة النسائية والنسوية بالتبادل في الممارسة العملية، إلا أنه يمكن التمييز بينهما بدقة، فالنسوية تتميز بطابعها النظري القوي، بينما تُشير الحركة النسائية إلى الاستراتيجيات السياسية التي تُمكن المرأة من الانخراط في الحياة الاجتماعية، سعيًا لتحقيق مصالحها، كما تعكس هذه الحركة المكاسب والخسائر المادية المرتبطة بتحرر المرأة، وتوثق التقدم الذي أحرزته عبر الزمن، فمن الشائع تناول الحركة النسائية من خلال موجاتها الثلاث، بدأت الموجة الأولى في القرن التاسع عشر، حيث ركزت على نضال النساء من أجل حق التصويت، وسعت إلى انتزاع حقوق سياسية تتيح لهن المشاركة في العملية الديمقراطية، أما الموجة الثانية، التي انطلقت في ستينيات القرن العشرين، فقد وسّعت نطاق النضال ليشمل قضايا ثقافية واجتماعية أوسع، مثل العنف ضد النساء، والتمثيل السياسي، والإقصاء الاقتصادي، والمساواة في الأجور، والحقوق الإنجابية، وخلال هذه المرحلة، برز مفهوم النسوية بشكل واضح، سواء كحركة اجتماعية أو كموضوع نظري مهم، أما الموجة الثالثة، التي تعبر عن النسوية المعاصرة، فهي لا تهمنا في هذه المرحلة التي تعيش فيها الجزائر تحل ظل الاحتلال الفرنسي².

في المجمل فإن الكتابة النسائية هي مصطلح يشير إلى النتاج الأدبي والفكري الذي تكتبه النساء، أو الذي يتناول قضايا المرأة وتجاربها الخاصة من منظور نسوي أو تحليلي، وهو مفهوم يتداخل مع الأدب النسوي لكنه لا يقتصر عليه، إذ يمكن أن يكون مجرد تعبير عن تجربة المرأة في المجتمع دون أن يكون موجهاً بالضرورة لأهداف نضالية أو أيديولوجية، مع التأكيد على خصوصية الجسد النسائي كفضاء مستقل عن الهيمنة الذكورية، كما أن العلاقة بين الكتابة النسائية والحركة النسوية تظل وثيقة، إذ أن الأولى تمثل بُعدًا إبداعيًا ونظريًا يعكس قضايا المرأة داخل الأدب، بينما تسعى النسوية، بحركتها السياسية، إلى تحقيق مكاسب اجتماعية وحقوقية تُمكن المرأة من الانخراط في الحياة العامة، وخلال الموجتين الأولى والثانية من الحركات النسوية، برزت قضايا مثل حق التصويت، والمساواة الاقتصادية والاجتماعية، والعنف ضد النساء، والتي شكلت محاور أساسية في تطور الكتابة النسائية، خاصة في المجتمعات التي خضعت للاستعمار، مثل الجزائر، حيث اكتسبت هذه الكتابة بعدًا مزدوجًا في مواجهة القهر الاستعماري والتمييز الجندري.

¹ كريس باركر، معجم الدراسات الثقافية، تر: جمال بلقاسم، دار رؤية، القاهرة، 2018، ص 280.

² نفسه، ص 283.

2.1. أسباب تأخر ظهور الكتابة النسائية في الجزائر

• الأمية وحرمان المرأة من التعليم

قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، كان التعليم في البلاد يميل إلى تفضيل الذكور على الإناث، حيث فرضت التقاليد قيودًا على دخول المرأة إلى ميدان الفكر والإبداع، ومع ذلك، كانت بعض الفتيات، لا سيما من أسر الأشراف والعلماء وشيوخ الزوايا، يتعلمن قدرًا محدودًا من العلوم الدينية واللغوية، وغالبًا ما يقتصر تعليمهن على حفظ أجزاء من القرآن وبعض المتون في الفقه واللغة العربية، دون أن يتجاوز ذلك سن الخامسة عشرة، كما أن بعض العائلات الثرية كانت تستعين بأساتذة خصوصيين لتعليم بناتها، غير أن هذا التعليم لم يتجاوز المستوى الابتدائي¹.

في المدن الكبرى، ظهرت "دور المعلمة"، وهي مؤسسات تُعنى بتعليم الفتيات المهارات المنزلية والحرف اليدوية بدلًا من العلوم الأدبية والعقلية، ما جعلها أشبه بالمراكز الحديثة للتدريب المهني للإناث، وقد ساهم ذلك في غياب أسماء نسائية بارزة في مجالات الفكر والإبداع، حيث ظل النجاح في التعليم مرتبطًا بمدى القدرة على الكتابة والتدوين²، ومع الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830، شهدت البلاد إدخال نظام تعليمي حديث شمل البنين والبنات، ففي عام 1836، تأسست أول مدرسة فرنسية ابتدائية في الجزائر العاصمة، تلتها مدارس أخرى في مختلف المدن، وبحلول عام 1850، بلغ عدد التلاميذ المسجلين في هذه المدارس 646 طالبًا وطالبة، ومع ذلك، بقي التعليم محدودًا بسبب السياسات الفرنسية التي لم تكن تهدف إلى نشر المعرفة بقدر ما كانت تسعى إلى فرض الثقافة الاستعمارية³.

في عام 1907، رفع سكان عنابة عريضة تطالب بفتح مدرسة للبنات، مما عزز الاهتمام بقضية تعليم المرأة في مختلف المدن والقرى، ومع تنامي هذه المطالب، أقر مدير التربية الحاكم بأهمية توفير أقسام دراسية خاصة بالفتيات، فيما أبدى بعض المثقفين، مثل مصطفى بن الخوجة والمجاوي وبن قدور، اهتمامًا بوضع المرأة، منتقدين تخلفها مقارنة بنظيراتها الأوروبيات، كما دعوا إلى ضرورة تعليمها وتمكينها من حقوقها، محذرين من أن جهلها يشكل خطرًا على

¹ سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص 154.

² معيوش إبراهيم، "صفحات منسية من معاناة المرأة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي - قراءة سوسيوثقافية"، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، 27 أكتوبر 2020، ص 05.

³ رابح تركي، "وضعية تعليم الفتيات والنساء في الجزائر"، مجلة العلوم الاجتماعية، 1984، ص 11.

المجتمع، وقد ارتبط الاهتمام بقضية المرأة بظهور التيارات الوطنية بعد عام 1919، خاصة التيار الإدماجي، الذي سعى إلى دمج المرأة الجزائرية في المجتمع وتشجيعها على التعليم وفق النمط الأوروبي¹.

اختلف موقف الجزائريين من التعليم في ظل الاحتلال الفرنسي، فبعضهم رفضه لأنه أداة لتغيير الهوية، خاصة في ما عُرف بـ"المدارس الفرنسية الإسلامية" التي قدّمت مضامين دينية وتاريخية في إطار يخدم الاحتلال، مما أثار تحفظ الأهالي، في المقابل، خافت فرنسا من تعليم الجزائريين خوفاً من تنامي الوعي والمقاومة، فقلّصت فرص التعليم، ما أدى إلى انخفاض نسبة المتعلمين إلى 8%، وارتفاع الأمية إلى 95% بين الرجال و99% بين النساء، ومع ذلك، بدأ الاهتمام بتعليم المرأة يتزايد بعد زيارة الشيخ محمد عبده عام 1903، ومؤتمر المستشرقين عام 1905، حيث ألقى الشيخ سلطان محمد بحثاً حول المرأة في الإسلام، ساهم في نشر الوعي بأهمية تعليم الفتيات، وتبعه صدور مؤلفات عن أوضاع المرأة، منها كتاب اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب لمحمد بن مصطفى خوجة².

• الظروف السياسية والأمنية واستغلال المرأة:

عاشت المرأة الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية في ظل قمع ممنهج، حيث استُغلت سياسياً وثقافياً في الخطاب الاستعماري كرمز للتخلف أو كوسيلة لاختراق البنية الاجتماعية، كما وظفت في الحملات الفرنسية كمجال لـ"التحرير الزائف"، هذا الوضع وضعها تحت ضغوط مزدوجة، مما أعاق ظهور كتاباتها الحقيقية، أو دفعها إلى الصمت أو التعبير الحذر.

فقد تناولت الكتابات خلال تلك الفترة صورة المرأة الجزائرية بين من يرثي حالها ومن يصور قهرها، حيث وُصفت بأنها كائن يعيش في خوف وخرافات، تحاصره الأمية، ويبيع كما تباع البهائم، وقد أدى هذا التصور إلى محاولات لإدماج النساء الأوروبيات في المجتمع الجزائري بدعوى تحرير المرأة من عزلتها، مما أدى إلى خلق فجوة بينها وبين بيئتها التقليدية، حيث صارت المرأة التي تتبع النمط الأوروبي موضع استنكار اجتماعي³، ولم يكن هذا "التحرير" نابغاً من الداخل، بل كان موجّهاً من الخارج عبر أقلام الأوروبيات، مما جعله فاقداً للوعي المجتمعي، وبدلاً من أن يقود إلى تمكين المرأة الجزائرية، تحول إلى أداة لإبعادها عن ثقافتها وهويتها، وقد شهدت بعض مدارس تعليم الحرف،

¹ عبد القادر جلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1830-1871، مج1، دار الأمة، الجزائر، 1999، ص 49.

² تركي، "وضعية تعليم..."، المرجع السابق، ص 11.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الفقا...، ج9، المرجع السابق، ص 337.

التي أنشئت للفتيات، تحولًا إلى أماكن تبث فيها أفكار غريبة عن المجتمع الجزائري، مما أدى إلى صدام ثقافي بين الفتيات وعائلاتهن¹.

في هذا السياق، يتساءل المؤرخ أبو القاسم سعد الله عما إذا كانت المرأة الجزائرية في تلك الفترة جاهلة تمامًا، خاصة أن التعليم لم يكن محظورًا عليها، بل كان في الغالب شفويًا يعتمد على الذاكرة، حيث كانت النساء يتلقين المعرفة وينقلنها فيما بينهن، وقد برزت بعض النساء المثقفات في هذا الإطار، مثل السيدة عائشة بنت ناصر، التي تتلمذت على يد الشيخ محمد بن يوسف أطفيش وأصبحت واعظة، والسيدة ذهبية بنت محمد بن يحيى، التي تعلمت القراءة وورثت كتب والدها، كما أُشير إلى وجود شاعرات وواعظات مثل زهراء بنت العربي بن أبي داود، وباية بنت أحمد حسان، وزينب بنت الشيخ محمد بن بلقاسم الهاملي، التي اشتهرت بمعرفتها الواسعة واحتضنت الزاوية الرحمانية أسرة المقراني خلال ثورة 1871².

اتبعت السلطة الاستعمارية سياسة تعكس معاداتها لهوية الأمة الجزائرية، ومن ضمن تلك السياسات كانت محاربة اللغة العربية، تم وضع الثقافة الوطنية في موقف يعيق فعاليتها وحركتها، مما أدى إلى تأخر الأدب الجزائري مقارنة بالأدب في المشرق العربي وحتى في تونس والمغرب، تأثرت الحركة الأدبية النسائية بشكل خاص بالحصار الذي فُرض على الثقافة والأدب العربيين، تشير هذه الظروف إلى تأخر ظهور الحركة الأدبية النسائية، حيث ساهم الحصار في تعزيز استخدام اللغة الفرنسية، مما فتح المجال أمام الكتاب النساء للتألق في الساحة الأدبية خارج حدود الجزائر³.

• تأخر نضج الوعي النسوي التحرري

من بين أبرز العوامل التي ساهمت في تأخر بروز الكتابة النسائية الجزائرية، غياب المؤسسات أو الفضاءات الثقافية التي تُعنى باحتضان المرأة المثقفة وتشجيعها على التعبير والإبداع، ففي ظل الاحتلال الفرنسي، كانت الجمعيات الثقافية والمدارس الحرة والمطابع منصبة غالبًا على قضايا الأمة والهوية وموجهة أساسًا للرجل، بينما بقيت المرأة خارج حسابات هذه البُنى، لا سيما حين يتعلق الأمر بالإبداع الأدبي أو المشاركة الفكرية، لم تكن هناك مكاتب نسوية، أو منتديات أدبية مفتوحة للنساء، ولا جوائز أو فعاليات تشجّع على اكتشاف الأقلام النسائية، وهو ما جعل مبادرات النساء الفردية خجولة ومعزولة عن الدعم المؤسسي، التجمعات الأدبية كالأقلام النسائية.

¹ نفسه.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج6، المرجع السابق، ص 56.

³ بشير خلف، (2024/01/27)، مجلة الأنطولوجيا، الأدب النسوي في الجزائر... النص الأدبي النسوي الجزائري في الريادة، تاريخ الاسترداد:

<https://alantologia.com/blogs/74351>، 2024/02/09

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

بالحديث عن الصالونات الأدبية النسوية فقد ساعدت الأرستقراطيات الغربيات في تأسيس هذه الصالونات لتعزيز الحضور النسائي في الساحة الفكرية، بعد فترات من التهميش، وقد ساهمت هذه اللقاءات الأدبية والفلسفية في خروج المرأة من العزلة الفكرية إلى المشاركة الفاعلة في تشكيل الفكر الحديث، مما أثر في عقول المفكرين وساعد في بلورة أفكار الثورة الفرنسية، من بين رواد هذه الصالونات مدام جيرمين دي ستيل¹ (Germaine de Staël) وماري تيريز جوفرين² (Marie Thérèse Geoffrin)، وقد استقطبت صالوناتهن شخصيات بارزة مثل فولتير (Voltaire)، وجان جاك روسو³ (Jean-Jacques Rousseau)، الذين تأثروا بدور المرأة في نشر الفكر التنويري ومحو الأمية والتصدي للجهل والخرافات التي فرضتها السلطة الدينية⁴.

• هيمنة الصوت الذكوري في الفضاء الثقافي

شكّلت هيمنة الرجال على الفضاء الثقافي أحد أبرز العوائق التي واجهت المرأة الجزائرية في سبيل إثبات صوتها الأدبي خلال الحقبة الاستعمارية، فقد كانت الصحافة، ودور النشر، والمنابر الفكرية حكراً على الذكور، سواء من النخب المثقفة المتخرجة من المدارس الفرنسية أو من المعاهد الإسلامية، وهو ما خلق حاجزاً مزدوجاً أمام النساء: من جهة، لم تكن المرأة تحظى بنفس فرص التعليم التي أُتيحت للرجل، إذ بقي أغلبها محروماً من التعليم أو متعلمة تعليمًا تقليدياً غير كافٍ لولوج عالم النشر، في حين سُمح لعدد من الذكور الجزائريين بإتمام تعليمهم داخل الجزائر أو

¹ جيرمين دي ستال (1766 – 1817): كانت كاتبة ومفكرة فرنسية بارزة، تُعد من رموز الفكر الليبرالي في أوروبا خلال أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وُلدت في باريس لعائلة مثقفة، وكان والدها جاك نيكرو وزير مالية الملك لويس السادس عشر، عُرفت دي ستال بكتاباتها الأدبية والنقدية والفلسفية، حيث دافعت عن الحرية الفردية وحقوق المرأة، كما لعبت دوراً مهماً في نقل الأفكار الألمانية الرومانسية إلى فرنسا من خلال مؤلفاتها مثل "ألمانيا"، تميزت بحضورها القوي في الحياة السياسية والثقافية، وكان صالونها الأدبي ملتقىً لكبار المثقفين والمعارضين لنابليون، الذي نفاه بسبب آرائها، ينظر:

Françoise d'Eaubonne, *Une femme témoin de son siècle*, Germaine de Staël, Flammarion, Paris, 1966, 285 p.

² ماري تيريز جوفرين (1699 – 1777): كانت سيدة فرنسية مرموقة عُرفت بدورها البارز في الحياة الثقافية خلال عصر التنوير، من خلال تنظيمها لأحد أشهر الصالونات الأدبية في باريس، استضافت في منزلها نخبة من الفلاسفة والمفكرين مثل فولتير، ديدرو، ومونتسكيو، وأسهمت في دعم الحركة الفكرية التي مهدت للثورة الفرنسية، لعبت جوفرين دوراً فاعلاً في تشجيع النقاشات الفلسفية والأدبية، كما كانت وسيطة بين المفكرين والبلاط الأوروبي، مما أكسبها مكانة مرموقة في أوساط النخبة الثقافية والسياسية في القرن الثامن عشر، ينظر:

Dena Goodman, *The Republic of Letters: A Cultural History of the French Enlightenment*, Cornell University Press, New York, 1994.

³ جان جاك روسو (1712 – 1778): ولد في جنيف وكان فيلسوفاً وكاتباً سويسرياً بارزاً، حيث ألّف العديد من الرسائل والمقالات والكتب والروايات، بالإضافة إلى كتابته للشعر والمسرحيات، يُعد كتابه العقد الاجتماعي (1762) من أبرز أعماله، حيث طرح فيه أفكاره حول الحرية والسيادة الشعبية، مما جعله أحد المفكرين المؤثرين في الفكر السياسي الأوروبي، وقد تأثر زعماء الثورة الفرنسية بأفكاره، خاصة فيما يتعلق بالديمقراطية وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، ينظر:

Durant, Will, *The Story of Civilization: Rousseau and Revolution*, Simon & Schuster, New York, 1967.

⁴ عمار شاكر محمود، "الصالونات الأدبية في فرنسا"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 22، (ع 01)، فيفري 2015، ص 34.

في فرنسا، والتعرّف على الآداب العالمية، مما أهلهم لتأسيس جرائد ومجلات كانت تتطلب مستوى لغويًا وثقافيًا لا يتوفر لدى أغلب النساء آنذاك.

وبالتالي، فإن أغلبية النساء لم تكن حتى قادرة على قراءة ما يُنشر في هذه الصحف، فكيف يُنظر منهن المساهمة بالكتابة فيها؟ وإن وُجدت بعض الأصوات التي دعت إلى تعليم المرأة، مثلما فعل حمزة بوكوشة، فإن هذه الدعوات كانت تركز على التعليم بوصفه وسيلة لإصلاح الأسرة أو المجتمع، وليس كحق ثقافي يتيح للمرأة أن تعبّر عن ذاتها أو تكتب وتنتشر أفكارها، كما نادرت الدعوات التي تؤمن بقدرة المرأة على الإبداع الأدبي أو الفكري، مما رسّخ صورة نمطية تقلّل من شأن الكاتبة أو ترفضها تمامًا.

هذه الظروف مجتمعة كرسّت إقصاءً غير مباشر للمرأة من ساحة الإنتاج الثقافي، ودفعتها إلى الغياب أو إلى التعبير في أشكال هامشية أو شخصية كالمراسلات أو اليوميات، إلى أن بدأت بوادر ظهورها في مراحل لاحقة، مدفوعة بالتحوّلات السياسية والاجتماعية الكبرى في نهاية الفترة الاستعمارية.

صحيح أن الحياة الأدبية في الجزائر تأخرت مقارنة بالشرق العربي، لكن السبب الرئيسي لم يكن فقط سيطرة الرجال، بل كان الاحتلال الفرنسي الذي شن حربًا شاملة على الثقافة الجزائرية، مستهدفًا الرجال والنساء على حد سواء، كانت سياسة فرنسا واضحة: القضاء على الهوية الجزائرية من خلال محو التعليم العربي وإغلاق المدارس التقليدية، مما أدى إلى حرمان النساء بشكل مضاعف من فرص التعلم والمشاركة في الحياة الفكرية.

في العالم العربي ورغم الهيمنة الذكورية، استطاعت النساء اقتحام المجال الأدبي بفضل الصالونات الثقافية التي أنشأتهما الأرستقراطيات المثقفات في مصر ولبنان وسوريا، وحت تونس، هذه الصالونات، مثل صالون نازلي فاضل¹ ومي زيادة، سمحت للمرأة بأن تلعب دورًا فكريًا بارزًا، حيث ناقشت القضايا الأدبية والاجتماعية بحرية نسبية، مما أدى إلى ظهور حركة أدبية نسائية في وقت مبكر، أما في الجزائر، فقد كان الوضع مختلفًا؛ فالمرأة لم تُقص من الأدب

¹ نازلي فاضل (1853 – 1913): كانت أديبة ومثقفة مصرية تنتمي إلى الأسرة العلوية، وتُعد من أوائل النساء العربيات اللاتي شاركن في الحياة الثقافية والفكرية في القرن التاسع عشر، تميّزت بثقافتها الواسعة وإتقانها للغات الأجنبية، وأقامت صالونًا أدبيًا في القاهرة كان ملقًى للنخبة الفكرية والسياسية، مثل الإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وسعد زغلول، دافعت عن قضايا التقدم الاجتماعي وحقوق المرأة، وساهمت في نشر الوعي بأهمية تعليم النساء ومشاركتهم في الحياة العامة، مما جعلها من رائدات النهضة النسوية والفكرية في مصر والعالم العربي، ينظر: عصام الزهيري، رواد التنوير (01 سبتمبر 2022)، (12): "نازلي فاضل"، أميرة ساحرة فرشت للمصريين بساطا ملكيا باتجاه التحرر والاستنارة، المشهد الأسبوعية، استرجعت في تاريخ

06 جوان 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.elmashhad.online/Post/details/144171>

فقط بسبب العادات والتقاليد، بل لأن الاحتلال فرض عليها تجهيلاً ممنهجاً، وأي محاولة نسائية لاختراق المجال الأدبي كانت تُواجه بعراقيل هائلة، سواء سياسية أو اجتماعية¹.

حين بدأ الأدب الجزائري بالازدهار في القرن العشرين، كان الرجال هم من يكتبون عن قضايا المرأة لأن النساء لم يكن قد حصلن بعد على فرصة التعبير عن أنفسهن، لم يكن ذلك نتيجة لإقصاء متعمد من الرجال، بل لأن الأجيال الأولى من الكاتبات لم تتوفر لهن فرصة التعلم والمشاركة في المجال الثقافي، حتى مع استقلال الجزائر، استمر الإرث الاستعماري والتقاليد الاجتماعية في تقييد المرأة لفترة طويلة، مما جعل ظهور الأصوات النسائية في الأدب الجزائري عملية بطيئة، أما بالنسبة لأول صالون أدبي نسائي في الجزائر، فإن الكاتبة إليسا رايس كانت استثناءً، لأنها نشأت في بيئة مختلفة وأكثر انفتاحاً، حيث كانت الثقافة الفرنسية مهيمنة، بل أن تجنيسها كيهودية بالجنسية الفرنسية أتاح لها مساحة للتعبير الأدبي قبل غيرها من الجزائريات، لم يكن هذا الوضع متاحاً لمعظم النساء الجزائريات اللواتي نشأن في بيئات محافظة متأثرة بميراث الاحتلال والقيم التقليدية التي ربطت تعليم المرأة بقضايا الشرف والخوف من الاختلاط.

لذلك، فإن تأخر الأدب النسائي في الجزائر لا يعود فقط إلى الهيمنة الذكورية، كما حدث في العالم العربي، بل إلى ظروف استثنائية فرضها الاحتلال، حيث تم القضاء على المؤسسات التعليمية والثقافية التي كانت ستمنح المرأة فرصة الظهور في المجال الأدبي، ومع ذلك، بمجرد أن تمكنت المرأة الجزائرية من دخول الساحة الثقافية، شهدنا ظهور أصوات قوية استطاعت أن تعوض غيابها الطويل وتفرض نفسها بقوة في المشهد الأدبي، منها تأسيس الجمعيات النسائية² ومعظمها أشبه بتجمعات إصلاحية دينية أكثر من قربها من الصالون الأدبي.

¹ سناء إلهي بن الحاج سالم، رائدات تحرير المرأة العربية في العصر مدراسة نماذج، تق: فتحي القاسمي، المؤسسة المغاربية للطباعة والمثاقفة والتوثيق، 2023، ص 45.

² شهدت الجزائر خلال الفترة (1931-1956) تأسيس عدد قليل من الجمعيات النسوية مقارنة ببعض الدول العربية، من أبرزها جمعية "هضة المرأة المسلمة" التي تأسست في تلمسان عام 1948 برئاسة فتيحة كاهية، والتي تبنت خطاباً إصلاحياً بعيداً عن الفكر النسوي، حيث انتقدت تأثر المسلمات بالمرأة الأوروبية ودعت المصلحين إلى دعم مساعيها للنهوض بالأمة، أما "جمعية الفتاة العربية الجزائرية"، فقد ظهرت في الجزائر العاصمة في ربيع 1948، ومن أعضائها البارزين أنيسة بومدين، وتشير الوثائق إلى أن الجمعية تأسست على يد طالبات درس لدى محمد الحسن فضلاء، أحد أساتذة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذي اشتهر بأساليبه التدريسية الحديثة واهتمامه بالفنون والمسرح، تعتبر هذه الجمعية موضوعاً هاماً يستحق المزيد من البحث والدراسة، ينظر: مولود عومر، (02 ماي 2016)، نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، استرجعت في تاريخ 29 جوان 2022، من الموقع الإلكتروني: <https://binbadis.net/archives/1648>

• الترويج الانتقائي للكتابات:

في ظل الاحتلال الفرنسي، برز ما يمكن وصفه بـ"الترويج الانتقائي" للكتابات الجزائريات، وهي آلية استعمارية هدفت إلى إبراز نماذج نسوية تتماشى مع التصورات الفرنسية عن المجتمع الجزائري، خاصة تلك التي تخدم السردية الاستعمارية أو تتبنى خطابًا ثقافيًا منسجمًا مع الهوية الفرنسية، ومن الأمثلة البارزة على ذلك، إيلسا رايس، التي ظهرت كأول روائية جزائرية تكتب بالفرنسية، وقد تم الترويج لها كصوت نسوي شرقي محجّب، رغم أنها في الأصل يهودية تدعى روزين بومنديل من البليدة، استثمرت هذه الهوية المصطنعة لتنال القبول في الوسط الثقافي الفرنسي، لكن أعمالها حملت مضامين استشراقية، وصوّرت المجتمع المغاربي بطريقة تكرّس الخيال الغربي عن الشرق، ما جعلها شخصية مثيرة للجدل، لم تلقَ القبول لا من العرب ولا من اليهود، فيما استغلها الفرنسيون لأغراضهم الثقافية والسياسية.

أما بيرث بنيشو-أبولكر، فتتمثل نموذجًا آخر لتوظيف الأدب في سياق استعماري، حيث تعكس مسيرتها سياسة الإدماج التي اتبعتها فرنسا تجاه اليهود الجزائريين بعد مرسوم كريميو (1870)، مقابل التهميش الممنهج للمسلمين، كتبت أعمالها بالفرنسية وتلقت تعليمًا فرنسيًا، وكانت ناشطة في الأوساط الفكرية اليهودية، وهو ما عززته السلطات الاستعمارية بهدف تكريس الفصل بين مكونات المجتمع الجزائري، تجلّى هذا الاتجاه في مسرحيتها الكاهنة، ملكة البربر (1933)، التي أعادت قراءة التاريخ في سياق يخدم الانقسام بين المسلمين واليهود، ورغم مساهمتها في دعم الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، لم تحظَ بتكريم فرنسي شخصي، ما يبرز تناقض فرنسا في تعاملها مع اليهود: دمج ثقافي مشروط، دون مساواة حقيقية، لقد كانت سيرتا رايس وبنيشو نموذجين لكتابات نسائية وُظّفت لتخدم رؤية استعمارية، لا لتعبّر بصدق عن واقع المرأة الجزائرية تحت الاحتلال.

تعكس رسالة زليخا السعودي¹ إلى عيسى المسعودي عمق معاناتها ككاتبة جزائرية تحاول نشر أعمالها الأدبية في ظل ظروف صعبة، حيث تكشف عن مسار طويل من المحاولات الفاشلة لطباعة كتابها، تعبّر زليخا عن امتنانها لعيسى المسعودي على اهتمامه بعملها، وتأمل أن تجد قصصها صدى لديه ليجمعها في كتاب واحد، مؤكدة أن

¹ زليخا السعودي: ولدت في 20 ديسمبر 1943 في بيار بنخشلة، وهي ابنة الحاج محيو بن محمد وجمعة بنت معوش السعودي، واسمها الأصلي هو عائشة، أما اسم زليخا فهو اسم أطلقتته عليه العائلة، درست منذ 1947 في الكتاب وحفظت نصف القرآن، كما كانت متأثرة بأخيها محمد السعودي الذي كان يوفر المجالات والكتب حين كان يقيم في القاهرة المنتمي إلى جماعة يوسف وهي الممثل المسرحي، كما درست في مدرسة الإصلاح إلى غاية 1956 وتخرجت منها بمعدل متفوق وبحلول سنة 1958 راسلت زليخا برنامجًا ثقافيًا يعده محمد الأخضر السائحي، وأكملت دراستها إلى غاية 1963 حيث حصلت على الأهلية، ينظر: شريط أحمد شريط، الآثار الأدبية الكاملة للأدبية الجزائرية: زليخا السعودي (1943-1972)، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 2001، ص 12.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

بعضها كُتب بين عامي 1960 و1962، وتبرز في رسالتها الحاجة إلى دافع يساعدها على الكتابة، حيث تصف معاناتها وكأنها "موت" تعيشه، مما يعكس إحساسها بالعزلة والخذلان في مشوارها الأدبي، تشير الرسالة إلى تواصلها مع الطاهر وطار، الذي سلّمها وصلاً يؤكد استلامه لنسختين من كتابها أحلام الربيع، وتوضّح أن عيسى المسعودي يمكنه الحصول على النسخ الموجودة لديه¹.

شهدت الكتابات الجزائريات تفاوتاً في الاعتراف بأعمالهن تبعاً للغة التي اخترنها، إذ حظيت الكتابات الفرانكفونيات بشهرة أوسع بفضل دعم المؤسسات الفرنسية وانفتاحهن على الأدب العالمي، مما ساهم في تطوير أساليهن وتناولهن الجريء لقضايا المرأة والهوية، في المقابل، واجهت الكتابات العربيات تحديات معرفية بسبب محدودية الوصول إلى المصادر وتوجه الصحافة الوطنية ذات الطابع التوجيهي، ما أدى إلى هيمنة الطرح الوعظي وضعف التنوع الأسلوبي، خاصة وأن كثيراً منهن كتبن بدافع المسؤولية الاجتماعية أكثر من الرغبة في الإبداع.

بعد الاستقلال، تبدلت موازين الاعتراف الأدبي، فتراجع الاهتمام بالكتابات الفرانكفونيات داخل الجزائر نتيجة تنامي الخطاب الوطني الرافض للفرنسية، مقابل تصاعد تقدير الكتابات العربيات اللاتي انسجم إنتاجهن مع توجهات الدولة الثقافية، هذا التفاوت يعكس عمق الأزمة اللغوية والثقافية التي خلفها الاحتلال الفرنسي، الذي قسم المجتمع إلى نخب لغوية متصارعة، فبينما وجد الفرانكفونيون أنفسهم مهمشين بعد الاستقلال، عانى الكتاب العرب من التهميش خلاله، مما أدى إلى أزمة أدبية مستمرة تبحث عن توازن حقيقي يعكس تعددية الهوية الجزائرية.

2.2. ظهور الكتابات الجزائريات في ظل الاحتلال

تقول الكاتبة روزاليند مايلز²: "سيسأل البعض: لماذا تكتبين عن تاريخ النساء بالمثل؟ ألم يتقاسم الرجال والنساء العالم دوماً، واختبروا معاً حسناته وسيئاته؟! كان من حق الفلاح الذكر مثلاً - مهما عانى من القمع الغاشم أن يضرب الاعتقاد بأن الجنسين كليهما عانيا الظروف نفسها على حد سواء، لكن زوجته، وتوجب على العبد الأسود أن يكدح من أجل سيده نهاراً، لكنه لم يضطر لخدمته ليلاً كالمرأة السوداء، هذا النموذج القائم ما يزال

¹ شريط، الآثار الأدبية الكاملة للأدبية الجزائرية: زليخا السعودي (1943-1972)، المرجع السابق، ص 398.

² روزاليند مايلز (1943 - 2022): كانت كاتبة ومؤلفة بريطانية، عُرفت بأعمالها الأدبية التي تبرز بين التاريخ والخيال، واهتمامها بقضايا المرأة، درست الأدب في جامعتي أكسفورد وليفربول، واشتهرت بسلسلة "نساء الملك آرثر"، والتي أعادت من خلالها رواية الأساطير الأنجلو-سيلتية من منظور نسوي، وخصوصاً من خلال شخصية غينيفير، كما كتبت كتباً غير روائية تناولت فيها تاريخ المرأة والنظام الأبوي، وسعت إلى إعادة الاعتبار للمرأة في السرد التاريخي والثقافي الغربي، ينظر:

Veronika, (14 September 2010), **Author Interviews: Lover, mother, writer**, Veronika Asks, consulté le 18 novembre 2024, sur le site: <https://veronikaasks.wordpress.com/2010/09/14/rosalind-miles/>

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

مستمراً إلى يومنا هذا، إذ تتحمل النساء حصة إضافية من الألم والتعاسة مهما كانت الظروف، كما تشهد معاناة المرأة في أوروبا الشرقية التي مزقتها الحروب الذكور قاتلوا وماتوا، لكن الاغتصاب الجماعي الممنهج، المترافق غالباً مع التعذيب ذاته الذي يتلقاه الرجل وينتهي بالموت، كان مصيراً عانت منه النساء فقط!¹

في ظل الاحتلال الفرنسي، برزت الكتابات الجزائريات في بيئة قمعية فرضت عليهن تحديات مضاعفة، حيث واجهن اضطهاداً مزدوجاً؛ من جهة، عشن تحت وطأة الاحتلال الذي سلب البلاد هويتها وثقافتها، ومن جهة أخرى، واجهن قيوداً اجتماعية تقلل من دور المرأة في المجال العام، بما في ذلك الأدب، ومع ذلك، استطاعت بعض الكتابات أن يشقن طريقهن في عالم الكتابة، عبرت عن معاناة المجتمع الجزائري عمومًا والمرأة خصوصًا.

تعكس مقولة روزاليند مايلز أن النساء دائماً ما يتحملن عبئاً إضافياً من المعاناة في ظل النزاعات والحروب، وهو ما ينطبق تمامًا على المرأة الجزائرية خلال الاحتلال، فبينما كان الرجال ينخرطون في المقاومة المسلحة أو يعانون من القمع المباشر، تعرضت النساء لأشكال مضاعفة من الاضطهاد، من التهجير والحرمان الاقتصادي إلى العنف الجسدي والاستغلال، ورغم ذلك، كان للكاتبات الجزائريات دور في توثيق هذه المعاناة والتعبير عنها، سواء في كتاباتهن السردية أو الشعرية، مما جعل أدبهن جزءاً مهماً من الذاكرة الجماعية للمجتمع الجزائري.

نجد بأن أول روائية جزائرية ظهرت في المشهد الأدبي الفرنسي خلال الفترة الاستعمارية، حيث قدمتها دار بلون عام 1919 كصوت شرقي تلقى تعليمه في المدارس الفرنسية قبل أن ترتدي الحجاب وتبدأ الكتابة بالفرنسية، وهي إليسا رايس التي قُدمت ككاتبة عربية مسلمة، تناولت أعمالها حياة العرب واليهود في شمال إفريقيا، وعكست في رواياتها وحكاياتها أجواءً مستوحاة من ألف ليلة وليلة، مما زاد من جاذبيتها للقارئ الفرنسي الساعي إلى استكشاف الشرق من منظور استشراقي².

إليسا رايس، التي كان اسمها الحقيقي روزين بومنديل، ولدت في البلدة عام 1876 لعائلة يهودية، نشأت في بيئة متعددة الثقافات، حيث أكملت تعليمها الابتدائي قبل أن تبدأ رحلتها الأدبية، لم تكن هناك أدلة موثقة على أنها عاشت في الحريم أو ارتدت الحجاب، خلافاً لبعض الادعاءات الصحفية، تزوجت في شبابه من الحاخام موسى عمار وأنجبت منه ثلاثة أطفال، إلا أن حياتها الشخصية شهدت العديد من التغيرات، إذ تطلقت لاحقاً

¹ روزاليند مايلز، من طبخت العشاء الأخير؟ تاريخ العالم كما ترويها النساء، تر: رشا صادق، ط2، 2024، ص12.

² Déjeux Jean, (1984), *Élissa Rhaïs, conteuse algérienne (1876-1940)*, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°37, pp 47-79.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

وتزوجت من موريس شيمول، التاجر الثري، مما أتاح لها الانتقال إلى فيلا الزهور في الجزائر العاصمة، حيث أسست صالوناً أدبياً¹ استقطب نخبة المجتمع الجزائري².

بدأت إليسا رايس الكتابة متأثرة بالتراث اليهودي والعربي، ونشرت أعمالها في باريس بهوية شرقية مزيفة للتكيف مع السياق الاستعماري وجذب القراء، رَوّج لها ككاتبة مسلمة خارجة من الحريم، وطمست هويتها اليهودية لإرضاء المتلقي الفرنسي، عادت إلى الجزائر عام 1922 ثم رجعت إلى باريس، متأثرة بمآسي عائلية، أبرزها وفاة ابنتها، أثارت حياتها الكثير من الجدل، خاصة ما أشيع عن علاقتها بابن أخيها، مما انعكس في كتاباتها، وظلت سيرتها غامضة تعكس تعقيدات الهوية في ظل الاحتلال³.

حظيت روايات إليسا رايس باهتمام نقدي واسع عند نشرها، حيث تبّنى النقاد الصورة التي رَوّج لها الناشر بأنّها كاتبة عربية مسلمة محجبة، مما عزز جاذبيتها في الأدب الاستعماري الفرنسي، لم تعارض رايس هذه الهوية المصطنعة، بل استغلّتها في تقديم نفسها ككاتبة شرقية غامضة، في عام 1931، نشر أندريه سباير (André Spire) أول دراسة حولها، مشيراً إلى أصولها اليهودية، بينما حاول أبراهيم المالح⁴ (Avraham Elmalih) عام 1964 إلقاء الضوء على الغموض المحيط بحياتها، مشيراً إلى أن بعض رواياتها لم تكن من تأليفها الفعلي⁵، كما

¹ الصالونات الأدبية: نشأت الصالونات الأدبية لأول مرة في إيطاليا، ومنها جاء المصطلح الفرنسي "Salon" المشتق من الكلمة الإيطالية "Sala"، وتعد مدام كاثرين دي رامبويه، ذات الأصول الإيطالية، أول من أسست صالوناً أدبياً في فرنسا خلال القرن السابع عشر، سرعانما أصبحت الصالونات الأدبية ظاهرة ثقافية بارزة في باريس، حيث لعبت النساء النبيلات والمثقفات دوراً هاماً في تنشيطها، مما ساهم في انتشار الأفكار التنويرية خلال القرنين السابع والثامن عشر، وقد كانت هذه الصالونات ملتقى للفلاسفة والأدباء والمفكرين، مما جعلها جزءاً مهماً من الحراك الفكري الذي سبق الثورة الفرنسية، ينظر: إدريس سهيل، قاموس (فرنسي - عربي)، دار الآداب، بيروت، 2010، ص 1091.

² Roland Lebel, **Histoire de la littérature coloniale en France**, Larose, Paris, 1931, pp 106 -107.

³ Harzoune Mustapha, (septembre-octobre 2003), **Le café chantant Elissa Rhaïs**, Hommes et Migrations, n°1245, pp144-145.

⁴ أبراهيم المالح (1885 - 1967): كان كاتباً وصحفيّاً يهوديّاً من أصل مغربي وُلد في القدس أواخر العهد العثماني، برز بدوره في دعم الثقافة العبرية والحركة الصهيونية، وساهم في تأسيس صحف ومجلات عبرية تُروّج لفكر الاستيطان اليهودي في فلسطين، شغل لاحقاً منصباً في الكنيست الإسرائيلي، واعتُبر من الأصوات التي سعت لتكريس حضور اليهود الشرقيين (السفارديم) في المشروع الصهيوني، يُذكر اسمه ضمن الشخصيات التي واكبت بدايات الاحتلال الاستيطاني لفلسطين، ينظر:

Behar Moshe Benite, **Modern Middle Eastern Jewish Thought: Writings on Identity, Politics and Culture** Waltham, Massachusetts: Brandeis University Press, USA, 2013, p8.

⁵ Aua, « L'écrivain contemporain Elissa Rhaïs, sa vie et son œuvre littéraire », **Mahberet (Jérusalem)**, n° 97-100, décembre 1964, pp26-32.

أعيد فتح الجدل حولها عام 1982 مع نشر بول تابت¹ (Paul Tabet)، لعمل يزعم أن والدها أو ابن شقيقها هو من كتب رواياتها، مما أثار نقاشًا واسعًا في الأوساط الأدبية².

في الوقت نفسه، كانت إليسا رايس تتبنى صورة "الفتاة الشرقية المسكينة"، وهو أسلوب شائع في الأدب الاستعماري لجذب القراء الفرنسيين، ففي مقدمة روايتها مقهى شانتان (1920)، قدّمت نفسها كفتاة جزائرية ألفتها الأقدار في باريس، رغم أنها كانت تبلغ الأربعين من العمر، غير أن هذا التصور الوهمي بدأ يتلاشى بمرور الزمن، وأصبحت أعمالها طي النسيان، لا يعرفها اليوم إلا المتخصصون في الأدب الاستعماري المغربي، خاصة مع اختفاء بعض نسخ رواياتها من المكتبات، مثل المكتبة الوطنية في باريس³.

يُحتمل أن الجدل حول إليسا رايس يعود جزئيًا لكونها امرأة في وسط أدبي استعماري يهيمن عليه الرجال، حيث اضطرت الكتابات إلى تبني صور نمطية للقبول، غير أن الجدل الأعمق تعلق بانتحالها هوية ثقافية زائفة واستغلالها للغرائبية الشرقية لجذب القراء الفرنسيين، كما أن بعض الاتهامات ضدها، مثل التشكيك في تأليفها لأعمالها، تعكس تحيزًا جنسائيًا سائدًا آنذاك، حيث غالبًا ما نُسب إبداع النساء إلى رجال مقربين منهن، مما يُظهر تداخل النقد الثقافي مع التمييز الجندري في السياق الاستعماري.

من اللافت أن إليسا رايس لم تحظَ بجائزة شاعر الجزائر، التي تُمنح في الجزائر منذ عام 1921، رغم كونها كاتبة جزائرية استطاعت تحقيق حلم العديد من أدباء الجزائر بالنجاح في باريس، ورغم ترشيحها للجائزة الكبرى ووصولها إلى قائمة السبعة الأوائل، فإنها لم تكن جزءًا من التيار الأدبي الجزائري الذي أسسه جان بوميه (Jean Pomier) وروبرت راندو (Robert Randau) ولويس ليكوك (Louis Lecocq) وآخرون، والذين كانوا ينادون بما سُمّي "الاستقلال الجمالي" (وفق تعبير راندو)، يُقال إن ماكسيميليان هيلر (Maximilien Heller)، وهي كاتبة يهودية من قسنطينة، فازت بالجائزة الكبرى عام 1922 عن روايتها "البحر الأحمر" بسبب انتمائها

¹ بول تابت (1947-): هو كاتب لبناني يكتب بالفرنسية، واشتهر بتحليلاته النقدية الجريئة للواقع العربي المعاصر، من خلال مؤلفاته، مثل Lettre L'islam manipul et ouverte aux Arabes و Les Barons d'Orient، تناول مواضيع حساسة تتعلق بالهوية والدين والسياسة في العالم العربي، ووجه دعوات صريحة إلى التحرّر من الخطابات الشعبوية والأوهام الجماعية، يتميز أسلوبه بالوضوح والنقد المباشر، ما جعله من الأصوات المثيرة للجدل في الساحة الثقافية الفرنكوفونية، ينظر:

Paul Tabet, Babelio, **biographie & informations**, consulté le 3 mai 2025, disponible sur : <https://www.babelio.com/auteur/Paul-Tabet/22249>

² Paul Tabet, **Elissa Rhaïs**, Grasset, Paris, 1982.

³ J.Déjeux Op.cit, pp 47-79.

اليهودي، ومع ذلك، وجدت إيلسا رايس دعمًا من لويس بيرتراند¹ (Louis Bertrand)، مما مكّنها من دخول مجلة (Revue des Deux Mondes) المرموقة، وفي ظل السياق الاستعماري بعد الحرب العالمية الأولى، كان نجاحها في باريس بمثابة دليل للفرنسيين على نجاح المنظومة التعليمية الفرنسية في المستعمرات، حيث اعتُبر هذا "المشرق الصغير" شهادة على فعالية المدرسة الفرنسية في إنتاج كتاب من أبناء المستعمرات، مما سمح بقبولها ضمن دائرة الأدباء البارزين في مجلة رينيه دوميك².

يبدو أن روايات إيلسا رايس حققت نجاحًا تجاريًا، حيث شهدت عدة طبعات، لكن عقودها مع دار بلون³ (Plon-Nourrit) حددت طبيعة إنتاجها الأدبي، فبين عامي 1919 و1925، التزمت بعقد يمنح الناشر حقوقًا حصريّة، مع طباعة محدودة لكل طبعة، لاحقًا، انتقلت إلى دور نشر أخرى مثل Fayard وFlammarion، ربما بسبب تغير توجهاتها الأدبية، حيث لم تعد أعمالها تتماشى مع الصورة الاستشراقية التي كانت بلون تروج لها، بعد الحرب العالمية الأولى، برز اهتمام فرنسي بأدب شمال إفريقيا، مما ساهم في نشر أعمالها، لكنه ربما فرض عليها الاستمرار في كتابة قصص تعزز غرائبية الشرق للقارئ الفرنسي، هناك أيضًا تساؤلات حول أصالة بعض كتاباتها الأخيرة، إذ بدت أكثر انخراطًا في قضايا سياسية مقارنة بأعمالها الأولى⁴.

¹ لويس برتراند (1866-1941): كان كاتبًا فرنسيًا وأحد أبرز منظري التيار "الجزائري" (Algérianisme)، وهو التيار الذي سعى إلى ترسيخ هوية ثقافية أوروبية فرنسية في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، عاش في الجزائر بين 1891 و1900، واستلهم من تجربته الاستعمارية روايات ومؤلفات تاريخية تسعى لتحذير الوجود الفرنسي في شمال إفريقيا عبر تمجيد الإرث الروماني واللاتيني، متجاهلاً إلى حد بعيد البعد العربي والإسلامي للمنطقة، من أشهر أعماله رواية Le Sang des races (1899) التي تُعد من النصوص المؤسسة للأدب الاستعماري، إضافة إلى كتابه Saint Augustin (1913)، انتُخب عام 1925 عضواً في الأكاديمية الفرنسية، لكنه أثار الجدل لاحقاً بمدحه لهتلر في كتاب نُشر عام 1936، تُوّي في كاب دانتيب عام 1941، وترك إرثاً مثيراً للجدل يعكس تناقضات الفكر الكولونيالي الفرنسي، ينظر:

Peter Dunwoodie, « Louis Bertrand : autopsie d'une dérouté », *Érudit*, vol. 57, n° 1, 2021, pp 85-100.

² André Spire, « Un conteur judéo-arabe d'Afrique du Nord, Éliass Rhaïs », *Illustration juive*, n° 9, mars 1931, pp. 20-22.

³ دار بلون: دار النشر الفرنسية بلون (Plon)، التي أُسست عام 1852 على يد هنري بلون وإخوته، تُعد من أبرز دور النشر في فرنسا، بدأت مسيرتها كمنطبعة رسمية للإمبراطور، حيث نشرت مراسلات شخصيات تاريخية مثل لويس الثالث عشر وماري أنطوانيت ونابليون الأول، في القرن العشرين، توسعت بلون لتشمل الأدب والعلوم الإنسانية، ونشرت أعمالاً لأدباء بارزين مثل جورج برنانوس وجولييان غرين، كما أطلقت مجموعات شهيرة مثل "Terre Humaine" و"Dictionnaire amoureux"، مرت بلون بعدة تغييرات ملكية، وأصبحت جزءاً من مجموعة إديتيس (Editis)، التي استحوذت عليها شركة فيفندي (Vivendi) في عام 2018، ثم بيعت لاحقاً لشركة Czech Media Invest في عام 2023، تُعرف بلون اليوم بتنوع منشوراتها، التي تشمل الأدب، التاريخ، السير الذاتية، والعلوم الاجتماعية، مع التزامها بتقديم محتوى عالي الجودة يعكس التحولات الاجتماعية والثقافية المعاصرة، ينظر: Patricia Sorel, *Plon : le sens de l'histoire (1833-1962, Rennes)*, PU Rennes, coll- Histoire, s.l, 2016, 394 p.

⁴ J.Déjeux Op.cit, pp. 47-79.

جدول رقم (14): الكتابات الأدبية لإليسا رايس (1919-1931)¹:

العمل الأدبي	تاريخ النشر	مكان النشر	الجنس الأدبي	عدد الصفحات
سعادة المغربية	1919	باريس	رواية	319
المقهى الغنائي	1920	باريس	رواية	287
اليهود أو ابنة إلعازر	1921	باريس	رواية	181
ابنة الباشاوات	1922	باريس	رواية	265
ابنة الدوّار	1924	باريس	رواية	213
القميص الذي يجلب الحظ	1925	باريس	رواية	228
الأندلسية	1925	باريس	رواية	254
زواج حنيفة	1926	باريس	رواية	244
عبر صوت الموسيقى	1927	باريس	رواية	257
الصدر الأبيض	1928	باريس	رواية	247
الريفين	1929	باريس	قصة	122
باشا صغير في المنفى	1929	باريس	قصة	123
المهتدية	1930	باريس	رواية	285
العطر، المرأة والصلاة ²	1933	باريس	مسرحية	/
أطفال فلسطين ³	أوت 1931	باريس	مجموعة قصص	258

يُثير الجدول الزمني لأعمال إليسا رايس تساؤلات حول مدى إمكانية تأليفها لكل هذه الأعمال بمفردها، خاصة في ظل غزارة إنتاجها الأدبي المستمر من 1919 إلى 1933 دون انقطاع يُذكر، يتنوع إنتاجها بين الرواية والقصة والمسرحية، مما يتطلب مهارات وأساليب مختلفة، وهو ما قد يدعم الشكوك حول استعانتها بشخص آخر في الكتابة، كما أن نشرها عملاً أدبياً واحداً على الأقل كل عام، وأحياناً أكثر بعدد الصفحات تلك، قد يُشكل ضغطاً هائلاً على كاتب منفرد، مما يجعل فرضية استغلال قريبها لحجزه وإجباره على الكتابة أمراً يستحق التحقيق، لا سيما إذا وُجدت أدلة داعمة مثل شهادات أو اختلافات أسلوبية واضحة بين الأعمال.

تركز روايات إليسا رايس على موضوعات الحب المحبط، والرغبات غير المحققة، والانتقام، والمصير الحتمي، وتتناول ثيمات مثل الزنا، والعلاقات المستحيلة بين طبقات أو أديان مختلفة، والزواج المختلط المرفوض، تدور أحداثها في بيئات عربية إقطاعية وبرجوازية، وتُبرز التنقل بين المدن والريف والحياة البدوية، كما تتناول شخصيات يهودية

¹ من إعداد الطالبة وردة عي.

² Aua, « Éliisa Rhais : Le parfum, la femme et la prière », **Commedia**, Paris, n° 7401, 15 mai 1933, p02.

³ Éliisa Rhais, **Enfants de Palestine**, Le Manuscrit, Paris, France, 2007.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

وإسبانية، محاولة تصوير المجتمع الجزائري بروح واقعية، رغم طغيان النهايات المأساوية مثل الفشل والانتحار والانتقام، مقابل عدد قليل من النهايات الإيجابية.

وجدت رايس نفسها في موقع معقد لم ترض فيه أي طرف؛ فالعرب تجاهلوا باعتبارها تكتب من منظور استشراقي يخدم الرؤية الفرنسية، بينما رأى بعض اليهود أنها تنكرت لهويتها الأصلية، في حين استغلها الفرنسيون لترويج صورة شرقية متخيلة تخدم الاحتلال، دون الاعتراف بها ككاتبة مستقلة، نتيجة لذلك، بقيت رايس معلقة بين الهويات، معزولة أدبيًا ونقديًا، دون انتماء واضح لأي ثقافة أو مجتمع.

وبدلاً من أن ينصب النقد على أعمال إيلسا رايس وأساليبها الأدبية، انحرف في كثير من الأحيان إلى التمر على شكلها وجسدها، كما يظهر في هجوم شارل هاجل العنيف عليها، لم يكتفِ هذا الناقد بتفنيد كتاباتها واتهامها بتزييف الواقع، بل تجاوز ذلك إلى وصفها بأنها "سيدة سمينة ومترهلة من البليدة، قد تنكرت، وارتدت عمامة وحجاباً وأغطية رأس؛ ذهبت للبحث في باريس عن لويس بيرتراند الممتاز، هذا الأخير، على الرغم من رهابه من كل ما يتعلق بالإسلام، سارع إلى أخذها إلى السيد دوميك المظلم والكثيب"¹، ساخراً من مظهرها وكأن ذلك يطعن في قيمتها الأدبية، مثل هذه الانتقادات تكشف عن تحيز شخصي وأيديولوجي يتجاوز التقييم الموضوعي، حيث يتم استهداف الكاتبة لا بسبب مضمون رواياتها فقط، بل أيضاً بسبب مظهرها الجسدي، مما يعكس نزعة ذكورية واستعمارية ترى في جسد المرأة ميداناً للهجوم والتقليل من شأنها، هذا النوع من التمر يكشف أيضاً عن الإقصاء المزدوج الذي عانت منه إيلسا رايس، حيث لم يتم الاعتراف بها ككاتبة مستقلة، بل استُخدمت شخصيتها كوسيلة للنيل من مشروعها الأدبي بأكمله².

رغم كونها عضواً في جمعية الأدباء منذ 1920، لم تقدم طلباً رسمياً للعضوية إلا في عام 1939، مما أثار التساؤلات حول تأخرها، خاصة أنها لم تنشر أي روايات منذ 1930، أوضحت في رسالتها للجمعية أنها تنازلت عن جزء من حقوق إعادة إنتاج ستة من كتبها لصالح بلون، وهو ما اعتبره لوسيان ديسكافيس (Lucien Descaves) أمراً مقلّماً، وقد عادت إيلسا رايس للعيش في البليدة حيث توفيت فجأة في 10 أوت 1940 دون أن تكون مريضة، مما أثار الشكوك حول سبب وفاتها، أشار ابنها في مقابلة إلى أنها كانت نتيجة "مؤامرة رهيبية"،

¹ Hagel Charles , **le péril juif**, Éd. nouvelles Africaines- Alger 1934, p 76.

² J.Déjeux Op.cit, pp 47-79.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

بينما تناول بول تابت في رواياته سيناريو مختلفاً يربط وفاتها بقضية جوقة الشرف وسقوطها فاقدة الوعي في مكتب الوزير، تضاربت الروايات حول ملابس وفاتها، مما عزز الشائعات وجعل الحديث عنها محاطاً بالغموض والالتباس¹.

وفي ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر، لم تكن إليسا رايس الكاتبة الجزائرية الوحيدة، بل ظهرت مجموعة من الكاتبات اللواتي أسهمن في تشكيل ملامح الأدب النسائي الجزائري في القرن العشرين، فقد تأثرت كتاباتهن بالسياق الاستعماري الذي حاول طمس الهوية الوطنية والثقافة المحلية، فكانت أعمالهن بمثابة مقاومة ثقافية وتعبير عن الذات في واقع مضطرب، ومن خلال نصوصهن، طرحن قضايا المرأة والحرية والانتماء، وكُنَّ أحياناً أداة للتدلل بهن عن الحرر والتحضر وأحياناً استطعن أن يَكُنَّ صوتاً أدبياً، فعَبَّرْنَ عن الهموم الاجتماعية والسياسية التي عايشنها في ظل الاحتلال، لقد شكّل ظهور هذه الكاتبات مرحلة مهمة في تطور الأدب النسائي الجزائري، وأسهمن في تمهيد الطريق لأجيال لاحقة من المبدعات، ويمكننا عرض أسمائهن في جدول.

جدول رقم (15): يبرز أعمال الكاتبات الجزائريات فترة الاحتلال الفرنسي (1919-1962)²:

اسم الكاتبة	عنوان العمل الأدبي	سنة النشر	الجنس الأدبي
إليسا رايس	سعادة المغربية	1919	رواية
	المقهى الغنائي	1920	رواية
	اليهود أو ابنة إلبازر	1921	رواية
	ابنة الباشاوات	1922	رواية
	ابنة الدوّار	1924	رواية
	القميص الذي يجلب الحظ	1925	رواية
	الأندلسية	1925	رواية
	زواج حنيفة	1926	رواية
	عبر صوت الموسيقى	1927	رواية
	الصدر الأبيض	1928	رواية
	الريفين	1929	قصة
	باشا صغير في المنفى	1929	قصة
	المهتدية	1930	رواية
	العطر، المرأة والصلاة	1933	مسرحية
	أطفال فلسطين	أوت 1931	مجموعة قصص

¹ Ibid, pp 47-79.

² من إعداد الطالبة وردة عي.

مسرحية	1933	الكاھنة، ملكة البربر	بيرت بينشو أبو الكبير
مسرحية	1935	أرض اللهب	
مسرحية	1935	لوز دي لافالير	
قصائد	1939	رقصات ¹	
قصائد	1939	بلقيس الصائبية ²	
شعر	1947	الزنبق الأسود ⁴	طاووس عمروش ³
رواية	1947	ليلي، فتاة صغيرة من الجزائر	جميلة دباش
رواية	1957	عزيزة	
مقال	1949	تعليم المرأة	ليلي بن ذياب
سلسلة مقالات	1951	اخترت لكم ⁵	
مقال	1949	التعليم وحظ المرأة منه ⁶	زليخة عثمان إبراهيم
مقال	1952	حفلة مدرسة عائشة ⁷	
مقال	1952	حول تأسيس مدرسة ⁸	فتيحة القرصو
مقال	1954	رسالة إلى روح الفتاة ⁹	مليكة بن عامر
قصة	1954	البدوية والحياة ¹⁰	

¹ Berthe Bénichou-Aboulker, **Danses**, La Maison des livres, Alger, 1939.

² Berthe Bénichou-Aboulker, **Balkis la Sabéennem**, La Maison des Livres, Alger, 1939.

³ طاووس عمروش (1913-1976): كانت كاتبة ومغنية جزائرية من أصل قبائلي، تُعد من أوائل النساء الجزائريات اللاتي كتبن باللغة الفرنسية، وُلدت في تونس لعائلة مسيحية أمازيغية، وبرزت في مجال الأدب والفولكلور، حيث عملت على جمع وتوثيق الأغاني الشعبية الأمازيغية ونقلها إلى جمهور واسع، من أبرز أعمالها روايتها "الضوء المعلق" (Jacinthe noire) التي تعكس صراعات الهوية والمنفى، عُرفت بدفاعها عن الثقافة الأمازيغية وحقوق المرأة، وكان لها دور مهم في التعريف بالتراث الشفهي القبائلي على الصعيدين الأدبي والموسيقي، ينظر:

Jacqueline Arnaud, (21 août 2022), **Taos Amrouche (1913-1976)**, Encyclopædia Universalis, consulté le 17 Mars 2025, sur le site : <https://www.universalis.fr/encyclopedie/taos-amrouche/>

⁴Taos Amrouche, **Jacinthe noir**, éditions Charlot, Alger, 1947.

⁵ ليلي بن ذياب، "اخترت لكم"، **البصائر**، ع 159، 11 جوان 1951، ص 07.

(____)، "اخترت لكم"، **البصائر**، ع 159، 11 جوان 1951.

(____)، "اخترت لكم"، **البصائر**، ع 163، 16 جويلية 1951.

(____)، "اخترت لكم"، **البصائر**، ع 177، 17 ديسمبر 1951.

(____)، "اخترت لكم"، **البصائر**، ع 162، 2 جويلية 1951.

(____)، "اخترت لكم"، **البصائر**، ع 164، 23 جويلية 1951.

⁶ زليخة عثمان إبراهيم، "التعليم وحظ المرأة منه"، **البصائر**، ع 93، 17 أكتوبر 1949.

⁷ (____)، "حفلة مدرسة عائشة"، **البصائر**، ع 192، 02 جوان 1952.

⁸ فتيحة القرصو، "حول تأسيس مدرسة"، **البصائر**، ع 201، 15 سبتمبر 1952.

⁹ مليكة بن عامر، "رسالة إلى روح الفتاة"، **البصائر**، ع 276، 25 جوان.

¹⁰ باية خليفة، "البدوية والحياة"، **البصائر**، ع 296، 10 ديسمبر 1954.

بابة خليفة	قيمة المرأة في المجتمع ¹	1954	
زهور ونيسي ²	إلى استهانت بعذاب الله ³	1954	مقال
	لنترك الثثرة ⁴	1955	مقال
	سلام باي يحتفل بشهر الصيام ⁵	1954	مقال
	إلى الشاب ⁶	1954	مقال
	فائدة العلم والعمل ⁷	1955	مقال
	إلى الناقد ⁸	1955	مقال
	من صميم الواقع الأمنية ⁹	1955	مقال
	من الملو ¹⁰	1955	مقال
	نتيجة مؤلة ¹¹	1955	مقال
	جلسة صديقات ¹²	1955	مقال
	جناية أب ¹³	1955	مقال
	نظرة فتاة حول رحلة المغرب الأقصى	1955	مقال

¹ بابة خليفة، "قيمة المرأة في المجتمع"، البصائر، ع 298، 24 ديسمبر 1954.

² زهور ونيسي (1937 أو 1936): كاتبة وسياسية جزائرية، تعد من الشخصيات البارزة في عهد الشاذلي بن جديد، حيث أصبحت أول امرأة تُعين وزيرة في الجزائر بعد الاستقلال، إذ شغلت منصب وزيرة الشؤون الاجتماعية ووزيرة التربية الوطنية لمدة سبع سنوات، كما انتُخبت نائبة في البرلمان الجزائري بين 1977 و1982، وساهمت في تأسيس العديد من المؤسسات والهيات، مثل الاتحاد النسائي الجزائري، واتحاد الكتاب، واتحاد الصحفيين الجزائريين، كما لعبت دوراً مهماً في تعريب الإعلام الجزائري، عملت في الصحافة وترأست تحرير أول مجلة نسائية تهتم بشؤون المرأة الجزائرية، أدياً، تُعتبر من رائدات الكتابة النسائية الجزائرية، وصنفت روايتها لونها والغول ضمن أفضل 100 رواية عربية، كما سجل اسمها عالمياً في القاموس الأدبي النرويجي والفرنسي، وفي الموسوعة الأدبية بجامعة نيويورك، شاركت في العديد من التظاهرات العلمية والأدبية التي رفعت فيها اسم المرأة الجزائرية دولياً، وعُرفت بمواقفها القوية، ينظر: Feriel Jabouri Ghazoul, Hasna Reda-Mekdashy, **Arab Women Writers : A Critical Reference Guide, 1873-1999**, American Univ in Cairo Press, Le Caire, 2008, 526 p

³ زهور ونيسي، "إلى استهانت بعذاب الله"، البصائر، ع 288، 8 أكتوبر 1954.

⁴ (____)، "لنترك الثثرة"، البصائر، ع 315، 22 أبريل 1955، ص 07.

⁵ (____)، "سلام باي يحتفل بشهر الصيام"، البصائر، ع 276، 25 جوان 1954، ص 03.

⁶ (____)، "إلى الشاب"، البصائر، ع 297، 17 ديسمبر 1954، ص 09.

⁷ (____)، "فائدة العلم والعمل"، البصائر، ع 303، 28 جانفي 1955، ص 02.

⁸ (____)، "إلى الناقد"، البصائر، ع 304، 4 فيفري 1955، ص 09.

⁹ (____)، "من صميم الواقع الأمنية"، البصائر، ع 309، 11 مارس 1955، ص 08.

¹⁰ (____)، "من الملو"، البصائر، ع 317، 13 ماي 1955، ص 05.

¹¹ (____)، "نتيجة مؤلة"، البصائر، ع 327، 15 جويلية 1955، ص 04.

¹² (____)، "جلسة صديقات"، البصائر، ع 337، 11 مارس 1955، ص 07.

¹³ (____)، "جناية أب"، البصائر، ع 345، 11 مارس 1955، ص 02.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

مقال	1955	حول المرأة الجزائرية ¹	لويزة قلال
قصة	1955	الوردة الذابلة ³	خديجة بوكثرة ²
شعر	1960	قصائد من السجون ⁴	آنا غريكي
مقابلة	1961	المدانون في الأرض ⁵	
مراسلات ⁶	1958	/	زليخا السعودي
قصص ⁷	1960- 1962	/	
شعر	1957	إلى جلادي، الملازم .د ⁹	ليلي جبالي ⁸
رواية	1957	العطش	آسيا جبار
رواية	1958	القلقون	
رواية	1962	أطفال العالم الجديد	
مذكرات	1967	قصة حياتي	فاطمة آيت منصور عمروش

يُظهر الجدول الممتد من سنة 1919 إلى سنة 1962 تنوعاً لافتاً في مسارات الكتابة النسائية الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي، ويبرز كيف أن عدداً من الكاتبات استطعن، رغم القيود السياسية والثقافية والاجتماعية، أن يعبرن عن قضاياهن وهموم مجتمعهن، وأن يتركن أثراً أدبياً ما زال بحاجة إلى إعادة اكتشاف وتقدير أكاديمي، الإنتاج الأدبي المبكر الذي دشنته إليسيا رايس منذ 1919 يعكس ريادة نسائية في مجال الرواية، حيث

¹ لويزة قلال، "حول المرأة الجزائرية"، البصائر، ع 345، 14 جانفي 1955، ص 06.

² لم نتوصل لترجمة عن هذه الكاتبة.

³ خديجة بوكثرة، "الوردة الذابلة"، البصائر، ع 307، 25 فيفري 1955، ص 07.

⁴ Anna Greki, « Poèmes des prisons », *Les Temps modernes*, Paris, n° 169-170, avril-mai 1960.

⁵ Anna Greki, « Les Damnés de la terre », *Jeune Afrique*, 13-19 décembre 1961 (en regard : hommage d'Aimé Césaire).

⁶ في كتاب شريط الذي جمع فيه أعمال زليخا السعودي يدون بأن أول كتاباتها كانت مراسلات للشاعر محمد الأخضر السائحي، ينظر: شريط، زليخا السعودي، المرجع السابق، ص 14.

⁷ لم يحدد شريط تواريخ نشر كتاب زليخا للقصص في الكتاب الذي جمع فيه أعمالها، ولكنها في مراسلة مع عيسى السعودي أشارت لأن معظم القصص التي كتبها بدأت منذ سنة 1960، وسنعرض ما جاء في المراسلة في المطلب القادم.

⁸ ليلي جبالي (1933-....): مناضلة ومثقفة جزائرية وُلدت سنة 1933، برزت خلال خمسينيات القرن العشرين في سياق الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، اعتُقلت سنة 1957 وسُجنت في سجن بربروس بالجزائر العاصمة، حيث تعرضت للتعذيب الجسدي والنفسي والاعتصاب على يد ضابط فرنسي، في ظروف الاعتقال القاسية كتبت قصيدتها الشهيرة إلى معذّبي، الملازم د (Pour mon tortionnaire, le Lieutenant D)، التي تُعد من النصوص النادرة والجريئة في الأدب النسوي الإفريقي المقاوم للاستعمار، ينظر:

⁹ Frank Chipasula, Stella Chipasula, *The Heinemann Book of African Women's Poetry*, Heinemann, 1995, p04.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

قدّمت أعمالاً متسلسلة ومتعددة المواضيع والمواقع، مزجت فيها بين التخيل والملاحظة الاجتماعية، وكانت بذلك من أولى الكاتبات الجزائريات اللائي استثمرن في السرد الروائي باللغة الفرنسية.

ابتداءً من ثلاثينيات القرن العشرين، اتسع نطاق الأجناس الأدبية ليشمل المسرحية والشعر، كما في أعمال بيرت بينشو أبو الكبير وطاووس عمروش، ما يدل على تطور في التعبير الجمالي ووعي بضرورة تنويع القوالب الأدبية للتأثير في المتلقي، هذا التوسع تزامن مع انخراط متزايد للمرأة الجزائرية في النقاشات الفكرية، كما يظهر من خلال الكتابات المقالية التي بدأت تنتشر منذ الأربعينيات، خصوصاً مع أسماء مثل ليلي بن ذياب وزليخة عثمان إبراهيم، حيث احتلت قضايا تعليم المرأة ومكانتها الاجتماعية صدارة الموضوعات.

مع اندلاع الثورة الجزائرية عام 1954، شهدت الكتابة النسائية تحولاً واضحاً في مضامينها، إذ انتقل التعبير من الاهتمام بالموقع الاجتماعي للمرأة إلى الانخراط السياسي المباشر، وصار النص الأدبي، سواء أكان مقالاً أو قصة أو شعراً، وسيلة للمقاومة والتوثيق، يتجلى هذا الاتجاه في نصوص زهور ونيسي، التي عاجلت بحدة قضايا اجتماعية من صميم الواقع الاستعماري، وكذلك في كتابات آنا غريكي، التي اختارت الشعر والمقابلة لتوصيل صوت المعتقلات والمناضلات، ما يعكس انخراطها السياسي الصريح.

يتسم هذا المشهد الأدبي أيضاً بتعدد مستويات التعبير، فإلى جانب المقالات والخطب، نجد محاولات في كتابة السيرة الذاتية، كما في "قصة حياتي" لفاطمة آيت منصور عمروش، التي نُشرت بعد الاستقلال لكنها تعبّر عن تجربة أنثوية في ظل الاحتلال، أما آسيا جبار، فكانت من أبرز الكاتبات اللائي تجاوزن الكتابة النضالية المباشرة نحو تمثيل معقد للهوية الأنثوية والازدواجية اللغوية في مجتمع مستعمر، وهي التي اختارت الفرنسية لغةً للكتابة لتخاطب بها عالماً يحاول محو ثقافتها.

رغم هذا الزخم الأدبي، فإن كثيراً من هذه الأسماء، خاصة الرائدات في العقدين الأولين، لم تحظَ بالاهتمام النقدي الكافي، مما يُشير إلى انتقائية في تدوين الذاكرة الأدبية الوطنية بعد الاستقلال، هذا الغياب لا يعكس فقط إقصاءً مؤسسياً، بل أيضاً تهميشاً مزدوجاً للكتابة النسوية وللإنتاج الثقافي الذي استُخدم فيه لسان المستعمر، إلا أن استعادة هذه النصوص اليوم تتيح للباحثين إعادة قراءة المسار الثقافي الجزائري من منظور أكثر شمولاً، يعترف بتعدد الأصوات وتنوع أشكال المقاومة، ويمنح النساء مكانتهن بوصفهن فاعلات في الساحة الأدبية والفكرية منذ بدايات القرن العشرين.

في مقال "الروايات حول الأوساط النسائية الجزائرية" للكاتب جان ديغو نشره سنة 1961 تحدث عن موضوع تمثيل المرأة الجزائرية في الأدب المكتوب بالفرنسية، يشير إلى أن إقصاء المرأة الجزائرية من التعليم الفرنسي لسنوات طويلة كان أحد أسباب تأخر ظهور كتابات جزائريات، فقد كان النظام الاستعماري الفرنسي يرى في نشر التعليم بين النساء المسلمات تهديداً محتملاً للنظام الاستعماري، حيث كان التعليم مرتبطاً بشكل مباشر بوعي المرأة بحقوقها ودورها في المجتمع، ونتيجة لذلك، لم تظهر كتابات جزائريات بارزات حتى منتصف القرن العشرين، مع بدايات جميلة دباش وآسيا جبار، اللواتي استطعن تجاوز هذه العوائق، لكنهن واجهن تحديات أخرى تتعلق بالنظرة الفرنسية لهن¹.

ساهم الأدب الاستعماري الفرنسي في خلق صورة نمطية عن المرأة الجزائرية، حيث تم تصويرها على أنها إما ضحية مستسلمة للحجاب والتقاليد، أو امرأة متمردة ترى في فرنسا ملاذاً للحرية، ويشير المقال إلى أن بعض الكاتبات الأوروبيات اللواتي كتبن عن المرأة الجزائرية، مثل غابرييل إستيفال (Gabrielle Estival) في زبيدة، قدمن نماذج لنساء جزائريات يكافحن ضد مجتمعهن، لكنهن كنّ في النهاية ينتظرن تدخل فرنسا لإنقاذهن، كما يظهر في نداء البطلة: "لقد دعوتوني إلى النور، وهم يريدون أن يعيدوني إلى الظلام! تدخلوا!"، هذه النظرة تعكس كيف استخدمت فرنسا قضية المرأة كأداة استعمارية لتبرير وجودها في الجزائر، مدعية أنها جاءت "لتحرير" المرأة الجزائرية من قيود المجتمع التقليدي.

عندما بدأت الكاتبات الجزائريات في الكتابة، وجدن أنفسهن في مأزق هوياتي مزدوج: فمن ناحية، كنّ يكتبن بلغة المستعمر، ومن ناحية أخرى، كنّ يرفضن استغلال الاحتلال لقضية تحررهن، على سبيل المثال، في رواية العطش لآسيا جبار، نرى أن البطلة متأثرة بالنمط الغربي للحياة، لكنها لا تعكس واقع المرأة الجزائرية العادية، وهو ما جعل البعض ينتقدها بأنها ابتعدت عن الوعي الوطني المرتبط بتحرر الجزائر ككل، كذلك، واجهت الكاتبات الجزائريات تحدي تجاوز الصورة النمطية الفرنسية التي كانت تحتل المرأة الجزائرية إما كضحية أو كعميلة للاستعمار.

رغم محاولة فرنسا فرض نموذج معين للمرأة الجزائرية، إلا أن الكاتبات الجزائريات قاومن ذلك من خلال تقديم نماذج أكثر واقعية عن المرأة الجزائرية في سياقها الاجتماعي والسياسي، فقد سعت بعضهن، مثل جميلة دباش²، إلى تصوير المرأة كعنصر فاعل في التغيير، وليس كضحية تحتاج إلى إنقاذ أوروبي، كما أن تصاعد الحركة الوطنية الجزائرية

¹J.Déjeux, « Romans sur les milieux féminins algériens », *Se Comprendre*, n° JAU/22, 15 mars 1961, p 2-6.

²الملحق رقم: 17.

جعل الكاتبات أكثر وعيًا بدورهن في مقاومة الهيمنة الثقافية الفرنسية، مما أدى لاحقًا إلى ظهور أعمال أكثر ارتباطًا بالقضية الوطنية.

يتضح أن السياسة الاستعمارية الفرنسية لعبت دورًا مزدوجًا في تشكيل الأدب النسائي الجزائري: فهي منعت النساء من الوصول إلى التعليم والكتابة لعقود، لكنها في الوقت نفسه حاولت استخدام قضية تحرر المرأة كأداة استعمارية، ومع ذلك، فإن الكاتبات الجزائريات استطعن، بمرور الوقت، تحدي هذه الصورة النمطية وخلق أدب يعكس واقع المرأة الجزائرية الحقيقية، بعيدًا عن الاستغلال الاستعماري لقضيته.

إن إسهامات المرأة الجزائرية في الصحافة الإصلاحية، خاصة عبر جريدة البصائر بين عامي 1947 و1956، فقد برزت أسماء مثل زهور ونيسي، ليلي بن ذياب، باية خليفة، وزليخة عثمان إبراهيم، رغم تهميش دور المرأة في الحركة الإصلاحية، فقد تمكنت هؤلاء الكاتبات من مناقشة قضايا التعليم، الأمية، ومكانة المرأة في المجتمع، وسلطات الضوء على العقبات التي تعرقل تقدم النساء، تميزت مقالاتهن بالدعوة إلى التعليم والتوعية المجتمعية، مثل سلسلة من صميم واقعنا لزهور ونيسي، التي انتقدت الشباب الجزائري على افتقاده للوعي والمسؤولية، مما أثار جدلاً واسعاً بين المثقفين، كما أن الصحيفة نشرت مراسلات بين المثقفات، ما ساهم في خلق فضاء للحوار والتفاعل الثقافي¹.

صحيح أن الكاتبات في البصائر وجدن أخيراً مساحة للتعبير، لكنها لم تكن مساحة مطلقة، بل كانت مشروطة بالتزام خطاب الإصلاح الديني والاجتماعي الذي تتبناه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فبينما سمح لهنّ بطرح قضايا التعليم، الأمية، ومكانة المرأة، لم يكن بمقدورهن تجاوز هذا الإطار إلى مطالب أكثر راديكالية تتعلق بالمشاركة السياسية أو نقد البنى الذكورية التقليدية داخل المجتمع، حتى لا يتعارض خطابهن مع توجهات الجمعية، كما أن لغة المجلة ظلت محافظة، لا تخرج عن المفردات الإصلاحية التي تحت المرأة على أن تكون متعلمة ومربية للأجيال، دون أن تتجاوز هذا الدور إلى فضاءات أوسع من العمل الوطني أو النضال السياسي المباشر، ناهيك عن سياسة البصائر مع كُتّابها من رقابة مضاعفة خوفاً من المقص الاستعماري أو الحجر على نشاطها.

من جهة أخرى، فإن الكاتبات اللاتي تبناهن الاحتلال الفرنسي لم يكن وضعهن أكثر حرية، بل كان خطابهن موجّهاً وفق أجندة استعمارية تسعى لإنتاج نموذج "المرأة الجزائرية المتحررة" وفق المعايير الفرنسية، بدلاً من التركيز على قضايا التعليم والهوية الوطنية، جرى دفعهن للحديث عن "تحرير المرأة" وفق النموذج الغربي، بعيداً عن

¹ مولود عومر، (18 ماي 2014)، أقلام نسوية في جريدة البصائر 1947-1956، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، استرجعت في تاريخ

29 جوان 2022، من الموقع الإلكتروني: https://binbadis.net/archives/824?utm_source=chatgpt.com

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

السياق الثقافي الجزائري، مع تجاهل القضية الوطنية الكبرى المتمثلة في الاحتلال ذاته، وهكذا، سواء في الصحافة الإصلاحية أو الصحافة الاستعمارية، لم تكن الكتابات يملكن حرية الطرح المطلق، بل تحركن ضمن حدود رسمتها الجهة التي احتضنت كتاباتهن، سواء كانت جمعية العلماء أو الإدارة الاستعمارية.

ورغم القمع الذي مارسته السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، فإن هذا القمع ذاته كان دافعاً غير مباشر لظهور كتابات جزائريات وجدن في الكتابة ملاذاً للتعبير عن ذواتهن وهوياتهن المهددة، فالتهميش والإقصاء الذي فرضه الاحتلال، إلى جانب التحديات الاجتماعية، دفع بعض النساء إلى استخدام القلم كسلاح لمواجهة الظلم وكسر القيود المفروضة عليهن، لقد أصبحت الكتابة وسيلة لإثبات الوجود، وتوثيق المعاناة، ومقاومة الطمس الثقافي، وهو ما يظهر بوضوح في أعمال كتابات مثل فاطمة آيت منصور عمروش.

تأثرت فاطمة آيت منصور عمروش بالسياسة الاستعمارية الفرنسية على مستويات متعددة، أبرزها المنفى اللغوي والثقافي، وفرض الاحتلال الفرنسي هيمنة لغته، ما أجبرها على التعبير بالفرنسية بدل الأمازيغية، لغتها الأم، هذا الأمر خلق لديها شعوراً بانفصال عن جذورها، خاصة مع اعتناقها المسيحية في ظل هيمنة المبشرين الفرنسيين، مما جعلها تعيش غربة مزدوجة بين مجتمعها الأمازيغي المسلم والمجتمع الفرنسي الذي لم يمنحها القبول الكامل، هذا الاغتراب اللغوي والديني جعلها في صراع دائم مع هويتها، حيث حاولت عبر كتاباتها توثيق تراثها الأمازيغي للحفاظ على ذاكرته الجماعية رغم محاولات الطمس الاستعمارية.

كما فرض عليها الاحتلال منفى جغرافياً واجتماعياً، حيث اضطرت إلى التنقل بين الجزائر، تونس، وفرنسا، دون أن تشعر بالانتماء لأي مكان، علاوة على ذلك، فإن الإقصاء الذي عانتها، سواء من قبل الاحتلال أو من مجتمعها بسبب اختلافاتها الدينية والثقافية، جعلها تعيش كمنفية أبدية، وهو ما عبّرت عنه بوضوح في سيرتها قصة حياتي، ورغم ذلك، فإنها لم تستسلم لهذه العزلة، بل حولتها إلى أداة مقاومة، حيث وظّفت اللغة الفرنسية بأسلوب متمرد، محطة نقاءها ومُحمّلة إياها بخصوصية ثقافتها الأمازيغية، لتصبح بذلك من أوائل الأدباء الذين أعادوا تشكيل لغة المستعمر وجعلوها تنطق بهويتهم الأصلية¹.

مع اندلاع الثورة الجزائرية سنة 1954، شهدت الكتابة النسائية تحولاً جذرياً في وظائفها ومضامينها، إذ لم تعد مجرد تعبير ثقافي أو اجتماعي، بل أصبحت في بعض تجلياتها فعل مقاومة وشهادة مباشرة على العنف

¹ بوحلاط نادية، (12 نوفمبر 2022)، المنسية التي أسقطت عنوة من سجل الأدب والثقافة الجزائرية، صحيفة فكر: ثقافية أدبية إخبارية، استرجعت في تاريخ 16 جوان 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://elfikr.org>

الاستعماري، وفي هذا السياق تبرز التجربة الشعرية الفريدة لليلى جبالي، التي تمثل أحد أكثر الأصوات النسوية جرأة وندرة في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية خلال فترة الاحتلال.

تنتمي تجربة ليلى جبالي الشعرية إلى ما يمكن تسميته شعر الشهادة، إذ وُلد نصها الشعري في قلب التجربة القصوى، داخل فضاء السجن والتعذيب خلال حرب التحرير. فقد اعتُقلت سنة 1957 وتعرضت للتعذيب والاغتصاب، لتكتب قصيدتها الشهيرة (إلى معذّبي، الملائم د...). من داخل المحنة ذاتها، غير أن هذا النص لا يكتفي بتسجيل الألم، بل يحوّل التجربة الفردية إلى خطاب اتهام ومساءلة، تنتقل فيه الكاتبة من موقع الضحية الصامتة إلى موقع الذات المتكلمة التي تواجه جلادها وتفضح النظام الاستعماري الذي شرعن العنف ومارسه باسم السلطة¹.

يتميّز شعر ليلى جبالي بجرأته في كسر الصمت المرتبط بجسد المرأة، ولا سيما فيما يتعلّق بالعنف الجنسي، وهو من أكثر المواضيع المسكوت عنها في سياق الاحتلال والثورة معاً، لكنها لا تلجأ إلى المباشرة الفجّة، بل تعتمد لغة إيحائية مكثفة وصورة شعرية مشحونة، تجعل من الجسد المعنّف موقعاً للذاكرة والمقاومة في آن واحد، كما يتسم نصها باقتصاد لغوي وكثافة دلالية، حيث يتجاوز العنف الجسدي مع نبذة هادئة شبه يومية عند الحديث عن عالم الجلال، في مفارقة أسلوبية تعمّق الأثر الصادم للنص.

تتجاوز التجربة الشعرية لدى ليلى جبالي حدود التعبير الفردي لتلامس أفقاً جماعياً وإنسانياً أوسع، إذ لا تخاطب الجلال وحده، بل تكتب وفي ذهنها مناضلون آخرون ونساء أخريات، بل وحتى نساء المجتمع الاستعماري نفسه، وبذلك يتحول الشعر لديها إلى أداة نضالية، ووسيلة مبكرة للمساءلة الأخلاقية وحفظ الذاكرة، ما يجعل نصها إسهاماً رائداً في الأدب النسوي المقاوم للاستعمار، وفي إدخال التجربة النسائية المعنّفة إلى صلب السردية الوطنية.

تُظهر تجربة الكاتبات الجزائريات في ظل الاحتلال الفرنسي تعقيداً مزدوجاً من التهميش: تهميش استعماري فرضته السلطة الفرنسية، واجتماعي فرضه المجتمع المحافظ الذي قلّص دور المرأة، حيث كانت المرأة الجزائرية تعاني ليس فقط من التجهيل الممنهج الذي مارسه الاحتلال، بل من إقصاء اجتماعي وثقافي قلل من فرصها في التعبير والكتابة، ورغم هذا السياق القاسي، برزت أسماء مثل إليسا رايس التي شكّلت حالة استثنائية، لا فقط لأنها كتبت بالفرنسية وحققت انتشاراً في باريس، بل لأنها قدّمت نفسها ضمن هوية ثقافية مزيفة وظفت فيها الغرائبية الشرقية لتجد لنفسها موطئ قدم في الأدب الاستعماري، ومع أن صالونها الأدبي كان أشبه بامتياز نادر لا يعكس واقع

¹ Priya Narismulu, «For my Torturer: An African Woman's Transformative Art of Truth, Justice and Peace-Making during Colonialism», *Journal of International Women's Studies*, vol13, n° 4, September 2012, pp. 67-81.

أغلب الجزائريات، إلا أن وجودها، شكّل بذرة مبكرة لحضور نسوي في فضاء الكتابة، ولو مشروطاً بسياقات استعمارية واستشراقية بذلك، فإن تأخر بروز الأدب النسائي في الجزائر لم يكن وليد الغياب الطبيعي أو الانغلاق المجتمعي فحسب، بل نتيجة مباشرة للسياسات الاستعمارية التي استهدفت البنية الثقافية والتعليمية، مما جعل الطريق أمام الكاتبات طويلاً وصعباً، حتى بدأت الأصوات النسوية في الظهور بقوة لاحقاً، لتستعيد حقها في الحضور والتمثيل ضمن الذاكرة الجماعية والثقافية للأمة الجزائرية.

2. نماذج للكتابات النسائية

1.2. الكتابات السردية

1.1.2. تحديات التعبير وتعدد الهويات في كتابة فاطمة آيت عمروش

تُعد فاطمة آيت منصور عمروش من الأسماء البارزة في المشهد الأدبي الجزائري النسائي، لا سيما لما تمثلته من تجربة فريدة تعكس تداخل الهويات الثقافية والدينية واللغوية في ظل الاحتلال الفرنسي.

فاطمة آيت منصور عمروش هي كاتبة وشاعرة جزائرية وُلدت في أواخر القرن التاسع عشر (1882 تقريباً) في منطقة القبائل بالجزائر، فاطمة في عائلة أمازيغية مسلمة في الجزائر، وتعرضت لصعوبات عديدة في حياتها نتيجة التقاليد الاجتماعية الصارمة والفقر، اعتنقت المسيحية بعد زواجها من بلقاسم عمروش، ما أثار الكثير من الجدل في مجتمعها القبائلي المسلم، ومع ذلك، استمرت في حياتها وسط هذه التحديات الاجتماعية والدينية، وقد هاجرت إلى تونس حيث عاشت مع أسرتها، وهناك بدأ أبنائها في تحقيق نجاحاتهم الأدبية والفنية، وتوفيت سنة 1967 في فرنسا، وهي والددة لأبناء مشهورين في الأدب الجزائري، فابنها الشاعر والكاتب جان عمروش وابنتها الكاتبة والمغنية مارغريت طاوس عمروش¹.

كتبت فاطمة مذكراتها في كتاب بعنوان "قصة حياتي" (Histoire de ma vie)، والذي يعكس حياة النساء الجزائريات في ظل الاحتلال الفرنسي، من خلال هذا الكتاب، تسلط الضوء على التقاليد الأمازيغية والموروثات الثقافية والعادات التي كانت جزءاً من حياتها، كما يعكس الكتاب صراعاتها كأم وامرأة في مجتمع محافظ، بالإضافة إلى تعاملها مع الفقر والاضطهاد الاجتماعي².

¹ Kamal Medjedoub,(2023), *De Aïni à Marie-Corail : l'image de la femme rebelle dans deux récits autobiographiques de Fadhma et Taos Amrouche*, Insaniat, consulté le 18 novembre 2024, sur le site: <https://doi.org/100E.4000/11o1l>

² F.Menssour, Op.cit.

ولقد اختارت الباحثة سناء إلهي بن الحاج سالم، فاطمة آيت منصور عمروش كنموذج لرائدات تحرير المرأة العربية، لتكون نموذجًا بارزًا في كتابة السيرة الذاتية، وهو نوع أدبي ينتمي إلى الكتابة الغربية، ألقت مذكراتها بعنوان "قصة حياتي"، حيث عكست تجربتها الذاتية ببصيرة فريدة، وقد اعتبرتها إحدى الرائدات في الكتابة النسوية، إذ تناولت قضية تحرر المرأة بجرأة، وكانت سبّاقة في الاعترافات التي دونتها في سيرتها، ما لفت الانتباه في كتابتها هو شفافيّتها، وصدقها، وصراحتها العميقة في التعبير عن همومها وأحزانها، وكذلك عن المصاعب التي واجهتها، وعن نظرة الآخرين القاسية إليها، فالسيرة الذاتية بطبيعتها تستثير فضول القارئ واهتمامه، وقد تمرت فاطمة فكريًا ونفسيًا على وضع المرأة القبائلية، واختارت ما أطلقت عليه الناقدة زهرة الجلاصي "نقا أنثويًا"، أو بتعبير آخر "الكتابة الأنثوية"، كوسيلة لانعتاقها وتحررها وتعميق وعيها، تحملت أعباءً جسيمة، ولم تقتصر معاناتها على وضعها كمرأة، بل عانت من خطيئة لم ترتكبها، إذ كانت ثمرة علاقة غير شرعية، مما جعلها منبوذة في مجتمعها القبائلي، وشعرت بالغربة النفسية واللغوية، فاللغة القبائلية لم تكن فقط حاجزًا بينها وبين الآخرين، بل زادت من إحساسها بالانعزال، حتى في المجتمعات العربية الإسلامية، حيث لم يعترف بها مجتمعها القبائلي، ولفظتها المدرسة البابوية "البياصات"¹.

لقد عانت فاطمة بعد زواجها من بلقاسم عمروش من التهميش وسوء الفهم، ولم تجد تقبلاً لوضعها، بل كانت تعامل بازدراء حتى من أبناء دينها المشترك، وعندما انتقلت إلى تونس، لم تستطع التأقلم، بل زادت غربتها بسبب اللغة، فقد نشأت على التحدث بالقبائلية فقط، ما جعلها أكثر عزلة في بيئة عربية، وزاد من معاناتها ضعف دخل زوجها، مما اضطرها إلى كتابة رسائل التهئة في بداية كل عام إلى عرابي أبنائها ومعارفها، على أمل الحصول على دعم مالي، فالقيود الذكورية كبّلت القلم النسوي، لكنها اختارت كتابة سيرتها الذاتية كأداة لكشف قضايا المرأة العربية والقبائلية، مناصرةً لحقوقها، مستلهمةً أفكارها من الكتاب الغربيين الذين كانوا رموزًا للفكر الحديث والثورة الفرنسية، منذ طفولتها، وجدت في المدرسة نافذتها على العالم، حيث قرأت لفكتور هوغو، ألفونس دوديه، فرنسوا كوبيه، ودرست أعمال مولير وراسين ولافونتين، لكنها عادت إلى البيت محبطة بعد أن فقدت هذا العالم².

لم تشعر فاطمة يومًا بالانتماء إلى أي مكان، بل لاحقها إحساس دائم بالنفي، وعدم التكيف مع محيطها، زاد من غربتها كونها مسيحية في مجتمع قبائلي مسلم، مما جعلها موضع شك وريبة دائمة، لقد كانت شخصية إشكالية، تعيش اغترابًا مأساويًا بسبب هويتها اللغوية والدينية، فهي فرد من أقلية غير معترف بها، وتحمل وصمة

¹ سناء إلهي بن الحاج سالم، رائدات... المرجع السابق، ص 88.

² نسيم بن عباس، السيرة النسوية فاطمة أمنصور عمروش نموذجًا، الكتابة النسوية: الخطاب والتمثيلات، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع 14، 27 جوان 2017، ص 339.

"اللقطة"، بلا أصول شرعية أو قانونية، وسط هذا التمزق الفكري والنفسي، كتبت مذكراتها محاولةً فهم ذاتها وتاريخها.

إن تجربة فاطمة آيت عمروش، بما تحمله من ثراء لغوي وثقافي وديني، تُبرز مأزق الهوية في سياق استعماري ومجتمع محافظ، وتشكّل نموذجًا مبكرًا لما يسمى اليوم بالكتابة النسوية المتقاطعة (Intersectionnelle)، حيث تتداخل العوامل الجندرية والدينية والثقافية في تشكيل صوت الكاتبة، لتتحول الكتابة إلى فعل وجودي يستعيد به المهمش حضوره، ويطالب بحقه في السرد والاعتراف.

2.1.2. قراءة في خطاب ليلي بن ذياب حول تعليم المرأة

في المقال بعنوان "تعليم المرأة" هو نص أدبي فلسفي للكاتبة ليلي بن ذياب، نُشر في جريدة البصائر بتاريخ 31 أكتوبر 1949، في العدد 93، في الصفحة الرابعة عشر¹.

أن تكتب امرأة باسمها الحقيقي خلال فترة الاحتلال الفرنسي، في ظل قلة النساء الكاتبات أو المتعلّمات، هو فعل جريء يتجاوز حدود الكتابة ليصبح موقفًا مقاومًا ضد هيمنة الاحتلال والمجتمع الذكوري معاً، في وقت كان فيه حتى الرجال يختارون التخفي وراء أسماء مستعارة خوفاً من القمع الاستعماري أو القيود الاجتماعية، نجد ليلي بن ذياب تبرز باسمها في جريدة إصلاحية، مما يعكس وعيها العميق بأهمية الحضور النسائي في المجال الفكري والصحفي، ووعي العائلة التي خرجت منها، لقد مثلت كتابتها إثباتاً للذات في فضاء كان يُنظر فيه إلى المرأة ككائن تابع، ما يجعل اختيارها للكشف عن هويتها بمثابة تحدٍّ مزدوج للسلطة الاستعمارية وللأعراف الاجتماعية التي حدّت من دور المرأة في الحياة العامة.

ليلى بن ذياب هي إحدى الكاتبات الجزائريات اللواتي برزن في الصحافة الإصلاحية، وخصوصاً في جريدة البصائر، وُلدت عام 1934 في عرش أولاد بليل العربي بين عين بسام وسور الغزلان، وترعرعت يتيمة بعد وفاة والدتها وهي في سن الرابعة، تلقت تعليمها في قسنطينة وتونس، وكانت نشأتها متأثرة بوالدها أحمد بن الحاج صالح بن أحمد بن الصغير، الذي كان ناشطاً في مجال التعليم².

¹ ليلي بن ذياب، "تعليم المرأة"، البصائر، ع 93، 31 أكتوبر 1949، ص 14.

² عائدة جباطي، "ليلى بن ذياب وإسهاماتها في الصحافة الإصلاحية"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 08، ع 03، 28 نوفمبر 2024، ص 407.

برزت ليلي بن ذياب ككاتبة ومربية، حيث ساهمت بمقالات في الصحافة الإصلاحية منذ أواخر الأربعينيات، متناولة قضايا المرأة والتعليم والمجتمع من منظور إصلاحي، تأثرت بتيار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكانت ضمن أولى النساء اللواتي كتبن في البصائر إلى جانب زليخة عثمان إبراهيم ومليكة بن عامر وغيرهن¹.

تنقلت ليلي بن ذياب بين مختلف ولايات الوطن تبعًا للنشاط التعليمي لوالدها، أحمد بن ذياب، مما أتاح لها الاستفادة من البيئات العلمية التي عايشتها، وعند انتقال أسرتها إلى سيدي بلعباس، بلغت مستوى علميًا مكّنها من تعويض المعلمين الغائبين، كما بدأت في مراسلة جريدة الأسبوع التونسية، رغم عدم الإشارة إلى العناوين التي نشرتها، حيث اكتفى الباحث بوعزيز بتصنيف كتاباتها ضمن المقالات الأدبية والاجتماعية المتعلقة بحياة المرأة، في عام 1950، انتقلت العائلة إلى شلغوم العيد، وهو ما قرّبها من مركز الإصلاح في قسنطينة، حيث بدأت أولى خطواتها في التواصل مع البصائر والبشير الإبراهيمي، وفي عام 1951، التحقت بسلك التعليم في مدرسة إحياء العلوم الإسلامية، وهو المجال الذي واصلت فيه العمل بعد الاستقلال، حيث استمرت بالتدريس من عام 1963 حتى تقاعدها عام 1988².

بالعودة إلى المقال فهو يناقش قضية تعليم المرأة الجزائرية وأهميته في نهضة المجتمع، ويمكن تلخيص أفكاره الأساسية مع الاستشهاد بنصوص منه كما يلي:

- دور المرأة في الأسرة والمجتمع: تشير ليلي إلى أن المرأة هي الأساس في بناء الأسرة والمجتمع، فهي التي تتحمل مسؤولية تربية الأطفال وتنشئتهم على القيم الحسنة، فتقول: " المرأة في قوام المنزل وربة الدار، وأم الأشبال، ودعامة الأسرة، وهي القدوة الحسنة لأبنائها إذا صلحت"³
- أهمية التعليم للمرأة: ترفض الكاتبة الفكرة القائلة بأن المرأة ليست بحاجة إلى التعليم، وتؤكد أن الجهل يقيددها، بينما يحررها العلم ويمنحها القدرة على أداء دورها بفعالية، فتقول: "فإن من واجبها علينا أن عليها حقها من الحرية، وأن ندع لها الفرصة لأخذ قسطها من التعليم، ونبل نصيبها من الثقافة السامية، والآداب الرقيقة، لتخرجها من ظلمات الجهل، وتفكها من قيوده"⁴

¹ مولود عومر، (02 ماي 2016)، نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، استرجعت في تاريخ 29 جوان 2022، من الموقع الإلكتروني: <https://binbadis.net/archives/1648>

² يحيى بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر، 2000، ص ص 44-47.

³ ليلي بن ذياب، "تعليم المرأة"، المصدر السابق، ص 14.

⁴ نفسه.

ثم يدحض مقال ليلى الفكرة القائلة بأن المنزل لا يحتاج إلى تعليم، مشيرًا إلى أن الأم المثقفة قادرة على تنشئة جيل صالح، فتقول: "أليس المنزل هو المدرسة الأولى للطفل، التي يتلقى فيها الأدب الحسن والأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة؟"¹

- حاجة المجتمع إلى النساء المتعلمات: تشير الكاتبة إلى نقص المعلمات والممرضات والقابلات في الجزائر، ما يضطر المجتمع للاعتماد على الرجال أو الأجنيبات، مؤكدة أن الحل يكمن في تعليم الفتيات: "كيف أننا في أشد ما تكون الحاجة، إلى الكثيرات من المدرسات للتدريس في مدارس البنات، وكيف أن هذه المهمة أخذ يؤديها الرجل مع أنها ليست من شأنه؟"²

- التعليم كوسيلة للنهوض الوطني: تربط الكاتبة بين تقدم الجزائر وتعليم الفتيات، مؤكدة أن ذلك هو السبيل لتحقيق الرقي والمساهمة الفعالة في بناء الأمة، فتقول: "فيا أيها الوطن العزيز إذا كنت تريد أن تنهض، ويا أيتها الأمة إذا كنت تودين أن تكوني من الأمم الراقية... فإن خير وسيلة تساعدك على نيل مبتغاك، والوصول إلى غايتك، هي أن تعلمي أبناءك وبناتك"³

- دعوة النساء المتعلمات لنشر الوعي: يختتم المقال بدعوة النساء اللواتي حصلن على التعليم إلى نشر الوعي بين الفتيات الأخريات، وحثهن على الالتحاق بالمدارس: "وأخيرًا أود أن أقول لبعض النساء المتعلمات، أن يعلمن الجاهلات، وللفتيات اللواتي لا يزاولن التعليم أن ينصحن أخواتهن إلى الطريق المستقيم"⁴

يعكس المقال وعيًا مبكرًا بأهمية دور المرأة الجزائرية في بناء المجتمع، ويعكس موقف الصحافة الجزائرية في تلك الفترة من قضايا التحديث والإصلاح الاجتماعي، خاصة في ظل السياسات الاستعمارية التي سعت إلى إبقاء المرأة الجزائرية في حالة من الجهل والتمهيش.

فقد شهد التعليم النسوي في الجزائر، بفضل جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نقلة نوعية منذ ثلاثينيات القرن العشرين، حيث بدأ متواضعًا لكنه تطور تدريجيًا ليشمل آلاف الفتيات، فقد وافق الأولياء على إرسال بناتهم إلى المدارس بعد أن رأوا انخراط المعلمين في تعليم بناتهم، ومن بينهم ليلى فهي ابنة المعلم أحمد ابن ذياب، ومع الوقت، التحقت النساء بسلك التعليم وأصبحن مدرسات في المدارس الإصلاحية، كما فتحت الجمعية

¹ نفسه.

² نفسه.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

مدارس خاصة للبنات، تقدم تعليمًا علميًا وعمليًا في مجالات مثل الخياطة والطبخ، مما ساعد على تمكين المرأة الجزائرية في مختلف المجالات، وبرزت أيضًا مبادرات لإرسال الطالبات المتفوقات في بعثات علمية إلى سوريا ومصر، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الثانية عرقل تنفيذ هذه الخطط.

من بين النساء الرائدات في مجال التعليم والإصلاح الثقافي، تبرز ليلي بن ذياب، التي تلقت تعليمها على يد والدها، الشيخ أحمد بن ذياب، أحد أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بدأت ليلي الكتابة في الصحافة التونسية ثم الجزائرية، بدعم من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وساهمت في نشر الفكر الإصلاحي، كما عملت في التدريس، واستمرت في النشاط الثقافي والتربوي حتى تقاعدها، تعكس تجربتها دور المرأة الجزائرية في نشر المعرفة ومواجهة التحديات الاستعمارية عبر التعليم والصحافة، مما جعلها نموذجًا للمرأة المثقفة والملتزمة بالقضية الوطنية¹.

2.2. الكتابات الشعرية والغنائية:

1.2.2. قصيدة عنابة لآنا غريكي

ولدت أنا غريكي في 14 مارس 1931 في مدينة منعة بباتنة، حيث قضت جزءًا كبيرًا من طفولتها وشبابها، كان والدها مدرسًا، وحسب محمد مزاتي، انتقلت لاحقًا إلى العاصمة وأصبحت مناضلة في جبهة التحرير الوطني، في عام 1957، حيث خصصت منزلها ليكون مقرًا لاجتماعات قادة الحزب الشيوعي الجزائري، دفعها شغفها بالتغيير إلى التعبير عن غضبها من خلال الكتابة، خاصة بعد استشهاد صديقها أحمد إينال على يد الجيش الفرنسي في غابات الغرب الجزائري عام 1956، أهده قصيدة تحمل كلماتها: "حي أكثر من حي، في قلب ذاكرتي وقلبي"، وفي العام التالي، تم اعتقالها وسجنها في سجن بربروس، حيث اعتقلت من قبل مظليي ماسو بسبب دعمها للثورة التحريرية، وشُجنت لمدة عامين وهي في السادسة والعشرين من عمرها، حيث تعرضت للتعذيب، ثم نُقلت إلى معسكر بني مسوس قبل أن تُرحّل من الجزائر، خلال نفيها، نشرت مجموعة من قصائدها²، وقد عادت إلى الجزائر بعد الاستقلال وأكملت دراستها في عام 1965، ثم عملت مدرسة للغة الفرنسية في المدرسة الثانوية عبد القادر في الجزائر العاصمة، توفيت عام 1966 وهي في الخامسة والثلاثين من عمرها، تاركة خلفها نصوصًا لم تكتمل³.

¹ مولود عويمر، (02 ماي 2016)، نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، استرجعت في

تاريخ 29 جوان 2022، من الموقع الإلكتروني: <https://binbadis.net/archives/1648>

² Zina Saidi, (05 December 2024), "Rencontre avec les fondateurs d'Ici-là-bas", Hypothèses, consulté le 8 décembre 2024, sur le site : <https://icilabas.hypotheses.org/408>.

³ Anna Greki, *Ou l'amour avec la rage du cœur*, Koukou Éditions, Chéragea Banlieue-Algérie, 2023, p 10.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

ألّفت آنا غريكي أشعارًا تندد بالاحتلال، مستعينة باللغة الفرنسية، لغة النظام الذي ناضلت ضده، ورغم وعيها العميق بالتناقض الكامن في استخدام لغة المستعمر للتعبير عن معاناة الجزائريين، ورفضت الاستسلام للصمت، واختارت مواجهة العنف بسلحها الوحيد: الكتابة¹.

إن سبب إدراجنا للشاعرة آنا غريكي مع الجزائريين كونها ولدت في الجزائر وتعترف بأنها جزائرية، حتى بعد نفيها إلى فرنسا لتذكيرها بأصلها بعد وقوفها مع الثورة، عادت إلى الجزائر وتزوجت جزائريًا ولكنها غادرت الحياة مبكرًا وهي على فراش الولادة، آنا رغم سحتتها الأوروبية كانت كل أهوائها جزائرية، حتى شعرها كان جزائريًا، وأمامنا قصيدة كتبتها سنة 1956، وقد نشرت آنا غريكي عدة أعمال أدبية نلخصها في الجدول الآتي:

جدول رقم (16): لكتابات الأدبية للكاتبة آنا غريكي²:

اسم النص	جنسه الأدبي	تاريخ النشر	الناشر
قصائد من السجون ³	شعر	أفريل-ماي 1960	مجلة الزمان
المدانون في الأرض ⁴	مقابلة	13-19 ديسمبر 1961	مجلة شباب أفريقيا
الأمل والكلمة ⁵	شعر	1963	سهر، باريس
مجموعة "أطالب بالكلمة" ⁶	شعر	1963	الجزائر SNED
أوقات حاسمة ⁷	مقال	1966	الحضور الأفريقي
ديوان القلق والأمل ⁸	شعر	1991	الجزائر ENAG

تعكس كتابات آنا غريكي قبل استقلال الجزائر التزامها العميق بالقضية الوطنية، حيث شكل شعرها وأعمالها الصحفية صوتًا للمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، يظهر ذلك جليًا في قصائد من السجون (1960)، التي نقلت من خلالها معاناة المعتقلين السياسيين، وفي مقابلتها المدانون في الأرض (1961)، التي تبدو متأثرة بأفكار فرانز

¹ Zina Saidi, (05 December 2024), "Rencontre avec les fondateurs d'Ici-là-bas", Hypothèses, consulté le 8 décembre 2024, sur le site : <https://icilabas.hypotheses.org/408>.

² من إعداد الطالبة وردة عي.

³ A.Greki, Op.cit.

⁴ A.Greki, Op.cit.

⁵ دينيز بارات، "الأمل والكلمة"، قصائد جزائرية جمعها دينيز بارات، برسومات بناتر، باريس، سهر، 1963 (المعسكر، الأمل، مناه من الأوراس، مع الغضب في القلب والمستقبل للغد، كتبت في 1958 "في السجن المدني في بربوس"؛ الحرية، كتبت في جويلية 1962)

⁶ Anna Greki, **Algérie capitale Alger**, collection J'exige la parole, SNED, édition bilingue français/arabe, Tunis, 1963.

⁷ Anna Greki, **Temps forts**, Paris, Présence africaine, 1966.

⁸ آنا غريكي، بداية رواية غير مكتملة (نشرت في "ديوان القلق والأمل"، جماعي، بإدارة كمال عاشور، الجزائر، ENAG للنشر، 1991).

فانون حول الاحتلال والقمع، نشر أعمالها في مجلات ذات توجهات تقدمية مثل الزمان وشباب أفريقيا يشير إلى ارتباطها بالحركة التحررية الجزائرية ودورها في إيصال صوت النضال إلى دوائر أوسع.

بعد الاستقلال، اتجهت غريكي إلى تأملات أكثر عمقاً حول الواقع الجديد، حيث انتقلت من الشعر الثوري إلى التحليل السياسي والاجتماعي، يتضح ذلك في مجموعتيها الشعريتين الأمل والكلمة و"أطالب بالكلمة" (1963)، اللتين تعكسان تطور رؤيتها بعد الاستقلال، إضافة إلى مقالاتها في الحضور الأفريقي (1966)، حيث تناولت قضايا الاحتلال الجديد والتحديات السياسية في الجزائر وأفريقيا، ويعكس هذا التحول وعيها بدور المثقف في المرحلة ما بعد الاحتلال، إذ لم تكتفِ بالاحتفاء بالحرية المكتسبة، بل سعت إلى تحليل تعقيداتها وتناقضاتها. وعن قصيدة "عنابة"¹ للشاعرة الجزائرية أنا غريكي تعبر عن مشهد ليلي في الجزائر، وتتسم بغنى الصور الشعرية والرمزية، في الفقرات التالية قمنا بتحليل الأبيات، بعد ترجمة القصيدة من الفرنسية، حيث تقول أنا²:

في الليل ينحدر الشجر إلى السهول

تبدأ الشاعرة بوصف الليل، حيث يبدو أن الشجر ينحدر إلى السهول، هذه الصورة تعبر عن هدوء الطبيعة واستعدادها للراحة، كما قد تكون إشارة إلى السكينة والانسياية التي يجلبها الليل.

ليل جانفي بالجزائر

تشق سكونه أصوات أولى غرائق السنة

هنا تشير الشاعرة إلى شهر جانفي في الجزائر، حيث يتخلل سكون الليل أصوات الغرائق، وهي طيور مهاجرة، هذه الصورة ترمز إلى التجدد والبدائيات الجديدة مع قدوم العام الجديد.

إن جسمك يفوح منه شذى النرجس

وتتوتر بأعصابه أحلام الربيع

تصف الشاعرة الشمس كأنها تفوح برائحة النرجس، مما يعكس جمال ودفء النهار، وتشير "أحلام الربيع" إلى التوقعات والتطلعات للأيام القادمة، مع توتر ينبع من انتظار قدوم الربيع وجماله.

والنجوم، في هلال كالألئ البنفسج

¹ أحمد حمدي، أحاديث مع رواد...، المرجع السابق، ص 167.

² Abderrahmane Djelfaoui, Anna Gréki Les mots d'amour, les mots de guerre, casbah éditions, Algérie, 2021, p 10.

تعلن ما هو آت من ثلوج

هنا تتخذ النجوم شكل الهلال وتضيء السماء بألوان بنفسجية، في إشارة إلى الشفق أو ربما إلى برودة الشتاء الذي يبشر بالثلوج القادمة، هذه الصور تجمع بين الجمال والتوقع لما سيأتي.

والرضع يتقيؤون حليب الأمهات!

هذه الصورة المفاجئة تظهر واقع الحياة اليومية، حيث الأطفال الرضع يتقيؤون حليب الأمهات، قد تكون هذه الصورة رمزية للحياة الطبيعية والصعوبات اليومية التي تواجه الأسر خاصة وأن الثورة قائمة وفي أحلك أيامها على الطرفين الجزائري والفرنسي.

إنها ساعة الأنباء وغداء الأسرة

متواريا بين الحيطان.

تختتم الشاعرة بوصف وقت الأخبار وغداء الأسرة المخفي بين الجدران، هذا يعكس مشهداً منزلياً دافئاً وحميمياً، لكنه قد يحمل أيضاً معنى أعمق يتعلق بخصوصية الحياة الأسرية وما يجري خلف الأبواب المغلقة.

تستخدم الشاعرة رموزاً متعددة مثل الشجر، الغرائق، الشمس، النجوم، والرضع لتصوير مشاعر وأفكار متعددة، كل رمز يحمل معنى خاصاً ويضيف بعداً جديداً للنص، تتناول القصيدة التباين بين سكون الليل والحركة الداخلية للطبيعة والأحلام الإنسانية، هذا التباين يعكس التوتر الداخلي والهدوء الخارجي، تجسد القصيدة التناقض بين الجمال الشاعري للطبيعة والواقع اليومي للحياة الأسرية، مما يضيف على النص عمقاً وتنوعاً في المشاعر.

قصيدة "عنابة" تجمع بين الصور الجميلة للطبيعة والتفاصيل الواقعية للحياة اليومية، مما يعكس رؤية شاملة وعميقة للعالم من حول الشاعرة، تبرز القصيدة جمال اللحظات البسيطة وتفاصيل الحياة العادية، مع توظيف رائع للرموز والصور الشاعرية.

2.2.2. قصيدة بستان الصيف بيرث بنيشو-أبولكر

القصيدة "Verger d'été" من تأليف بيرث بنيشو-أبولكر (Berthe Bénichou-Aboulker)، ونُشرت في مجلة "الحوليات الأفريقية" (Les Annales africaines)، في العدد التاسع عشر، في الجزائر، في الفاتح من أكتوبر من سنة 1935¹.

بيرث بنيشو-أبولكر كانت شاعرة وكاتبة جزائرية يهودية، عُرِفَتْ بأعمالها الأدبية التي استلهمت من الطبيعة والثقافة الجزائرية، وغالبًا ما عبّرت عن ارتباطها العميق بالمكان والبيئة المحلية في كتاباتها، وُلدت بيرث بنيشو-أبولكر في وهران عام 1886 لعائلة يهودية بارزة، تلقت تعليمًا فرنسيًا، وتزوجت في سن الثانية والعشرين، وأنجبت أربعة أطفال، كانت موسيقية، مغنية، ورسامة، وشاركت بفاعلية في الأوساط الفكرية اليهودية بالجزائر، نشرت عدة مجموعات شعرية ومسرحيات، وأصبحت أول كاتبة تُنشر في الجزائر بعد إصدار مسرحيتها: الكاهنة، ملكة البربر عام 1933، خلال الحرب العالمية الثانية، دعمت هي وعائلتها الحلفاء في التحضير لإنزال القوات الأمريكية في الجزائر عام 1942².

بالعودة إلى القصيدة، فقد كُتبت ونُشرت باللغة الفرنسية³، وقد قمنا بترجمة القصيدة لتحليلها، حيث تقول فيها⁴:

ينحني شجر المشمش تحت ثَقْلِ ثماره العنبريّة
يبسّطُ ظلاله الوارفة فوق ملفوفٍ ضخم،
تبدو رؤوسه الغريبة متفتحةً فوق التربة الداكنة
أتقدم بخطى وئيدة،
تحت أغصانٍ مثقلةٍ بالإجاص،
ألامسُ بيدي تلك الاستدارات الناعمة،
فألمس فتنة البستان الموشى بالضوء والظلّ
في الهواء، يعطر الندى الأجواء،
ويهتزُّ شجرُ اللوز المثلّقل بثماره،

¹ Berthe Bénichou-Aboulker, « Verger d'été », *Les Annales africaines*, Alger, n° 19, 1er octobre 1935, p335.

² Michele Bitton, (27 February 2009), **Berthe Bénichou-Aboulker 1886–1942**, Jewish Women's Archive , Consulted on November 30, 2024, on the website: <https://jwa.org/encyclopedia/article/benichou-aboulker-berthe>

³ الملحق رقم 18

⁴ B.Bénichou-Aboulker, Op.cit, p335.

فيما يتوهجُ خوُجُ فرنسا الوردِيّ،
مُسْتَفِزًّا الشَّمْسَ فوق أراضِي البُلَيْدَةِ
الخوُجُ الذَهَبِيّ والمِرَابِيلِ،
كأحجارِ الأَمْتِسَتِ والآلِيّ المتألُّةِ،
تتدثّرُ بأوراقِ الكَرْفَسِ، والشَّبَتِ،
والسَّبَانِخِ، والفَجَلِ الحارِّ
تفيضُ الحَيَاءُ بعصارتِها،
فيحلمُ دبورٌ فوق عُنُقودِ عنبِ،
وفي زُرْقَةِ السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ،
تنشالُ خيوطٌ من عسلِ الشَّمْسِ

تُظهر قصيدة "بستان الصيف" لبيير بنيشو-أبولكر صورة شاعرية لطبيعة غنية ووافرة، حيث تصور بساتين الجزائر كواحة من الجمال والرخاء، مليئة بالأشجار المثمرة والثمار الناضجة التي تغمر الأرض بظلالها، في مشهد يتناغم فيه الإنسان والطبيعة، هذه الصورة الرومانسية تتناقض تمامًا مع الواقع الذي كان يعيشه الجزائريون عام 1935 تحت الاحتلال الفرنسي، حيث كانت الأراضي الزراعية الخصبة في الغالب مُصادرة لصالح المستوطنين الأوروبيين، بينما كان الفلاحون الجزائريون يُجبرون على العمل فيها في ظروف قاسية وبدون ملكية حقيقية لأراضيهم.

بينما تحتفي القصيدة بوفرة العنب والمشمش والخوخ والإجاص، كان الجزائريون يعانون من الفقر والتهميش بسبب السياسات الاستعمارية التي سلبت أراضيهم بالقوانين الجائرة مثل قانون 1873 (وارنييه)، الذي سهّل نقل ملكية الأراضي من الجزائريين إلى المستعمرين، كما أن هذه الوفرة الزراعية التي تصفها القصيدة لم تكن متاحة للجزائريين، بل كانت تصدر إلى فرنسا أو تباع في الأسواق التي لا يستطيع الجزائري العادي تحمل أسعارها.

أما على المستوى الاجتماعي، فإن أجواء الصفاء والتناغم التي تبثها القصيدة تتناقض مع واقع القهر الذي عايشه الجزائريون، حيث كانت السلطات الاستعمارية تفرض تمييزًا عنصريًا في التعليم والعمل والحقوق السياسية، مما أدى إلى تصاعد الحركة الوطنية بقيادة شخصيات مثل مصالي الحاج.

يمكن القول إن القصيدة تعكس رؤية استيطانية رومانسية للجزائر، حيث تبرز الطبيعة الساحرة دون الإشارة إلى المعاناة الحقيقية لسكانها الأصليين، وهذا يعكس المفارقة الاستعمارية، حيث يُنظر إلى الجزائر كمصدر للثراء والجمال في عيون المستوطنين، بينما كانت بالنسبة لأهلها أرضًا مسلوقة تحت سيطرة قوة استعمارية جائرة.

كون الشاعرة جزائرية يهودية، فإن رؤيتها للجزائر قد تتأثر بوضع اليهود الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية، فبينما كان الجزائريون المسلمون يعانون من نظام تمييزي استعماري حرّمهم من حقوقهم السياسية والاجتماعية، كان اليهود الجزائريون يتمتعون بالجنسية الفرنسية، مما منحهم امتيازات لم تكن متاحة للسكان المسلمين، هذا الانتماء ربما يفسر الرؤية المثالية في قصيدتها للطبيعة الجزائرية، التي تبدو وكأنها تحتفي بجمال الأرض دون التطرق إلى واقع الأهالي الذين كانوا يعانون تحت الاحتلال.

تصويرها لوفرة الطبيعة في الجزائر من خلال البساتين المثمرة قد يكون انعكاسًا لتجربتها كجزء من الطبقة المثقفة اليهودية التي عاشت بين الامتيازات الفرنسية والاستفادة من الوضع الاستعماري، في حين أن الجزائريين المسلمين كانوا محرومين من خيارات هذه الأرض، وكانوا يواجهون الإفقار والاستغلال نتيجة السياسات الاستعمارية.

في عام 1935، كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تمارس تمييزًا واضحًا في حرية التعبير، حيث سمحت لبعض الفئات، مثل اليهود الجزائريين والمثقفين الفرانكوفونيين، بالمشاركة في الصحافة والأدب، بينما قيدت بشدة أصوات الجزائريين المسلمين، خاصة أولئك الذين كانوا يدافعون عن الهوية الوطنية والاستقلال، نشر قصيدة بيرث بنيشو-أبولكر في مجلة "الحوليات الإفريقية" يعكس هذه السياسة الانتقائية، حيث أتيحت لها فرصة الكتابة في منصة ثقافية مرتبطة بالإدارة الفرنسية، في حين كانت الصحف الجزائرية الوطنية تخضع للمصادرة والرقابة المشددة.

يأتي هذا في سياق أوسع من السياسات الاستعمارية الفرنسية تجاه الصحافة والأدب، حيث كان يُسمح بالنشر للمثقفين الذين لم يشكلوا تهديدًا مباشرًا للاستعمار، بينما كان الجزائريون المسلمون يُمنعون من التعبير عن قضاياهم الوطنية، رغم أن اليهود الجزائريين، بعد مرسوم كريميو 1870، أصبحوا يتمتعون بالجنسية الفرنسية، إلا أن نشر أعمالهم في الصحافة الفرنسية يعكس أيضًا محاولة فرنسا إظهار صورة منفتحة زائفة للثقافة الجزائرية، في حين كانت تعمل على إقصاء الصوت الوطني الجزائري الذي كان يعارض الاحتلال ويدعو إلى التحرر.

بالتالي، فإن نشر هذه القصيدة في مجلة استعمارية لم يكن مجرد حدث أدبي، بل كان جزءًا من استراتيجية ثقافية استعمارية تهدف إلى إبراز بعض الفئات كواجهة ثقافية "متحضرة"، بينما تستمر في قمع الأصوات الوطنية الجزائرية التي كانت تسعى إلى مقاومة الاحتلال، هذا التناقض بين الإفصاح لبعض الأصوات وتكميم أفواه أخرى

يعكس مدى تحكم فرنسا في المشهد الثقافي الجزائري، بما يخدم أهدافها الاستعمارية في الحفاظ على نفوذها وهيمنتها على المجتمع الجزائري.

3.2.2. كتابة الأغاني للتعبير عن معاناة النساء

يمكن اعتبار أغاني الراي نوعاً من الأدب، إذ تتجاوز المفاهيم التقليدية للأدب التي تقتصر على الرواية والشعر، لتشمل أشكالاً تعبر عن تجربة الإنسان وواقع المجتمع، خاصة في الجزائر والمغرب العربي، تعالج أغاني الراي موضوعات الحياة اليومية مثل الحب، الألم، الفقر، والصراع الاجتماعي، وهي ذاتها المواضيع التي يتناولها الأدب، كما تتميز كلماها بعمق تعبيرى وصور شعرية تجعلها قريبة من الشعر الأدبي، ورغم التعالي الذي يظهره بعض الباحثين تجاه الأدب المكتوب بالعامية أو الموضوعات الجريئة، والذي يعود إلى تمسكهم بالقيم الأدبية التقليدية التي تفضل الفصحى وتعتبرها أكثر رقيًا، إلا أن أغاني الراي تمثل صوتاً حيويًا يعكس معاناة الشعب الجزائري وتطلعاته، خصوصاً خلال فترة الاحتلال، فهي ليست مجرد ترفيه، بل أداة مقاومة ثقافية تستخدم الموسيقى والكلمات للتعبير عن واقع الشعب بطريقة تحدت السلطات الاستعمارية، مما يجعلها جزءاً مهماً من تاريخ الأدب الجزائري في الفترة من 1900 إلى 1962.

الراي هو نوع من الموسيقى الشعبية التي نشأت في الجزائر في منطقة الغرب الجزائري، وتحديدًا في مدن مثل وهران، يتميز الراي بدمج عدة أنماط موسيقية، بما في ذلك الموسيقى العربية التقليدية، الأمازيغية، الغربية، والأندلسية، بالإضافة إلى تأثيرات من موسيقى البلوز والجاز، يعود أصل تسمية "الراي" إلى الكلمة العربية "رأي"، ويُعبر عن "الرأي" أو "الاعتقاد"، مما يشير إلى أن هذه الأغاني كانت وسيلة للتعبير عن آراء الشعب وهوموم¹.

بدأ فن الراي كنوع موسيقي شعبي في الأوساط البدوية والريفية، لكنه تطور خلال القرن العشرين ليصبح جزءاً أساسياً من الثقافة الحضرية الجزائرية والعربية، واكتسب شهرة واسعة في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، حيث تناول مواضيع متنوعة مثل الحب، الفقر، الحرية، والحياة اليومية، ولعب دوراً بارزاً في مقاومة الاحتلال الفرنسي والتعبير عن المعاناة الاجتماعية والسياسية، ليصبح أداة مهمة للحرية الثقافية والتعبير الشعبي، في الوقت الذي يشهد فيه العالم توجهاً نحو مواجهة الماضي بصدق وجراءة، لا تزال بعض البيئات الثقافية والتاريخية تكتّم على مواضيع حساسة، خاصة مآسي النساء خلال الاحتلال، إذ يُعزى هذا الصمت أحياناً إلى الرغبة في الحفاظ على صورة

¹ مها فجال، (11 جويلية 2017)، موسيقى الراي: من وهران الجزائرية إلى العالمية، الجزيرة نت، استرجع بتاريخ 28 نوفمبر 2024، من الموقع

الإلكتروني: <https://www.aljazeera.net/midan/art/music/2017/7/11/>

مشرفة للتاريخ، لكنه في الواقع إخفاء لجانب مظلم من جرائم الاحتلال التي استهدفت النساء بشكل خاص، ورغم محاولات بعض الأصوات لتسليط الضوء على هذه المآسي، بقيت خافتة ومهمشة، حتى برزت الشبيخة الريميتي بأغانيها التي عبرت بجرأة فنية عن معاناة النساء في فترة الاحتلال، مقدمة شهادة مهمة تدعو إلى مواجهة التاريخ بكل تفاصيله، بما في ذلك الجوانب المؤلمة والمظلمة.

سعيدة باضياف، المعروفة بالشبيخة الريميتي، كانت أيقونة فن الراي الجزائري بصوتها القوي ولهجتها البدوية وجرأتها في طرح مواضيع محظورة مثل الحب والجنسانية ومعاناة النساء، خصوصاً المهمشات، نشأت في غرب الجزائر وسط الفقر والامية، وعملت في المصانع قبل أن تنضم لفرق المداحات وتحقق شهرة واسعة¹، بدأت مشوارها الفني في أواخر الأربعينيات، وسجلت أول أسطوانة عام 1952، وحصلت على لقب "الريميتي" من عبارة فرنسية تعني "أعد لي ذلك"²، تميزت أغانيها بالتعبير الجريء عن قضايا النساء، وخاصة معاناتهن في ظل الاحتلال الفرنسي³، رغم تعرضها للتهميش الرسمي في الجزائر ومنع بث أغانيها، هاجرت إلى باريس في السبعينيات، حيث أصبحت صوت الجالية المغاربية ومعبّرة عن آلامهم وآمالهم، وحققت نجاحاً في أهم القاعات الفرنسية، هي لم تكن فقط مغنية بل كاتبة نصوص موسيقية تحفظها رغم أميتها، تعكس من خلالها الواقع الاجتماعي وتجارب النساء⁴، فتعتبر أغانيها جزءاً من الأدب الجزائري المقاوم، بالرغم من شهرة فناني الراي الذكور عالمياً، ما زالت مغنيات الراي يواجهن تحديات اجتماعية وأخلاقية في مجتمع محافظ، لكن الريميتي ظلت رمزاً للتحرر والتعبير عن حقوق النساء وواقعهن بكل جرأة وصدق⁵، وتُعد أغاني ريميتي وثائق فنية وأدبية تسلط الضوء على قضايا المرأة والمجتمع في الجزائر، وتبرز أهمية الاعتراف بها كجزء من التراث الثقافي والأدبي للبلاد، وبالعودة إلى أغنية التي تغنيها الريميتي والتي تشول فيها:

"يا جيش البحرية وكلايني الحوت

البحر حقرني⁶، أدالي فونارتي

¹ خولة الفرشيشي، (09 مارس 2021)، الشبيخة الريميتي.. قصة المرأة التي افتحمت "عالم النساء" المحرّم بالجزائر عبر فن الراي، موقع عربي بوست، استرجع بتاريخ 28 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://arabicpost.net/opinions/2021/03/09>

² Éliane Azoulay, (sans date), RIMITTI CHEIKHA (1923 env.-2006), Universalis, Encyclopædia Universalis, consulté le 28 novembre 2024, sur le site : <https://www.universalis.fr/encyclopedia/cheikha-rimitti/>

³ رحمة الحداد، (09 جويلية 2019)، مغنيات الراي.. حضور خجول وسط نبذ مجتمعي، الجزيرة وثائقية، استرجع بتاريخ 28 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://doc.aljazeera.net/art-and-youth/2019/7/9>

⁴ سعيد خطيبي، (د.ت)، الشبيخة ريميتي، "أم الراي وشاعرة الحواس"، بيت الموسيقى، استرجع بتاريخ 25 أبريل 2025 من الموقع الإلكتروني: <https://www.beit-almusica.org/article/80>

⁵ نفسه.

⁶ ظلمي.

نزور سيدي المجذوب ستار العيوب

دفنتها في الرملة على شط بوزفيل

دفنتها في الرملة وعزاني الحوت".

كتبت سعيدة باضياف في أغنياتها "يا جيش البحرية وكلايني الحوت" قصة مؤلمة لفتاة تعرضت للاغتصاب من قبل جندي فرنسي أثناء الاحتلال، حيث وصفت معاناتها من العار والإحراج ومحاولتها طلب الشفاعة عند أضرحة الأولياء الصالحين دون جدوى، قبل أن تكتشف حملها نتيجة الاعتداء، فتختار إجهاضه ودفن مولودها على شاطئ بوزفيل بوهران، معبرة بذلك عن حزنها العميق وألمها الكبير، ويُعد اغتصاب النساء الجزائريات من قبل الجنود الفرنسيين أحد أبشع جرائم الاحتلال، استخدم كوسيلة قمع وترهيب منهجية، مخلِّفاً جروحاً نفسية عميقة في المجتمع الجزائري، ولم تكن اعتداءات فردية بل جزءاً من سياسة استعمارية ممنهجة للإذلال والسيطرة.

موضوع اغتصاب النساء الجزائريات على يد الجنود الفرنسيين خلال الاحتلال يعد من القضايا المسكوت عنها في التاريخ الجزائري، بسبب أسباب اجتماعية وثقافية معقدة، رغم كونه جريمة استعمارية شنيعة تستوجب التوثيق والاعتراف بها، في النصف الثاني من القرن العشرين، بدأت محاولات كسر هذا الصمت عالمياً، خاصة في سياق الحروب والصراعات المسلحة، حيث تحول الاعتراف بمعاناة النساء الناجيات من العنف الجنسي إلى جزء من السرد التاريخي الهادف إلى إنصاف الضحايا ومواجهة إرث الحروب، كمثال على ذلك، هناك الفيلم الوثائقي "موضوع من المحرمات - النساء كغنائم الحرب العالمية الثانية" من إنتاج قناة "دويتشه فيله"، الذي يستعرض الانتهاكات الجنسية خلال الحرب العالمية الثانية في مناطق متعددة، ويقدم شهادات حية وتحليلات تاريخية تسلط الضوء على البعد الإنساني والسياسي لهذه الجرائم، وهدفه رفع الوعي وتوثيق معاناة النساء، أيضاً، تُعدّ "مذكرات امرأة في برلين" شهادة أدبية وتاريخية مؤثرة تكشف حجم المعاناة التي عانت منها النساء الألمانيات أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، خصوصاً خلال دخول الجيش السوفييتي إلى برلين عام 1945، نُشرت هذه المذكرات لأول مرة عام 1954، كتبها صحفية ألمانية مجهولة الهوية حفاظاً على خصوصيتها بسبب حساسية الموضوعات التي تناولتها¹.

في عام 2000، كسرت الفدائية لويزة إغيل أحرز² صمتها من خلال شهادة صادمة نشرتها صحيفة لوموند، تحدثت فيها عن تجربتها المؤلمة مع الاغتصاب والتعذيب النفسي والجسدي أثناء اعتقالها، وبعد نشر شهادتها،

¹ مجهول، امرأة في برلين، تر: ميادة خليل، دار المتوسط، ميلانو- إيطاليا، 2016.

² لويزة إغيل أحرز (1936): مناضلة جزائرية وُلدت بمدينة وحدة المغربية لعائلة أمازيغية قبائلية، تأثرت مبكراً بوالدها الذي كان ناشطاً في التوعية بمخاطر الاستعمار الفرنسي، وقرر العودة إلى الجزائر بعد مجازر 8 ماي 1945 للانضمام إلى الثورة، التحقت لويزة بجهة التحرير الوطني منذ اندلاع =

واجهت صعوبات اجتماعية ونفسية، منها رد فعل سلبي من أبنائها وتجاهل واتهامات من بعض رفاقها الذين اعتبروا كشفها لهذه الأسرار خيانة للثورة، لكنها أصرت على فضح الحقيقة، معتبرة أن الصمت كان عبئاً ثقيلاً، وأملت في فتح نقاش وطني حول هذه الجرائم، لاحقاً، نشرت مذكراتها تحت عنوان "جزائرية"، التي تجاوزت كونها شهادة تاريخية لتصبح دليلاً صارخاً على وحشية الاحتلال الفرنسي واستخدامه التعذيب ضد المناضلين، مما يؤكد جرائم الاحتلال ويندد بالأوهام التي يروج لها البعض عن "مزايا الاحتلال"¹.

ثانياً: الكتابة الأدبية التوثيقية

1. دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي:

1.1. مفهوم الكتابات التوثيقية

الكتابة الأدبية التوثيقية هي نوع من الكتابات التي تجمع بين الإبداع الأدبي والوظيفة التوثيقية، حيث يوظف الكاتب أساليب السرد الأدبي وتقنيات التعبير الجمالي لتسجيل وقائع تاريخية أو أحداث واقعية، مع الحفاظ على الأمانة في نقل التفاصيل والحقائق، يندرج هذا النوع من الكتابة في خانة الأدب الواقعي، ويهدف إلى نقل التجربة الإنسانية كما عاشها الأفراد أو الجماعات، خاصة في السياقات السياسية والاجتماعية الحاسمة كالحروب، والثورات، والمهجرات، والمآسي الجماعية، وتتميز الكتابة الأدبية التوثيقية بتقاطعها مع الحقول التاريخية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية، مما يجعلها مصدراً غنياً لفهم التحولات المجتمعية من خلال رؤية فردية أو جماعية مشحونة بالعاطفة والمعاناة.

تُعرف معنى العيد الكتابة الأدبية، لا بوصفها شكلاً فنياً فحسب، بل باعتبارها فعلاً ثقافياً يتحقق في قلب التحولات التاريخية والاجتماعية، فتقول إن "الكتابة، حين تكون من داخل زمن التحول، تتحول هي أيضاً، وتصير خطاباً يوثق، ويحتج، ويعيد تسمية الواقع"²، ومن هذا المنطلق، تغدو الكتابة الأدبية التوثيقية استجابة جمالية ومعرفية لنداءات الواقع، تُعيد بناء الذاكرة من موقع التجربة الفردية أو الجماعية، وتمنح للوقائع بعداً إنسانياً يتجاوز حدود

=الثورة، وأسندت إليها مهام خطيرة كحمل الأسلحة ونقل الرسائل والمعلومات بين المجاهدين، وشاركت في معركة الجزائر، في عام 1957، اعتُقلت بعد كشف أحد العملاء لشبكتها، وتعرضت لتعذيب وحشي في السجون الفرنسية شمل الاغتصاب وبتراً أحد ثدييها، لكنها تمكنت من الفرار في فيفري 1962 بمساعدة من مناضلين فرنسيين مؤيدين للقضية الجزائرية، وعادت إلى الوطن بعد اتفاق وقف إطلاق النار، في 1963، تزوجت من مجاهد في جهاز مخابرات الثورة وأنجبت منه ابنين: مراد ومليكة، ينظر: لويـزة إـيـغيل أـحـريـز، جزائرية، إعداد: آن نيفاء، دار القصة للنشر، الجزائر، 2011.

¹ آدم جابر، (20 مارس 2021)، جرائم الاغتصاب من قبل الجنود الفرنسيين، موضوع محظور في حرب الاستقلال الجزائرية، القدس العربي، استرجعت بتاريخ 28 نوفمبر 2023، على الموقع: <https://www.alquds.co.uk>

² معنى العيد، الكتابة... تحوّل في التحوّل: مقارنة للكتابة الأدبية في زمن الحر، دار الآداب، بيروت. لبنان، 1993، ص 9.

التسجيل البارد للحدث، فهي كتابة تُقاوم النسيان، وتشكل أرشيفًا موازيًا للوثائق الرسمية، من خلال ما تحتويه من سرديات المهمشين ومواقف المضطهدين.

في سياق مقارنتها للعلوم الإنسانية، تؤكد معنى العيد أن كل إنتاج معرفي — بما فيه الأدب — هو تمثيل للواقع، لكنه ليس مجرد انعكاس له، بل بناء رمزي يستجيب لحاجات الفهم والتأويل¹، وهذا الطرح يضع الكتابة الأدبية التوثيقية ضمن مسار مزدوج: فهي من جهة تستند إلى الواقع وتسعى إلى حفظه من النسيان، ومن جهة أخرى تعيد تأويله وإعادة إنتاجه من خلال الأدوات الجمالية والرمزية التي تتيحها اللغة الأدبية، وهكذا، تتحول الكتابة الأدبية التوثيقية إلى معبر بين الواقعي والتأويلي، بين الحدث وذاكرته، فتُصبح فعلاً معرفيًا يُغني الحقل التاريخي والاجتماعية دون أن يفقد حسّه الجمالي.

في كتاب "عز الدين: جدل الكتابة والتجربة" لياسر جاسم قاسم، يُطرح مفهوم الكتابة بوصفها "تجربة وجودية وجمالية"، تمثل تفاعلًا بين الواقع والتخيل، وتُستخدم كأداة للتعبير عن الموقف الإنساني والسياسي، على وجه الخصوص، يناقش المؤلف العلاقة بين الكتابة والتوثيق، مبررًا كيف أن بعض النصوص تتجاوز البعد الجمالي لتتحول إلى وسائل توثيق وتحميد للذاكرة الجماعية، وقد أشار إلى أن "الكتابة في بعض صورها، هي شهادة على العصر، ووثيقة غير رسمية لما يحدث"، وهذا ينسجم تمامًا مع تعريف الكتابة الأدبية التوثيقية².

وهكذا تُعد الكتابة الأدبية التوثيقية فضاءً جامعًا لأشكال متعددة من التعبير الأدبي التي تشترك في سعيها إلى تمثيل الواقع واستعادة التجربة الإنسانية المعيشة، ومن أبرز هذه الأشكال: السيرة الذاتية والمذكرات الشخصية، حيث يتداخل فيها السرد الذاتي مع التوثيق الزمني والوجداني للأحداث، مما يجعلها مصدرًا غنيًا لفهم السياقات التاريخية والاجتماعية من منظور الفرد، كما تدخل كتابة الرحلات ضمن هذا الإطار، إذ لا تقتصر على وصف الأمكنة، بل تنقل ملاحظات الكاتب حول الشعوب والعادات والوقائع التي يُعاينها، فتُشكّل بذلك سجلًا بصريًا وثقافيًا عابرًا للحدود، أما كتابة التراجم، فهي تُعيد بناء سيرة الآخر بناءً على وثائق، ومرويات، وشهادات، مما يجعلها ضربًا من ضروب التوثيق الأدبي السردية الذي يتداخل فيه الذاتي بالموضوعي، وتشترك هذه الأنواع جميعًا في كونها تُقاوم النسيان، وتُعيد تشكيل الذاكرة الفردية والجماعية من خلال أدوات أدبية، لتقدم شهادة إنسانية وجمالية عن زمنها، وتؤسس لأرشيف بديل عن التوثيق الرسمي أو المؤسسي.

¹ معنى العيد، مشكلة العلوم الإنسانية: تقنيها وإمكانية حلها، مؤسسة الهداوي، القاهرة - مصر، 2010، ص 45.

² ياسر جاسم قاسم، عز الدين جدل الكتابة والتجربة، دار الهادي، بيروت - لبنان، 2013، ص ص 21-23.

يمكن القول بأنه الكتابات الأدبية التوثيقية تتميز بارتباطها الوثيق بالواقع، حيث تلتزم بتوثيق حياة حقيقية لشخصيات وأحداث تاريخية فعلية، بعكس الأعمال الأدبية الخيالية، فتشمل هذه الكتابات المذكرات الشخصية واليوميات والتراجم التي تقدم سرداً مباشراً لتجارب حقيقية عاشها أفراد في ظروف معينة، كما توثق الرحلات التي تصف أماكن وأزمنة وأحداث واقعية، مما يجعلها مصدراً هاماً لفهم الواقع الاجتماعي والثقافي والتاريخي في فترة الاحتلال، ومن خلال هذه النصوص، يمكن استجلاء تفاصيل دقيقة عن حياة الأفراد والجماعات وتفاعلاتهم مع محيطهم.

أما الكتابات الاحتجاجية، فقد ارتبطت أيضاً بالواقع الاجتماعي والسياسي، حيث استخدمت أدوات أدبية مثل المقال النقدي الذي كان صوتاً معارضاً لممارسات اجتماعية وثقافية وسياسية ظالمة، والعرائض التي جسدت شكوى جماعية أو فردية تطالب بتغيير أو إصلاح، وعلى الرغم من طابعها الاحتجاجي، فإن هذه الكتابات تحافظ على أسلوب أدبي متين يضفي عليها قوة وتأثيراً، مما يجعلها تعبيراً صادقاً عن هموم الواقع والمقاومة الفكرية والسياسية في مواجهة الاحتلال والظلم.

2.1. نشأة كتابة المذكرات واليوميات

المذكرات من أشكال الكتابة الذاتية التي يسجل فيها الكاتب أحداثاً من حياته، لكنها تختلف عن اليوميات في كونها لا تُكتب لحظة وقوع الحدث، بل تُدوّن لاحقاً، بعد مرور فترة من الزمن، ما يمنح صاحبها مسافة زمنية للتأمل وإعادة بناء التجربة بأسلوب انتقائي وتحليلي، فالمذكرات لا تهدف إلى رصد التفاصيل اليومية الصغيرة، بل تركز على الأحداث المفصلية، والمواقف المؤثرة، والتحويلات الكبرى التي مر بها الكاتب سواء على المستوى الشخصي أو المهني أو السياسي، وغالباً ما يختار الكاتب لحظة معينة في حياته ليبدأ منها السرد، أو يركز على فترة بعينها ذات أهمية خاصة في تشكيل وعيه أو مسيرته.

تكتسب المذكرات أهميتها من صدق التجربة وثراء التفاصيل، وقدرتها على تقديم شهادة فردية ترتبط بسياق جماعي أو تاريخي، ولهذا نجد سياسيين ومفكرين وفنانين قد لجأوا إلى هذا النوع من الكتابة لتوثيق أدوارهم في محطات تاريخية، أو لتفسير مواقفهم، أو حتى لتبريرها، وفي بعض الحالات، تتداخل المذكرات مع السيرة الذاتية، إلا أن الأولى غالباً ما تكون أكثر تركيزاً وانتقائية، وأقل التزاماً بالسرد الزمني الكامل، كما أن الطابع الأدبي للمذكرات قد يظهر في أسلوبها ولغتها، ما يجعلها ليست فقط وثيقة تاريخية، بل عملاً أدبياً يعبر عن نظرة الكاتب للحياة والعالم من حوله.

تُعَدُّ كتابة اليوميات شكلاً من أشكال التعبير الشخصي، حيث يقوم الفرد بتدوين ما يمرّ به من أحداث يومية، وما يشعر به من مشاعر وأفكار وانطباعات بأسلوب ذاتي، تتميز اليوميات بطابعها الحميمي والعفوي، وغالبًا ما تُكتب بصيغة المتكلم، مما يمنحها صدقًا وعمقًا إنسانيًا، وهي لا تخضع بالضرورة لقواعد السرد الأدبي، بل تعتمد على حرية التعبير وتوثيق اللحظة كما عاشها صاحبها، ما يجعلها قريبة من الواقع ونبض الحياة¹.

تتنوع وظائف اليوميات بين ما هو أدبي وتاريخي ونفسي، فقد يكتبها الأدباء كتمرين على الكتابة أو لتسجيل مساهمهم الإبداعي، وقد يستخدمها المؤرخون لفهم حياة الأفراد في سياقات زمنية محددة، بينما يلجأ إليها آخرون كأداة للتأمل الذاتي ومواجهة التوتر أو اكتشاف الذات، كما أن بعض اليوميات الخاصة تتحول بمرور الوقت إلى وثائق عامة ذات قيمة ثقافية أو فكرية، خاصة حين ترتبط بشخصيات مؤثرة أو أحداث مفصلية².

أما السيرة الذاتية هي نوع أدبي يروي فيه الإنسان قصة حياته منذ الطفولة حتى الشيخوخة أو الوفاة، متناولًا المخطات الأساسية في مسيرته من أعمال ووظائف وتجارب شخصية، ومعبرًا عن أحاسيسه بأسلوب في يختاره بحرية، وقد شهد هذا الجنس الأدبي تطورًا مفاهيميًا، خاصة في الغرب، حيث عرّف معجم لاروس السيرة الذاتية بأنها نص يروي فيه المؤلف حياته الخاصة³، بينما اعتبرها "قايريرو" في المعجم الكوبي للأدب كل نص يعكس تجربة الذات ومشاعرها، مهما كانت طبيعته أو بنيته، أما في السياق العربي الإسلامي، فقد وُجدت نماذج سردية مبكرة تحاكي السيرة الذاتية، حتى وإن لم تُسمَّ بهذا الاسم، وتميزت بخصوصيتها في الشكل والمضمون⁴.

ترى الموسوعة الأمريكية أن المفكر كارلايل⁵ قدم تعريفًا مقتضبًا للسيرة الذاتية حين قال إنها "حياة إنسان"، وهو تعريف يعكس عمق هذا الجنس الأدبي وبساطته في آن، وقد عرّفت رشيدة ميران السيرة الذاتية بأنها تسجيل لتاريخ الإنسان الذاتي، متتبعًا المراحل المؤثرة في حياته من الطفولة إلى الكهولة، وهو تعريف يبرز بعدها التاريخي

¹ Michel Braud, **La Forme des jours : pour une poétique du journal personnel**, Seuil, Paris, 2006, p34.

² Françoise Simonet-Tenant, **Le Journal intime, genre littéraire et écriture ordinaire**, Téraèdre, Paris, 2004, p 89.

³ سميرة بن عشي، عيلان عمر، "كتابة السيرة الذاتية بين فيليب لوجون ورولان بارت"، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، مج 08، ع 03، ص ص 1882-1893، 31 ديسمبر 2021.

⁴ عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، القاهرة، 1998، ص 25.

⁵ توماس كارلايل (1795-1881): مؤرخ وناقد اجتماعي أسكتلندي من أبرز مفكري العصر الفيكتوري. تأثر بالفلسفة والأدب الألماني، ومن أشهر مؤلفاته: سارتر ريسارتس، والثورة الفرنسية، وحول الأبطال وعبادة البطل، رأى أن التاريخ تصنعه الشخصيات العظيمة، وأن القادة الاستثنائيين هم محركو التغيير، كما دعا إلى تقديس العمل والواجب، وانتقد الديمقراطية، مما جعل أفكاره تُتهم بتمهيدها للنزعات الاستبدادية والفاشية، ويُعد كتاب الثورة الفرنسية، أبرز أعماله في تجديد أسلوب الكتابة التاريخية، ينظر:

Wilson John, **Thomas Carlyle: The Iconoclast of Modern Shams**, Folcroft, PA: Folcroft Library Editions, 1973.

والفني في آن معاً، السيرة الذاتية، إذًا، ليست مجرد تأريخ للحياة، بل هي فن يمكن الكاتب من انتقاء ما يشاء من تفاصيل، مع السعي نحو الصدق، وتمنحه فرصة لمقاومة النسيان عبر الكتابة التي تحفظ وجوده الرمزي، ولأنها تعتمد على تجربة الذات وتُظهر تداخلًا بين التخيل والواقع، تظل السيرة الذاتية جنسًا مراوغًا، يصعب ضبطه بتعريف قاطع ونهائي¹.

يرى عيسى بحيتي أن السيرة الذاتية المعاصرة ينبغي أن تكون عملاً أدبيًا متكاملًا يتميز ببناء زمني وفني منسجم، ووحدة في الأسلوب والروح، مع اعتماد جمالية العرض وسلاسة التعبير لإضفاء الحيوية على الأحداث والشخصيات، ويشدد على ضرورة استخدام الخيال بشكل محدود لربط الأجزاء ضمن وحدة عضوية، كما يشير إلى أن تقبل المجتمع للسيرة الذاتية يتطلب انفتاحًا وتسامحًا مع اعترافات الكاتب وتجارب حياته، خاصة حين تتضمن جوانب إنسانية مؤلمة أو حساسة، ويُلَفَت بحيتي أيضًا إلى الفرق بين السيرة الذاتية وأدب الرحلة، رغم ما قد يجمع بينهما، فبينما تركز السيرة على الذات بوضوح، فإن الرحلة قد تتضمن عناصر سيرية ضمن التأملات والذكريات التي يوردها الكاتب، ما يجعل البعد الذاتي حاضرًا إما ضمنيًا أو صريحًا في بنية النص الرحلي، بذلك، تتفاوت درجة حضور السيرة الذاتية في أدب الرحلة من نص لآخر، بحسب طبيعة التغلغل الذاتي في التجربة المكتوبة².

تتداخل المفاهيم بين الأنواع الثلاث لهذا الجنس الكتابي، ويمكننا القول بأن اليوميات (Journal intime) تُكتب بشكل يومي أو منتظم، وتُسجل فيها المشاعر والأفكار والانطباعات الخاصة لحظة وقوع الحدث أو بعده مباشرة، تتميز بطابعها الحميمي والعفوي، وغالبًا لا تكون معدة للنشر، يكتبها صاحبها لتفريغ نفسي أو توثيق شخصي لحياته اليومية، وقد لا تخضع لتسلسل زمني صارم، بل تسير مع تدفق الوعي، أما المذكرات (Mémoires) تُكتب بعد مرور زمن على الأحداث، ويكون الهدف منها إعادة تأمل مرحلة معينة من حياة الكاتب، وغالبًا ما تكون مرتبطة بوقائع ذات طابع عام أو سياسي أو فكري، هي أكثر انتقائية وتحليلية من اليوميات، إذ يركز الكاتب فيها على المخططات المهمة دون التطرق إلى التفاصيل اليومية، ويكتبها عادة بهدف توثيق، تفسير، أو حتى الدفاع عن مواقفه، وعن السيرة الذاتية (Autobiographie) فهي سرد شامل لحياة الكاتب منذ الطفولة إلى وقت الكتابة، تُكتب بصيغة المتكلم، وتهدف إلى تقديم صورة كاملة عن الشخص من خلال تتبع تطوره الفكري، العاطفي، والمهني،

¹ فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ص 34.

² بحيتي، أدب الرحلة...، المرجع السابق، ص 142.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

تُعتمد فيها البنية الزمنية عادة، وتحاول الجمع بين الذاتي والعام، وقد يُراعى فيها الجانب الفني والبنوي لتقديم حياة متماسكة أدبيًا وتاريخيًا.

جدول رقم (17): يبرز أهم المذكرات واليوميات والسير الذاتية الساردة لفترة (1900-1962):

الكاتب	عنوان العمل الأدبي	الفترة التي يسردها	نوعه	سنة النشر	لغة الكتابة
محمد بن سي أحمد بن شريف ¹	غومي ²	(1879-1920)	سيرة ذاتية ³	1920 ⁴	الفرنسية
رمضان حمود	الفتى ⁵	(1906-1929)	سيرة ذاتية	1929	العربية
مولود فرعون	الأيام ⁶	(1955-1962)	يوميات	1962	الفرنسية

¹ محمد بن سي أحمد بن شريف (1879-1921): روائي جزائري كتب باللغة الفرنسية، وُلد وتوفي في الجلفة، وينتمي إلى عرش أولاد سي محمد من قبيلة أولاد نايل، جده، سي الشريف بن لحرش، كان خليفة الأمير عبد القادر في المنطقة، تلقى تعليمه الثانوي في الجزائر العاصمة، ثم التحق بالمدرسة العسكرية "سان سير" في فرنسا عام 1897، حيث كان زميلًا للأمير خالد، وتخرج منها برتبة ملازم عام 1899، خلال مسيرته العسكرية، شارك في معارك بالجزائر والمغرب وفرنسا، وأُسر في مدينة ليل الفرنسية عام 1914، ثم نُقل إلى سويسرا لاستعادة صحته، في عام 1918، رُقي إلى رتبة نقيب وعُيّن قائدًا لأولاد سي محمد، من أبرز أعماله الأدبية رواية "Ahmed ben Mostapha, goumier" (1920)، التي تسرد يوميات مجند جزائري في الجيش الفرنسي، وكتاب "Aux villes saintes de l'Islam" (1919)، الذي يتناول مكانة مكة والمدينة والقدس في الإسلام، توفي القبطان الجزائري بن شريف في 27 مارس 1921 إثر إصابته بمرض التيفوئيد أثناء تنقله في مهمة إلى فرنسا ضمن خدمته العسكرية، بعد أن خدم في عدة مناطق منها عين الصفراء والدار البيضاء، وتميّز بالكفاءة والانضباط، ما جعله يحظى باحترام واسع من الفرنسيين والجزائريين على حد سواء، شارك في الحرب العالمية الأولى، ونال عدة أوسمة، منها وسام جوقة الشرف، وقد دفن في "فرندة" وسط مراسم عسكرية رسمية حضرها عدد من الضباط الفرنسيين وأعيان المنطقة، ينظر: الملحق رقم 19، الملحق رقم 20، ينظر أيضا:

Aua, « Mort du capitaine Ben Chérif », L'Afrique du Nord Illustrée, n° du 30 avril 1921.

ينظر أيضا:

ANF, Base Léonore, dossier Bencherif Chérif ben Si Ahmed, cote LH/26590, consulté sur : <https://www.leonore.archives-nationales.culture.gouv.fr/ui/notice/26590>.

² غومي: هي مصطلح فرنسي يُطلق على الجنود المغاربة الذين خدموا في صفوف الجيش الفرنسي، وخاصة ضمن الوحدات غير النظامية المعروفة باسم les goums marocains خلال فترة الاستعمار، وشاركوا في عدد من الحروب، منها الحريان العالميتان الأولى والثانية، وكذلك في قمع الانتفاضات داخل المستعمرات.

Douglas Porch, *The French Foreign Legion: A Complete History of the Legendary Fighting Force*, Harper Perennial, 1991.

³ يصنف البعض أن هذا العمل روائي ويرى البعض من الباحثين أنه عبارة عن سيرة خيالية لجندي جزائري في الجيش الفرنسي، ومن الطبيعي أن يتحدث الكاتب بأن العمل رواية وليس عملاً حقيقياً والتشابه مع حياة الكاتب كبيرة جداً، ولهذا نصنف أن هذا العمل مذكرات شخصية للكاتب تم تخنيصها بغير جنسها الأدبي بسبب الفترة الاستعمارية خصوصاً وأن الكاتب لديه حضور في الوسط الاستعماري واهتمام بشخصيته وهذا ما يضعه في ضغوطات، كما أن المذكرات كُتبت في نهاية عمره وما هي إلا أشهر حتى مات الكاتب والتقارير تشير إلى مرضه بمرض التيفوئيد الذي يأخذ صاحبه بعد أسابيع قليلة، فهل تم قتل الكاتب أم أنه مات فعلاً بهذا المرض.

⁴ Ahmed ben Mostapha, goumier, Payot, Paris, 1920.

⁵ رمضان حمود، الفتى، دد، تونس، 1929.

⁶ Mouloud Feraoun, *Journal 1955-1962*, Éditions du Seuil, Paris, 1962.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

الفرنسية	1962	مذكرات	(1962-1830)	ليل الاحتلال ²	فرحات عباس ¹
الفرنسية	1968	مذكرات	(1962-1882)	قصة حياتي ³	فاطمة منصور آيت عمروش
العربية	1975	مذكرات	(1925-1899)	حياة كفاح ⁴	أحمد توفيق المدني
العربية	1977	مذكرات	(1954-1925)	حياة كفاح ⁵	أحمد توفيق المدني
الفرنسية	1982	مذكرات	(1919-1906)	قدور 1: طفل جزائري شهد بدايات القرن العشرين ⁶	قادة بوطارن
العربية	1985	مذكرات	(1962-1902)	مذكرات الشيخ محمد خير الدين ⁷	محمد خير الدين
الفرنسية	1986	مذكرات	(1940-1920)	قدور 2: مراهق جزائري عشية الذكرى المئوية للاحتلال ⁸	قادة بوطارن
الفرنسية	1990	مذكرات	(1962-1941)	قدور (3): من بريزينا إلى قصر بوربون، رحلة مناضل ⁹	قادة بوطارن
العربية	2005	يوميات	(1957-1956)	مسار قلم ¹⁰	أبو القاسم سعد الله
العربية	2005	يوميات	(1960-1958)	مسار قلم ¹¹	أبو القاسم سعد الله

¹ فرحات عباس (1899-1985): يُعد من أبرز الشخصيات السياسية والفكرية في تاريخ الجزائر الحديث، بدأ مسيرته السياسية في صفوف الحركة الإصلاحية، ساعيًا إلى تحقيق المساواة بين الجزائريين والفرنسيين ضمن إطار الجمهورية الفرنسية، لكنه سرعان ما غيّر موقفه بعد أن اصطدم برفض فرنسا لمطالب الجزائريين العادلة، أسّس حزب اتحاد أحباب البيان والحريّة الذي طالب بحقوق الشعب الجزائري، ثم لعب دورًا محوريًا في الثورة الجزائرية بعد اندلاعها سنة 1954، حيث تولى رئاسة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (GPRA)، ممثلًا للثورة في المحافل الدولية، يُعد فرحات عباس رمزًا للانتقال من النضال الإصلاحي إلى النضال من أجل الاستقلال الكامل، وقد ترك بصمة واضحة في تاريخ الجزائر السياسي، ينظر:

Jacques Cantier, *L'Algérie sous le régime de Vichy*, Éditions Odile Jacob, 2002, p 372.

² Ferhat Abbas, *La nuit coloniale*, René Julliard, Paris, 1962.

³ F.Menssour, OP.cit.

⁴ أحمد توفيق المدني، *حياة كفاح*، ج1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.

⁵ أحمد توفيق المدني، *حياة كفاح*، ج2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977.

⁶ Kadda Bouterne, *Kadda Kaddour, un enfant algérien témoin des débuts du XX^e siècle*, SNED, Alger, 1982.

⁷ محمد خير الدين، *مذكرات الشيخ محمد خير الدين*، ج1، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

⁸ Kadda Bouterne, *Kadda Kaddour (2): un adolescent algérien à la veille du centenaire de l'occupation coloniale*, ENAL, Alger, 1986.

⁹ Kadda Bouterne, *Kadda Kaddour (3), De Brezina au Palais Bourbon, itinéraire d'un militant*, ENAL, Alger, 1990.

¹⁰ سعد الله، *مسار قلم (يوميات) 1956-1957*، ج1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2005.

¹¹ سعد الله، *مسار قلم (يوميات) 1958-1960*، ج2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2005.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

أحمد طالب الإبراهيمي	مذكرات جزائري: أحلام ومحن ¹	(1965-1932)	مذكرات	2011	الفرنسية
حمزة بوكوشة	ما رأيت وما رويت ²	(1962-1907)	مذكرات	2012	العربية

تُعتبر المذكرات واليوميات والسير الذاتية التي تناولها الجدول من أهم الوثائق الأدبية والتاريخية التي توثق تجربة الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي الممتدة حتى عام 1962، وتمثل هذه النصوص أصواتًا شخصية مختلفة تتراوح بين النخب السياسية والعسكرية والثقافية، تعكس التنوع الاجتماعي والسياسي في الجزائر، وقد نشأت في سياق استعماري يفرض على الكاتب شروطًا خاصة في تمثيل الذات والوطن، كما تجلّى ذلك في نماذج متعددة رصدها الجدول المقدم، الذي يغطي مرحلة تمتد من أواخر القرن التاسع عشر إلى ما بعد الاستقلال، وتجمع بين نصوص مكتوبة بالعربية والفرنسية، ما يعكس تعددية تعبيرية فرضتها الوضعية الثقافية والسياسية للمجتمع الجزائري.

في بداية هذا المسار، يبرز نموذج محمد بن سي أحمد بن شريف، الذي كتب رواية غومي عام 1920، والتي، رغم تصنيفها شكليًا كرواية، تُعد في عمقها سيرة ذاتية خفية أو مموهة، يعكس هذا العمل التوتر العميق بين الولاء العسكري للجيش الفرنسي والانتماء الثقافي والديني للمجتمع الجزائري، وهو ما جعل الكاتب يمارس نوعًا من الرقابة الذاتية، محوّلًا تجربته الشخصية إلى "رواية" بدل مذكرات صريحة، على الأرجح تجنبًا للمساءلة في مناخ استعماري يراقب أشكال التعبير، ويمكن القول إن العمل يشكل شهادة مبكرة، لا فقط على التجربة العسكرية، بل على الوعي المشوش لهوية مزدوجة في لحظة استعمارية قاسية، حيث يُستدعى الكاتب/الضابط ليكون في آن واحد شاهدًا وجنديًا وكاتبًا.

تُعد سيرة "الفتى" لرمضان حمود (1929) أول عمل سيري ذاتي مكتوب باللغة العربية في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، وهي تكتسب أهمية مزدوجة: من جهة الريادة في الشكل السيري العربي المحلي، ومن جهة كونها تمثل صوتًا شابًا جزائريًا اختار العربية أداة للتعبير عن ذاته في سياق كان فيه التفوق اللغوي والثقافي للفرنسية شبه مُطلق في مجالات الكتابة والنشر، وبعد أشهر قليلة أيضا يموت رمضان حمود متأثرًا بمرض السل.

من جهة أخرى، تقاطعت تجارب ما بعد الحرب العالمية الثانية مع لحظة وطنية حاسمة تمثلت في الثورة التحريرية، فجاءت يوميات مولود فرعون (الأيام، 1962) نموذجًا نادرًا لكتابة يومية تؤرخ في الآن ذاته لتحولات الذات وتحولات المجتمع في فترة 1955-1962، فقد وثّق فرعون، لحظات يومية من الحرب والاحتلال، من موقع الشاهد

¹ Ahmed Taleb Ibrahimi, *Mémoires d'un Algérien – Rêves et épreuves (1932-1965)*, Alger, Éditions Kasbah, 2011.

² حمزة بوكوشة، ما رأيت وما رويت، د د، الجزائر، 2012.

والمتخلف المتورط أخلاقياً في ما يحدث، ما يجعل النص مرآة مزدوجة لذات فردية وجماعية تتلمس مصيرها في وسط الخراب والانتظار، ومن المثير أن نشر يومياته جاء بعد اغتياله، ما يمنح النص بعداً استشرافياً وتراجيدياً في آنٍ معاً.

أما مذكرات فرحات عباس (ليل الاحتلال، 1962) فهي تمثل نوعاً مختلفاً من الكتابة التوثيقية، حيث يعتمد الكاتب على استرجاع طويل للحقبة الاستعمارية، ممتدة من 1830 حتى 1962، بمنظور نقدي سياسي يعكس خبرته داخل النخبة السياسية الجزائرية وتطور مواقفه من المطالبة بالإدماج إلى المطالبة بالاستقلال، يبرز في هذا النوع من الكتابة طغيان البعد التاريخي والتحليلي، مع احتفاظ النص ببعض الملامح الأدبية، في حين يظل صوت الذات أقل انكشافاً من يوميات فرعون أو مذكرات محمد بن شريف.

تُمثل المذكرات التي كتبتها فاطمة آيت منصور عمروش (قصة حياتي، 1968) انتقالاً إلى كتابة الذاكرة النسائية، حيث تقدم الكاتبة سرداً شخصياً لتجربتها كامرأة جزائرية مسلمة ومسيحية في آن، بين القبيلة والكنيسة، بين الهوية والانتماء الديني والثقافي، ما يجعل المذكرات مجالاً لصراع داخلي ثقافي وديني، وتندرج هذه المذكرات ضمن الكتابات التي لم تتخذ طابعاً نضالياً سياسياً مباشراً، بل ركزت على التحولات الداخلية والمجتمعية في عمقها الشخصي، كما تمثل أول صوت نسائي في هذا السجل الزمني.

تمثل مذكرات أحمد توفيق المدني (حياة كفاح) نموذجاً للكتابة المزدوجة التي تجمع بين الاسترجاع التاريخي والتأريخ الذاتي، حيث يعيد المدني رسم ملامح سيرته في سياق وطني جامع، تتوزع المذكرات على فترتين (1899-1925) و(1925-1954)، ويظهر فيها البعد السياسي والإصلاحي والديني في حياة الكاتب الذي كان ناشطاً في جمعية العلماء المسلمين، وقد تميزت هذه المذكرات باللغة العربية، خلافاً للغالبية الساحقة من النصوص المكتوبة في الفرنسية في فترة الاحتلال، ما يجعلها مساهمة في بناء ذاكرة ثقافية موازية.

يتواصل المسار مع تجربة قادة بوطارن، في ثلاثية "قدور"، التي تمثل وثيقة اجتماعية وتربوية فريدة ترصد حياة طفل ثم مراهق ثم مناضل جزائري في الفترة الممتدة من 1906 إلى 1962، ما يميز هذه المذكرات أنها كتبت بأسلوب سردي واقعي يقترب أحياناً من القصة، وهي مكتوبة بفرنسية بسيطة ما يدل على رغبة في الوصول إلى جمهور واسع، بما في ذلك الفرنسيون أنفسهم، وتقديم صورة من الداخل عن الواقع الاستعماري وآثاره الاجتماعية.

وعن يوميات أبو القاسم سعد الله المكتوبة لحظات تواجده في القاهرة وهو طالب جزائري يرى بلاده وأوضاعها المضطربة من الخارج مسجلاً بدقة انفعالاته ومشاهداته وقراءاته، فهي بمثابة شهادات حول حوادث متفرقة ثقافية وسياسية واجتماعية وعلاقات صداقة وعداء، ومع مذكرات محمد خير الدين وكتابات وأحمد طالب الإبراهيمي

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

في مرحلة ما بعد الاستقلال، نلاحظ انزياحاً واضحاً في نوعية الكتابة من التوثيق الصرف إلى التحليل والتقويم، فقد كتب هؤلاء من موقع ما بعد الاحتلال، ما منحهم مسافة نقدية وحرية أكبر في التعبير عن التجربة، في حين أن مذكرات أحمد طالب الإبراهيمي تقدم تأريخاً لوعي سياسي ونخبوي جزائري من الداخل، مكتوب بلغة فرنسية ذات طابع نخبوي أيضاً، ما يعكس استمرار التداخل بين اللغة والهوية.

تبيّن هذه النماذج مجتمعةً أن الكتابات التوثيقية الجزائرية لم تكن مجرد سرد شخصي، بل تشكل نوعاً من مقاومة ثقافية، وتوثيقاً للذاكرة الجمعية في مواجهة المحو الاستعماري، وهي بذلك تحتل موقعاً مركزياً في الأدب الجزائري الحديث، بين الحكي والتاريخ، بين السيرة الذاتية والمصير الجماعي.

3.1. نشأة كتابة الرحلات

كتابة الرحلات هي نوع أدبي وثائقي يركز على سرد تجارب الفرد في التنقل والاستكشاف، حيث يقدم الكاتب وصفاً تفصيلياً للأماكن التي زارها، الشعوب التي التقاها، والثقافات التي اطع عليها خلال رحلته، تتسم هذه الكتابات بكونها توثيقاً شخصياً وتاريخياً جغرافياً، وتجمع بين السرد الروائي والوصف الواقعي، مما يجعلها مصدراً غنياً لفهم الجغرافيا والتاريخ والتقاليد الثقافية في الفترات المختلفة¹.

ارتبط مفهوم "الرحلة" بالبعد الجغرافي، وهو ما دعمه المستشرق الروسي إغناطيوس كراتشوفسكي² في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي العربي، وقد سارت العديد من الدراسات العربية على خطاه، مما أدى إلى تضيق مفهوم الرحلة وإدراجها تحت تصنيف الجغرافيا، بينما في الواقع، الرحلة أوسع وأشمل، وتتخذ أشكالاً متعددة تتجاوز البعد الجغرافي البحث³.

إن أدب الرحلة هو نوع أدبي يمتزج فيه السرد القصصي مع التحليل الاجتماعي والجغرافي، حيث يسجل فيه الرحالة مغامراتهم وتجاربهم الشخصية، يحمل هذا الفن قيمة خاصة للمؤرخين والباحثين في مجالات مثل الأدب،

¹ Friedrich Wolfzettel, *Le discours du voyageur. Pour une histoire littéraire du récit de voyage en France Perspectives littéraires*, PUF, Paris, 1996, 336 p.

² إغناطيوس يوليانيوفيتش كراتشوفسكي (1883-1951): أحد أبرز المستشرقين الروس في العصر الحديث، ومن مؤسسي مدرسة الاستشراق الروسيكترس حياته لدراسة التراث العربي والإسلامي، واهتم بنشر النصوص العربية القديمة وترجمتها، ومن أشهر أعماله ترجمته لرحلة ابن فضلان إلى اللغة الروسية، مرفقة بتحقيق علمي وصور من المخطوط الأصلي، كما قام بزيارة فلسطين بين عامي 1908 و1910، حيث التقى بعدد من المثقفين العرب، مما عزز اهتمامه بالثقافة العربية وأسهم في تعميق دراساته، وقد مثل كراتشوفسكي جسراً علمياً بين الثقافة العربية والروسية، وترك إرثاً معرفياً كبيراً في مجالات الأدب والتاريخ والدراسات الشرقية، يظهر: حسين تروش، "جهود المستشرقين الروسي إغناطيوس كراتشوفسكي والفرنسي أندريه ميكيل في التعريف بالأدب الجغرافي العربي"، مجلة دراسات معاصرة، 02 جوان 2022، ص 90.

³ بجيتي، أدب الرحلة ...، المرجع السابق، ص ص 77.79.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

الجغرافيا، وعلم الاجتماع، إذ يساعد في فهم العلاقات الثقافية والاجتماعية بين الشعوب المختلفة، فقد بدأ العرب بممارسة الرحلات منذ الجاهلية لأغراض تجارية واستكشافية، كما ورد في القرآن الكريم، ومع توسع الفتوحات الإسلامية، ازدادت أهمية السفر لتعزيز التواصل بين الثقافات، تطوّر هذا الفن بشكل ملحوظ في القرن الثالث الهجري على يد كتاب مثل يعقوبي والبلاذري، الذين وثقوا تجاربهم واستكشافاتهم، ومع مرور الوقت، أصبح فن الرحلة يعكس رؤى متعددة للأماكن والشعوب، مما زاد من تعقيد النصوص وأهميتها¹.

في لسان العرب، تشير كلمة "رحل" إلى التنقل والحركة، حيث ارتبطت بداية بالجمال، المسماة بالرواحل، ثم انتقلت إلى الإنسان الذي يمتنهن السفر، وتدل مشتقاتها المختلفة على الحركة والتنقل كأساس لحياة الإنسان منذ القدم، في مقابل السكون الذي يرمز إلى الموت²، وفي المعجم، يأتي تعريف "رحل" مثلاً: "رحل البعير رحلاً، فهو مرحول ورحيل وارتحله جعل عليه الرحل... ارتحلت البعير إذا ركبته... يقال رحل الرجل إذا سار وقوم رحل أي يرتحلون كثيراً، وجل رحال عالم بذلك مجيد له... والترحل والارتحال الانتقال وهو الرحلة والرحلة، والرحلة اسم الارتحال والمسير... والرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده والمرحلة المنزللة يرتحل منها، وما بين المنزلتين مرحلة"³.

أدب الرحلة يتميز بدمج السرد الواقعي مع الخيال الإبداعي، وفقاً لمعجم المصطلحات الأدبية، هو نص يسجل فيه المؤلف مشاهداته عن الشعوب، العادات، المناظر الطبيعية، والأوضاع السياسية والاقتصادية للبلدان التي يزورها، يشترط في هذا الأدب الواقعية والدقة والصدق في نقل المشاهدات، إلى جانب الأسلوب الأدبي الذي يعكس مشاعر الرحّالة وتأمّلاته⁴، ولقد اتجه الباحثون إلى مقارنة الرحلة كأدب مع الرحلة كجغرافيا وصفية، فمثلاً، يرى نيكولا زيادة أن الفرق الأساسي بينهما يكمن في طبيعة السرد؛ فالجغرافي يسعى إلى التحقيق والاستقصاء العلمي، بينما الرحالة ينقل مشاهداته بصورة ذاتية، مما يجعل نصه ذا طابع أدبي⁵، أما محمد الفاسي، فيؤكد أن الحديث عن الذات والمشاعر هو الحد الفاصل بين كتب الجغرافيا وأدب الرحلة⁶.

يعد الرحالة كاتباً يتقمص شخصية المتكلم، إذ ينقل تجربته الرحلية عبر النصوص المكتوبة، مما يجعله يجمع بين دور الراوي والمبثّر والشخصية المركزية، في الخطاب الرحلي، لا تعمل هذه الأدوار بشكل مستقل، بل تتداخل بحيث

¹ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص 99.

² أنساعدا، الرحلة إلى المشرق...، المرجع السابق، ص 34.

³ ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، تح: مجموعة من المحققين، ج 11، بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، د.ت، ص 457.

⁴ أنساعدا، الرحلة إلى المشرق...، المرجع السابق، ص 35.

⁵ نيكولا زيادة، الجغرافيا والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، بيروت. لبنان، 1987، ص 16.

⁶ محمد بن عثمان المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير، تح: محمد الفاسي، الرباط. المغرب، 1965، ص 05.

يمكن للراوي أن يكون مخبراً أو شخصية، فتتنوع مهامه بين وصف الأماكن ورواية الأحداث، ويقوم خطاب الرحلة على تحويل الفعل الرحلي إلى ملفوظ سردي يخضع لعملية انتقاء على مستوى الموضوع والتعبير، مما يجعله فعلاً تواصلياً بين الرحالة والمتلقي، سواء كان قارئاً أو مستمعاً، ولضمان شرعية هذا الخطاب، يعتمد على السرد كآلية رئيسية تميزه عن مجرد تسجيل الفعل الرحلي، إذ يتحول عبره السفر من مجرد تجربة حسية إلى خطاب أدبي¹.

يرتكز الخطاب الرحلي على ثنائية السرد والوصف، حيث يهيمن السرد على نقل الأحداث، بينما يسهم الوصف في تقديم المكان والعالم الرحلي، ويتخذ الزمان بعداً أساسياً في تشكيل الخطاب، إذ يوجد فرق بين زمن الفعل وزمن السرد، مما يتيح للرحلة إعادة ترتيب الزمن من خلال الاستطراد والاسترجاع².

تتنوع دوافع الرحالة في تدوين تجاربهم بين أغراض شخصية وأخرى معرفية وثقافية، يتمثل أحد الدوافع في توثيق الرحلة لإمتاع الأقرباء والحكام وإثارة إعجابهم، كما يسعى الرحالة إلى نقل المعارف حول الأماكن والأعلام والثقافات المختلفة، وتقديم وصف دقيق للبلدان والطرق، مع التحذير من المخاطر المحتملة، إضافة إلى ذلك، تهدف الرحلات إلى تقديم أخبار عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلدان التي يتم زيارتها، فضلاً عن التوعية بالأحداث والظروف، خاصة في المناطق المحتلة أو التي تمر بأزمات، أخيراً، قد يكون الدافع هو المساهمة في أدب الرحلات، متأثرين بأعمال الرحالة البارزين الذين سبقوهم³.

يُعد فن الرحلة جزءاً أساسياً من التراث العربي، إذ ازدهر بشكل خاص بعد انتهاء الفتوحات الإسلامية وبدء فترة الاستقرار، في القرن الثالث الهجري، ظهرت مؤلفات مثل "البلدان" لأبي العباس أحمد بن يعقوب، وفي القرن الرابع كتب المسعودي⁴ "مروج الذهب ومعادن الجوهر"⁵، لم يكن الإنتاج الأدبي في مجال الرحلات مقتصرًا على الشرق، بل امتد إلى المغرب العربي، حيث ألف الشريف الإدريسي في القرن السادس الهجري كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ومع مرور الزمن، تطورت الرحلات الأدبية إلى جانب تطور الفكر والمجتمع، وبرزت شخصيات

¹ بجي، أدب الرحلة... المرجع السابق، ص 77.79.

² عبد الفتاح كيليطو، المقامات - السرد والأنساق الثقافية، تر: عبد الكبير الشرفاوي، دار توبقال، 1993، ص 15.

³ أنساع، الرحلة إلى المشرق... المرجع السابق، ص 36.

⁴ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (896 م - 957 م): وُلد في بغداد وتوفي في القاهرة، هو المؤرخ والجغرافي العربي الشهير، يُلقب بـ"هيرودوت العرب" نظرًا لإسهاماته الكبيرة في مجال التاريخ والجغرافيا، من أبرز أعماله "مروج الذهب" و"التنبيه والإشراف"، التي تعتبر من المصادر المهمة لفهم تاريخ العالم الإسلامي في العصور الوسطى، تميزت كتاباته بالجمع بين التاريخ والجغرافيا، مما جعله من أبرز المفكرين في عصره، ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، 2006، ص 353.

⁵ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد بن محيي الدين عبد الحميد، بيروت. لبنان، دار الفكر، 1973.

مثل عبد الرزاق بن حمادوش¹ والشريف الورتلاني²، الذي وثق تجاربه في كتابه "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"³، خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830، تغيرت وجهة الرحلات الأدبية بناءً على توجيهات الإدارة الفرنسية، لكنها عادت للنشاط خلال ثلاثينيات القرن العشرين، هذه المرة برؤية وطنية وسياسية، في الجزائر، شهدت أدبيات الرحلة تراجعاً في القرن العشرين مقارنة بنشاطها في القرن الثامن عشر الذي انتعش بفضل ظهور المطبعة وحركة النشر، من الأمثلة البارزة في هذا السياق كتاب "لسان المقال" لابن حمادوش، الذي يتناول رحلاته في المغرب ويقدم وصفاً دقيقاً للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المنطقة، يُعتبر أيضاً كتاب "نزهة الأنظار" للورتلاني مثلاً ثرياً في فن الرحلة، إذ وثق رحلاته إلى مختلف مناطق الجزائر وتجاربه في تونس والحج، مما يعكس تنوعاً في أغراض الرحلات⁴.

¹ أبو الحسن عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري (1695م - نحو 1786م): من أبرز العلماء الجزائريين في القرن الثاني عشر الهجري، إذ برز كمؤرخ، وطبيب، تلقى تعليمه في الجزائر واهتم بالعلوم الشرعية، لكنه مال أكثر إلى العلوم التطبيقية كالفلك، الرياضيات، والطب، الصيدلة، متأثراً بأعمال ابن سينا وابن رشد وإقليدس، من أشهر مؤلفاته: "كشف الرموز" في الطب، و"فتح الجيب في علم التكعيب" في الهندسة، إضافة إلى "الرحلة" التي وثق أسفاره، حرص على نسبة الشريف، وكان من دعاة حفظ الأنساب، عاش نحو تسعين عاماً، ويُرجَّح أنه توفي في المشرق بين 1783م و1786م، ينظر: تقدم أبو القاسم سعد الله في رحلة ابن حمادوش الجزائري، تح. تع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983، ص ص 109.

² الشيخ الفضيل الورتلاني (1900-1959): هو حسين الفضيل بن محمد السعيد بن فضيل، ولد بقرية آنو ببلدية بني ورتلان في ولاية سطيف، ونشأ في أسرة شريفة حفظ فيها القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم الدينية، التحق بالشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة سنة 1928، ولازمه سنوات طويلة حيث برز خطيباً ومصلحاً نشطاً، ساهم بنشر مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر وأوروبا، وأسس مراكز دعوية في فرنسا، ثم انتقل إلى مصر حيث واصل نشاطه السياسي والدعوي وأسهم في تأسيس منظمات لدعم القضية الجزائرية، كانت له علاقات واسعة مع رموز النهضة والإصلاح في العالمين العربي والإسلامي، وظل مجاهداً بقلمه ولسانه حتى وفاته بتركيا يوم 12 مارس 1959، قبل أن يُعاد جثمانه إلى الجزائر سنة 1987 ليدفن بمسقط رأسه، ينظر: سعيد بورنان، الشيخ الفضيل الورتلاني الفائز، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 31.

³ محمد الشريف الورتلاني، نُزْهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح: محمد ابن أبي شنب، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.

⁴ بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص 130

كما برزت رحلات ذات طابع سياسي، مثل رحلة محمد الكبير¹ التي وثّقها أحمد بن هطال التلمساني²، حيث مزجت بين أهداف عسكرية وسياسية، على المستوى الأوسع، كتب أدباء مثل رفاعه الطهطاوي³ وأحمد فارس الشدياق⁴ عن تجاربهم في أوروبا، بينما قدم خير الدين التونسي⁵ انطباعاته عن رحلاته السياسية في كتاب "أقوم المسالك"⁶7.

يُعد أدب الرحلة مجالاً أدبياً متميزاً يتجاوز نقل الوقائع والمعلومات إلى تصوير المشاهد والأحاسيس بأسلوب وجداني مؤثر، مما يمنحه بعداً فنياً، فالرحالة الأديب لا يكتفي بالسرد البسيط، بل يسعى إلى تحليل ورؤية المشاهد بوعي ثقافي يفتقر إليه الكاتب العادي، ما يجعل كتاباته تعكس انطباعاته الخاصة وتأثيره النفسي عند معاينة الأحداث

¹ أحمد ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969.

² أحمد بن هطال التلمساني (1246م – 1332م): هو عالم وفقه جزائري عاش في مدينة تلمسان، واشتهر بمكانته العلمية والدينية في منطقته، يُنسب إلى البيئة الفكرية الخصبة التي عُرفت بها تلمسان عبر العصور، خاصة في مجالات الفقه، والتصوف، واللغة العربية، كان له دور بارز في نشر العلوم الشرعية وإحياء التراث الإسلامي في الجزائر، كما تميز بالزهد والأخلاق الرفيعة، مما جعله محل تقدير كبير في الأوساط العلمية والدينية، ترك أثراً واضحاً في تلامذته وفي الحياة الفكرية لعصره، وما تزال سيرته تُذكر كمثال للعالم الملتزم بقضايا مجتمعه وأُمته، ينظر: محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988، ص 23.

³ رفاعه الطهطاوي (1801-1873): هو أحد رواد النهضة العلمية في مصر خلال حكم محمد علي باشا، وُلد في مدينة طهطا بصعيد مصر، وتلقى تعليمه في الأزهر حيث درس علوم القرآن والحديث والفقه والنحو، في عام 1824، انضم إلى الجيش النظامي الجديد، وفي عام 1826، اختير للإشراف على بعثة تعليمية إلى فرنسا، حيث مكث هناك من 1242 هـ إلى 1247 هـ (1826-1831)، خلال هذه الفترة، ألف كتابه الشهير "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، الذي يُعد مرجعاً هاماً عن الحياة في فرنسا آنذاك، ويُظهر مقارنات بين أحوال مصر وفرنسا، بعد عودته، أسس مدرسة الألسن عام 1835، التي كانت أول مؤسسة تعليمية لتدريس اللغات الأجنبية في مصر، كما عمل مترجماً وصحفيًا، واهتم بالترجمة والتأليف، حيث كتب العديد من الكتب التي ساهمت في نشر الفكر التنويري والإصلاح الاجتماعي، توفي في القاهرة عام 1873، تاركاً إرثاً علمياً وثقافياً بارزاً، ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 391.

⁴ أحمد فارس الشدياق (1804 – 1887): هو كاتب ومترجم وصحفي لبناني من أسرة مارونية، يُعتبر من أبرز رواد النهضة العربية الحديثة، وُلد في عشقوت بجبل لبنان، ودرس في الأزهر الشريف بالقاهرة حيث تأثر بالثقافة الأوروبية، خلال إقامته في مصر، اعتنق المذهب البروتستانتي، ثم أسلم في تونس عام 1860، عمل مترجماً في إسطنبول، وأصدر جريدة "الجوائب" التي كانت من أبرز الصحف العربية في الدولة العثمانية، من مؤلفاته البارزة: "الساق على الساق" (1855)، أول رواية عربية حديثة، و"الجاسوس على القاموس"، دراسة نقدية للمعاجم العربية، ساهم في تحديث اللغة العربية ومفرداتها، وواجه محاولات "التريك" في الدولة العثمانية، توفي في إسطنبول عام 1887، ينظر: جورج عطية، الكتاب في العالم الإسلامي، تر: عبد الستار الحلوجي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2003.

⁵ خير الدين التونسي: وُلد عام 1820 في القوقاز، وأُسّر صغيراً، ثم بيع في إسطنبول حيث تلقى تربية خاصة، قبل أن ينتقل إلى تونس ليصبح من رجال بلاط الباي، تلقى تعليمه في الزيتونة، واطلع على النظم الأوروبية، مما أثر في توجهاته الإصلاحية، تولى مناصب مهمة، منها رئاسة وزراء تونس والصدر الأعظم للدولة العثمانية، وسعى إلى تحديث التعليم والاقتصاد والإدارة، لكنه اصطدم بالفساد والاستبداد، ألف كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، داعياً إلى الاجتهاد الفقهي والأخذ بأسباب التقدم، توفي عام 1890 في إسطنبول، ثم نُقل رفاته إلى تونس عام 1968، ينظر: رشاد الإمام، التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون عهد الأمان، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2010، ص 12.

⁶ خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، المطبعة الرسمية، تونس، 1867.

⁷ أنساعد، الرحلة إلى المشرق...، المرجع السابق، ص 48.

والمشاهد المختلفة، ويبرز في هذا السياق دور الأدباء الجزائريين الذين عايشوا الاحتلال، حيث عبّروا عن تجاربهم بوسائل أدبية متنوعة، شملت الشعر والمقالة والخطابة والقصة والرحلة، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى¹.

كان الاحتلال يدعم نشر كتابات بعض الرحالة عبر جريدة "المبشر"، بينما برزت أفلام وطنية مثل الأمير عبد القادر، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومحمد السعيد الزاهري وغيرهم، الذين استثمروا أدب الرحلة كأداة للمقاومة والتعبير عن الهوية الوطنية، وقد تميزت نصوصهم إما بجمالية فنية رفيعة أو بأسلوب تقريرى مباشر يخدم قضايا المجتمع، خاصة من خلال الصحافة الوطنية التي كانت سلاحاً فكرياً لمواجهة الاحتلال.

في القرن العشرين، تميزت رحلات الجزائريين بتنوع طابعها واتجاهاتها، من بين أبرز الأمثلة مذكرات الشيخ محمد الغسيري، التي نشرها في مجلته "الشهاب"، وقد لعب هذا النوع من الأدب دوراً مهماً في بناء الوعي الوطني والثقافي الجزائري، كما يظهر في رحلات ابن باديس، التي تمحورت حول مشروعه الإصلاحى، ورحلات مبارك الميلي، التي تضمنت تحليلاً تاريخياً دقيقاً، امتازت نصوص الرحالة الجزائريين بتصويرها مشاهد المجتمع بواقعية وبلاغة، حيث اهتم بعضهم بوصف المناظر الطبيعية والظروف الاجتماعية، بينما ركز آخرون على تحليل القضايا الاجتماعية والاقتصادية، مثل أوضاع العمال المهاجرين، كما اختلفت أساليبهم بين السخرية والدعابة، كما عند ابن العابد الجلاي، وبين الحزن والأسى على الوطن، كما عند عثمان سعدي²، أما الغسيري ومحمد الصالح رمضان، فقد تميزت كتاباتهم برومانسية الإحساس وجمالية اللغة، مما جعل أدب الرحلة الجزائري مزيجاً فريداً من التوثيق والتأمل الفني والاجتماعي، وسنتطرق في الفصل الثاني لبعض هذه الرحلات.

لم يكتب الجزائريون رحلاتهم خلال الثورة بأسلوب تقليدي، رغم تنقلهم في عدة مناطق من العالم للمشاركة في النشاطات الثورية، ومع ذلك، كان لأدب الرحلة دور أساسي في توثيق التجارب الشخصية والسياسية³، مما

¹ بخيتي، أدب الرحلة...، المرجع السابق، ص 220-224.

² عثمان سعدي (1930 - 2022): هو مفكر ومناضل جزائري، وأحد أبرز المدافعين عن الهوية العربية في الجزائر، وُلد في بلدية تبسة، وشارك مبكراً في الحركة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي، حيث التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني خلال الثورة الجزائرية، بعد الاستقلال، برز كواحد من أبرز الأصوات المدافعة عن التعريب ومكانة اللغة العربية، وساهم في العديد من المعارك الفكرية والثقافية بهذا الشأن، عُرف عثمان سعدي بمؤلفاته الغزيرة التي تناولت قضايا الهوية الوطنية، اللغة، والتاريخ، وكان رئيساً للجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية، ظل طوال حياته متمسكاً بمواقفه ومبادئه، حتى رحيله سنة 2022، ينظر: أحمد بن نعمان، (13 ديسمبر 2022)، عثمان سعدي ناب عن الدولة الجزائرية في الدفاع عن اللغة العربية، عربي 21، استرجع في تاريخ 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://arabi21.com/story/1480716>

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الفقا...، ج2، المرجع السابق، ص 382.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

ساهم في الحفاظ على الذاكرة الثقافية الوطنية، كما يتجلى في أعمال مثل مذكرات ابن باديس ومحمد الحافظ المصري التي توثق تجاربهما في الجزائر وخارجها¹.

يمكن القول بأن كتابة الرحلات تُعد جنسًا أدبيًا يتداخل فيه التوثيق مع السرد الفني، حيث يعكس تجربة السفر في أبعادها الجغرافية والثقافية والاجتماعية، متجاوزًا حدود الوصف المكاني ليبرز الانفعالات والتأملات الذاتية، وقد تطوّر هذا الفن عبر العصور ليشكل مصدرًا غنيًا للباحثين، إذ وظفه العرب منذ الجاهلية، وبلغ أوجه في القرون الإسلامية الوسطى، ثم تميز في المغرب العربي خلال فترات الاحتلال والاحتلال، تختلف دوافع الرحالة بين التوثيق، والتثقيف، والتبليغ السياسي، بينما تتعدد أساليبهم بين السرد الواقعي والتحليل الذاتي، مما يجعل الرحلة خطابًا مركبًا يجمع بين الرواية والوصف والمعرفة، في السياق الجزائري، أدى أدب الرحلة دورًا محوريًا في التعبير عن الهوية الوطنية ومقاومة الاحتلال، خاصة من خلال الصحافة والأدب الإصلاحي، حيث شكّل وسيلة لتصوير الواقع وتوثيق التجارب والانفتاح على العالم، فأسهّم في بناء الوعي الجماعي والحفاظ على الذاكرة الثقافية.

4.1. نشأة كتابة التراجم

التراجم تُعدُّ فنًا من فنون النشر المرتبطة بشكل مباشر بالتاريخ، حيث تستمد موادها من التاريخ نفسه وتجارب الحياة والمواقف الإنسانية، بعض القدماء يعتبرونها فرعًا من فروع كتب التاريخ، مما يجعلهم يفضلون تسمية مصنفاتهم في التراجم باسم "التاريخ"، يُلاحظ أن بعض المؤلفين الحديثين في علم الرجال يستخدمون أيضًا تسمية "التاريخ" لكتبهم، مما يشير إلى تقارب العلاقة بين السير والتراجم، كما تتنوع التراجم بين السير الشخصية والعلمية، وتتضمن تفاصيل دقيقة عن حياة الأعلام وتأثيرهم عبر العصور، لا يمكن اعتبار كتابة التراجم مهمة سهلة، إذ تتطلب مهارات متعددة مثل المعرفة الواعية والناقدة، سواء كانت مكتسبة من الخبرة العملية أو من الدراسة الأكاديمية، السرد البياني واستخدام اللغة السلسة والدقيقة أمور أساسية في كتابة التراجم².

يرى أندريه مورا (André Mura) في كتابه "فن التراجم والسير الذاتية" أن علم التراجم هو فرع مهم من فروع المعرفة، يختص بتسجيل حياة الأفراد وإنجازاتهم بأسلوب يجمع بين الصدق الفني والدقة التاريخية، ويؤكد أن الترجمة الحقيقية ليست مجرد سرد للوقائع، بل عمل أدبي يستدعي فهم شخصية المترجم له، وتحليل ظروفه الاجتماعية والثقافية، وعرضها بطريقة تثير اهتمام القارئ وتعكس روح العصر الذي عاش فيه، فالتراجم تُمثل جسرًا بين الفرد

¹ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 294.

² الرئيس إبراهيم بن حماد، علم التراجم، المكتبة الشاملة الذهبية، السعودية، ص 10.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

والمجتمع، وتوثق أثر الأفراد في التاريخ والحضارة، كما يوضح أن هذا الفن عرف تطوراً ملحوظاً في التراث العربي، بدايةً من كتب الطبقات والرجال التي كانت تهدف إلى حفظ سند الرواية والدين، إلى السير الأدبية الكاملة التي تناولت الشخصيات بمزيد من التحليل والاهتمام بالجانب الإنساني، وبين أن كتابة التراجم تتطلب توازناً دقيقاً بين الأمانة العلمية ومتطلبات البناء الأدبي، مما يجعلها عملاً يجمع بين المؤرخ والأديب معاً¹.

يُعدُّ فن التراجم وسيلة فعّالة لتوثيق حياة الشخصيات المهمة وتأثيرهم على المجتمعات عبر العصور، مع التأكيد على الدقة والواقعية في التصوير، ومنذ القدم، حافظت الأمم على تسجيل ذكريات أبطالها ومشاهيرها وأعيالها بطرق متنوعة، بدءاً من النحت على شكل تماثيل وتقوش على الجدران والصخور، وصولاً إلى التراث الشفهي الذي توارثه جيلاً بعد جيل، هؤلاء الأعلام الذين كانوا مثلاً للصالح والاستقامة تم ذكرهم في القرآن الكريم، وكان لهم مكانتهم في الذاكرة الجماعية للأمم².

كما أن علم التراجم قديم ويعود إلى العصور القديمة، حيث كان يتزامن مع نشأة التاريخ في كثير من الأحيان، أقدم ما وصلنا من كتب التراجم كان من الإغريق والرومان، مثل كتب بلوتارك (Plutarque) عن سير عظماء اليونان والرومان، في العصور الوسطى، كتب الأوروبيون في التراجم بشكل بسيط حتى ظهور علماء مثل صامويل بيس (Samuel Biès) والمؤرخ ريتز (Ritter) في القرن السابع عشر.

أما عند العرب، فقد كان لعلم التراجم اهتمام كبير منذ العصور الإسلامية الأولى، حيث أصبح ضرورياً في ضوء أهمية التحقق من صحة الأنباء والأخبار، بدأ العلماء في جمع سير الأعلام ورواة الحديث النبوي للحفاظ على الحديث النبوي الشريف من التدليس، تطورت التراجم العربية الإسلامية لتشمل تنوعاً واهتماماً بترتيب الأعلام والموضوعات وتحقيق الوفيات والمواليد، مما جعلها تفوق في هذا الجانب على التراجم العالمية في الآداب الأخرى.

2. نماذج من كتابة المذكرات واليوميات:

1.2. مذكرات قصة حياتي لفاطمة آيت عمروش

يعد كتاب قصة حياتي (Histoire de ma vie) مذكرات للكاتبة فاطمة آيت منصور عمروش، تتناول فيه سيرتها الشخصية، متوقفة عند نشأتها في جبال القبائل بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وما واجهته من تحديات بوصفها امرأة في مجتمع تقليدي خاضع لواقع استعماري، ويستهل الكتاب بتقديمات ثلاثة من الأدباء هم

¹ أندريه مورا، فن التراجم والسير الذاتية، تر، تق: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة. المشروع القومي للترجمة، مصر، 1999، ص 23.

² بن حماد، علم التراجم، المرجع السابق، ص 10.

فينسنت مونتيل، وكاتب ياسين، وجان عمروش، تعقبها رسالة توجهها فاطمة إلى ابنها جان عمروش، ثم تشرع في سرد قصتها منذ الطفولة، مستعرضة مختلف المراحل التي مرت بها في حياتها، لتنتهي مذكراتها بقصائد تعبّر عن تجربتها الوجدانية والفكرية، ويمكن تقديم هذه السيرة وفق التقسيم الذي اعتمدته فاطمة آيت منصور عمروش على النحو الآتي:

• تقديم فينسنت مونتيل

كتب فينسنت مونتيل¹ (Vincent Monteil) في تقديم هذه السيرة يقول "فاطمة آيت منصور عمروش، كاتبة الأسطر التي سنقرأها، لا يمكن تقديمها على نحو أفضل من خلال ابنها نفسه، جان عمروش، الذي سبقها إلى الموت، فقد كان في بعض الأحيان التيار المبدئي لذلك المنبع الذي استقى منه، منذ الطفولة المبكرة، مع أخته طوس، موهبة الشعر التي لم تفارقهما أبدًا، فالشعر هو قبل كل شيء صوت، وهذا الصوت على وجه الخصوص هو نداء يتردد طويلاً في الليل، ويقود الروح تدريجياً نحو مصدر خفي، إلى تلك النقطة من صحراء الروح حيث، بعد أن نفقد كل شيء، نجد كل شيء من جديد، ولكن قبل أن أميّز في هذه الأناشيد صوت شعب من الظلال والأحياء، صوت أرض وسماوات، كانت بالنسبة لي وسيلة تعبير فردية، لغة شخصية لأمي، جان عمروش لم يعد موجوداً، لقد فارق الحياة في قوة الشباب، في اللحظة التي كانت فيها الجزائر على وشك تحطيم قيودها، وكان غالباً ما يتحدث عن والدته كما يتحدث عن الجزائر، بنفس الشغف وبنفس الجدية كما في "أغاني الأمازيغ في القبائل"²

يعكس هذا التقديم عمق العلاقة الروحية والفنية التي جمعت بين جان عمروش ووالدته فاطمة آيت منصور عمروش، إذ يشير مونتيل إلى أن جان، بصفته شاعرًا وكاتبًا، كان شديد التأثر بوالدته التي منحتة، هو وأخته طوس، الموهبة الشعرية التي شكّلت قوة دافعة في مسيرتهما الإبداعية، ويبرز النص أن الشعر لم يكن بالنسبة إليهما مجرد ممارسة فنية، بل صوتاً داخلياً وروحياً يتردد في الأعماق، كما يسلط مونتيل الضوء على التداخل بين حب جان عمروش لوالدته وحبه للجزائر، إذ كان كلاهما مصدرين أساسيين للشغف والإلهام في حياته، ففاطمة آيت منصور

¹ يُعد فنسون مونتاي (1913-1998): مستشرقًا وعالمًا فرنسيًا بارزًا متخصصًا في العالمين العربي والإسلامي، درس في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وأتقن عدة لغات شرقية مثل العربية والفارسية، خدم في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية، وبعدها عمل مستشارًا ثقافيًا ودبلوماسيًا في عدة بلدان عربية، كان مونتاي معروفًا باهتمامه العميق بالحضارة الإسلامية، وألف العديد من الدراسات والأعمال التي ساهمت في التعريف بالثقافة العربية والإسلامية في فرنسا، اعتنق الإسلام لاحقًا، مما أضفى على أعماله طابعًا خاصًا من الفهم العميق والانفتاح الثقافي، ينظر:

Malek Chebel, (03 mars 2005), **Vincent-Mansour Monteil**, un maître de l'Ecole française d'islamologie, le monde, consulté le 18 novembre 2024, sur le site: https://www.lemonde.fr/disparitions/article/2005/03/03/vincent-mansour-monteil-un-maitre-de-l-ecole-francaise-d-islamologie_400219_3382.html

² F.Menssour, Op.cit, p 08.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

لا تظهر هنا بوصفها أمّا فحسب، بل باعتبارها تجسيداً لروح شعب وأرض انعكست في شعر ابنها وفي ارتباطه بالقضية الجزائرية.

• تقديم كاتب ياسين

يقدم كاتب ياسين هذه السيرة قائلًا "يحمل كتاب فاطمة نداء القبيلة، قبيلة مثل قبيلتي، بل يجب أن أقول قبيلتنا، قبيلة متعددة الجوانب ومع ذلك فريدة، معرّضة لجميع التيارات ولكنها غير قابلة للتجزئة، حيث يتصارع باستمرار الشرق والغرب، الجزائر وفرنسا، الصليب والهلال، العربي والأمازيغي، الجبال والصحراء، المغرب العربي وإفريقيا، وأمور أخرى كثيرة، قبيلة رامبو وسي محمد أو محمد، حنبل، ابن خلدون، والقديس أوغسطين، شجرة الحياة المجهولة لدى المتحضرين، والذين، رغم قلة معرفتهم، تأثروا جميعًا بهذه التينة البربرية، وهي عائلة عمروش¹"

ويعبر كاتب ياسين من خلال هذا التقديم عن تعقيدات الهوية الجزائرية وتعدد طبقاتها الثقافية والتاريخية، إذ يجعل من القبيلة رمزًا جامعا لتجربة جماعية تتجاوز الفرد، حين يقول "قبيلتنا"، في إشارة إلى انتماء مشترك يتخطى الحدود الضيقة، ويرى القبيلة ككيان فريد رغم تعرضه لتأثيرات متعددة، تتجلى في صراع الشرق والغرب، الجزائر وفرنسا، الإسلام والمسيحية، والعنصرين العربي والأمازيغي، كما يستحضر رموزًا تاريخية وفكرية وأدبية متنوعة ليؤكد عمق التراث الحضاري الذي أسهم في تشكيل هذه الهوية، وفي ختام تصوره، يصور القبيلة بوصفها شجرة حياة متجذرة وقادرة على التأثير، رغم جهل من يسميهم "المتحضرين" بها، في دلالة على صلابة الهوية الجزائرية وقدرتها على مقاومة محاولات التفكيك والتهميش.

• رسالة جان عمروش إلى والدته

كتب جان عمروش رسالة إلى والدته بتاريخ 16 أبريل 1945 عبّر فيها عن مشاعره العميقة تجاهها وعن حبه الصادق لها، متحدثًا بأسلوب حميمي عن أفراحه وآلامه ومشكلاته، وكأنه ييوح لها بكل ما يختلج في صدره، ويختتم رسالته بتقبلها والتأكيد على تعلقه الشديد بها.

وتكشف هذه الرسالة عن حب وحنين عميقين يكتنهما جان عمروش لوالدته، إذ يستحضر ذكرياتهما المشتركة في رادس، وما جمعهما من لحظات سعيدة وأخرى قاسية، ويصف بأسلوب شاعري كيف ظلت والدته، رغم أعباء الأعمال المنزلية الشاقة وتقدمها في السن، محتفظة بنضارتها الروحية وبهجتها الداخلية، كما يبرز شعوره القوي

¹ Ibid, p 12.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

بالارتباط الوجودي بها، مؤكداً أنها ليست مجرد ذكرى في حياته، بل جزء لا يتجزأ من كيانه، ويحثها في الوقت ذاته على تدوين ذكرياتها وتجاربها في منطقة القبائل، معتبراً ذلك عملاً ذا قيمة عظيمة وأمانة تاريخية، ويختم رسالته بعاطفة جياشة وحنان واضح

من خلال هذه الرسالة يمكن الاستنتاج أن جان عمروش كان أحد الدوافع الأساسية التي شجعت فاطمة آيت منصور عمروش على كتابة سيرتها الذاتية، إذ حثها على سرد تجربتها الحياتية، وعبر عن امتنانه لها بوصفها المصدر الأول لفكره وثقافته وإبداعه، هو وأخته طاولس عمروش.

● إهداء إلى جان عمروش

في هذه الرسالة التي تشبه الوصية، تكتب فاطمة آيت منصور عمروش إلى ابنها جان رسالة مؤثرة تترك له فيها قصة حياتها لتكون إرثاً يتصرف فيه بعد وفاتها، مؤكدة أن القصة حقيقية، وأن الأحداث التي سبقت ولادته نقلتها إليها والدتها حين بلغت سن الفهم، وترى أن هذه السيرة تستحق أن تُعرف، مع رغبتها في حذف الأسماء الحقيقية إن استخدمت، وتقترح تحويلها إلى رواية إذا رغب جان في ذلك، كما توصي بتقاسم الأرباح العمل بين إخوة جان وأخته، مع مراعاة التكاليف الخاصة به، وتوضح أن المخطوط سيُختم ويُسلم إلى والده ليعطيه إياه بعد وفاتها، وقد كُتبت هذه الرسالة بتاريخ 1 أوت 1946، أي بعد نحو عام من رسالة جان إليها

وجاء في الرسالة قولها "ماكسولا رادس، 1 أوت 1946، إلى ابني جان، أترك لك هذه القصة، وهي قصة حياتي، لتفعل بها ما تشاء بعد وفاتي، هذه القصة حقيقية، ولم يُخلق أي حدث فيها، كل ما حدث قبل ولادتي أخبرني به والدي عندما كبرت بما يكفي لفهمه، وإذا كتبت هذه القصة فذلك لأني أعتقد أنها تستحق أن تُعرف، أرغب في إزالة جميع الأسماء الحقيقية إذا فكرت في فعل شيء بها، وإذا حوّلتها إلى رواية أطلب أن يتم تقاسم الأرباح بين إخوانك وأختك مع مراعاة تكاليفك ونفقاتك، كتبت هذه القصة تخليداً لذكرى والدي العزيزة والسيدة مالا فال التي منحتني حياتي الروحية"¹

¹ Ibid, p 17.

الجزء الأول: الطريق إلى المدرسة

- أمي:

تتحدث الكاتبة في هذا الجزء من السيرة عن والدتها، فتذكر أنها وُلدت في قرية تاوريرت موسى أو عمر، وتزوجت في سن مبكرة من رجل مسنّ كانت له ابنة تكبرها سنًا، ورغم أنها لم تشتك من زوجها، فإنها عاشت مأساة غامضة حين قُتل شقيقه الأصغر قبل أن يتمكن من كتابة وصية تورث ممتلكاته لزوجته. أصيب الزوج بعد ذلك بمرض غريب قضى عليه في عام عرفت فيه المحاصيل ازدهارًا استثنائيًا.

بعد وفاته، أراد شقيقها إعادتها إلى بيت أهلها، لكنها رفضت، فطُردت من عائلتها وأعلنت غريبة عنهم. اضطرت إلى تدبير شؤون حياتها وحدها، فعملت في الحقول وواجهت قسوة العيش، إلى أن وقعت في حب شاب من عائلة زوجها الراحل، فحملت منه، لكنه أنكر أبوته، ووفق تقاليد القبائل الصارمة، كان عليها أن تختفي، غير أن الاحتلال الفرنسي أوقف عمليات القتل المرتبطة بـ: (الشرف)، فلجأت إلى القضاء.

تعرضت لضغوط شديدة من أهل زوجها الذين حاولوا طردها وانتزاع أبنائها منها، لكنها لجأت إلى المحكمة الفرنسية التي منحتها حماية قانونية، وعندما أنجبت طفلتها، وهي الكاتبة فاطمة، تركت وحيدة، فاضطرت إلى قطع الحبل السري بأسنانها، لاحقًا، حملت طفلتها وتقدمت بشكوى ضد والدها الذي رفض الاعتراف بها خوفًا من أسرته النافذة، استمرت القضية ثلاث سنوات، وانتهت بإدانته بدفع تعويض مالي، غير أنها رفضته لأن القانون لم يلزمه بمنح الطفلة اسمه، وفي لحظة يأس، حاولت إغراق ابنتها، لكنها نجت، واصلت الأم حياتها في كفاح دائم، تعمل ليلاً ونهارًا، بينما كانت فاطمة تُترك وحيدة في المنزل، تعاني قسوة المجتمع، وتعرض للضرب والإهانة لأنها (ابنة الخطيئة)، وهكذا كانت طفولتها سلسلة من الألم والحرمان، محفورة في ذاكرتها منذ البدايات.

- تادرت أو فلا:

يقدم النص وصفًا تاريخيًا لدار الأيتام (تادرت-أو-فلا)، التي تأسست بين عامي 1882 و1884، وسميت نسبة إلى القرية المجاورة. وفي تلك الفترة، شهدت منطقة القبائل الكبرى افتتاح عدد من المدارس، وكانت الدار تحت إدارة السيد والسيدة مالا فال، حيث: "تولت السيدة مالا فال لاحقًا إدارة مدرسة الفتيات بناءً على رغبة المدير ساباتييه"

تتحدث الكاتبة عن كيفية جمع الفتيات من القرى المجاورة ضمن حملة نظمته السلطات المحلية، مما أدى إلى "اكتظاظ المباني الأصلية للحصن، فتم بناء مدرسة جديدة تحمل الاسم نفسه"، كما يشير النص إلى وجود لافتة عند مدخل الدار إلى غاية سنة 1890، قبل أن تختفي لاحقًا.

ينتقل السرد إلى شهادة شخصية لطفلة التحقت بالدار في سن مبكرة، حيث تصف الظروف القاسية التي عاشتها الفتيات، إذ: "كن يعشن في عنابر جماعية، بأسرة بسيطة دون وسائل أو ملاءات، ويتناولن طعامًا متواضعًا يتكوّن من القهوة السوداء، والعدس، والفاصولياء، والأرز"، ورغم هذه القسوة، تستحضر الكاتبة لحظات دافئة، مثل: "الجلوس حول الموقد في ليالي الشتاء والاستماع إلى الحكايات".

كما تستعيد ذكريات الجولات اليومية حول المدرسة، حيث كانت الفتيات: "يجمعن الزهور البرية ويصنعن منها أكاليل"، إضافة إلى "رحلات أطول نحو جبال جرجرة أو المواقع التاريخية، مثل الفنون والحرف التي أُحرقت خلال ثورة 1871".

— الدورة التعليمية العادية:

تروي الكاتبة تجربتها التعليمية في أواخر القرن التاسع عشر، حين التحقت بمدرسة Cours Normal سنة 1893، حيث واجهت هذه المدرسة صعوبات كبيرة بسبب رفض القبائل تعليم الفتيات. أنشأت السيدة مالا فال عدة دور حضانة في القرى، لكنها لم تجد فتيات متعلّقات للعمل فيها، ما دفعها إلى الاستعانة بطلّبات سابقات. وعلى الرغم من نجاح بعض التجارب، أغلقت المدرسة سنة 1895 نتيجة الرفض الاجتماعي، فعادت الكاتبة إلى حياتها العادية في قريتها.

بعد عودتها، كانت تساعد عائلتها في الحقول، غير أنها لم تتخلّ عن شغفها بالقراءة، إذ كانت تستعير الكتب من مكتبة المدرسة، متأثرة بأعمال فيكتور هوغو، وموليير، وألفونس دوديه¹ (Alphonse Daudet)، وتذكر هذا الشغف بقولها: "كنت أقرأ بنهم، ألتهم الكتب كما يلتهم الجائع الطعام"، كما تستعيد مشاهد طفولتها، مثل

¹ ألفونس دوديه (1840–1897): هو روائي وكاتب مسرحي فرنسي بارز، اشتهر بحساسيته الكبيرة وأسلوبه السري البسيط والمليء بالعاطفة، وُلد في نيم بجنوب فرنسا وعاش طفولة صعبة أثرت لاحقًا في أعماله، بدأ حياته المهنية ككاتب في الصحافة قبل أن يتجه إلى الأدب، من أشهر أعماله رسائل من طاحونتي (Lettres de mon moulin)، حيث عبّر عن حنينه لريف الجنوب الفرنسي، كما تناول في رواياته قضايا اجتماعية وإنسانية بدفء وسخرية رقيقة، يعتبر دوديه من أبرز ممثلي الأدب الواقعي الفرنسي في القرن التاسع عشر، ينظر:

Wanda Bannour, *Alphonse Daudet, bohème et bourgeois*, Perrin, Paris, 1990, p34.

رحلاتها الطويلة إلى المدرسة، وجلسها عند النهر أو تحت ظلال الأشجار، معبرة عن حنينها بقولها: "كانت تلك الأيام، رغم قسوتها، تحمل في طياتها شيئاً من السحر الذي لا يُنسى".

تتطرق أيضاً إلى تفاصيل حياتها اليومية، مثل احتفالات الكرنفال وزيارات الكنيسة لسماع الترانيم، كما تستحضر معاناتها من البرد والجوع خلال رحلاتها الطويلة، قائلة: "كان الصقيع يلسع وجهي، وكان الجوع رفيقي في تلك الدروب القاسية"، وتختتم هذا المقطع برسم صورة مديرة المدرسة، ذات الشخصية القوية والهيئة الراسخة في ذاكرتها، كما تذكر المواد التي كانت تميل إليها، مثل التاريخ الفرنسي، في حين كانت تكره الجغرافيا، وتحب الكتابة والاختراع، دون اهتمام كبير بتفسير الأمثال أو القواعد.

— قريتي كما عرفتها:

تستعرض فاطمة آيت عمروش تجربتها الإنسانية عند عودتها إلى قريتها بعد فترة من التعليم، فتبدأ بوصف حالتها الصحية المتدهورة، حيث كانت شاحبة ونحيلة، مما يعكس شعورها بالضعف واعتمادها على أخيها، وتصف لحظة الاستقبال قائلة: "استقبلتني أمي وقدمت لي إبريقاً من الحليب الرائب من معزها؛ هذا المشروب المريح والمنعش أعاد إليّ عافيتي"، في مشهد يعكس عمق العلاقة العاطفية داخل الأسرة.

تعبر الكاتبة عن رغبتها في الابتعاد عن مظاهر الحضارة بقولها: "منذ ذلك اليوم أردت أن أزيل من ذاكرتي كل مظهر من مظاهر الحضارة"، وهو ما يكشف صراعها الداخلي بين ما تلقته من تعليم وبين القيم التقليدية التي نشأت عليها، كما تبرز التزامها بالتقاليد من خلال مشاركتها في الأعمال المنزلية ومساعدة والدتها.

تناول تفاصيل الحياة اليومية، مثل الحصاد وصناعة الفخار، حيث تصف والدتها وهي تعجن الطين لصنع أدوات الاستعمال اليومي، قائلة: "في ذلك العام صنعت العديد من الأشياء: أبريق، وقوارير، وأواني، وأطباقاً كبيرة لطهي الكعك"، وتعكس هذه الأنشطة روح التضامن الجماعي في القرية.

تظهر مشاعر القلق حين تشعر بأن مستقبلها غامض، مستحضرة كلمات والدتها: "استسلم لإرادة سيدك"، في دلالة على الإيمان بالقدر، وتختتم هذا المقطع بمشهد الفراق، حيث تبكي الأم قائلة: "إذا احتجت إلى شيء ولم تكن سعيداً، فاعلم أنه ما دمت على قيد الحياة فبيتي مفتوح لك"¹، وهو تعبير بالغ عن الحب والدعم غير المشروط.

¹ F.Menssour, Op.cit., p 23.

— مستشفى عائلة آيث مانغويليث:

تسرد فاطمة آيت منصور تجربتها في مستشفى آيث مانغويليث بأسلوب سردي واقعي، تصف فيه لحظة وصولها ورؤيتها للمبنى لأول مرة، حيث تماهى المشهد مع حلم سابق رآته في منامها، فتقول: "بمجرد أن كنت أمام الواجهة، تعرّفت على حلمي".

تصف تفاصيل المكان بدقة، من الممر الطويل إلى الغرف المختلفة، وتذكر لقاءها بالحارس الملقب بـ"الزنجي"، ثم انتقالها إلى الأم سانت ماثيو، التي فاجأها بكونها شابة ذات ملامح لطيفة، كما تتحدث عن حياتها داخل المستشفى، حيث أبلغت بأنها ستحصل على طعام وأجر شهري بسيط، قبل أن تكتشف قسوة الواقع المحيط بها. تشير إلى أنها عندما أعلنت اسمها الحقيقي "مارغريت"، قيل لها إنه لا يحق لها حمل اسم مسيحي لعدم تعميدها، فأصبحت تُعرف باسم "فادما دي تاجمونت"، وعلّقت على ذلك بقولها: "هذا جعل قلبي يرتجف بالفعل". وتصف نظام الرقابة الصارم داخل المستشفى، حيث كان كل شيء يتم "من أجل حب الله"، دون أن يصاحب ذلك إحساس بالحرية.

كما تسرد مشاهد من معاناة المرضى، خاصة في جناح النساء، مثل حالة "فاطمة رقم"، التي كان وجهها مجرد جرح كبير مغطى بالكمادات، إضافة إلى غياب تدابير الوقاية من العدوى، وفي الختام، تعكس الكاتبة مشاعرها المتضاربة بين الإيمان، والقهر، والبحث عن الذات، لتلخص تجربتها بقولها: "عندما قلت إن جميع الأديان لها جانبها الجيد، اعتُبر ذلك تجديفًا"، معبرة عن إحساسها بالاختلاف داخل عالم يسعى إلى قبولتها.

الجزء الثاني: دخول عائلة "عمروش":

— زواجي:

تتحدث فاطمة آيت عمروش عن تجربتها في حفل زفافها، حيث تبدأ أحداث اليوم السابق عندما وصل أصدقاء زوجها وأحد أصدقائه المسيحيين، تتذكر تفاصيل الصباح الذي ارتدت فيه الزي الأبيض واصططقت مع النساء للصلاة، "وافقت الأخت شانتال على أن تكون بمثابة عرابتي" وتصف شعورها بالقلق والارتباك مع بداية الزواج، حيث كانت الحياة الجديدة تنتظرها.

بعد الزفاف، تنتقل إلى منزل زوجها، حيث تشعر بالاختلاف بينه وبين منزل والدتها، "كان المنزل فارغًا بينما كان منزل والدي ممتلئًا ومرتبًا" توضح شعورها بالغربة في بداية هذه الحياة الجديدة، لكن مع مرور الوقت، تبدأ في التكيف.

تستمر القصة بالتفاصيل اليومية، بما في ذلك تحضيرات الطعام وزيارة الأقارب، وتواجه الكاتبة بعض التحديات، بما في ذلك الغضب العنيف لزوجها عندما فقد ساعته: "أمسك حماتي من شعرها وبدأ يضربها على ظهرها بكل قوته" تعكس هذه الحادثة الصراعات الأسرية والتوترات التي قد تحدث في الحياة اليومية.

مع مرور الوقت، تسير الأمور بشكل أفضل، حيث تعود فاطمة إلى عملها وتبدأ في بناء حياتها الجديدة: "في الحمل، كل شيء سار على ما يرام" فتعبر عن شعورها بالاستقرار والراحة.

تختتم الكاتبة بذكر انتقالها إلى غرفة جديدة، حيث كانت هذه الغرفة أكثر راحة من منزل القرية: "في نفس اليوم أحضرنا أغراضنا، وفي المساء أخيراً نمنا في مكان آمن" تعكس هذه الجملة إحساسها بالأمان والراحة في حياتها الجديدة.

– اغيل علي

تبدأ فاطمة آيت عمروش بسرد تجربتها في إغيل علي بعد زواجها، حيث تصف لحظة استيقاظها لتجد: "تايدهلّت، زوجة الجد حسن أو عمروش، تحمل طفلي بين ذراعيها وتتفحص ملامحه؛ وكان عمره أربعين يوماً فقط"¹ تعكس هذه اللحظة الحميمة شعورها بالارتباط العائلي، لكنها أيضاً تتحدث عن الصعوبات التي واجهتها في بيئة جديدة، وتصف الكاتبة كيف استقرت في غرفة كبيرة، حيث كانت الأرضية الترابية خشنة، مما يبرز الفروق بين منزلها ومنزل والدتها: "كان المنزل فارغاً بينما كان منزل والدي ممتلئاً ومرتباً"، تشعر فاطمة بالاختلاف وعدم الانتماء، خاصة مع وجود نساء يفتقرن للعمق في العلاقات، كما تتناول الكاتبة أيضاً الحياة اليومية، حيث ترى أن: "جو هذا المنزل كان مختلفاً عن جو منزلنا" تشير إلى طبيعة النساء في منزل زوجها وكيف أنهن كن سطحيات، مما يزيد من شعورها بالغربة، تذكر أن حماتها، جوهره، كانت تدير الأعمال المنزلية، وتصفها بأنها "قوية جداً، عريضة الكتفين، ممتلئة الجسم قليلاً"

في سياق حياتها الجديدة، تواجه فاطمة مواقف صعبة، مثل وفاة أحد أفراد الأسرة، تقول: "كان لا بد من دفنه في نفس المساء"، وتعكس هذه الجملة الحزن والفقد الذي يرافق التقاليد القبلية، وتظهر التحديات التي يجب مواجهتها في المجتمع، وتتحدث الكاتبة عن تجربتها في جمع الزيتون، حيث تضطر للتكيف مع الظروف الصعبة، معلقة: "كان المشي على الأرض القاسية بسبب الصقيع مؤلماً بالنسبة لي، ولكن بما أن الآخرين يستطيعون فعل ذلك، فلماذا لا أستطيع أنا؟" تعبر هذه العبارة عن تصميمها ورغبتها في الانخراط في الحياة اليومية.

¹ F.Menssour, Op.cit, p 100.

تستمر فاطمة في سرد تفاصيل حياتها، موضحة الروابط الأسرية والدعم الذي تتلقاه من الجدة التي كانت دائماً بجانبها، تُظهر هذه اللحظات كيف أن العلاقات القوية يمكن أن تساعد في تخفيف مشاعر الغربة، وفي النهاية، تعكس الكاتبة تجربتها في مواجهة التحديات والقدرة على التكيف، مما يُبرز قوتها كفرد في عائلة جديدة، تعبر عن شعورها بالانتماء، على الرغم من الصعوبات، وتؤكد على أهمية الروابط الأسرية في تشكيل حياتها.

– وفاة الجد حسين آيت عمروش وانحدار الأسرة

تناول فاطمة آيت عمروش في نصها وفاة الجد حسن وعمروش، وتأثير ذلك على العائلة، تعبر عن تعلقها بكبار السن، حيث كانوا يقدمون لها "المشورة الجيدة"، فتذكر كيف اقترحت عليها تايدهلت أن تتعلم العمل بالصوف لتأمين ملابس أطفالها، مما يعكس الروح العملية والتقاليد المتوارثة، وتحدث عن زيارة والدتها التي قضت خمسة عشر يوماً معها، حيث كانت تحضر الكعك وتساعد في المنزل: "لقد انتهت من البرنوس الذي ظل على النول لأكثر من عام"، وتعكس هذه الجملة الجهود المتراكمة التي تبذلها النساء في العائلة، وتتوالى الأحداث مع وصول صيف عام 1903، حيث تتعلم فاطمة نسج الصوف وتشارك في الحياة اليومية: "لقد غادرت حماي ديويها منزل زوجها إلى الأبد" تعبر هذه الكلمات عن التغييرات في الديناميات الأسرية، كما تصف الكاتبة احتفال ولادة ابنها هنري، الذي جاء بعد ولادة بول، حيث "جاءت جميع نساء القرية، صغيرات وكبيرات، لتهنئي والانضمام إلى المرح"، تعكس هذه اللحظة الفرح الجماعي والاحتفال بالحياة، وتستمر فاطمة في سرد قصتها، موضحة التحديات التي تواجهها مع أسرتها، مثل مشاكل الديون وعدم الاستقرار: "لقد تراكمت عليه الديون ورهن بيت والده"، تعكس هذه الجملة الصراعات المالية التي تتعرض لها الأسرة، تحتتم الكاتبة بتفاصيل عن حياتها اليومية، وكيف أن الحياة تستمر رغم الصعوبات، مشيرة إلى قدرتها على التكيف: "كان بول يذهب إلى المدرسة، في صف والده"، وتعكس هذه الجملة الأمل في المستقبل وتواصل الحياة.

الجزء الثالث: نفي تونس

– المنقولون

تبدأ فاطمة آيت منصور سرد تجربتها في المنفى بتونس بالحديث عن التحضيرات للرحيل، فتقول: "ودعْتُ الجميع وغادرنا هذا المنزل الذي اعتقدنا أننا سنعيش فيه إلى الأبد"¹، وهي عبارة تعكس مشاعر الفراق الممزوجة

¹ Ibid, p 156.

بالأمل في بداية جديدة. ثم تصف رحلة الانتقال إلى تونس، التي لم تخلُ من المشقة، قائلة: "كانت الرحلة في الدرجة الثالثة، حيث كنا نجلس على مقاعد صلبة بجوار عرب كانوا يرددون نفس الأغنية مرارًا وتكرارًا"¹.

عند وصولها إلى تونس، تستعرض تفاصيل الحياة اليومية في الحي الإسلامي، حيث عانت من عدم إتقانها اللغة العربية، وتستحضر هذه التجربة بقولها: "لدي ذكريات كابوسية عن تلك الرحلة"، معبرة عن القلق والارتباك اللذين رافقها في بدايات المنفى. كما تتحدث عن الصعوبات التي واجهتها في تأمين احتياجات الأسرة وتدير شؤون البيت، فتذكر: "في بعض الأحيان كان هنري، البالغ من العمر أربع سنوات ونصف، يحاول مساعدة شقيقه في حمل الدلو".

تشير إلى عودة زوجها بلقاسم إلى عمله، بينما تحمّلت هي مسؤولية إدارة المنزل ورعاية الأطفال. كما تعبر عن رغبتها في الانتقال إلى حي أوروبي يتيح لها حرية الحركة، فتقول: "استأجر شقة صغيرة في شارع سيدي المرجان"، وهو ما يعكس سعيها لتحسين ظروف عيش الأسرة، وتسرد ظروف ولادة طفلها لويس في خضم هذه الصعوبات، قائلة: "كان لويس لا يزال غاضبًا، وكان لا يزال طفلاً يجب حمله على الظهر"²، كما تتطرق إلى مرض أحد أبنائها، فتذكر: "أصيب هنري بالحصبة"، في دلالة على التحديات الصحية التي واجهتها كأم في المنفى.

تختتم هذا المقطع بالتعبير عن أملها في العودة إلى إغيل علي وتحسن أوضاع الأسرة، قائلة: "كنت آمل أنه في يوم من الأيام سيكون لزوجي منصب، وأن أتمكن أخيرًا من مغادرة هذا المنزل".

— من منزل إلى آخر:

تصف الكاتبة تنقل العائلة من مسكن إلى آخر، بدءًا من منزلهم في تونس، حيث فوجئت عند عودتها بأن الأسرة انتقلت إلى مكان جديد خلال غيابها، كانت الظروف قاسية، إذ تقاسموا السكن مع عائلة أخرى، وتحدثت عن الأعباء الثقيلة الملقاة على عاتقها في رعاية أبنائها الصغار، في ظل انشغال زوجها بالعمل.

تتوقف عند مرض ابنها جان، الذي أصيب بحالة خطيرة في عينيه استدعت متابعة طبية مستمرة، فتقول: "جان عانى من حمى قوية، وكانت عيناه بحاجة إلى رعاية طبية متواصلة، وأذكر يومًا عاد فيه إلى المنزل وعيناه مغلقتان، وقال إنه يشعر وكأن هناك شوكة في عينه، وعند الفحص، اكتشفنا قطعة من قطارة مكسورة داخل عينه، واضطر إلى العودة إلى العيادة كل يوم لتلقي العلاج، حتى تماثل للشفاء، لكنه احتفظ ببقعة صغيرة في عينه، بعيدًا عن البؤبؤ"³.

¹ Ibid, p 161.

² Ibid, p 178.

³ Ibid, p 179.

– شارع النهر:

يتناول هذا المقطع تجربة استقرار فاطمة آيت منصور عمروش في منزل جديد، وفرحتها بالحصول على مأوى لعائلتها، في مقابل الصعوبات المرتبطة بالسكن مع الأطفال، خاصة في ظل رفض بعض الملاك تأجير المنازل لهم، تصف المنزل بدقة، من حيث توزيع الغرف وطرق تدبير شؤون المعيشة، ولا سيما في ظل نقص الفحم، ما اضطرهم إلى استخدام الخشب المتوفر.

كما تستحضر رحلتها إلى قريتها "إغيل علي" سنة 1919 بعد سنوات من الغياب، حيث فوجئت بوفاة عدد من أفراد العائلة، وهو ما ترك أثراً نفسياً عميقاً لديها. ثم تعود إلى وصف حياتها في تونس، والصعوبات التي واجهتها في توفير مستلزمات الدراسة لأطفالها، إلى جانب التغيرات الاجتماعية الناتجة عن الانتقال إلى حي جديد يختلف في عاداته عن محيطها السابق.

تنطرق إلى نظرة المجتمع إليها بوصفها امرأة فرنسية متزوجة من رجل عربي، كما تشير إلى تمسك زوجها بارتداء "الشاشية" رغم ما سببه ذلك من عوائق مهنية، وتبرز اختلاف العادات بين الأحياء التونسية، حيث كان حيها الجديد أكثر محافظة، كما تستعرض تفاصيل الحياة اليومية داخل الأسرة، بما في ذلك الخلافات الصغيرة بين الأطفال وجدتهم حول الطعام والحلويات، ومواقف طريفة مثل سرقة الأطفال للتمر والزبيب خلسة.

تشير إلى الصعوبات الاقتصادية التي حوّلت من استهلاك الفاكهة، باستثناء فترات العطل في منطقة القبائل، حيث كانوا يحصلون عليها من الأقارب. وتروي انتقال العائلة لاحقاً إلى منزل جديد في رادس بعد بيع منزلهم القديم في شارع لا ريفيير، حيث نُقلت الأمتعة بمساعدة العمال العرب، ورغم الذكريات العائلية المرتبطة بالمنزل القديم، فإنها لم تشعر بالندم على مغادرته بسبب الأحران التي عاشتها فيه، وفي يوم الانتقال، عاد جان من سوسة رفقة صديقه للمشاركة في الامتحانات، وعند وصولهم إلى المنزل الجديد وجدوه فارغاً وجاهزاً للسكن، وأبدى جان سعادته بوجود حديقة، معبراً عن فرحه بجلب ثمار التين والفراولة.

– ملاذ رادس:

تتحدث فاطمة آيت منصور عمروش عن صعوبة السنوات الأولى التي قضتها الأسرة في رادس، حيث تحمّلت مسؤولية الشؤون المالية وتسديد الديون الكبيرة بمساعدة أبنائها، ورغم سياسة التقشف، كان الطعام متوفراً، وحاولت الأسرة التكيف مع أوضاعها الصعبة، كما تستحضر لحظات عائلية دافئة، مثل تجمعهم حول مائدة الطعام، والمواقف الطريفة لأبنائها، إلى جانب الصعوبات التي واجهها بعضهم في الدراسة والعمل.

تحضر الأمومة والحنين إلى أفراد العائلة الراحلين بقوة في ذاكرتها، خاصة خلال زيارتها لمنطقة القبائل بعد غياب طويل، كما تسرد تطور مسارات أبنائها، حيث التحق جان بالمدرسة العليا في سان كلو، بينما عمل لويس في بلدية تونس قبل أن يقرر السفر إلى باريس، وهو ما شكّل صدمة لها. وتبرز المذكرات عمق مشاعر الأمومة التي رافقت حياتها، إلى جانب التحديات الاجتماعية والاقتصادية التي واجهتها الأسرة. ورغم هذه الصعوبات، شعرت فاطمة أخيراً بشيء من الاستقرار بعد سنوات من الترحال، خاصة بعد تسديد الديون، غير أن القلق ظل يلازمها بشأن مصير أبنائها في مساراتهم المختلفة.

— خاتمة:

في خاتمة مذكراتها، تسلط فاطمة آيت منصور عمروش الضوء على المسار الذي قطعتة بين عالمين متباينين، حيث حملت إرثها الأمازيغي في قلبها، بينما خاضت تجربة الاندماج في المجتمع الفرنسي. تعكس كلماتها عمق الصراع الداخلي بين الهوية والانتماء، إذ لم تكن مجرد شاهدة على التحولات التي عاشها مجتمعها، بل كانت جزءاً منه، تنقل صوته وتجسد معاناته وآماله.

تؤكد الكاتبة في هذه الخاتمة على دور الأدب والذاكرة في الحفاظ على التراث الثقافي والهوياتي، مشددة على أن الكتابة لم تكن مجرد فعل إبداعي، بل كانت أيضاً وسيلة لاستعادة الذات وإثبات الوجود في فضاء غالباً ما كان ينكر أصالة هويتها. في هذا السياق، تعكس مذكراتها نضالاً مزدوجاً: نضالاً شخصياً للتحرر من القيود الاجتماعية والعائلية، ونضالاً فكرياً لإثبات مكانة الثقافة الأمازيغية في مواجهة التهميش والاستلاب الثقافي. بذلك، تمثل هذه الخاتمة تأملاً في رحلتها الحياتية والفكرية، حيث تستعيد تفاصيل التجربة التي صاغت هويتها الأدبية، وتترك للقارئ شهادة حية على المسارات الشائكة التي يسلكها المثقف المزدوج الانتماء في سعيه لفهم ذاته وإيصال صوته إلى العالم.

في ضوء ما تناولناه من تحليل لمذكرات فاطمة آيت منصور عمروش، يمكننا أن نستخلص أن هذه السيرة الذاتية ليست مجرد سرد شخصي لحياة فردية، بل هي شهادة تاريخية على تعقيدات الواقع الاجتماعي والثقافي الذي عايشته المرأة الجزائرية خلال حقبة الاحتلال الفرنسي. لقد عكست هذه المذكرات أبعاداً متعددة للصراع الهوياتي الذي عاشته الكاتبة، بين الانتماء الأمازيغي والتأثيرات الثقافية الفرنسية، وبين التقاليد القبلية والحدثة التي فرضتها الظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة.

يتبين أن هذه السيرة الذاتية تعكس تحولات المجتمع الجزائري في مرحلة ما قبل الاستقلال، حيث كانت المرأة تعيش في ظل منظومة اجتماعية صارمة تحدد دورها ومكانتها، وقد مثلت تجربة فاطمة نموذجاً للمرأة التي سعت إلى تجاوز هذه القيود عبر التعليم والانخراط في المجال الأدبي. كما تبرز المذكرات التأثير العميق للاستعمار في تشكيل الهويات الفردية والجماعية، حيث نرى كيف فرض الاحتلال واقعاً جديداً أدى إلى تعقيد العلاقات الاجتماعية والتداخل الثقافي، مما جعل الهوية الجزائرية محكومة بتناقضات حادة بين المقاومة والاندماج.

إذ ننظر إلى هذه المذكرات بوصفها وثيقة تاريخية، فإنها توفر مادة غنية لدراسة أوضاع النساء الجزائريات في ظل الاحتلال، خاصة فيما يتعلق بأدوارهن الاجتماعية ومكانتهن داخل البنية العائلية والمجتمعية. ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن "قصة حياتي" لفاطمة آيت منصور عمروش ليست مجرد عمل أدبي، بل هي شهادة حية على معاناة جيل بأكمله من النساء اللواتي واجهن تحديات مزدوجة: تحديات المجتمع التقليدي من جهة، وتحديات الاحتلال من جهة أخرى.

إن دراسة هذه المذكرات من منظور أكاديمي تاريخي تفتح المجال لإعادة تقييم دور الكتابة النسوية الجزائرية في حفظ الذاكرة الجماعية، حيث يتجلى الأدب كساحة للنضال الثقافي والاجتماعي، وليس مجرد أداة تعبير فردي. وفي النهاية، تبقى تجربة فاطمة آيت منصور عمروش مثلاً دالاً على التقاطعات التاريخية والثقافية التي شكلت مسار الجزائر في القرن العشرين، وعلى الدور الحيوي للأدب في حفظ تفاصيل التجارب التي لولاها لضاعت في زوايا النسيان.

2.2. يوميات مسار قلم لأبو القاسم سعد الله

هذه اليوميات تعود بدايتها إلى سنة 1957 حتى 1960 فترة تواجد سعد الله بالقاهرة كطالب هناك وكان يبلغ من العمر بين 27 و30 عام، وقد نشرها سعد الله كجزء ثاني من بين مجلد أسماه مسيرة قلم وحين نربط هذا العنوان بمضمون اليوميات فسنجد أنه تحدث عن مسيرته في الكتابة وهذا الجزء قد تحدث فيه عن تجاربه الشعرية فعلى سبيل المثال تحدث بتاريخ 08 جانفي 1957 عن "قصيدة كفاح حتى النهاية" فيقول: "حاولت أن أقول شعرا في العام الجديد وبعد كتابة أبيات في ذلك وبعد مراجعة قصائدي القديمة نمت متأخرا وفي رأسي أفكار لقصيدة كفاح حتى النهاية لم تبرز بعد"¹ وهذه القصيدة قد نشرها سعد الله في ديوانه الزمن الأخضر، وبتاريخ الحادي عشر

¹ سعد الله، مسار قلم ...، ج2، المصدر السابق، ص14.

من جانفي 1957 كتب سعد الله قصيدة يا عام، وبتاريخ 12 جانفي 1957 تحدث سعد الله عن رفض قصيدته "شعارات" في مسابقة بين الطلبة حيث أعاد ذلك إلى تحدث القصيدة عن الجزائر بينما يحتاجون في المسابقة قصيدة عن بور سعيد¹، كما تحدث عن قصيدة بروس في يوم 14 جانفي 1957 التي كتبها مجلة الرسالة الجديدة وقصيدة الربيع في الجزائر إلى جريدة المساء.

اليوميات أيضا تمنحنا نظرة على أوضاع الطلبة الجزائريين في القاهرة ومتابعتهم لأخبار بلادهم عبر الصحف ففي كل أيام اليوميات كان سعد الله متابعا لجريدة الجمهورية بالدرجة الأولى يبحث فيها عن أي خبر عن الجزائر ومن بينها خبر انتحار العربي بن مهيدي الذي استقبله يوم السادس من شهر مارس 1957 فيقول: "وسمعت أيضا أن السيد ابن المهيدي العربي² الذي كانت فرنسا قد ألقت عليه القبض هذه الأيام قد انتحر في السجن وقد اشترت مجلة الآداب وكنت أرجو أن تنشر لي قصيدة إضراب الجزائر ولكنها لم تفعل رغم أنها كتبت كثيرا في هذا العدد عن الجزائر"³

يبدو أن سعد الله لم يعبر عن مشاعره في موت بن مهيدي ويعود هذا إلى حذف هذا الجزء من سعد الله لكنه لم يضع نقاط الحذف التي وعد بها في بداية مذكراته أنه سيضع حذفًا لبعض الأحداث لتعلقها بشخصيات أو لخصوصيتها، أو يعود هذا إلى أن سعد الله يعيش طالبا في القاهرة وبلاده لم تتحرر بعد وأيامه في القاهرة ستنتهي ويعود لبلاده التي ليس تحررها مضمونا وخافة أن تقع المذكرات في يد الفرنسيين عند دخوله الجزائر ويتم محاسبته فانتقاله من خبر الانتحار إلى كونه كان يتمنى لقصيدته النشر في مجلة الآداب وكأن الخبر كان عابر وكل هذه مجرد تحليلات فرما شخصية بن مهيدي لم تكن معروفة بالشكل الذي عرفته بعد الاستقلال خصوصا بعد الاعتراف بقتلها.

¹ نفسه، ص 15.

² العربي بن مهيدي (1923-1957): أحد أبرز قادة الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، وُلد في عين مليلة بولاية أم البواقي، انضم مبكرا إلى صفوف الحركة الوطنية، ونشط في حزب الشعب الجزائري ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، كان من كبار مهندسي ثورة أول نوفمبر 1954، وعضوا في مجموعة الستة التي فحرت الثورة، عُرف بشجاعته وصره وقوة شخصيته، وشارك بفعالية في تنظيم الكفاح المسلح، خاصة معركة الجزائر، اعتقلته السلطات الفرنسية سنة 1957 بعد مقاومة شرسة، وتعرض لتعذيب شديد قبل أن يُغتال بدم بارد وهو رهن الاعتقال، ليصبح رمزا من رموز التضحية والصمود في تاريخ الجزائر، ينظر: سعدي بزيان، جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 110.

³ سعد الله، مسار قلم...، ج2، المصدر السابق، ص14.

يظهر في المذكرات أيضا متابعته لجرائد أخرى غير الجمهورية مثل المساء والأخبار، كما قرأ مجلات مثل مجلة الصباح، الآداب، الهلال، روز اليوسف وكذا مطالعته للعديد من الكتب مثل البيان العربي والأدب العربي في مصر وكذا كتاب الأمويون والبيزنطيون.

كان سعد الله يزور أصدقاءه من الجزائريين ويدعوهم للأكل الذي يطبخه، أكثر الأكلات التي كان يحب طبخها هي الكسكس، وقد كان يحب البقاء الانزواء لوحده وعدم الاندماج مع الطلبة الآخرين من العرب ولكنه خرج من هذا الانزواء بعد أن طلب منه إلقاء قصائد يكتبها في مناسبات عن فلسطين وغيرها، وقد كان يتراسل سعد الله مع عائلته ويكتب إليهم كما كان يرسل محمد الطاهر تليلي¹، وقد تلقى سعد الله خبر موت والده في إحدى هذه الرسائل فيقول بتاريخ 06 ديسمبر 1957: "وقد وجدت رسالة لي، عندما فضفضتها وجدت فيها نعي أبي ورسالة من الشيخ الطاهر التليلي وقد قال فيها أن الوالد توفي يوم السبت 16 نوفمبر 1957، وفيها كذلك رسالة من علي أخي، قد تأثرت وبكيت مدة ثم فكرت في قطع الموعد الذي جعلته مع الزملاء ولكني عدلت على ذلك حتى لا أخرج شعورهم"²

يظهر ولع سعد الله بالسينما فقد كان يزور السينما بشكل دائم فشاهد الفيلم الأمريكي: الثائر، وفيلم الجبل، فيلم عائد من الجحيم، فيلم لن أبكي أبدا³، القلب المتحجر، وقد تأثر بفيلم لعنة فرنكشتاين⁴ بسبب أعصابه المتعبة وتأثره بموت والده⁵.

¹ محمد الطاهر التليلي (1925-2003): هو سياسي ونقابي تونسي بارز، لعب دورًا مهمًا في تاريخ تونس خلال فترة ما قبل الاستقلال وما بعده، نشط في صفوف الاتحاد العام التونسي للشغل وأسهم في الحركة الوطنية التونسية، ثم تقلد عدة مناصب وزارية في عهد الحبيب بورقيبة، أبرزها وزارة الفلاحة، حيث قاد إصلاحات زراعية كبرى خاصة في مجال التعااضد الزراعي، تميز التليلي بمواقفه المستقلة وانتقاداته لبعض سياسات النظام، مما أدى إلى تهمة للاحقًا، رغم ذلك، واصل نشاطه الفكري والاجتماعي حتى وفاته سنة 2003، وبقيت مسيرته رمزًا للالتزام الوطني والنقابي في تونس الحديثة، ينظر: محمد الطاهر التليلي، هذه حياتي، إغ وإش: بشير خلف، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي-الجزائر، 2017، ص 07، ينظر أيضا: سعد الله، خارج السرب مقالات وتأملات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 161-162.

² سعد الله، مسار قلم...، ج 2، المصدر السابق، ص ص 263-264.

³ لن أبكي أبدا (1957): للمخرج حسن الإمام، فقد كان من الأفلام المؤثرة اجتماعيًا، إذ تناول الظلم الاجتماعي والفوارق الطبقية، وهو موضوع ينسجم مع إحساس سعد الله بالعدالة وانحيازه للفئات الضعيفة، مما جعله يجد صدى شخصيًا في أحداث الفيلم وشخصياته.

⁴ فرنكشتاين: هو عنوان مرتبط برواية شهيرة كتبها ماري شيلي سنة 1818، وتحولت إلى عدد كبير من الأفلام السينمائية، تحكي القصة عن عالم يُدعى فيكتور فرانكشتاين يقوم بصنع كائن حي من أجزاء بشرية، لكن هذا الكائن يواجه الرفض والعزلة، مما يدفعه إلى الغضب والانتقام.

⁵ تأثر سعد الله بشدة بفيلم "فرنكشتاين"، الذي شاهده خلال إحدى زيارته المنتظمة إلى السينما، حيث وجد في قصة الكائن المنبوذ وما يحمله من ألم ووحدة انعكاسًا لحالته النفسية المضطربة بعد وفاة والده، فقد لاس الفيلم أوتار حزنه الداخلي، خاصة أن أجواء الرعب والمأساة التي تحيط بشخصية فرنكشتاين جسدت شعور الفقد والعزلة الذي كان يعانيه، مما جعل تجربة مشاهدة الفيلم تترك أثرًا عميقًا في ذاكرته ومشاعره.

تحدث سعد الله أيضا عن محاولته كشاب نشر ديوانه الأول والذي وجد عراقيل وتسويات في إيجاد ناشر له، فقال بتاريخ 13 جانفي 1957: "خرجتُ قاصداً مطبعة لجنة البيان العربي عليها تتعهد بطبع الديوان وقد طلبوه مني ولكني لم أكن حاملا له، لذلك عهدتهم بالعودة"¹ وفي اليوم الموالي عاد إليهم وتحدث عن ذلك قائلا: "بعد حضور عدة محاضرات خرجت قاصدا مطبعة لجان البيان العربي حيث أخذت معلومات عن نشر الديوان والتكاليف العامة"².

يبدو أن التكاليف كانت مرتفعة عن قدرة سعد الله في الطباعة وقد علق سعد الله عن نشره لهذا الديوان في هامش اليوميات قائلا: "البحث عن ناشر للديوان أخذ وقتا طويلا وتجربة مريرة، وطريق النشر للمبتدئين طريق شاق وعسير، فقد عرضت الديوان على عدة ناشرين وانتهى به المطاف عند دار الفكر التي اختارت منه ما راق لها منه"³

يتوقف سعد الله عن كتابة يومياته دون أن يعلل ذلك سنة 1958 فتكون آخر صفحة فيه تعود لـ 01 أبريل وتغيب بقية العام ومعها سنة 1959 ولا يعود لكتابة شيء إلا سنة 1960 في الثاني عشر من شهر أبريل ويستمر بالكتابة فيها يومين فقط ويعود في الخامس العشرين من نفس الشهر وهي نهاية هذه المذكرات وربما لأن سعد الله انشغل في اعداد مشروع تخرجه أو لرتابة ما كان يعيشه وتكرره أو لتعبه، وآخر صفحة من المذكرات يتحدث فيها عن زيارة وردة الجزائرية إلى نادي الطلبة الجزائريين فيقول بتاريخ 25 أبريل 1960 قائلا: "زارت نادي الطلبة الجزائريين اليوم الفنانة الجزائرية وردة، كانت جميلة ومرحة تبدو عليها بساطة الفن وعمقه، لها شخصية قوية وجاذبية حادة قد تصل إلى القمة إذا أتيح لها أن تتفتح في جو نظيف وخصب"⁴، وفي هذه الصفحة يتحدث عن تملق الشعراء إلى الفنانة فيقول: "كان أسخف حديث سمعته من الأخ عبد الله صالح حين وقف يتملق وردة كي تغني له من شعره، ويسرد أمام الحاضرين تجربته غير الصادقة فيما يبدو مع بعض المسؤولين في التلحين حيث عدّد سبعة أسماء معروفة ليبرهن سعة معارفه... كانت نيتي أن أتحدث عن دور الأغنية الوطنية ووظيفة الفن في معركة الحياة ولكنني عدلت عن ذلك حين رأيت الشعر وهو الفن الأصيل ينحدر إلى التملق والإسفاف على لسان الأخ صالح"⁵

¹ نفسه، ص 16.

² نفسه، ص 17.

³ نفسه.

⁴ نفسه، ص 326.

⁵ نفسه.

3. نماذج من كتابة الرحلات:

1.3. رحلة في بعض جهات الوطن لعبد الحميد بن باديس

هذه الرحلة قام عبد الحميد بن باديس نشرها في مجلة الشهاب شهر نوفمبر 1931 من مدينة قسنطينة، وقد قدمت الرحلة على شكل سلسلة من المقالات، فكان الجزء الأول في المجلد التاسع والجزء الحادي عشر وعنوانها برحلة في بعض جهات الوطن، وقد قدّم بن باديس المقال بهذه الجملة القائلة: "تكرر الطلب علينا من أصدقائنا ومريدنا أن تنشر لهم شيئاً عن رحلاتنا الصيفية فلخصناها فيما يلي"¹

تقدم المقالة المنتمة لأدب الرحلة، التي كتبها أحد رواد جمعية العلماء المسلمين، سرداً مفصلاً لتجربة سفره من العاصمة الجزائر إلى وهران عبر عدة مدن، يعكس الكاتب من خلال مقاله اهتمامات الجمعية وأهدافها في نشر العلم والتوعية بين مختلف المدن الجزائرية، نقدم في هذا المقال تحليلاً للمحتوى مع الإستشهادات من النص لفهم أعمق للأفكار والتجارب التي مر بها الكاتب.

تبدأ الرحلة من قسنطينة وتنتقل عبر عدة مناطق هي مليانة، خميس مليانة، الأصنام، غليزان، مستغانم، وآرزو، فيشير بن باديس إلى أنه اختار رفقة من التلامذة ذوي المعرفة والتقوى (الشيخ الحسين الورتلاني، السيد حمد، والصادق الجندلي) مما يعكس أهمية العلم والدين في رحلته.

في مليانة، يلتقي بن باديس بالمفتي الشيخ وكال محمد، الذي أعجب به لاهتمامه بكتب العام، فيقول عنه: "من عرفنا بها المفتي الشيخ وكال محمد عالم قرأ سنوات بالأزهر وأعجبني منه إلى وجدته يطالع شرح تجريد أحاديث البخاري فشكرت له عنايته بالعام وقلت له أننا نعرف عقلية الرجل من معرفتنا بالكتب التي يطالعها فمن لا نرى له عناية بكتب العام فإننا لا نثق بعينه في الدين"²

ثم يشير الكاتب إلى قلة رغبة سكان مليانة في العلم، مما يعكس تحديات تواجهها حركة العلم في بعض المناطق، هذا الفتور دفع الكاتب للبحث عن حلول ودعم من شخصيات أخرى.

فالتقى الكاتب بالسيد عليش، الذي أظهر نشاطه وحماسه في نشر العلم، وقد أكد عبد الحميد على أهمية دور الأفراد النشيطين في تحفيز المجتمع، مما يعزز فكرة أهمية العمل الفردي والجماعي في تحقيق الأهداف العلمية، وفي

¹ عبد الحميد بن باديس، "في بعض جهات الوطن"، الشهاب، مج09، ج11، نوفمبر 1931، ص663.

² نفسه.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

الأصنام، يلتقي الكاتب بالمفتي الشيخ الوانوشي بن الشيخ بو مزراق والشيخ طالب شعيب القاضي، ويُبرز عبد الحميد النقاشات العلمية التي دارت حول مسائل دينية شاذة، مشيرًا إلى أهمية الحوار والتفاهم بين العلماء لتوضيح المسائل الشائكة وحلها، أما في غليزان، يشير الكاتب إلى استغرابه من عدم رغبة الشيخ سيدي الحاج العربي التواتي في اللقاء بسبب خلافات مع جمعية العلماء، وتبرز هذه النقطة التحديات السياسية والفكرية التي واجهتها الجمعية في تعاملها مع بعض الشخصيات، وفي مستغانم، يلتقي بن باديس بالشيخ بلقاسم بن حلوش وأعيان البلد، حيث أظهروا ترحيبًا حارًا، يُبرز الكاتب أهمية التفاهم والتعاون بين المسلمين في تعزيز الروح الجماعية والعمل المشترك، مشددًا على ضرورة تجنب الخلافات التي قد تؤدي إلى الانقسام.

تم ذكر وسائل النقل المستخدمة خلال الرحلة فمن العاصمة الجزائر إلى وهران تنقل بن باديس عبر عدة محطات، فمن المحتمل أنه استخدم وسائل النقل الجماعي مثل القطار كما تم ذكر أن الرحلة إلى زاوية الشيخ ابن طكوك في مستغانم كانت بواسطة سيارة قائلا: "لزاوية الشيخ ابن طكوك في مستغانم وكيل سني أرغب في الذهاب إلى الزاوية للتعرف بأهلها وتعريفهم بالجمعية ومقاصدها فجاءنا بالسيارة إلى النزل فامتطيناها إلى الزاوية في بوقيرات"¹ يقدم المقال لمحة قيّمة عن جهود جمعية العلماء في نشر العلم والتوعية في مختلف المدن الجزائرية، يعكس أسلوب عبد الحميد بن باديس الدقيق والوصف التفصيلي التحديات والنجاحات التي واجهها خلال رحلته، يُظهر الكاتب التزامه العميق بنشر العلم وتعزيز التفاهم بين المسلمين، ويؤكد على أهمية العمل الجماعي والتعاون في تحقيق الأهداف المشتركة، ويشكل المقال وثيقة هامة في تاريخ أدب الرحلة، حيث تقدم رؤى قيّمة حول جهود جمعية العلماء في نشر العلم وتعزيز التفاهم بين المسلمين في الجزائر، من خلال تجاربه وملاحظاته، كما قدم لنا بن باديس شخصيات التقاها وعرفنا بها، يساهم الكاتب في تقديم نموذج للتفان في العمل من أجل المصلحة العامة، مما يعكس أهمية التواصل والتعاون في مواجهة التحديات المشتركة.

2.3. رحلة أربعون يوما في الطريق من باريس إلى قسنطينة لمحمد الزاهي الميلي

محمد الزاهي وُلد في تمنجر دوار بني عيشة ببلدية العنصر بميلية، في 10 أكتوبر 1904، ولذلك يُلقَّب بـ "الميلي"، ووالده كان إمامًا بميلة، وأمّه من عائلة حماني المعروفة في المنطقة، وهو يتشارك القرابة مع الشيخين أحمد حماني والصادق حمّانه، يُذكر أن محمد الزاهي كان قد استوعب المنهج التعليمي التقليدي منذ صغره، حيث بدأ

¹ نفسه، ص 666.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

بحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية، ثم انتقل إلى معهد ابن باديس، وبعد ذلك انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس لمواصلة دراسته العليا¹.

أثناء تواجده في جامع الزيتونة بتونس، انضم إلى جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 وبدأ تدريسيًا في مدارسها، ثم تم ترشيحه ليكون من بين كبار الوعاظ والمرشدين للجالية الجزائرية في فرنسا بين عامي 1937 و1938².

بتاريخ 29 جويلية سنة 1938 والعالم على شفا حفرة من الحرب العالمية الثانية، ينشر الميلي رحلته على البصائر متحدثًا عن رحلة عودته من فرنسا إلى الجزائر ولقد دامت الرحلة أربعين يومًا، منطلقة من باريس نحو قسنطينة، بتاريخ 14 جوان سنة 1938، ولقد دوّن الزاهي عن هذه الرحلة التي كانت بسبب إرساله في بعثة وفد جمعية العلماء المسلمين للقيام بدور المرشد في فرنسا للجالية القادمة من الجزائر، وقد كان مسار الرحلة كالاتي³:

جدول رقم (18): يوضح مسار رحلة محمد الزاهي الميلي 1938⁴:

الانطلاق	محطة 1	محطة 2	محطة 3	محطة 4	البحر	المحطة 5	المحطة 6
باريس	ليون	سانت اتيان	تولون	مارسيليا	البحر الأبيض المتوسط	تونس	قسنطينة

الرحلة مكونة من سبعة حلقات تم نشرها في البصائر على أعداد متفرقة بداية من 29 جويلية 1938 كما سبق الذكر، من العدد 124 إلى العدد 130، ما يميز الرحلة أنها بدأت من خارج الوطن إلى داخل الوطن، تعتبر الرحلة مهمة جدا في تأريخ مرحلة كان فيها العالم على مشارف الحرب العالمية الثانية وبعين شخصية جزائرية قامت ببناء ثققتها لدى النقاد بابتعادها عن حب الشهرة والضوضاء، فهدوء الزاهي جعل منه واصفا جيدا لما يراه.

في الحلقة الأولى يتحدث الزاهي عن باريس بوصفها مدينة تجذب رجال العلوم والأدب والفنون، حيث يصفها بأنها ملجأ للأحلام ومركزًا للتجارة الكبيرة، فيذكر: "باريس هي كعبة رجال العلوم والآداب والفنون، وملجأ الأحلام ومرتع الشهوات الفائرة الجاحمة، باريس هي أيضًا سوق التجارة ذات الأرباح الطائلة الفاحشة"⁵ ومع ذلك،

¹ عبد الله حمادي، رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى... قسنطينة 1938م، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 2004، ص 19.

² نفسه.

³ عزيز لعكايشي، "قراءة نقدية في رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى قسنطينة 1938"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع 5، 11 نوفمبر 2006، ص 139-148.

⁴ من اعداد الطالبة وردة عي.

⁵ محمد الزاهي الميلي، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 1"، البصائر، ع 124، 29 جويلية 1938، ص 7-8.

يشير الزاهي إلى أن زيارتها ليست مجرد استمتاع بجمالها، بل تحدٍ لما تفرضه من أعمال ومسؤوليات قد تمنع الزائر من التعمق في فهم الجوانب الاجتماعية والأخلاقية والثقافية للمدينة، يمر الزاهي مروراً سريعاً على عدة معالم بارزة في باريس مثل الحي اللاتيني، ميدان الكونكورد، الدائري "ليزي"، غابة "بلونيه"، و"الجند المجهول"، لكنه لا يتطرق إلى تفاصيلها، كما ينتقد الإدارة الإسلامية في جامع باريس ويصفها بأنها سبب لتدهور أوضاع المسلمين الأفارقة، يتحدث أيضاً عن متحف اللوفر وقصر "التريلري"، لكنه يعترف بعدم تطرقه إلى تفاصيل المتحف الفنية العظيمة والمخطوطات التي يحتويها المتحف، يتناول الزاهي المكتبات العامة التي تحتوي على كتب علمية وأدبية وتاريخية، والمخطوطات العربية الثمينة، وكذلك بعض الشخصيات الثقافية والدينية التي كانت تنشر الدعوة الإسلامية في فرنسا، فيقول: "كما لن أتحدث عن المكتبة العامة وما تحويه من كتب علمية، أدبية، تاريخية وفنية، ولا عن المخطوطات العربية الثمينة التي وصلت عبر الفاتحين والمستشرقين"¹

أخيراً، يختتم الكاتب المقال بالإشارة إلى المقبرة الإسلامية ومعاناة الإنسانية في مستشفى "بوبيني"، مؤكداً على قسوة الحياة والموت في أرض غريبة، ليعود إلى ذكرياته عن مدينة قسنطينة، فيقول: "لا أذكر عن مستشفى "بوبيني" ومعاملة الإنسانية المعذبة داخله، حيث يعامل الإنسان أخاه الإنسان بقسوة لا رحمة فيها، كما لا أذكر عن المقبرة الإسلامية الجميلة التي ضمت الكثير من الشبان والشيخوخ الذين قضوا نحبهم في أرض غريبة، حيث لم يبق لهم مبشر ولا نصير إلا من رحم الله، بعد زيارة المقبرة والحصول على الرخصة، ضع باقة من الزهور المعطرة بالعطف الإنساني بين علامتين تخبرانك بصمت عن الحياة والموت"²

في الحلقة الثانية، يسرد الزاهي قصة ركوب القطار، حيث يبدأ السرد بمشهد وداع الركاب في المحطة، ثم يستعرض مشاعر المودعين وتأثير الفراق عليهم، وأثناء الرحلة، يتعرف الزاهي على رفاقه في العربة، بما في ذلك شابة تتحدث معه بالإنجليزية ثم بالعربية، وتشاركه قصتها عن حياتها في الشرق والهند، تخبره أنها هاجرت بين عدن والهند وتركيا ولندن، وتخبره عن فقدان والدها في ثورة، يبرز أهمية المحجرة في تكوين الوعي السياسي والثقافي للشخصيات، كذلك، يشير الكاتب إلى الثورة والصراعات العنيفة التي أدت إلى فقدان الشابة والدها، مما يعكس اضطراب الوضع السياسي في الشرق الأوسط خلال تلك الفترة، فيقول الزاهي: "أما تلك الشابة الجميلة فقد ابتدأت الحديث معي باللغة الإنجليزية، في نهاية حديثها، جاء ذكر (لندن)، وربما كانت تقصد أنني كنت هناك، فأجبتها أنني كنت مقيماً في باريس، فردت بلطف وابتسامة عذبة، معذرة ظناً منها أنني مصري، فقلت لها: "نعم يا آنسة، ولكن تقاسيم

¹ نفسه.

² نفسه.

الوجه واللون لا تشبهه على المصريين، فما عليهم من ملامح راجعة لأصول الإنسان وتكوينه بفعل المناخ"، فقاطعتنا صاحبته، إذ همست: "نحن نتكلم باللغة العربية"، فسألتها إن كانت تفهم ما نقول، فأجابني بلطف بأنها فقدت شيئاً ثميناً لا يمكن تعويضه، بعد أن تحرك القطار وغابت مناديل المودعين، عدت بنظري إلى تلك الأراضي الخضراء الجميلة، جمال الأبقار، جمال الأزهار، وجمال الأشجار، فقد كانت متناسقة في جمالها، أخبرني رفيقتي كيف تعلمت اللغة العربية، فهي تجيدها بلهجة شرقية عذبة، ثم أخبرني عن حياتها في عدن العربية، وكيف هاجرت إلى الهند مع والديها، حيث فقدت والدها في ثورة عنيفة، عادت بعدها إلى العراق وتركيا، ثم إلى أوروبا، حيث تقيم حالياً في لندن، لكنها لا تفوت أي فرصة لزيارة الشرق¹

تشارك الشابة مع الزاهي في الحديث عن القومية الشرقية والفخر بالتراث، بينما يتأملان مشاهد الطبيعة والإنسانية في الخارج، في النهاية، يستعرض الزاهي المزيج من المشاعر والانطباعات حول الحياة والمعاناة، وصولاً إلى دخول القطار مدينة ديجون، حيث تنتهي الرحلة في هذه الحلقة يقدم الزاهي نافذة على فترة زمنية تعود إلى ما قبل منتصف القرن العشرين، حيث يمكن أن نستشف أنه يتناول فترة قبيل الحرب العالمية الثانية، حين كانت الشعوب العربية تواجه تحولات كبرى على الصعيد السياسي والاجتماعي، يركز الزاهي على ظاهرة الاغتراب التي عاشتها الكثير من الشخصيات العربية بفعل الهجرة واللجوء إلى أوروبا، فيقول الزاهي: "وتابعت حديثها معي قائلة: "أنظر إلى هذه الإنسانية المعذبة والبائسة، مساكن العمال تبدو في بداية يوم عملهم الشاق"، في تلك اللحظة، لاحظت تنوع المشاهد من حولي: البعض ينشد أناشيد الاستقبال، ليس لملك أو زعيم، بل للخير القادم، والبعض الآخر يجتمعون لشرب الخمر ليروي عطش العروق المجهددة من العمل المضني، بينما آخر يرفع سلة الطعام بهدوء وبرود، مستغرقاً في تأمل الطريق ودخان المتصاعد، لاحظت أيضاً صغيراً يهرول بين الركاب، يبحث عمن يمكن أن يدلّه على حياة أسعد من تلك التي يعيشها، كان هذا المنظر مروّعاً، يعكس معاناة العمال والتناقضات في حياة الإنسانية، أدركت أن هذا المشهد يدعو إلى وقفة تأمل طويلة، وتغيير جذري في أوضاعهم، وفي تلك الأثناء، أشارت إليّ الفتاة بتلك السجائر الشرقية التي كانت تدخنها بفخر، قائلة إنها تربت على هذه العادات الشرقية²

في الحلقة الثالثة يتحدث الزاهي عن مدينة ليون بوصفها بلدة جميلة تتخللها الطبيعة الخلابة، وتتميز بموقعها الجغرافي الفريد حيث يلتقي فيها نهر الرون مع نهر الصون، مما يجعلها محاطة بجهة من المياه الغزيرة، يستعرض الزاهي تأثير هذا الموقع على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة، فيقول: "ليون بلدة جميلة فاتنة تتخللها أشجار بديعة

¹ نفسه، ص 05.

² الملي، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 2"، البصائر، ع 125، 19 أوت 1938، ص 05.

الشكل والاتساق، وجدتها على شيء من شباب ريجها، لابسة لباس الزينة والجمال الساحر، ويمتاز أهلها بمسحة فائقة من الجاذبية المحمودة، يتمتع بها الزائر ويقابله مطمئن بالعطف والتقدير، تلك الظاهرة المحمودة، ولعل الذي حسن مركزها الاجتماعي موقعها الجغرافي، حيث يشقها نهر الرون من ناحية بينما يحضرها نهر الصون من الناحية الأخرى، وعند ملتقى النهرين العظيمين، تتكون جبهة قوية من المياه المنحدرة بشدة وغزارة استعداداً للانطلاق والهجوم المنظم على اليابسة الصلبة، التي كثيراً ما تمنع السقاية والخصوبة والحضرة¹

يتطرق الكاتب إلى شخصية "الكاتب حمزة بوكوشة"، الذي يوازن بين حياة الريف والطبيعة، ويقدم محاضرات لأبناء عمومته حول الإخلاص والتضحية والعمل الجاد، مظهراً فلسفة تربط بين الإنسان والطبيعة، فيقول: "عند مجمع النهرين العظيمين، يقيم حمزة بوكوشة تارة يغرد للرون ليزيده من إلهامه وفيضه الغزير، ومرة يحاضر لأبناء عمومته أبطال الصحراء، جنود الإخلاص والتضحية، وعمال الحزم والنشاط والسعي المتواصل لإسعاد نفوسهم وأهليهم"²، يناقش الزاهي أيضاً أهمية الحرية والإصلاح الاجتماعي، مستعرضاً كيف دعت جمعية العلماء الناس للمصالح وحاولت تصحيح الانحرافات الاجتماعية، مؤكدة على أهمية التعليم والإصلاح، كما يتحدث الكاتب عن تحديات اجتماعية ترتبط بالجهل وسوء التربية، داعياً إلى الإصلاح من خلال العلم والوعي، في الجزء الأخير، يتناول الزاهي حركة العلماء في فرنسا، موضحاً أنها حركة قوية تسعى للإصلاح رغم الانتقادات، فيعبر الزاهي المليي عن انتقاده لتيار معارض يفتقر إلى المعرفة والأخلاق السليمة في ممارسات البحث والمناظرة، ويشير إلى أن هذه المعارضة تدور حول إشاعة مفادها أن حركة العلماء في فرنسا تُقاد من قبل امرأة أجنبية تُدعى "ليوفنير"، وهي شخصية نافذة هناك، وعلى الرغم من ذلك، فإن وجودها لم يؤثر على حركة العلماء بشكل جوهري، بل كانت تتردد على النوادي بشكل محدود.

في الحلقة الرابعة يتحدث الزاهي عن زيارة قام بها عدد من المصلحين إلى مدينة ليون وسانت إنيان في فرنسا، يناقش الزاهي حركة الإصلاح الإسلامية وتأثيرها على المجتمع، خاصة بين العمال والطلبة الجزائريين المقيمين في فرنسا، يُشير إلى الانقسامات التي حدثت بين المصلحين والمناهضين للإصلاح، فيقول: "الطلبة العمال في فرنسا قوة لا يُستهان بها، وبعد وصول الحركة الإصلاحية إلى جحورهم، انقسموا على أنفسهم فرقاً وأحزاباً كما حدث مع الشعب الجزائري نفسه، فمنهم من يحن إلى الزوايا وخمولها، ومنهم من ينتقد بحذر، ومنهم الصالحون ومنهم القاسطون، تجاذبنا أطراف الحديث بعنف وحماس حول العلم والعلماء، والإصلاح والمصلحين، والفارق والطريقين، ومؤتمرهم

¹ نفسه، ص 06.

² المليي، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 3"، البصائر، ع 126، 12 أوت 1938، ص 6.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

وزردتهم الجديدة، وقد أشعل الحماس الجدال ما ظهر في الصحف الجزائرية من وصف المؤتمر وحضور شخصيات معروفة، وعند ذكر الشيخ الكتاني في الحديث، تذكرت ذكرياتي المسجلة في مذكرتي "من حقيبة السفر" وما سجله التاريخ العادل سنة 1926 عن هذا الشيخ المدرس والعالم الرباني، أيام المولد الشريف في جامع القرويين¹

كما يعرض تجارب ماضية وشخصيات دينية مثل الشيخ الكتاني، كما يُشير النص إلى بعض الممارسات الدينية والتقاليد الثقافية، مثل زيارة الأضرحة، ويتساءل عن صحتها وملاءمتها مع التعاليم الإسلامية، مما يبرز التوتر بين التراث والممارسات الحديثة كنوع من صراع الهويات، وبالنظر إلى التحديات المعاصرة التي تواجه الأمة الإسلامية، يسلط النص الضوء على الحاجة إلى التجديد الفكري والعودة إلى جوهر الدين لمواجهة القضايا الملحة التي تعترض المجتمعات الإسلامية اليوم.

في الحلقة الخامسة يصف محمد الزاهي المليي مدينة تولون الفرنسية كنموذج للمدينة العسكرية المنظمة ذات النظام الخاص والنظافة العالية، يبدأ الكاتب بالإشادة بجمال المدينة ونظامها، خاصة المساكن البحرية والأزياء التي يرتديها الجنود والتي ترمز للتفوق والتقدم في الميادين العسكرية، يبرز تولون كمدينة حربية تعتمد عليها فرنسا في حماية أراضيها وتجهيز أساطيلها الاستعمارية،

كما يشير المليي إلى حذق البوليس الفرنسي في التعامل مع الأجانب، وخاصة العمال العرب والأجانب في المدينة ويرسم صورة صارمة للرقابة البوليسية، حيث لا يتسامح مع أي مخالف للنظام، خاصة في ما يتعلق بالأموال فيقول: "يضاف إلى حركات الجنود ونشاطهم حذق البوليس الفرنسي وفراسته في التعامل مع الأجانب القادمين لتلك المدينة، التي لا يمل زائرها من التجول في شوارعها المزدانة بكل شيء جالب وآسر للأنظار، ومع الأعلام المرفرفة التي ترمز للمجد العسكري، تولون تتفوق على كل مدينة أخرى سواء في المدن الفرنسية الأم أو تلك المستعمرات الملحقة، المسؤولية عن هذه المدينة تُعزى إلى أرواح الأبطال الذين قضوا حياتهم في تعزيز الروح العسكرية في شعوبهم، تضحياتهم الغالية ساهمت في رفع الأمة إلى ما هي عليه من تقدم في العلم والفن والاختراع، وقعت عيني على حالة العمال العرب في زوايا المدينة، وكذلك على العمال الأجانب، حيث يظهر بوضوح رقابة البوليس الصارمة على الحفاظ على النظام، البوليس في تولون لا يتسامح مع أي غريب يحمل أقل من 15 فرنكاً، حيث يُحال إلى مكاتب الشرطة للقوة والبأس"²

¹ المليي، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 4"، البصائر، ع 127، 19 أوت 1938، ص 6.

² المليي، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 5"، البصائر، ع 128، 26 أوت 1938، ص 3.

يستمر الزاهي في الحديث عن تجارب بعض الأشخاص الذين جاءوا إلى تولون بحثًا عن المجد، لكنهم ضلوا طريقهم نحو الزعامة الحقيقية، ينتهي المقال بتأملات حول مفهوم الزعامة، حيث يرى الكاتب أن الزعامة الحقيقية تبنى على الثقة بالنفس والصراحة والإرادة القوية، في حين أن الزعامات الزائفة، وخاصة في إفريقيا، لا تستمر طويلاً بسبب الفساد وضعف الأسس التي تقوم عليها، فيقول: "الزعامة الحقيقية تبنى على أصول ثابتة: الصراحة، الثقة بالنفس، الإرادة القوية، والتعقل مع الدهاء والصبر، أما الزعامات الفارغة، خاصة في إفريقيا، فهي لا تستمر طويلاً بسبب نقص الوعي والتناقضات، أقول أخيراً: يا لها من أمة إفريقية كريمة، رغم دينك وتاريخك العظيم، إلا أنك لا تزالين تعانين تحت زعماء لا يملكون مقومات الزعامة الحقيقية، وما دمت جاهلة فسيظل وضعك على ما هو عليه"¹

يوجه الكاتب رسالة إلى الأمة الإفريقية، معرباً عن أسفه للحال الذي تعيشه بسبب الزعماء غير المؤهلين، مؤكداً أن الأمة ستبقى في وضعها المتدهور ما دامت تفتقر للقيادة الحقيقية والوعي الكافي.

في الحلقة السادسة يتحدث الزاهي عن الانحطاط الاجتماعي والأخلاقي في مرسيليا، مع تسليط الضوء على التناقض بين الجمال الظاهري للمدينة وتدهور الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية فيها، الكاتب يركز بشكل خاص على معاناة المجتمع الجزائري في المهجر، حيث يعاني العمال العرب من الفقر والفوضى والجهل، فيقول: "المجتمع الجزائري الماجد النبيل الذي أصبح ممزقاً بفعل الاختلافات والاضطرابات في الآراء والتفكير، سواء في الدين أو الأخلاق، يعاني من الذبذبة والحيرة في السياسة، تلك السياسة الغربية التي تحمل السم في العسل، إنها نظريات استعمارية جائرة تقوم على النظم الإقطاعية والجشع والدعاية المشاعية، تهدف إلى تدمير الروح الدينية والقومية، ألم يصلكم خبر الذين باعوا ضمائرهم بثمان بخس؟ أصبحوا لا هم من العباد ولا من أصحاب البلاد، هؤلاء الذين ألقوا فلذات أكبادهم في أحضان المبشرين والمبشرات ليعلموهم القراءة والكتابة والدين المسيحي المزيف، مسطرين بذلك مستقبلاً بائساً"²

يتجه بعدها الكاتب الزاهي لوصف حال الفتيات الجزائريات المسلمات اللاتي يُضطرن للعمل في البيوت الأوروبية واليهودية بسبب الفقر والجهل، النص ينتقد الاحتلال والسلطة الفرنسية ويشير إلى التحديات التي يواجهها الجزائريون في الحفاظ على هويتهم وكرامتهم في ظل هذه الظروف، فيقول: "المرأة الجزائرية المسلمة تعاني أشد المعاناة، يدفعها الفقر والجهل إلى الارتقاء في أحضان الأوروبيين واليهود، تقضي طفولتها بين المطبخ والخدمة المنزلية، فتصبح أشبه بالأوروبية في الشكل والهيئة، لكنها تعيش حياة مليئة بالعبوس والحيرة، ينتهي بها المطاف تحت زوج لا تتفق

¹ نفسه.

² محمد الزاهي الملي، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 6"، البصائر، ع 130، 12 سبتمبر 1938، ص5.

معه لا في القليل ولا في الكثير، وتصبح ضحية زواج إجباري ينتهي إما بالخضوع والموت البطيء، أو بالثورة والانطلاق نحو حياة مليئة باللهو والحرية، غير عابئة بالمستقبل، هكذا تكون النتيجة: فتاة جزائرية مسلمة، مهملة من مجتمعها، تتدرب على مسح البيوت الأوروبية واليهودية، ينتهي بها الأمر بالضياح بين ذراعي الذين ظنّتهم منقذين، وهكذا، تكون زهيرة مجرد "ماركة" من الفتيات الجزائريات المسلمات الخادמות في الديار المسيحية واليهودية، اللواتي ينتهي بهن المطاف في مآسي دامية¹.

يتحدث الزاهي في الحلقة السابعة عن تجربته أثناء تحضيره للسفر عبر البحر، وما واجهه من أحداث ومشاهد خلال تلك الليلة العاصفة، تبدأ القصة بوصف أجواء المدينة التي شهدت أمطارًا غزيرة وعواصف تسببت في حالة من الرعب والفوضى بين السكان، حيث ارتفعت أصوات الأطفال والنساء بالبكاء، وهرع رجال المطافئ للتعامل مع الخطر، كان الجو مليئًا بالتوتر والقلق، وكأن كارثة بحرية على وشك الحدوث.

ثم يتطرق الكاتب إلى وصف مشاعره عند الحصول على تذكرة السفر وسط ازدحام شديد بالمسافرين، ويصف أحوالهم المأساوية، يتحدث عن المسافرين الذين عادوا من فرنسا بعدما خابت آمالهم وفشلوا في تحقيق أحلامهم، بعدما تركوا بلادهم بحثًا عن حياة أفضل، يشير الكاتب إلى التأثير السلبي الذي تعرض له هؤلاء بسبب الأحزاب والنظريات الغربية التي تتعارض مع قيم الإسلام والعروبة، فيقول: "بعد أن حصلت على تذكرة الركوب، في شيء غير يسر من الجهد والتعب في صعيد الازدحام القري المزدوج بالمسافرين والعملة الراجعين لبلدهم، وعلى وجوههم إمارة الحبيبة والفشل، في حين كانت بتهم آهات من الآمال المحطمة والهم الذي زودتهم به أرض فرنسا التي اختاروها على أرضهم وأهلهم طمعًا في العيش ونجاةً وتخلصًا من ديونهم الطائلة وإرهاق الحياة الاجتماعية والأخلاقية، فباءوا بفشل وإفلاس تحت سحرية الساخرين، وفيهم من خائنته مؤهلاته العقلية والبدنية وقصرت عن مصارعة الحياة والتغلب على أهوالها وأخطارها، وفيهم من هو مرهون بتحويله إلى مريبط الرؤوس في حالة بئيسة نكدة، ذكرتني بحالة إخوانهم في باريس، في ليون، في سانت إتيان، في كل مكان ومع نظري إلى شؤونهم وأحوالهم جعلتني أذكرهم في لباسهم الأزرق، برجوه شاحبة كالحة وأجسام نحيلة خاوية وأفكار حائرة تائهة وعقول طائشة مشدوهة شنتها النظريات العقيمة لمختلف الأحزاب الغربية التي إذا درستها في مجموعها، ألفيتها تجانب الإسلام والعروبة"²

في الجزء الأخير من الرحلة، يتأمل الكاتب في الحياة الشاقة التي يواجهها هؤلاء المسافرون، متذكرًا أحوالهم الصعبة وأعمالهم المضنية، يختتم النص بقاء مع رجل طويل يتحدث معه عن تجارته بين تونس وفرنسا، ويعكس هذا

¹ نفسه.

² نفسه، ص 5.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

الحوار جوانب أخرى من الحياة بين شمال إفريقيا وأوروبا، فيقول: "غابت عن الأنظار موانئ مرسيليا، فالتف المسافرون والمستقرون حول حقائبهم ليستعدوا لثياب المساء بعد أن عرفوا أن الهوء مناسب للسهرة والتسلية خارج البيوت المكتظة بالمسافرين، وفي طريقي إلى المقهى، عثرت على رجل طويل سألت عن جلوسه في الردهة الحاجزة بين الرتب، وهو يستمتع بمنظر البحر، السفر بين شمال إفريقيا وفرنسا لا يعدو أن يكون مجرد رحلة، إلا أن الحوادث التي تقع خلال السفر تترك أثراً كبيراً، تحدثت معه، فأخبرني عن تجارته بين تونس وفرنسا، وعن أحوال البلاد والعباد هناك"¹

في الحلقات السبعة، يقدم الزاهي وصفاً لمدن مثل باريس وليون ومرسيليا وتولون، مشيراً إلى جمالها الطبيعي وتاريخها، ولكن أيضاً مسلطاً الضوء على التناقضات الاجتماعية والأخلاقية التي عاشها خلال زيارته، خاصة أوضاع العمال الجزائريين في المهجر، يعرض الزاهي أيضاً لمحات عن الشخصيات التي قابلها خلال رحلته، مثل شابة هاجرت من الشرق، وقصة والدها التي تجسد المعاناة الناجمة عن الحروب والصراعات.

الرحلة لم تكن مجرد مغامرة سياحية، بل عكست معاناة الجزائريين في المهجر والصعوبات التي يواجهونها للحفاظ على هويتهم، كما ناقش الزاهي موضوع الإصلاح الاجتماعي والديني، معبراً عن الحاجة إلى التجديد الفكري والعودة إلى جوهر الدين لمواجهة تحديات العصر، كل هذه المواضيع جعلت من الرحلة توثيقاً مهماً لفترة حافلة بالتغيرات الاجتماعية والسياسية.

الزاهي يمزج بين انطباعاته الشخصية وتجربته الحياتية من جهة، وبين الأحداث السياسية والاجتماعية من جهة أخرى، هذا الجمع بين الخاص والعام جعل كتاباته ثرية بالمعاني والدلالات، كما يعرض الزاهي قضايا معقدة مثل الهجرة، الغربة، والتحديات التي تواجه المجتمعات العربية في أوروبا، ويحلل الظواهر الاجتماعية من خلال تجاربه الشخصية، متناولاً التناقضات التي يعيشها العمال والمغتربون الجزائريون.

كتابات محمد الزاهي تمثل توثيقاً مهماً لحياة الجزائريين المغتربين في فرنسا في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، حيث تبرز تجاربهم الاجتماعية والاقتصادية تحت الاحتلال الفرنسي وتحديات الحفاظ على الهوية الوطنية، من خلال نقده للاستعمار ورصده لتأثير الهجرة على الجزائريين، تُسهّم كتاباته في فهم أعمق للتحويلات الاجتماعية والسياسية التي عاشتها الجزائر والمغتربون العرب، تعد هذه الكتابات مرجعاً تاريخياً لفهم تأثير الاحتلال والمقاومة اليومية للأفراد البسطاء، مما يثري التاريخ الجزائري ويقدم زاوية فريدة لتأمل التاريخ من منظور اجتماعي وأدبي.

¹ نفسه، ص 5.

يرى عيسى البختي أن الزاهي الميلي في *رحلته* يسير على خطين متوازيين: فهو يصف جمال المناظر الطبيعية في فرنسا بأسلوب أدبي ممتع، وفي الوقت نفسه يعالج قضايا المجتمع الجزائري، لا سيما معاناة العمال المهاجرين، من خلال وصفه الدقيق لحياثهم القاسية، يكشف عن بؤسهم وظروفهم الصعبة، حيث يعانون من قساوة المحيط وشقاء العمل، في سبيل الحصول على لقمة العيش التي غالبًا ما تكون بعيدة المنال، يتجلى هذا الوصف في تصويره لهم بأجسام نحيلة ووجوه شاحبة، وعقول مشتتة بين النظريات العقيمة لمختلف الأحزاب، مما يعكس وضعهم المزري داخل بيئة غريبة لا ترحم¹.

لقد عبر الباحث عزيز لعكايشي عن هذه الرحلة بكونها غارة شنها الجنوب نحو الشمال، مثل الهجوم الثقافي الخاطف، صور المركز باريس وما يحيط بها من أطراف، ويقول أيضا عن هذه الرحلة: "جاء الحوار في الرحلة على شكل خطاب سردي، ينمو بفضل طاقات الوصف والتصوير، عن طريق تبادل الكلام في جمل قصار، بذلك تحرر الحوار والسرد من المكننة السردانية، سردانية غريماش بروب (Vladimir Proust) وبويون (Poullion) وغيرهم من النقاد السيميائيين الحدائين، وعليه أضحت الرحلة نصا أدبيا امتزج فيه التاريخ بالفن، وتجاوز فيه الوصف مع السرد بحيث صار فضاء واسعا وحيزا جغرافيا شاسعا، تفاعلت وانصهرت فيه شبكة متنوعة من العناصر الفنية من توقيع الشعر والسرد وفقا لقاعدة بنائية... ومن خلال الجولة تحقق التعايش السلمي بين الوصف والسرد والحوار"²

3.3. رحلة سوانح وارتسامات عابر سبيل لمحمد الصالح رمضان

محمد الصالح رمضان هو كاتب وشاعر جزائري، وُلد في 24 أكتوبر 1916 في القنطرة بشرق جنوب ولاية بسكرة، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية وأساسيات العقيدة الإسلامية على يد الشيخ الأمين سلطاني، خريج جامع الزيتونة، أكمل دراسته الابتدائية في المدرسة الفرنسية بالقنطرة، حيث حصل على الشهادة الابتدائية، وقد التحق سنة 1934 بدوس الامام عبد الحميد بن باديس التي كان يلقيها بالجامع الأخضر بقسنطينة، وقد وصل إل مرحلة يساعد فيها الشيخ بن باديس في التدريس، وهكذا دخل ميدان التعليم والتربية³.

كانت الرحلة ضمن وفد رسمي يضم مجموعة متنوعة من الأشخاص، اختلفت اهتماماتهم وأهدافهم، وكان عنوانها، "سوانح وارتسامات عابر سبيل"، مع عنوان فرعي "رحلة إلى مهرجان الشباب والطلاب في وارسو سنة

¹ بختي، أدب الرحلة...، المرجع السابق، ص 226.

² عزيز لعكايشي، "قراءة نقدية..."، المرجع السابق، ص 142.

³ محمد صالح رمضان، محمد صالح رمضان في نظر زمرة من أصدقائه، منشورات تالة، الجزائر، 2014، ص 17.

1955"، والرحلة في العام الأولى للثورة وهي رحلته الثانية التي خرج فيها من الجزائر، وقد استمرت الرحلة مدة عشرون يوما، وقد قسّم الكاتب رحلته منهجياً إلى ثلاثة أقسام: "الرحلة إلى بولونيا"، "فرصوفا مدينة المهرجان"، "من وحي الرحلة"¹.

نشر محمد الصالح رمضان رحلته في **جريدة الشعب** على أجزاء بعد الاستقلال ثم ينشرها في كتاب سنة 2004، كما أن الكاتب يُقر بأنه أضاف تحسينات على الرحلة لكنه لم يشر لهذه التحسينات كما يفعل بعض الأدباء والمؤرخين لكتابتهم التي كتبوها في فترة ما من حياتهم، ورغم ادراك محمد الصالح رمضان لهذا إلا أنه لم يقدم للقارئ إشارات عن مكان التحسينات التي قام بها لكي نتعامل مع عمله ككتابة أدبية تؤرخ للفترة التي نحن بحاجة إلى دراستها، فيقول: "سجلت في هذه الرحلة ما خطر لي من آراء وخواطر وملاحظات حول ما رأيت وسمعت وعاشت، كما رسمت بعض الصور والمناظر، وألقيت بعض الأحكام والاستنتاجات اللحظية من وحي الخاطر... لا أنشر هذا اليوم لأنه أدب رفيع أو فن مميز، ولا لأن بعض الإخوان والمعارف ألحوا علي بنشره لما قد يحتويه من متعة أو فائدة، كما قد يظن البعض، بل لأنها خواطر عابرة خطرت لي في ظرف خاص خلال رحلة مميزة، فسجلتها كما هي بلا مبالغة أو تهويل، ومن دون زينة أو إطالة، وقد وصفت بعض المناظر والمشاهد التي أثارت انتباهي وظلت مطموسة كل هذه الفترة دون أن ترى النور، فأحببت نشرها اليوم تخليداً لصورة من تفكيري في تلك الفترة، كما أنني أحب مراجعة آرائي السابقة بين حين وآخر، لأتأمل نفسي كما يتأمل الإنسان صوره الفوتوغرافية في مراحل حياته، أو كما ينظر في المرأة ليتأمل ملامح وجهه، وهو على علم بتفاصيله، ليرى وسامته أو دمامته، أو يتأمل ملامحه وهي تشرق أو تنقبض وانطلاق أساريه وقد لا يمنع هذا من بعض اللمسات والتحسينات مما لا يتعارض وأصل الفكرة ولا يغير شيئاً من صميم الموضوع كمن يهتم بتصنيف شعره أو تعديل هندامه مما لا يؤثر في سمات وجهه ولامح شخصه فجاءت كما أحب : خواطر تشرح الخاطر، ومناظر تبهج الناظر"²

جاءت هذه الرحلة في ظروف استثنائية حيث نلخص الأوضاع التي جاءت فيها حسب رأي محمد الصالح رمضان في كتابه:

— مؤتمر جنيف لإنهاء حرب الفيتنام بعد معركة "ديان بيان فو"، سنة 1954

— اندلاع ثورة التحرير الجزائرية بعد ثلاثة أشهر ونصف.

¹ محمد الصالح رمضان، **سوانح وارتسامات عابر سبيل**، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2004، ص ص 09-14.

² رمضان، **سوانح وارتسامات...**، المصدر السابق، ص ص 09-14.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

— انعقاد مؤتمر باندونغ في إندونيسيا، بمشاركة 25 دولة من إفريقيا وآسيا، بقيادة سوكارنو، ونهرو، شواين لاي، وعبد الناصر، سنة 1955.

— تأييد جبهة التحرير الجزائرية في مؤتمر باندونغ وفتح مكاتب خارج الجزائر، وقرار مؤتمر باندونغ بتخصيص 24 أبريل عيداً سنوياً للشبيبة.

استعدت الشبيبة الجزائرية بالتعاون مع اتحاد الشباب الديمقراطي ومنظمات الطلبة للمشاركة في مهرجان الشباب والطلاب العالمي في وارسو، حيث تم اختيار أفضل العناصر من الشباب والطلبة للمساهمة في تعزيز قيم الحرية والسلم بعد مرور عشر سنوات على نهاية الحرب العالمية الثانية وعام على اندلاع الثورة الجزائرية، شارك الوفد الجزائري، المكون من 130 شخصاً، بعروض فنية وأدبية وطنية شملت أناشيد وقصائد ورقصات وألبسة جزائرية، إضافة إلى فرق رياضية وفيلم وثائقي يمثل الحياة في الجزائر، كما انضم الكاتب ضمن وفد الكشافة لتعزيز قضية الجزائر على الساحة الدولية.

في القسم الأول، انطلق بوصف الرحلة البحرية التي بدأت من الجزائر في 25 جويلية 1955 متجهة إلى بولندا، وقد كان البحر الأبيض المتوسط بالنسبة له حاجزاً طبيعياً، تاريخياً، وجغرافياً، يفصل بين الجزائر الثائرة آنذاك وفرنسا المستعمرة، متجاهلة هذا الحاجز الفاصل في كل شيء، ومع ذلك، بدأت الأرض الأوروبية سريعاً تفرض هيمنتها على أفكار الكاتب بمظاهرها الطبيعية وتاريخها، فقد تأثر بجمال الساحل اللازوردي الفرنسي، مروراً بالريفيرا الإيطالية، واستوقفته مدينة البندقية (فينيزيا) بجماها الفاتن، وصولاً إلى بولندا، هناك، في العاصمة وارسو، عاش الكاتب أجواء مهرجان الشباب والطلاب الدولي لمدة خمسة عشر يوماً، حيث شارك أكثر من 31 ألف شاب من مختلف دول العالم، وفي نهاية هذا القسم، أشار الكاتب إلى تفاصيل رحلة العودة التي بدأت في 14 أوت 1955، حيث مرّ عبر تشيكوسلوفاكيا، ثم النمسا، فسويسرا، إلى أن وصل إلى فرنسا ومنها عاد جواً إلى الجزائر.

أما في القسم الثاني بعنوان "فرصوفيا مدينة المهرجان"، ركز محمد الصالح رمضان على تفاصيل المهرجان الخامس الذي أُقيم في وارسو، حيث تحولت المدينة إلى عاصمة عالمية للشباب، مليئة بالمرح والفرح والتواصل بين الشعوب، وفي خضم هذا المشهد الحافل، لم يغفل الكاتب عن الإشارة إلى معاناة الشاب الجزائري الذي كان يعاني من وطأة الاحتلال الفرنسي، مسترجعاً صور المحازر الاستعمارية الفرنسية وربطها بمحازر قادة الطغيان في التاريخ الحديث فيقول:

في أجواء المهرجان المفعمة بالحياة، قام الكاتب برفقة صديقه الحفناوي بجولة في حديقة الحيوان الكبرى على ضفاف نهر الفستولا، هناك، استمتعا بمشاهد الطبيعة والبشر، والتقيا بفتاتين فرنسيتين، ما أثار في نفس الكاتب

مشاعر الشاعر وألهمه لكتابة قصيدة بعنوان "شيخ من صحراء الجزائر في مهرجان الشباب بوارسو"، متناولاً فيها تأثير هذا اللقاء على صديقه.

في القسم الثالث "من وحي الرحلة"، قدّم الكاتب تأملاته حول الرحلة وتطرق إلى القضايا والتواريخ التي عاشها، كما أدرج قصيدتين طويلتين، الأولى بعنوان "فرصوفا المخطمة"، حيث عبّر عن مشاعره تجاه الدمار الشامل الذي لحق بالمدينة خلال الحرب العالمية الثانية، مشيراً إلى النهضة التي شهدتها بعد هذا الدمار، أما القصيدة الثانية، فاستمدت إلهامها من لقاء صديقه بالفتاتين، حيث استخدم الكاتب أسلوباً شاعرياً لرسم ما دار في نفس رفيقه بعد تلك الأمسية المؤثرة.

في هذه الرحلة، جمع الكاتب بين أسلوب الرحالة القدامى الذين ركزوا على الجوانب التعليمية من تاريخ وجغرافيا، وبين أسلوب الأدباء الحديثين الذين يسجلون مشاعرهم وانطباعاتهم بحرية ودون قيود، وقد أبدع في تصوير واقع البلدان الأوروبية المتحررة حديثاً، بينما لم يغفل عن التعبير عن آماله الشخصية بتحرر الجزائر من الاحتلال الفرنسي، بأسلوبه الأدبي الراقى، قدّم الكاتب هذه الرحلة كإضافة مميزة لأدب الرحلات الجزائرية في القرن العشرين، مع تركيزه على الإنسانية والتواصل الثقافي.

يقدم الكتاب محمد الصالح رمضان مشاهدات وخواطر حول تجاربه في الرحلة ويركز على المواقف التي تعرض لها، والأشخاص الذين التقاهم، والأفكار التي تأمل فيها خلال هذا السفر، يمكن اعتبار الرحلة مزيجاً من السيرة الذاتية والرحلات الأدبية، حيث يحاول الكاتب توثيق لحظات فريدة بأسلوب تأملي.

4. نماذج من كتابة التراجم:

1.4. ترجمة العلامة الشيخ المكي بن عزوز للكاتب عبد الرحمن الجيلالي

عبد الرحمن الجيلالي كان شخصية بارزة في تاريخ الجزائر، تجمع بين العلم والنضال الوطني، وُلد في 1908م في الجزائر العاصمة، وهو ينحدر من عائلة دينية مرموقة، نشأ في بيئة تعليمية، حيث تلقى دراسته في المساجد الكبرى في الجزائر العاصمة على يد كبار العلماء مثل الشيخ عبد الحفيظ الثعالبي، عرف بحنكته في مجال الشريعة الإسلامية، وكان له دور كبير في نشر الوعي الديني والعلمي بين مختلف طبقات المجتمع الجزائري، وقد عُرف بجعل

الإذاعة الوطنية مدرسة لتربية الأجيال على القيم الإسلامية والوطنية، حيث قدم العديد من البرامج الدينية والثقافية التي لاقت استحساناً كبيراً من الجمهور¹.

عبد الرحمن الجيلالي كان أيضاً مؤرخاً مرموقاً، حيث كتب العديد من المؤلفات التي تركت أثراً كبيراً في دراسة تاريخ الجزائر، من بين أهم أعماله كتابه "تاريخ الجزائر العام" الذي يعتبر مرجعاً أساسياً في تاريخ الجزائر، فضلاً عن مؤلفاته في مجال الأدب والتاريخ الديني، مثل "تاريخ المسجد الكبير"، كما كان له دور فعال في تأسيس مجلات وفعاليات ثقافية ساهمت في تطوير الفكر الوطني الجزائري، وبفضل نشاطه الفكري والعلمي، أصبح الجيلالي أحد أبرز رموز الحركة الإصلاحية في الجزائر².

ساهم الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في العديد من الأنشطة الوطنية، إذ كان له دور بارز في حركة الإصلاح الديني والثقافي في الجزائر، شارك في تأسيس جمعيات ثقافية ودينية كان لها دور كبير في مقاومة الاحتلال الفرنسي، كما كان ناشطاً في الصحافة الجزائرية، حيث كتب مقالات في العديد من المجالات الجزائرية وألقى محاضرات في مؤتمرات فكرية إسلامية، عبد الرحمن الجيلالي كان أيضاً أحد دعاة النهضة التعليمية في الجزائر، فعمل على تطوير المدارس والنشاطات الثقافية في البلاد، مما جعله واحداً من أعلام الفكر الوطني الجزائري³.

في مجلة الشهاب نشر الكاتب عبد الرحمن الجيلالي مقالا من جزئين في عددتين مختلفتين كترجمة لحياة الشيخ المكي بن عزوز سنة 1930، فكان الجزء الأول في عدد شهر جانفي⁴، والجزء الثاني في عدد شهر ديسمبر⁵ من نفس العام.

الجزء الأول من المقال الذي كتبه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي يتناول سيرة العلامة الشيخ المكي بن عزوز، أحد العلماء البارزين في العالم الإسلامي، حيث يسلط الضوء على مسيرته العلمية، من نشر العلوم وتدريسها في "دار الفنون" إلى "مدرسة الواعظين" في الدولة العثمانية، المقال يتبع تاريخ الشيخ المكي منذ تعيينه كمدرس، مروراً بتعيينه في مناصب أكاديمية هامة، وصولاً إلى مرضه ووفاته، كما أبرز المقال عادات وأخلاق الشيخ المكي بن عزوز، مشيراً إلى تواضعه، سخائه، وحفاظه على القيم الدينية والتقاليد الجزائرية حتى أثناء إقامته في تركيا، كما أثنى على

¹ بلقاسم ميسوم، "الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: فقيه المؤرخين الجزائريين عرض لحياته وتقديم لكتابه: تاريخ الجزائر العام"، مجلة عصور، ع 12-14 / 15-13، 2008-2009، ص 86.

² للحاج محمد حشلاف، عبد لرحمن الجيلالي. بطاقة التعريف، مطبعة هومة، الجزائر، جويلية 1999، ص 08.

³ بلقاسم ميسوم، "الشيخ عبد الرحمن الجيلالي...، المرجع السابق، ص 91.

⁴ عبد الرحمن الجيلالي، "ترجمة العلامة الشيخ المكي بن عزوز"، مجلة الشهاب، مج 06، ج 12، جانفي 1930، ص 824.

⁵ الجيلالي، "ترجمة العلامة الشيخ المكي بن عزوز"، مجلة الشهاب، مج 06، ج 11، ديسمبر 1930، ص 823.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

علمه الواسع في مختلف الفنون والعلوم، وسرد الكاتب قائمة طويلة من مؤلفاته في التوحيد، الفقه، التفسير، والعديد من المجالات الأخرى¹.

الكاتب يعبر عن فقدان الأمة الإسلامية لهذا العالم الجليل، ويعكس الاحترام الكبير الذي حظي به الشيخ المكي بن عزوز من قبل طلابه وزملائه ويحث على ضرورة الحفاظ على تراثه العلمي والأدبي من الضياع².

في الجزء الثاني من المقال الذي كتبه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ترجمة شاملة لحياة العلامة الشيخ المكي بن عزوز، وسلط الضوء على إنجازاته العلمية وأثره الكبير في مجالات الدين والأدب في العالم الإسلامي، ويمكن تقسيم المقال إلى عدة محاور:

- يستهل الجيلالي مقاله بتسليط الضوء على أهمية القرآن الكريم في توجيه المسلمين إلى تدوين وحفظ تراجم العلماء والفقهاء عبر العصور، يشير هنا إلى كيفية تقسيم أهل العلم لهذه التراجم إلى ما يعرف بـ "الطبقات"، مثل طبقات الفقهاء والمحدثين واللغويين وغيرهم، وهذا السياق التاريخي يؤكد على أهمية التوثيق والتدوين كوسيلة للحفاظ على التراث الإسلامي، وضمان انتقاله من جيل إلى جيل³.
- يتمحور المقال حول شخصية الشيخ المكي بن عزوز، الذي وُصف بأنه "نجم يتألق في سماء العلم والأدب"، يوضح الكاتب أن الهدف من الترجمة هو تعريف الناس بهذه الشخصية العظيمة التي كان لها تأثير كبير في المجتمع الجزائري والإسلامي عمومًا، كما يبرز المقال جانبين أساسيين: الأصل الجزائري للمكي بن عزوز، وأهمية التوثيق العلمي لحياة العلماء الجزائريين⁴.
- يتناول المقال مراحل تعليم المكي بن عزوز، بدءًا من حفظه للقرآن في سن مبكرة، مرورًا بتلقيه العلوم الشرعية واللغوية على يد شيوخه، يُظهر المقال مدى اهتمام المكي بتحصيل العلوم وتفوقه في مختلف المجالات، مما أهله ليصبح من أبرز العلماء في عصره⁵.

¹ نفسه، ص 824.

² نفسه.

³ نفسه، 823.

⁴ نفسه.

⁵ نفسه، 823.

- يشير المقال إلى رحلة المكي بن عزوز في طلب العلم، حيث ارتحل إلى تونس لتلقي العلم على يد كبار علماء ذلك الوقت، يعكس هذا الشغف بالعلم والتنقل بين مختلف المراكز العلمية الكبرى رغبة عميقة في التحصيل والتعلم، ما جعله يتمتع بسمعة عالية في مختلف الأقطار الإسلامية¹.
- يوضح المقال كيف أن المكي بن عزوز لم يكتف بتحصيل العلم فحسب، بل أخذ على عاتقه نقل هذا العلم إلى الأجيال التالية، فقد تتلمذ على يديه العديد من الطلاب من مختلف الأقطار الإسلامية، مما ساهم في انتشار علمه وتأثيره بشكل كبير.
- يُبرز المقال عدد الإجازات التي حصل عليها المكي بن عزوز من مختلف علماء عصره في عدة بلاد، ما يعكس مدى مكانته العلمية الرفيعة وتقدير العلماء له.
- رغم أن المقال مليء بالثناء على المكي بن عزوز، إلا أنه يمكن ملاحظة عدم تناول المقال بشكل موسع للمسائل النقدية التي ربما تكون قد واجهته في حياته العلمية أو الاجتماعية، يبقى المقال وفيما لموضوعه الأساسي وهو إبراز المكانة الرفيعة للشيخ المكي بن عزوز.
- يعد هذا المقال بجزئيه توثيقاً هاماً لحياة شخصية علمية بارزة من الجزائر، ويسلط الضوء على أهمية الحفاظ على التراث العلمي وتقدير العلماء الذين ساهموا في نشر العلم والمعرفة، يجمع المقال بين السرد التاريخي والتحليل النقدي، مما يجعله وثيقة هامة لفهم تأثير المكي بن عزوز في مسيرة العلم والدين في العالم الإسلامي.

2.4. ترجمة أبو القاسم محمد بن هاني لسعد الدين بن شنب

هذا المقال هو للكاتب والناقد سعد الدين بن أبي شنب وقد نشره سنة 1933 في جريدة الشهاب²، وقد وضع المقال في صفحة رسائل ومقالات وهو جزء خصصته المجلة لرسائل القراء ونقدتهم وللمقالات، وقبل أن ندرس هذا المقال يمكننا التعريف بشخصية هذا الناقد فهو سعد الدين بن شنب، كان من بين كتّاب الدراسات الأدبية والنقدية، وقد نشر العديد من المقالات في مجلات مثل "هنا الجزائر" و"الأديب" البيروتية، وكذلك في "المجلة الإفريقية"، بالإضافة إلى مشاركته في بعض الموسوعات، كان يساهم في الكتابة بكل من اللغتين العربية والفرنسية³.

¹ نفسه.

² سعد الدين بن شنب، "أبو القاسم محمد بن هاني الشاعر الأندلسي أو أحكام الأدباء عليه"، الشهاب، مج 09، ج 08، جويلية 1933، ص 309.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج9، المرجع السابق، ص 662.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

من بين كتاباته يأتي كتاب التعبير الفرنسي في مجلة "الجزائر والصحراء" في باريس، وكذلك مساهمته في الموسوعة الاستعمارية والبحرية "موسوعة الإمبراطورية الفرنسية" سنة 1948، وفي فيفري سنة 1957، أصدرت مجلة "الجزائر" عددًا خاصًا تتناول أخبار الأدباء والكتاب، من بينهم محمد حربي، ومصطفى الأشرف، وكاتب ياسين، وآخرون من كتاب اللغة الفرنسية والعربية، كما أسهم سعد الدين بن شنب في كتابة فصل عن أدباء الجزائر باللغة العربية الفصحى في كتاب بعنوان "المدخل إلى معرفة الجزائر"، والذي تعاون على تأليفه مع عدد من الكتاب الفرنسيين فقد قدم هؤلاء الكتاب والأدباء إسهاماتهم في ميدان الشعر والنثر، خاصة في مجالات القصة والرواية، وكتبوا في النقد الأدبي والدراسات والمقالات الصحفية والفنية، تميز بعضهم بالشعر، في حين سيطرت القصة على آخرين، وكانوا جميعًا جزءًا من الجيل الذي أثار اهتمام المثقفين العرب بالجزائر، خاصة بعد اكتشاف وجود عرب يكتبون باللغة الفرنسية، وكان ذلك في سياق الأحداث التي شهدتها الثورة والتي جذبت الانتباه إلى الثقافة الجزائرية¹.

سعد الدين بن شنب، قام بكتابة مقالات وبحوث هامة حول مواضيع متنوعة في الأدب والثقافة والتاريخ، من أعماله "حكايات مدينة الجزائر" التي نشرت في وهران في سنة 1946، كانت حكايات مترجمة من العربية، كما كتب مقالات عديدة حول الجزائر في الموسوعة الكولونيالية والبحري².

أما عن المقال فقد قدمته المجلة في صفحتها قائلة: "الخطاب الذي ألقاه الأستاذ سعد الدين بن شنب أمام مؤتمر معهد المباحث العليا المغربية بفاس في شهر أفريل الماضي"³

والمقال يُحلل شعر وأعمال الشاعر الأندلسي أبو القاسم محمد بن هاني الأندلسي، مركزاً على الأحكام التي صدرت عنه من قبل الأدباء والمؤرخين فالكاتب يقدم تحليلاً دقيقاً لشعر ابن هاني، كما يُظهر تضارب الآراء حوله ويوضح أن الأحكام حول الشاعر ليست دائماً مستندة إلى النقد الأدبي البحت، بل تتأثر بالعوامل الدينية والاجتماعية.

يمثل المقال قراءة تاريخية لنقد الشعر والشعراء في الأندلس، ويتناول فيه سعد الدين بن شنب تقييمات الأدباء والمؤرخين للشاعر الأندلسي أبو القاسم محمد بن هاني من خلال هذه القراءة التاريخية، يمكن استخلاص عدة جوانب مهمة:

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 662.

² نفسه، ص 184.

³ بن شنب، "أبو القاسم محمد بن هاني..."، المرجع السابق، ص 309.

أ- سياق الشاعر وتحديات عصره:

- وُلد ابن هاني في عصر تميز بالتوترات السياسية والدينية في الأندلس، وكان من أهم شعراء عصره، لكنه تعرض للكثير من النقد بسبب غلوه في التشبيه والمديح، حيث كان يتجاوز في مدحه لدرجة دفعت البعض لاتهامه بالكفر.
- المقال يظهر كيف أن التقييمات التي حصل عليها ابن هاني لم تكن فقط أدبية، بل كانت متأثرة أيضًا بالمناخ الديني والسياسي المحيط في الأندلس آنذاك.

ب- التعصب الديني وتأثيره على النقد الأدبي:

- يشير المقال إلى أن النقد الموجه لابن هاني كان غالبًا متأثرًا بالتعصب الديني، خاصة في رفض بعض المؤرخين لتشبيهاته المبالغية التي وُصفت بأنها شبهات دينية.
- يوضح الكاتب أن كثيرًا من النقد الموجه لابن هاني كان نتيجة الخوف من الأفكار الفلسفية التي كانت تنظر بريبة في الأندلس، كما كان الحال مع الفلاسفة مثل ابن رشد، وبالتالي، يمكن القول إن نقده لم يكن نقدًا أدبيًا خالصًا، بل كان أيضًا محكومًا بالخلفيات العقائدية.

ج- المقارنة بين ابن هاني وشعراء المشرق:

- المقال يُظهر مقارنة بين شعراء الأندلس وشعراء المشرق، وعلى الرغم من أن ابن هاني قُورن بشعراء كبار مثل المتنبي، إلا أن النقد المشارك، مثل أبو العلاء المعري، لم يكونوا دائمًا منصفين في تقييمهم، وربما تأثروا بالتنافس بين الأندلس والمشرق.
- هذا النقد يظهر تميز الشاعر في الأندلس واختلاف أسلوبه عن الشعراء المشاركين، وهو ما أدى إلى نوع من التنافس الحضاري بين الثقافتين الشرقية والغربية.

د- العوامل الأدبية والدينية في التقييم:

- الكاتب ينتقد التقييم الذي يربط بين الإيمان الديني ومستوى الشاعرية، ويشير إلى أن مطالبة الشاعر بالتقوى وحسن السيرة يعزل الكثير من الشعراء، سواء في الإسلام أو في الفترات السابقة له.
- يشدد الكاتب على أن النقد الأدبي يجب أن يركز على جودة الشعر نفسه وليس على الشاعر كشخصية دينية أو أخلاقية.

هـ- التعصب لأفكار الشعراء الفلاسفة:

— الكاتب يرى أن بعض النقاد في الشرق لم يكونوا منصفين مع ابن هاني، لأنهم رفضوا أفكاره الفلسفية واعتبروا تشبيهاته غلوًا لا يمكن التسامح معه، هذا التصور يظهر بوضوح في النقد الذي وجهه أبو العلاء المعري.

— هناك أيضًا نقد لأفكار كامل كيلاني وأحمد ضيف اللذين تأثرا بتلك الأحكام المتعصبة، فيقول: "لم يُخَفَّ على أحد خوف الأندلسيين من كفر الفلاسفة وأفكارهم الخبيثة عندهم، وكان نقمهم على أولئك الفلاسفة الكبار مثل فيلسوف الإسلام الكبير ابن رشد وغيرها، ومن هنا يظهر أن حكم أدباء ومؤرخي الأندلس على هذا الشاعر تحكمه التعصب الديني، فلا حرية فيه للعلم ولا للنقد الصحيح"¹

و- الدفاع عن ابن هاني:

— في نهاية المقال، يبدو أن سعد الدين بن شنب يدافع عن ابن هاني ويرى أن النقد الموجه إليه غير منصف، ويطالب بالنظر إلى ابن هاني كشاعر بناءً على إنتاجه الأدبي، وليس بناءً على الأفكار الفلسفية أو المعتقدات الدينية التي حملها.

نستنتج أن المقال هو دفاع عن الشاعر أبو القاسم محمد بن هاني ضد الانتقادات التي وُجّهت له من الأدباء والمؤرخين في الأندلس والمشرق، يتناول التعصب الديني الذي أثر على النقد الأدبي ويشدد على ضرورة الفصل بين الجانب الأدبي والجانب الديني عند تقييم الشاعر، كما يعتبر الكاتب سعد الدين أن النقد المتحيز الذي تأثر بالأفكار الدينية كان سببًا في تجاهل قيمة ابن هاني كشاعر عظيم، خاصة في بيئة أندلسية مليئة بالصراعات السياسية والدينية.

5. ترجمة للشيخ نعيم النعيمي لرضا حوحو:

الشيخ نعيم النعيمي، المولود سنة 1909 في سيدي خالد بولاية بسكرة، نشأ في بيئة علمية وبدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم على يد خاله، ثم التحق بزاوية الشيخ المختار البلخيفي سنة 1919 لدراسة العلوم الدينية والنحو والأدب، تميز بسرعة استيعابه للمواد العلمية وحفظ دواوين الشعر، في سنة 1924، انتقل إلى جامع الزيتونة لكنه عاد سريعاً لأسباب شخصية، وواصل تنقله بين المناطق الجزائرية لجمع المخطوطات ونشر المعرفة، انضم سنة 1947 إلى هيئة التدريس بمعهد ابن باديس بقسنطينة، رغم عدم امتلاكه شهادة أكاديمية رسمية، وأثبت جدارته العلمية، في سنة 1954، شارك في ثورة التحرير الجزائرية، حيث كان نشطاً في الولاية الأولى وصديقاً لقادة الثورة،

¹ بن شنب، "أبو القاسم محمد بن هاني..."، المرجع السابق، ص 309.

الفصل الأول: ————— الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

أثناء إقامته في تونس خلال الحرب، استغل وقته في البحث عن الكتب والمخطوطات، مما جعله مركزاً ثقافياً مهماً، كما أن الشيخ النعيمي كان معروفاً بذاكرته القوية وشغفه بالقراءة، وساهم في الحركة الإصلاحية الجزائرية من خلال تأسيس عدة مدارس ومعاهد تعليمية، رغم ضياع الكثير من تراثه العلمي، اشتهر بأعماله الشعرية، وخاصة نظم الرجز، ونظم "قطر الندى وبل الصدى" لابن هشام في النحو، إلى جانب مؤلفاته حول تاريخ الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي¹.

مقال "في الميزان: الشيخ النعيمي" بقلم أحمد رضا حوحو يتناول شخصية الشيخ النعيمي، ويقدمها بشكل معقد ومتناقض، يُصوّر الشيخ كشخصية متعددة الجوانب تجمع بين العلم الديني والأدب، ولكنها تعاني من ازدواجية بين هذين المجالين، فهو عالم ديني لكنه أيضاً أديب وشاعر، يعيش صراعاً دائماً بين التزامه بالعلم والفقه واندفاعه نحو الأدب والفكاهة، ويمكننا حصر الأفكار الأساسية في مقال "في الميزان: الشيخ النعيمي" لأحمد رضا حوحو في النقاط التالية:

أ- التعدد الشخصي والتناقضات:

شخصية الشيخ النعيمي متعددة الجوانب، تجمع بين العلم الديني والأدب، لكنه يعيش تناقضات مستمرة بين هذين الجانبين، ما يجعله يتأرجح بين الالتزام بالعلم والتحرر الأدبي، فيقول: "إنك تسمع بالشيخ نعيم النعيمي من دون شك؟ ولكنك لا تعرفه ولا يمكنك أن تعرفه إلا إذا ما عرفته لك، وذلك لأن معرفته تكلفك جهوداً كبيرة ودراسات دقيقة ولا نحاول أن نفهم من هذا أن شخصية الرجل شائكة يحيط بها الغموض، بل العكس أصح أن شخصيته صريحة إلى حد بعيد ولكنها متعددة الجوانب وقد نقول إن تعدد الجوانب والشخصية الصريحة لا يتطلب العناء في فهمها ودراستها، وأجيبك أن ذلك حق أو كانت هذه الجوانب مرتبة ولكنها في هذه الشخصية وضعت في لف ونشر مشوش ذات اتجاهات معاكسة تتأرجح بين مد وجزر فهو شاب في هندام الشيوخ عالم في عقل أديب فقيه في خيال شاعر قديم حديث ذو ذاكرة قوية ولكنه فظيع النسيان سريع الغضب سريع الرضا"²

ب- الصراع بين العلم والأدب:

المقال يناقش الصراع الداخلي للشيخ بين وقار العلماء وسعة اطلاعهم من جهة، وخيال الأدباء وفكاهتهم من جهة أخرى، مما يجعل الشيخ متردداً في تحديد هويته: هل هو عالم أم أديب؟

¹ محمد بسكر، (26 جوان 2014)، جوانب من شخصية أديب الفقهاء، الرَّحالة الشيخ نعيم النعيمي، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس،

استرجعت في تاريخ 06 أوت 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://binbadis.net/archives/864>

² حوحو، الأعمال الكاملة...، المصدر السابق، ص 89.

ج- قوة الذاكرة والنسيان:

رغم قوة ذاكرة الشيخ في الأمور العلمية والأدبية، فهو يعاني من نسيان شديد في الحياة اليومية، مما يخلق مفارقة تبرزها المقالة بشكل فكاهي وساخر، فالكاتب يصف الشيخ بأنه شخص قوي الذاكرة في الأمور العلمية والأدبية لكنه كثير النسيان في الحياة اليومية، كما يبرز تناقضات أخرى، حيث يظهر الشيخ كأنه شاب في ثوب شيخ، وبدوي في عقل حضري.

د- التناقض بين المظهر والجوهر:

يوصف الشيخ بأنه شاب في هندام شيخ، وحضري في ثوب البدوي، ويعيش تناقضات بين نشاط الشباب وحكمة الشيوخ.

هـ- السخرية من النسيان والتشتت:

المقال يعتمد على السخرية من النسيان المتكرر للشيخ في تفاصيل الحياة اليومية، مثل نسيانه للمشتريات أو اتجاه المنزل، بينما يبقى متمكناً في مجالي العلم والأدب، فيقول حوحو: "وإذا ما تجاهلنا نصفه العلمي أو أزعجنا عنه العامل العلمي جانباً نجده أديباً حلو الفكاهة يروي لك النادرة فلا تكاد تفرق ما بين مخلوقاته منها ومحفوظاته وهو مع ذلك كله قوي الذاكرة كثير الحفظ ينظم الشعر لكن أراجيزه الساخرة تطغى برونقها الجوانب الأخرى من أدبه"¹

و- إشكالية الهوية:

المقال يطرح تساؤلاً حول الهوية الفكرية للشيخ، هل هو عالم ديني متأثر بالأدب أم أديب متأثر بالعلم؟ ويبدو أن الجواب لا يزال غير واضح، مما يعكس معاناة المثقفين في تلك الفترة في تحديد انتمائهم.

يعكس المقال أسلوباً أدبياً متأثراً بمرحلة ما قبل الاستقلال في الجزائر، كتب أحمد رضا حوحو في فترة الأربعينيات والخمسينيات، وهي مرحلة حساسة من حيث التفاعل الثقافي والفكري في الجزائر التي كانت تحت الاحتلال الفرنسي، المقال يعبر عن استجابة المثقفين الجزائريين لمتطلبات تلك الفترة من خلال محاولة الدمج بين الهوية الثقافية الإسلامية والأدبية الحديثة، الشيخ النعيمي يمثل في المقال ذلك الصراع بين التقاليد القديمة والمستجدات الحديثة، خاصة في مجالات العلم الديني والأدب، مما يعكس الضغوط التي تعرض لها المثقفون الجزائريون في تلك المرحلة.

¹ نفسه، ص 89.

الكاتب يوظف شخصية الشيخ النعيمي كمثال حيّ للتشابك بين الهوية الجزائرية المسلمة والموقف الأدبي المتحرر، هذا يعكس بدقة الظروف الاجتماعية والفكرية في الجزائر، حيث كان المثقفون، مثل حوحو، يسعون لإيجاد توازن بين الحفاظ على التراث الوطني والانفتاح على المفاهيم الحديثة في الأدب والفكر.

إن ترجمة أحمد رضا حوحو لشخصية الشيخ النعيمي في مقاله "في الميزان" تجمع بين السخرية والتحليل العميق لتناقضات الشخصية، يقدم حوحو الشيخ النعيمي كشخصية متعددة الأبعاد تعيش صراعاً داخلياً بين الالتزام بالعلم الديني والانغماس في الأدب، الأسلوب الساخر الذي يعتمد حوحو يجعل القارئ يتفاعل مع الشخصية بشكل حيوي، حيث يرصد تفاصيل حياتية بسيطة مثل النسيان والارتباك اليومي، ويجعلها رموزاً لتناقضات المثقف في فترة الاحتلال، بالإضافة إلى ذلك، تحمل الترجمة نقداً ضمنياً لحالة المثقفين الذين يتأرجحون بين التقاليد والحداثة، مما يجعلها ذات بعد إنساني وواقعي يعكس التحديات الفكرية للمجتمع الجزائري في تلك المرحلة.

خلاصة:

تبرز الكتابة النسائية الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية كتجربة نادرة واستثنائية، تبلورت في ظل ظروف اجتماعية وثقافية شديدة القسوة، فرضت على المرأة عزلة معرفية وتعليمية ممنهجة، فبين قوانين التمييز التي أفادت بعض الفئات الدينية كالنساء اليهوديات، وبين الاحتواء المؤسسي الذي مارسه الكنيسة عبر أديرة استغلت هشاشة بعض الفتيات، وُلدت أصوات نسائية استطاعت أن تشق طريقها في فضاء أدبي ظل حكراً على الرجال، تمثل تجربة فاطمة آيت عمروش نموذجاً فريداً في هذا السياق، حيث كانت الكتابة بالنسبة لها أداة بحث عن الذات وتعبير عن صراع هوياتي متعدد الأوجه.

كما تُعد الكتابة الأدبية التوثيقية أحد أبرز تجليات الوعي الثقافي الجزائري خلال الاحتلال، إذ جمعت بين الرغبة في حفظ الذاكرة الفردية والجمعية، والسعي إلى تثبيت الهوية الوطنية في وجه المسعى الفرنسي لمحوها، وقد تنوعت أشكال هذه الكتابة بين المذكرات واليوميات، وكتابة الرحلة، والتراجم، فمثلت بذلك سجلاً غير رسمي للتاريخ الجزائري من الداخل، بأساليب أدبية أقرب إلى السرد الذاتي والملاحظة الدقيقة، كانت مذكرات فاطمة آيت عمروش وأبو القاسم سعد الله بمثابة مرآة لتحولات الوعي الفردي في سياق جماعي مأزوم، في حين قدّمت رحلات عبد الحميد بن باديس والزاهي المليلي ومحمد الصالح رمضان قراءة حية لتجربة الجزائري في التنقل والانتماء والمقارنة بين الذات والآخر.

أما التراجم، فقد وفّرت مادة أدبية توثيقية ثينة عن أعلام النهضة الثقافية والدينية في الجزائر، وساهمت في حفظ سيرة من أسهموا في بناء الخطاب الوطني والروحي، رغم التضيق الاستعماري، وقد امتازت هذه الكتابات بقدرتها على الجمع بين التوثيق الموضوعي والتعبير الأدبي الذاتي، فشكّلت بذلك جسراً بين التاريخ والوجدان، بين الواقع والانتماء، وأسهمت في ترسيخ سردية وطنية من داخل الذات المثقفة المقاومة، إن الكتابة التوثيقية، بهذا المعنى، لم تكن مجرد تسجيل للأحداث بل كانت مشروعاً ثقافياً بامتياز، هدفه استعادة الذاكرة وإثبات الوجود في وجه النسيان المفروض قسراً.

الفصل الثاني: الكتابة الأدبية الاحتجاجية

أولاً: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي

ثانياً: نماذج من العرائض والمقال النقدي السياسي والاجتماعي

ثالثاً: نماذج من المقال النقدي الثقافي

في هذا الفصل، نغوص في عالم الكتابة الأدبية حين تتخذ من الاحتجاج والتعبير عن المواقف وسيلة للتفاعل مع قضايا السياسة والمجتمع والثقافة، فالكتابة هنا لا تُنتج مجرد الإبداع الجمالي أو الترف الفكري، بل تتحول إلى سلاح فكري وموقف أخلاقي، يشتبك مع الواقع، ويدافع عن القيم، ويصوغ مواقف نقدية من قضايا العصر وأحداثه.

يبدأ الفصل بوقفة مفهومية وتاريخية، حيث تُحاول أن تُؤسس للفهم النظري للكتابة الاحتجاجية، وتُميز خصائصها عن غيرها من ضروب التعبير، مع التوقف عند أشكالها المختلفة، وعلى رأسها المقال والعرائض، بما فيها من التماس مباشر مع السلطة أو مع الرأي العام.

ثم ننتقل إلى دراسة نماذج نصية تمثل هذا اللون من الكتابة في سياقات مختلفة: سياسية، اجتماعية، وثقافية، فنقرأ عرائض كُتبت لسلطات رسمية، ومقالات تُدين الاحتلال أو تنتقد السياسات القائمة، وأخرى تُسلط الضوء على اختلالات المجتمع، أو تتناول قضايا المرأة والتعليم والعلاقات الاجتماعية، كما نُطل على جوانب من النقد الثقافي والأدبي، حيث تتحول المقالة إلى منصة لتقويم الإنتاج الفكري، والدعوة إلى التجديد، والرد على مواقف فكرية أو نقدية.

وهكذا، يُتيح هذا الفصل مقارنة متعددة الأبعاد لكتابة لعبت دورًا مركزيًا في التعبير عن وعي النخبة الجزائرية بقضايا مجتمعتها، وفي تشكيل خطاب احتجاجي كان جزءًا من دينامية التغيير الثقافي والاجتماعي والسياسي في فترة ما قبل الاستقلال وخلاله.

أولاً: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي:

1. مفهوم الكتابة الاحتجاجية

الاحتجاج هو الاستدلال بحجة أو دليل لإثبات صحة قول أو حكم، ويُستخدم في العديد من المجالات مثل اللغة، الفقه، والبلاغة، ففي المجال اللغوي، يُعتبر الاحتجاج وسيلة لإثبات صحة قاعدة نحوية أو صرفية بناءً على نصوص صحيحة، أما في الفقه، فهو يُستخدم لتدعيم حكم شرعي مستند إلى حديث نبوي أو قول معتبر من العلماء¹.

¹ عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2014، ص344.

لم نجد دراسات سابقة تناولت ما يُعرف بالكتابات الاحتجاجية كما لم تكن هذه التسمية قد استخدمت بشكل واسع في الأدبيات المتاحة، لذلك، قمنا نحن بتسمية "أدب العرائض" و"النقد الأدبي في المقالات" كتجليات للكتابات الاحتجاجية، بناءً على غرضها الأساسي الذي يهدف إلى الاعتراض على الأوضاع السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية السائدة، فهذه الكتابات تسلط الضوء على القضايا المزعجة وتطرح اعتراضات لواقع قائم، مما جعلها تأخذ طابعاً احتجاجياً واضحاً يعبر عن رغبة في التغيير أو التصحيح.

فالكتابات الاحتجاجية تعبر عن رفض أو مقاومة للظروف الاجتماعية، السياسية، أو الاقتصادية السائدة، غالباً ما تنشأ هذه الكتابات في سياقات تحكمها قوى قمعية أو استبدادية، حيث يستخدم الكتّاب والفنانون هذا النوع من الأدب كوسيلة للتعبير عن استيائهم ورفضهم للظلم والاضطهاد، تعتمد الكتابات الاحتجاجية على الأساليب الأدبية التي تحمل طابعاً نقدياً، وتسلط الضوء على قضايا مثل القمع السياسي، التمييز، الفقر، أو أي شكل من أشكال الظلم، في كثير من الأحيان، يتخذ هذا الأدب شكل الشعر، الروايات، المقالات أو القصائد التي تعكس صراع الأفراد والجماعات ضد القوى المسيطرة، وقد تشكل بذلك أداة قوية لتحفيز الوعي الاجتماعي والتغيير.

الكتابات الاحتجاجية تنبثق من ظروف القمع والظلم، حيث تستخدم كأداة للتعبير عن الرفض والمقاومة ضد الأنظمة الاستبدادية، الاجتماعية، أو الاقتصادية الجائرة، في الأدب العربي، نجد أن الكتابات الاحتجاجية كانت جزءاً من نضال الشعوب ضد الاحتلال والهيمنة الأجنبية، وخاصة في فترات الاحتلال الفرنسي في الجزائر، هذه الكتابات تنطوي على نقد لاذع للظروف السياسية، الثقافية والاقتصادية، وتعبّر عن الصراع بين القوى المسيطرة والطبقات المظلومة.

علاوة على ذلك، نجد أن الكتابات الاحتجاجية لا تقتصر فقط على الأدب الثوري في مواجهة الاحتلال، بل تمتد أيضاً لتشمل الأدب الذي يناضل ضد القمع السياسي والاجتماعي في مجتمعات ما بعد الاحتلال، في هذا السياق، تناولت دراسات عديدة كيفية استخدام الأدب كأداة للمعارضة السياسية والتغيير الاجتماعي، مثل الأعمال التي تناولت القمع النسوي أو الاحتجاج ضد الأنظمة العسكرية، من خلال هذه الكتابات، يسعى الأدباء إلى بناء هوية ثقافية قوية، والضغط من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية، مما يجعل الأدب الاحتجاجي عنصراً أساسياً في تاريخ الفكر السياسي والثقافي.

2. مفهوم كتابة المقال

المقال الأدبي هو نوع من التأليف الإنشائي يعالج فكرة أو موضوعًا بأسلوب فكري متوسط الطول، ويتميز بسهولة التعبير وترابط الفقرات، يراه بعض النقاد، كأحمد أمين، وسيلة مرنة تعبر عن شخصية الكاتب دون قيود¹، بينما يشير محمد ناصر إلى صعوبة وضع تعريف جامع له بسبب تطور الفكر وتداخله مع أجناس أدبية أخرى، ينقسم إلى نوعين: ذاتي يعكس آراء الكاتب، وموضوعي يركز على الموضوع بحد ذاته²، أما محمد مهدي فيراه انفعالي الطابع يعبر عن مشاعر الكاتب، وغالبًا ما يُستخدم في النقد الأدبي، في حين يرى مونتني أن المقال يُعالج قضايا شخصية تعكس تجربة الكاتب الذاتية³.

النقد الأدبي هو نشاط فكري يهدف إلى تحليل وتفسير وتقييم النصوص الأدبية لفهم معانيها وأبعادها الجمالية والفكرية، مستندًا إلى نظريات ومناهج متعددة كالبنوية والتاريخية والنفسية والنسوية⁴، أما المقال النقدي، فهو شكل من أشكال الكتابة النقدية يُعنى بتقديم قراءة دقيقة وتحليل منهجي للعمل الأدبي أو الفني، مبرزًا نقاط القوة والضعف فيه، ومساهمًا في إثارة النقاش وتوسيع أفق الفهم لدى القارئ⁵، ويعتمد المقال النقدي على أدوات تحليلية لتوجيه القارئ ومساعدته في اختيار ما يستهلكه من أعمال وسط غزارة الإنتاج الأدبي والفني⁶.

3. نشأة كتابة المقال

شكّل المقال الأدبي أحد أبرز الفنون في المشهد الأدبي الجزائري، بل إنه قد يكون أكثر حضورًا وتأثيرًا من الشعر، نظرًا لتعدد مجالاتها وتنوع كتابتها، فقد برع عدد من الأدباء الجزائريين في هذا الفن، كلٌّ بحسب توجهه، فنجد الشيخ البشير الإبراهيمي في المقال الأدبي، وأحمد توفيق المدني في المقال السياسي، وأحمد سحنون في المقال الديني، وبعزيز بن عمر في المقال الاجتماعي، إضافة إلى أسماء مثل حمزة بوكوشة، أحمد رضا حوحو، والحفناوي هالي، كما برز كتّاب المقال التاريخي مثل محمد علي دبوز وعبد الوهاب بن منصور، وكانت جريدة "البصائر" منبرًا هامًا لنشر

¹ سيد غيث، فنيات الكتابة الأدبية، دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، 2016، ص 157.

² ناصر، أبو اليقظان...، ج 1، المرجع السابق، ص 27.

³ مهدي، هموم الكتابة...، المرجع السابق، ص 58.

⁴ عبد الله ماضي، مناهج النقد الأدبي، دار الشروق، مصر، 2000، ص 23.

⁵ سعيد رمضان، فن المقال الأدبي والنقدي، دار الفكر العربي، 2003، الجزائر، ص 34.

⁶ سيد غيث، فنيات الكتابة الأدبية، دار أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، 2016، ص 158.

هذه المقالات، خلال الثورة، ظهر جيل جديد من الكتّاب، منهم أبو القاسم سعد الله وعبد الله ركيبي، كما ساهم كتّاب من تونس كعبد الله شريط ومحمد الملي في دعم المقالة العربية¹.

لقد تأثرت المقالة الأدبية الجزائرية بالتقاليد الأوروبية من خلال الصحافة، حيث بدأ ظهورها مع الصحف الاستعمارية كـ"المبشّر"، لكنها تطورت بشكل واضح مع بروز الصحافة العربية والإسلامية في أوائل القرن العشرين، مثل "الشهاب" و"البصائر"، التي احتضنت أفكارًا إصلاحية ووطنية كعبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي. كانت هذه المقالات وسيلة للتعبير عن الفكر النهضوي، والدعوة للتجديد الثقافي والحرية²، وتأثرت بمدارس المشرق الأدبية، ما ساهم في إثراء اللغة والأسلوب³، وبدعم من تطور الصحافة، أصبحت المقالة وسيلة لنقل التجربة الفكرية للكتّاب الذين تعلموا في المشرق، أمثال العقبي وأبو يعلى الزواوي، وشهدت المرحلة اللاحقة للثورة التحريرية استمرارًا لهذا الفن، حيث أسهمت كتابات أحمد رضا حوحو وحمزة بوكوشة في بناء هوية ثقافية وأدبية جزائرية راسخة⁴.

في الفترة الممتدة من 1900 إلى 1945، بدأت الحركة النقدية الأدبية في الجزائر بخطى متواضعة، حيث ركز النقاد الأوائل أمثال عمر راسم وعمر بن قدور على الدفاع عن الهوية الثقافية في وجه الاحتلال الفرنسي، وكان النقد في تلك المرحلة مشبعًا بالروح الوطنية، ومع تطور الصحافة خلال الفترة 1925-1945، ظهرت أسماء جديدة كأحمد رضا حوحو، محمد العيد آل خليفة، وحمزة بوكوشة، الذين ساهموا في إثراء الساحة الأدبية بمقالات نقدية تحليلية اهتمت بالأدب الكلاسيكي والحديث، كما ساهمت مجالات مثل "البصائر" في نشر مقالات أدبية نقدية ذات طابع اجتماعي وفني، كتبها الحفناوي هالي بأسلوب يمزج بين الجدلية والفكاهة الرمزية⁵.

أما من 1945 حتى الاستقلال سنة 1962، فقد عرف النقد الأدبي الجزائري تطورًا كبيرًا بفعل تنامي الوعي الوطني وتزايد التأثير بالاتجاهات العالمية كالرومانسية والواقعية، برز في هذه المرحلة نقاد مثل مفدي زكرياء وأبو القاسم سعد الله، الذين حاولوا ربط الأدب الجزائري بالسياقات الفكرية العالمية، كما ازدادت المقالات تنوعًا، فجمعت بين الأدبي والتاريخي والديني والعلمي والسياسي، وكان أحمد بن ذياب من أبرز من جسّد هذا التنوع بمقالاته التي تناولت

¹ محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري في تونس، ج1، بيت الحكمة-قرطاج، تونس، 1991، ص 441

² ناصر، أبو اليقظان...، ج1، المرجع السابق، ص 37

³ بوطارن، رمضان حمود...، المرجع السابق، 281.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 69.

⁵ الجابري، الأدب الجزائري...، المرجع السابق، ص 448

شخصيات بارزة وموضوعات أدبية وفكرية، وقد أسهمت هذه الحركة النقدية في تشكيل وعي ثقافي جزائري حديث، يعكس تطلعات المجتمع نحو الحرية والتجديد¹.

4. كتابة العرائض في الجزائر:

مفهوم العريضة له جذور عميقة في الثقافة القانونية والسياسية والاجتماعية، ويُعرف بأنها "طلب خطي موجه من فرد أو جماعة إلى سلطة معينة للمطالبة بحقوق أو عرض مظلمة أو اقتراح تغيير في سياسات أو قوانين معينة"، وظهرت العرائض كوسيلة احتجاجية سلمية تستخدمها الشعوب للتعبير عن مطالبها والدفاع عن حقوقها².

أدب العرائض هو نوع من الأدب الذي يتضمن صياغة وتقديم العرائض والشكاوى إلى السلطات أو الجهات المختصة، يتسم هذا النوع من الأدب بصياغة رسمية وموضوعية تهدف إلى تقديم قضية أو مطلب محدد بوضوح ومبررات قوية لدعمه، يمكن أن تشمل العرائض قضايا اجتماعية، اقتصادية، سياسية، أو حقوقية، وغالبًا ما تكون وسيلة للتعبير عن المشكلات والظروف التي يعاني منها الأفراد أو المجتمعات والمطالبة بالتغيير أو الحلول، والعرائض هي شكاوى أو طلبات مقدمة من الناس إلى الحكومة أو السلطات المعنية بشأن قضايا معينة تهمهم، تعتبر العرائض وسيلة للتعبير عن احتياجات المواطنين ومشاكلهم، وتعكس مدى تفاعل الحكومة مع مطالبهم ومدى استجابتها لها.

تاريخيًا، كانت العرائض تستخدم كوسيلة للتواصل بين الحكومة والمواطنين، حيث يمكن للأفراد تقديم شكاوهم ومطالبهم بشكل رسمي من خلال هذه الوسيلة، تعتبر العرائض أداة هامة لتعزيز الشفافية والمساءلة في الحكومة، حيث تساهم في تحسين الخدمات العامة وتلبية احتياجات المجتمع.

شهد المجتمع الجزائري في مطلع القرن العشرين يقظة ثقافية واجتماعية دفعت إلى صحوه سياسية ووطنية، حيث بادرت النخبة المثقفة بالفرنسية إلى العمل من أجل مواجهة التناقض بين الخطاب الفرنسي، الذي روج لأفكار التنوير والمساواة، وبين الواقع الجزائري المطبوع بالظلم والتمييز، تأثرت هذه النخبة بمبادئ الثورة الفرنسية وقيمها الديمقراطية، معتقدة أن بإمكانها تطبيق هذه الأفكار داخل وطنها، لذلك، تركزت مطالبهم السياسية على تحقيق

¹ نفسه، ص 447.

² محمد كامل ليلة، العريضة في القانون الدستوري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1970.

المساواة في الحقوق، إلغاء قانون الأهالي، والتمثيل النيابي الكامل للجزائريين، كما سعوا إلى دمج الجزائر مع فرنسا متأثرين بالثقافة الغربية¹.

في عام 1900، بدأت جهود الشباب الجزائري المثقف باللغة الفرنسية تتجلى من خلال تقديم مذكرات وعرائض، برز هذا النشاط في مدينتي تلمسان وعنابة، حيث حاول بعض المثقفين الحداثيين التواصل مع اللجنة البرلمانية للتحقيق للتعبير عن آرائهم في القضايا الاجتماعية والسياسية، كان هدفهم الحصول على حقوق الانتخاب والتمثيل في المجتمع الفرنسي، من أبرز هذه الأنشطة مذكرة قدمها شبان من عنابة في 30 جوان 1900، وحررها خليل قايد العيون، وتكررت نفس المطالب في عريضة أخرى قدمها شبان جزائريون عام 1912، ورد في هذه المذكرة:

"الشبيبة المسلمة المتعلمة لا تعرف ماذا تفعل بتعليمها، تتخبط بين عدم وجود عمل مأمول وعدم سماع صوتها في القضايا المحلية أو في حاجات الأهالي، ليس التعطش إلى المساواة ما دفعنا للتحدث، بل الأهمية الملحة للدفاع عن مصالحنا المادية الراحلة"²

اتخذت حركة العرائض والاحتجاجات مكانة بارزة في النضال الجزائري، حيث استخدمت هذه الوسيلة للتعبير عن المطالب السياسية والحقوقية، خاصة مع بدء تنفيذ إجراءات التجنيد الإجباري في بداية القرن العشرين، إلا أن هذه الحركة لم تكن جديدة؛ فقد بدأت منذ بداية الاحتلال الفرنسي، كانت المدن الجزائرية شاهدة على الظلم والتعسف، بالإضافة إلى انتهاك اتفاقية 1830، لذلك لجأ الجزائريون إلى كتابة العرائض والشكاوى، سواء إلى السلطات الفرنسية في الجزائر أو إلى الحكومة الفرنسية في باريس، ومن أبرز هذه العرائض³:

- عريضة حمدان خوجة عام 1831⁴.

- عريضة إبراهيم بن مصطفى باشا عام 1833.

¹ Claude collot, Jean robert henry, **le mouvement national Algérien, textes 1912-1954**, Tere édition, OPU, Alger et 'Harmattan, Paris, 1981, p32-13- Charles robert Ageron:Les Algériens musulmans et la France 1871-1919x2,edif: Alger, p 2000.

² Charles robert Ageron, op-cit, p, 1031.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج1، **، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص471.

⁴ يُعد حمدان خوجة من أوائل السياسيين الجزائريين الذين واجهوا الاحتلال الفرنسي عام 1830، أسس أول حزب سياسي جزائري، بدعم من شخصيات بارزة مثل أحمد بوضرية وآغا حمدان، طُرد حمدان خوجة من الجزائر عام 1833، لكنه واصل نضاله السياسي من باريس، حيث كتب كتابه "المرأة" ليبرز أوضاع الجزائر المأساوية، قدم أيضًا عريضة إلى اللجنة الإفريقية عام 1833، انتقد فيها السياسة الاستعمارية الفرنسية، رغم أهمية هذه الوثيقة، إلا أنها لا تُعد مذكورة شخصية بقدر ما هي نقد سياسي للاستعمار.

- عريضة أحمد بوضربة عام 1836.

فقد قدّم الأعيان والزعماء في الجزائر العرائض نيابة عن المجتمع، بهدف وقف المظالم التي تعرض لها الشعب تحت الاحتلال الفرنسي، شملت هذه المظالم اعتداءات الجنود على المنازل، هدم المساجد، نفي الأشخاص، المتاجرة بعظام الموتى، ومصادرة الأملاك، وشهدت عدة مدن جزائرية، مثل الجزائر، المدية، البليدة، والقليلة، احتجاجات ضد هذه الانتهاكات، إذ كان من الشائع أن تبدأ حركة الاحتجاج في العاصمة، التي عانت من وطأة الاحتلال منذ بدايته، وقد عُقدت اجتماعات للتشاور واتخاذ القرارات، مثل اجتماع البرج البحري عام 1831 وبوخر شفة عام 1834، اتبع الأمير عبد القادر أسلوب التشاور قبل اتخاذ القرارات الهامة، مما أكسب هذه الحركة الاحتجاجية طابعًا منظمًا وقرارات جماعية، ورغم تلقائيتها، برزت حادثة عائشة بنت محمد التي دفعت أعيان العاصمة إلى تقديم عريضة احتجاج في 1834 على إهانة القضاء، سلطت العريضة الضوء على استقالة القاضي عبد العزيز بعد رفضه الانخراط في انتهاكات للشرعية، مما يعكس الغضب الشعبي ضد الاحتلال والظلم، ولقد شهدت الجزائر في تسعينيات القرن التاسع عشر تصاعدًا في حركة العرائض والاحتجاجات، تزامنًا مع تحولات السياسة الفرنسية وتعيين لجنة برلمانية للتحقيق في الشؤون الجزائرية، فشل لويس تيرمان (Louis Terman) في تطبيق سياسة الإلحاق، التي هدفت إلى دمج مصالح الجزائر مع الإدارة الفرنسية، مما أضعف سلطة الحاكم العام، ومن الأمثلة البارزة على العرائض في هذه الفترة، عريضة مجموعة من المستشارين البلديين في قطار العيش ووادي سقان وعين سمارة عام 1891، وصف المؤرخ آجرون (Ageron) هذه العريضة بأنها "عصرية" و"وثيقة وطنية"، يُعتقد أن سي صالح بوشناق، أحد قضاة ميله، قد يكون صاحب هذه الوثيقة، وقد عُنونت عريضة أخرى باللغة العربية بـ "مقالة غريق أمام طبيب شفيق"، حيث يُرمز بالغريق إلى الشعب الجزائري، وبالطبيب إلى السلطات الفرنسية أو لجنة التحقيق، في تسعة فصول، استعرضت العريضة معاناة الجزائريين، مثل الضرائب الثقيلة، قانون الأندجين، التعليم، والشرعية الإسلامية، وطالبت بتحقيق العدالة، في نهاية العريضة¹، نُبه إلى عدم التزام فرنسا باتفاقية 1830 التي وعدت بحماية حقوق الجزائريين، مع بداية القرن العشرين ووصول جونار إلى الجزائر، اشتد الصراع الوطني وازدادت الاحتجاجات ضد التجنيد الإجباري في الجيش الفرنسي، عكست هذه التحولات زيادة وعي الجزائريين بأهمية الدفاع عن حقوقهم في مواجهة الاحتلال².

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر النفا...، ج7، المرجع السابق، ص 452.

² بن قينة، صوت الجزائر، المرجع السابق، ص 12.

ثانيا: نماذج من العرائض المقال النقدي السياسي والاجتماعي:

1. العرائض:

1.1. عريضة أبو اليقظان إلى السلطة الفرنسية بشأن توقيف صحفه

يبدأ أبو اليقظان رسالته بجملة: "الحمد لله" ثم: "حضرة أعضاء بعثة مجلس الشيوخ المحترمة"¹، والعريضة عبارة عن رسالة شكاية من مظالم الإدارة الفرنسية في حق أبو اليقظان وقلمه وصحيفته، متهما المترجمين والأعداء في تحوير كلامه لما يصب في صالح نقم السلطة عليه فيقول: "أيها السادة بما أنكم جئتم باسم فرنسا الديمقراطية لاستماع شكايات رعاياها المسلمين بالقطر الجزائري وهي كثيرة أكثر من أن تحصى فإني أنا الواضع خط يدي أسفله - أعرض على مسامعكم ناحية واحدة ربما بقيت منسية... كنت أدير جريدة وادي ميزاب التي كانت تصدر بالعاصمة من أكتوبر 1926 إلى جانفي 1929م فبذلت كامل جهدي في انتهاج خطة تجمع بين مصالح الأمة والحكومة... ولكن وجود أعداء كثيرين لي وجهل قلم الترجمة أفسد قلب الحكومة، فصدر قرار وزيري مؤرخ في 18 جانفي 1929 أمر بتعطيلها وتعطيل كل جريدة ستصدر على منوالها، وعندما قامت الأمة في سائر البلاد ببرقيات الاحتجاج إلى الولاية والوزارة معربة عن أوجاعها الشديدة بقطع لسانها الوحيد، أمرت الإدارة بإيقافي عن السفر والتحجير عن الكتابة وهددوني بالأبعاد عن البلاد وذلك بتهمة المحرك الحقيقي للأمة على هذه المظاهرات الشرعية وبعد مراسلات عديدة أصدرت الولاية عفوها عني وإرجاع حريتي في الكتابة"²

يبدو من العريضة ذكاء أبو اليقظان في البقاء على اللهجة التي لا تحمل عدائية تجاه الحكومة الفرنسية ولكنه يدس بين السطور تناقض هذه الحكومة فيذكرها بأنها تحمل راية الحرية والعدالة والمساواة وكأنه يقارن بينما يتعرض إليه من اضطهاد وتهديد وبين ما تدعو إليه فرنسا فيقول: "هذا أيها السادة مثال مصغر من جملة الأمثلة التي تقاسيها الصحافة العربية في هذه البلاد من أنواع الاضطهاد وهي تحت الراية المثلثة الألوان والتي تمثل المبادئ الثلاثة، حرية، عدالة، مساواة، وتحت إشراف أحفاد أولئك الأبطال الذين حرروها حول جدران باستيل وفي الوقت الذي يتمتع فيه كثير من الجرائد الأجنبية المضادة للحكومة بحرية واسعة النطاق"³

¹ ناصر، أبو اليقظان...، ج2، المرجع السابق، ص 262.

² إبراهيم أبو اليقظان، (د.ت)، عريضة إلى السلطة الفرنسية، ينظر: نفسه.

³ نفسه.

كما يتهم أبو اليقظان الإدارة والحكومة الفرنسية بأنها حاكمة على اللغة العربية فيقول: "ونحن لا ندري لماذا هذا الحقد كله نحو العربية حتى هددت نشرة لاپريس ليعر العربية في العام الماضي بالتعطيل، فعدلت إدارتها عنها، أفى بلاد أكثرية سكانها مسلمون تعتبر العربية أفضع جرم من البلشفية¹، والإباحية في نظر الإدارة؟ أم أي قانون يسيرون به الصحافة العربية هنا؟"²

ومرة أخرى نرى من أسلوب أبو اليقظان وضع الحكومة أمام تناقضاتها من خلال مقارنة محاربة لغة شعب كامل والسماح للأفكار المتطرفة والأخلاقية في الانتشار والحرية في التعبير، ويختتم أبو اليقظان عريضته بمجموعة من المطالب متمثلة في:

- إلغاء الحكم الإداري فيما يخص الصحافة.
 - تطبيق قانون الصحافة الفرنسي الصادر سنة 1881 على الصحافة العربية أيضا مثل زميلتها الفرنسية.
 - وضع حد للضغط على حرية أبو اليقظان الشخصية ورفع القيود عنه، وإعادة صحيفته للنشاط.
- وفي نهاية العريضة يقول أبو اليقظان: "إن إيفاء فرنسا الكريمة بهؤلاء السادة إلى هذه البلاد لبرهان منها قاطع على وجوب سلوك سياسة حكيمة مع الأهالي ألا وهي سياسة الباب المفتوح لسماع أنينهم وآلامهم وهل يبقى هذا الباب مفتوحا بعد غيابكم عنا إذا لم تكن للمسلمين صحافة عربية تعرب عن آلامهم وآلامهم في دائرة الشرع والقانون؟ ومن أين تتعرف الحكومة مكامن الداء فتعالجها؟ وفي الختام تقبلوا منا فائق الاحترام"³.

¹ الثورة البلشفية: التي اندلعت في أكتوبر عام 1917 (وفقًا للتقويم اليولياني) في روسيا، كانت واحدة من أبرز الأحداث السياسية في القرن العشرين، إذ قادها الحزب البلشفي بقيادة فلاديمير لينين وأسقطت الحكومة المؤقتة التي تولت الحكم بعد ثورة فيفري، مثلت هذه الثورة المرحلة الثانية من الثورة الروسية الكبرى، وأسفرت عن قيام أول دولة اشتراكية في العالم، هي الاتحاد السوفييتي، وقد قامت على أيدي الطبقة العاملة والجنود والفلاحين الذين طالبوا بإلغاء الحرب العالمية الأولى وتوزيع الأراضي وتحقيق العدالة الاجتماعية، تميزت الثورة بتنظيم محكم وتحالف واسع بين السوفييتات (المجالس العمالية) والبلشفة، ما ساعد في حسم السيطرة على العاصمة بتروغراد (سانت بطرسبرغ) بسرعة، كان للثورة تأثير عميق على مجريات التاريخ العالمي، إذ ألهمت الحركات الشيوعية واليسارية حول العالم وأدت إلى انقسام فكري وسياسي واسع النطاق بين الرأسمالية والاشتراكية خلال القرن العشرين، ينظر: عدنان بوزان، "الثورة البلشفية: دراسة شاملة وتحولات عالمية"، دراسات، د م، 2024، ص 328.

² ناصر، أبو اليقظان...، ج2، المرجع السابق، ص 263.

³ نفسه.

2.1. عريضة أحمد توفيق المدني إلى جامعة الدول العربية

في كتابه حياة كفاح يُبرز أحمد توفيق المدني موقفه النقدي من جامعة الدول العربية¹، واصفًا إياها بأنها كيان ضعيف ومفكك، تغلب عليه الخطابات أكثر من الأفعال، وقد فشلت فشلًا ذريعًا في أول اختبار حقيقي لها تمثل في نكبة فلسطين، غير أن المدني، رغم هذا التقييم السلبي، يُقر بأن الجامعة بقيت كيانًا قائمًا وله رمزية، خاصة لدى شعوب المغرب العربي، حيث احتفظت بمكانة معنوية رغم ضعف تأثيرها العملي، منتظرة لحظة تاريخية يعاد فيها تفعيل دورها².

في المقابل، يعترف المدني بأن الجامعة بدأت تُظهر دعمًا فعليًا للقضية الجزائرية بعد اندلاع الثورة في أول نوفمبر 1954، حين أصدرت بيانًا قويًا يدين الاحتلال الفرنسي ويدعو للاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها، ومع تصاعد زخم الثورة الجزائرية، تحولت الجامعة إلى قناة دعم مادي وسياسي للوفد الجزائري، حيث أصبحت تستقبل الأموال الموجهة من الدول العربية وتضعها تحت تصرفه، وقد تولّى المدني بنفسه تمثيل الوفد لدى الجامعة حتى لحظة رفع علم الجزائر المستقلة، في مشهد رمزي لخاتمة مسيرة طويلة من الكفاح والدبلوماسية.

تُمثل عريضة المجاهد والدبلوماسي الجزائري أحمد توفيق المدني التي وجهها إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الخالق حسونة³ في 5 سبتمبر 1956، واحدة من الشهادات التي تعكس بوضوح حجم التحديات السياسية التي واجهها الوفد الجزائري في محاولاته لتدويل القضية الجزائرية خلال الثورة التحريرية، وتأتي هذه الوثيقة في سياق دقيق يتعلّق بمداولات الدول الآسيوية والإفريقية حول إدراج قضية الجزائر ضمن جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، فهي ليست مجرد مراسلة رسمية، بل نصّ نابض بالقلق الوطني والغيرة على مصير الثورة، يكشف ببلاغة

¹ جامعة الدول العربية: هي منظمة إقليمية عربية تأسست في 22 مارس 1945، تضم الدول الناطقة باللغة العربية في قارتي آسيا وأفريقيا، تهدف الجامعة إلى توثيق الصلات بين الدول الأعضاء، وتنسيق السياسات وتعزيز التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والأمنية، إضافة إلى دعم القضايا العربية المشتركة وعلى رأسها القضية الفلسطينية، يقع مقرها الدائم في القاهرة، وتضم في عضويتها حاليًا 22 دولة، ينظر: أحمد علي سالم، الأمن الجماعي في جامعة الدول العربية بين النظريات الواقعية والبنائية، منشورات الحلبي الحقوقية، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، 2016، ص 09.

² أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 273.

³ عبد الخالق حسونة (1898-1992): هو دبلوماسي وسياسي مصري بارز، شغل منصب الأمين العام الثاني لجامعة الدول العربية بين عامي 1952 و1972، خلفًا لعبد الرحمن عزام، وُلد في القاهرة وتخرج في كلية الحقوق، ثم التحق بالسلك الدبلوماسي، وتدرج في مناصب وزارية عدة في مصر، منها وزارة الخارجية والشؤون الاجتماعية، عُرف بمحنه السياسية ومواقفه الداعمة للقضايا العربية، خاصة في ظل التحولات الكبرى التي شهدتها العالم العربي في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، كالثورة الجزائرية والقضية الفلسطينية، ينظر: حسين عبد الخالق حسونة، اتفاقات وخلافات العرب كما عايشها عبد الخالق حسونة، دار الشروق، القاهرة - بيروت، 2024.

متوازنة عن تقاعس بعض الأطراف العربية، وفي الوقت ذاته يراهن على وعي القادة العرب وحسّهم القومي، في لحظة كان فيها أي تأخير أو تردد قد يُفقد الجزائر فرصة ثمينة لعرض قضيتها في المحافل الدولية.

تتجلى في هذه العريضة التي كتبها أحمد توفيق - إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية عام 1956 نبرة الجمع بين الأسلوب الأدبي الرفيع والموقف التاريخي الحرج، إذ يفتتح المدني رسالته بتحية دينية وعربية تقليدية: "الحمد لله وحده... السلام عليكم والتحية الطيبة المباركة"، ما يعكس التقاليد الخطابية الإسلامية العربية، ويمنح الرسالة طابعاً رسمياً مهيباً، ويحرص الكاتب على استخدام ألفاظ مثل "أتشرف بإعلامكم..." و"يرجوكم الوفد حار الرجاء..."، التي تدل على أدب المخاطبة، وفي ذات الوقت تعبر عن إلحاح ملحمي في الطرح، وكأن القضية تُعرض على محكمة التاريخ لا على بيروقراطية سياسية.

أما من الناحية التاريخية، فالعريضة توثق مرحلة دقيقة من مسار الثورة الجزائرية، وهي مرحلة عرض القضية على الأمم المتحدة عبر القناة العربية-الآسيوية، يشير المدني بوضوح إلى تلكؤ بعض الدول العربية في اتخاذ موقف موحد، حيث قال: "لم يتصلوا بعد بأي تعليمات من حكوماتهم عن رأيها في هذه القضية"¹، هنا يظهر القلق من ضياع فرصة تاريخية لنقل الملف الجزائري إلى ساحة دولية أوسع، بسبب التباطؤ العربي، وهو ما دفعه إلى تذكيرهم بعبارة لاذعة ومباشرة ذات طابع ساخر: "لا يمكن لدولة أن تكون عربية أكثر من العرب"²، كناية عن أن دعم القضية يجب أن يكون أولاً من العرب أنفسهم قبل الآخرين، وإلا فإن فقدانهم للمبادرة سيسجل عليهم تاريخياً.

يتوسل المدني هنا الحمية القومية ويستنهض مشاعر المسؤولية عبر تعابير قوية مثل: "حالة حرجة توشك أن تضحي بقضية الجزائر"³، مما يجعل من العريضة وثيقة تعكس ليس فقط الدبلوماسية الجزائرية الثورية، بل أيضاً وعياً سياسياً بالغاً بموازن القوى وضرورات اللحظة، فهذه الرسالة ليست مجرد خطاب إداري، بل هي نداء مكثف، يجمع بين الترافع السياسي والأداء البلاغي، ليؤكد أن الثورة الجزائرية لم تكن فقط في الجبال، بل أيضاً في دهايز السياسة الدولية، بأقلام واعية كقلم أحمد توفيق المدني.

¹ أحمد توفيق المدني، (05 سبتمبر 1956)، عريضة إلى جامعة الدول العربية، ينظر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 273.

² نفسه.

³ نفسه.

2. نقد السياسة

1.2. مقال استعمار فلسطين لعمر راسم:

عمر راسم كان محل اهتمام كبير من قبل محمد العابد الجلاي، الذي كتب عنه في كتابه "تقويم الأخلاق" المنشور في سنة 1927، وقد بدا واضحًا أن الجلاي كان يعرف عمر راسم شخصيًا، حيث تناول في كتابه تفاصيل عن حياته وأعماله بدقة، خاصة فيما يتعلق بنشاطه في الصحافة والأدب¹، ومن الجدير بالذكر أن ترجمة الجلاي لحياة عمر راسم كانت مبكرة ولم تشمل كل جوانب حياته، خاصة الجزء الثاني منها والذي يتضمن العديد من التفاصيل التي لا يمكن للمعاصرين أن يطلعوا عليها إلا بعد وفاته وانقضاء فترة من الزمن، وقد أبدى العديد من الباحثين والمفكرين مثل محمد ناصر ومحمد علي دبور وأحمد توفيق المدني وأبو القاسم سعد الله اهتمامًا بحياة عمر راسم.

عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد البجائي يتصل نسبه بصنهاجة، ولد بالجزائر العاصمة، سنة 1884م، درس في الكتّاب وحفظ القرآن في عمر السابعة، درس النحو لدى الشيخ محمد بن المصطفى ودرس لدى المدرسة الثعالبية، كما تعلم اللغة الفرنسية في مدرسة الشيخ فاتح، كان مولعا بالقراءة باللغة العربية والفرنسية وهذا ما ملأ فراغ انقطاعه وتنقله من مدرسة إلى أخرى².

دخل راسم، المعروف أيضًا باسم أبو منصور الصنهاجي، مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية (الثعالبية)، حيث واصل تعليمه، ونشأ في حسيب صنهاجة، حضر دروس النحو عند الشيخ محمد بن مصطفى خوجة في جامع "سفير"، كان عمر راسم شابًا طموحًا وموهوبًا، وقرر تثقيف نفسه باللغتين العربية والفرنسية، لأنه استمتع بالعلوم والآداب والتاريخ والأخبار، عاش عصر بداية الصحافة وانتشار حركة التجديد والجامعة الإسلامية، وعبر عن مواقفه المعارضة للتجنيد الإجباري والفئة الاندماجية³.

أسس عمر راسم جريدة "الجزائر" في سنة 1908، وهي جريدة باللغة العربية تهدف إلى التثقيف والتثريب وتغطية كل ما يهم المسلمين الجزائريين، تعاون مع عمر بن قدور في إصدار جريدة "الفاروق" في سنة 1913، وأسس جريدة "ذو الفقار" في أوائل سنة 1914 عمر راسم، صاحب الجريدة، كان منذ البداية متأثرًا بأفكار محمد

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، المرجع السابق، ص287.

² ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1984، ص14.

³ بعلي، مدارس التعليم...، المرجع السابق، ص102.

عبد الإصلاحي حتى درج على وصفه بالمفتون بها، فقد قام برسم صورته على غلاف العدد الثالث، مما جعل مدير الجريدة، يعتبرها جريدة إصلاحية عبدوية، وأشار في افتتاحية العدد الأول إلى تمسكها بهذه النزعة الإصلاحية، وأكد أن الجريدة لن تتجاوز الطريقة التي وضعها لها رجال الإصلاح، واعتمدت على مبدأ الابتعاد عن السياسة، حيث أكد أن أي تورط فيها سيؤدي إلى تفسدها، كانت الجريدة تهتم بالتصميم بشكل كبير، حيث كانت تنشر رسومًا يدوية على صفحاتها الأولى ترمز إلى أهدافها الإصلاحية، وكان صاحب الجريدة هو الذي كان يقوم برسم هذه الرسوم بنفسه، حيث كان يجمع بين براعته في الرسم وابتكاره في الخط العربي والفرنسي، وكان يُعرف عنه ويُقدَّر باسم صاحب الجريدة الحقيقي¹.

عمر راسم كان أول مفكر جزائري يهتم بالاشتراكية، ودعا إلى تطبيق الاشتراكية الإسلامية لحو الفوارق الاجتماعية، كان يتابع الإنتاج الفكري الاشتراكي العالمي ويقرأه بانتباه، وكان لديه علاقات ودية مع عدد من الشخصيات الاشتراكية الثورية العالمية، مثل بول لويس كورييه (Paul-Louis Courier) وجيل فاليس² (Jules Vallès)، وكانت لديه أيضًا صلات واسعة مع زعماء الوطن العربي والثوار، وكان ينسق العمل الوطني معهم، حيث تعاون مع عبد العزيز الثعالبي في والأمير شكيب أرسلان في جنيف، وكان من المعجبين بمواقف مصطفى كمال وشيخ محمد عبده³، هو أحد رواد اليقظة الفكرية والصحافة بالجزائر، كان اهتمام عمر راسم بالحياة السياسية والثقافية دافعًا له لاستكشاف ميادين جديدة، وكانت الصحافة واحدة من تلك الوسائل التي اعتمد عليها في نشر الأفكار وتنقيف الجمهور، بدأ رحلته في الصحافة من خلال الكتابة في الصحف التونسية مثل (التقدم)، و(مرشد الأمة)، و(المرشد) فهو يعتبر من بين أوائل الكتاب الجزائريين الذين شاركوا في تحرير الصحف التونسية في بدايات القرن العشرين كما اعتبره محمد الصالح الجابري أول كاتب جزائري شارك في النقاشات الفكرية والسياسية حيث تعود مقالته التي أرسلها إلى جريدة "التقدم" إلى سنة 1907، والتي في الواقع كانت رسالة مفتوحة إلى رئيس الحكومة الفرنسية والحاكم العام في الجزائر، واستمر راسم في نشر مقالاته في جريدة "التقدم"، حيث انتقد في سنة 1908 منح النياشين للجزائريين من قبل السلطات الفرنسية مقابل الخدمات والولاء، وشدد على ضرورة المحافظة على مصلحة الشعب الجزائري، ورغم توجه "الجزائر" كجريدة دينية في الأساس، إلا أنها لم تستمر سوى بثلاثة أو أربعة أعداد بسبب صعوبات مالية وفقًا لما ذكره الجلاي والمدني⁴،

¹ ناصر، الصحف العربية ...، المرجع السابق، ص40.

² بعلي، مدارس التعليم الكبرى...، المرجع السابق، ص102.

³ نفسه.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر النفا...، ج5، المرجع السابق، ص286.

حيث استخدم صوته لمهاجمة التنوير الغربي وانتقد بشدة الفئة المندمجة، تميز بالأفكار الإصلاحية والثورية كما أنه خطاط مبدع في الخط العربي المغربي، وفنان زخارف¹، في سنة 1908، أسس عمر راسم صحيفة باسم "الجزائر"، وكانت هذه الصحيفة باللغة العربية تهدف إلى التثقيف والتثذيب، وتنطوي على محتوى علمي أدبي وتربوي، وتركز أساسًا على القضايا الدينية والتوجيهية للمسلمين في الجزائر، وفي رحلته إلى مصر لاطلاعه على أحوال المسلمين بالمشرق، شارك محمد راسم في إصدار جريدة بعنوان "الفاروق" بالتعاون مع عمر بن قدور في سنة 1913، ثم قرر تأسيس جريدة خاصة به، أطلق عليها اسم "ذو الفقار" في أوائل سنة 1914، عمر راسم كان ماهرًا في الخط والنسخ، مما جعله موضع اهتمام جريدة "المبشر" التي استدعته للعمل بها والاستفادة من خبرته في هذا المجال²، في سنة 1915، صدر بحقه حكم بالأشغال الشاقة المؤبدة، ولم يتم الإفراج عنه إلا في سنة 1921، ومجلة "ذو الفقار" في 1913³، من أهم المنابر الصحفية التي عبّرت عن أفكار عمر راسم وأفكار الإصلاح والاشتراكية في الجزائر⁴، واشتهر بخطه العربي الجميل وموهبته في رسم المنحوتات، وعمل مع جريدة "المبشر"، ولكنه لم يمكث طويلاً في العمل بسبب اتهامه بالتعامل مع العدو حيث كان من سوء الحظ لديه أن يريده إلى جريدة "الشعب" المصرية قد سُلِمَ للمخابرات الإنكليزية، وقد كانت الرسالة عبارة عن دعوة للمسلمين للانضمام إلى السلطان العثماني والتوقف عن مساعدة أعداء المسلمين، وقد استخدمت فرنسا هذه الرسالة لتوجيه التهمة لعمر راسم بأنه محرر لها، وذلك في الوقت الذي كانت فيه الحكومة الجزائرية تدعو إلى دعم فرنسا في الحرب⁵، وتم اعتقاله في نفس الفترة التي اعتقل فيها زميله ابن قدور⁶، وحُكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة في سنة 1915⁷، تعرض لظروف صعبة خلال فترة اعتقاله خلال الحرب العالمية الأولى⁸، حتى أُفرج عنه في سنة 1921 بعد مراجعة القضية وتدخل بعض الفرنسيين والجزائريين الصالحين⁹، أثناء فترة سجنه في بربروس من سنة 1915 إلى 1921، استغل الوقت في القراءة والتثقيف والتكوين¹⁰، في ذلك الوقت، كان الصمت أو العمل المخلص مع

¹ ناصر، عمر راسم ...، المرجع السابق، ص 14.

² بعلي، النهضة الفكرية في الجزائر ...، المرجع السابق، ص 131.

³ ناصر، عمر راسم ...، المرجع السابق، ص 14.

⁴ بعلي، مدارس التعليم الكبرى ...، المرجع السابق، ص 101.

⁵ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقا...، ج 5، المرجع السابق، ص 288.

⁶ بعلي، النهضة الفكرية في الجزائر ...، المرجع السابق، ص 131.

⁷ بعلي، مدارس التعليم الكبرى ...، المرجع السابق، ص 102.

⁸ ناصر، المقالة الصحفية ...، ج 2، ص 227.

⁹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقا...، ج 5، المرجع السابق، ص 287.

¹⁰ بعلي، مدارس التعليم الكبرى ...، المرجع السابق، ص 101.

فرنسا أمراً مفروضاً على الجميع بسبب الحرب، ولذلك تم اعتقال عمر راسم وعمر بن قدور، وهذا يعتبر شرفاً لهما في تلك الفترة، حيث كانوا يُعتَقَد أنهما ناصرا للقضية الإسلامية على القضية الفرنسية¹.

بعد خروجه من السجن، تفرغ عمر راسم للحياة الفنية، حيث اتجه نحو الخط والرسم، وأظهر موهبته وإبداعه بشكل ملحوظ، أصبحت لوحاته تزين غلاف بعض الكتب المعاصرة، مثل اللوحة التي رسمها لكتاب "الجزائر" لأحمد توفيق المدني²، وفي سنة 1931، أسس مدرسة لتعليم فن التصوير والزخرفة العربية والشرقية في العاصمة، وتم اختياره هو وأخوه محمد راسم لتدريس الخط العربي والزخرفة والمنمنمات فيها، نجح عمر راسم في تخريج عدد كبير من الشباب الموهوبين في مجال الفن، كانت لديه جهود كبيرة في التعريف بالفن الإسلامي، حيث نظم معارض عدة خلال الثلاثينات والأربعينات، بما في ذلك معرض في مدينة نيس بفرنسا وثلاثة معارض في الجزائر العاصمة، بالإضافة إلى معرض في استكهولم بالسويد، كانت ثقافته مزيجاً بين العربية الإسلامية والثقافة الأجنبية، مما جعله يمتلك فكراً متفتحاً وذهناً واسعاً نحو الإنتاج الفكري الإنساني والحركات التحررية العالمية، كانت له صلات وثيقة بالمفكرين والزعماء في الشرق والغرب، وكانت أفكاره ونظرياته متأثرة بهم بشكل كبير، وظل عمر راسم يمارس تدريسه في الرسم وكتابة مقالاته في الصحف، والمشاركة في الإذاعة حتى وافته المنية بعد مرض طويل وشديد، ولم يكتب بعد تحقيق حلمه في رؤية وطنه مستقلاً، توفي في العاصمة عن عمر يناهز 75 سنة في 13 فيفري 1959، تم دفنه في مقبرة سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالعاصمة³ حيث يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "وقبل أن يتحقق حلم عمر راسم في استقلال وطنه الذي طالما استنهضه بقلمه وخطابه، انطفأت شمعه بالعاصمة عن 75 عام، كان ذلك سنة 1379 هجري 1959 ميلادي وقد كانت البلاد في ثورة عارمة ضد المحتل، وكانت تبشير النصر قد أخذت تلوح في الأفق"⁴

من أعماله ترجمته لتراجم علماء الجزائر (مخطوط) ومقالاته الكثيرة باللغتين العربية والفرنسية في مجالات الاجتماع والسياسة والفن⁵، كان راسم شخصية متعددة الأوجه، فهو ليس فقط صاحب جريدة وكاتب وفنان، بل كان أيضاً ناشطاً سياسياً وثقافياً، وقد انخرط في الصحافة كوسيلة لنشر الأفكار وتوعية الناس، حيث بدأ كتابة

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، المرجع السابق، ص287.

² بعلي، مدارس التعليم الكبرى...، المرجع السابق، ص102.

³ نفسه.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، المرجع السابق، ص289.

⁵ ناصر، المقالة الصحفية...، ج2، ص227.

مقالاته في الصحف التونسية مثل "التقدم" و"مرشد الأمة" و"المرشد"، واعتبره البعض أول الكتاب الجزائريين الذين شاركوا في النقاشات الفكرية والسياسية في بداية القرن العشرين¹.

بخصوص المقال العنون ب: "استعمار فلسطين 1909" فهو يعد مقالا سياسيا تاريخيا وأديبا، فقد كُتب من قبل الشخصية المثقفة والأدبية: عمر راسم، الذي يحمل وزناً تاريخياً وثقافياً في تاريخ الجزائر والعالم العربي، حيث يتداول راسم فيه عبارات وجمل تحمل أبعاداً سياسية، ويظهر انغماسه في ثقافته من خلال استخدامه لأبيات شعرية واستحضار لأحداث ومقالات دولية.

يعكس المقال تفاعل راسم مع أحداث تتناولها مقالاته وتركيبية فكره السياسي، حيث يتعمق في تأثيرات الأحداث التي تمر على الإنسان العادي كحدث عابر، ولكن يتجلى في تحليله لها كمثقف مثل عمر راسم مدى خطورتها على البلاد الإسلامية، ويظهر هذا التأثير بوضوح في السياق الذي يشير إلى كارثة حدثت فعلياً.

تم اقتباس المقال من جريدة "مرشد الأمة" التونسية²، التي أسست في نفس العام التي نُشر فيها مقال عمر راسم سنة 1909، وتأخذ هذه الدراسة مأخذها من كتاب الباحث محمد ناصر الذي خصص جهده لدراسة حياة عمر راسم تحت عنوان "عمر راسم: المصلح الثائر"³.

يقول عمر راسم في ديباجة مقاله: "ألقينا سؤالاً في هذه الجريدة عن تقاعد المسلمين وصمتهم لعل بعض الغيورين يعملون بغيرتهم وينجزوا ما عاهدوا الله عليه ألقينا لهم سؤالاً فلم يجيبوا، ودعوناهم فلم يسمعوا كان في آذانهم وقر وعلى قلوبهم اكنة وغطاوة، فلو دعوا الى ما فيه مصلحتهم، واجابوا الموت وإذا دعوا الى الله ورسوله تولوا

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، المرجع السابق، ص287.

²² جريدة مرشد الأمة: كانت صحيفة تونسية تأسست عام 1909 على يد الصحفي والكاتب التونسي سليمان الجادوي، الذي كان من أبرز الأصوات الإصلاحية في المغرب العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين، تميزت الجريدة بأسلوبها النقدي الساخر، حيث استخدم الجادوي الكتابة كأداة لمواجهة الاستعمار الفرنسي وتسلط الضوء على قضايا الأمة الإسلامية، مع التركيز على الأوضاع في تونس والجزائر، واجهت الجريدة مضايقات من السلطات الاستعمارية، مما أدى إلى تعطيلها ثلاث مرات قبل أن تتوقف نهائياً في ديسمبر 1950، كانت "مرشد الأمة" منبراً للعديد من المفكرين والكتاب، من بينهم عمر راسم مما يعكس التفاعل الثقافي بين تونس والجزائر في تلك الفترة، كما ساهمت الجريدة في توثيق الأحداث السياسية والاجتماعية من خلال مقالات نُشرت لاحقاً في كتاب "الفوائد الجمّة في منتخبات مرشد الأمة"، الذي جمع فيه الجادوي 190 مقالاً، مما جعله مرجعاً هاماً في دراسة الحركة الوطنية التونسية والجزائرية، بالإضافة إلى ذلك، لعبت "مرشد الأمة" دوراً في تعزيز الروابط بين المثقفين الجزائريين والتونسيين، حيث كانت من بين الصحف التي ساهمت في نشر أفكار النهضة والإصلاح في المنطقة، ينظر: محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 109.

³ صدر من مطبعة لافورميك بالجزائر سنة 1984م.

وهم معرضون وان يكن لهم الحق باتوا اليه مدعين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون¹

تُظهر الديباجة وجهة نظر دينية حول قضية تقاعد المسلمين وتسلب الضوء على صمتهم المثير للقلق أمام التحديات، يعبر عمر راسم عن إحباطه وغضبه تجاه هذا الصمت وعدم استجابة المسلمين للنداء، يستعرض الكاتب أمثلة عن الغيورين الذين يعملون بجد لتحقيق الوعد الديني، في حين يشير إلى تجاهل المسلمين وعدم استجابتهم.

تظهر اللغة المستخدمة في الديباجة تحفظاً وانتقاداً، حيث يعبر الكاتب عن استياءه من تجاهل المسلمين ويصفهم بالاكتمال والغشاوة، يشير إلى احتمالية خوف المسلمين من التزامهم بالتغيير، يسأل الناشر عن سبب هذا الصمت، مشيراً إلى احتمالية وجود مرض في قلوبهم أو ارتباك أو خوف من الالتزام.

عمر راسم يتخذ موقفاً قاسياً من المسلمين الذين لم يستجيبوا، يصفهم بالظالمين، ويسأل إن كان هذا الصمت يعود إلى مرض في قلوبهم أم ارتباك أم خوف من الله ورسوله، يضيف عمر راسم أبيات شعرية من قصيدة للشاعر العربي بشار بن برد، تزيد من إحباطه وتعبيره عن رغبته في أن يستجيب المسلمون للنداء.

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي
فيا ليتهم من المقابر دسوا
ويا ليت تلك العظام موالي

- التحذير من خطر السيطرة الاقتصادية لليهود في فلسطين:

يتحدث عمر راسم عن أهمية فهم الناس للوضع الاستعماري في فلسطين، ويعتبر أنه من الغباء تجاهل هذه القضية، يصف الناشر المقاومة ضد الاحتلال بأنها ممارسة تأتي فقط من الأفراد الذين يصفهم بأنهم "نذل جبان عنيد"، يشير إلى عدم قدرة هؤلاء الأشخاص على مواجهة الخطط اليهودية لإنشاء سلطة يهودية في فلسطين.

يظهر الناشر أيضاً استيائه من تجاهل بعض الناس لهذه القضية، ويعتبر أن اليهود يعملون بشكل ذكي عبر السياسة والاقتصاد لتحقيق أهدافهم، يشير إلى تنظيم اليهود لاجتماعات ومؤتمرات في أوروبا لتحقيق أهدافهم، ويتنبأ بنجاحهم في تحقيق مطالبهم إذا استمر الوضع على ما هو عليه، ويعتبر تجاهل بعض الأفراد لهذا الموضوع علامة على الغفلة أو الضعف.

- استحضار تاريخ اليهود واستنكار استهتار الحكام المسلمين:

¹ عمر راسم، "استعمار فلسطين"، مرشد الأمة، ع 8، 27 أوت 1909، ص 03.

في هذه الفقرة، يتحدث عمر راسم بسخرية واستفزاز حول السعادة اليهودية في طنجة، مصوّرًا صورة لاذعة تجاههم، يظهر الكاتب اعتقاده بأن اليهود لم يتغيروا عبر الزمن، وأنهم يحتفظون بتمسكهم بتطلعاتهم التاريخية نحو إرثهم الديني والتاريخي.

يشير عمر راسم إلى أن اليهود لا يزالون "شاردون" وغير متماسكين، مُسلطًا الضوء على غياب الوحدة الوطنية أو العلم الذي يجمعهم، يستعرض الكاتب تقاليد اليهود في زيارة أسوار القدس المدمرة، مصوّرًا إياهم وهم ينوحون ويكفون حولها، متصوّرًا إياهم يصطدمون رؤوسهم بالحجارة بطريقة صارخة مطالبين بعودة ملك سليمان وبيت داود.

الجزء الأخير من الفقرة يتحدث عن حاخام اليهود الذي يدعو الله لإنقاذ مملكتهم وتحرير أورشليم من أيدي الكفار، ويُظهر راسم استياءه ودهشته من تأثير هذه الطقوس على الملوك المسلمين الذين يستمعون ويؤمنون بها حيث يقول: "واغرب من هذا وأعجب ان عند جلوس كل ملك مسلم يقول امامه حاخام اليهود بعد التهئة، رب انقذ مملكة هوده وابعث عبدك المنقذ لتخليص أورشليم من أيدي الكفار والملك يسمع ويؤمن والجرائد تذكرها بكل ارتياح"¹

- استغلال اليهود للضائقة الاقتصادية في تركيا:

في هذا السياق، يقدم عمر راسم تحليلًا ساخرًا واستفزازيًا حول اليهود وكيف استغلوا الظروف المالية الصعبة التي واجهت حكومة تركيا الدستورية الجديدة، يناقش عمر راسم فكرة استغلال اليهود لهذه الفرصة من خلال شراء الأراضي المهملّة في فلسطين وتوطين النازحين اليهود من الدول التي تعرضوا فيها للاضطهاد، يعبر راسم عن استياءه من هذه الأوضاع ويصوّر اليهود كمجتمع يسعى إلى استعادة مجدهم كبني إسرائيل.

- تحليل عمر راسم لكتابات اليهود:

يقدم عمر راسم تحليلًا ساخرًا لسلوكيات اليهود، حيث يتهمهم بالاستفادة من ثرواتهم ونفوذهم في أوروبا للتأثير في بعض الدول والتلاعب بمجلس المبعوثين، يعبر الكاتب عن رفضه واستياءه من هذه الأفعال باستخدام مصطلحات استفزازية، كما يشير إلى اسم النائب اليهودي في فرنسا، يوسف يناك، كجزء من اتهاماته، يُذكر أيضًا بعود من بعض النواب بالمساعدة في هذا السياق، ويصف ذلك بأنه "بارقة أمل"، يُظهر الكاتب أيضًا أن اليهود أسسوا جمعيات جديدة باسم "حزب الله" أو "استعمار فلسطين" للتعامل مع هذه القضية، مما يشير إلى اطلاعه

¹ نفسه، ص 03.

على أخبار اليهود وتحليلاتهم، فيقول: "ويظهر من كتاباتهم أنهم استعانوا باموال اغنيائهم في اوربا ونفوذهم لدى بعض الدول على التزلف"¹

- تحذير عمر راسم للفلسطينيين من بيع أراضيهم:

في هذه الفقرة يحمل راسم توجيهات محدرة إلى سكان فلسطين والمسلمين والنصارى، حيث يُشجّع على مقاومة أي دعم لليهود، ويتحدث عن بيع الأملاك لهم بمفردهم كمفسدين في الأرض، يُشير إلى رفض الدولة لمساعدة اليهود وبيعهم للأملاك المخزنة، مُستخدماً مثالا على مهاجرين مسلمين من البوعام والهرسك الذين هم بحاجة للمساعدة فيقول عمر راسم: "أما سكان فلسطين وجوارها من المسلمين والنصارى فيجب عليهم معارضة مساعدة الحكومة لليهود واباية بيع أملاكهم للمفسدين في الارض ولو بالقناطر المقنطرة من الذهب والفضة المغصوبة لهم، وينكرون على الدولة مساعدة اليهود وبيعهم الاملاك المخزنية وقتما كان مهاجرو البوعام والهرسك وغيرهما من المسلمين اشد من اليهود احتياجا الى السكنى في الاراضي التي ورثها بدماء آبائهم الطاهرة"²

- قراءة عمر راسم للجرائد العالمية:

في هذه الفقرة يقدم تحليلاً للوضع في بيت المقدس، مشيراً إلى النقص والفقر الذي كان يعيشه سكان المنطقة في سنة 1885، وكيف ارتفعت نسبة اليهود فيها إلى 70٪ من السكان في سنة 1905، يشير الكاتب إلى الاستفادة الكبيرة التي حصل عليها اليهود من الأراضي والتسهيلات التي قدمت لهم، مع التنبيه إلى تقاعس الحكومة والشعب ووسائل الإعلام والكتّاب والشعراء في التعبير عن رأيهم حيال هذا الوضع، ويستعين في هذه الفقرة بقصيدة:

يكدون لكن الى ما به	فاد البلاد وجلب الريال
ويسعون لكن الى كل ما لم	يفد بشيء عظيم النوال

- انتقاد سياسة الدولة العثمانية:

يُعبّر راسم عن اعتراض قوي على قبول الدولة العثمانية لليهود الفارين من روسيا، ويصف ذلك بأنه من أعظم سيئات الدولة، يظهر في هذا السياق الرفض لتداول السلطة والمكايدة، كما يتناول في هذه الفقرة أيضاً موقفاً حاداً تجاه محمد علي ومحاربه للوهابية، مما يظهر وجهة نظر معينة تجاه الأحداث التاريخية والمواقف السياسية، ويؤكد

¹ نفسه، ص 03.

² نفسه.

راسم على أهمية التفكير في مصلحة العموم، وكيف يجب أن تكون الدولة خادمة للجميع ولا تخدم فقط أفرادًا معينين.

- انتقاد الشعب:

يعبر راسم في هذه الفقرة عن تقييم لفترتين مختلفتين: زمن الخلفاء وعصر الاستبداد، حيث يُظهر إيماناً بأن الشعب كان يكون الحاكم في زمن الخلفاء، حيث كان الحكام يعملون لصالحهم ولصالح المجتمع، أما في العصر الاستبدادي ويقصد به العثمانيين هنا، فيُظهر الشعب كطائع لأوامر السلاطين والتساهل مع منكرهم، كما يُظهر راسم استياءً من التحول في زمانه الحالي، حيث يعتبر أن الشعب انصرف عن الحكومة باسم الحرية، ويرى أن هذه الحرية أصبحت مفهوماً غامضاً ومربكاً، يعكس هذا الجزء استياءً من التطورات السياسية الحالية والتساهل في فهم مفهوم الحرية.

يستخدم راسم مصطلحات مثل "الجبروتية" و"الاستبداد" لوصف الحكومات في العصور اللاحقة، مما يظهر اعتراضاً على طبيعة الحكم والتسلط الذي يعتبره الكاتب غير مقبول، كما استخدم مصطلح "الأبرياء" للدلالة على الشعب، مما يعكس رؤية الكاتب للشعب كطبقة بريئة وتائهة في وسط التحولات السياسية. تشير الفقرة إلى استياء من الحكومة الاتحادية، ويصفها بأنها انصرفت عن دورها وتسلطت في اسم الحرية، يُظهر هذا الموقف استياءً من التطورات الحكومية الحديثة وقراراتها.

- انتقاد الصحف:

يعتبر الكاتب أن دور الصحف ليس تعليم الشعب أو نشر روح الفضيلة، بل يرى أنها أصبحت وسيلة لخدمة أفراد مبتاعين، يستخدم مصطلح "أشخاص مبتاعين" لتوجيه انتقادات للصحافة واتهامها بالتحالف مع فئات تسعى لتحقيق مصالحها الشخصية، يُظهر عمر راسم استياءً من دور الصحافة في تشويه الحقيقة بأسوار شهادية عنكبوتية، مما يشير إلى تكتيكات التضليل والتشويه التي يُفترض أن تستخدمها الصحف.

- انتقاد الكتاب:

يُظهر النص استغراباً من انشغال الكتاب بالقضايا الدينية والتفرغ لتشجيع المسائل الدينية بدلاً من التركيز على القضايا الاجتماعية والسياسية التي تهم العموم، يُعتبر ذلك استخداماً ملتوياً للدين لأغراض غير مفيدة للجماهير.

يُظهر راسم استخدام مصطلح "دين الله عرا" للتشديد على الرؤية السلبية للتنوع في المسائل الدينية، مُظهرًا أن هذا التنوع قد أدى إلى جعل الدين عُرياً أو غير مفيد، كما ينتقد ظاهرة الطعن بين الكتّاب، حيث يتبادلون الانتقادات بينهم دون أن يكون لذلك أي فائدة عامة.

يقول راسم: "الكتاب اما منشغلون بتشعب المسائل الدينية، وجعل دين الله عرا والطعن في بعضهم لبعض بما لا فائدة للعموم فيه"¹

- انتقاد الشعراء:

هنا يتناول عمر راسم دور الشعراء في المجتمع، حيث يُعبر عن انزعاجه من استخدام الشعراء لمهاراتهم في تحسين الصور السلبية وتشويه الصور الإيجابية، كما يُشير إلى التناقض في التقدير بين عظمة شخصية عبد الحميد من قبل الشعراء وتجاهلهم أموراً هامة، ويقترح راسم أن توجيه اهتمامهم للأمور الهامة كان سيكون أجدر بالمدح.

يُذكر راسم بوجود شعراء يتبعون الغوص في الخيال دون توجيه اهتمامهم للقضايا الهامة والواقعية، يُظهر النص استياءً من هذا التصرف، تتضمن الفقرة آية من القرآن الكريم، قال الله تعالى: "وَأَنْتَصِرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ"²، وكأنه يريد أن يقول إن العمل الصالح والنصر يأتيان بعد الظلم والخن، مُظهرًا أن التاريخ يُسجل تحولات، ويستاء عمر راسم إلى نهاية المقال من بعض الأفراد الذين يُعتبرون مرجعين أو قادة، والذين يظهر أنهم بخلوا في تقديم المساعدة أو الفضل فيما يهم المجتمع، وبدلاً من ذلك قد أظهروا جنباً وضعف الشرف، يتم الربط بين هؤلاء الأفراد وقول ليلي بنت الكيز الأعرابية، حيث يُظهر راسم مقته لتصرفاتهم وتحديددهم للأولويات.

يشير راسم إلى هؤلاء الأفراد في مواجهة استعمار فلسطين وعدم تحقيق الفوز أو تحقيق المصلحة للمسلمين حيث يُظهر استنكاره للتصرفات التي يعتبرها غير مناسبة وغير فعّالة، ويسأل عما إذا كان هناك أي شخص يقوم بالدفاع عن القضية وتحقيق الفوز للمسلمين.

يقتبس عمر راسم قصيدة (لَيْتَ لِلْبَرَّاقِ عَيْنًا فَتَرَى) لليلي العفيفة من الشعر الجاهلي، حيث تقول القصيدة:

يا كُليباً يا عُقيلاً وَيَلُكُم
يا جُنَيْداً سَاعِدُونِي بِالْبُكَ
عَذَّبْتَ أَخْتُكُمُ يَا وَيَلُكُم
بِعَذَابِ التُّكْرِ صُبْحاً وَمَساً

¹ نفسه، ص 03.

² سورة الشعراء، آية 227، ص 378.

يا بني كهلان يا أهل العلا
يا إباد انخسرت أيديكم
يا بني تغلب سيروا وانصروا
احذروا العار على أعقابكم
اندلون على الأعجما
خالط المنظر من برد عما
وذروا الغفلة عنكم والكرى
وعليكم ما بقيتم في الدني

عمر راسم أول شخصية عربية تتحدث عن هذا الخطر اليهودي الصهيوني، فيقول عنه المفكر والباحث محمد ناصر: "نحسب أن عمر راسم أول صحفي جزائري يرفع القلم داعياً إلى الإصلاح الديني في حماس متوقدة وجرأة عجيبة، وفهم عميق لرسالته تلك، ميزته عن غيره من رجال الإصلاح آنذا¹"

كان سبب شرارة الاهتمام بموضوع اليهود والصهيونية² وكرههم لدى عمر راسم عند حادثة ماكس ريجيس³ (Max Régis) فتابع أخبار الصحف والتطورات السياسية في العالم⁴.

ينم المقال عن عواطف ملتهبة ثائرة للكاتب، وقد جاء هذا المقال سنة 1909م وهي العام التي سافر عمر راسم إلى مصر وتحمل مشاق السفر المادية والجسدية رغبة في معرفة أحوال المسلمين بهما⁵.

وبالعودة إلى السياق التاريخي الذي كانت تعيشه فلسطين آنذاك فإن الموجة الثانية من المهاجرين الصهيونية تصل فلسطين وتشمل حوالي 40,000 يهودي والتي تزيد نسبة السكان اليهود في فلسطين إلى حوالي 6 ٪، منذ البداية والحركة الصهيونية تدعي بأن فلسطين فارغة من السكان، إضافة إلى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط الذي تأسست فيه سنة 1909م تل أبيب (قرية الشيخ مؤنس) بالقرب من مدينة يافا الفلسطينية، وكانت حياً صغيراً يقع شمالي يافا، في ظل الحكم العثماني لفلسطين، وقد تم ذلك على يد شخصين "مثير ديزنخوف" الذي

¹ محمد ناصر، عمر راسم، المصلح الثائر، مطبعة لافورميك، الجزائر، 1984، ص 21.

² الصهيونية: حركة عنصرية دينية استيطانية إقليمية مرتبطة بالإمبريالية العالمية، تطالب هذه الحركة بإعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والعنف والغزو كحل للمسألة اليهودية، واشتق هذه الكلمة يهودي اسمه ناتان برنهام 1890م ليصف تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين فيتحول هذا البعد الديني إلى برنامج سياسي استعماري اقليمي يستهدف احتلال فلسطين، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، المرجع نفسه، ص 659.

³ ماكس ريجيس (1873-1950) هو الاسم الذي اشتهر به ماسياس ريجي، وهو سياسي فرنسي من دعاة معاداة السامية، وُلد في الجزائر العاصمة وبرز في نهاية القرن التاسع عشر كزعيم للحركة المعادية لليهود في الجزائر الفرنسية، كان من الشخصيات البارزة في أحداث "الاضطرابات المعادية لليهود" التي شهدتها الجزائر بين عامي 1897 و1898، تولى منصب رئيس بلدية الجزائر العاصمة لفترة قصيرة سنة 1898 قبل أن يُعزل بسبب مواقفه المتطرفة، رغم أن نفوذه السياسي تراجع بسرعة، إلا أن اسمه ظل مرتبطاً بموجة العنف والتمييز العنصري ضد اليهود خلال تلك الفترة في الجزائر المستعمرة، ينظر: Bertrand Joly, *Dictionnaire biographique et géographique du nationalisme français (1880-1900)*, Honoré Champion, Paris, 2005, p 343.

⁴ ناصر، عمر راسم...، المرجع السابق، ص 14.

⁵ نفسه، ص 32.

ساهم بشراء الأراضي من الفلسطينيين والشخص الثاني هو المعماري "عقيفا آرييه فايس"، وهم يهود قادمون من أوروبا.

يقول محمد ناصر: "عام 1909م، راح عمر راسم يشارك بقلمه بفصول نشرها في جريدة المرشد ومرشد الأمة التونسيين، تناول فيها موضوع الصهيونية في العالم بصفة عامة، وبالجزائر بصفة خاصة وراح يدعو إلى مقاومة هذا الداء بصراحة عجيبة وتحليل يمتاز بالعمق وبعد الرؤية... أدرك حاجة القطر الجزائري الأكيدة إلى صحافة وطنية نزيهة تقاوم النزعة الاستعمارية وتطلب بحقوق المسلمين الجزائريين"¹

في مقالنا الذي سبق وأن حللنا أفكاره فإنه يوحى على فطنة عمر راسم لدور الإعلام والصحف في احتلال فلسطين، ودور الدولة العثمانية في الكارثة المحدقة بفلسطين، يوحى أيضا النداء للكتاب والشعراء إلى أهمية دورهم الذي تركوه للصراعات العقيمة لا سيما تلك التي تخص المسائل الدينية، كما نبه هؤلاء للتحدث عن قضية حقيقية لا التزلف للحاكم وتشويهه من يريدون تشويهه.

لغة الكاتب قوية ولكن كثرة الفقرات توحى لتدفق عواطف الكاتب مما جعل الأفكار تبدو غير مترابطة أحيانا ورغم هذا فإن المقال يحمل مصطلحات قوية توحى عن الانتفاض والثورة ونبد الجبن والخوف والتخاذل.

عمر راسم مثقف بالتاريخ، والأدب العربي، مثقف في حاضره أيضا حيث يبدو عليه متابعة الصحافة والكتابات التي تنشر آنذاك، ورغم أن عمر نفسه تحت سلطة الاحتلال الفرنسي من وطنه الأم الجزائر، إلى مكان نشر مقاله في تونس ولكنه لم يتخاذل في كتابة رأيه ليكون أول شخصية عربية تتحدث بهذه القوة وهذا الذكاء².

في الأخير نجد أن مقال "استعمار فلسطين 1909" للكاتب عمر راسم يستعرض بعمق التحديات السياسية والثقافية التي واجهها المسلمون في ظل الاحتلال اليهودي المتصاعد في فلسطين، يُعبر راسم عن إحباطه من صمت المسلمين، مُشيرًا إلى خطورة تجاهل القضية الفلسطينية، ويُظهر من خلال استحضار أبيات شعرية ومعالجة تاريخية للفكر اليهودي، انشغاله بمصير الأمة الإسلامية، ينتقد راسم أيضًا تحاوان الحكومات الإسلامية مع تطلعات اليهود،

¹ نفسه، ص 15

² العالم دخل حربا علمية أولى سنة 1914م، وكان في 2 نوفمبر 1917م، وعد بلفور، فقدم وزير الخارجية البريطاني بلفور تعهدات بريطانية بإنشاء "الوطن القومي اليهودي في فلسطين"، وبعد أشهر تحديدا في سبتمبر 1918م تم احتلال فلسطين من قبل القوات البريطانية بقيادة اللني، ثم في سنة 1923م الانتداب البريطاني على فلسطين يدخل رسميا حيز التنفيذ وهنا بدأ وصول الدفعة الرابعة من المهاجرين الصهاينة جاء بعد وصول 67,000 مهاجرا يهوديا، وكانت الغالبية العظمى منهم قادمة من بولندا، أدى هذا الوافد الكبير إلى زيادة نسبة السكان اليهود في فلسطين إلى 16% من المجموع الكلي، والدولة العثمانية أصبحت خلافة ثم ألغيت 1924م، واليهود زادت هجراتهم وهنا الحركة الصهيونية التنقيحية أو التصحيحية (التي أسسها الصهيوني البولندي زائيف جابوتنسكي في باريس) تطالب بإنشاء دولة يهودية ليس فقط في فلسطين، بل في شرق الأردن أيضًا، وأكدت على أهمية تواجد القوة العسكرية لحماية الحركة الصهيونية، ينظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، ج6، دار الشروق، بيروت، 1999، ص 89، ينظر أيضا: فهد خليل زايد، الحروب والتسويات بين الماضي والحاضر، ط1، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2011.

مشددًا على أهمية المقاومة وعدم بيع الأراضي، من خلال تحليله للأوضاع، يُظهر راسم وعيًا عميقًا بتاريخ الصراع، مُبدئيًا قلقه من تزايد الهجرة اليهودية وتأثيرها على التركيبة السكانية في فلسطين، يعكس المقال تطلعات راسم العميقة للإصلاح والتحرر من القيود الاستعمارية، مؤكدًا على ضرورة الانتباه إلى خطورة الممارسات اليهودية السياسية والاقتصادية، مما يجعله صوتًا قويًا في المناقشات السياسية والأدبية في عصره.

2.2. مقال فصل الدين عن الحكومة لمحمد البشير الإبراهيمي

يُعد مقال البشير الإبراهيمي حول "فصل الدين عن الحكومة" نموذجًا لفكره الإصلاحية وموقفه من السياسات الحكومية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي وما بعدها، فقد نشر سبعة عشر مقالًا بنفس العنوان كأجزاء لهذا المقال، وهنا سنتعرض لأول مقال والذي نُشر في البصائر سنة 1949¹، يتسم المقال بحدة الطرح وقوة الحجة، ويعكس انتقادًا شديدًا لسياسات الحكومة الجزائرية فيما يتعلق بإدارة الشؤون الدينية.

تتسم مقالات الإبراهيمي بتنوع الأساليب التعبيرية التي تعكس فكره ورؤيته حول أوضاع وطنه ومواطنيه، حيث كانت أداة للتواصل الفكري والتوجيه نحو التغيير، اعتمد في كتاباته على تقديم القضايا الوطنية في إطار إنساني عام، مستخدمًا أسلوب التحفظ والتقية في مرحلة ما قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومع مرور الوقت، تطور أسلوبه ليشمل الصراع الجدلي الممزوج بالسخرية كما في سلسلة تعالوا نساء لكم، إلى جانب صب الواقع المحلي في قالب قومي وإسلامي، مستخدمًا أسلوب المقارنة والتصوير الساخر، ورغم اختلاف التسميات، فإن كثيرًا من نصوصه مثل التمهيدات والتعليقات تحمل خصائص المقالة في جوهرها²، أما عن المقال "فصل الدين عن الحكومة" فتتمثل أفكاره كالآتي:

– انتقاد سياسات الحكومة في إدارة الشأن الديني:

يصف الإبراهيمي الحكومة الجزائرية بأنها تتسم بالتناقض والتخبط في قراراتها، حيث تجمع بين الصلابة والتردد، وبين الديمقراطية والديكتاتورية، مما يجعل قراراتها غير مستقرة وغير عادلة، فيقول في هذا السياق: "ما زالت هذه الحكومة تمنج الصلف بالتصلب، والتردد بالتقلب، وتخلط الممانعة بالمدافعة، وتؤيد التحيل بالتخيل، وتكمل الإصرار على الباطل بالعناد فيه، -في قضية حقنا فيها أوضح من الشمس، وباطلها فيها أعرق من الإدبار من أمس"

¹ محمد البشير الإبراهيمي، "فصل الدين عن الحكومة"، ج 1، البصائر، ع 75، 1949، ص 05.

² محمد العيد تاورته، أنواع نظرية وظواهر أسلوبية في الكتابات الأولى للإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي -دراسة تطبيقية، دار الإحسان للنشر والتوزيع، 2023، ص 20.

– رفض تدخل الحكومة في الشؤون الدينية:

يرفض الإبراهيمي سيطرة الحكومة على الدين، معتبراً أنها تحاول فرض نظام علماني لا يتوافق مع طبيعة المجتمع الجزائري المسلم، كما يقارن بين وضع الجزائر والدول الإسلامية الأخرى التي تدير شؤونها الدينية وفق أحكام الإسلام، منتقداً الحكومة الجزائرية لمحاولتها تقليد تلك الدول دون مراعاة الفروق الجوهرية، يقول: "كأني بهذه الحكومة اللائكية المسيحية – معاً – الديمقراطية الديكتاتورية – معاً – ترمى ببصرها إلى ما وراء حدود الجزائر من الأقطار الإسلامية الحرة في ديانتها، المديرية لشؤونها الدينية بنفسها وبحكوماتها، فترى أن حكومات تلك الأقطار هي القائمة على شؤون الدين، والمسيرة لنظمه، فتجعل البابين باباً واحداً، وتقول: هذا من باب ذاك"

– قضية المساجد وإدارتها:

ينتقد الإبراهيمي بشدة استيلاء الحكومة على المساجد وتسليمها إلى مفتين موالين لها، معتبراً أن هذا الفعل غير شرعي لأنه تم تحت سلطة الاحتلال الفرنسي، وبالتالي فهو لا يلزم الأمة المسلمة، يقول في ذلك: "إن المفتين اللذين سلما المساجد، سلما ما لا يملكان، فعملهما ليس بحجة علينا؛ وسلما، وسيف الاحتلال وصلت على رأسيهما، فتسليمهما ليس بحجة علينا"

كما يرفض تسلّم المساجد من قبل مفتين معينين من الحكومة، معتبراً أن ذلك لا يحلّها، بل يقيها تحت سيطرة السلطة، ويضيف: "إن تسليم الحكومة شيئاً لموظفيها لا يكون معناه البديهي إلا تسليم الحكومة لنفسها؛ ومن القواعد المقررة في الفقه: العبد وما ملك لسيده، ولا يتم تحرير المساجد إلا على أيدي الأحرار"

– الهجوم على تقرير العاصمي:

يرى الإبراهيمي أن تقرير العاصمي، الذي أصدرته الحكومة، مجرد تبرير لسياساتها، ويفتقر إلى المنطق السليم، إذ يعكس رؤية الحكومة بدلاً من كونه تحليلاً موضوعياً، ينتقده بشدة قائلاً: "وإذا ذكرت أن الشيء الواحد يتفق مصدراً فإذا هو شيء واحد، كما تعقله وتفهمه، وتعرفه وتعلمه، ثم يختلف مظهرًا فإذا هو شيان أو أشياء، كما تشاء الأهواء – إذا ذكرت ذلك فاذكر أن العاصمي في تقريره المملوء بالمنطق الأعوج، المبني على التاريخ الأعرج"

يضيف أن العاصمي ليس مستقلاً في رأيه، بل يعبر عن موقف السلطة: "يقول كل عراف: لا، ويقولون أيضاً؛ إن العاصمي لا ينطق عن هواه وإنما ينطق عن وحي ساداته ومواليه"

– موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

يؤكد الإبراهيمي أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ترفض أي تدخل حكومي في المساجد والشؤون الدينية، وترى أن الأمة يجب أن تكون حرة في إدارة شؤونها الدينية، يقول: "كلاهما مما تشتد جمعية العلماء والأمة في المطالبة بتحريره، لأن كليهما من صميم الدين، وقد كانت لنا في هذه مواقف مشهودة، كالتى كانت لنا في تلك؛ بل كنا نقرن بينهما، إذ إحداها مكملة للأخرى"

كما يشير إلى أن الحكومة تستخدم القوانين والتقارير كأداة لإبقاء السيطرة على الدين، لكنه يؤكد أن الأمة لن ترضى إلا باستقلال شؤونها الدينية بالكامل: "والأمة لا ترضى إلا بالفصل الحقيقي على الوجه الذي يسطره العلماء الأحرار، والمسلمون الأبرار"

المقال يعكس رفض الإبراهيمي الشديد لمحاولات الحكومة فرض سلطتها على الدين، ويرى أن سياساتها استمراؤا للهيمنة الاستعمارية، ويؤكد أن تحرير الشؤون الدينية لا يكون إلا من خلال الأمة وعلمائها الأحرار، وليس من خلال قرارات حكومة غير شرعية في هذا المجال.

3. نقد المجتمع

1.3. مقال قيمة المرأة في المجتمع لحمزة بوكوشة

حمزة بوكوشة، الكاتب والشاعر الذي وُلِدَ سنة 1907 في وادي سوف، تعلّم القراءة والكتابة منذ صغره، وحفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ الفقه والنحو على يد علماء بسكرة ووادي سوف، في سن السابعة عشرة، سافر إلى تونس وانضم إلى طلبة جامع الزيتونة، حيث حصل في سنة 1930 على شهادة التطويع العالمية، بعد ذلك، عاد إلى بسكرة، وظل يتنقل بين بسكرة والوادي، حيث كان يتطوع لإلقاء بعض الدروس، وقد ذهب إلى مدرسة أسست حديثا بتيزي وزو فلم تسمح له الحكومة الفرنسية بالتعليم هنالك فعمت تعيينه من طرف جمعية العلماء مساعدا للأستاذ عبد الحميد ابن باديس في دروس الجامع الأخضر وفي شهر ماي سنة 1937 انتدب لإدارة جريدة جديدة بوهراّن تحت اسم (المغرب العربي) وقد كان مديرها السيد محمود بلة الذي تعاقد مع الأستاذ السعيد الزاهري ليحررها، أصدرت تلك الجريدة أربعة أعداد وتعطلت وكانت إدارتها بنهج كافينياك والسيد بلة مديرها، وهذا موجز لحياته خلال فترة الثلاثينيات من القرن العشرين¹.

¹ سهيل شنوف، ما رأيت وما رويت للأستاذ... الشيخ شنوف حمزة بوكوشة، (د.ن)، الجزائر، 2012، ص 15.

يُوحى عنوان المقال المدرج بالخط العريض في صفحات جريدة البصائر سنة 1936 إلى ثقافة ووعي الكاتب والشاعر حمزة بوكوشة، فهذا الشاب الذي لم يتعد عمره التاسعة والعشرين في وسط أوج الاغراءات الفرنسية للشباب المثقف نجده يلتفت للكتابة عن المرأة وقيمتها.

إن كتابة مقال أدبي عن المرأة وعن حقها في التعليم في الجزائر يعد جرأة كبيرة من الشاعر والمفكر حمزة بوكوشة خصوصاً وأن فترة الثلاثينيات من القرن العشرين لم يكن الوضع سهلاً لتقبل أفكار كهذه، رغم أن التعليم بدأ يلقي تحسناً خلال بداية القرن العشرين والمطالبة بالحق في التعليم لم تشمل الفتيات، لأن معرفة القراءة والكتابة تعد معرفة مخيفة تثير الشكوك والريبة داخل مجتمعات لم تأخذ وقتها الطبيعي في النهوض والتفكير بسبب الظروف الاقتصادية والسياسية.

في مقدمة المقال يكتب حمزة بوكوشة: "المرأة من الأمة كالروح من الجسد؛ والراحة من اليد إذا صلحت صلحت الأمة كلها وإذا فسدت فسدت الأمة كلها، وهي المدرسة الأولى التي تلقى في طور الامومة على ولدها¹" فيعبر حمزة بوكوشة عن رؤية متقدمة آنذاك لدور المرأة في المجتمع، حيث يُشبه دورها بدور الروح في الجسد، المقارنة بين المرأة والروح تعكس أهمية وجودها وتأثيرها الكبير على الحياة الاجتماعية والأسرية، يُظهر النص أن إصلاح المجتمع يبدأ من داخل الأسرة، والمرأة بصفتها المدرسة الأولى تلعب دوراً رئيسياً في تربية الأجيال الصاعدة.

نلاحظ أن لغة الكاتب تميل إلى لغة الشاعر حافظ إبراهيم وليس غريباً فاليقظة الجزائرية كانت أختاً للنهضة العربية في المشرق، وهذا دليل آخر على العلاقات الفكرية والثقافية الوطيدة مع المشرق عامة ومصر خاصة، يقول الشاعر حافظ إبراهيم:

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَدَتْهَا أَعَدَدَتْ شَعْباً طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

يسرد حمزة بعض الوقائع التاريخية والقصص القرآنية في قيمة ودور المرأة فيذكر:

قصة سيدنا موسى عليه السلام حين أمر الله تعالى أمه بأن تضعه في اليم، قال الله تعالى: "فلما ضاقت ذرعاً به ألهمت في سرها، وألقي في خلدتها، ونفث في روعها، كما قال الله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فِإِذَا خِشِيَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا زَادُوهُ إِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَاهُ مِن الْمُرْسَلِينَ)² فتتخذ حياة نبي أمة كاملة

¹ حمزة شنوف، "قيمة المرأة في المجتمع"، البصائر، ع08، 21 فيفري 1936، ص ص 3-6.

² سورة القصص، الآية 7، ص 385.

امرأة حين تطلب من زوجها الذي أمر بقتل جميع الذكور ألا يقتله، قال الله تعالى: (قُتِرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا)¹

وهذه القصة استعملها الكاتب ليتحدث أن قيمة المرأة ليست فكرة حديثة مستوردة من الغرب تدعو للانحلال بل هي قيمة تحدث عنها القرآن قبل قرون فيقول في مقاله: "إذا التفتنا لتفاته للدعوات الدينية والوطنية قبل الإسلام وبعده تتجلى لنا قيمة المرأة في المجتمع وأثرها الفعال فموسى عليه السلام حين التقطه آل فرعون من اليم في التابوت صيبا وهموا بقتله ماردهم عن قتله الا قول امرأة فرعون³"

— قصة نساء قرطاج اللاتي قصصن شعورهن حين أحاط بهم العدو وصنعن به حبلا أنقذن به وطنهن.

— نساء العرب اللاتي ساعدن الرجال في الحروب من خلال تطيب جروحهم والاعتناء بالجرحى.

زوجة الرسول محمد ﷺ التي قال عنها: "قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس"⁴

كما ازدري الكاتب من يحتقر المرأة ويعاملها معاملة المتاع إذ يقول: "لكن النفوس الطاغية اشربت حب الاثره وجبلت على احتقار النفوس الضعيفة وغمط حقها ظلما وعدوانا، ولولا ذلك لما كان الكثير يعامل المرأة معاملة المتاع ليس غيب"⁵

يبرز حمزة بوكوشة الظلم والاستغلال الذي تعاني منه الطبقة الضعيفة، مع التركيز على المرأة كنموذج للنفس الضعيفة التي تواجه الاحتقار والظلم، يُظهر الاقتباس كيف أن النفوس الطاغية تحول المرأة إلى هدف للاحتقار والتقليل من شأنها، مما يؤدي إلى معاملتها وكأنها مجرد متاع يُستهلك ويُهمل، يشير بوكوشة إلى أن الطغيان وحب السلطة جعل بعض الناس يعتبرون المرأة مجرد سلعة تُعامل بلا إنسانية وتُستغل بلا رحمة، يسلط بوكوشة الضوء على الظروف الاجتماعية القاسية التي عاشتها النساء في تلك الفترة، وينقل صوت النساء اللواتي تعرضن للاستغلال والتهميش.

¹ سورة القصص، الآية 9، ص 385.

² حمزة شنوف، "قيمة المرأة في المجتمع"، المصدر السابق، ص ص 3-6.

³ نفسه.

⁴ صحيح مسلم، "فضائل الصحابة"، رقم الحديث 2449.

⁵ حمزة شنوف، "قيمة المرأة في المجتمع"، المصدر السابق.

إن طرح هذه الأفكار في مصر من قبل محمد عبده الذي انتقد الهيمنة الأبوية للمرأة داخل الأسرة تحت مسمى الشريعة الإسلامية، وطرح فكرة مشابحة لما كتبه حمزة بوكوشة حيث يقول: "والرجل والمرأة، متماثلان في الحقوق والأعمال، كما أنهما متماثلان في الذات والشعور والعقل"¹، ومن قبل قاسم أمين الذي أخرج للعالم الإسلامي كتاب تحرير المرأة سنة 1899م الذي يطالب فيها بإصلاحات اجتماعية وثقافية لتحسين أوضاع المرأة وتمكينها من المشاركة في الحياة العامة حيث يستند قاسم أمين إلى المصادر الدينية، القرآن والسيرة النبوية، ليقول أن منح المرأة حقوقها لا يخالف الإسلام ومن بين أحد الموضوعات المهمة والتي لاقت نقداً وسط المجتمعات العربية آنذاك هو تعليم الفتيات الصغار ومطالبة المجتمع بتقديم التعليم كأدنى حد منه للفتيات الصغار حيث يقول: "ولست ممن يطلب المساواة بين المرأة والرجل في التعليم؛ فذلك غير ضروري، وإنما أطلب الآن - ولا أتردد في الطلب - أن توجد هذه المساواة في التعليم الابتدائي على الأقل وأن يُعنى بتعليمهن إلى هذا الحد مثل ما يُعنى بتعليم البنين"²

يبرز قاسم أمين عن أهمية أن يُعنى بتعليم النساء على الأقل في المراحل الابتدائية، ويُظهر استعداداً للدعوة إلى هذه المساواة، يركز أمين على أهمية تقديم التعليم الأساسي للإناث، مُظهراً التفضيل الاجتماعي والتطور المتوقع من تمكين المرأة عبر توفير فرص التعليم.³

يتساءل الكاتب حمزة بوكوشة عن سبيل معرفة المرأة دينها وهي لا تعرف الكتابة والقراءة والفقهاء قائلين: "من يبلغها ان الدين يأمرها ان تغض من بصرها وان تخفى زينتها الا ما ظهر منها؟ وألا تتبرج تبرج الجاهلية الاولى بله الجاهلية الأخيرة ذلك التبرج الذي جعلها مطمح الأنظار؟ وأن كانت متقنعة بذلك القناع الشفاف فهو في الحقيقة كمجهر للوجه يزيده بريقا ولمعانا وأزاحته اهون من سدله وان ظنه المغرورون حجابا فهو من السفور الآثم المغرى المرأة في ذلك على الرجل الظلوم الذي ضرب بينها وبينها وبين اكتساب العلوم الدينية بسور من حديد ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب"⁴.

يرد الكاتب عن الذين يقولون إن تعليم المرأة هو فضاء وفرصة لها لأن تختلط بالرجل وتزاحمه في الحياة لكن الاختلاط لصغيرات السن غير محظور بل أن هناك حالات كثيرة في الإسلام يباح للمرأة البالغة أن تختلط بالرجل كالشهادة، تأدية اليمين، كما أن نساء السلف كن يستمعن للوعظ والخطب ويسألن وينتظرن الجواب.

¹ نفسه، ص 3-6.

² أمين قاسم، تحرير المرأة، دار الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 20.

³ نفسه، ص 32.

⁴ حمزة شنوف، "قيمة المرأة في المجتمع"، المصدر السابق، ص 3-6.

يعرض حمزة فكرة حق تعليم الفتيات لأنهن بذلك يفهمن الدين ويعرفن كيف يربين أبناءهن في المستقبل ويستغرب من الذين يدعون الوعظ كيف لا يوافقون فكرة تعليم الفتيات حتى ولو كان من وراء حجاب، إذ يقول: "لما كان بعض الأدعياء ينكرون عليها التعلم صغيرة وسماعها الوعظ والارشاد كبيرة وان كان ذلك من وراء حجاب، ولست أدري ولا (المنجم) يدري إذا لم تتعلم المرأة صغيرة ولم تسمع الوعظ والارشاد كبيرة من يبلغها ان الدين الاسلامي جعلها راعية في بيت زوجها؟"¹

كما يشرح قاسم أمين وهو كاتب مصري أهمية العلم للمرأة قائلاً: "على أن التعليم في حد ذاته هو في كل حال حاجة من حاجات الحياة الإنسانية وهو الآن من الحاجات الأولى في كل مجتمع دخلت فيه المدنية، وأصبح العلم هو الغاية الشريفة التي يسعى إليها كل شخص يريد أن يحصل سعادته المادية والروحية ذلك لأن العلم هو الوسيلة الوحيدة التي يرتفع بها شأن الإنسان من منازل الضعة والانحطاط إلى مراقي الكرامة والشرف، ولكل نفس حق طبيعي في تنمية ملكاتها الغريزية إلى أقصى حد ترمي إليه باستعدادها، وقد جاءت الشرائع الإلهية والقوانين الوضعية تخاطب النساء كما تخاطب الرجال"²

يعرض حمزة بوكوشة فكرة الفرق بين المرأة والرجل وهي فكرة متقدمة بالنسبة لذلك الوقت فالمجتمع الذي يرى أن تعلم الكتابة للمرأة يمس الشرف والأخلاق يخاطبه حمزة بوكوشة بأن للمرأة قوامة أيضاً فيقول: "لذلك كانت نصف الرجل الذي تتوقف عليه الرجولة الكاملة، ولئن كان هو قواماً عليها في الانفاق ومقدماً عليها في مواطن الحروب والدفاع؛ فهي بدورها قوامة عليه في تدبير المنزل المهيأ للراحة والهناء، ومقدمة عليه في تربية صغار الأبناء"³

يختتم الكاتب مقاله بأن الذين يرفضون إرسال الفتيات إلى التعلم هم لا يمتلكون البرهان واصفاً فكرهم بالغلو الديني، إذ يقول: "الخلاصة ان الذين يحاولون ان يحولوا بين وسماع الوعظ والارشاد والتعليم يجادلون بغير بينة ولا هدى ولا كتاب منير والذي حدا بهم لذلك مغالطة الدهاء بإظهار الغلو في الدين مع انهم ابعد الناس عن اتباع الدين لتساعدهم في المسائل التي لا تمت الى الدين بصلة بل هي قاضية على تعاليمه ومعطلة لأحكامه كالاتحاد في زيارة المقابر والمشاهد والمفاسد المتولدة منها"⁴

¹ نفسه.

² أمين قاسم، تحرير المرأة، المرجع السابق، ص32.

³ نفسه.

⁴ حمزة شتوف، "قيمة المرأة في المجتمع"، المصدر السابق، ص ص 3-6.

تظهر رؤية حمزة بوكوشة للأدوار الجنسية في المجتمع مدى ثقافته ووعيه في ثلاثينيات القرن الماضي، حيث يوضح الفارق بين واجبات الرجل والمرأة مع التأكيد على التكامل بينهما، يشدد على أهمية دور الرجل في الإنفاق والدفاع، بينما يبرز أيضاً دور المرأة في تدبير المنزل، يُظهر من خلال مقاله أن الرجولة الكاملة تعتمد على التكامل بين الرجل والمرأة، حيث يُعتبر كل منهما نصفاً للآخر، كما يبرز بوكوشة أهمية دور المرأة في خلق بيئة منزلية مريحة وسعيدة، ويشير إلى دورها المحوري في تربية الأطفال، يوضح المفكر والكاتب حمزة بوكوشة أن القوامة والتميز لا تقتصران على أحد الجنسين، بل تكمنان في التكامل وتوازن الأدوار بين الرجل والمرأة في المجتمع.

2.3. مقال تعليم المرأة الكتابة لمبارك الملي

الشيخ مبارك الملي، واسمه الكامل مبارك بن محمد بن رابح بن علي إبراهيمي، وُلد سنة 1896 في قرية أرما الواقعة في شمال قسنطينة، بالجزائر، وهو ينتسب إلى مدينة المليية التي كانت موطن أجداده، ولقب أسرته بـ "الميلي" نسبة إليها، نشأ في بيئة متدينة حيث كان جده الأول، رابح، من أعيان قريته ومن الشخصيات البارزة التي تمسكت بالدين وأولته اهتماماً بالغاً¹.

توفي والد الشيخ مبارك وهو في الرابعة من عمره، فكفله جده رابح الذي اعتنى به عناية خاصة، حرص جده على تعليمه وغرس فيه حب الدين والعلوم الإسلامية، كان مبارك فتى ذكياً ومحباً للعلم، وكان يسعد عائلته بذكائه وحفظه السريع للقرآن، بعد وفاة والده بوقت قصير، فقد مبارك أيضاً والدته، فاحتضنته جدته حفصية بنت أحمد مزهود، التي منحتة حباً وحناناً عوضاً عن فقد والده، بدأ مبارك تعليمه بحفظ القرآن الكريم في كتاب القرية، وكان شديد الإقبال على ذلك بفضل رعاية جده الذي فرح بإنجازات حفيده، في سن السادسة، ألحقه جده بكتاب الشيخ أحمد الطاهر مزهود، الذي كان من أبرز شيوخ المنطقة، تعلم على يديه الحروف الهجائية وأتم حفظ القرآن الكريم، ثم استمر في إعادة الحفظ والتثبيت تحت إشرافه².

¹ محمد الملي، مبارك الملي. حياته العلمية ونضاله الوطني، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان، 2001، ص 19.

² محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر 1921-1975، مطبعة البعث، قسنطينة. الجزائر، 1978، ص 31

واصل مبارك تعليمه في الكتاتيب والزوايا حتى التحق بزاوية الشيخ حسين لتعلم العلوم الشرعية، بعد وفاة جده، انتقل إلى ميلة لتلقي العلم على يد الشيخ محمد الميلي، لاحقاً¹، سافر إلى تونس لدراسة العلوم الإسلامية في جامع الزيتونة، حيث تخرج بشهادة التطويع سنة 1924².

في سن العاشرة، توفي جده رابع خلال رحلته لأداء فريضة الحج، وتولى عمه أحمد كفالته، في تلك الفترة، رغب مبارك في متابعة تعليمه الديني، فلجأ إلى زاوية الشيخ حسين الواقعة بالقرب من مدينة ميلة، وهي زاوية مشهورة بتحفيظ القرآن وتدريس العلوم العربية والشرعية، هرب مبارك من عائلته مرتين للالتحاق بهذه الزاوية حيث كان يسعى بشغف لتعلم المزيد³.

بعد فترة من الدراسة في الزاوية، التحق الشيخ مبارك الميلي بدروس الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة، برز كمجتهد ومتفوق بين تلاميذ الشيخ ابن باديس، الذي شجعه على مواصلة دراسته العليا، بفضل تميزه، أُرسِل إلى جامع الزيتونة في تونس، حيث درس هناك لمدة ثلاث سنوات تحت إشراف علماء كبار مثل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، حيث تلقى دروساً في الأدب العربي وتفسير القرآن، كما تأثر بالشيخ محمد النخلي القيرواني الذي غرس فيه الأفكار الإصلاحية⁴.

بعد إتمام دراسته في تونس وحصوله على شهادة التطويع سنة 1924، عاد مبارك الميلي إلى الجزائر عالماً مدرّكاً للأوضاع التعليمية والدينية فيها، انخرط في العمل مع الشيخ عبد الحميد بن باديس في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كانت تهدف إلى إصلاح التعليم ومحاربة الجهل والخرافات التي شاعت في المجتمع الجزائري تحت الحكم الاستعماري الفرنسي، كما كان له دور كبير في نشر الوعي الديني والثقافي من خلال إلقاء المحاضرات وكتابة المقالات الإصلاحية⁵.

ترك الشيخ مبارك الميلي العديد من الأعمال القيمة، أبرزها كتابه الشهير "تاريخ الجزائر في القدم والحديث"، الذي يعد من أهم المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الجزائر، كما كان له العديد من المقالات التي نشرها في جريدة

¹ سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الميلي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2012.

² عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة. الجزائر، 1982، ص ص 474-478.

³ محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر 1921-1975، طبعة البعث، قسنطينة. الجزائر، 1978، ص 42.

⁴ محمد الصالح الجابري، "المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية"، مجلة الثقافة، ع102، د.ت، ص 30.

⁵ عبد الرحمن الجليلي، من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي، مجلة الثقافة، ع80، د. ت، ص188.

"الشهاب"، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تناول فيها قضايا فكرية ودينية وثقافية¹، وقد عانى الشيخ مبارك الميلي في سنواته الأخيرة من مرض شديد، ورغم ذلك استمر في نشاطه الإصلاحية والتعليم، حتى شهده قبل وفاته بيوم واحد وهو يحضر في مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، وفي يوم 9 فيفري 1945م، انتقل إلى جوار ربه، ودُفن بجانب قبر أستاذه القديم الشيخ محمد بن معنصر الميلي²، وبعد وفاته، عُده الشيخ مبارك الميلي واحداً من أبرز علماء الجزائر في العصر الحديث، وترك أثراً عميقاً في الفكر الإصلاحية الجزائري، كان له دور رئيسي في تحديد الفكر الديني والعلمي في الجزائر، وأسهم بشكل كبير في الحفاظ على الهوية الوطنية والدينية للشعب الجزائري في مواجهة محاولات الطمس الاستعمارية، وأقيمت عدة حفلات تأبين للشيخ مبارك الميلي في الجزائر وتونس، حيث كان محل احترام وتقدير من علماء وأدباء عصره، وكتب عنه الشيخ البشير الإبراهيمي، أحد أعمدة الحركة الإصلاحية في الجزائر، واصفاً إياه بأنه كان مؤرخاً بارعاً، وعالمًا بالسلفية الحقة، وكاتباً ذو أسلوب فصيح وجزل³.

بعد الحرب العالمية الأولى، شهدت الجزائر اهتماماً متزايداً بقضايا المرأة، حيث تطوّرت الأفكار وانتشر التعليم بين الجنسين، ركزت الحركة الإصلاحية على دور المرأة كعضو أساسي في إصلاح المجتمع، وقام ابن باديس بتوزيع دروسه بين الرجال والنساء، حيث أسس ابن باديس مجلة "الشهاب" التي ضمت فقرة خاصة بالحديث عن المرأة في الشريعة والتاريخ الإسلامي، مرتبطة بالواقع في الجزائر، أصبحت مواضيع المرأة لا تغيب عن الجرائد الإصلاحية، حيث يتم التحدث عن مكانتها الاجتماعية والدينية، عدد من الكتاب اهتموا بالمرأة.

يبدأ النص بفكرة أن حال الإنسان الجزائري في الماضي لم يكن فيها للعلم والحياة العلمية أهمية، ويشير إلى أن الحياة العلمية كانت محدودة في بعض المدن والقرى، يشير النص أيضاً إلى أن حياة الإنسان الجزائري كانت مرتبطة بالجهل والجمود، وكان يتبع العقائد الخاصة بالأموات ويخضع للصخور، يشدد الميلي على أهمية التعليم والعلم في حياة الإنسان، ويتناول الانحطاط في العقائد والتفكير، مع التأكيد على أن الحقيقة تكمن في اتجاه الشباب نحو التعليم الفرنسي — لا يمكن قياس هذه الفكرة المنشورة سنة 1936 م تحت حكم فرنسي يسلط الضوء على الحرية الفكرية بعقلية هذا القرن، فهذه المراوغات كانت موجودة في الصحف والمجلات فعدم المواجهة مع الاحتلال كان أسلوباً لجرائد مثل جرائد الجمعية — والتعرف على الحياة الحديثة، يشير النص قضية زواج الشباب والتحول

¹ دبوز، أعلام الإصلاح...، المرجع السابق، ص 31

² محمد الميلي، مبارك الميلي. حياته العلمية ونضاله الوطني، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان، 2001، ص 297.

³ محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، مج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان، 1997، ص 183.

الاجتماعية، مع التأكيد على أهمية إدخال البنات إلى المدارس، يتعامل النص مع قضية التفاوت في الفرص التعليمية بين الجنسين، مستخدماً ذلك كمثال للدعوة إلى تحقيق المساواة في التعليم بين الذكور والإناث قائلاً: "وانما أردت أن أضرب مثلاً واعياً لمن يريدون ادخال البنين الى المكاتب الحرة دون البنات، فانهم مفضون - لا محالة - الى تلك الثمرة التي اثمرها اقبال البنين وحدهم على والايكولات¹ - يقصد المدارس²"

يياشر مبارك المليلي حديثه ويعرض مشكلة زواج الشبان المسلمين المتعلمين وتداول رأيين حول تعليم الكتابة للبنات، أن هناك اختلاف في وجهات النظر حيث يؤيد فريق واحد تعليم الكتابة للبنات بطرق تلقين خالية من الكتابة، فيرد المليلي على هذا الفريق: "و نحن نرى ما براه الفريق الأول، ونجيب عن اختلاط البنين والبنات في المكتب بان البنت ما لم تبأغ حد الحجاب مختلطة مع الابن في الأزقة والرحاب، وهذا مشاهد لا مغمز فيه، وليس الاختلاط في الأزقة حيث لا مربى ولا رقيب ضمن عفة البنت في مستقبلها من الاختلاط في المكتب امام المعلم المربي³"، بينما يعارض الفريق الآخر ذلك بسبب مخاوف من الاختلاط والتأثير السلبي على الأخلاق ومخاوف من تفشي المفساد والتشويش على المجتمع بسبب تعليم الكتابة للنساء، ويشير إلى أمثلة على تجاوزات في استخدام الكتابة من قبل بعض المتعلمين، ويرد المليلي: "أليس الرجال هم الذين يحررون صحفا سيارة بكل ما يوهن الدين ويقوي البأس من الاصلاح ويغري العاطل بتنقص العامل؟ اليس من الرجال من يكتب مستخفا بالقومية الجزائرية منكرا لوجودها التاريخي مستحسنا لاندماجها فيمن هو اقوى منها مادة؟ أليس من المتعلمين الكتابة من اتخذوا بيوتا للرقية المنكرة والكهانة الضالة والوساطة بين تحذي الاخذان ومتخذاتهم؟ ترى خلف كاهلها المجوز والعوان والفتاة يجلسن الى صاحب ذلك البيت فرادى وقراني فلو كانت امثال هذه المفساد العارضة صناعة الكتابة تؤثر في محاسنها ومنافعها لمعننا البنين من الكتابة قبل ان نمنع منها البنات، ولكن الكتابة نشد بلسان حالها قول الشاعر العربي... وهل فضل العقلاء لذلك الذمامة على الوسامة؟"⁴

نلاحظ هنا قوة وحدة قلم المليلي وانصافه في الدفاع عن حق الفتاة في التعليم لدرجة أنه أدلى بالحجة بجعل الرجال أنفسهم ينظرون لأفعالهم التي لا علاقة للتعليم بها، بل أن الجهل يجعل منهم يقبلون بأن تختلط المرأة جهلاً برجل الدين وهو يقصد هنا شيوخ الزوايا وكأنه يشير هنا إلى اختراقات أخلاقية تستغل المرأة باسم الدين، بينما لا

¹ الايكولات: المدارس.

² مبارك المليلي، "تعليم المرأة الكتابة"، الشهاب، مج 12، ج 08، سبتمبر-أوت 1936، ص 320.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

يقبل هؤلاء الرجال أن تذهب الفتيات إلى رجل علم مربي يعلمهن الكتابة فلم يطرح الميلي فكرة تعليم الفتيات ليصبحن طالبات في الزيتونة والأزهر والجامعة، بل طلب أقل شيء يمكن لهذا المجتمع تقبله وهو الكتابة.

يختتم مبارك الميلي مقاله بحكم تعليم المرأة في الإسلام حيث يستند على مرجعية إسلامية واستنتاجاتهم حول صحة الحديث الذي ينهي عن تعليم الكتابة للنساء، يتناول المقال أيضًا حجج الأحاديث أهمية تعليم البنات الكتابة بناءً على قصة "شفاء بنت عبد الله" التي أعطاها النبي ﷺ إذنًا بتعلم الكتابة، والحديث النبوي عن شفاء بنت عبد الله يروي أن النبي محمد ﷺ دخل على حفصة بنت عبد الله، وهي زوجته، وقال لها: "ما عليك أن تعلمي هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة"، وذلك في سياق يشير إلى أن النبي ﷺ سمح للنساء بتعلم الكتابة وقراءة القرآن، هذا الحديث يظهر في مصادر متعددة، ومن أحاديث الشفاء بنت عبد الله، ويركز على تشجيع النبي ﷺ لزوجته حفصة على تعلم فنون الكتابة، مما يعكس تحفيزه للنساء على اكتساب المعرفة والتعلم، يختتم النص بتوجيه نصيحة الجزائريين بتعليم أبنائهم وبناتهم العلم النافع، مشددًا على أهمية الكتابة كوسيلة لنقل وتأمين المعرفة في العصر.

هذا المقال الذي كتبه مبارك الميلي يمثل إحدى المحاولات الرائدة في الدفاع عن تعليم المرأة في الجزائر في فترة حساسة تحت الحكم الاستعماري الفرنسي، مبارك الميلي استخدم أسلوبًا ذكيًا ومقنعًا، حيث استند إلى المرجعية الإسلامية لتبرير تعليم النساء، مما جعل حجته قوية ومقبولة لدى المجتمع الجزائري المحافظ آنذاك، ربطه بين التعليم والإصلاح الاجتماعي يظهر إدراكًا عميقًا لأهمية التعليم في تحقيق التغيير الإيجابي في المجتمع، ما يميز الميلي هو قدرته على معالجة قضية تعليم المرأة دون تصعيد مباشر ضد المستعمر الفرنسي، إذ كان حذرًا في عدم الدخول في مواجهة صريحة مع السلطات الفرنسية، مما يدل على فهمه للواقع السياسي والاجتماعي الذي كان يعيشه، استناده إلى الأمثلة الدينية يعكس تفهمه لعقلية المجتمع الجزائري التقليدي في ذلك الوقت، ويبرز حرصه على تقديم حجج منطقية لا تتعارض مع القيم الثقافية والدينية للمجتمع.

بالتالي، يمكن القول إن المقال يعكس فكرًا تقدميًا نسبيًا بالنسبة إلى تلك الفترة، ويظهر الميلي كمصلح اجتماعي يسعى لتطوير المجتمع من خلال تمكين المرأة بالتعليم، وهي فكرة كانت تعتبر ثورية إلى حد ما في سياق تاريخ الجزائر آنذاك.

3.3. مقال كيف ينشأ الحب للحسن بن عبد الرحمن

المقال لكاتبه الحسن بن عبد الرحمن، ولسنا نعلم ترجمة لهذا الكاتب ومعلوماتنا عنه أنه كان طالباً في سنة نشره للمقال في جامع الزيتونة، هذا المقال الأدبي النقدي نشره في الشهاب¹ شهر ماي 1939، أين كان العالم على أبواب الحرب العالمية الثانية، كان شاب جزائري يتحدث عن الحب كموضوع يجب أن يُعامل بأريحية في الحياة الواقعية وكذا كموضوع أدبي، ويمكن تقديم محتوى المقال بحسب الأفكار التي طرحها وشرحها كالآتي:

أ- مقدمة في الدفاع عن فكرة الحب في وجه التشدد الديني

يبدأ بالتطرق إلى وجهة نظر فريق من الناس الذين يعتبرون الحب متنافياً مع الدين، يُصوّر الكاتب كيف يتم استبعاد مفهوم الحب من الحضارة الدينية ويُعتبر مرتكبه مستوجباً للعقاب الإلهي والاستنكاف الاجتماعي، يُعبر الكاتب عن استيائه من تلك الآراء ويصف النهج المتطرف الذي يتبناه بعض الأفراد الذين يعتبرون المتحدثين عن الحب كزنادقة ومجرمين يستحقون العقاب، يقوم الكاتب بالدفاع عن فكرته من خلال الإشارة إلى كتاب "أوراق الورد" للكاتب مصطفى صادق الرافعي كمرجعية تثبت أهمية الحب وجماليته وكيف يُمكن أن يكون مصدراً للخير والفضيلة، يُوجه الكاتب نداءً للشباب لينظروا إلى الحب بعيون الإيمان والطهارة ويعتبرونه وسيلة لرفع الإنسانية إلى مستويات الفضيلة والكمال، الفقرة تنتهي بالشكر للأشخاص الذين شجعوا الكاتب على تقديم هذه الآراء ونشرها.

ب- غريزة الإبداع والنمو في ضوء الجمال الطبيعي

يتحدث الحسن بن عبد الرحمن عن غريزة الإبداع والنمو لدى الإنسان، وتسלט الضوء على الدور الذي يلعبه الجمال الطبيعي والبيئة الاجتماعية في تنمية هذه الغريزة، تبدأ الفقرة بالحديث عن غريزة الإبداع والنمو التي يحملها الإنسان منذ ولادته، وكيف تظهر هذه الغريزة في تجاوبه مع الحوادث والتجارب التي يواجهها في حياته، يتم استخدام مقارنة بين الشمس المخفية خلف الغيوم والغريزة الإبداعية المخفية داخل الإنسان، التي قد لا تظهر إلا في ظروف معينة وتحت تأثير الأحداث والتجارب.

ثم ينتقل الكاتب للحديث عن كيفية تنشئة هذه الغريزة الإبداعية، حيث يتم التأكيد على دور الطبيعة والبيئة الاجتماعية في تطويرها، تتحدث الفقرة عن أهمية تعليم القيم والأخلاق الصالحة للأطفال منذ الصغر، وكيف يساهم ذلك في توجيههم نحو السعادة والنجاح.

¹ الحسن بن عبد الرحمن، "كيف ينشأ الحب؟"، الشهاب، ج4، مج15، ماي 1939، ص ص 171-178.

بشكل عام، يسعى الكاتب إلى استكشاف العلاقة بين الإبداع والنمو الشخصي والجوانب البيئية والاجتماعية التي تؤثر عليهما، وتسלט الضوء على الأثر الإيجابي الذي يمكن أن تكون له هذه الجوانب في تطور الإنسان وتحقيق إمكاناته.

ج- دور الشعور والمشاعر في تفاعل الإنسان مع الجمال والحب

يستكمل الحسن الحديث عن غريزة الإبداع والنمو لدى الإنسان، وتركز على دور الشعور والمشاعر في تفاعل الإنسان مع الجمال والحب، تبدأ الفقرة بالحديث عن تفاوت النفوس في استيعاب الجمال والوقوف على أسرارها، حيث يتأثر كل إنسان بمقدار قوة وضعف شعوره وحسه، تشبه النفس القرية التي تظفر بنصيب وافر من الجمال بالأرض الصالحة للزراعة، حيث تنمو فيها بذور الحب بسرعة.

ثم تنتقل الفقرة للحديث عن بداية الحب، حيث توضح أن الحب لا يبدأ بشكل مهول، بل ينمو تدريجياً، يشير النص إلى أن البداية تكون بالميل نحو الشخص الآخر، وتبادل النظرات والإشارات الحنونة، مما يثير الشعور بالفرح والرغبة في التواصل والتقرب.

وتنتهي الفقرة بتصوير الشعور بالسعادة والنشوة الذي يملأ قلب الشخص عندما يجد الحبيبة تلك اللذة السماوية في علاقتهما، وكيف يصبح قلبه مقيداً بقيود الحب، معبراً عن الشعور بالسعادة والانتماء والارتباط العميق.

د- تطور الحب: من الميل إلى العطف إلى الانقياد

الكاتب يبين في هذه الفقرة كيف ينشأ الحب ببطء وتدرج، حيث يبدأ بميل تجاه الشخص الآخر، ثم يتحول إلى عطف ورعاية، وينتقل بعد ذلك إلى القلب، حيث ينبعث منه ويملأ الروح، مما يؤثر بشكل كبير على العيون ويظهر فيها الحنان والشوق، ويتمثل أيضاً في عمق الشعور والعاطفة التي تنبعث من أعماق القلب.

يقدم الكاتب استدلالاً على صحة وجواز هذه الفكرة بالاعتماد على كلام الشاعر الفرنسي الكبير لامارتين، الذي يتحدث في قصيدته عن نشأة حبه لجوليا، ويشير الكاتب إلى أنه من الواجب علينا أن نستمع إلى قصة هذا الحب من بدايتها، وأن نفهم سبب نشوئه وتطوره.

تبرز هذه الفقرة فكرة أن الحب ينبعث تدريجياً من الشعور والعاطفة، ويتحول إلى قوة هائلة تؤثر على الروح وتدفع القلب للارتباط والانقياد.

هـ- التحدث عن تجربة الشاعر لامارتين:

الفقرة تصف لقاءً في مدينة تشتهر بالدخان والضجيج، والتي قد زارها الشاعر لامارتين، هذه المدينة تدعى اكس بفرنسا، فيصف مشاعره وأفكاره أثناء تواجده هناك، وكيف أنه كان مترقباً لزيارة شخص معين، جوليا، يبدو

أنه يشعر بحنين وعطف نحوها، وقد يكون محتارًا بشأن كيفية تصرفه تجاهها، ربما بسبب الجو المختلف في المدينة، يبدو أنه يشعر ببعض الخجل والتردد في التقرب منها، وربما يتأمل في ردود أفعالها وتصرفاتها تجاهه، تظهر معالم العلاقة بينهما والتقاطع بين مشاعر الحب والتعلق والخوف من الرفض أو عدم التفاعل المتبادل.

"لا مرتين" يعبر عن حبه وعطفه نحو جوليا بعد أن واجهتها الهموم والألم، يظهر أنه وجد فيها بقايا من الجمال والطهر، وبتفاصيل ساحرة في شخصيتها، مما جعله يغرم بها ويبدأ في التغني بحبه وإعلانه للعالم، يصف كيف تجاوزت نظرتة لها الجميلة، وبدأ يرى فيها آفاقًا جميلة ويشعر بالإيمان والتقوى، يصف أيضًا كيف بدأ يرى الأنوار والأناشيد الصوفية في جمالها، وكيف أثرت فيه هذه الرؤى وأهمته ليعبر عنها بالشعر والأدب، ويؤكد على أنه يرى نفسه متجددًا في هذا الحب وهذا الجمال، وأن هذا الحب والجمال سيبقى خالدًا ما دام الإنسان يحيا ويحتفي بالحب والجمال.

و- مفهوم الحب: بين النظرة الأولى والحاجة الملحة

هذا المقال الذي وقعه الكاتب باسم الحسن بن عبد الرحمن طالب بجامع الزيتونة، هو مقال أدبي نقدي للمجتمع، فقد بدأه بثلاث ملاحظات: (القراءة للرافعي كتاب أوراق الورد تحت لا يتهمة الناس بأنه شاب يتبحر بحداثته، كما قدم ملاحظة أخرى بأن الحب لا يتنافى مع الدين ثم أنه لا يتحدث في مقاله عن الحب المادي البهيمي القائم على الشهوات والرذيلة)، وقد أشار الكاتب الشاب بأنه قد عرضه على محمد الشبوكي وكذا الشاذلي المكي في حفل أقامته الجمعية للطلبة الجزائريين بقاعة الجمعيات الفرنسية وقد طلبا منه أن ينشره.

رغم أن الكاتب شاب صغير في العمر إلا أن مطالعته تبدو جلية لآداب غربية وعربية، كما يبدو أنه متأثر بكتب علم النفس حيث يحاول تفسير الحب علميًا وأدبيًا، ونحن أيضًا أمام نص مختلف عن المواضيع الإصلاحية الأخرى التي تناولها الأدباء في جرائد الإصلاح، فهل كان النشر لهذا الشاب بتوصية من الأدبيين الذين نصحاه بالنشر؟ أو أنه موضوع تتفق معه الجمعية؟ فالحديث عن الحب وتجربة لامارتين مع جوليا ضرب من ضروب الجرأة في سياق ذلك الزمن وفي جريدة مثل الشهاب اهتمت بابعاد الشباب قدر المستطاع عن أي شبّهات وقد لاحظنا كثير من الحدود التي تضعها الجرائد الإصلاحية في هذا الصدد لكُتابها.

ثالثًا: نماذج من المقال النقدي الثقافي:

1. نقد الأدب العالمي:

1.1. نقد رواية الحب والخداع لأحمد شقار الثعالبي:

أحمد شقار الثعالبي، وُلد في قرية أورير بالجعافرة، ولاية برج بوعرييج الحالية، سنة 1927، حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الدينية في مسقط رأسه، حيث تلقى تعليمه على يد والده والشيخ علي بن حالة وعبد الحميد بن حالة، تلميذ الشيخ ابن باديس، واصل دراسته في المدرسة الحرة بقلعة بني عباس، ثم انتقل إلى جامعة الزيتونة في تونس سنة 1946، بعد عامين، عاد إلى الجزائر ليعمل معلمًا ومديرًا في مدارس جمعية العلماء، أسس مدرسة أوشان ثم مدرسة بني عباس، ودرّس في مدرسة العجبية بالبويرة وذراع الميزان، في سنة 1955، نُقل إلى مدرسة الرشاد بالقصبة في الجزائر العاصمة، حيث تفاعل مع ثورة التحرير الوطني وشارك في دعمها، مخفيًا العديد من المناضلين داخل المدرسة، في فيفري 1957، اعتقلته السلطات الاستعمارية وأغلقت المدرسة، وتعرض للاستجواب وقضى فترة في عدة معتقلات مثل عين وسارة وسيدي الشحمي وبطيوة وأركول، أُطلق سراحه سنة 1960 لعدم ثبوت التهم ضده، ولكنه أُعيد اعتقاله مجددًا ليواصل نضاله السياسي داخل المعتقل¹.

يقدم أحمد شقار الثعالبي رواية (Die Räuber und die Liebe) الخداع والحب، أو في ترجمة أخرى المكر والحب واحدة من روائع الأدب العالمي التي كتبها الشاعر الألماني لفريدريش شيلر² (Friedrich Schiller)، وقد نشرها أحمد في مجلة هنا الجزائر في جانفي 1957³، فيقدم لنا أحمد فصول الرواية ومشاهدها على شاكلة شعر منظوم باللغة العربية بالوزن والقافية، إن جعل رواية عالمية في قالب عربي مقيد بالقوافي والبحور هو نوع من الكتابات الأدبية التي برزت في صفحات مجلة هنا الجزائر، والرواية باختصار تتحدث عن شابين أحبا بعضهما ولكنهما من طبقات اجتماعية مختلفة، ولقد وقع الشباب الجزائري في مثل هذه القصص مع شباب معمرين لذلك فالرواية تلمس اهتمام فئة من الجزائريين، الشابة التي تدعى لوز هي شابة فقيرة ينصحها والدها ميلر معلم الموسيقى بالابتعاد عن أحد النبلاء وهو أمير يدعى فرناند والذي أراد تحدي طبقته الاجتماعية في الزواج من شابة فقيرة ولكن

¹ الصالح بن سالم، (19 مارس 2022)، أحمد شقار سيرة ومسيرة عالم كبير في رحاب جمعية العلماء المسلمين، استرجعت في تاريخ 25 مارس 2025، من الموقع الإلكتروني: <https://binbadis.net/archives/13403>

² فريدريش شيلر (1759-1805): كان كاتبًا مسرحيًا، شاعرًا، فيلسوفًا ومؤرخًا ألمانيًا، ويُعتبر من أبرز الشخصيات في الأدب الألماني الكلاسيكي، في أعماله، استكشف شيلر مواضيع الحرية، الأخلاق، والطبيعة البشرية، مع التركيز على التوتر بين الواجب والرغبة، من أبرز أعماله المسرحية "الصوص"، "دون كارلوس"، و"ماريا ستيوارت"، حيث دمج بين التحليل الفلسفي والدراما التاريخية، كما كتب مقالات فلسفية حول الجمال والأخلاق، مؤكدًا على أهمية الجمال كوسيلة لتربية الإنسان أخلاقيًا، تعاون شيلر مع يوهان فولفغانغ فون غوته في حركة الكلاسيكية الفيماوية، مما ساهم في إحياء المسرح الألماني، ينظر:

William Witte, (21 Février 2025), German writer Friedrich Schiller, Britannica, consulté le 10 Mars 2025, sur le site : <https://www.britannica.com/biography/Friedrich-Schiller/Philosophical-studies-and-classical-drama>

³ أحمد شقار الثعالبي، "مقتطفات من رواية الخداع والحب للشاعر لفريدريش شيلر"، مجلة هنا الجزائر، العام الثالث، ع52، جانفي 1957، ص 4-9.

طبقت الاجتماعية تعارض بشدة ويتصدى والده لهذا الزواج بحيلة تهديد الشابة بأن تكتب رسالة مزيفة لشاب آخر، وفي نهاية القصة تموت لويز بالسسم، وينتحر بعدها فرنارد.

ينهي أحمد الرواية بيت شعري يقول فيه:

قد رام قلب فيك مشتعلًا¹ فسوف أجعل منه القلب شعلانا

بالاعتماد على ما سبق، يمكن القول إن ترجمة أحمد شقار الثعالبي لرواية "الحب والخذاع" لفريدريش شيلر تشكل نموذجًا فريدًا للتفاعل الثقافي والأدبي بين الأدب الأوروبي والكتابة العربية خلال الحقبة الاستعمارية، لقد تجاوز الثعالبي مهمة الترجمة الحرفية إلى إعادة إنتاج العمل بروح أدبية عربية، مستخدمًا الشعر الموزون والمقفى كقالب تعبيرى، ما يعكس قدرته على تكييف النصوص الأجنبية مع الذوق الأدبي المحلي، وتكمن أهمية هذا العمل ليس فقط في قيمته الأدبية، بل في توقيته وظرفه التاريخي، حيث نُشر خلال خضم الثورة الجزائرية، في مجلة "هنا الجزائر"، ليصبح بذلك امتدادًا ثقافيًا للمقاومة السياسية، إن اختيار رواية تتناول صراع الطبقات الاجتماعية والحب المستحيل يعكس أيضًا واقع المجتمع الجزائري آنذاك، خاصة في ظل التجربة الاستعمارية التي خلقت انقسامات عميقة داخل البنية الاجتماعية، ويظهر من خلال هذا العمل كيف أسهمت الترجمة والتعريب في تشكيل وعي أدبي ووطني، وجعلت من الأدب وسيلة للتعبير عن القضايا الإنسانية المشتركة والواقع المحلي في آنٍ واحد.

1.2. بحيرة لامارتين في الأدب العربي الطاهر بوشوشي

نشرت مجلة **هنا الجزائر** مقالًا بعنوان: "بحيرة لامارتين في الأدب العربي" للطاهر بوشوشي الذي نشره باسمه المستعار ابن جلا، المقال يتناول تأثير الشاعر الفرنسي لامارتين (Alphonse de Lamartine) على الشعر الفرنسي، ويبرز دوره في تطوير المدرسة الإبداعية (الرومانسية)، يوضح ابن الجلا كيف أحدث لامارتين نقلة نوعية في الشعر الفرنسي من خلال العودة إلى العاطفة والشعور، مما جعله يبرز كشاعر يعبر عن وجدان الشباب الفرنسي في فترة زمنية مليئة بالتحديات والنكبات²، ويتكون المقال من عدة أفكار:

أ- تعريف لامارتين ودوره الأدبي:

¹ نفسه، ص 9.

² الطاهر بوشوشي، "بحيرة لامارتين في الأدب العربي"، *مجلة هنا الجزائر*، العام الثالثة، (ع30)، ديسمبر 1954، ص ص 6-9.

- يبدأ ابن الجلا بتقديم لامارتين كشاعر رفع الشعر الفرنسي إلى مستويات جديدة في منتصف القرن التاسع عشر.
- يعتبر لامارتين رائد المدرسة الإبداعية (الرومانسية) في الأدب الفرنسي، والتي تميزت بالعاطفة والشعور والنغم الروحي.
- يشير إلى أن هذه المدرسة جاءت بعد المدرسة الاتباعية (الكلاسيكية) التي كانت تركز على القواعد والأساليب دون اعتبار كبير للعواطف والأحاسيس.

ب- الاختلاف بين الأدب الفرنسي والعربي:

- يوضح ابن الجلا الفرق في التسلسل بين المدارس الأدبية في فرنسا والعالم العربي، حيث سبقت المدرسة الإبداعية (الجاهلية) المدرسة الكلاسيكية (العباسية) في الأدب العربي، بعكس الأدب الفرنسي.

ج- إصدار ديوان "التأملات":

- يتحدث عن التأثير الكبير الذي أحدثه ديوان "التأملات" لامارتين عند صدوره سنة 1820.
- يشير إلى أن الديوان حظي بترحيب واسع في المحافل الأدبية، خاصة قصائده مثل "العزلة" و"الوادي" و"الخريف" و"المساء" و"البحيرة".

د- السمات المميزة لشعر لامارتين:

- يبرز المقال الإبداع في الوصف، والإخلاص في الشعور، والانسجام في الموسيقى، والبساطة في الأداء النفسي في شعر لامارتين.
- يؤكد على أن أشعار لامارتين تنبع من فيض الوجدان ووحى الشعور، مما جعلها خالدة وتُرجمت إلى العديد من اللغات.

هـ- ترجمة الأدب الفرنسي إلى العربية:

- يذكر ابن الجلا أن الأدب العربي لم يكن محروما من ترجمة أشعار لامارتين، وأن بعض الأدباء ذهبوا بعيداً لدرجة اعتبار لامارتين ذا أصل عربي.
- يشير بشكل خاص إلى ترجمة أحمد حسن الزيات لقصيدة "البحيرة"، ويثني على دقته وأمانته في الترجمة، مما حافظ على جمال النص الأصلي ورونقه.

و- قصيدة "البحيرة":

- يعبر المقال عن إعجاب خاص بقصيدة "البحيرة"، ويعتبرها أجمل أشعار ديوان "التأملات".
- يشير إلى أن القصيدة تعبر عن مشاعر الشاعر وهو ينتظر محبوبته جوليا، والتي لم تستطع الوفاء بوعدتها بسبب مرض عضال.

يقدم لنا ابن الجلا القصيدة التي قام الحسن بن الزيات بتعريبها ولقد شبهها بقصيدة ابن زيدون، فيرد سبب تعريب قصيدة البحيرة الكثير هو تشابه معانيها مع معان موجودة في الأدب العربي، وقد قدم أمثلة عن معنى الليل في الشعر لدى امرئ القيس وشاعر آخر أندلسي، ويرى ابن الجلا أن أفكار البحيرة للامرتين موجودة منذ قرون في الأدب العربي، وقد عرض أيضا تعريب الشاعر اللبناني نكولا فياض، ولكنه انتقدها ولم تعجبه لافتقادها للأمانة والدقة كما شعر في شعر أحمد حسن الزيات، كما حاول إبراهيم ناجي تعريب قصيدة لامرتين والذي وُفق في تعريبها بحسب الطاهر بوشوشة، كما عرّب هذه القصيدة أيضا الشاعر محمود طه ورآها بأنها الأقرب لقصيدة لامرتين.

مقال "بحيرة لامرتين" للطاهر بوشوشي (ابن الجلا) ليس مجرد تحليل أدبي، بل هو استعراض لأهمية لامرتين في الأدب الفرنسي وتأثيره الكبير على الشعر والرومانسية، يسلط الضوء على الفرق بين المدارس الأدبية في فرنسا والعالم العربي، ويوضح كيف استطاع لامرتين أن يعبر عن مشاعر جيله من خلال شعره العاطفي والإبداعي، كما يبرز دور الترجمات العربية في نقل جماليات الشعر الفرنسي إلى الأدب العربي، مع التركيز على ترجمة قصيدة "البحيرة" لأحمد حسن الزيات، نكولا فياض، إبراهيم ناجي ومحمود طه.

كما يؤكد الطاهر البوشوشي بأن الشعر لا يتقيد بجنسية أو حدود فيقول: "هذه المحاولات الأربع في تعريب قصيدة، نظمها صاحبها بالفرنسية، تظهر لنا أن لغة الشعر لا تتقيد بالحدود والجنسيات، وأن الأدب الإنساني السامي لا يفقد روعته وجدته إذا نُقل من لغة إلى لغة، ومن بلاد إلى بلاد أخرى، لأنه أدب أفكار وعواطف، يشترك فيها كافة بني الإنسان، وليس أدب ألفاظ ولا شعر بحور وأوزان"¹

2. نصائح للكتابة الأدبية:

1.2. مقال المؤدب الجزائري الحديث لمحمد الأخضر السائحي

¹ الطاهر بوشوشي، بحيرة لامرتين في الأدب العربي، المصدر السابق.

وُلد محمد الأخضر السائحي في قرية العلية، ولاية ورقلة، في أكتوبر 1918، حفظ القرآن على يد مشايخ، منهم الشيخ محمد بن الزاوي، وأجيز في الحفظ سنة 1930، ثم بدأ تدريسه، في سنة 1933، درس في مدرسة "الحياة" بمدينة القارة تحت إشراف الشيخ بيوض لمدة سنتين، قبل أن يلتحق بجامعة الزيتونة في تونس سنة 1935، عاد إلى الجزائر سنة 1939، حيث رُج به في السجن بسبب مطاردة السلطات الفرنسية¹.

بعد الحرب العالمية الثانية، ساهم في تأسيس "جمعية الأمل" وفوج كشافة ومدارس في ورقلة وتماسين، في سنة 1952²، انتقل إلى العاصمة الجزائرية، حيث عمل في الإذاعة والتعليم، نُشرت قصائده في مجلة "هنا الجزائر" بين 1952 و1960، وكان من أبرز شعراء تلك الفترة، حيث نشر 31 قصيدة، منها ديوانه "همسات وصرخات" الذي تناول موضوعات وطنية ووجدانية³.

المقال المنشور في جريدة "الشهاب" في 2 ماي 1937 تحت عنوان "المؤدب الجزائري الحديث"⁴ يقدم قراءة نقدية عن الأدب الجزائري في فترة الاحتلال الفرنسي، ويركز بشكل خاص على الشعراء الجزائريين الشباب ودورهم في التعبير عن تطلعات الأمة الجزائرية نحو الحرية والاستقلال، كاتب المقال هو محمد الأخضر السائحي، الذي كان يشيد بالشعر كأداة للتعبير عن الروح الوطنية الجزائرية والتطلع إلى التحرر.

النص يعكس أهمية الأدب في تلك الفترة كـ"مرآة المجتمع" ويظهر دوره كأداة للحفاظ على الهوية القومية في وجه الاحتلال الفرنسي، يُعتبر الأدب، وفقاً للسائحي، مستودعاً لتراث الأمة ومميزاتها الثقافية، ووسيلة أساسية لاستنهاض الهمم والحفاظ على الشخصية الجزائرية، فيقول: "ومن حق أساطين الأدب الجزائري أن يعنوا به عناية عظمى، ويرعوا نموه وانسجامه، ويصوروا تطورات وأدوار حياته ليتسنى لهم توجيهه حسب حاجيات الأمة الجزائرية، خصوصاً وقد ظهرت في سمائها بروق الأمل، ونزلت مسألة القومية والجنسية في الجو السياسي المنزل الأول على بساط البحث في هذه الأيام، ثم إنه لا بد لهم ولكل مؤرخ الأدب الجزائري ومحقق أطواره- من الاهتمام التام بحملته ورجاله، فهم أركانه ودعائم صرحه"⁵

ركز المقال بشكل خاص على الشاعر محمد الأخضر السائحي، الذي يعتبره كاتب المقال من أبرز الشعراء الجزائريين الشباب، بالإضافة إلى ذلك يعرض المقال قصيدة غزلية للشاعر أحمد بن أبي زيد الأغواطي بعنوان "حب

¹ عبد العالي رزاق، نماذج الشعر الجزائري المعاصر، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر، 1982م، ص 121

² بن قينة، في الأدب الجزائري ...، المرجع السابق، ص90.

³ مجموعة شعراء، ديوان هنا الجزائر، المصدر السابق، ص 503.

⁴ محمد الأخضر السائحي، "المؤدب الجزائري الحديث"، الشهاب، ج03، مج 13، 02 ماي 1937، ص148.

⁵ نفسه.

مضطرب"، والتي تظهر قدرته على دمج العاطفة الإنسانية مع تعابير الشعر، فالمقال يبرز الدور الذي لعبه الشعراء الجزائريون في استنهاض الوعي القومي، وتحفيز الشعب للوقوف في وجه الاحتلال، والمطالبة بالحرية.

2.2. مقال تسرع بعض مدعي الكتابة للإساءة إلى الأدب لأبو يعلى الزواوي

المقال يعبر عن نقد أدبي ولغوي واجتماعي يهدف إلى تسليط الضوء على بعض المشاكل والأخطاء التي يرتكبها بعض الكتّاب والمبتدئين في ميدان الكتابة¹.

هذا المقال مكون من عدة أفكار رئيسية، يمكن تحديدها كالاتي:

أ- **نقد بعض الكتاب المبتدئين:** الكاتب ينتقد بعض الكتاب المبتدئين الذين يظنون أن الكتابة مجرد تركيب للكلمات والجمل دون فهم المعاني العميقة والقواعد اللغوية الأساسية، كما يشير إلى أن هذا الفهم السطحي يؤدي إلى أخطاء في التعبير والمعنى.

ب- **أهمية اللغة والأدب:** يشدد الكاتب على أهمية اللغة الصحيحة والإعراب في الكتابة، معتبراً أن الأدب له جانبين: "أدب النفس" و"أدب الدرس"، أدب الدرس يتعلق بقواعد اللغة والإعراب، بينما أدب النفس يتعلق بالأخلاق والتربية الدينية.

ج- **الاستشهاد بالأدب العربي:** الكاتب يستشهد بأقوال ابن الوردي وعمر بن الخطاب لتعزيز حجته بأن من لا يتعلم من الشريعة والأخلاق لا يمكنه أن يكون أديباً حقيقياً.

د- **النقد الاجتماعي والأدبي:** ينتقد الكاتب بعض المقالات المنشورة في الصحف والتي يراها غير مناسبة وتفتقر إلى الأدب النفسي والأخلاقي، يشير إلى مقال في جريدة "البلاغ" الجزائرية، حيث يعترض على محرر الصحيفة لعدم تقديم نصيحة بناءة ولتوجيه اتهامات بدون دليل.

الكاتب يشير إلى واقعة شخصية، حيث يذكر أن أحد المحررين نصحه بترك الكتابة في الأمور التافهة، ويعتبر هذا النقد غير مبرر وغير مبني على أسس صحيحة، يستخدم الكاتب أسلوباً حاداً في الدفاع عن نفسه ضد ما يراه اتهامات باطلة.

¹ أبو يعلى الزواوي، "تسرع بعض مدعي الكتابة"، البصائر، ع17، 01 ماي 1936، ص ص 6-7.

هـ- الدعوة إلى الصدق والابتعاد عن الخطأ: في النهاية، يدعو الكاتب الجميع إلى التحري عن الصدق وتجنب الأخطاء واللحن في المعنى، مؤكداً أن الأدب النفسي أهم من الأدب الدرسى، وأن إساءة الأدب النفسي قد تكون أكثر عقوبة من الخطأ في القواعد اللغوية.

النص يعكس فترة زمنية وتوجهات ثقافية معينة في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، يتضح أن هناك تركيزاً كبيراً على أهمية الحفاظ على اللغة العربية الصحيحة والأدب الأخلاقي والديني في مواجهة محاولات التغريب والثقافة الفرنسية المفروضة.

الكاتب يسلط الضوء على أهمية اللغة السليمة والإعراب، إذ أن هذا يعكس فهمًا عميقًا للثقافة العربية وأهمية المحافظة عليها، كما يركز الكاتب على تأكيد أهمية أدب النفس والأخلاق الدينية يعكس تأثير الجمعية الثقافية والدينية في تلك الفترة والتي كانت تسعى للحفاظ على الهوية الثقافية والدينية للجزائريين، كما تظهر بعض الانتقادات التي تبدو شخصية وحادة، مما قد يقلل من تأثيرها البناء ويجعلها تبدو كأفكار دفاع شخصي أكثر من كونها نقدًا موضوعيًا.

النص يعكس روح الزمن الذي كتب فيه، حيث كان الأدب واللغة وسيلة لمقاومة التأثيرات الاستعمارية والثقافية المفروضة، الكاتب يعبر عن قلقه من الانحراف عن القيم الثقافية والدينية ويدعو إلى المحافظة على اللغة والأدب السليمين، مع التركيز على أهمية الأخلاق والتربية الدينية في حياة الأدباء والكتاب.

2.3. مقال الاشتغال بالشرق أنسانا أنفسنا لأبو يعلى الزواوي

أبو يعلى الزواوي هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي بن يحيى بن الحاج بن آيت سيدي محمد الحاج، وُلِدَ في قرية ثيفريث ناث الحاج، التابعة لبلدية أزفون في دائرة عزازقة بولاية تيزي وزو، وينتسب إلى الأشراف الأدارسة، كان يقول عن نفسه: "اسمي السعيد بن محمد الشريف بن العربي بن يحيى بن الحاج آيت سيدي محمد الحاج الشهير¹"، وُلِدَ تقريبًا سنة 1866م، وهذا ما تثبته شهادة الميلاد الصادرة في 1 جانفي 1979، وهي وثيقة رسمية تحمل خاتم الإدارة، وقد تلقى تعليمه الأول في قريته على يد والده الإمام محمد الشريف، حيث حفظ القرآن الكريم وأتقنه رسمًا وتجويدًا وهو في الثانية عشرة من عمره، أي حوالي سنة 1874م، ومن أبرز شيوخه كان محمد السعيد بن زكري، مفتي الجزائر، الذي اعتبره أستاذًا وصديقًا، كما درس على يد الشيخ محمد بن بلقاسم البوجليلي والشيخ أحمد حنفي المعروف بأحمد أجديد، حيث تعلم الفقه المالكي وعلم العقيدة، وقد أخذ الزواوي العلم أيضًا على يد

¹ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 156.

شيوخ أفاضل في سوريا مثل الشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ الطاهر الجزائري، كما ألف الشيخ أبو يعلى الزواوي العديد من الكتب في مواضيع متنوعة تتعلق بقضايا الفكر الإسلامي في عصره، مثل قضايا المرأة، الإصلاح، تحكيم الشريعة، وإصلاح نظم التعليم، من مؤلفاته المهمة "الإسلام الصحيح" الذي طُبع في مطبعة المنار بمصر، وكتاب "جماعة المسلمين" الذي انتهى منه سنة 1948م وطُبع في تونس سنة 1949م، وكتاب "خطب الجمعة" الذي نُشر سنة 1924م، كما ألف "تاريخ الزاوية" الذي أتمه في القاهرة سنة 1918م ونُشر في دمشق سنة 1924م، وقد توفي الشيخ أبو يعلى الزواوي في 2 جوان 1952م بعد مرض عضال، عن عمر يناهز التسعين عاماً¹.

نشرت الشهاب مقالا موقعا من الفتى الزواوي وهو الكاتب أبو يعلى الزواوي بتاريخ 01 أوت 1934 معنونا بـ: "الانشغال بالشرق أنسانا أنفسنا"²

يناقش أبو يعلى الزواوي أهمية عدم انشغال الجزائريين بقضايا المشرق العربي على حساب هويتهم وثقافتهم المحلية، يشير إلى أن التركيز المفرط على أخبار المشرق قد يؤدي إلى نسيان الذات، مما يسبب حالة من الجمود والافتقار إلى الفخر الثقافي، ويبرز الزواوي ضرورة تعزيز الهوية الجزائرية من خلال نشر التعليم والثقافة، ويدعو إلى بناء روابط قوية بين المسلمين والمسيحيين على أساس القيم الإنسانية المشتركة، يشدد على أهمية التفكير النقدي والمشاركة الفعالة بدلاً من التقليد الأعمى للثقافات الأخرى، ينبه الزواوي أيضاً إلى أن الثقافة الغربية، رغم ما تحمله من إبداع، قد تؤدي إلى فقدان القيم والتقاليد الأصيلة، ثم يختتم مقاله بدعوة الجزائريين إلى تعزيز فخرهم بهويتهم الثقافية والعمل على إحياء التراث المحلي، مع أهمية التفاعل البناء مع الثقافات الأخرى دون الانسلاخ عن الهوية، هذا المقال يعكس الوعي الثقافي والاجتماعي الذي كان سائداً في تلك الفترة، ويعبر عن التحديات التي تواجهها المجتمعات العربية في ظل الانفتاح الثقافي.

عنوان المقال "الانشغال بالشرق أنسانا أنفسنا" يعكس القلق من أن التركيز المفرط على القضايا والأخبار المتعلقة بالمشرق العربي قد يؤدي إلى فقدان الهوية الثقافية لدى الجزائريين، يشير إلى أن الانغماس في هموم الشرق قد يجعل الأفراد يتجاهلون قيمهم وموروثهم الثقافي، مما ينتج عنه غياب الوعي الذاتي والشعور بالانتماء، في هذا السياق، يُبرز الكاتب أهمية استعادة الفخر بالهوية المحلية والتركيز على الثقافة الجزائرية كوسيلة لمواجهة التحديات الناتجة عن الانفتاح على الثقافات الأخرى، ويمكننا تحليل المقال من خلال أفكاره فنجد:

¹ سعد طاعة، "أضواء على فكر أبي يعلى الزواوي من خلال مقالات جريدة البصائر 1936-1952"، مجلة عصور، مج 22، ع03، ديسمبر 2023 ص 344.

² أبو يعلى الزواوي، "الانشغال بالشرق أنسانا أنفسنا"، الشهاب، ج5، مج11، 01 أوت 1934، ص 288.

أ- **الانشغال المفرط بقضايا المشرق:** يعبر الكاتب عن قلقه من أن التركيز على أخبار وأمور المشرق العربي قد يؤدي إلى فقدان الجزائريين لوعيهم وهويتهم الثقافية، فيقول: "إن علاقتنا بالشرق والشرقيين علاقة متينة قوية تزداد على مر الأيام، مناسبة وقوة، وتغذيها عدة روابط روحية من دينية ولغوية وأدبية نشعر بها كلها شعورًا، لكن لا يسرنا محال أن ينسينا هذا الشعور أنفسنا، نحن من قوافل الحياة، فنحكم على أنفسنا بالجمود واعتقال اللسان أمام الشرقيين، فلا نكتب إذا كتبوا، ولا نؤلف إذا ألقوا، ولا نفكر إذا فكروا، ولا نجتمع إذا اجتمعوا، ولا نتعاون إذا تعاونوا، ولا نتقدم إذا تقدموا، فلنترك إذا أكل إذا أكلوا، والشرب إذا شربوا"¹

ب- **فقدان الهوية الذاتية:** يشير الكاتب إلى أن الانغماس في القضايا الشرقية يمكن أن يسبب للجزائريين شعورًا بالجمود والافتقار إلى الفخر بالثقافة المحلية.

ج- **أهمية التعليم والثقافة:** يؤكد الزواوي على ضرورة تعزيز التعليم والثقافة كوسائل للحفاظ على الهوية الجزائرية، ويدعو إلى نشر المعرفة وتوحيد برامج التعليم.

د- **التفاعل الإنساني:** يدعو الزواوي إلى تعزيز الروابط بين المسلمين والمسيحيين، مما يعكس روح التسامح والتعايش التي كانت تسود في بعض الفترات، هذا الاتجاه نحو تعزيز الفهم المتبادل والتعاون يمكن أن يُعتبر خطوة إيجابية في سياق العلاقات بين الأديان والمجتمعات.

هـ- **النقد الثقافي:** ينتقد الزواوي الثقافة الغربية التي تؤثر على المجتمعات الشرقية، محذرًا من فقدان القيم والتقاليد الأصيلة نتيجة التوجه نحو الثقافات الأخرى.

و- **استعادة الفخر الثقافي:** يشدد على ضرورة استعادة الفخر بالهوية الثقافية الجزائرية، والعمل على إحياء التراث المحلي كوسيلة لمواجهة التحديات الناتجة عن الانفتاح الثقافي.

ز- **التحذير من التغرب:** ينبه الكاتب إلى خطر التغرب الثقافي الذي قد يهدد خصوصيات المجتمعات الشرقية، ويؤكد على أهمية الحفاظ على الأصالة في الإنتاج الثقافي.

المقال يجسد الصراع بين الانفتاح الثقافي والحفاظ على الهوية، وهو صراع لا يزال قائمًا حتى اليوم، يقدم الزواوي رؤية تنبه من مخاطر فقدان الهوية الثقافية نتيجة الانشغال بقضايا خارجية، ويدعو إلى استعادة الفخر بالتراث المحلي، يعد هذا المقال جزءًا من الجدل الأوسع حول الهوية والثقافة في العالم العربي، ويعكس تحديات المجتمعات في مواجهة العولمة والتغيرات الثقافية.

¹ نفسه، ص 288.

4.2. مقال الأدب الحي بين أدب القصة وأدب المقالة لأحمد رضا حوحو

اشتهرت في أربعينيات القرن العشرين مجلة تونسية هي "المباحث" التي كان يشرف عليها محمود المسعدي¹، تواصل مع هذه المجلة العديد من المثقفين الجزائريين، مثل عمر راسم ومصطفى الأشرف وعبد الله شريط، وغيرهم، وقد نشر حوحو مقاله "الأدب الحي..." بين أدب القصة وأدب المقالة" في العدد الثاني عشر الذي صدر في سنة 1946، وقد امتد المقال على صفحة ونصف (24-25)، يجدر بالذكر أن هذا المقال هو اختصار لمقال طويل كان قد نشره سابقاً في مجلة "المنهل" السعودية سنة 1939، وقد قام بتحديثه وإضافة أفكار جديدة، من بينها المفاضلة بين الأدبيين توفيق الحكيم ومحمود تيمور².

عنوان المقال "الأدب الحي بين أدب القصة وأدب المقالة" فيبرز العنوان العلاقة بين أدب القصة وأدب المقالة، مما يُشير إلى أهمية كلا الجنسين في تشكيل الأدب الحي، كما أن استخدام عبارة "الأدب الحي" يوحي بجوهرية الأدب وتطوره، مما يعكس قدرة الأدب على التفاعل مع القضايا الاجتماعية والثقافية، والعنوان يدعو القارئ للتفكير في الفروق والسمات المميزة لكل نوع أدبي، مما يمكن أن يفتح باب النقاش حول كيفية تأثير كل منهما على الثقافة الأدبية.

تتمحور الأفكار الأساسية لمقال "الأدب الحي بين أدب القصة وأدب المقالة" لأحمد رضا حوحو حول:

أ- دور القصة في الأدب العربي:

- كانت القصة وسيلة فعالة لنقل المبادئ والقيم عبر القرون.
- الرواية المسرحية والأدب الروماني القديم حافلان بمسرحيات مهمة أثرت على المجتمع.

¹ محمود المسعدي (1911-2004): هو مفكر وأديب تونسي بارز، جمع بين عمق الفكر الأدبي والانخراط الفعّال في العمل السياسي والثقافي في تونس الحديثة، تلقى تعليمه في جامعة الزيتونة، ثم واصل دراسته في جامعة السوربون بباريس، حيث تخصص في اللغة والأدب العربي، عُرف بأسلوبه الأدبي الفلسفي المتأثر بالتراث العربي الإسلامي من جهة، وبالفكر الوجودي من جهة أخرى، وتُعد روايته "حدث أبو هريرة قال..." من أبرز أعماله، إلى جانب "السد" و"تأملات في الحضارة"، شغل مناصب عليا في الدولة التونسية بعد الاستقلال، أبرزها وزير التربية، حيث ساهم في تعريب وتحديث التعليم، ووزير الثقافة، كما تولى إدارة الإذاعة التونسية وكان عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، يُعد المسعدي من رواد الأدب التونسي الحديث الذين ساهموا في صياغة هوية ثقافية وفكرية أصيلة لتونس ما بعد الاستعمار، ينظر: حسونة المصباحي، (01 أوت 2022)، محمود المسعدي... والأدب مأساة أو لا يكون،

مجلة إيلاف، استرجعت في تاريخ 06 جوان 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://elaph.com/Web/Culture/2022/08/1481831.html>

² مولود عويمر، (01 جويلية 2020)، الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو في الصحافة التونسية، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، استرجعت في تاريخ 06 جوان 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://binbadis.net/archives/11192>

ب- أسباب انتشار المسرحية أكثر من القصة:

- قلة القراء في المجتمع، حيث كانت القراءة مقتصرة على طبقات معينة.
- المسرحية أكثر تأثيراً لأنها تعتمد على المشاهدة المباشرة، ولا تحتاج لجهد في الفهم كما هو الحال في القراءة.

ج- تأثير المسرحية مقارنة بالقصة:

- المسرحية تؤثر أكثر لأنها تعرض الحوادث والأفكار بشكل مجسم من خلال الشخصيات والحوار المباشر.
- المشاهدون يستطيعون بسهولة فهم المسرحيات، خاصةً لأن الحوار فيها أقرب إلى الحديث اليومي، بخلاف النصوص المكتوبة التي قد تكون صعبة الفهم.

د- تطور المسرحيات من المأساة إلى الملهاة:

- في البداية، كانت المسرحيات تركز على المآسي التاريخية والحزينة، لكنها تطورت لتشمل الملهاة (الكوميديا)، فيقول الكاتب حوحو: "كانت أكثر الروايات التمثيلية في بادئ الأمر من نوع المأساة (Tragédie) وتمثل غالباً مادة تاريخية حزينة يُراد منها عرض فصل من معارض البطولة التاريخية، يذكر الأمة بمجدها السالف الخالد، أو فكرة خيالية كلها ألم وأسى، يقصد منها عظة الناس أو توجيههم توجيهًا خاصًا، كما يعرض أمامهم صور التضحية والبؤس، ولما كانت هذه المآسي تدمي القلوب وتسيل الدموع لما تعرضه من أنواع الحزن والألم، ولما تصوره من ألوان البؤس والشقاء، اعتاد بعض الممثلين الترفيه على النظارة بعرض أدوار هزلية بسيطة عقب المأساة، لا تحمل أية فكرة ولا مقصد، ولا يراد منها أي عرض سوى إضحاك الجمهور والتخفيف عنهم إثر المأساة المؤلمة، وسموا هذا النوع "ملهاة" (Comédie)¹"

- الملهاة أصبحت وسيلة لنقد المجتمع والسخرية من الرذائل الأخلاقية والاجتماعية فيقول حوحو: "وقد كتب الروائي الفرنسي موليير (Molière) عدة مسرحيات من هذا النوع، أخرج بها الملهاة الفرنسية من طور إلى طور، نذكر منها "L'Avare" التي صور بها البخل أقبح صورة، حيث جمع نقائصه كلها في شخص واحد، فترك من ورائه رواد المسرحية يضحكون منه ويهزؤون به، وأستطيع أن أؤكد لك أنه لا يطلع أحد على هذه الرواية إلا وكره البخل والبخلاء حتى ولو كان هو بخيلاً عريقاً في البخل"²

هـ- أهمية المسرحية في معالجة مشاكل المجتمع:

¹ أحمد رضا حوحو، الأعمال الكاملة...، المصدر السابق، ص 61.

² نفسه، ص 62.

- الملهاة استخدمت بشكل فعال في نقد الرذائل عبر السخرية من الشخصيات، مما يؤثر في نفوس الجمهور ويشجعهم على تجنب تلك العيوب.

و- أدب القصة والمقالة:

- رغم تطور المسرحية، إلا أن القصة كانت تخدم أيضاً المجتمع ولها تأثير على القراء فيقول حوحو: "يبتدئ القارئ في قراءة القصة ويبقى أسيرها، لا يستطيع التخلص منها ما لم يفرغ من قراءتها، أما في المقالة، مهما كانت سلسلة ممتعة، فهو يحمل نفسه قهراً على إتمامها، وقد يمر وقت على الإنسان، خلع ضرس أهون عنده من إتمام قراءة مقال، ومهما يكن من أمر، فإن أدب القصة أهم من أدب المقالة، وأكثر قراء، وأعظم نقداً، وأشد تأثيراً، وأصدق تصويراً منه"¹.

- المقالة، رغم قيمتها، لا تحظى بنفس الشعبية والتأثير مقارنة بالقصة والمسرحية، حيث يجد القارئ صعوبة في إنهاء المقالة بينما القصة تشد انتباهه حتى النهاية.

ز- الدعوة إلى الرواية الشعرية:

- الكاتب يدعو الشعراء إلى الانتقال من القصيدة الفردية إلى الرواية الشعرية التي يمكن أن تكون أداة فعالة لمعالجة القضايا الاجتماعية.

ح- ازدهار القصة ثم تراجعها:

- القصة العربية بدأت في التطور خلال السنوات الأخيرة بفضل مجالات مثل "المنهل"، ولكن هناك تراجع ملحوظ في الاهتمام بها في الصحف والمجلات الأخرى، فيقول: "أخذت القصة عندنا منذ أربع سنوات تتقدم بخطوات محدودة وتطورت تطوراً ملموساً، وكانت قبل ذلك بذرة مهجورة لا يلتفت إليها أحد، اللهم إلا محاولات بسيطة لم يعيروها أدنى اعتناء، ثم صدرت مجلة "المنهل" وكان من حسناتها العديدة وخدماتها الجليلة التي أعدتها لأدبنا الحي، دعوتها إلى أدب القصة واعتناؤها بتقديمه ومعالجته بشتى الوسائل"².

ط- أهمية القصة كأدب حي:

- الكاتب يؤكد على أهمية القصة باعتبارها "الأدب الحي" الذي يخدم المجتمع، ويرى أن تراجعها يمثل خسارة كبيرة للأدب العربي.

¹ نفسه، ص34.

² نفسه.

من خلال مقال أحمد رضا حوحو "الأدب الحي بين أدب القصة وأدب المقالة"، يمكن استنتاج عدة أمور مهمة من الناحية التاريخية والثقافية حول المرحلة التي كتب فيها، وهي فترة الأربعينيات من القرن العشرين، يظهر أن الأدب القصصي في الجزائر كان لا يزال في بداياته، حيث يتحدث حوحو عن تطور بطيء لكنه ملحوظ في هذا المجال، مشيراً إلى إهمال سابق ومحاولات محدودة للنهوض بالقصة الأدبية، كما يعبر حوحو عن أهمية مجلة "المنهل" في نشر واحتضان الأدب القصصي، مما يدل على أن الصحافة الأدبية في تلك الفترة كانت تلعب دوراً محورياً في دعم وتطوير هذا النوع الأدبي، ويستنتج من المقال أن مستوى التعليم والقراءة كان محدوداً، وهو ما يفسر قلة إقبال القراء على الأدب المكتوب، في مقابل الانتشار النسبي للمسرحيات التي تعتمد على العرض المباشر للجمهور.

ويعكس المقال أيضاً محاولة حوحو لتحليل ومقارنة الأدب الجزائري بالأدب العالمي، حيث أشار إلى المسرح الفرنسي ومؤلفين مثل موليير، مما يعكس انفتاح الأدباء الجزائريين على المدارس الأدبية الأوروبية وسعيهم لتطوير أدبهم على هذا الأساس، في تلك الفترة، كان الأدب المقالاتي يلقي اهتماماً أقل من الأدب القصصي، حيث يظهر حوحو انتقاداً واضحاً لعدم اهتمام الجمهور بمقالات الأدباء، ويشجع على التحول إلى كتابة القصص لما لها من تأثير أكبر، كما يركز حوحو على أهمية الأدب، خاصة المسرحية والقصة، كأداة لمعالجة الأمراض الاجتماعية والأخلاقية، مما يعكس توجهات المثقفين في تلك الحقبة الذين سعوا لاستخدام الأدب كوسيلة للنقد الاجتماعي والتغيير، هذه النقاط تعطي فكرة واضحة عن الجهود الثقافية في الجزائر خلال الأربعينيات، حيث كان الأدباء الجزائريون يحاولون الانتقال من الأدب التقليدي إلى أدب حديث يعالج قضايا مجتمعية معاصرة بأساليب جديدة.

3. نقد الأدباء

1.3. مقال أسئلة حول مقال دسائس طه حسين على السيرة النبوية الشريفة لكاتب مجهول

المقال لكاتب نشر مقاله باسم الشاب الأديب الناهض صاحب الإمضاء، ويبدأ المقال بالإشارة إلى نقد سابق من الأستاذ حسين في مجلة "الشهاب" حول كتاب "على هامش السيرة" للكاتب طه حسين، حيث يصف الكاتب طه حسين الكتاب بأنه مليء بالأساطير اليونانية وأنه يظهر السيرة النبوية بمظهر الأسطورة الخرافية، كما يتهم طه حسين بأنه كان يتحدث عن الإسلام دون مراعاة للحقائق الدينية، وأنه بعد إخراجه من الجامعة بدأ يظهر بمظهر المسلم الصادق¹.

¹ مجهول، "أسئلة حول مقال دسائس طه حسين على السيرة النبوية الشريفة"، الشهاب، مج 10، ج 05، أبريل 1934، ص ص 205-207.

ينقل المقال فقرة من فصل للدكتور محمد حسين هيكال الذي انتقد فيها طه حسين، مستنكراً ما ذكره عن فاطمة الخثعمية وحوادث أخرى في سيرة النبي، هذه الفقرة دفعت الكاتب إلى التساؤل حول صحة هذه الادعاءات وما إذا كانت بالفعل من "الإسرائيليات" التي لا تصدق.

بعد قراءة عدة فصول من كتاب طه حسين، وجد الكاتب أن الأخير لم يخرج عما ورد في كتب السيرة المعروفة مثل ابن هشام، بل أنه قدمها بأسلوب رائع وجذاب، يتناول الكتاب مواضيع مثل حفر زمزم، التحكيم، وقصة عبد الله والد النبي محمد صل الله عليه وسلم، وغيرها من الأحداث المعروفة في السيرة النبوية.

يعرض المقال بعض الأحداث التي يعتبرها النقاد مثيرة للجدل مثل شق بطن النبي وغسل قلبه وهو طفل، وقصة حليلة السعدية والبركات التي حصلت لها بعد إرضاع النبي، يرى الكاتب أن هذه الأحداث مذكورة في معظم كتب السيرة ولا تعتبر دسائس أو إضافات.

يتساءل الكاتب عن سبب اتهام الأستاذ حسين لطه حسين بالدس على السيرة النبوية ويعترض على ربط إخراج طه حسين من الجامعة بعداوته للإسلام، يرى الكاتب أن هذه الاتهامات غير مبررة وأن طه حسين لم يقم بأي عمل يسيء للإسلام في كتابه.

يوصي الكاتب بقراءة أعمال طه حسين الأخرى مثل "في الشعر الجاهلي" و"الشعاب الراصد" لفهم موقفه من العرب والإسلام، وينقل الكاتب أيضاً رأي الدكتور زكي مبارك الذي أشار إلى أن طه حسين يتمتع بحرية العقل في كتاباته ولكنه يتبع أسلوب الرمز أحياناً.

ينهي الكاتب مقاله بالتأكيد على ضرورة قراءة كتب طه حسين لفهم مواقفه بشكل صحيح، ويدعو إلى الحكم عليه بناءً على محتوى كتاباته وليس على اتهامات غير مثبتة، ويهدف المقال إلى الدفاع عن طه حسين ضد الاتهامات التي وُجّهت إليه بدسه على السيرة النبوية، يعرض الكاتب حججه من خلال تحليل محتوى كتاب "على هامش السيرة" وتوضيح أن طه حسين لم يخرج عما هو معروف في كتب السيرة، كما يدعو المقال إلى قراءة أعمال طه حسين الأخرى لفهم مواقفه بشكل أفضل والحكم عليه بناءً على محتوى كتاباته.

يعتمد المقال على النقد البناء من خلال تحليل موضوعي لمحتوى كتاب طه حسين، مستعرضاً الفقرات المحددة ومناقشاً إياها بالتفصيل، يستخدم الكاتب أسلوب التساؤل والتشكيك لفتح باب النقاش وتخفيف التفكير النقدي، مع الاستشهاد بمصادر أخرى لتقديم رؤى متعددة، مما يضفي مصداقية على النقاش، يشجع المقال القراء على قراءة أعمال طه حسين بأنفسهم للتحقق من الحقائق، فتشجيع قراء الشهاب على قراءة أعمال طه حسين له فوائد

عديدة تشمل توسيع الفهم والمعرفة حول آرائه وأفكاره، وتطوير مهارات التفكير النقدي والتحليل، وفهم السياق الأدبي والتاريخي الذي كتب فيه، مما يعزز الحوار المثمر والتثقيفي حول أفكاره.

أما عن طه حسين في كتابه: "فصول في الأدب والنقد" فقد أبدى موقفاً معقداً تجاه النقاد الذين ينتقدون كتاباته، فكان يعتقد أن الكاتب، وخاصة المميز منهم، ليس معنياً بإرضاء الناس أو النقاد، بل يجب أن يكتب من أجل نفسه وليس لإرضاء الآخرين، إذا أهمل النقاد أعماله أو انتقدوها بشدة، فقد يشعر بالاستياء، وربما يتهمهم بالحسد أو الغيرة، ومع ذلك، يظل ملتزماً بإنتاجه، غير مبالي برضا أو سخط الآخرين، في هذا السياق، يصر طه حسين على أن الكاتب لا يكتب ليرضي الجمهور، بل ليفكر ويبدع حسبما يشاء¹.

يُظهر المقال موقفاً موضوعياً إزاء الاتهامات الموجهة لطله حسين، منطلقاً من تحليل مباشر لمحتوى كتابه دون الاكتفاء بالانطباعات أو الأحكام المسبقة، يعتمد الكاتب على منهج نقدي يستند إلى التحقق من المصادر ومقارنة النصوص، مستعيناً بآراء عدد من المفكرين لتوسيع النقاش، كما يوظف التساؤل كأداة لتحفيز القارئ على التفكير المستقل، يتجاوز المقال السجال الديني المباشر، ليركّز على أهمية حرية التعبير الأدبي، ويؤكد أن الاختلاف الفكري لا يبرر التخوين أو التشويه، مشجعاً على قراءة أعمال طه حسين لفهم مواقفه ضمن سياقها التاريخي والفكري، لا من خلال اقتباسات مجزأة أو تأويلات مغرضة.

2.3. مقال أبو القاسم محمد هالي الأندلسي لسعد الدين بن أبي شنب

هذا المقال هو للكاتب والناقد سعد الدين بن أبي شنب وقد نشره سنة 1933 في جريدة الشهاب²، وقد وضع المقال في صفحة رسائل ومقالات وهو جزء خصصته المجلة لرسائل القراء ونقدهم وللمقالات، وقبل أن ندرس هذا المقال يمكننا التعريف بشخصية هذا الناقد فهو سعد الدين بن شنب، كان من بين كتّاب الدراسات الأدبية والنقدية، وقد نشر العديد من المقالات في مجلات مثل "هنا الجزائر" و"الأديب" البيروتية، وكذلك في "المجلة الإفريقية"³، بالإضافة إلى مشاركته في بعض الموسوعات، كان يسهم في الكتابة بكل من اللغتين العربية والفرنسية،

¹ طه حسين، فصول في الأدب والنقد، مؤسسة هنداوي، مصر، 2017، ص 14.

² سعد الدين بن شنب، "أبو القاسم محمد بن هالي الشاعر الأندلسي أو أحكام الأدباء عليه"، الشهاب، مج 09، ج 08، جولية 1933، ص 309.

³ تُعدّ المجلة الإفريقية (La Revue Africaine) من أقدم المجلات العلمية المحكمة التي أنشأتها الجمعية التاريخية الجزائرية سنة 1856، وقد صدر عددها الأول في شهر جانفي 1857، حافظت المجلة على انتظام صدورها بواقع أربعة أعداد سنوياً، مما جعلها منبراً مهماً لنشر الأبحاث العلمية التي تناولت مختلف مجالات المعرفة المتعلقة بمنطقة المغرب العربي، لا سيما الجزائر، وقد شارك في تحريرها نخبة من الباحثين الفرنسيين والجزائريين، واهتمت المجلة بنشر دراسات في التاريخ، والجغرافيا، والآثار، واللغات، والعادات، والتقاليد، والدين، ما جعلها مرجعاً هاماً في توثيق التراث المغاربي، ينظر: عبد الرحمن بغداد، =

ومن بين كتاباته يأتي كتاب التعبير الفرنسي في مجلة "الجزائر والصحراء" في باريس، وكذلك مساهمته في الموسوعة الاستعمارية والبحرية "موسوعة الإمبراطورية الفرنسية" سنة 1948، وفي فيفري سنة 1957، أصدرت مجلة "الجزائر" عددًا خاصًا تتناول أخبار الأدباء والكتاب، من بينهم محمد حربي، ومصطفى الأشرف، وكاتب ياسين، وآخرون من كتاب اللغة الفرنسية والعربية، كما أسهم سعد الدين بن شنب في كتابة فصل عن أدباء الجزائر باللغة العربية الفصحى في كتاب بعنوان "المدخل إلى معرفة الجزائر"، والذي تعاون على تأليفه مع عدد من الكتاب الفرنسيين فقد قدم هؤلاء الكتاب والأدباء إسهاماتهم في ميدان الشعر والنثر، خاصة في مجالات القصة والرواية، وكتبوا في النقد الأدبي والدراسات والمقالات الصحفية والفنية، تميز بعضهم بالشعر، في حين سيطرت القصة على آخرين، وكانوا جميعًا جزءًا من الجيل الذي أثار اهتمام المثقفين العرب بالجزائر، خاصة بعد اكتشاف وجود عرب يكتبون باللغة الفرنسية، وكان ذلك في سياق الأحداث التي شهدتها الثورة والتي جذبت الانتباه إلى الثقافة الجزائرية¹.

سعد الدين بن أبي شنب، قام بكتابة مقالات وبحوث هامة حول مواضيع متنوعة في الأدب والثقافة والتاريخ، من أعماله "حكايات مدينة الجزائر" التي نشرت في وهران في سنة 1946، كانت حكايات مترجمة من العربية، كما كتب مقالات عديدة حول الجزائر في الموسوعة الكولونيالية والبحري².

أما عن المقال فقد قدمته المجلة في صفحتها قائلة: "الخطاب الذي ألقاه الأستاذ سعد الدين بن شنب أمام مؤتمر معهد المباحث العليا المغربية بفاس في شهر أفريل الماضي"³

والمقال يُحلل شعر وأعمال الشاعر الأندلسي أبو القاسم محمد بن هاني الأندلسي⁴، مركزاً على الأحكام التي صدرت عنه من قبل الأدباء والمؤرخين فالكاتب يقدم تحليلاً دقيقاً لشعر ابن هاني، كما يُظهر تضارب الآراء

"= جهود المجلة الإفريقية Revue La Africaine الفرنسية في نشر التراث المغربي - قراءة وصفية تحليلية"، مجلة الطالب والتواصل، مج 02، ع 09، 29 ديسمبر 2022، ص 18.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 9، المرجع السابق، ص 662.

² نفسه، ص 184.

³ سعد الدين بن شنب، "أبو القاسم محمد بن..."، المرجع السابق، ص 309.

⁴ أبو القاسم محمد بن هاني الأندلسي (932-973): هو شاعر عربي شهير من الأندلس، ويُعد من أبرز شعراء الدولة الفاطمية في المغرب، بل يُلقَّب بـ"متني الغرب" لما اتسم به شعره من فخامة وجزالة، وخاصة في مدحه للخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وُلد في إشبيلية، وتعلَّم فيها، ثم رحل إلى المغرب بعد أن أُهمَّم بالإلحاد بسبب طبيعة بعض قصائده التي منج فيها بين التصوف والفلسفة، نال حظوة كبيرة في بلاط الفاطميين، وصار شاعرهم الرسمي، حيث عبّر في شعره عن مشروعاتهم السياسي والديني، فكان شعره أداة دعائية تعكس طموح الدولة الفاطمية في التوسع والتأثير، امتاز شعره بالمنانة والصور البلاغية القوية، وترك ديواناً يعكس ثقافة واسعة وتأثراً بالأدب المشرقي، لا سيما بأبي الطيب المتنبي، توفي في تونس في ظروف غامضة، ويُقال إنه قُتل بتحريض من خصومه، ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج 07، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص 130.

حوله ويوضح أن الأحكام حول الشاعر ليست دائماً مستندة إلى النقد الأدبي البحت، بل تتأثر بالعوامل الدينية والاجتماعية.

يمثل المقال قراءة تاريخية لنقد الشعر والشعراء في الأندلس، ويتناول فيه سعد الدين بن شنب تقييمات الأدباء والمؤرخين للشاعر الأندلسي أبو القاسم محمد بن هاني من خلال هذه القراءة التاريخية، يمكن استخلاص عدة جوانب مهمة:

أ- سياق الشاعر وتحديات عصره:

– وُلد ابن هاني في عصر تميز بالتوترات السياسية والدينية في الأندلس، وكان من أهم شعراء عصره، لكنه تعرض للكثير من النقد بسبب غلوه في التشبيه والمديح، حيث كان يتجاوز في مدحه لدرجة دفعت البعض لاتهامه بالكفر.

– المقال يظهر كيف أن التقييمات التي حصل عليها ابن هاني لم تكن فقط أدبية، بل كانت متأثرة أيضاً بالمناخ الديني والسياسي المحيط في الأندلس آنذاك.

ب- التعصب الديني وتأثيره على النقد الأدبي:

– يشير المقال إلى أن النقد الموجه لابن هاني كان غالباً متأثراً بالتعصب الديني، خاصةً في رفض بعض المؤرخين لتشبيهاته المبالغة التي وُصفت بأنها شبهات دينية.

– يوضح الكاتب أن كثيراً من النقد الموجه لابن هاني كان نتيجة الخوف من الأفكار الفلسفية التي كانت تنظر بريبة في الأندلس، كما كان الحال مع الفلاسفة مثل ابن رشد، وبالتالي، يمكن القول إن نقده لم يكن نقداً أدبياً خالصاً، بل كان أيضاً محكوماً بالخلفيات العقائدية.

ج- المقارنة بين ابن هاني وشعراء المشرق:

– المقال يُظهر مقارنة بين شعراء الأندلس وشعراء المشرق، وعلى الرغم من أن ابن هاني قُورن بشعراء كبار مثل المتنبي، إلا أن النقاد المشارقة، مثل أبو العلاء المعري، لم يكونوا دائماً منصفين في تقييمهم، وربما تأثروا بالتنافس بين الأندلس والمشرق.

– هذا النقد يظهر تميز الشاعر في الأندلس واختلاف أسلوبه عن الشعراء المشارقة، وهو ما أدى إلى نوع من التنافس الحضاري بين الثقافتين الشرقية والغربية.

د- العوامل الأدبية والدينية في التقييم:

- الكاتب ينتقد التقييم الذي يربط بين الإيمان الديني ومستوى الشعاعية، ويشير إلى أن مطالبة الشاعر بالتقوى وحسن السيرة يعزل الكثير من الشعراء، سواء في الإسلام أو في الفترات السابقة له.
- يشدد الكاتب على أن النقد الأدبي يجب أن يركز على جودة الشعر نفسه وليس على الشاعر كشخصية دينية أو أخلاقية.

هـ- التعصب لأفكار الشعراء الفلاسفة:

- الكاتب يرى أن بعض النقاد في الشرق لم يكونوا منصفين مع ابن هاني، لأنهم رفضوا أفكاره الفلسفية واعتبروا تشبيهاته غلوًا لا يمكن التسامح معه، هذا التصور يظهر بوضوح في النقد الذي وجهه أبو العلاء المعري.
- هناك أيضًا نقد لأفكار كامل كيلاني¹ وأحمد ضيف² اللذين تأثرا بتلك الأحكام المتعصبة، فيقول: "لم يُخَفَّ على أحد خوف الأندلسيين من كفر الفلاسفة وأفكارهم الخبيثة عندهم، وكان نقمهم على أولئك الفلاسفة الكبار مثل فيلسوف الإسلام الكبير ابن رشد وغيرها، ومن هنا يظهر أن حكم أدباء ومؤرخي الأندلس على هذا الشاعر تحكمه التعصب الديني، فلا حرية فيه للعلم ولا للنقد الصحيح"³

و- الدفاع عن ابن هاني:

- في نهاية المقال، يبدو أن سعد الدين بن شنب يدافع عن ابن هاني ويرى أن النقد الموجه إليه غير منصف، ويطالب بالنظر إلى ابن هاني كشاعر بناءً على إنتاجه الأدبي، وليس بناءً على الأفكار الفلسفية أو المعتقدات الدينية التي حملها.

¹ كامل كيلاني (1897-1959): هو أديب ومؤلف مصري يُعد من رواد أدب الأطفال في العالم العربي، وُلد في القاهرة وكرس حياته لتبسيط القصص العالمية والتاريخية لتناسب عقلية الطفل العربي، اشتغل في التعليم والصحافة، وأسهم في تأسيس أدب الطفل المكتوب بالعربية بأسلوب بسيط يحمل قيمًا تربوية وأخلاقية، من أبرز أعماله ترجماته مثل "روبنسون كروزو" و"حي بن يقظان"، بالإضافة إلى قصصه الأصلية مثل "علي بابا" و"السندباد البحري" و"الشاطر حسن"، ترك أثرًا كبيرًا في وجدان الطفولة العربية، ولا يزال اسمه حاضرًا في أدب الأطفال حتى اليوم، ينظر: أنور الجندي، كامل كيلاني في مرآة التاريخ، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة - مصر، 1962، ص 04.

² أحمد ضيف (1880-1945): هو كاتب وناقد أدبي مصري بارز، وُلد في مصر وتلقى تعليمه في الأزهر الشريف، ثم التحق بدار العلوم، يُعد أول مبعوث مصري لدراسة الأدب في فرنسا عام 1909، حيث نال الدكتوراه بأطروحة عن المذهب الوجداني في النقد العربي، أمضى ثمانية أعوام في باريس، زامل خلالها طه حسين، وشارك في الكتابة للصحافة المصرية، بعد عودته عام 1918، دَرَسَ الأدب العربي بالجامعة، وجمع محاضراته في كتابه "مقدمة لدراسة بلاغة العرب"، الذي كان من أوائل المؤلفات الجامعية في هذا المجال، من أبرز أعماله أيضًا كتاب "بلاغة العرب في الأندلس"، الذي أثار جدلاً مع طه حسين، كما شارك في تأليف روايتين بالفرنسية يُعتقد أنهما ألهما طه حسين في كتابة سيرته الذاتية "الأيام"، توفي أحمد ضيف عام 1945، مخلِّقًا أثرًا مهمًا في مسيرة النقد الأدبي والبلاغة العربية الحديثة، ينظر: علي شلش، أحمد ضيف، سلسلة نقاد الأدب العربي رقم 6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص 7.

³ سعد الدين بن شنب، "أبو القاسم محمد..."، المرجع السابق، ص 309.

في النهاية نستنتج أن المقال هو دفاع عن الشاعر أبو القاسم محمد بن هاني ضد الانتقادات التي وُجّهت له من الأدباء والمؤرخين في الأندلس والمشرق، يتناول التعصب الديني الذي أثر على النقد الأدبي ويشدد على ضرورة الفصل بين الجانب الأدبي والجانب الديني عند تقييم الشاعر، كما يعتبر الكاتب سعد الدين أن النقد المتحيز الذي تأثر بالأفكار الدينية كان سبباً في تجاهل قيمة ابن هاني كشاعر عظيم، خاصة في بيئة أندلسية مليئة بالصراعات السياسية والدينية.

2.4. مقال إلى الأستاذ رابح بونار-حول النهضة الأدبية في الجزائر لأبو القاسم سعد الله:

هذا المقال الذي كتبه أبو القاسم سعد الله هو رد على نقد رابح بونار لمقاله، ولأننا سنتعرض لرابح بونار لأول مرة فيمكننا تقديم تعريف لهذه الشخصية فقد وُلد في 25 أبريل 1923 بقرية أرجاونة بالقرب من مدينة تيزي وزو، حيث بدأ مسيرته التعليمية، وتلقى دروس القرآن الكريم أولاً، وقد حفظه بتمام، كما درس المبادئ العلمية في زاوية شريف الإفليسي في تمليلين بمنطقة القبائل الكبرى، انتقل بعدها إلى زاوية عمرو شريف بـ "يسر" في منطقة برج منايل، ومن ثم انتقل إلى مدينة تبسة لمتابعة تعليمه في المدرسة، ومن بين معلميه كان الشيخ العربي التبسي، ولم يكتف بتعلمه في بلاده فقط، بل انتقل في سنة 1941 إلى جامع الزيتونة، وحصل هناك على شهادة الأهلية، وفي سنة 1949 حصل على شهادة التحصيل، بعد عودته إلى الجزائر، حصل على شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي من جامعة الجزائر في سنة 1963¹.

يبدأ أصل هذا المقال عندما كتب رابح بونار مقالا عن حول النهضة الأدبية في الجزائر بجريدة البصائر في العدد 270، منتقدا الوضع الأدبي في الجزائر، وقد كتب إليه في نفس الجريدة سعد الله في شهر جوان سنة 1954 تحت اسم بلقاسم القماري سعد الله، أين كان أبو القاسم شابا عضوا في رابطة القلم الجديد وكان حينها ما يزال طالبا في جامع الزيتونة بتونس، وعن محتوى المقال فيمكن تحليله كالاتي²:

أ- ملاحظة أبو القاسم سعد الله أن رابح بونار استلهم فكرته في مقاله من كاتب آخر وهو شكري فيصل: يبدو أن أبو القاسم سعد الله يعبر عن انطباعه بمقال قام الكاتب بكتابته في مجلة "البصائر"، ويشير إلى أنه استمتع بقراءة الكلمات الطيبة التي كتبها الكاتب، ويعتبر الباحث أن الكاتب رسم خطوطاً جديدة، ربما كانت مختلفة عن الكتابات السابقة في الجزائر، وربما في العالم العربي ككل.

¹ بسكر، أعلام الفكر ...، المرجع السابق، ص 250.

² سعد الله، "إلى رابح بونار حول النهضة الأدبية في الجزائر"، البصائر، ع 275، 18 جوان 1954، ص 569.

ثم يقارن بين مقالة الكاتب وافتتاحية كتبها الدكتور شكري فيصل في مجلة "الآداب"، مشيرًا إلى أنهما اتفقا في بعض النقاط واختلفا في أخرى، ويرى الباحث أن الكاتب اتبع مسارًا أدبيًا في تعبيره، في حين اتبع الدكتور شكري مسارًا أكاديميًا وعلميًا، كما يشير إلى أن الكاتب قد استعمل مصطلحات مختلفة عن تلك المستخدمة في المقال الأصلي، ويظهر هذا الاختلاف في استخدام كلمة "التوتر" بدلاً من "القلق" واستخدام "الانتاج" بدلاً من "المنتج".

ب- الإشارة لرابح بونار بأنه تسرع في حكمه على الواقع الأدبي في الجزائر.

الكاتب أبو القاسم سعد الله يستعرض فكرة مقاله ويشير إلى أن التسرع في استخدام مصطلحات معينة مثل "التوتر" قد يكون ناتجًا عن سوء فهم للمعاني التي ينقلها هذا المصطلح، يشير إلى أن التوتر، وفقاً لعلم النفس، يمكن أن يكون ناتجًا عن عدم تحقيق ما ترغب به النفس أو مواجهتها لمواقف لا تحب، وقد يكون هذا التوتر مستمرًا في حياة الفرد.

يعبر الباحث عن اعتقاده بأن الكاتب قد تسرع في إصدار الأحكام دون التفكير العميق والتحليل، وقد يكون ذلك نتيجة لعدم النظر بعمق في الأسس والواقع وعدم تتبع المعالم التي قد توجه القارئ إلى استنتاجات مختلفة.

ويطرح الكاتب سؤالاً حول طبيعة التوتر، هل هو حالة دائمة ترافق حياة الإنسان منذ ولادته حتى وفاته، أم أنه يمكن أن يكون متقطعًا ومؤقتًا؟ كما يسأل عما إذا كان التوتر صفة ملازمة للإنسان أم صفة مفارقة تظهر في بعض الأحيان.

يشير الكاتب إلى أمثلة من الشعراء القدماء مثل امرئ القيس والمهلhel وزهير، الذين عاشوا حياة مليئة بالتوتر والقلق والاضطراب، ويرى أن هذا التوتر قد يكون تجسيدًا للتوتر الجماعي أكثر من التوتر الفردي.

يقدم سعد الله تحليله لماضي الشعراء القدماء ويشير إلى أنهم قد تعاملوا مع ظروف حياتهم بشكل يعكس التوتر والضغوط الاجتماعية والنفسية التي كانوا يعيشونها، ويقترح أن التوتر الذي يعاني منه الإنسان قد يؤثر على إبداعه ونتاجه الفني والأدبي.

يبدو أن الكاتب أبو القاسم سعد الله يعبر عن استغرابه من تصريحات بونار السابقة، حيث يقترح أن الشعراء القدماء مثل جرير والفرزدق والأخطل لم يعانون من توتر أو قلق أو حيرة بعد أن أفحمهم ببلغة القرآن، ويشير إلى أنهم كانوا يعيشون في بيئة إسلامية خالصة ولم يتعرضوا لأي انتكاس، ويوجه الكاتب سؤالاً بخصوص هذا التصريح

المتناقض، حيث يتساءل عن متى كان هؤلاء الشعراء الثلاثة قد أفحموا ببلاغة القرآن ومتى تفتحت نفوسهم من جديد، مشيرًا إلى أن التاريخ الأدبي يظهر أنهم عاشوا في بيئة إسلامية ولم يتأثروا بأي انتكاس.

يبدو أن سعد الله يتساءل عن صدقية هذا الادعاء ويعبر عن شكه في مصداقية التصريحات، ويتساءل عن الغرض من هذا الكلام المتضارب والمشوب بالتناقضات.

ج- شرح سعد الله الفرق بين التوتر النفسي الذاتي وتوتر الضمير الجماعي:

يدعو سعد الله الكاتب رابح بونار بأن يفهم أن التوتر النفسي هو لحظي، لا يمكن ربطه بالإبداع الأدبي للإنسان الذي يمر بمراحل كثيرة في حياته يفقد فيها توتره أحياناً وأحياناً يلازمه، فهو ليس توتراً دائماً، وأن التوتر الذي يكتب به الجزائري هو توتر الضمير الجماعي والكلبي.

قدم سعد الله مثالا على حجته بأنه لو كان كل توتر نفسي يجعلنا نبدع في الأدب لكان كل إنسان يفقد أبا أو أخا يصبح أديبا.

د- يطرح سعد الله تساؤلا عن مدى اعتبار اللحظات الانفعالية الصادقة للأديب التي أنتجت عملا أديبا ما إن كان هذا العمل يعبر عن النهضة؟

سعد الله يبدو أنه يعرض فكرة حول التأثير النفسي على الإبداع الفكري والأدبي، يشير إلى أن اللحظات النفسية المنفصلة، مثل التوتر والانفعالات، يمكن أن تؤدي إلى إنتاج أفكار صادقة وأعمال فنية تبقى مؤثرة وحديثة بالبقاء، ومع ذلك، يثير سؤالاً بشأن مدى صدق وقيمة الأعمال الفنية التي تأتي نتيجة لتفاعلات نفسية مؤقتة، ويتساءل عما إذا كانت هذه الأعمال قادرة على التعبير عن نهضة وحياة حقيقية، أو إذا كانت مجرد نتائج مؤقتة تخلو من العمق والمعنى الحقيقي، ويعرض مثالا على ذلك، يسأل إذا ما كان الشعر الذي كتبه امرئ القيس في فترات مختلفة من حياته، وبين مختلف الظروف التي مر بها، قادراً على التعبير عن الصدق والخلود، حتى لو كتب قبل أو بعد تجربة نكبة أو توتر نفسي، يبدو أنه يشكك في مدى صدق وعمق هذه الأعمال الفنية التي تأتي بدوافع نفسية قد تكون مؤقتة، كما يشير سعد الله إلى أن الإبداع الفني والأدبي يتأثر بشكل كبير بالتوتر والضغط النفسية، ويرى أن التوتر يمكن أن يكون محفزاً قوياً للإبداع، ولكنه ليس شرطاً للإبداع، ويفند أمثلة بونار التي استقاها من فترة صدر الإسلام وأن الشعراء الذين قدمهم كأغودج أي جرير والأخطل والفرزدق لم يعيشوا توتراً نفسياً ولكنهم أبدعوا بسبب ولكن سعد الله لم يشر إلى سبب إبداعهم إن كان توتر الضمير الجماعي.

هـ- نقد سعد الله لرأي رابح بونار عن كتابات المنفلوطي:

سعد الله يعبر عن إعجابه بالتعليقات التي قدمها بونار حول مذهب المنفلوطي ومزجه بين القديم والجديد، ومع ذلك، يلاحظ أن بونار يستنتج بعض الأحكام النهائية في نهاية الرواية، وهو ما يثير استفساره حول من الذين يتبعون هذا المذهب في القصة والملحمة والرواية المسرحية، يبدي سعد الله شكاً كبيراً في أن مذهب المنفلوطي لا يزال قائماً في الأدب العربي المعاصر، خاصة في الأنواع الأدبية الحية مثل القصة والملحمة والمسرحية، يستند اعتقاده إلى تطور الأدب العربي المحسوس، واندماجه مع آداب الغرب، يذكر أيضاً مدرسة شوقي الشعرية كمثال على الاتجاه الذي يأخذه الأدب العربي نحو الحداثة والتجديد، ويبدو أن سعد الله يعبر عن تحفظه تجاه استمرارية مذهب المنفلوطي في الأدب العربي المعاصر، ويشير إلى أن الأدب العربي يتطور بشكل ملحوظ ويتأثر بالتغيرات الثقافية والفكرية الحديثة.

و- لا يوجد نهضة أدبية في الجزائر بعد بحسب رأي سعد الله لأن ما يُكتب قليل جدا في مساحة محدودة وهي الجرائد.

سعد الله يتحدث هنا عن الواقع الأدبي في الجزائر ويعبر عن مخاوفه وتساؤلاته بشأن مستقبل الأدب في هذا البلد، يشير إلى أن النهضة الأدبية في الجزائر قد لم تتجاوز فترة من التوتر والصراعات، كما يعتقد بونار، ويقترح سعد الله أن هذه الطفرة العاطفية التي تشير إلى تقدم الأدب الجزائري قد تكون تحدياً للواقع المؤلم الذي يعيشه الفكر الجزائري في مختلف جوانبه، يشير إلى أن النفثات الشعرية أو الأدبية الناشئة قد تكون إبداعية ومميزة، ولكنها قد لا تكون كافية لمواجهة التحديات والمشاكل الحقيقية التي يواجهها المجتمع الجزائري.

يرى سعد الله أنه قد يكون هناك خطر من الوقوع في مغالطة الواقع، أي تجاهل الواقع الصعب الذي يعيشه الفرد والمجتمع في الجزائر، وذلك عن طريق التركيز فقط على الجوانب الإبداعية والجمالية للأدب، يرى أنه من المهم أن يكون الأدب جزءاً من التحول الاجتماعي والثقافي، وأن يعبر عن الواقع بكل صدق وصراحة، بدلاً من الانغماس في الخيال والجمالية فقط.

ز- الإشارة إلى أن بونار متناقض في نظره إلى التوتر النفسي للأديب بين نفعه للأدب وبين وجوب تجاوزه للارتقاء بالأدب.

يرى سعد الله أن العواطف والانفعالات النفسية قد تؤثر على الفكر والتصرف بطرق لا يشعر الشخص بتأثيرها بشكل مباشر، يبدو أن سعد الله يشير إلى أن الأفعال والكلام قد يتناقضان مع النوايا أو القيم الحقيقية للشخص في حالات معينة، على سبيل المثال، يطرح السؤال عما إذا كانت الأفكار التي تنشأ بدافع الانفعال النفسي تعكس بشكل كامل نضوجاً فكرياً أو لا، ويتساءل عما إذا كانت هذه الأفكار تحمل نفس القيمة والعمق

الذي قد يكون للأفكار التي نضجت بشكل هادئ ومتأن، وبالنسبة لمثال شعر أمري القيس، يمكن أن يكون للشعر الذي أنشأه في طوره الأول والثاني قيمة أدبية وفنية، بغض النظر عن مصدر الانفعال النفسي الذي دفعه للتعبير، يمكن أن يكون لهذا الشعر صدقًا وعمقًا رغم أنه قد لا يكون ناتجًا عن تجارب محددة من التوتر النفسي، فالإبداع الأدبي يمكن أن يكون نتاجًا لمجموعة متنوعة من العواطف والتجارب الشخصية، وليس بالضرورة أن يكون مرتبطًا بتجارب محددة كالنكبات والتوترات اللحظية المؤقتة.

يواصل سعد الله نقده لبونار المتناقض في طرحه حيث يقول سعد الله: ان الانتاج الفني يتوقف لكي يكون ساميا على التوتر، ولكن الذي يجيء فبعد كلامك السابق عن النهضة الجزائرية تقول: وسيكون للأزمة التي يعانيتها الأدباء والتوتر النفسي الذي ييث القلق ويدفع من حين إلى آخر أدبيا من الأدباء إلى الاستصراخ والاستفزاز نتائج باهرة ... فكيف يتلاءم هذا مع ذلك وقد كنت تقول ان النهضة عندنا قد اجتازت التوتر واندفعت في الميدان¹.

ح- دعوة بونار إل تقبل رأي ناقده سعد الله وإلى مناقشته في مقال آخر.

يشرح سعد الله أن النقد الذي قدمه ما هو إلا إخلاص للأدب والتاريخ ودعوة إلى الحوار بينه وبين بونار لإثراء النقاشات، ويجدر الإشارة أن سعد الله في هذه العام كان يبلغ من العمر أربع وعشرون سنة بينما رابح بونار واحد وثلاثون عام، فمساحة طرح الأفكار والرد عليها ونقدها كانت متاحة للشباب، فبونار المتفائل بالوضع الأدبي في الجزائر ووصفه بالنهضة كونه شاب فهو في أوج التفاؤل أما سوداوية سعد الله وهو أصغر سنا من بونار في وضع الأدب في الجزائر هو ما يثير الاهتمام، فلقد كان سعد الله أكثر واقعية من بونار حيث أنه يرى أن الأدب في الجزائر قليل ومتناثر في قليل من الصحف، ومن خلال دراستنا كلها نلمس أن الواقع الأدبي تلك الفترة متردي يخلو من شروط الكتابة كحرية التعبير والوضع المادي لنشر كتاب، فإن أجازت فرنسا الطباعة كان الكاتب يشعر أنه تحت سلطة أخرى اجتماعية أو ثقافية تمنعه من التعبير كما سبق وأن حللنا هذه النقطة، كما أن أسلوب سعد الله الأدبي في النقد قوي فهو يضع بونار تحت المجهر حتى في مصدر إلهام بونار لهذا المقال، كما أن سعد الله يظهر قوة في الادلاء بالحجة والتحليل وإعطاء المصطلحات حقها، هذا ما يمنحنا نظرة على ثقافة سعد الله في المطالعة ومتابعة الأعمال الأدبية في المجالات والكتب وهو طالب في الزيتونة.

3. نقد الكتب والمواضيع الأدبية

¹ سعد الله، "إلى رابح بونار..."، المصدر السابق، ص 569.

1.4. نقد كتاب امرأتنا للشيخ الطاهر الحداد لعبد الحميد بن باديس

نشرت الشهاب في ديسمبر 1930 مقالا يتناول كتاب "امرأتنا"¹ للشيخ الطاهر الحداد²، والذي يبدو أنه أثار جدلاً حول مسألة تعليم المرأة والنهوض بها في إطار إسلامي، فينتقد الكاتب دعوة الحداد لإبطال بعض أحكام القرآن، معتبراً أن هذا يشكل جرحاً للنصوص الإسلامية، الانتقاد يُظهر انقساماً بين الرغبة في تحديث التعليم والمساواة للمرأة، وبين الحفاظ على الحدود الدينية الثابتة، يبدو أن الكاتب يشعر بالقلق من تأثير هذه الأفكار على العقيدة الإسلامية، مشيراً إلى أهمية الالتزام بالنصوص القرآنية وعدم التحريف.

هذا المقال هو لكاتب مجهول، لم يكتب اسمه آخر هذا المقال القصير، ربما لأنه نفسه صاحب الشهاب وهو عبد الحميد بن باديس، وقد نشره سنة 1930 في مجلة الشهاب وقد عنوانه ب: كتاب "امرأتنا" للشيخ الطاهر الحداد⁴.

يناقش كتاب "امرأتنا" للشيخ الطاهر الحداد قضايا المرأة وتعليمها في إطار الإسلام، الكاتب يوضح أنه كان لديه توقعات إيجابية حول محتوى الكتاب بناءً على محادثات سابقة مع الشيخ الحداد، حيث كان يظن أن الكتاب سيتناول النهوض بالمرأة بشكل يتماشى مع تعاليم الإسلام ويعزز دورها دون المساس بحدود الدين أو أنوثتها.

أولاً، يمكن ربط هذه الحركة النسوية بمجموعة الإنجازات التي تحققت لصالح النساء ضمن إطار الرؤية الإصلاحية للقرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، والتي أدت إلى تراكم العديد من التصريحات والكتابات، ومن أبرزها كتاب الطاهر الحداد "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" (1930)، كما يُمكن الاعتراف بهذه الحركة وكشفها من

¹ الطاهر حداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، د ن، تونس، 1930.

² الطاهر حداد: هو كاتب سياسي واجتماعي بارز في الفكر التنويري التونسي والعربي، وُلد سنة 1899 في تونس العاصمة، نشأ في أسرة شعبية وتلقى تعليمه في الكتاب وجامع الزيتونة، حيث تأثر بالثقافات الأجنبية من خلال ترجمات وأدب، تخرج من جامع الزيتونة سنة 1920 ودرس القانون، لكنه انشغل بالعمل السياسي والاجتماعي، انضم إلى الحزب الحر الدستوري وشارك في حركة كفاح ضد الاستعمار، عُرف بمواقفه المؤيدة لحقوق المرأة، ونشر كتاب "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" الذي دعا فيه إلى تحسين وضع المرأة وتحديث الأحوال الشخصية، تعرض لانتقادات شديدة وضغوط من قوى تقليدية، مما أدى إلى عزله في السنوات الأخيرة من حياته، توفي سنة 1935، لكن أفكاره حول التحديث والحرية ما زالت مؤثرة حتى اليوم، ينظر: أبو القاسم محمد كرو، الطاهر حداد رائد الحرية ونصير المرأة، دن، تونس، 1957.

³ تم الرد على هذا الكتاب بكتاب آخر اسمه الحداد على امرأة الحداد.

⁴ مجهول، "كتاب امرأتنا للطاهر الحداد"، الشهاب، مج 12، ج 02، ديسمبر 1930، ص 714.

خلال الأدبيات النسائية والنسوية التي تعبّر عن منزلة معينة للنساء وظروف معينة للمجتمع، أو من خلال العدد الكبير من التظاهرات التي تعكس رفض النساء للصورة النمطية التي تُصوّرهن بالإقصاء، مما يترك أثراً في كل مجتمع¹.

يُعبّر كاتب المقال عن صدمته عندما قرأ الكتاب، إذ وجد أن الشيخ الحداد يتجاوز التوقعات ويدعو إلى إبطال أحكام قرآنية صريحة وتعطيل بعض الآيات، بزعم أنها غير مناسبة للمرأة في العصر الحديث، يعتبر الكاتب أن هذه الدعوة تمثل "جحوداً" للقرآن، وهو ما يعادل إنكار القرآن بأكمله، مما يضع الشيخ الحداد في موقف يتعارض مع أساسيات العقيدة الإسلامية.

الكاتب يتساءل عما إذا كان الشيخ الحداد يجهل خطورة هذه الدعوة أو إذا كان قد اختار بوعي المضى فيها، معرباً عن قلقه بشأن مصير الشيخ الحداد إذا استمر في هذه الآراء، وعلى الرغم من ذلك، يطمئن الكاتب أن المسلمين لن يتأثروا بهذه الدعوة لأنهم يعتبرون إنكار أي جزء من القرآن كفرًا به، ولكنه يخشى على الشيخ الحداد نفسه من الهلاك إذا لم يتراجع عن موقفه.

المقال يعكس صراعاً بين محاولات التحديث والتغيير في قضايا المرأة وبين الحفاظ على القيم الدينية، كما يعبر عن القلق من الانحراف عن تعاليم الإسلام ويطرح تساؤلات حول حدود الإصلاح الديني

2.4. مقال مع المتنبّي لطله حسين لفرحات بن الدراجي

فرحات بن الدراجي هو أحد الشخصيات البارزة في الحركة الإصلاحية الجزائرية وأحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وُلد في بلدة ليشانة بولاية بسكرة سنة 1909، تعلّم مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بجامع الزيتونة في تونس حيث تخرج سنة 1931، وقد كان فرحات بن الدراجي معروفاً بشغفه الكبير بالعلم والكتب، وقد قضى حياته في اقتناء الكتب وقراءة المؤلفات المختلفة، شارك في نشاطات جمعية العلماء المسلمين وساهم في نشر الدعوة الإصلاحية والتعليمية في الجزائر وفرنسا، كما تولى مهام تعليمية وتوجيهية، خاصة في أوساط الجالية الجزائرية في المهجر، اشتهر بجرأته في النقد وصراحته في التعبير، وكان يمتاز بسعة اطلاعه وقدرته على الإلقاء والارتجال².

¹ إلهام المرزوقي، الحركة النسائية في تونس في القرن العشرين، تر: آمال قرامي، أنوار قرطاج (المركز الوطني للترجمة) دار سيناترا، تونس، 2010، ص10.

² مجهول، ترجمة الشيخ فرحات بن الدراجي، مركز سلف للبحوث والدراسات، الجزائر، د ت، ص ص 2-7.

المقال الذي نشره فرحات بن الدراجي في مجلة "الشهاب" في 2 ماي 1937 يعد وثيقة ثقافية وتاريخية هامة في سياق تطور الفكر النقدي الجزائري في تلك الفترة، يتناول المقال نقداً لكتاب "مع المتنبي"¹ للكاتب طه حسين، الذي كان حينها من أبرز المفكرين والأدباء العرب².

يتناول فرحات بن الدراجي في مقاله نقداً لكتاب "مع المتنبي" من زاويتين:

– **الزاوية الدينية:** الدراجي يعبر عن استغرابه من أن طه حسين بدأ كتابه بالبسملة وآية من القرآن، وهو ما لم يكن معتاداً في مؤلفات طه حسين السابقة، فيقول: "أخرج الدكتور طه حسين أخيراً كتاباً عن شاعر العروبة النبيل أبو الطيب المتنبي، سماه مع المتنبي، ولقد كان عجبنا شديداً ودهشتنا مضاعفة عندما فتحنا الكتاب فوجدناه مصدراً بالبسملة وآية من القرآن الكريم، ولا غرابة أن يستولي علينا العجب، فنحن نعرف مؤلفات الدكتور طه – التي تزيد على العشرين تأليفاً – ولا يوجد منها كتاب واحد مبدوء بالبسملة"³ كما يتناول نقد طه حسين لبعض أشعار المتنبي التي تحمل إجحاءات بالإلحاد، مشيراً إلى قدرة طه حسين على تمييز هذه المعاني، فيقول: "وأعجب من هذا أن نجد الدكتور طه حسين أثناء الكتاب، عندما عرض لبعض القطع من شعر المتنبي بالنقد والتحليل، يقول مثلاً: هذا الحد الشاعر أو الشاعر في هذه الأبيات ملحد أو يدعو إلى الإلحاد، وما أشبه ذلك، والدكتور طه حسين صادق إذا أدرك الإلحاد في أثر أديب من الأدباء، فلا يدرك الإلحاد إلا مثل الدكتور طه حسين"⁴

– **العلمية والأدبية:** المقال يذهب إلى أن الكتاب لا يقدم إضافة علمية كبرى ولا يُعد من أفضل أعمال طه حسين، مشيراً إلى أن المؤلف نفسه قد اعترف بأنه قصد إلى "العيب لا إلى العلم، وإلى الهزل لا إلى الجد"، فرحات بن الدراجي يعبر عن خيبة أمله في أن طه حسين كان أكثر جدية في شبابه مقارنة بكهولته، فيقول: "أما حظ الكتاب من الإجابة العلمية ومكانته من الناحية الأدبية، فهو من أضعف آثار الدكتور طه وأقلها فائدة،

¹ كتاب "مع المتنبي" لطله حسين يتناول دراسة شاملة لشعر المتنبي وشخصيته، حيث يقدم رؤية نقدية حول حياته وأعماله الشعرية، الكتاب يبدأ بمقدمة حول البيئة التي نشأ فيها المتنبي، ويركز على تطور شخصيته الأدبية وتأثير الأحداث التاريخية عليه، وخاصة علاقته مع سيف الدولة الحمداني وكافور الإخشيد، طه حسين يعرض المتنبي ليس فقط كشاعر، بل كفيلسوف ثائر، ويحلل طموحه ومعاناته وصراعاته الداخلية التي انعكست في شعره، كما يناقش حسين كيف تعاطى المتنبي مع المديح والهجاء ومكانته في تاريخ الشعر العربي، الكتاب يركز على ثلاث مراحل رئيسية في حياة المتنبي: فترة الشباب والبحث عن الذات، علاقته بسيف الدولة، ثم خيبة الأمل مع كافور، ينظر: طه حسين، مع المتنبي، دار المعارف، مصر، 1937.

² فرحات بن دراجي، "مع المتنبي لطله حسين"، الشهاب، مج 13، ج 03، 02 ماي 1937، ص 145.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

ولقد كان بودنا أن نعرض للكتاب بالنقد ونظهر ما فيه من خطأ وتهاوت، لولا أن صاحبه اعتذر في مقدمة الكتاب وخاتمته بأنه لم يقصد من كتابه إلى التحقيق العلمي، وإنما قصد به إلى العبث لا إلى العلم، وإلى الهزل لا إلى الجد¹. لهجة النقد لدى فرحات بن الدراجي تجاه طه حسين تتسم بالحدة والسخرية، إذ يعبر عن دهشته وانتقاده بشكل لاذع دون محاولة التوازن، كما يشير إلى ما يراه تناقضاً أو تراجعاً في مستوى حسين الأدبي، مستخدماً أسلوباً فيه تلميحات استهزائية، خصوصاً عندما ينتقد دوافعه الدينية والأدبية.

كما يعكس المقال الاهتمام الكبير لدى المثقفين الجزائريين بالأدب العربي، ويدل على تفاعلهم مع النقاشات الفكرية التي كانت تدور في العالم العربي، رغم انشغال الجزائريين بمقاومة الاحتلال، إلا أن النقد الأدبي والفكري كان جزءاً من نضالهم الثقافي لحماية الهوية العربية والإسلامية.

من جهة أخرى، يمكن النظر إلى المقال كنقد يهدف إلى الحفاظ على النزعة الدينية والأخلاقية في الأدب والفكر، وهو توجه يتسق مع حركة الإصلاح التي قادها العلماء الجزائريون مثل ابن باديس، نقد الدراجي لطه حسين قد يكون جزءاً من توجه أوسع يرى في طه حسين مفكراً حديثاً قد تجاوز في بعض الأحيان القيم الإسلامية التي يحرص عليها المصلحون الجزائريون.

مقال فرحات بن الدراجي في "الشهاب" يمثل جزءاً من المشهد الثقافي الجزائري في فترة حساسة من تاريخ البلاد، في ظل الاحتلال الفرنسي، كانت الكتابات النقدية وسيلة للتعبير عن الهوية والمواقف الفكرية، نقد طه حسين في هذا المقال يعكس الاهتمام بتوجيه الأدب نحو القيم الدينية والأخلاقية، وهي قضايا كانت محورية في فكر الإصلاحيين الجزائريين.

3.4. مقال على هامش الكتب الحديثة لسعد الدين بن أبي شنب

هذا المقال هو للكاتب والناقد سعد الدين بن أبي شنب وقد نشره سنة 1938 في مجلة الشهاب وقد عنوانه ب: (على هامش الكتب الحديثة²) قدّم لنا أفكاراً قمنا بتحديد كالاتي:

أ- إنجازات السيد أنري بيريس: بين أطروحتين في الآداب العليا:

¹ نفسه، ص 145.

² بن شنب، "على هامش الكتب الحديثة"، الشهاب، ج 06، مج 14، أوت 1938، ص ص 12-17.

الفقرة تتحدث عن الإنجازات العلمية والأكاديمية للسيد أنري بيريس، الذي يشغل منصب أستاذ في كلية الآداب العليا بالخرائط، يُشير النص إلى أنه قدّم اثنين من الكتب الأكاديمية التي حظيت بتقدير كبير، مما أهله لهذا المكانة المرموقة في المجتمع الأكاديمي.

الكتاب الأول يتناول موضوع "الشعر الأندلسي في القرن الحادي عشر بعد الميلاد"، مسلطاً الضوء على اللغة الفصحى وأهميتها الاستدلالية في تلك الفترة التاريخية، أما الكتاب الثاني، فهو يتناول وجهة نظر المسلمين الراحلين حول إسبانيا، منذ سنة 1610م حتى سنة 1930م، كما يبرز سعد الدين أهمية هذين الكتابين من خلال الإشارة إلى عمق البحث والتحليل الذي قام به السيد أنري بيريس، حيث يظهر أنه قام بدراسة شاملة لمئات المجلدات وآلاف الأسباب، وقدم تحليلات دقيقة تعكس فهماً شاملاً للشعر الأندلسي وتاريخ المسلمين في إسبانيا.

ب- كتاب الأستاذ ليفي بروفنسال وإسهامه في كشف حقائق الأندلس الإسلامية:

في هذه الفقرة يشير بن أبي شنب إلى كتاب الأستاذ ليفي بروفنسال الذي تم نشره منذ حوالي ست سنوات -أي بتاريخ 1932- والذي يتناول موضوع إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر بعد الميلاد، أو الرابع للهجرة، يوضح النص أن الكتاب قد أظهر الحقيقة العمرانية للأندلس التي كانت مجهولة من قبل، وعرف قراءه على تنوع سكان الأندلس وعناصرهم المتفرقة، وكيف تداخلت معاً حتى شكلوا مجتمعاً مميزاً، يشير بن أبي شنب أيضاً إلى استنتاجات الأستاذ ليفي استناداً إلى المخطوطات الموجودة في خزائن المغرب الأقصى أو في عواصم إسبانيا وفرنسا، حيث استخرج تاريخ الحكومة في أيام المسلمين الأمويين، وتنظيمهم للوظائف الشرعية والشرطية، وكيفية تحصينهم للشعور وتركيب الجيوش، كما يعتقد سعد الدين بأن الكتاب يقدم معلومات وثيقة حول الحياة الاقتصادية للأندلسيين، حيث كانوا فلاحين متقدمين زادوا في زراعة الأراضي الأندلسية وتطوير أنواع جديدة من الفواكه، وكذلك كانوا أصحاب صناعات متطورة رفعوها إلى مستويات عالية من الرقي والاتقان.

ج- تأثير كتب الأستاذ ليفي بروفنسال¹ (Lévi-Provençal) في فهم تاريخ وثقافة الأندلس الإسلامية:

¹ إيفاريسست ليفي-بروفنسال (1894-1956): هو مستشرق ومؤرخ فرنسي وُلد في الجزائر لعائلة يهودية من أصول بروفنسالية، ويُعد من أبرز الباحثين في تاريخ الأندلس الإسلامية، تلقى تعليمه الأولي في الجزائر، ودرس على يد المستشرق رينيه باسيت، ثم شارك في الحرب العالمية الأولى وأصيب في معركة الدردنيل، بعد الحرب، توجه نحو الدراسات الإسلامية، خاصة تاريخ الأندلس، فأسس وأدار معهد الدراسات الإسلامية في جامعة باريس (السيوربون)، من أبرز أعماله كتاب "تاريخ إسبانيا الإسلامية" بثلاثة أجزاء، وكتاب "إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر"، كما حقق العديد من النصوص العربية مثل "رسالة ابن عبدون"، تميز بدقته الأكاديمية واعتماده الواسع على المصادر العربية الأصلية، وساهم في وضع أسس علمية حديثة لدراسة الأندلس في الغرب، توفي في باريس عام 1956، تاركاً إرثاً علمياً لا يزال حاضراً في مجال الدراسات الإسلامية، ينظر:

Régis Blachère, Évariste Lévi-Provençal (1894-1956), *Arabica*, N°2, May 1956, p 133-135.

تستعرض هذه الفقرة تأثير كتب الأستاذ ليفي بروفنسال في فهم تاريخ وثقافة الأندلس الإسلامية، حيث تُبرز مزايا عديدة في مؤلفاتها التي أسهمت في تقديم صورة شاملة عن الحياة الأندلسية، فقد قدّما وصفًا دقيقًا للحياة الحضرية والإدارية، وسلطا الضوء على انتشار اللغة العربية في الأندلس وأثرها العميق في مجالات الثقافة والتعليم، كما تناولوا بالمقارنة المدنية الإسلامية في الأندلس والمدنية الشرقية، موضحين أوجه التشابه والاختلاف بينهما، ومن الجوانب البارزة في دراساتها أيضًا، إبراز أهمية الشعر الأندلسي ودوره في ترسيخ الهوية الثقافية والقومية، من خلال استعراض نماذج من الشعراء وأعمالهم، وأكد الكاتبان على استمرار تأثير الثقافة العربية والإسلامية في المجتمع الأندلسي، في مقابل تأثير محدود للثقافة الإسبانية المسيحية، ويُبرز سعد الدين في هذا السياق أهمية الدراسات النقدية والبحثية التي تتيح فهماً أعمق وأشمل لحضارات العالم المختلفة، بما يعزز تقديرنا للتراث الإنساني المشترك.

د- تحليل آراء المسافرين المسلمين حول إسبانيا في كتاب الأستاذ بيريس: نظرة نقدية لتاريخها وثقافتها:

الأستاذ بيريس في كتابه "إسبانيا في نظر الرحالين المسلمين من سنة 1610 إلى سنة 1930 يقدم تحليلاً شاملاً لآراء المسافرين المسلمين حول إسبانيا خلال الفترة المذكورة، يستند الكتاب على الرحلات المسجلة والمطبوعة أو المخطوطة، حيث يفحص بيريس الآراء والملاحظات التي قدمها كل مسافر بخصوص المدن والمواقع التي كانت تحت حكم المسلمين وانتقالها إلى الحكم الإسباني المسيحي، يسلط بيريس الضوء على بعض النقاط الرئيسية، ومنها:

- نقد السراح المسلمين على اهتمامهم بمآثر أجدادهم في إسبانيا، دون الانتباه إلى التغيرات التي طرأت على الأرض والشعب بعد الفتح الإسباني.

- تحليل النظريات والأفكار التي أثرت في رؤية المسافرين المسلمين لإسبانيا، بما في ذلك تأثير الأديان والعواطف الشخصية على تقييمهم للتاريخ والثقافة الإسبانية.

- استعراض تطورات وتغيرات وجهات النظر للمسافرين المسلمين، بدءاً من القرون الوسطى وصولاً إلى العصر الحديث، مع التركيز على كيفية تأثير ذلك على الفهم الشامل لتاريخ إسبانيا.

بيريس يعرض كيفية تحسين وتطوير نظرية المسافرين المسلمين لإسبانيا، وكيف أن تلك الآراء ساهمت في فهم أعمق وأكثر تعقيداً للتاريخ والثقافة الإسبانية، كما يؤكد على أهمية التحليل النقدي والتقييم الشامل لمختلف الآراء والملاحظات التي تقدمها الرحلات المسلمين، وكيف يمكن استخدامها في توجيه البحث التاريخي والثقافي في المستقبل. وبعد استعراضنا لمحتوى المقال يمكننا فهم مدى الوعي النقدي لدى سعد الدين وثقافته في المطالعة، ولقد لخص سعد الدين كتابين في سطور مقاله وكأنه يفتح شهية مطالعتهما للقراء، كما أنه يبيدي اهتمامه بالتراث والثقافة

الإسلامية التي يكتب ويؤرخ لها الغرب فينقد تلك الكتابات أو يثني عليها، ويمكننا التعرف على أسلوب الكاتب أكثر في العنصر القادم.

4.4. مقال الربيع في الشعر الجزائري المعاصر لأحمد بن ذياب:

أحمد بن صالح بن أحمد الملقب بابن ذياب القنطري البليدي كان عالماً إصلاحياً، مدرساً، أديباً، كاتباً مسرحيات، شاعراً وناقداً، وُلِدَ في بلدة القنطرة وترعرع فيها، بدأ تعليمه في كتاب البلدة على يد الشيخ موسى الزباني، ثم انتقل في عام 1930 إلى زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة حيث درس على يد علمائها، ومن أبرزهم عبد الله الأخضر، وكان له تأثير كبير من الشيخ عبد الله بن المبروك العثماني، خريج جامعتي الزيتونة والأزهر ودفن المدينة المنورة، في عام 1933، انتقل إلى مدينة قسنطينة حيث درس على يد الإمام عبد الحميد بن باديس لمدة سنتين، ثم سافر إلى تونس في 1935 والتحق بجامعة الزيتونة، حيث انكب على طلب العلم وحصل على الشهادة الأهلية في عام 1938 وشهادة التحصيل في 1941¹، عُيِّن في عدة مناصب تعليمية في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ حيث شغل منصب مدير مدرسة التهذيب ببرج بوعريرج من 1942 إلى 1948، ثم مدير مدرسة التربية والتعليم بسيدي بلعباس من 1948 إلى 1950، كما ترأس مدارس أخرى في العلةمة، وقسنطينة، وباتنة، كما نشر العديد من المقالات والقصائد في الصحف والمجلات الجزائرية مثل جريدة "البصائر" ومجلة "هنا الجزائر"، وفي تقييم للأستاذ محمد الحسن فضلاء، يُعتبر أحمد بن ذياب أديباً، شاعراً، باحثاً ومعلماً قديرًا من بين أعماله المطبوعة، نجد مسرحية "امرأة الأب" التي تناولت مشكلة استبدال الأم والمشاعر المترتبة على وفاة الأم، إضافة إلى كتابه "صحائف من التراث" الذي يتضمن مقالات تتحدث عن عظماء السلف الصالح وتاريخ الجزائر الأدبي والسياسي².

وهذا المقال نشره في مجلة هنا الجزائر سنة 1956³، وهو مقال أدبي نقدي يتحدث فيه عن موضوع الربيع في قصائد الشعراء الجزائريين، وقبل ذلك نعرف الكاتب والشاعر الجزائري الأستاذ أحمد بن ذياب الذي، وعن محتوى المقال فقد قدم لنا ابن الذياب شرحاً لكل هذه الأفكار التي طرحها ويمكن تقديم محتوى المقال كالتالي:

¹ عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان للطباعة والاشهار، الجزائر، ط1، 2014، ص 99.

² مجموعة شعراء، ديوان هنا الجزائر، المصدر السابق، ص 453.

³ أحمد بن ذياب، "الأدب العربي الربيع في الشعر الجزائري المعاصر"، مجلة هنا الجزائر، السنة الخامسة، ع 46، ماي 1956، ص7.

أ- تأثير الربيع على إبداع الشعراء الجزائريين: مع قدوم الربيع وجماله، يتأثر الشعراء ويبدعون في قصائدهم التي تعبر عن بهجة الطبيعة وسحرها، الشعراء الجزائريون، كباقي شعراء العالم، يسجلون انفعالاتهم وأحاسيسهم بطرق مختلفة؛ فبعضهم ينشر شعره للناس، بينما يحتفظ الآخرون بشعرهم لأنفسهم، رغم أن بعض الأشعار قد تفتقر إلى الكمال، إلا أنها لا تقلل من قيمتها بين أشعار العالم العربي، هذا الشعر نابع من مشاعر صادقة وتأثر بجاذبية الربيع، مما يدفع الشعراء إلى التعبير عن إبداعاتهم، الشيخ محمد العيد، مثال على ذلك، يعبر في شعره عن جمال الجزائر بعد فترة من الغيوم والاحتجاب.

ب- تقديم تجربة الشاعر محمد آل خليفة: الفقرة التي كتبها ابن ذياب في هذا المقال جاءت بعد تقديمه لأبيات من قصيدة محمد العيد، وقد أشار ابن ذياب إلى تأملات الشيخ محمد العيد الروحية والدينية، تجعله هذه التأملات يشعر بالإعجاب بدلالات وحدانية الله في الكون والمخلوقات، وهو دائماً يبحث عن العبر والحجج التي تؤكد هذه الوحدانية أينما وجدها.

ج- تفاؤل الشاعر الطاهر بوشوشي في وجه التحديات: بين جمال الربيع والهموم الشخصية: يصف ابن الزياب صديقه الشاعر بالأديب الأملعي والصديق الوفي، ويستعرض تجربة الطاهر بوشوشي، التي يتحدث فيها عن الربيع وتباشيره الجميلة التي تملأ العاصمة الجزائرية بالحياة والفرح، يصف كيف أن الربيع يجلب معه يوماً مشرقاً وجمالاً، مما يضفي الحياة وينشر الفرح في قلوب الناس، يعبر بوشوشي عن هذا الجمال والتفاؤل في قصيدته، التي تكون مليئة بالنغمات المحببة والمليئة بالتفاؤل، ومع ذلك، يظل قلب الشاعر مشغولاً ومهموماً، يحاول بوشوشي أن يواسي قلبه من خلال كلماته الشافية، متسائلاً ما الذي يمكن أن يُحسن من هذه اللوحة الفنية الجميلة؟ وما الذي يمكن أن يجعلها أكثر كمالاً؟ يعرف الأشخاص الذين يعرفون الطاهر بوشوشي أن قلبه دائماً مرح ومتفاؤل، وأنه دائماً ما يبتسم ويشعر بالفرح، وقد تمنى ابن الزياب أن يتسع الربيع في قلب الشاعر.

د- تجربة الشاعر الشيخ عبد الكريم العقون في قصيدة "تباشير الصباح": في هذه الفقرة، يتحدث الكاتب عن الشاعر الشيخ عبد الكريم العقون وقصيدته "تباشير الصباح"، ويشير ابن ذياب إلى أن الشاعر يصور في هذه القصيدة جانباً آخر من ألوان الربيع، ويقدم رسماً فاتناً لأصبوحاته المتميزة بطيف واسع من الزهور والتغريد والأنوار، ويعتبر الربيع الحمل بالسحر والجمال والروعة، مما يجعل تنظيم هذه القصيدة ضمن مجموعة الشعراء الذين يتألقون في وصف الربيع وتفاصيله الجميلة.

هـ- تجربة أحمد سحنون في قصيدته: "موكب الربيع": يختتم أحمد بن ذياب مقاله بتجربة أحمد سحنون ويستعرض إحدى روائعه في وصف الربيع، وهي القصيدة التي نُشرت تحت عنوان "موكب الربيع" في مجلة "البصائر"،

يبدأ الشاعر بوصف ويلات الشتاء وثقل ظله ونكباته على الفقراء، كأنه يريد تحميل الشتاء جريرة الظلم والعدوان، ليجعله مقارنة لصورة الربيع الجميلة، يظهر الشاعر بمهارة في رسم هذه المقارنة بين الشتاء والربيع، معبراً عن الجمال والتطور في الأدب والشعر في الجزائر عبر مداد الشاعر أحمد سحنون، ينتهي النص بإشارة إلى الأديب عثمان بن الحاج والمذيع المحبوب الذي كان مشغولاً بالأعمال الأخرى، مما جعله يتخلى عن الشعر الذي كان يتميز به، ويعبر النص عن الاحترام والتقدير للشعراء والأدباء الذين ساهموا في إثراء الأدب في الجزائر.

هذا المقال كما أشرنا سابقاً نشر شهر ماي 1956، هذه العام التي كانت الثورة في أوج اشتعالها، يكتب فيها ابن الذياب مقالا أدبيا نقدياً يأخذنا به نحو تجارب ثلاث شعراء هم محمد العيد آل خليفة، الطاهر بوشوشي، أحمد سحنون، وتحدثهم عن الربيع كموضوع في قصائدهم، عبّر الكاتب عن إعجابه بهذه القصائد، وقد كان أسلوبه لا يخلو من المجاملات المتمثلة في (الصديق الوفي، صاحب صندوق الأفكار العجيب، الأديب الأملعي، الشاعر الفحل)، فهل يقصد الشاعر بمقاله هذا عن اقتراب الربيع الذي يبحث عنه كل الجزائريون تلك الفترة فاستلهم من القصائد عنواناً لمقاله، أو أنه مقال جاء تحت القياس والطلب من إدارة هنا الجزائر التي تنشر قصائد عن البحر والصحراء والربيع وتبث أغاني الحب والسلام بينما الثورة في الجزائر في قمة اشتعالها والسياسة الفرنسية في قمة وحشيتها؟

يبقى هذا المقال جزء من التجارب الأدبية النقدية رغم أنه لا يقدم نقداً منهجياً بل هو استعراض ومدح لتجارب شعراء جزائريين ولكنه مقال متفطن حركته كثرة قصائد الربيع للشعراء بالدرجة الأولى، الربيع كموضوع متكرر في القصائد الجزائرية.

4. نقد المسرح

1.5. مقال المسرح العربي في الجزائر لسعد الدين بن أبي شنب

هذا المقال الأدبي النقدي لسعد الدين بن أبي شنب نُشر في المجلة الإفريقية سنة 1935¹، يتحدث فيه عن المسرح وتتجلى قيمة هذا المقال بأنه كشهادة عن وضع المسرح في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، ويمكن إيجاز تقديم محتوى المقال الذي كتبه سعد الدين بن أبي شنب:

أ- التحدث عن الاهتمامات الجديدة في كتابة النصوص المسرحية الدخيلة على الأدب والمسرح العربي

¹ بن شنب، "المسرح العربي..." المرجع السابق، ص 14.

يسرد بن شنب عن أن المسرح العربي الدرامي هو فن دخيل على الأدب العربي، حيث استُقبل وتطور حديثاً من الآداب الغربية، وخاصة الأدب الفرنسي والإنجليزي، بدأت الحركة المسرحية في سوريا ومصر عن طريق الترجمة والاقتباس من الأعمال الأجنبية، ثم انتقلت تدريجياً إلى إنتاج مواضيع أصيلة نابعة من البيئة المحلية، هذا التحول أثار اهتمام الأدباء والكتاب، مما دفع بعضهم إلى دراسة وتقييم هذا الفن الجديد، مثل ما فعله كاتب مصري شاب من خلال دراسة وافية.

ب- دراسة المسرح في الجزائر: أهميتها وتحدياتها في ظل قلة الوثائق والاهتمام الإعلامي

دراسة المسرح في الجزائر تظهر فائدتها رغم أن هذا المجال حديث النشأة ولا يحتل مكانة بارزة في الحياة العامة الجزائرية مقارنة بالمسرح في مصر، الوثيقة تعتبر شكلية ونسبية بسبب قلة الاهتمام من الصحافة العربية المحلية بالحركة الدراماتيكية، وقلة العروض في الصحف الفرنسية، ولذلك، يقول سعد الدين بأنه اضطر في مقاله إلى الاعتماد على ذاكرة بعض الأدباء الجزائريين وملاحظاته الشخصية المسجلة فيقول: "فاضطرت في بعض الأحيان أن أُلجأ إلى ذاكرة بعض الأدباء الجزائريين م سكان العاصمة، وفي أغلب الأحيان كنت أستعين بذاكري الشخصية وملاحظاتي المسجلة ففي سنة 1921 قام جورج أبيض¹ باعثة المسرح في مصر بمشاركة عدد من خيرة تلاميذه بجولة كبيرة عبر العالم الإسلامي لنشر الفن الدراماتيكي والإعلان عنه، فعرف المسرح لسكان شمال إفريقيا²

ج- أسباب فشل العروض المسرحية لجورج أبيض في الجزائر العاصمة

العروض المسرحية في العاصمة الجزائرية، والتي قدمت في المسرح الجديد (قاعة كورسال سابقاً)، لم تحقق النجاح المتوقع، هناك عدة أسباب لفشلها، منها: بُعد القاعة عن وسط المدينة والمناطق السكنية، وجهل العديد من السكان بوجود المسرح أو كيفية الوصول إليه، كما واجه مدير المسرح صعوبات في الإعلان عن العروض المسرحية بسبب قلة دعم الصحافة المحلية العربية وضعف الاهتمام بالإعلانات الدعائية، مما جعل هذه الإعلانات عديمة الجدوى.

¹ جورج أبيض (1880-1959): هو ممثل ومخرج مسرحي لبناني الأصل، يُعد من رواد المسرح العربي الحديث، وُلد في بيروت وهاجر إلى مصر في شبابه، حيث تبناه الحديوي عباس حلمي الثاني وابتعثه إلى فرنسا لدراسة فن المسرح في الكوميدي فرانسيز، بعد عودته، أسّس فرقة المسرحية الخاصة التي قدّمت أعمالاً مترجمة ومؤلفة، وأسهم في ترسيخ قواعد المسرح الكلاسيكي في العالم العربي، امتاز أدائه بالقوة والبلاغة، وكان أول من أدخل أسلوب التمثيل الأوروبي إلى المسرح العربي، كما ساهم في تكوين أجيال من الممثلين، وقد تقلد عدة مناصب رسمية، منها مدير المسرح القومي المصري، ترك جورج أبيض إرثاً فنياً مؤثراً ساهم في تطور المسرح العربي من الهواية إلى الاحتراف، ينظر: أحمد الجّمّال، (12 ماي 2022)، فرسان المسرح العربي: جورج أبيض... رائد التعريب المسرحي، الجريدة، استرجع في تاريخ 07 جويلية 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.aljarida.com/articles/1652287213561672900>

² بن شنب، "المسرح العربي..." المرجع السابق، ص 14.

الجمهور الجزائري كان غالبًا غير مبالٍ بالعروض المسرحية، مما جعل من الصعب ترسيخ ثقافة المسرح في الجزائر، جورج أبيض واجه جمهورًا غير متفاعل وأحيانًا معارض، مما جعل تجربته في تقديم المسرحيات مريرة وصعبة، على الرغم من ذلك، لم تكن جهوده بلا فائدة تمامًا، حيث ألهمت بعض البورجوازيين المثقفين والطلاب لتشكيل جمعية "المهذبة" بهدف توجيه الجمهور وترسيخ الذوق المسرحي، هذه الجمعية، رغم قصر عمرها وقلة عروضها، كانت تجربة مهمة مليئة بالاقتراحات والإرشادات، كما كانت هناك جهود أخرى من فرق غير رسمية وهواة قدموا عروضًا مسرحية محدودة في تلك الفترة.

المحاولات الأولى لإدخال المسرح باللغة العربية الفصحى في الجزائر واجهت صعوبات متعددة، سواء من جانب الجمهور أو الممثلين، كانت الصعوبة الرئيسية من الجمهور تتمثل في عدم فهمهم للغة الفصحى، إما بسبب جهلهم بها أو لعدم اعتيادهم على سماعها، أما من جهة الممثلين، فإلى جانب التحديات المعنوية والمادية، كان هناك نقص في الممثلات المتقنات للغة الفصحى، مما اضطرهم إلى حذف الأدوار النسائية أو إسنادها للرجال، وهو حل لم يكن مستدامًا، تشير الفقرة إلى أن هذه المحاولات كانت بمثابة مقدمة محدودة وغير ناجحة لترسيخ المسرح باللغة الفصحى في الجزائر.

د- المحاولات الأولى لإنشاء مسرح عربي جزائري:

واجهت هذه المحاولات العديد من الصعوبات والعراقيل، سواء من ناحية الجمهور الذي لم يكن معتادًا على المسرح باللغة العربية الفصحى أو من ناحية الممثلين الذين واجهوا تحديات كبيرة في التمثيل والإعلان عن العروض، كما يوضح سعد الدين كيف أن المسرح العربي في الجزائر تطور بمرور الوقت، حيث تبنى اللغة العامية والمواضيع المحلية، مما جعله أقرب إلى الجمهور وأدى إلى نجاحه واستمراره.

هـ- النص يستعرض تأثير المسرح الفرنسي العصري على المسرح الجزائري:

حيث يؤكد على وجود تأثير واضح في أسلوب التمثيل والحوار، يشير النص إلى تحديات المسرح الجزائري في تقديم الأعمال التاريخية، حيث يفضل الجمهور القصص الشعبية على الأعمال التاريخية المعقدة، يبرز النص استمداد المسرح الجزائري لمواده من التراث الشعبي والتاريخ الشفهي، مما يمنحه طابعاً شعبياً مميزاً، يستعرض النص أمثلة على المسرح الجزائري، مثل أعمال أحمد شوقي التي تركز على الشخصيات والقصص المحلية، يحتتم النص بتأكيده على أن المسرح لا يقدم التاريخ كما كان، بل كما يمكن أن يكون، مما يعكس طبيعة الفن الدراماتيكي في تأويل التاريخ وإضفاء الطابع المسرحي عليه.

و- تنوع الإنتاج المسرحي في الجزائر:

الإنتاج المسرحي في الجزائر يتميز بتنوعه وتشكيله المعقد بين مختلف أنواع الفكاهة، مثل الكوميديا العدنية والهزلية والحمقاء، دون تمييز واضح بينها، يعتمد هذا الإنتاج على إرضاء الجمهور وإضحائه، مع استثناء المواضيع المساوية بشكل شبه كامل، تظهر العناصر الميلودرامية أحياناً، كما في بعض المسرحيات، لكن يسود الطابع الكوميدي بشكل عام، تتنوع مصادر الإلهام لهذا الإنتاج، مما يمنحه طابعاً شاملاً ومتنوعاً يجذب الجمهور بمختلف أذواقه وتوقعاته.

الإنتاج المسرحي في الجزائر يظهر اهتماماً بالتقاليد القديمة والأمثلة التاريخية، حيث تبرز شخصية "بوبرمة" كمثال على ذلك، كما يُظهر العمل انتقام الفقراء من الظلم والظالمين، ويتم ذلك عادة من خلال إيجاد حلول عادلة وإلهية للقضايا الاجتماعية، تُظهر المسرحيات المحلية الجزائرية غالباً قيماً إسلامية، مما يمنحها بعداً أخلاقياً، ويركز النقاد الاجتماعيين على مسائل مثل التعصب والنقائص الاجتماعية في أعمالهم، مع استعراض الآثار السلبية للخمر والمخدرات في بعض الملاحى الشهيرة.

ز- اهتمام الجزائريين بالمسرح:

الاهتمام بالمسرح يكون ذا أهمية كبيرة لفهم الحياة الاجتماعية وتفاعل الناس معها، ويظهر أن الفن الدراماتيكي لكتاب العاصمة الجزائرية يرتبط بالتجانس، ولكن هذا التجانس يظهر بشكل فردي وغير منسجم، حيث يتطلب كل فن تغييراً ثابتاً في العقلية الشرقية، إنه بحث عن الحقيقة المثالية، وليس مجرد صورة للواقع.

هذا المبدأ يفسر بشكل جزئي بعض النظريات الشائعة بين الكتاب الجزائريين، خاصة في الأعمال الهزلية، حيث يميلون إلى المبالغة والتشويه التهريجي للروايات الشهيرة مثل قصة عنتر و"ألف ليلة وليلة"، يتمثل ذلك في تحويل رواية مشهورة مثل "لويس فيرناي" إلى مسرحية هزلية غريبة، مما يظهر التشويه الكوميدي للواقع، فيقول سعد الدين: "هذا المبدأ الذي ليس خاصاً بالكتاب الجزائريين يفسر في نظري بعض نظرياتهم الأكثر شيوعاً، والتي تتسم، في الأنواع الهزلية بالغلو، وبالتالي بالتشويه التهريجي لرواية عنتر مثلاً ولقصص "ألف ليلة وليلة" والتي جعلت من رواية "لويس فيرناي" "ابنة عمي من فارسوفيا" "ابن عمي من استانبول" ولفيلم "فجوة في حائط" مهزلة فكاهية وغريبة " فجوة في الأرض"¹

ح- جمهور المسرحيات الجزائرية

¹ نفسه، ص 14.

الجمهور الذي يحضر العروض المسرحية يتنوع ويشمل الطبقة العاملة والمأجورين والطبقة البورجوازية والمتقنين المحصورين، بينما يظهر طلاب المدارس الحديثة والعلماء المتشددون انزعاجًا من هذا النوع من الفن، مماثلًا لما ورد في أقوال باسكال وبوسوي، يرون أن المسرح، بغض النظر عن الشخص، يثير الشهوات الفاسدة ويهدم القيم الإسلامية بسبب فجاعته، حيث ينظرون إليه على أنه جسيم ضار ينشر الفساد، يتجاوز هؤلاء المدافعين عن الدين والأخلاق في لعنهم للممثلين، وخاصة الممثلات اللواتي لا يكتفين بالظهور بشكل مثير وغناء الشعر الجاهلي، بل يعتبرون أنهم يصلون إلى درجة الفجاجة بالكشف عن جماهن وسحرهن.

تُقدم العروض المسرحية في أي وقت من العام، ولكن يتزايد الاهتمام بها خاصة في شهر رمضان، يعتاد الناس في هذا الشهر القيام بالأنشطة الترفيهية بعد تناول الإفطار، ولذا يتجهون إلى الحانات والحفلات، يستغل الممثلون هذا التوقيت لتقديم عروضهم على المسارح التي يستأجرونها، وغالبًا ما يستخدمون أيام العطلات أو نهاية الموسم المسرحي الفرنسي لإقامة عروضهم، مما يضعهم في منافسة صعبة بسبب الازدحام والتنافس على الجمهور.

ط - "تحديات المسرح الهواة في الجزائر: بين ندرة الممثلين وتحقيق النجاح المحدود"

تعرض المسرحيات من قبل هواة مؤلفيها وممثليها، ومن غير المعتاد أن يكون هناك ممثلون محترفون باستثناء الرشيد القسنطيني، يعتبر نجاح عرض المسرحية أمرًا نادرًا، حيث تعرض مرة واحدة غالبًا مهما كانت جودتها أو استقبال الجمهور لها، خلال شهر رمضان، تقدم العديد من العروض المسرحية، ويتنوع عدد العروض باعتباره يعتمد على مواصفات القاعة المستأجرة وقدرتها على الاستيعاب، ويتنوع الديكور وفقًا لاحتياجات المؤلف وتعليماته، ولكن البساطة تسهل عملية التنسيق بين المخرج ومصمم الديكور، يتم اختيار الأدوار الثانوية بسهولة لتلبية احتياجات العرض، وتكون الأزياء واقعية بشكل كاف، على الرغم من وجود بعض التفاصيل الدقيقة، يحاول الممثلون الاحتفاظ بأسلوب اللباس المؤلف للشخصية التي يمثلونها، وقد يكون هناك بعض الأخطاء في الأزياء، لكن يقبل الجمهور هذه الأخطاء بشكل نسبي، ونظرًا لندرة الممثلات، فإن الشخصيات النسائية قليلة في المسرحيات، وغالبًا ما لا يكون هناك سوى دور نسائي واحد في كل مسرحية، مما يعزز انطباع أن المسرح هو حكر للرجال.

من الجيد أن سعد الدين بن أبي شنب يسلط الضوء على أهمية دراسة المسرح في الجزائر وتحدياتها، وكذلك يعكس الواقع الذي كان عليه المسرح في تلك الفترة، توضح الفقرات التي كتبها استناده إلى ذاكرته الشخصية وملاحظاته المسجلة الصعوبات التي واجهها في البحث وتجميع المعلومات بسبب قلة الوثائق المتاحة وانعدام الاهتمام الإعلامي بالمسرح في تلك الفترة، يظهر عمق فهمه للموضوع والجهود التي بذلها لتوثيق النشاط المسرحي في البلاد، مما يجعل عمله قيمًا في فهم تطور المسرح في تلك الحقبة.

أسلوب سعد الدين بن أبي شنب في مقاله الأدبي النقدي يتميز بـ:

- استناده إلى الذاكرة والملاحظات الشخصية لعدم توفر الوثائق الكافية
- التحدي الإعلامي والثقافي
- محاولته للاقتراب من الموضوعية
- ثقافته الواسعة

كما يمكننا أن نختم بما قاله الباحث محمد الطاهر فضلاء عن المقال قائلاً: "(كتب الأستاذ سعد الدين بن أبي شنب (رحمه الله) هذا البحث بروح وأسلوب ذلك العهد، وهو بحث قيم من حيث التوثيق لتلك الفترة الحرجة لما بعد الحرب العالمية الأولى، وهي فترة أقل ما يقال فيها: إنها فترة الركود والتخلف بكل ما تحمله هذه الكلمات من معان وراء ظلال الحاجة والحرمان من أبسط وسيلة من وسائل العيش، ومع ذلك فالعمل فيه ميدان نضالي يتطلب الجهد والتضحية مع فقدان الأمل، وتلك هي ميزة هؤلاء الفنانين الرواد"¹

2.5. مقال كلمة نقدية حول رواية حب النساء لحسني عبد الله

حسني عبد الله، رئيس شعبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في قالمه، كتب نقدًا لرواية "حب النساء" بعد مشاهدتها في المسرح البلدي ببلدته، في نقده، أعرب عن استيائه من ظهور الرقصات شبه العاريات على خشبة المسرح، مؤكدًا أن هذا الأمر يتعارض مع تعاليم الشريعة الإسلامية، دعا الممثلين إلى تعديل العرض بحذف هذه المشاهد المخجلة والتركيز على الأدوار والمناظر المفيدة والسامية المغزى، التي تحت على تعليم الفتاة العربية أصول دينها ولغتها وتنشئتها على الأخلاق الفاضلة، هذه القيم تجعلها زوجة رشيدة تعرف حقوقها وواجباتها المنزلية وغيرها، ختم حسني عبد الله نقده بطلبه من القائمين على الرواية تجنب ما يتعارض مع الدين الحنيف، لضمان استفادة الجمهور بشكل نقي وخالص من كل شائبة، واستشهد بقول الشاعر: "ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء"²، وكتابة حسني عبد الله هذا النقد في سنة 1936 في الجزائر يعكس العديد من الجوانب الثقافية والاجتماعية والدينية لتلك الفترة:

¹ فضلاء، المسرح...، المرجع السابق، ص 57.

² حسني عبد الله، كلمة نقدية في رواية حب النساء، البصائر، ع15، 17 أبريل 1936، ص 02.

- في سنة 1936، كانت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، كانت الثقافة الفرنسية تؤثر بشكل كبير على الحياة اليومية في الجزائر، بما في ذلك الفنون والمسرح، كان هناك تباين كبير بين القيم الثقافية الفرنسية والعربية الإسلامية.
- تأسست الجمعية في سنة 1931 بهدف الحفاظ على الهوية الإسلامية والثقافة العربية في الجزائر، كانت الجمعية تعارض بشدة التأثير الثقافي الفرنسي والتغريب، وتسعى لتعزيز التعليم الديني والأخلاق الإسلامية.
- حسني عبد الله يعبر عن التزام قوي بتعاليم الإسلام، ويرى أن ظهور الرقصات شبه العاريات على المسرح يتعارض مع هذه التعاليم، نقده يعكس مدى حرصه على المحافظة على القيم الأخلاقية والدينية في المجتمع الجزائري.
- دعوته لحذف المشاهد المخجلة والتركيز على الجوانب المفيدة من الرواية تعكس رغبته في تعزيز الأخلاق الفاضلة وتعليم الفتيات أصول الدين والأخلاق، وهو ما يتماشى مع أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- يرى حسني عبد الله أهمية تعليم الفتاة العربية وتربيتها على القيم الفاضلة لتكون زوجة رشيدة، هذا يعكس اهتمامه بدور المرأة في المجتمع والأسرة، ويعكس أيضًا رؤية تقليدية لدور المرأة في تلك الفترة.
- على الرغم من استيائه من بعض المشاهد، يقدم نقدًا بناءً يدعو فيه لتحسين الرواية بما يتفق مع القيم الدينية والأخلاقية، هذا يعكس نهجًا إيجابيًا يسعى إلى الإصلاح بدلًا من الرفض الكامل.
- نقده يعكس وعيًا أدبيًا وثقافيًا، حيث يقيم الرواية بناءً على معايير دينية وأخلاقية، استشهاده بالشعر في نهاية النقد يعكس تأثير الأدب العربي الكلاسيكي على فكره وكتابته.
- المقال يعكس نقدًا بناءً وحريصًا على الموازنة بين رفض بعض الجوانب غير المقبولة دينيًا وأخلاقيًا في العمل الفني وبين الاعتراف بالقيمة التربوية والثقافية للرواية، الكاتب يتناول مسألة عرض الرقصات شبه العاريات بحساسية دينية وأخلاقية واضحة، ويطرح رؤيته بطريقة معتدلة دون إلغاء كامل للعمل، كما يُشيد بأجزاء أخرى في الرواية تعزز تعليم الفتاة وتربيتها، مما يجعل النقد متوازنًا وموضوعيًا.

خلاصة:

كشف هذا الفصل عن الدور الحيوي الذي اضطلعت به الكتابة الأدبية الاحتجاجية في التعبير عن وعي المثقف الجزائري وهوموم في مواجهة مختلف أشكال القهر والاستلاب، سواء من قبل السلطة الاستعمارية أو من خلال نقد البنى الاجتماعية والثقافية السائدة، وقد تبين من خلال التأسيس المفاهيمي والتاريخي أن هذا اللون من

الكتابة لم يكن فعلاً عفويًا أو معزولاً، بل كان نتاجاً لوعي تاريخي متراكم، ووسيلةً للدفاع عن القيم الوطنية والهوية، والتأثير في الرأي العام.

عرضت النماذج المدروسة تنوعاً في الأغراض والأساليب، حيث اتخذت شكل العريضة والمقال السياسي والاجتماعي، والمقال الثقافي والأدبي، مما يدل على اتساع مساحة الكتابة الاحتجاجية وتداخلها مع أجناس أدبية وفكرية متعددة، وقد أظهر الكتاب الجزائريون جرأة لافتة في نقد السياسات الاستعمارية، وكشف المظالم الاجتماعية، والسعي إلى إصلاح الواقع الثقافي والفكري من خلال مقالاتهم وتحليلاتهم.

في المجمل، يبرهن هذا الفصل على أن الكتابة الاحتجاجية ليست مجرد تعبير عن موقف، بل هي فعل مقاومة ووعي نقدي، يمارس التأثير والتوجيه، ويسهم في بناء مشروع نهضوي شامل.

“

الباب الثالث: منابر الأدب والسياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي في الجزائر

”

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

“

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

”

أولاً: اختيارات الجزائريين في القراءة والتعبير الأدبي

ثانياً: المؤسسات الثقافية

ثالثاً: فضاءات النشر

يتناول هذا الفصل البنية التحتية الثقافية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، باعتبارها المجال الذي نشأت فيه وتطورت حركة الكتابة والتعبير، ومثلت الحاضنة الفعلية للممارسة الأدبية والفكرية بمختلف أشكالها، فالثقافة في ظل الاحتلال لم تكن مجرد مساحة للهوامش، بل كانت ساحة مقاومة ناعمة، وصراعاً خفياً حول اللغة، والانتماء، وتوجيه الوعي، حيث يبدأ الفصل بتتبع اهتمامات الجزائريين في مجال القراءة والكتابة، ويكشف عن تنوع ذوقهم الأدبي بين الأدب العربي والغربي، كما يسلط الضوء على ثنائية اللغة، حيث كانت العربية والفرنسية معاً وسيلتين للتعبير، كل منهما محملة بدلالات ثقافية وتاريخية تختلف باختلاف السياق والهدف.

ينتقل الفصل بعد ذلك إلى رصد المؤسسات الثقافية التي لعبت دوراً محورياً في صوغ المشهد الثقافي، كالمكتبات، والصحف، والمدارس الحرة، والمطابع والجمعيات الأدبية، وقد شكّلت هذه الفضاءات ملتقى للنخبة المثقفة ووسيلة لتمرير الوعي الوطني رغم الرقابة الاستعمارية، وبرزت أسماء بعينها كمؤسسات نموذجية تستحق التوقف عندها، نظراً لدورها الفاعل في حفظ الهوية الثقافية وتعزيز النشاط الأدبي، كما يتناول الفصل فضاءات النشر التي أتاحت للكتاب الجزائريين فرصة عرض إنتاجهم، سواء عبر الجرائد والمجلات بمختلف أنواعها، أو من خلال الكتب والدواوين الشعرية، أو حتى عبر الإذاعة والمسابقات والإعلانات الثقافية، التي شكّلت أدوات ترويج وإبراز للمشهد الثقافي رغم محدودية الإمكانيات والقيود السياسية.

أولاً: اختيارات الجزائريين في القراءة والتعبير الأدبي

1. اهتمام الجزائريين بالأدب العالمي

1.1. الاهتمام الأدب العربي:

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

عرفت الجزائر تأثيرات شعراء مثل أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران¹ ومعروف الرصافي²، وكان لهذه التأثيرات أثر ملموس على الشباب بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى³، إضافة إلى ذلك، كانت الكتابات النثرية من تونس ومصر تترك أثراً ثانوياً على الثقافة الجزائرية، حيث كانت جامعة الزيتونة في تونس تستقطب الطلاب الجزائريين الذين يتعلمون باللغة العربية، كما أثرت مصر بشكل كبير من خلال مجلاتها الأدبية وكتّابها المعروفين، على الرغم من قلة الجزائريين الذين درسوا في الأزهر⁴، وفي الصحف التونسية مثل "الصباح"، "العمل"، "الفكر"، و"الندوة"، ظهرت مقالات تعكس روح الثورة الجزائرية، مثل خواطر أحمد بوروح⁵ حول الثورة والاحتفال بذكراها الرابعة، ومقالات الجندي خليفة حول "معركة اللائحة"، حيث اتخذ فيها مواقف ضد "الرجعيين"، عُرِفَت هذه الكتابات أيضاً من خلال كتابه "من وحي الثورة الجزائرية"⁶، الذي نُشر عام 1963⁷.

وحيث رحل كل من حافظ إبراهيم وأحمد شوقي في العام نفسه 1932م، وتزامنت الندوات والتجمعات لإحياء ذكراهما في العديد من أقطار الوطن العربي شرقاً وغرباً، لم تتأخر النخبة الجزائرية في أداء واجبها، حيث نشرت مجلة "الشهاب" دعوة بعنوان "ذكرى الشعاعين حافظ وشوقي، مشاركة الجزائر للعالم العربي في إحياء الذكرى"، أخذ

¹ خليل مطران (1872-1949): شاعر لبناني يُلقب بـ"شاعر القطرين" (مصر ولبنان)، ويُعد من رواد التجديد في الشعر العربي الحديث، جمع في شعره بين أصالة البيان العربي والتأثيرات الغربية، مما أضفى على قصائده طابعاً وجدانياً وفنياً مميزاً، أسهم في تطوير المدرسة الرومانسية في الأدب العربي، وكان له دور بارز في الصحافة والترجمة والنقد الأدبي، من أبرز أعماله ديوانه الشعري، الذي يعكس عمق إحساسه الإنساني وقوة تعبيره الفني، ينظر: البعيني، موسوعة الشعراء...، ج2، المرجع السابق، ص 121.

² معروف الرصافي (1875-1945): شاعر وأديب عراقي، يُعد من أبرز شعراء النهضة العربية في العصر الحديث، تميّز شعره بالنزعة الوطنية والإصلاحية، حيث تناول قضايا الحرية، العدالة الاجتماعية، والتعليم، منتقداً الأوضاع السياسية والاستعمارية في عصره، امتاز أسلوبه بالوضوح والجزالة، مع قدرة على تصوير الواقع بأسلوب مباشر وقوي، من أبرز أعماله ديوانه الشعري الذي يضم قصائد في الوطنية والاجتماع والسياسة، كما ألف كتاب دفع المحنة في ارتقاء اللغة الذي ناقش فيه قضايا لغوية وأدبية، ينظر: نفسه، ص 56.

³ ناصر، الشعر...، المرجع السابق، ص 30.

⁴ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 303.

⁵ أحمد بن محمد بورزاق (بوروح) (1920-1986): عالم ومصلح جزائري، وُلِدَ في تكسانة بولاية جيجل، وحفظ القرآن في صغره قبل أن ينتقل عام 1939 إلى جامع الزيتونة بتونس، حيث درس لمدة سبع سنوات ونال شهادة التحصيل عام 1946، ترأس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، ثم عاد إلى الجزائر ليعمل في جمعية العلماء المسلمين، فدرّس في عدة مناطق منها جيجل، قسنطينة، سوق أهراس، الطاهير، غليزان، ووهران، بسبب نشاطه الوطني، لاحقته السلطات الاستعمارية، فاضطر إلى مغادرة الجزائر عام 1956 نحو تونس، حيث عمل في الصحافة الثورية لجهة التحرير الوطني، ونال الشهادة العالمية من الزيتونة عام 1958، بعد الاستقلال، عمل أستاذاً للغة العربية وساهم في إعداد المناهج التعليمية، كما نال شهادة الدكتوراه عام 1976 ببحث حول الأدب في عصر دولة بني حماد، ألف عدة كتب، منها تحقيق لقصيدة "المنفرجة"، وترك مذكراته عن كشف شبكة تجسس ضد الثورة بعنوان "عش الحمام"، توفي في 5 جانفي 1986، ينظر: شكراً على التوضيح، وها هو التهميش المطلوب وفقاً لنفس الأسلوب: مسعود بولوجيعة، (06 جانفي 2022)، الدكتور أحمد بورزاق في ذكرى وفاته 36، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، استرجع في تاريخ 06 جانفي 2023، من

الموقع الإلكتروني: <https://binbadis.net/archives/1354>

⁶ الجندي خليفة، من وحي الثورة، المصدر السابق.

⁷ الجابري، الأدب الجزائري...، ج1، المرجع السابق، ص 448

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

المقال شكل دعوة عامة للأدباء والشعراء للمساهمة والمشاركة في إحياء الذكرى، وتولى أحمد توفيق المدني رئاسة لجنة التحضير، بينما ترأس الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الحفل الذي أقيم في القاعة الكبرى لنادي الترقى بالعاصمة في 23 فيفري 1933م، لم يكن اختيار هذا المكان اعتباريًا، فقد اعتبر هذا النادي الأهم ثقافيًا في الجزائر وشمال إفريقيا¹، وأسهم في الكفاح القومي والوطني من خلال الدفع بالحركة النهضة والفكرية، قدم الحفل العديد من الأدباء والشعراء، من بينهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس، الذي تحدث عن أهمية اللغة العربية وعظمتها، مؤكدًا على وجوب الاهتمام بها وإكرامها وإكرام كل من خدمها مثل الشعارين حافظ إبراهيم وأحمد شوقي².

في ختام الحفل، تم إرسال برقية باسم أدباء وشعراء الجزائر للشعب المصري، جاء فيها: "إن الجزائر عمومًا ونخبها المفكرة خصوصًا تشارك في الذكرى الحارة التي يقيمها اليوم الشعب المصري نحو الشعارين العظميين حافظ وشوقي، إن الأدباء الجزائريين المجتمعين في العاصمة في نادي الترقى لإقامة حفلة خالدة لإحياء ذكرى النجمين الأفلين يقاسمون الأمة المصرية في مصابها الأليم الذي هو في الحقيقة مصاب الأقطار العربية والأوطان الإسلامية"³ خصصت الجرائد العربية الجزائرية عمومًا للشعر في كل عدد تقريبًا، لذا يمكننا القول إن عبقرية شوقي الشعرية، ولغته العربية القوية، ودفاعه المستميت عن الإسلام والأوطان، كانت عوامل أساسية جعلت حضوره في الشعر والنثر أمرًا ثابتًا ودائمًا في أعمدة الصحافة، هذه الصحافة كانت تهدف بشكل مباشر وغير مباشر إلى إحياء اللغة العربية والإسلام والدفاع عنهما خلال تلك الفترة، وكان إنتاج أمير الشعراء شوقي وسيلة من وسائل هذه المقاومة والكفاح، ولقد كان لنبا وفاة أمير الشعراء أحمد شوقي وقعٌ مؤلم وصادم في الجزائر، حيث أثر بشدة على قرائه ومعجبيه، امتزجت مشاعر الحزن والحسرة والألم في أوساط النخبة الإصلاحية وغيرها، وتفاعلت هذه النخبة مع هذا الحدث الحزين بطرق مختلفة.

يرجح المؤرخون بأن أولى زيارات أحمد شوقي للجزائر تعود إلى الرحلة العلاجية التي قام بها عام 1904م بعد إصابته بالكوليرا⁴، حيث نصحه الأطباء بالاستشفاء فيها، وقد أقام شوقي في الجزائر لمدة 40 يومًا⁵، وانبهر بجمالها

¹ الوناس الحواس، نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية 1925-1954، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص 144.

² عبد الحميد بن باديس، "ذكرى الشعارين حافظ وشوقي"، الشهاب، مج 10، ج 04، 19 مارس 1934، ص 159.

³ ناصر، الصحف العربية... المرجع السابق، ص 155.

⁴ عبد الرحمان النجدي، العودة إلى شوقي بعد خمسين عاما، الأصيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1976، ص 43.

⁵ فوزي عطوي، أحمد شوقي أمير الشعراء 3، دار مصعب للنشر، بيروت، لبنان، 1978، ص 19.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

وعمرانها وبساطة أهلها، مما جعله يفضلها على غيرها من البلدان العربية، وكان يأمل أن يجد في الجزائر متنفسًا يخفف عنه الحنين إلى وطنه وديوان الخديوي، خصوصًا بعد منعه من العودة إلى مصر¹.

تفاجأ شوقي من سياسة الفرنسية التي كادت تقضي على اللغة العربية في الجزائر، وعبر عن ذلك بقوله: "ولا عيب فيها سوى أنها مسخت مسحًا، فقد عهدت مساح الأحذية يستنكف النطق بالعربية، وإذا خاطبته بها لا يجيبك إلا بالفرنساوية"²، والمعنى الذي يقصده شوقي في هذه العبارة هو التعبير عن استيائه وإحباطه من تأثير سياسة الفرنسية التي انتهجتها السلطات الفرنسية في الجزائر، والتي أدت إلى تهميش اللغة العربية واستبدالها باللغة الفرنسية، فيعبر عن دهشته وأسفه لأن اللغة العربية قد تراجعت إلى حد كبير في الجزائر بسبب هذه السياسة، ويستشهد بمثال ملموس ليوضح مدى التغيير السلبي الذي حدث، حيث يذكر أنه حتى مساح الأحذية، وهو مهنة بسيطة، لم يعد يتحدث العربية بل يتحدث الفرنسية بالتالي، شوقي يصف الجزائر بأنها قد "مسخت مسحًا" بفعل هذه السياسة التي أدت إلى تدهور اللغة العربية واستخدام الفرنسية بشكل واسع، مما يعكس تراجع الثقافة والهوية العربية في المجتمع الجزائري.

مجلة "الشهاب" اعتبرت الشعراء هم من يحيون الأمة وبهم تموت، ولقد كتبت مقالا مطولا حول مشروع تكريم الشاعر أحمد شوقي، موضحة أن الدعوة جاءت من أحمد شفيق باشا وزير الأوقاف المصري³، نقلت "الشهاب" أخبار تأجيل الحفلة الكبرى من 25 فيفري إلى 2 أفريل 1927م، ما يبرز اهتمامها بمتابعة الحدث ونقل كل جديد للقراء الجزائريين⁴.

استمر حضور شوقي القوي في اهتمام النخبة الجزائرية، وبعد وفاته كتب الشيخ البشير الإبراهيمي مقالا بعنوان "مات شوقي"⁵، تحدث فيه عن عبقريته الشعرية وأحقيقته بإمارة شعراء العرب، مذكرا بفقدان الأمة لصيحاته التي تحرك الحامل وتهز الجامد، ليعزي في النهاية الإسلام والعروبة والشرق كله فيه، كما أن الصحف اليقظانية لم تختلف عن "الشهاب" في اهتمامها بشؤون الوطن العربي والإسلامي وتناقل أخباره وحوادثه، فخصصت الصحف أكثر من ثلاثين عددًا لحفلات تنويع شوقي بالإمارة الشعرية التي شارك فيها كل الوطن العربي، فصحيفة "وادي

¹ عبد العزيز بو باكير، (25 ماي 2020م)، المسخ اللغوي، موقع إلكتروني إعلامي متخصص، استرجعت في تاريخ 16 ماي 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.z-dz.com/about-us>

² خري، شعراء من الجزائر، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969م، ص 11.

³ مجهول، "تكرم شوقي"، الشهاب، ع 07، 23 ديسمبر 1926، ص 19.

⁴ مجهول، "تأجيل الحفلة الكبرى"، الشهاب، ع 87، ص 747، 10 مارس 1927، ص 747.

⁵ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، تح: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ص 106.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

ميزاب" نقلت الاحتفالات الكبيرة التي خصصت لتكريم شوقي، وفي عديد من متتاليين من سنة 1927م، نشرت مقالات لكتاب كبار مثل أحمد زكي أبو شادي وأنطوان الجميل¹.

بعد تعطيل "وادي ميزاب" من قبل الإدارة الاستعمارية، استمرت أخبار الشاعر شوقي وإنتاجه في صحيفة "النور"² نشرت له قصيدة في رثاء الشهيد الليبي عمر المختار في عددها 13 الصادر بتاريخ 08 أوت 1931م، مما يعكس استمرار الاهتمام بشعر شوقي وإنتاجه الأدبي.

كما أن محمد العيد آل خليفة، في رثائه للشاعر التونسي الشاذلي خزندار³ عام 1954، أشاد بجامع الزيتونة واعتبره رمزاً أبوياً، معلناً انتماءه الفكري له وتأثير تجربته التونسية على حياته، بعد عودته إلى الجزائر، سعى للاندماج في المجتمع الجديد، والمساهمة في تعزيز التعليم العربي وتربية الأجيال، لعب الشيخ عبد الحميد بن باديس دوراً محورياً في توجيه مساره، حيث رُشح لمنصب مدرس في "مدرسة الشبيبة" بالعاصمة، وهي مدرسة شعبية مهتمة بالتعليم والثقافة، رغم تعليمه في الجزائر وتونس، شعر العيد بعدم كفاية ما حصله، مما دفعه للتعمق في دراسة الأدب العربي القديم كالأغاني، والكمال، والبيان والتبيين، إلى جانب الأدب العالمي المترجم، تأثر بمدرستين أدبيتين: المدرسة التقليدية بقيادة أحمد شوقي، ومدرسة المهجر ذات الطابع التجديدي، خاصة بفلسفة جبران خليل جبران، ومع أنه كان متوقفاً أن يتبنى تمرّداً رومانسياً، إلا أن العيد حافظ على توازن بين التقليد والتجديد، محترماً الأدب القديم والنهج النقدي التقليدي الذي تبناه نقاد مثل ابن باديس والإبراهيمي، في الوقت نفسه، أكد العيد استقلاليتته الثقافية والروحية، معتبراً أن مصدر معرفته الأساسي هو النصوص الدينية، ورفضاً التقليد أو التأثير الجبري بالأدباء الآخرين، مع إظهار تقدير عميق للأدب ودراسته بجدية⁴.

¹ ناصر، أبو اليقظان...، ج 1، المرجع السابق، ص 185.

² جريدة النور: صدر العدد الأول من جريدة "النور" في 15 سبتمبر 1931م، لصاحبها أبو اليقظان، في مدينة الجزائر العاصمة حيث كانت تطبع، وكانت الجريدة تنبئ اتجاهات إصلاحية، وقد صدر منها 78 عدداً قبل أن يتم تعطيلها من قبل السلطات الاستعمارية في 2 ماي 1933م، ينظر: ناصر، الصحف العربية...، المرجع السابق، ص 118.

³ محمد الشاذلي خزندار (1881-1954): شاعر تونسي وطني بارز في مطلع القرن العشرين، عُرف بمواقفه المعارضة للاستعمار الفرنسي وبقصائده الحماسية التي دعمت الحركة الوطنية، وُلد في نفس السنة التي احتلت فيها فرنسا تونس، وهو حفيد الوزير مصطفى خزندار، لكنه خالف نهج جده، فابتعد عن حياة القصور وتخلّى عن منصبه كضابط في جيش الباي لينضم إلى الحزب الحر الدستوري عام 1920 بقيادة عبد العزيز الثعالبي، كان له دور بارز في نشر الوعي الوطني، وسُجن بسبب مواقفه السياسية، من أشهر قصائده "مناجاة تونس"، التي عبّر فيها عن حبه العميق لوطنه، ينظر: لطفي عبد الواحد، (06 ديسمبر 2020)، من رواد الشعر الوطني في تونس الشاعر محمد الشاذلي خزندار الملقّب بأمير شعراء تونس (1881-1954)، بلا أسوار، استرجعت في تاريخ 09 جوان 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://bilaaswar.com>

⁴ سعد الله، محمد العيد...، المرجع السابق، ص 90.

تناول أبو العيد دودو في كتاباته دور محمد العيد آل خليفة في الشعر الجزائري الحديث، وعبد الله الركيبي كتب عن تأخر الفكر في المغرب العربي، أثرت الثورة على الجيل الجديد، حيث كتب عبد الرحمن شيبان مقالات في "الصباح" تناولت قضايا أدبية وثقافية، وأيضاً محمد الصالح الصديق الذي نشر مقالات تحليلية ثورية، حيث تأثرت الكتابة الجزائرية بأساليب المقالات من العالم العربي، مع تدفق الصحافة المشرقية على الجزائر، رغم القيود المفروضة من الاحتلال، ساهم هذا التأثير في تطوير أساليب الكتابة والنقد الأدبي في الجزائر، مما دفع الأدب نحو التقدم والحداثة¹.

ركزت كتابات الأدباء الجزائريين على قضايا فكرية وأدبية متنوعة، حيث أبرز أبو العيد دودو دور محمد العيد آل خليفة في تجديد الشعر الجزائري، وناقش عبد الله الركيبي تأخر الفكر في المغرب العربي، بينما تأثر الجيل الجديد بالثورة الجزائرية، فكتب عبد الرحمن شيبان ومحمد الصالح الصديق مقالات ثقافية وثورية في الصحافة².

تطورت الكتابة الأدبية الجزائرية بفعل تأثرها بالصحافة المشرقية وأساليبها النقدية، واستلهم الشعراء الجزائريون إبداعهم من التراث العربي والغربي، خاصة الشعر الوجداني والرومانسي من المشرق والمهجر، وكان لجران والشابي وشوقي وأدباء جماعة أبولو أثر كبير في تشكيل وعيهم الأدبي، كما ساهمت المجلات المشرقية مثل الهلال والمنار في صقل معارفهم رغم قيود الاحتلال، مما مكّنهم من التعبير عن واقعهم الثوري بأساليب متجددة³.

كما تشير الرسائل الأدبية في تلك الفترة إلى تأثير الفكر المشرقي على الأدباء الجزائريين، حيث ساهمت مجلات مثل الشهاب في تعزيز هذا التواصل الثقافي، وقد لعبت عودة المثقفين من البلاد العربية دوراً في تشكيل وعي قومي عربي، ويتناول الدكتور محمد ناصر أثر شعر المهجر على رمضان حمود، الذي استفاد من جماعة الديوان خلال دراسته في تونس وسعى إلى تطوير الأدب العربي عبر فهمه للتحويلات الثقافية، يتشابه حمود في أفكاره وطموحاته الأدبية مع أبو القاسم الشابي، فكلاهما عكس التحديات الأدبية لعصره، كما كان للأدب والسينما العربية تأثير على الجيل الجديد، حيث سعوا لردم الفجوة الثقافية من خلال دراسة أعمال أدباء بارزين مثل طه حسين

¹ مهداوي، هموم الكتابة ...، المرجع السابق، ص 59.

² نفسه، ص 67.

³ حمود رمضان، بذور الحياة، المطبعة العربية، الجزائر، 2004، ص 13.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

والمنفلوطي¹، ويؤكد أحمد طالب على التأثير العميق للثقافة المصرية في تكوينه الفكري، رغم محاولات الاحتلال الفرنسي لعزل الجزائريين عن المشرق العربي².

لقد اهتمت الصحف الجزائرية خلال هذه الفترة 1900-1962 بنشر الأعمال المنشورة في الصحف والمجلات القادمة من المشرق، ليجد القراء المتواجدين في الجزائر أو تونس أو المغرب ممن يقتنون الصحف الجزائرية أنفسهم قريبين من الأدب في المشرق وأخباره، وكان نادرا من أن يخلُ عدد من صحيفة جزائرية بصفحة من صفحات الجرائد المشرقية، فقد عرف القارئ المغربي في صفحات الصحف الجزائرية أسماء أدبية مشرقية ثقيلة وأخرى سيكون لها مستقبل باهر.

يجعلنا هذا نتساءل هل نُشرت هذه الكتابات الأدبية المشرقية على حساب الكتابات الأدبية الجزائرية؟ أو أن الفراغ الذي كانت تجده الصحف الجزائرية كانت تملؤه الأعمال المشرقية المنشورة في صحف مصر وسوريا ولبنان؟ وهل كان المقصد من هذا النشر هو تقريب قارئ الصحف الجزائرية للأدب في المشرق، أم أن محررو الجرائد في الجزائر منبهرون بالمشرق وتقديمه كأدب مثالي؟ أو أن التضييق الاستعماري على حرية الفكر والتعبير الصادرة من الجزائري هي أحد الأسباب؟ كما أننا نتساءل عن ندرة الأقلام الجزائرية التي كتبت في المجلات والصحف المشرقية، خصوصا وأن الجزائريون كانوا يدرسون أو يعملون هناك وكان تواصلهم مستمرا؟ هل أن الأبواب كانت مغلقة أمام القلم الجزائري؟ أو أن القلم الجزائري لم يثق بأن بإمكانه التواجد في مجلات عربية؟

إننا أمام تساؤلات تضعنا أمام حوادث تاريخية في الأدب بين المغرب والمشرق، ففي العصر الأندلسي، عندما استقبل المشاركة موسوعة شعرية ونثرية تمثلت في كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي بين 860-940 هـ فقد علق الصاحب ابن عباد، الوزير والأديب، بعد تأمل الكتاب قائلاً: "ظننا فيه شيئاً من أخبار بلادهم فإذا هي أخبار بلادنا، بضاعتنا ردت إلينا"، مما يشير إلى إهمال ابن عبد ربه أدب وتاريخ الأندلس والمغرب لصالح أدب المشرق، هذه المقولة تعكس عقدة المشرق التي ترى في المشاركة مركزاً متفوقاً بينما تُعتبر مغاربة الهامش، وقد ترسخت هذه العقدة من خلال أقوال تقلل من شأن المغرب والأندلس، مثل وصفها بكم الثوب وذيل الطائر، ما يعكس موقفاً تاريخياً مستمراً في تفضيل أدب المشرق، في العصر الحديث، تجددت هذه العقدة عبر أصوات مغربية تعبر عن استياءها من الإهمال المشرق لأدب وثقافة المغرب، في عام 1937، نشر الكاتب الجزائري فرحات الدراجي مقالاً

¹ مهداوي، هموم الكتابة...، المرجع السابق، ص 161-168.

² أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري...، ج 1، المصدر السابق، ص 74.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

بعنوان "كلمة عتاب إلى إخواننا الشرقيين"، حيث أشار إلى قلة معرفة المشاركة عن المغرب وأخطائهم في الكتابات المتعلقة به، كما أعرب عن أسباب عزوف المشاركة عن أدب المغرب التي تعود إلى شعور المشاركة بالتفوق ونقص تقدير المغاربة لأنفسهم، انتقد الكاتب الجزائري أبو يعلى الزواوي هذا الوضع أيضاً في مقال له بعنوان "اشتغالنا بالشرق أنسانا أنفسنا" وهذا المقال سندرسه في الفصل الرابع.

تطرق الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض إلى هذا الجدل في كتابه "الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق"¹، مبرزاً تقصير المشاركة في حق الثقافة المغربية، ورأى فهمي هويدي في الكتاب "عريضة اتهام" للمشاركة تدعو لمراجعة المواقف تجاه المغرب، في السياق ذاته، انتقد المفكر التونسي محمد مزالي التقليل من شأن الأدب والثقافة المغربية، وأكد أن هذه القضية كانت محط اهتمام في لقاءات أصيلة الثقافية المغربية، ورغم الاحتلال والعزلة التي فرضها، فقد زار بعض الأعلام المشاركة الجزائر وساهموا في تعزيز التواصل الثقافي، على سبيل المثال، زار محمد عبده الجزائر عام 1903، وأشار البشير الإبراهيمي إلى أن هذه الزيارة كانت مهذاً لظهور الحركة الإصلاحية، كذلك، زار سلامة موسى² الجزائر عام 1930، وقدم تقييماً نقدياً لمجتمعها وتاريخها، بينما ناقش محمد جابر الأنصاري³ القضية من زاوية أخرى، مشيراً إلى أن إهمال الثقافة المغربية ليس خاصاً بها بل يعاني منه العديد من المناطق⁴.

¹ مرتاض، الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 1982.

² سلامة موسى (1887 - 1958): مفكر ومصلح اجتماعي مصري، يعد من رواد الاشتراكية في مصر، ومن أوائل المروجين لأفكارها، تأثر بالثقافة الغربية واعتبرها نموذجاً للتحديث، كما دعا إلى تحرير المرأة، التعليم العلماني، وإصلاح اللغة العربية باعتماد العامية، تأثر بفكر داروين وكارل ماركس، وأيد الاشتراكية التدريجية بعيداً عن الثورات العنيفة، انضم للحزب الاشتراكي المصري لكنه انسحب منه، وكرس حياته للنشاط الفكري والصحفي، حيث رأس مجلة الهلال وأسس المجلة الجديدة، دعا إلى تأصيل الهوية المصرية عبر إحياء التراث الفرعوني، ورفض الهيمنة الثقافية العربية، من أبرز مؤلفاته: الاشتراكية (1913)، نشوء فكرة الله (1912)، البلاغة العصرية واللغة العربية (1945)، وهؤلاء علموني (1953)، ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، دار الكتب العلمية، ج3، بيروت، 2003، ص 56.

³ محمد جابر الأنصاري (1939 - 2024): مفكر وكاتب بحريني، شغل عدة مناصب أكاديمية وثقافية، منها أستاذ دراسات الحضارة الإسلامية والفكر المعاصر، وعميد كلية الدراسات العليا بجامعة الخليج، كما كان مستشاراً ثقافياً للعاهل البحريني، حصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية الحديثة من الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1979، وكتب في الصحافة العربية حول القضايا الفكرية والسياسية، من أبرز مؤلفاته: تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي 1930-1970 (1980)، العالم والعرب سنة 2000، انتحار المثقفين العرب، والعرب والسياسة: أين الخلل؟، ينظر: برون حبيب، (05 جانفي 2025)، محمد جابر الأنصاري... أديب سرقه الفكر، صحيفة القدس العربي، استرجع في تاريخ 25 مارس 2025، من الموقع الإلكتروني: <https://www.alquds.co.uk/3440912-2>

⁴ إبراهيم مشاركة، (13 أبريل 2022)، العقدة المشرقية: حقيقة أم افتعال؟، صحيفة القدس العربي، استرجعت في 07 أوت 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.alquds.co.uk>

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

بالتالي، يمكن القول بأن نشر الأدب المشرقي في الصحف الجزائرية كان نتيجة لمزيج من الإعجاب بالإنتاجات الأدبية المشرقية، ومحاولة لتقريب القراء من الأدب العربي الأوسع، بالإضافة إلى التأثيرات السلبية للقيود الاستعمارية على الإنتاج الأدبي المحلي.

نجد أن مجلة الرسالة المصرية من أكثر المجلات العربية شهرة وانتشارًا في الجزائر، ولم تتعرض للمضايقات الاستعمارية كما تعرضت لها العديد من الجرائد والمجلات المشرقية لأنها انشغلت بالأدب وابتعدت عن الخوض مباشرة في السياسة، وإن كانت تولي اهتمامًا لقضايا قومية ومصرية بأسلوب نقدي هادئ، وكانت المجلة تحظى بشعبية كبيرة بين المثقفين والطلبة الذين كانوا يعتزون بقراءتها ويتفاخرون باقتنائها رغم الظروف المالية القاسية التي كانوا يعيشون فيها في النصف الأول من القرن العشرين، ومن بين الأدباء والشعراء الذين تأثروا بمدرسة الرسالة يمكن ذكر حمزة بوكوشة، محمد العيد، باعزيز بن عمر، وأحمد جلول البدوي، وغيرهم من أساتذة مدرسة الشبيبة الإسلامية، يروي أحمد جلول البدوي أنهم كانوا يقرؤون هذه المجلة بنهم وشغف كبير، وأنها ساهمت في تكوينهم الأدبي فيقول أحمد جلول البدوي: "كنا منكبين على مطالعة مجلة الرسالة، تلك المجلة التي نعدها أكبر عامل في تطوير أفكارنا وتقويم أساليبنا، كما فتحت هذه المجلات باب النقاش بين صحف المشرق وصحف المغرب، فطرحنا الرسالة إشكاليات كراي الزيات مدير المجلة وأديبها في الأدب العربي وتشاؤمه نحوه، وقد قابله الشيخ عبد الحميد حيرش برأيه في الصحف الجزائرية معبرا أن الزيات لو اطلع على النهضة الأدبية التي ظهرت في الجزائر لأصابه التفاؤل أو نقص من حدة تشاؤمه وبالعودة إلى العلاقة الأدبية بين المشرق والمغرب فقد كان الأدباء والكتاب الجزائريون هذه الفترة يتساءلون أيضا عن تجاهل المجلات المشرقية لإنتاج الجزائريين الأدبي فيقول الشيخ إبراهيمي: "كما أذكر بالعتب مجالات بادلتها فلم تنزل للمبادلة، وجاملناها فأبت الأجمال في المعاملة؛ ومنها مجلة الرسالة المصرية مع إجلالنا لها ولصاحبها¹.

كان عتاب الشيخ فرحات الدراجي بلهجة حادة، حيث عبّر عن يأسه من الصحافة المشرقية التي تتعامل بفوقية واستعلاء مع الأدباء والمثقفين الجزائريين، مستشهدًا بتجاهلها للكتابات الجزائرية، مثل "سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" الذي أعده الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، هذا السجل، الذي تضمن خطبًا وتقارير وقصائد، أرسل إلى أشهر الصحف والمجلات المشرقية لتعريف القراء بالحركة الأدبية والفكرية في الجزائر، لكن هذه الصحف، بما في ذلك مجلة الرسالة، تجاهلته، أثار هذا السلوك غضب الدراجي، الذي انتقد مجلة الرسالة وصاحبها

¹ مولود عومر، (06 جويلية 2013)، مجلة الرسالة في الجزائر، رابطة أدباء الشام، استرجع في تاريخ 07 جويلية 2023، من الموقع الإلكتروني:

[/https://www.odabasham.net](https://www.odabasham.net)

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

الزيات لعدم اهتمامهم بالأدب الجزائري، معتبراً ذلك دليلاً على عدم تقديرهم لقيمة وآثار الأدب الجزائري التي لا تقل في بلاغتها ودقتها عما ينشر في المجلة.

وكأمثلة للمقالات المشرقية التي نشرت في الصحف والمجلات الجزائرية مقال للكاتب مي زيادة¹ المعنون: مقال رسالة الأديب، وقد جاء المقال نقلاً عن مجلة الرسالة بنفس العنوان من محاضرة النابغة الأنسة مي، وهو لقب اعتادت مجلة الرسالة إطلاقه على الكاتبة مي زيادة والتي كانت تنشر قصائدها ومقالاتها في المجلة، وأعاد الشهاب نشره شهر ماي سنة 1938²، وقصة هذا المقال الذي كتبه مي باختصار هو محاضرة كان عليها أن تلقيها في الجامعة الأمريكية ببيروت لتثبت سلامة صحتها العقلية بعد أن ألقى بها أقاربها في مشفى الأمراض النفسية والعقلية. يتحدث مقال مي عن أن الحضارة يجب استعمالها لا أن تستعملنا، وأن الشخص المتحضر ليس من يمتلك مظهرها جيداً وسيارة أو طائرة وباستطاعته اتقان لغة أو اثنين، وقد قالت أن رسالة الأديب الحقيقية تدعم الحضارة نحو التقدم، وتمكين العامة من التقرب أكثر من لغتهم العربية لأن كل الأمم تصرف أموالاً دعائية لتصنع صورة محبة للناس عنها، كما تحدثت مي عن الحضارة الأدبية التي تقاس بالموهبة والتشبه بالوجود، الحضارة التي تنطق بلساننا، إن رسالة الأديب بعيدة عن حب الأضواء والظهور بل هي عزلة وهذوء وقد قدمت لنا مثال حبة القمح التي تنمو بهذوء في الأرض لتصبح سنبله، تقول مي أن رسالة الأديب تمكننا من معرفة شخصيات قومية، الاستفادة من النزعة الجمالية الأدبية، وتنتهي مي مقالها بتساؤل عن الأشياء التي لا تعلمنا إياها رسالة الأديب الحقيقية³.

يبدو أن نقل هذا المقال المنشور في المشرق نحو الصحف الجزائرية بالتحديد الشهاب في ماي 1938 هو من النقل النادر الذي قامت به الشهاب للكاتبة الفلسطينية مي زيادة⁴، فإن مقالها هذا هو نصائح لمبتدئي الكتابة

¹ مي زيادة (1886-1941): شاعرة وكاتبة فلسطينية وُلدت في الناصرة، برعت في الصحافة وكتابة المقالات ذات الطابع الاجتماعي بأسلوب مميز يجمع بين العاطفة والثقافة الواسعة، سواء العربية أو الأجنبية، كتبت في عدة صحف مصرية، منها المحروسة حيث خصصت لها زاوية ثابتة بعنوان: يوميات فتاة استخدمت فيها أسماء مستعارة، كما أسست باب خلية النحل في صحيفة السياسة الأسبوعية، الذي اعتمد على تفاعل القراء من خلال الأسئلة والأجوبة، من أبرز كتبها: باحثة البادية (1920)، كلمات وإشارات (1922)، والمساواة (1923)، ينظر: خالد محمد غازي، مي زيادة، سيرة حياتها وأدبها وأوراق لم تنشر، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، مصر، 2010، ص 11.

² مي زيادة، "رسالة الأديب"، الشهاب، ج 2، مج 14، 1938، ص 83.

³ نفسه.

⁴ تعرضت مي زيادة لانتقام الجنون بعد وفاة والديها ووفاة جبران خليل جبران، حيث استغل بعض أقاربها حالتها النفسية لوضعها في مستشفى للأمراض العقلية، مستغلين غياب الدعم الحقيقي من الأدباء والمفكرين الذين كانوا يترددون على صالونها الأدبي، رغم أنها كانت رمزاً ثقافياً وأدبياً بارزاً، تحلى عنها الكثير ممن كانوا يتوددون إليها في أوج نجاحها، ولم يتحركوا لإنصافها إلا بعد أن أثبتت براءتها من تهمة الجنون بفضل هذا المقال الذي ألقته كمحاضرة، وعادت إلى الساحة الثقافية، لكن بعد أن عانت العزلة والقهرة، هذا الموقف يشبه إلى حد ما تعامل الأدباء العرب مع الأدب الجزائري خلال فترة الاستعمار، حيث لم يكن يحظى بالاهتمام الكافي، بل كان يُهمَّش من قبل كثير من النخب الثقافية العربية، ربما بسبب هيمنة الثقافة الفرنسية على المشهد الأدبي الجزائري أو النظرة الاستعمارية لبعض المراكز الثقافية العربية تجاه الإنتاج الأدبي في المستعمرات، ولكن مجرد أن دوى صوت الثورة الجزائرية عالمياً، بدأ الاعتراف بالأدب الجزائري يتزايد، وبدأ الأدباء العرب ينظرون إليه باعتباره تعبيراً عن نضال شعب مكافح، وأصبح من الصعب تجاهل مكانته، وكان

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

أو الذين يتباهون بثقافة غيرهم، وكانت هذه الأمور منتشرة في أوساط المثقفين الجزائريين فلذلك فإن مقال مي مناسب ليقرأه متصفح الشهاب التي افتتحت هذا المقال واصفة الكاتبة بالنابعة الآنسة مي نقلا عن احدى محاضراتها، ولسنا نعلم إن كانت هذه المحاضرة منشور في الصحف أو حضرها أحد أعضاء جريدة الشهاب ودونها ونقلها لنا في الجريدة.

كما نشرت الشهاب مقالا أحمد حسن الزيات¹ بتاريخ أوت 1938²، نقلا عن احدى المجلات المشرقية، هذا المقال يسلط الضوء على الأهمية البالغة لتاريخ الأدب في حياة الأمة، حيث يُظهر كيف أن المحافظة على اللغة والثقافة الأدبية تعتبر أساساً أساسياً لبناء وحدة الشعب وشرفه وفخره، يقدم المقال فكرة أن حرمان الشعب من آدابه وعلومه الجليلة يُعتبر انتهاكاً لسياق تقاليد الأدبية والقومية، وهذا يؤدي إلى فقدان قدراته وخصائصه ونظام وحدته³.

بتاريخ فيفري 1954 نشرت مجلة هنا الجزائر قصيدة للشاعر اللبناني إيليا أبو ماضي باللغتين، الفرنسية والعربية⁴، الشاعر إيليا أبو ماضي هذه القصيدة معنونة ب: "الطلاس" وهي تجسيد فلسفي عميق للأسئلة الوجودية التي تَوَرَّق الإنسان، وفي ديسمبر 1956، نشرت مجلة هنا الجزائر قصيدة لشاعر مصري يدعى صلاح جودت⁵ عرف عنه حبه لمصر والتغني بها، فاختارت المجلة نشر قصيدة له لكنها تتحدث عن امرأة فارقتها، يعاني من ألم

الاعتراف الحقيقي لم يأت إلا بعد أن فرضته التضحيات، تمامًا كما لم يُصِف الأدباء مي زيادة إلا بعد أن أهيئت وأُهممت ظلماً وبقيت لسنوات تحت رقابة المصححة، هؤلاء الأدباء الذين نشروا لها في الرسالة ثم هاجموا في نفس المجلة، المجلة التي تتجاهل كثيراً أخبار الأدب في الجزائر والكتابات المرسلة إليها.

¹ أحمد حسن الزيات (1885-1968): أديب مصري بارز وأحد رواد النهضة الأدبية في العالم العربي، اشتهر بتأسيسه مجلة الرسالة التي لعبت دوراً محورياً في إثراء الحركة الثقافية، وُلد في كفر دميرة القلم، ودرس في الأزهر ثم التحق بالجامعة الأهلية، كما حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس، عمل في التدريس والصحافة، وانتُخب عضواً في عدة مجامع لغوية، تميز بأسلوبه الأدبي المتقن الذي جمع بين الجزالة والبلاغة، وكان له تأثير كبير في الحفاظ على سلامة اللغة العربية، من أبرز أعماله وحي الرسالة (جمع فيه مقالاته في المجلة)، تاريخ الأدب العربي، في أصول الأدب، إضافةً إلى ترجماته مثل آلام فتر لغوته، ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، 2002 ص 113.

² أحمد حسن الزيات، "تاريخ الأدب العربي"، الشهاب، ج 06، مج 14، أوت 1938، ص 29.

³ نفسه.

⁴ إيليا أبو ماضي، "الطلاس"، مجلة هنا الجزائر، السنة الثانية، ع 21، ماي 1954، ص 29.

⁵ صالح جودت (1912 - 1976): شاعر وكاتب مصري، وُلد في الزقازيق ونشأ في أسرة مهتمة بالثقافة والأدب، مما أسهم في نبوغه الأدبي، تلقى تعليمه في القاهرة والمنصورة، حيث تعرف على أبرز شعراء جيله، وانضم إلى مدرسة أبولو الشعرية متأثراً بأحمد شوقي، عمل في الصحافة، فكتب في الأهرام ودار الهلال، وتولى رئاسة تحرير مجلة الهلال عام 1971، تميزت أشعاره بالغنائية، فكتب لكبار المطربين مثل أم كلثوم، محمد عبد الوهاب، وفريد الأطرش، وتناول في أعماله موضوعات وطنية ورومانسية، من أبرز دواوينه ألحان مصرية (1955) والله والنيل والحب (1965)، كما كتب روايات منها الشباك وعودي إلى البيت، ينظر: كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، دار الكتب العلمية، ج3، بيروت، 2003، ص 177.

فقدانها، هذه القصيدة منشورة كمثال القصائد الأخرى التي تنشرها المجلة في فترات حرجة كان كل هم الجزائريين هو فقدانهم لعائلاتهم تحت عمليات القتل والتنكيل والاعدام والتعذيب المخزي¹.

حيث تعبر قصيدة "في المعادي" للشاعر صالح جودت عن الألم والحزن الذي يخيم على القلب بعد فقدان الحبيب، وتتناول مشاعر الحنين والأسى بشكل عميق، كما نُشرت قصيدة بعنوان يا ورد لبشارة الخوري² الملقب بالأخطل الصغير في مارس 1954 بمجلة هنا الجزائر باللغتين، العربية والفرنسية في نفس العدد³ وهي قصيدة غنائية قام محمد عبد الوهاب بتلحينها وتأديتها.

2.1. الاهتمام الأدب الغربي:

تأثير الأدب الفرنسي على الشعراء الجزائريين خلال فترة الاحتلال، رغم القوة الثقافية للحكم الفرنسي، كانت الصلة بالأدب الفرنسي ضعيفة، حيث ركز معظم الشعراء على الشعر العربي واستفادوا منه، سعيًا منهم للتفرد بالهوية العربية، ومع ذلك، كان هناك بعض الأدباء، مثل رمضان حمود، الذين أظهروا اهتمامًا بالأدب الفرنسي، ودعوا إلى الاستفادة منه، كترجمة حمود لقصيدة للشاعر الفرنسي لاموني، إذ يعتبر رمضان حمود أن الأدب الغربي يمكن أن يساهم في تحديد الأدب الجزائري، لكنه واجه عدم استجابة من الأدباء الآخرين الذين كانوا يميلون بشكل أكبر إلى تطوير الشعر العربي، يشير محمد ناصر إلى أن عدم وجود فرص لتعلم اللغة الفرنسية كان عائقًا نفسيًا للشعراء الجزائريين⁴، وقد ترجم رضا حوحو عن الأدب الفرنسي للكاتب فولتير⁵ (François-Marie Arouet)، الفريد

¹ صالح جودت، "في المعادي"، هنا الجزائر، ع 43، ديسمبر 1956، ص 13.

² بشارة الخوري (1885 - 1968): شاعر وصحفي لبناني، اشتهر بلقب "الأخطل الصغير"، وُلد في بيروت وتلقى تعليمه في مدارس الحكمة والفريز، أسس جريدة البرق عام 1908، التي أغلقت نهائيًا بأمر من السلطات الفرنسية عام 1933، خاض معارك أدبية وسياسية، وكرّس شعره للدفاع عن القضايا الوطنية والقومية، معبرًا عن اعتنازه باللغة العربية، امتاز شعره بالغنائية الرقيقة، وجزالة الأسلوب، وقوة البناء الفني، متأثرًا بحركات التجديد في الشعر العربي، حصل على لقب أمير الشعراء عام 1961 خلال حفل تكريمه في بيروت، من أبرز أعماله: الهوى والشباب (1953) وشعر الأخطل الصغير (1961)، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، مج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مصر، 1990، ص 544.

³ بشارة الخوري، "يا ورد"، مجلة هنا الجزائر، ع 22، مارس 1954، ص 22.

⁴ ناصر، الشعر، المرجع السابق، ص 117-128.

⁵ فولتير (1694-1778): هو فيلسوف وكاتب فرنسي، يُعد من أبرز مفكري عصر التنوير، اشتهر بأسلوبه الساخر ودفاعه عن الحريات، خاصة حرية الفكر والتعبير، انتقد بشدة الاستبداد السياسي والتعصب الديني، مما جعله في صدام دائم مع السلطة والكنيسة، من أبرز أعماله كانديد، التي هاجم فيها التفاؤل الساذج وسلط الضوء على معاناة البشر، لعبت أفكاره دورًا مهمًا في التمهيد للثورة الفرنسية، إذ دعا إلى العدالة، كان يؤمن بالعقلانية والتسامح، وغُرف بمقولته المنسوبة إليه: "قد أختلف معك في الرأي، لكنني مستعد أن أموت دفاعًا عن حقك في التعبير عنه"، ينظر:

Libby Margaret Sherwood, *The Attitude of Voltaire to Magic and the Sciences*, Columbia University Press, New York, 1935.

دي موسي (Louis Charles Alfred de Musset-Pathay)¹، فيكتور هوغو (Victor Marie Hugo) في مجلة المنهل² الصادرة بمكة المكرمة³.

كما تسلط الضوء على مجلة "هنا الجزائر" التي اهتمت بالأدب الفرنسي، وكانت تهدف إلى جذب انتباه الأدباء إلى التيارات الجديدة في الأدب الغربي، وعلى الرغم من اهتمام البعض بالأدب الإنجليزي، فإن الثقافة الفرنسية كانت الأكثر تأثيراً في الجزائر قبل الاستقلال.

أما فرانز فانون⁴ (Frantz Fanon)، الطبيب النفسي المارتينيكي، فقد اعتبره الجزائريون فيلسوف الثورة، حيث اختار الجزائر وطناً له وشارك في الثورة، حيث أصبح مواطناً له حقوقه وواجباته، كتب فانون عن الثورة الجزائرية في مؤلفاته، مما يعكس تأثيره بالأفكار التحررية وفي كتابه الأخير "الكادحون في الأرض"، قدم فانون تحليلاً عميقاً للوضع الاجتماعي والسياسي في الجزائر، وقد ترجمته الجريدة وعرضته على قرائها كتعبير عن الفقد العظيم للمفكر الكبير، مشيرةً إلى أهمية أفكاره وتأثيرها على العالم الثالث⁵.

¹ ألفريد دي موسيه (1810-1857): شاعر وكاتب مسرحي وروائي فرنسي، يعد من أبرز رموز الرومانسية في الأدب الفرنسي، امتازت أعماله بالعاطفة العميقة والتأمل في الحب والمعاناة، ومن أشهرها: اعترافات فتى العصر ولورينزاكيو، تأثر بواقعه الشخصي وعلاقاته العاطفية، خاصة مع الكاتبة جورج صاند، ينظر:

Louise Both-Hendriksen, *La triade française : Alfred de Musset, Lamartine, et Victor Hugo*, C. Schoenhof, Paris, 1886, p198.

² مجلة المنهل: هي مجلة سعودية ثقافية شهرية تأسست عام 1930، على يد عبد القدوس الأنصاري، وتُعنَى بالشؤون الأدبية والعلمية، بدأت فكرتها كطموح فردي، حيث تقدم الأنصاري بطلب إصدارها، فحصل على الموافقة وأصدر العدد الأول في ذي الحجة 1355هـ، تطورت المجلة وانتقلت من المدينة المنورة إلى مكة ثم جدة، واستمرت بالصدور إلى اليوم، هدفت إلى دعم الأدب المحازي، وتعزيز مكانة المملكة الأدبية، وإبراز اللغة العربية والأدب السعودي، قدمت إسهامات رائدة، مثل نشر القصة القصيرة والبحوث الأثرية، والاهتمام بالمواهب الناشئة، بعد وفاة المؤسس عام 1983، تولى ابنه نبيه عبد القدوس الأنصاري رئاسة تحريرها، مما ساهم في تطويرها وتوسيع مجالاتها، ينظر: أمين ساعاتي، *تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود*، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، السعودية، 1998، ص 66-71.

³ دوغان، شخصيات...، المرجع السابق، ص 38.

⁴ فرانز فانون (1925-1961): فرانز فانون ولد في جزر المارتينيكي، حيث يرجع إلى أصول إفريقية وفرنسية، وبذلك كان شبيهاً بسلفه توماس أوربان، رجل هجين من أب فرنسي وأم زنجية، بعد اكتسابه ثقافة طبية ونفسية عميقة، جاء إلى الجزائر ومارس فيها الطب النفسي، وانضم إلى الثورة سرّاً لأنه أعجب بها وبأسلوبها في الكفاح وعلق عليها آمالاً عريضة في تحرير الإنسان عموماً والإنسان الإفريقي خصوصاً، كتب عنها بعض الكتب، منها "السنة الخامسة للثورة الجزائرية" و"الكادحون في الأرض"، كتاب "السنة الخامسة للثورة"، عند صدوره، اعتبر وثيقة مؤثرة ضد الاستعمار، ووثيقة تكشف عن تطور المجتمع الجزائري بسبب الثورة، ووثيقة تسعى إلى تحرير الإنسان المضطهد في كل مكان، كشفت هذه الوثيقة عن العلاقة المعقدة التي كانت تربط بين المستعمر والمستعمر، وقد نالت اهتمام الناس الذين قاموا بترجمتها إلى عدة لغات، وقاموا بتحليل آراء المؤلف وتصويبها في بعض الأحيان، ينظر: دافيد كوت، *فرانز فانون: سيرة فكرية*، تر: عدنان كيالي، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، 201، ص 29.

⁵ سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي*...، ج 9، المرجع السابق، ص 600

2. خيارات لغة الكتابة:

1.2. الكتابة باللغة الفرنسية

فرض الاحتلال الفرنسي على الجزائر استخدام اللغة الفرنسية بالقوة، مما أدى إلى تهميش اللغة العربية التي تم استبعادها من التعليم والإدارة الرسمية، كما سبق التطرق ونتيجة لذلك، أصبحت العربية غريبة بين أهلها ونادراً ما كانت تستخدم، حيث كانت اللغة العربية تُعتبر رمزاً للهوية الوطنية والقومية للشعب الجزائري، واستهدفها الاحتلال كجزء من جهوده للسيطرة على الشعب فهو يعتبرها تهديداً لهيمنته، من خلال القضاء على اللغة والدين، سعى الاحتلال إلى محو عناصر الهوية الجزائرية، وتجاهل تاريخها وأصالتها¹.

عانى العديد من الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة الفرنسية من شعور بالغربة، حيث كانوا يعبرون عن مشاعرهم وهمومهم بلغة "العدو"، مما جعلهم يشعرون بأنهم منفصلون عن قيمهم الثقافية، هذه المشاعر أعرب عنها في كتاباتهم وتصريحاتهم، مما دفع الكثيرين منهم، بعد الاستقلال، إلى بذل جهود كبيرة لتعلم اللغة العربية واستخدامها في كتاباتهم بدلاً من الفرنسية، التي كانت ترمز إلى الهيمنة والاستبعاد، هذه الخطوة كانت ضرورية لاستعادة توازن شخصيتهم وكرامتهم، ولتأكيد هويتهم الوطنية واستكمال استقلالهم.

يعالج أحمد لمنور إشكالية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، باعتباره نتاجاً لتناقضات الاحتلال الفرنسي، الذي فرض لغته وثقافته على الجزائريين، إلا أن بعض الكتاب استغلوا هذه اللغة لمحاربة الاحتلال ونشر الفكر التحرري، ويرى لمنور أن هذه الظاهرة لا تخص الجزائر وحدها، بل تتكرر في دول أفريقية وآسيوية أخرى خضعت للاستعمار، مما أدى إلى ظهور أدب محلي مكتوب بلغات أجنبية، فتتعدد الآراء حول هوية هذا الأدب؛ فهناك من يعدّه أدباً أوروبياً بسبب لغته، وآخرون يرونه تعبيراً قومياً عن الوطن، في حين يعتبره بعضهم أدباً بلا هوية واضحة، ويستند لمنور إلى مبادئ الأدب المقارن في المدارس الفرنسية والأمريكية لتفسير هذه التوجهات، مشيراً إلى التغيرات التي طرأت على بعض الكتاب بعد الاستقلال، حيث توقف بعضهم عن الكتابة بالفرنسية أو انتقل إلى العربية، مثل مالك حداد وكاتب ياسين².

¹ مهداوي، هموم الكتابة...، المرجع السابق، ص 77.

² أحمد منور، (01 أبريل 2018)، ملاحظات حول وضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في الوقت الراهن، مجلة أنطولوجيا، استرجعت في 08 نوفمبر

2023، من الموقع الإلكتروني: <https://alantologia.com/blogs/7821>

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

يتحدث أبو القاسم سعد الله في الجزء التاسع من كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" عن الكتابة باللغة الفرنسية في الأدب الجزائري، حيث يروي أنه في فترة تواجده في القاهرة خلال الثورة، طرح سؤالاً للحاج يعلى، المعروف أيضاً بمحمد يعلى¹، حول الأدباء الجزائريين الذين اتخذوا اللغة الفرنسية وسيلة للتعبير عن أفكارهم الأدبية، كان الحاج يعلى شخصية أدبية وسياسية معروفة في منتصف الخمسينات، وسمع سعد الله عن بعض هؤلاء الأدباء من خلال المجلات العربية التي كانت تقوم بترجمة ونشر أعمالهم، نظراً لارتباطهم بثورة الجزائر².

كما أثنى النقاد الفرنسيون في بعض الأحيان على جهود هؤلاء الأدباء، معتبرين أعمالهم نتاجاً للمدرسة الأدبية الجزائرية الفرنسية، كانت تلك الأعمال تتميز بمزيج فريد من الثقافة العربية والفرنسية، مما أثار إعجاب النقاد الفرنسيين وفتح المجال لتعبيرهم عن دهشتهم تجاه هذا التوليف الثقافي.

تظهر المجلات والصحف العربية في تلك الفترة اهتماماً بالأدب الأجنبي، حتى لو كان من تأليف العرب أنفسهم، وقد كان الأدب الجزائري محط اهتمام خاص، حيث تركزت على أسماء مثل محمد ديب وكاتب ياسين ومولود معمري ومولود فرعون ومالك حداد، كانت أعمال هؤلاء الأدباء محل اهتمام واسع، حيث تم ترجمة أعمالهم ونشرها، وكانوا محط تقدير وإعجاب، وقد قدموا رؤى لقضية بلادهم من خلال الكتابة والحوار، بدلاً من اللجوء إلى العنف واستخدام السلاح.

يقول سعد الله: "في ذلك الوقت، استفسرت من الحاج يعلى حول جيله من الأدباء، فقدم لي قائمة تضم الكثير من الأسماء، بينها تلك التي سبق ذكرها وأضاف إليها أسماءً أخرى، مثل آية جعفر، نور الدين التداقي،

¹ محمد يعلى (1929-2021): سياسي جزائري بارز وعضو في جبهة التحرير الوطني، شغل عدة مناصب حكومية بعد الاستقلال، بدأ مسيرته كسفير للحكومة الجزائرية المؤقتة في الصين خلال حرب التحرير، ثم تولى مناصب إدارية كوالي للجزائر العاصمة وقسنطينة، قبل أن يصبح مستشاراً في رئاسة مجلس الوزراء عام 1974، لاحقاً، تقلد مناصب وزارية مهمة، منها وزير التجارة (1977-1979)، ووزير المالية (1979-1982)، ووزير الداخلية (1982-1987)، كما عُيّن سفيراً في الاتحاد السوفيتي عام 1988، ينظر: وكالة الأنباء الجزائرية، الرئيس تبون يكرم المجاهد والدبلوماسي محمد يعلى، نُشر بتاريخ 29 سبتمبر 2021، استرجعت في تاريخ 18 فيفري 2025، من الموقع الإلكتروني: <https://www.aps.dz/ar/algerie/113118-94>

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج9، المرجع السابق، ص 157.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

والشريف بن حبيلس¹، الذي اعتبره الحاج يعلى أول من قام بكتابة القصة في نظره²، كما ذكر الحاج يعلى أيضاً وجود أدباء فرنسيين من الجزائر، مثل ألبير كامو (Albert Camus) وإيمانويل روبلز³ (Emmanuel Roblès) وجان سيناك⁴ (Jean Sénac)، لكنه لم يتطرق إلى ذكر مصطفى الأشرف، ربما لأنه ليس شاعراً أو قصاصاً.

لم يذكر الحاج يعلى شخصيات أدبية مهمة أخرى مثل بشير حاج علي، الشاعر والأديب وعضو الحزب الشيوعي الجزائري، أو محمد حربي المعروف بتوجهه الماركسي، أو الصادق هجرس الكاتب والطبيب، أو عبد الحميد بن زين الأديب الصحفي الاشتراكي، والذين كانوا جزءاً من أسرة تحرير جريدة "الجزائر الجمهورية" المعروفة بتوجهها اليساري، كما لم يتحدث عن آسيا جبار، التي كانت تعتبر نجمة في الأدب الجزائري⁵.

¹ الشريف بن حبيلس (1885-1959): كاتب جزائري يكتب باللغة الفرنسية، وُلد في ولاية قسنطينة لعائلة مثقفة، درس في المدارس الفرنسية وجامعة الجزائر، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق، انتمى إلى التيار السياسي الداعي للحل السلمي للقضية الجزائرية، مثل فرحات عباس، مما عرضه لاتهامات بالتخاذل في دعم الثورة المسلحة، من أبرز أعماله الجزائر الفرنسية برؤية جزائري (1914) وحماية القصر الجزائريين في التشريع (1924)، اغتيل في فرنسا عام 1959 بعد لقاءه بفرحات عباس في سويسرا، في ظروف غامضة أُلحقت فيها فرنسا وجهة التحرير الوطني على حد سواء، ينظر:

Abdellali Merdaci, Chérif Benhabylès, dans *Auteurs algériens de langue française de la période coloniale: Dictionnaire biographique*, L'Harmattan, Paris, 1er avril 2010, 318 p.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج9، المرجع السابق، ص 158.

³ إيمانويل روبلز (1914-1995): كان كاتباً ومسرحياً فرنسياً من أصل جزائري، وُلد في وهران لعائلة عاملة من أصول إسبانية، بدأ مسيرته الأدبية في الجزائر، حيث التقى بألبير كامو عام 1937، وانضم إلى مجموعة من الكتاب الشباب حول الناشر إدموند شارلو، نشر أولى رواياته "L'Action" عام 1938، وتبعها برواية "La Vallée du paradis" عام 1941، خلال الحرب العالمية الثانية، خدم كمتوكل في الجيش الفرنسي، ثم كمراسل حربي، مما أثرى تجربته الأدبية، بعد الحرب، عاد إلى الجزائر وأسس مجلة "Forge" الأدبية، التي احتضنت أصواتاً جزائرية بارزة مثل محمد ديب وكاتب ياسين، في عام 1948، حصل على جائزة فيمينا عن روايته "Les Hauteurs de la ville"، التي تناولت قضايا الاستعمار والعنصرية في الجزائر، كما كتب مسرحيته الشهيرة "Montserrat" في نفس العام، والتي تناولت موضوعات الحرية والضمير خلال حرب استقلال فنزويلا، في عام 1952، نشر روايته "Cela s'appelle l'aurore"، التي تم تحويلها إلى فيلم ناجح من قبل لويس بونويل، تم انتخابه عضواً في أكاديمية غونكور عام 1973، وتوفي في بولوني-بيانكور عام 1995، ينظر:

Denise Bourdet, Emmanuel Roblès, dans: *Visages d'aujourd'hui*, Plon, Paris, 1960.

⁴ جان سيناك (1926-1973): شاعر وكاتب جزائري من أصل أوروبي، وُلد في بني صاف ونشأ في حي شعبي بوهران، تأثر منذ شبابه بالتمييز العنصري الذي مارسه المستعمرون الأوروبيون تجاه الجزائريين، ما دفعه إلى تبني قضايا التحرر والعدالة الاجتماعية، انخرط في النشاط الأدبي مبكراً، حيث أسس جمعية "الشعراء المغومرين" عام 1943، ونشر أولى قصائده في مجلات مغاربية، خلال حرب التحرير، دعم الثورة الجزائرية، وواصل بعد الاستقلال الدفاع عن حرية التعبير وحقوق الإنسان، ما جعله عرضة للمراقبة والتهديد، تميزت أعماله الشعرية، مثل "الوردة والفُراس" و"ديوان النون"، بتناولها لموضوعات الهوية، الحب، والتمرد، مستخدماً لغة شعرية تجمع بين الرمزية والالتزام السياسي، في 30 أوت 1973، عُثر عليه مقتولاً في الجزائر العاصمة في ظروف غامضة، وظلت قضيته دون حل، يُعتبر سيناك أحد أبرز الأصوات الشعرية التي جسدت التوترات الثقافية والسياسية في الجزائر ما بعد الاستعمار، ينظر:

Hervé Sanson, (07 August 2012), Jean Sénac: *citoyen inconnu de l'Ailleurs*, Insaniyat, consulté le 18 novembre 2024, sur le site : <https://journals.openedition.org/insaniyat/3432?lang=en>

⁵ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج9، المرجع السابق، ص 158.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

هناك جدل قائم حول هوية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، حيث ينقسم الرأي العام بين من ينكر جزائرية هذا النوع من الأدب، معتبرين أنه ينتمي إلى الثقافة الفرنسية، ومن يعتبره جزائريًا بامتياز نظرًا لروح الكتابة التي تعكس الهوية الجزائرية¹.

يعتمد أصحاب الرأي الأول على دراسة الباحث الفرنسي جان ديجو، الذي يعتبر أن الأدباء الجزائريين في تلك الفترة كانوا مجرد "تلاميذ" يحاولون إثبات عدم ارتكابهم أخطاء لغوية في تعابيرهم الكتابية، ويعتبر الدكتور أحمد منور أن دراسة ديجو تعكس عنصرية وعدم انصاف بحق الأدباء المغاربة الذين درسهم².

يرى مناصرو الرأي الثاني أن هؤلاء "التلاميذ" هم مثقفون يحملون ثقافة عربية وفرنسية عالية، ويمتلكون مواهب في السرد الروائي والقصصي، رغم أن هذا التيار الذي يكتب باللغة الفرنسية يعتبر غالبًا تيارًا اندماجيًا، إلا أن كتابه حرصوا على تمكين شعبهم من المساواة بين الجزائريين والمستوطنين³.

تتجلى تأثيرات الأحداث التاريخية على الأدباء، لاسيما مجازر 8 ماي 1945، حيث عايش هؤلاء الكتاب آثار الاحتلال المباشرة، مما جعلهم يؤمنون بضرورة الثورة، يظهر ذلك بشكل واضح في الأعمال الأدبية لكتاب من جيل "الرواد"، الذين بدأوا نشاطهم الأدبي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية واستمروا خلال فترة الثورة، محملين بروح نضالية عالية، وتستخدم هذه الفئة من الكتاب اللغة الفرنسية، التي تمثل لغة المستعمر، كوسيلة للتعبير عن تجاربهم ومعاناتهم، يتضح هذا في أعمال كتاب بارزين مثل ياسين، الذي كتب روايات مثل "نجمة" و"الأجداد يزدادون ضراوة"، ومحمد ديب في ثلاثيته المعروفة "الدار الكبيرة" و"الحريق" و"المنسج"، ومولود معمري في "في الهضبة المنسية" و"نوم العادل"، كما يعكس جان سيناك (Jean Senac) هذا المنحى في عمله "في الشمس تحت البنادق"، وقد تميز هذا الجيل بالإبداع والنشاط الأدبي، حيث كان لهم دور بارز في تأسيس الأدب الجزائري باللغة الفرنسية، تمتعوا بغزارة الإنتاج وتنوع المواضيع، مما أضاف صورًا وتعبيرات جديدة للأدب، وأدخلوا عناصر لغوية وموضوعاتية جديدة، حتى بالنسبة للكتاب الفرنسيين أنفسهم، من خلال أسلوبهم الفريد، أظهر هؤلاء الأدباء تميزهم في المشهد الأدبي، مما يعكس التفاعل العميق بين الثقافة الجزائرية والتأثيرات الفرنسية.

¹ منور، الأدب الجزائري...، المرجع السابق، ص 04.

² نفسه، ص 05.

³ نفسه، ص 06.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

يبقى النقاش مفتوحاً حول هوية هذا الأدب، حيث يعكس المواقف المتباينة تجاه تأثير الاحتلال، ويؤكد على الدور المهم للأدباء الجزائريين في الحفاظ على هويتهم الثقافية من خلال الكتابة بلغة المستعمر.

جدول رقم (18): يوضح الفترات التي مر بها الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

المرحلة	الفترة الزمنية	الوصف
فترة الإهمال الثقافي	1830 - 1880	خلال هذه المرحلة، لم يكن هناك نشاط كبير في الكتابة باللغة الفرنسية، سواء في النصوص الأدبية أو الرواية، حيث عانى الجزائريون من إهمال التعليم، حيث كان من الصعب العثور على أسماء جزائرية كتبت باللغة الفرنسية أغلب الأعمال كانت مترجمة من العربية، مثل "المرأة" لحمدان خوجة ومذكرات بوضرية ¹ .
فترة التحول الأدبي	1880 - 1920	شهدت هذه المرحلة ظهور كتاب مقالات وكتيبات وبعض الدراسات تأسست المعاهد والمدارس في العاصمة وقسنطينة التعليم كان مخصصاً لأبناء الجزائريين المتطوعين في الجيش الفرنسي وبعض الموظفين، ومع بداية الثمانينات، بدأت المدارس الأهلية تخرج طلاباً من خلفيات مختلفة، ظهرت كتابات جزائرية باللغة الفرنسية ² .
فترة الانتشار الثقافي	1920 - 1950	انتشر التعليم الفرنسي والعربي، وتم توسيع نطاق التعليم ليشمل أوساط مختلفة، ساهمت هذه الفترة في التطور السياسي وظهور الصحف، رغم أن الكتابة باللغة الفرنسية كانت مرتبطة بأسماء معينة، كان هناك شخصيات بارزة في التعليم والصحافة، مثل فرحات عباس كما شهدت الفترة ظهور جيل جديد من الكتاب.

يتناول الجدول مراحل تطور الكتابة باللغة الفرنسية في الجزائر من 1830 إلى 1962، بدءاً من فترة الإهمال الثقافي (1830-1880) التي شهدت غياب النشاط الأدبي وانحصار الأعمال في الترجمات من العربية بسبب إهمال التعليم، تلتها فترة التحول الأدبي (1880 - 1920) التي شهدت تأسيس معاهد ومدارس جديدة، مما أدى إلى ظهور كتابات جزائرية باللغة الفرنسية، أخيراً، في فترة الانتشار الثقافي (1920 - 1950)، توسع نطاق التعليم وظهرت شخصيات بارزة في الأدب والصحافة، مثل فرحات عباس، مما ساهم في تشكيل هوية أدبية جديدة

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 174.

² نفسه، ص 175.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

تعبّر عن التجارب الوطنية، تعكس هذه المراحل النضال الثقافي للجزائريين في مواجهة الاحتلال، حيث استخدم الأدب كوسيلة للتعبير عن الهوية والمقاومة.

في خمسينيات القرن العشرين، تميز هذا الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية بمحاولة إدماج المجتمعات الشفوية في الكتابة الأدبية الحديثة، كما فعل معمري وديب وجون عمروش وغيرهم فقد ركّز هؤلاء الكتاب على إبراز التناقض بين الفضاء الاجتماعي الجزائري و"الحضارة" الاستعمارية المفروضة، على النقيض من هذا التوجه الوصفي، جاءت رواية نجمة لكاتب ياسين بأسلوب غامض يرفض السرد التقليدي، ويقلب العلاقة بين الذات والآخر¹.

أحد أبرز العوامل التي ساهمت في وصول الأدب الجزائري إلى الساحة العالمية هو الكتابة بالفرنسية، التي مكنت من تجاوز الحواجز اللغوية، أعمال مثل كتابات مولود معمري ومولود فرعون وكاتب ياسين، فقد وجدت صدى واسعاً في أوروبا وأمريكا اللاتينية، بينما تطلبت النصوص العربية جهوداً إضافية للترجمة.

تناولت الناقدة غالينا جوغاشفيلي (Galina Djougachvili) في كتابها الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (Le Roman Algérien d'Expression Française) عام 1976 الأدب الجزائري من زاوية نقدية سوفياتية، مركّزة على جماليات السرد وتعبير الرواية عن الهوية الوطنية، أشارت إلى دور معهد غوركي (A.M. Gorki) الذي ضم باحثين متخصصين في أدب المغرب العربي مثل ألكسندر كودلين (Alexandre Kodlin)، زوفلي ناميتوكوف (Zoufli Nametokova)، غالينا جوغاشفيلي، وإيرينا نيكيفوروا (Irina Nikiforova)².

رغم ارتباط الاستشراق بالمصالح الاستعمارية كما فضحه إدوارد سعيد (Edward Said)، فإن النقد السوفياتي للأدب الجزائري سعى إلى دعم أدب المقاومة وتسلط الضوء على الثقافة الشعبية الجزائرية، مع تجنب الأهداف الإمبريالية، رغم خلفيته الأيديولوجية³.

الثورة الجزائرية (1954-1962) شكّلت بدورها عاملاً حاسماً في توسيع حضور الأدب الجزائري عالمياً، خاصة بعد أن نشرت دور مثل غاليمار (Gallimard) وماسبيرو (Maspero) أعمال كتاب جزائريين وساهمت في إيصالها إلى قراء غير ناطقين بالعربية، وقد تناولت الناقدة جاكلين أرنو (Jacqueline Arnaud) في دراستها

¹ Charles Bonn, « Le roman maghrébin et le concept de différence », Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire, n° 6, 1986, pp 73-84.

² Galina Djougachvili, Critique soviétique sur les littératures francophones du Maghreb, (Œuvres et critique, édition Jean Michel, Paris, 1979, p21.

³ Irina Nikiforova, Les recherches sur les littératures maghrébines d'expression française en URSS: conception, résultats, perspectives, (Œuvres et critique, édition Jean Michel, Paris, 1979, p25-26.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

لرواية نجمة (Nedjma) إشكالية التلقي، مستشهداً بحادثة رواها كاتب ياسين (Kateb Yacine) عن تعجب حلاق شبه أُمّي من كتابة الرواية بالفرنسية، مما يعكس أزمة الخطاب الأدبي الموجه إلى جمهور لا يفهم لغة المستعمر، هذه الإشكالية ترافقت مع رفض بعض الأوساط الفرنسية للعمل عند صدوره بسبب تناوله للثورة والعادات الجزائرية¹. تبين هذه القراءات أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية عانت من تحديين: قلة تواصلها مع الجمهور المحلي، وتلقيها ضمن نظرة استعمارية فرنسية، لكنها مع ذلك أسست لمكانة قوية في الأدب العالمي، وجسدت بامتياز الهوية الجزائرية في ظل الاحتلال.

2.2. الكتابة باللغة العربية أو العامية:

واجه الجزائريون واقعا صعبا بسبب سياسات الاحتلال الفرنسي المتعددة، خاصة فيما يتعلق بهويتهم ولغتهم، ورغم التحديات، تمكن الجزائريون من الحفاظ على لغتهم العربية، التي تمسكوا بها بقوة وعزم، في البداية، كان التمسك بالعربية مقتصرًا على بعض الزوايا والكتاتيب، لكن العقيدة الإسلامية الراسخة في قلوبهم جعلتهم يرون اللغة العربية جزءًا لا يتجزأ من دينهم، مما دفعهم للنضال والتضحية من أجل الحفاظ عليها، ورغم وسائل القمع التي استخدمها المستعمرون الفرنسيون، كانت إرادة الجزائريين أقوى، وهذا ما أدى إلى استمرارهم في الحفاظ على اللغة على مدار أكثر من قرن من الاحتلال، حيث كانت الزوايا والكتاتيب والمساجد مراكز لحفظ لغة القرآن².

في افتتاحية مجلة "هنا الجزائر"، تناول الكاتب، الذي قد يكون رئيس التحرير الطاهر بوشوشي، قضية اللغة، مشيرًا إلى الفصحى والعامية وتكييف اللغة مع العصر، أوضح الكاتب أن اللغة العربية مفهومة من قبل جميع الجزائريين، وأن الدارجة (العامية) تُستخدم لتسهيل التواصل، بينما تقتصر القبائلية على منطقة القبائل الكبرى والصغرى، وتُستخدم الفرنسية بشكل رئيسي من قبل الأوروبيين والسكان المتحدثين بها³.

أشاد الكاتب باللغة العامية لاستخدامها في البرامج الإذاعية، بينما اعتبر الفصحى لغة السبّح في الأجواء الرفيعة، وهي لغة القرآن والمسلمين في جميع أنحاء العالم، وأكد أن لكلتا اللغتين أنصارها، وتساءل حول اختيار الإذاعة الجزائرية بين اللغتين، مشيرًا إلى أنها اختارت حلاً وسطاً حيث تخاطب أهل الاختصاص بالفصحى في البرامج الثقافية والأدبية، بينما تحتفظ العامية ببرامج خاصة مثل الأحاديث الطبية والأخبار المحلية.

¹Arnaud Jacqueline Jacqueline, « Sur Nedjma de Kateb Yacine », *Œuvres et critiques*, vol. IX, n° 2, 1984, p37.

²ناصر، الشعر...، المرجع السابق، ص 18.

³ الطاهر بوشوشي، "كلمة افتتاحية"، مجلة هنا الجزائر، ع 01، 01 ماي 1952، ص 01.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

بالرغم من ذلك، ظل الأدب الجزائري المكتوب بالعربية مرتبطاً بالمنطلقات الإصلاحية، حيث لم تجد دعوات التجديد والاستفادة من الأدب الإنساني صداها، وظهر الاتجاه المحافظ الذي يفضل الشعر العمودي والمقالة كوسيلة للدعاية والوعظ، مما أدى إلى تأخر ظهور الأشكال الأدبية الحديثة، في المقابل، برزت الأدوات الأدبية الحديثة بشكل ملحوظ بين الكتاب الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية، ما يشير إلى فجوة واضحة بين الأدبين، وفي سياق النقاش حول أسبقية الثورة أو الأدب، فإن الأدب الجزائري المكتوب بالعربية كان تابعا لأحداث حرب التحرير، مما جعل الأناشيد الشعرية تنصدر المشهد الأدبي، حيث استمدت شرعيتها من الأحداث أكثر مما استمدت من طبيعتها الفنية، حتى النقاد العرب الذين كتبوا عن الأدب الجزائري في تلك الفترة لم يخفوا تعاطفهم مع الثورة، مما أثر على التركيز على البعد الفني للأعمال الأدبية، إذ يؤكد الباحث مخلوف عامر أن الأدب المكتوب بالعربية في الجزائر كان مرتبطاً بالأحداث الثورية، وأن هذا السياق أدى إلى بروز الأناشيد الشعرية، وعلى الرغم من ذلك، لم يحظ البعد الفني للأعمال الأدبية بالاهتمام الكافي¹.

من جهتها، تعتقد الباحثة عائدة أديب بامية أن الرواية الوحيدة المكتوبة بالعربية قبل الاستقلال كانت "الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي، ولكنها تشير إلى وجود عمل آخر باللغة العربية، وتعود ندرة الرواية العربية في تلك الفترة إلى الأوضاع السياسية الصعبة، بما في ذلك الصعوبات في الطباعة والنشر، وتعتبر العوامل الثقافية والفنية مسؤولة عن هذه الندرة، حيث لم يُعط التعليم العربي التقليدي في المدارس اهتماماً كافياً لتأليف الأعمال الأدبية مثل الرواية².

بالتالي، تظهر لنا التحديات الكبيرة التي واجهها الأدباء الجزائريون في الحفاظ على هويتهم ولغتهم، وكيف أن السياسة الثقافية الاستعمارية أثرت على الإنتاج الأدبي في الجزائر، كما يُسلط الضوء على أهمية العقيدة الإسلامية في الحفاظ على اللغة، بالإضافة إلى تأثير الأحداث التاريخية والسياسية على الأدب الجزائري المكتوب بالعربية.

ثانيا: المؤسسات الثقافية

1. الصحافة:

عند تعريف المؤسسة نجد بأنها كيان تنظيمي يُنشأ لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف، فتتكون المؤسسة من مجموعة من الأفراد الذين يتعاونون بشكل منظم لتنفيذ مهام معينة بهدف تحقيق أهداف محددة، سواء كانت

¹ مخلوف عامر، مراجعات في الأدب الجزائري، دار التنوير، الجزائر، 2013، ص 95.

² عائدة، تطور الأدب...، المرجع السابق، ص 453.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

اقتصادية، اجتماعية، تعليمية، ثقافية، أو غير ذلك، ويمكننا ادراج الصحافة في الجزائر ككيان ومؤسسة ولدت في ظروف خاصة وكان لها الأثر الكبير في فكر الجزائريين آنذاك وفي مساعدة المؤرخين لفهم الكثير من الأحداث أو تتبعها، وما يهمنا هنا علاقة الصحافة بموضوعنا حول الكتابات الأدبية الجزائرية.

أصبح حال الأدب الجزائري أفضل بعد ظهور الصحافة العربية في بداية القرن العشرين، فلقد ساهمت الصحافة في إعادة إحياء اللغة العربية ودعم الإبداع الأدبي، وكما تحتاج النهضة الفكرية إلى صحف ومجلات تعبر فيها عن مطامحها وأهدافها، وتعرض في الوقت ذاته مشكلات المجتمع في شتى ميادين وقطاعاته، فكانت هذه الصحف أبرز الوسائل الإعلامية والثقافية التي ساهمت مساهمة فعالة في تنشيط حركة الأدب الحديث في الجزائر، وبلورة تياراته واتجاهاته المختلفة¹.

بالاعتماد على ما ورد في قانون 29 جويلية 1881² الفرنسي المتعلق بحرية الصحافة، والذي كان معمولاً به في الجزائر إبان الفترة الاستعمارية الفرنسية، يمكن القول إن هذا القانون شكّل الإطار التشريعي الأساسي الذي نظم مجال الكتابة والنشر في الجزائر، رغم أن القانون كان يُقدّم على أنه ضامن لحرية الصحافة، إلا أنه في السياق الاستعماري الجزائري كان يُطبق بطريقة تمييزية، حيث استفاد منه الأوروبيون والمستوطنون في حين حُرِم منه الجزائريون المسلمون، الذين خضعوا لرقابة مشددة ومعاقبة صارمة في حال تجاوزوا "الخطوط الحمراء" التي وضعتها الإدارة الاستعمارية، مثل انتقاد السلطة الفرنسية أو الدفاع عن الهوية الوطنية والدينية للجزائريين.

تضمّن هذا القانون عدة مواد تُجرّم "التحريض على العصيان"، و"إهانة السلطات العمومية"، و"نشر الأخبار الكاذبة"، وهي مواد فضفاضة استُخدمت لقمع الصحف الوطنية الجزائرية الناشئة التي حاولت التعبير عن مظالم السكان الأصليين أو الدفاع عن حقوقهم، لذلك، فإن الكتابة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية لم تكن مجرد نشاط ثقافي أو إعلامي، بل كانت فعل مقاومة مخوفة بالمخاطر، وكان الكُتّاب الجزائريون يواجهون السجن أو النفي لمجرد تعبيرهم عن آراء لا تتماشى مع السياسة الاستعمارية.

كما أنه بموجب قانون حرية الصحافة أصبح بإمكان الجزائر نشر الدوريات والجرائد بدون رخصة أو كفالة مادية، وهكذا انطلق أوائل المفكرين والكتاب في رحلة الصحافة العربية الجزائرية، ولكن لم تكن الرحلة ممهدة أمامهم بسبب الانتهاكات الاستعمارية والممارسات التعسفية، فلا يهّم إن كان صاحبها مُعمراً أو أهلي لأن الرقابة كانت

¹ مهداوي، هموم الكتابة ...، المرجع السابق، ص 15.

² Loi du 29 juillet 1881 sur la liberté de la presse, (30 juillet 1881), **Journal officiel de la République française**, consulté le 20 avril 2025, sur le site : <https://mjp.univ-perp.fr/france/1881presse.htm>

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

على الكتابات المنشورة في هذه الصحف وعليها تبدأ ملاحقة الجريدة وحتى أصحابها، وتخف وطأة هذه الممارسات باختلاف الحكام فمثلا عند حكم شارل جونار بين 1900-1911 وما بين 1918-1921 عرفت الساحة الثقافية في الجزائر تفهما نسبي، وعلى اثر هذه الفترات نجد بأن إدارة الاحتلال تجاهلت الصحافة العربية الجزائرية في بداية القرن العشرين، مما سمح لها بالبقاء والتعافي في البداية، ومع ذلك، لم تدم هذه الحالة طويلاً، حيث قامت الإدارة بإنشاء عقبات ومعوقات لتقويض انتشار الصحافة الوطنية ومحاولة تقديم منافسة لها من خلال تأسيس صحف عربية مأجورة، مثل جريدة "كوكب افريقيا" التي استمرت من سنة 1907 إلى قيام الحرب العالمية الأولى¹.

جدول رقم (19): يبرز بعض الصحف الجزائرية المهمة بالنشر الأدبي بين (1900-1919)²:

الصحيفة	تاريخ الاصدار	صاحبها	أدباءها	تاريخ التوقف
الاحياء	14 فيفري 1907	جان ديراي Jan Destayaux	الحاج صالح علواني ³	توقفت لأسباب مادية في نفس السنة.
كوكب افريقيا	17 ماي 1907	محمود كحول	عبد الحليم بن سماية المولود بن الصديق الحافظي الأزهري المولود بن محمد الأزهري أحمد بن زكي	توقفت سنة 1914 بسبب الحرب العالمية الأولى
الجزائر	27 أكتوبر 1908	عمر راسم	عمر راسم	توقفت بسبب العوز المادي ومشاكل المطابع
الحق الوهراني	1911	تاي (Tapié)	عمر راسم	توقفت بعد ستة وأربعين عددا سنة 1912
الفاروق ⁴	18 فيفري 1913	عمر بن قدور	عمر بن قدور سعد الدين بن بلقاسم الخمار ⁵ أبو اليقظان عبد الحفيظ بن الهاشمي	توقفت بسبب الحرب العالمية الأولى في 1915 ثم أستئنفت سنة 1920 وتوقفت في أكتوبر 1921

¹ ناصر، الصحف العربية ... المرجع السابق، ص 10.

² من اعداد الطالبة وردة عي.

³ تم النشر بأسماء مستعارة، فالشاعر الحاج صالح هو اسم مستعار يوقع به الشاعر، وعلواني هو توقيع كاتب في الجريدة

⁴ توجت الصحيفة صفحتها ببيت يقول: قلبي لسان ثلاثة بفؤادي *** ديني ووجداني وحب بلادي

⁵ سعد الدين بن بلقاسم الخمار (1931 - 2024): كان كاتباً وشاعراً جزائرياً من دعاة الإصلاح، نشط في مجالي الأدب والصحافة، وكتب بالعربية والفرنسية، وهو من بلدة ليانة قرب بسكرة، وتلقى تعليمه في زاوية طولقة، حاول أن يجدد مضامين الشعر الجزائري لكنه لم يواصل في هذا الاتجاه طويلاً، وله مقالات وقصائد إصلاحية نُشرت في جريدة "الفاروق" وبعضها في جريدة "الإقدام" تحت توقيع "جزائري"، وقد التحق بصفوف الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى وتوفي في باريس برتبة عقيد، ينظر: يوسف أوغليسي، (14 أوت 2024)، رحيل الشاعر الجزائري الكبير محمد بلقاسم خمار (1931 - 2024)، مجلة إمزاد، استرجعت في تاريخ 07 ديسمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.ajpsdz.org/imzad/?p=2518>

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

	توفيق المدني			
ذو الفقار	1913	عمر راسم	عمر راسم ¹	توقفت بسبب الحرب العالمية الأولى

تظهر البيانات حول الصحف الجزائرية في أوائل القرن العشرين نشاطاً أدبياً وثقافياً ملحوظاً، حيث صدرت عدة صحف مثل "الأحياء" (1907) و"كوكب إفريقيا" (1907) و"الجزائر" (1908)، بقيادة أدباء بارزين مثل وعمر راسم وعمر بن قدور، لكن العديد من هذه الصحف توقفت لأسباب مادية، كما هو الحال مع "الأحياء" و"الجزائر"، بينما تأثرت أخرى بشكل كبير بسبب الحرب العالمية الأولى، مثل "كوكب إفريقيا" و"الفاروق"، التي توقفت في 1915 ثم استؤنفت في 1920، يعكس ذلك تحديات وصعوبات واجهتها الحركة الأدبية، لكن وجود شخصيات أدبية مهمة يبرز الإرادة القوية لاستمرار التعبير الثقافي في تلك الفترة.

جدول رقم (20): الصحف العربية الجزائرية المهمة بالنشر الأدبي بين (1919-1939):²

الصحيفة	تاريخ الاصدار	صاحبها	أهم أدباءها	تاريخ التوقف
النجاح	1919	عبد الحفيظ بن الهاشمي ³	عبد الحفيظ بن الهاشمي ⁴ عبد الحميد بن باديس	توقفت بسبب الحرب العالمية الثانية 1939 وعادت سنة 1945 حتى 1956
الصديق	12 أوت 1920	محمد بن بكير ⁵	عمر بن قدور	توقفت بعد أربعة وخمسون عدد في 22 مارس 1922

¹ نشر مقالاته باسم ابن المنصور الصنهاجي.

² من اعداد الطالبة وردة عي

³ عبد الحفيظ بن الهاشمي (1882-1973): يُعد من أبرز الشخصيات الثقافية والإصلاحية في الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين، وُلد في مدينة قسنطينة وتلقى تعليمه في جامع الزيتونة بتونس حيث تأثر بالتيار الإصلاحي السائد آنذاك، وبعد عودته إلى الجزائر انخرط في العمل التربوي والدعوي، فأُسّس جريدة "النجاح" عام 1920 التي كانت منبراً لنشر الفكر الإصلاحي ومناهضة الاستعمار، كما شارك في تأسيس مدارس حرة وساهم في الحركة الوطنية من خلال التوعية الثقافية والدينية، وقد ترك أثراً بارزاً في الصحافة والتعليم والنضال الوطني حتى وفاته سنة 1956، ينظر: حمدان محمد وآخرون، الموسوعة الصحفية، أعلام الصحافة في الوطن العربي، مج 1، ج 6، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1997، ص ص 81-82.

⁴ نشر بأسماء مستعارة: رشيد اوزيد، الوطني الصميم.

⁵ محمد بن بكير (.... - 1939): كان من أبرز رجالات الحركة الوطنية الجزائرية، نشط في ميدان الصحافة وساهم في العمل التربوي والتجاري، وُلد في بلدة بني يسقن وتوجه إلى التجارة في مدينة تبسة، ثم شارك مع رفاقه سنة 1918 في تأسيس مطبعة عربية بمدينة الجزائر لطباعة كتب التراث، كما أسهم في إصدار جريدة "الصديق" في 12 أوت 1920 التي تولى رئاسة تحريرها المولود الزريري واستمرت حتى سنة 1922، وبعدها أسّس مدرسة قرآنية في ورجلان، وكان من الداعمين الرئيسيين لافتتاح أول مدرسة نظامية بالجزائر، وهي مدرسة الجمعية الصديقية بمدينة تبسة سنة 1913، ينظر: نويهيض، كتاب معجم أعلام...، المرجع السابق، ص 45.

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

الاقدام	19 فيفري 1919	الأمير خالد، الحاج عمار صادق دندان ¹	فيكتور سيلمان ² (Victor Spielmann)	مارس 1923 بعد صدور عدد
المنتقد	جويلية 1925	عبد الحميد بن باديس، أحمد بوشمال	مبارك الميللي، الطيب العقي، الفرق، أبو اليقظان، محمد العيد آل خليفة، محمد الهادي السنوسي	29 أكتوبر 1925 بعد ثمانية عشر عدد
الجزائر	1925	محمد السعيد الزاهري	محمد السعيد الزاهري	سلطة الاحتلال أوقفتها وصادرتها بعد نشر عدد صغير من الأعداد ³ .
الشهاب	12 نوفمبر 1925	عبد الحميد بن باديس	محمد العيد آل خليفة ⁴ ، محمد السعيد الزاهري، أحمد توفيق المدني	توقفت بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939
صدى الصحراء	1925	أحمد بن العابد العقبي، محمد الأمين العمودي، محمد العيد، الطيب العقي ⁵ .	الفرقد	توقفت سنة 1926 بسبب خلافات بين أصحابها ثم عادت للصدور سنة 1934.

¹ الصادق دندان (... - 1938م): كان من أبرز رواد الصحافة الجزائرية في مطلع القرن العشرين، ويُلقب بـ "عميد الصحافة الإسلامية الجزائرية"، بدأ حياته المهنية ككاتب (خوجة) في إحدى البلديات المختلطة، ثم أسس جريدة "الإسلام" في عناية عام 1909، والتي انتقلت لاحقاً إلى الجزائر العاصمة، تميزت الجريدة بتأثيرها بالصحافة الباريسية، وشارك في تحريرها بعض الكتّاب الفرنسيين، واستمرت في الصدور حتى عشية الحرب العالمية الأولى، في عام 1919، ساهم دندان في تأسيس جريدة "الإقدام" بالتعاون مع الأمير خالد والحاج عمار، والتي كانت تعبر عن حركة الأمير خالد السياسية والوطنية، وصدرت باللغتين العربية والفرنسية، بعد نفي الأمير خالد عام 1923، تولى دندان إدارة الجريدة، واستمرت في الدفاع عن مصالح المسلمين في شمال إفريقيا، توفي الصادق دندان عام 1938، ونعته جريدة "الوفاق" بلقب "عميد الصحافة الإسلامية الجزائرية، ينظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، المرجع السابق، ص244.

² فيكتور سيلمان (1866-1937): كان مفكراً وصحفيّاً فرنسيّاً عُرف بمواقفه المناهضة للنظام الاستعماري الفرنسي في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وُلد في منطقة الأتراس، وانتقل إلى الجزائر سنة 1877 مع عائلته هرباً من محاولات التجنيد الألمانية بعد ضم الأتراس إلى ألمانيا، بعد أن واجهت عائلته صعوبات مالية، عمل كحذاءً ثم بائع، قبل أن يتجه إلى الصحافة، عُرف بانتقاداته اللاذعة للاستعمار والبنوك والبرجوازية الاستعمارية، خاصة في مدينة قسنطينة، وقد جعله دفاعه عن الطبقات الشعبية الأوروبية ونقده الجريء للنظام الاستعماري شخصية مثيرة للجدل في عصره، ينظر:

René Gallissot, (2010), Spielmann Victor, Le Maitron, Dictionnaire biographique, mouvement ouvrier, mouvement social, consulté le 1er mai 2025, sur le site : <https://maitron.fr/spip.php?article152320>

³ يقول محمد السعيد الزاهري: "كان من أسباب التعطيل أن المترجم ترجم عنها كلمة (نخضة) بكلمة فرنسية معناها (الثورة)"، ينظر: محمد السعيد الزاهري، "في الموقف الحاضر"، مجلة الشهاب، مج 09، ج 09، 1933.

⁴ كان يُلقب بشاعر الشباب.

⁵ الطيب العقبي (1890-1960): يُعدّ من أبرز أعلام الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال القرن العشرين، وُلد في بلدة سيدي عقبة بولاية بسكرة، ونُسب إليها، هاجر مع عائلته إلى المدينة المنورة وهو في سن مبكرة، حيث تلقى تعليمه في الحرم النبوي الشريف، وشارك في تحرير جريدة "القبلة" التي كانت تصدر في الحجاز، بعد عودته إلى الجزائر عام 1920م، انحرف في العمل الدعوي والإصلاحي، وكان من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تميّز بمواقفه الصارمة ضد الشرك والبدع والخرافات، حتى أن دعاة الطرق الصوفية أطلقوا على أنصار التوحيد لقب "عقبي" نسبة إليه، =

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

وادي ميزاب	1926	أبو اليقظان	أبو اليقظان، عمر بن قدور، مفدي زكرياء، رمضان حمود، بكير بن سليمان، الكامل بوراس عبد الله.	توقفت سنة 1929 بسبب جرأتها في الكتابة ومخالفتها لما تسمح به الإدارة الاستعمارية
المرصاد	27 ديسمبر 1931	محمد عابسة الاحضري	محمد العيد آل خليفة، مفدي زكرياء، الحارث بن همام	صدرت في 08 نوفمبر 1933
الأمة	08 سبتمبر 1933	أبو اليقظان	أبو اليقظان، الشيخ بيوض ¹ ، محمد السعيد الزاهري، مفدي زكرياء، مبارك جلواح العباسي، أحمد بن الحاج يحي	24 ماي 1938 تم إيقاف الجريدة بسبب قرار من وزير الداخلية الفرنسي

تعكس المعلومات حول الصحف الجزائرية في الفترة بين 1919 و 1939 ملامح حيوية للأدب والصحافة في الجزائر، حيث أصدرت عدة صحف مثل "النجاح" (1919) و "الصديق" (1920) و "الشهاب" (1925) بقيادة شخصيات بارزة مثل عبد الحفيظ بن الهاشمي وعبد الحميد بن باديس، لكن العديد من هذه الصحف واجهت تحديات جسيمة أدت إلى توقفها، على سبيل المثال، توقفت "النجاح" بسبب الحرب العالمية الثانية في 1939 لكنها عادت في 1945 حتى 1956، كما أوقفت سلطات الاحتلال صحيفة "الجزائر" بعد نشر عدد قليل من الأعداد، وأثرت الصراعات الداخلية والخلافات بين المالكين على بعض الصحف مثل "صدى الصحراء"، التي توقفت في 1926 لكنها عادت للصدور في 1934، تُظهر هذه الأحداث الصراعات التي خاضها الأدباء والصحفيون في مواجهة القمع الاستعماري، ورغبتهم المستمرة في التعبير عن قضايا الوطن.

جدول رقم (21): لبعض الصحف الجزائرية المهمة بالنشر الأدبي بين (1939-1962)²:

= كان له نشاط دعوي واسع، حيث كان يتردد على الأماكن العامة كالمقاهي والنوادي الليلية للدعوة إلى الله، وقد هدى الله على يديه خلق كثير، توفي الشيخ الطيب العقبي في 21 ماي 1960م، وترك إرثاً فكرياً ودعويّاً كبيراً في مسيرة الإصلاح بالجزائر، ينظر: عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، المرجع السابق، ص 135.

¹ الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض (1899-1981): يُعدّ من أبرز أعلام الإصلاح الديني والفكري في الجزائر خلال القرن العشرين، وُلد في مدينة القارة بوادي ميزاب، وتلقى تعليمه الأولي في حفظ القرآن الكريم، ثم انخرط في حلقة العزابة، حيث تدرّج في مراتبها حتى أصبح من كبار علمائها، في عام 1925، أسّس معهد الحياة في القارة، الذي أصبح منارة للعلم والتربية الإسلامية، وخرّج العديد من العلماء والمصلحين، كان الشيخ بيوض من المؤسسين البارزين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931، حيث شغل منصب نائب أمين المال في إدارتها الأولى، تميّز بمواقفه الوطنية الصلبة، ورفضه القاطع لمحاولات الاستعمار الفرنسي فصل الصحراء عن الجزائر، كما ساهم في الثورة التحريرية من خلال دعمه للمجاهدين وتوجيهاته الإصلاحية، بعد الاستقلال، تولّى رئاسة مجلس عمي سعيد، الهيئة العليا للطائفة الإباضية في الجزائر، وظلّ مرجعاً دينياً وفكرياً حتى وفاته عام 1981، ينظر: محمد ناصر، الشيخ بيوض والعمل السياسي، المطبعة العربية، غرداية، 1991، ص 23.

² من اعداد الطالبة وردة عي.

الصحيفة	تاريخ الإصدار	صاحبها	أبرز الأدباءها	تاريخ التوقف
الدفاع	26 جانفي 1938	محمد الأمين العمودي	محمد الأمين العمودي	10 أوت 1939
الشعلة	15 ديسمبر 1949	أحمد رضا حوحو	أحمد رضا حوحو	1950
الوفاق	مارس 1939	سعيد الزاهري	سعيد الزاهري	1939
البصائر	27 ديسمبر 1935	الطيب العقبي	محمد العيد آل خليفة، حمزة بوكوشة	أفريل 1956
الشهاب	1939	عبد الحميد بن باديس	محمد العيد آل خليفة، أحمد توفيق المدني	1940
المرشد	1936	رشيد محمد الهادي		1952
المغرب العربي	17 مارس 1956	السعيد الزاهري	حمزة بوكوشة، السعيد الزاهري	18 ماي 1956
المنار	1951	الطيب العقبي	مفدي زكريا، رضا حوحو	1953

يُبرز الجدول تنوع الصحف الجزائرية المهتمة بالنشر الأدبي بين 1939 و 1962 ودورها المحوري في إحياء الحركة الأدبية والفكرية في ظل الاحتلال الفرنسي، حيث تأسست صحف مثل الدفاع والشعلة والوفاق والشهاب والمرشد والمغرب العربي والمنار، وكانت أغلبها مرتبطة بشخصيات إصلاحية وأدبية بارزة كمحمد الأمين العمودي، وأحمد رضا حوحو، وسعيد الزاهري، وعبد الحميد بن باديس، والطيب العقبي، وقد جمعت هذه الصحف بين العمل الصحفي والنشاط الأدبي عبر احتضانها لأدباء وشعراء مثل محمد العيد آل خليفة، وحمزة بوكوشة، ومفدي زكريا، ما جعلها منابر لنشر الوعي الوطني والديني والثقافي، كما يكشف الجدول عن هشاشة تجربة الصحف الجزائرية بسبب الظروف السياسية والقمع الاستعماري، إذ توقفت معظمها خلال فترة قصيرة، باستثناء البصائر التي عادت بقوة بين 1947 و 1956 لتقود مشعل النهضة، تعكس هذه الصحف تلازم الأدب والصحافة مع النضال الوطني، مما جعلها ركيزة مهمة للحفاظ على الهوية الجزائرية ومقاومة سياسات الطمس والتغريب الفرنسية.

2. المكتبات الجزائرية خلال 1900-1962:

في سياق الحديث عن منابر التعبير والنشر الأدبي في الجزائر خلال الفترة 1900-1962، كانت المؤسسات الثقافية تلعب دورًا محوريًا في نشر الفكر الأدبي والثقافي، حيث كانت تُعد منصات هامة للحركة الأدبية والنهضة الثقافية، هذه المؤسسات، التي تتنوع بين دور الثقافة والمراكز الثقافية والمدارس، أسهمت في تعزيز النشر الأدبي والفكري، وتوفير فرص التعبير للمثقفين الجزائريين.

أما بالنسبة للمكتبات العامة، في الجزائر فهي تعاني من نقص واضح في التنظيم الإداري والإشراف الوطني الموحد، على الرغم من دورها الهام في دعم الثقافة والتعليم، فإن المكتبات العامة تظل ضحية لتشتت الأجهزة المشرفة

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

على شؤونها بين مختلف الوزارات والمصالح الحكومية، هذا التشتت أثر على قدرتها على التنسيق والتعاون بشكل فعال، ما انعكس سلباً على تنظيمها الداخلي ومكانتها ضمن الهياكل الثقافية والإدارية¹.

من جهة أخرى، فإن غياب النصوص التشريعية والتنظيمية الواضحة التي تحدد مهام المكتبات ورسالتها، أدى إلى تباين في الأداء بين المكتبات العامة في مختلف المناطق، فرغم أن المكتبات تمثل أحد الأدوات الأساسية لنشر الفكر الأدبي وتعزيز الثقافة الوطنية، إلا أن القوانين التي تنظم عملها لا تزال غائبة أو غير كافية، ما يعيق قدرتها على تقديم خدمة مكتبية متكاملة وفعالة².

عند أخذ لمحة عن تاريخ الجزائر مع المكتبات والكتب نجد أنها كانت مزدهرة في هذا المجال من قبل العثمانيين فنجد تلمسان كانت منارة علمية تزخر بالكتب والمكتبات وكذلك قسنطينة وغيرها من المناطق الجزائرية، وفي فترة العثمانيين استمر وضع ازدهار المكتبات والكتب وكلما يتعلق بصناعة الكتب، يقول المؤرخ أبو القاسم سعد الله: "إذا حكمنا على النشاط الثقافي لأي بلد من كثرة الكتب والمكتبات فيه فإن الجزائر خلال هذا العهد العثماني كانت في طليعة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات"³.

عند الاحتلال، اندهش الفرنسيون من عدد المكتبات وكم الكتب المخطوطة والمنسوخة الموجودة في الجزائر، وقد كتبوا تقريراً يعبرون فيها عن دهشتهم هذه أمثال أدريان بيربروجر⁴ (Adrien Berbrugger)، شارل فيرو⁵ (Charles Féraud)، ونتيجة هذا الاحتلال الفرنسي للجزائر انهارت كل معالم الاقتصاد الجزائري وفقد ملاك

¹ قموح ناجية، الإطار القانوني والتنظيمي للمكتبات العامة بالجزائر، رسالة ماجستير في علم المكتبات، جامعة منتوري، قسنطينة - الجزائر، 1997، ص 99.

² أحمد أنور عمر، المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ، القاهرة، دار النهضة العربية، 1978، ص 236.

³ سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 285.

⁴ أدريان بيربروجر (1801-1869): وهو مستشرق وأثري فرنسي عُرف باهتمامه الكبير بتاريخ الجزائر وآثارها بعد الاحتلال الفرنسي، عُيّن كأول محافظ لمكتبة الجزائر، ولعب دوراً مهماً في جمع المخطوطات والوثائق النادرة وحفظها، كما قام بأبحاث ودراسات أثرية ساهمت في التعريف بالموثوث الحضاري الجزائري، يُعد بيربروجر من الشخصيات العلمية التي تركت أثراً واضحاً في مجال الاستشراق والدراسات التاريخية المغاربية في القرن التاسع عشر، ينظر:

Joseph François Aumerat, *Souvenirs algériens*, Imprimerie Mauguin, Blida, 1898.

⁵ شارل فيرو (1829-1888): وهو مؤرخ ومستشرق فرنسي اهتم بشكل خاص بتاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية والحقبة الاستعمارية الفرنسية، عمل في الإدارة الاستعمارية بالجزائر، ما أتاح له الاطلاع على مصادر محلية ووثائق مهمة، فأبرز أبحاثاً ودراسات قيمة حول التاريخ والسياسة والمجتمع الجزائري، ولا تزال أعماله مرجعاً مهماً للباحثين في تاريخ الجزائر خلال القرنين السابع عشر والتاسع عشر، يُعدّ فيرو من أبرز المستشرقين الذين ساهموا في كتابة التاريخ المغاربي من منظور فرنسي، ينظر:

Jean-Louis Triaud, *La légende noire de la Sanûsiyya*, Maison des sciences de l'Homme, Paris, 1995.

⁶ سعد الله، أبحاث وآراء...، ج 1، المرجع السابق، ص 286.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

العقار في المدن ثرواتهم، وأخلت وهدمت مدن وأحرقت أخرى، وقد تضرر التجار والقضاة والطلبة والعلماء من أهل الحضر وكانت من بين الأسواق المهدامة هو سوق القيصرية وهو سوق الوراقة وبيع الكتب وتجليدها ونسخها، كما أتلقت حملات الاحتلال الأولى العديد من الوثائق والسجلات وقال في هذا الصدد ببروجر: "إنه لكل جندي قرآنه" أي أنهم يعتبرون كل ما خُطَّ باللغة العربية هو قرآن فأتلفوه أو أحرقوه أو تهادوه مع عائلاتهم بفرنسا، وقد اهتم ببروجر في الغزوات العسكرية بالوثائق والكتب فبينما كان جيشه يستولي ويخرب المنشآت وحياة الأهالي كان ببروجر يستولي على المكتبات الخاصة ومكتبات الزوايا والمساجد ويكدها ليخزنها في المكتبة العامة¹.

بداية القرن العشرين كانت المكتبات والمدارس من بين المؤسسات الاستعمارية الثقافية الهامة التي أقيمت في العديد من المدن الكبرى، وكانت تهدف ظاهرياً إلى نشر الحضارة والثقافة، بدأت فرنسا بتلقين أبناء الشعب في المدارس الفرنسية عادات جديدة في التفكير والذوق والسلوك، وشملت هذه المؤسسات أنواعاً مختلفة من المكتبات، منها البلدية، والمدرسية، والحرية، ومكتبات رابطات التعليم، ومكتبات أرباب العمل، والمكتبة الوطنية وغيرها، ولكن في الحقيقة، لم تكن هذه المكتبات مخصصة للشعب الجزائري، بل كانت موجهة في المقام الأول للفرنسيين وأبناء الجاليات الأوروبية الأخرى في الجزائر، بغية نشر الثقافة الفرنسية وجعل الشعب الجزائري أكثر ولائاً لها².

اعتبرت فرنسا المكتبة العامة في الجزائر دعامة أساسية لنشر التعليم وتطوير الثقافة الفرنسية، ففي سنة 1931، خلال أول مؤتمر دولي حول القراءة العامة الذي عقد في الجزائر، أشار وزير التربية العمومية الفرنسي ماريو رويستون إلى أن المكتبات في الجزائر تلبى احتياجات ثلاثية: تعزيز التعليم المدرسي، تمكين المعمرين ذوي الأصل الأجنبي من لغتنا وأدبنا، ومنح الأهالي فرصة التعرف على ثقافتنا، كما أشار إلى أن المكتبات يجب أن تكون معاهد للفكر والجمال العالمي، ويجب أن تذهب إلى الناس إذا لم يستطيعوا الوصول إليها، في إشارة إلى إنقاذ التربية من الخطر، وهو هنا يقصد الثقافة العربية الإسلامية والروح الوطنية الجزائرية³.

في هذه الفترة عرفت الجزائر ثلاثة أنواع من المكتبات العامة: المكتبات الخاصة بالأوربيين، المكتبات الخاصة بالأهالي والمكتبات العامة الخاصة ويمكن تقديمها كالتالي:

1.2. المكتبات الخاصة بالأوربيين

¹ سعد الله، الحركة الوطنية...، ج 1، المرجع السابق، ص ص 89-90.

² Marie Claire Germanaud, **Les bibliothèques publiques en milieu rural et dans les petites agglomérations conseils pratiques**, Cercle de la Librairie, Paris, 1982, p 15.

³ Mohamed Abdeljaoud, **Les Bibliothèques en Tunisie : Introduction à la mise en place d'un réseau national de bibliothèques**, IMP Tiag, Tunis, 1988, pp 52-58.

• المكتبة البلدية المركزية بالجزائر:

أنشئت هذه المكتبة في عام 1872 لتلبية احتياجات بلدية الجزائر، وكان مقرها في حي القصبة، احتوت المكتبة على مجموعة من الكتب حول الجزائر، حيث بلغت عام 1881 حوالي 1,818 مجلدًا، وارتفع هذا العدد إلى حوالي 13,607 مجلدًا بحلول عام 1914، وتم ضم 12 مكتبة فرعية إليها، امتلكت جميعها معًا حوالي 52,229 مجلدًا، وقد كانت هذه الكتب ذات قيمة أدبية جيدة، مما جذب سكان الأحياء لقراءتها، إلى جانب الكتب، كان بإمكان القراء الاطلاع على الجريدة الرسمية والنشرات الإدارية¹.

تكون جمهور هذه المكتبة من الذكور والإناث، وأغلبهم من الشباب، بالإضافة إلى بعض الباحثين والمتخصصين الذين كانوا أكثر كفاءة في الاستفادة من المكتبة مقارنة بالقراء الشباب، في عام 1931، بلغ عدد القراء الدائمين حوالي 2,700 قارئ من بين عدد السكان الأوروبيين في الجزائر الذي كان يبلغ 180,000 نسمة في ذلك الوقت. ولم يكن الأهالي من رواد هذه المكتبة باستثناء بعض الطلاب في المدارس الفرنسية أو بعض الأفراد من الفئة الاجتماعية المسورة الذين كانوا يسجلون أنفسهم ولكنهم نادرًا ما كانوا يستفيدون منها².

مارست المكتبة كل من الإعارة الداخلية والخارجية، مع إعطاء الأولوية للإعارة الداخلية، وركزت بشكل خاص على دعم الطلاب في التحضير للامتحانات الثانوية مثل امتحان البكالوريا وشهادة التعليم الابتدائي والمسابقات الوظيفية، كانت ميزانية هذه المكتبة ممولة جزئيًا من ميزانية بلدية الجزائر، وجزئيًا من المكتبة الوطنية، مما يدل على أنها لم تكن تتمتع بميزانية ثابتة ودائمة، أُديرَت المكتبة من قبل مكتبي يعاونه مهندس جغرافي يدعى فيكتور كورنتز (Victor Korentz)³.

• المكتبات الفرعية:

كانت المكتبات الفرعية، التابعة للمكتبة البلدية المركزية، تتكون من 12 مكتبة، من بين هذه المكتبات، كانت سبع مكتبات مخصصة للكبار وخمسة للأطفال، وتُعرف أيضًا بمكتبات الأحياء، واحدة من هذه المكتبات، مكتبة دار الشعب، كانت مخصصة للعمال اليدويين، وتحتوي على قاعة تتسع لـ 150 تقنيًا⁴.

¹Henri Lemaître, *La Lecture Publique : Mémoires et Vœux du Congrès, International d'Alger*, Paris- Droz, 1931, p201.

² ناجية قموح، "التنظيم الإداري للمكتبات العامة في الجزائر"، مجلة المكتبات والمعلومات، مج 03، ع 01، الجزائر، نوفمبر 2006، ص 49.

³ قموح، (2007)، المكتبات العامة بالجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1830 - 1962، استرجعت بتاريخ 09 ماي 2023 من الموقع الإلكتروني: <https://alyaseer.net>

⁴ قموح، "التنظيم الإداري..."، المرجع السابق، ص 50.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

كانت هذه المكتبات تضم أرصدة لا بأس بها من الكتب، وكانت الكتب الجديدة تُعرض لمدة شهرين أو ثلاثة قبل حفظها في المخازن، وكانت هذه المكتبات مفتوحة يوميًا من الساعة الخامسة مساءً حتى السابعة مساءً، وكانت خدمات الإعارة مجانية، حيث كان المطلوب من المشترك تقديم وصل السكن وشراء دفتر إعارة بـ 0.50 فرنك فرنسي، بلغت نسبة قراءة كتب التسلية في هذه المكتبات 96%، وقد عملت بها أراميل الحرب، اللاتي لم يكن متخصصات بهذا العمل، مما انعكس سلبيًا على كيفية إدارتها وتنظيمها، أما مكتبات الأطفال، التي بلغ عددها خمسة، فكانت تفتح أبوابها يوم الخميس فقط، حيث يُخصص الصباح للذكور والمساء للإناث، في عام 1930، بلغ عدد قراءها حوالي 1,700 طفلًا، منهم 115 طفلًا و 11 فتاة من الأهالي، كانت تُمارس فيها الإعارة الخارجية بمعدل كتاب واحد لمدة ثمانية أيام مقابل إيصال السكن وثلاث قطع نقدية وشهادة من المعلم¹.

● مكتبة البيار الشعبية:

أسسها ألفريد كولن (Alfred Coulon) بمساعدة رئيس بلدية الجزائر، رئيس الجامعة، ومدير المكتبة الوطنية، احتوت المكتبة على أكثر من ألفي كتاب، بما في ذلك مجموعة مهمة حول الجزائر، بالإضافة إلى عدد كبير من سلاسل الدوريات المتنوعة، كانت المكتبة مكونة من ثلاثة أقسام: قسم مخصص لتلاميذ الدروس الإضافية، جناح للأطفال به حوالي 300 كتاب، وجناح للكبار من الجنسين، وقد كانت المكتبة مفتوحة أيام الأحد فقط، وخلال أيام الأسبوع كانت مفتوحة للتلاميذ، ورغم أنها لم تكن تمتلك ميزانية مستقلة، كانت نشاطاتها حيوية بفضل جهود مؤسسها الذي سعى جاهدًا لتزويدها بالكتب الجيدة، لكن وبمرور الوقت، تدهورت عمليات الإعارة فيها لأسباب متعددة، منها عدم توفر مقر، قلة اهتمام القراء بالكتب، نقص العمال المتطوعين، وفقدان الكتب الجيدة².

● مكتبة بلدية قسنطينة

تأسست في الستينات من القرن التاسع عشر في ظل الإمبراطورية الثالثة، لكنها لم تفتح أبوابها حتى عام 1880، ورغم بداياتها المتواضعة، إلا أنها تطورت وأصبحت بارزة بين المكتبات الجهوية الأخرى في الجزائر العاصمة وهران مع مطلع القرن العشرين، وبعد الحرب العالمية الثانية، خضعت المكتبة لعدة تعديلات وترميمات تحت إشراف أندريه برتيني (André Berthier)، وهو محافظ جهوي لأرشفيف الشرق الجزائري، ومدير متحف سيرتا، تم إعادة تنظيم المكتبة من الناحية الإدارية والفنية، بما في ذلك إعداد فهرس بطاقي ودلائل للمساعدة في البحث عن المعلومات، احتوت المكتبة على حوالي 40,000 كتاب متنوع التخصصات، وكانت الإعارة الخارجية فيها مجانية،

¹ نفسه.

² نفسه.

حيث بلغت بين عامي 1942 و1950 حوالي 500 إعارة، ووصلت في عام 1951 إلى حوالي 18,000 إعارة، وقد أشرف على إدارة المكتبة مختصون في تنظيم المكتبات، مثل أندريه برتيري (André Berthier)، كما شارك في الإشراف نائب رئيس المجلس البلدي وشخصيات أخرى¹.

2.2. المكتبات الخاصة بالأهالي

• المكتبة العربية بتلمسان:

كانت هذه المكتبة تقع في قاعة بمدرسة تلمسان، واحتوت على مجموعة من 369 كتابًا في مواضيع مختلفة مثل التشريع الإسلامي، اللغة العربية، وتاريخ الإسلام، توسعت المكتبة لاحقًا، وكانت ميزانيتها لشراء الكتب والصيانة لا تتعدى 120 فرنكًا فرنسيًا، وقد أُديرت المكتبة تحت إشراف مدير مدرسة تلمسان للتعليم العالي الإسلامي، بمساعدة أستاذ من المدرسة يتولى الصيانة والمحافظة وشراء الكتب، كانت المكتبة مفتوحة للجميع، لكن الأهالي كانوا قليلي التردد عليها، مما أدى إلى إعفاء الأستاذ المسؤول من مهامه².

• المكتبة العربية بعنابة:

كانت هناك مكتبة عمومية إسلامية واحدة في مدينة عنابة، تفتح أبوابها ساعتين يوميًا عدا يوم الأحد، احتوت المكتبة على حوالي 462 مجلدًا مرقمة وموضوعة في أربعة خزائن زجاجية، تتضمن كتب القرآن، التفسير، الحديث، القانون، القواميس، الأدب العربي، النحو، المنطق، التاريخ، ومواضيع أخرى متنوعة³.

لم تحصل المكتبة على أي هبة، لكن في الثلاثينات حصلت على ميزانية بسيطة استُخدمت لشراء كتب جديدة، كانت المكتبة تمارس الإعارة الخارجية بمدة لا تتجاوز ثمانية أيام مع إمكانية تمديد لها مرة واحدة، كانت نسبة الإعارة الخارجية منخفضة مقارنة بالإعارة الداخلية التي بلغت حوالي 12 إعارة يوميًا، كما تضمنت المكتبة سجلًا للقراء وفهرسًا منظمًا حسب محتوى الخزائن⁴.

• المكتبة العربية ببجاية:

أنشئت هذه المكتبة عام 1903 بجوار مسجد سيدي الصوفي، وكان أول مكتبي بها طالبًا بمدرسة التعليم العالي الإسلامي بمدينة قسنطينة، في وقت لاحق، تم تعيين مدرس من المسجد للإشراف على المكتبة، وكان يتقاضى

¹ Robert Oberdorff , «La Bibliothèque Municipale : Un Centenaire à l'Étroit», La Dépêche de Constantine, Constantine, Avril 1961, p23.

² Ibid,p24.

³ قموح، المكتبات العامة...، المرجع السابق، ص51.

⁴ R.Oberdorff , Op.cit, p23.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

تعويضًا عن الحراسة، وقد كانت المكتبة تفتح أبوابها مع بداية السنة الدراسية بناءً على تعليمات مفتش المدرسين ومدير مدرسة التعليم العالي الإسلامي بقسنطينة، احتوت المكتبة على كتب في الشريعة، النحو، اللغة العربية، الأدب العربي، التاريخ، والجغرافيا، وغيرها، وكانت الكتب مختومة بخاتم يحمل عبارة "المكتبة الإسلامية ببجاية"، كما لم تحصل المكتبة على ميزانية لفترات طويلة، ولكن بمناسبة مرور مئة عام على احتلال فرنسا للجزائر، حصلت على ميزانية صغيرة استُخدمت لشراء بعض الموسوعات العربية، كانت الإعارة تخضع لموافقة نائب المحافظ في البداية، ثم أُسندت هذه المهمة لاحقًا إلى المدرس المسؤول عن المكتبة، كانت المكتبة تستقطب قراء من المدينة والمناطق المجاورة مثل سيدي عيش وأقبو¹.

• المكتبة العربية بقسنطينة:

كانت هذه المكتبة تقع بنهج كومب خارج مدرسة التعليم العالي الإسلامي، وتفتح أبوابها كل مساء ابتداءً من الساعة الثالثة، أشرف على المكتبة أستاذ العربية بالمسجد والمدارس الخاصة بالأهالي، وكان يحصل على سكن مجاني مقابل إشرافه على قاعة المطالعة، احتوت المكتبة على عدد كبير من الكتب المطبوعة باللغة العربية وبعض المخطوطات التي جُمعت من مساجد المدينة خلال فترات زمنية مختلفة، كما كانت المكتبة تحت إشراف مدير مدرسة قسنطينة، الذي كان يقوم بزيارات مفاجئة للمكتبة للاطلاع على سير العمل بها².

3.2. المكتبات العامة الخاصة:

• مكتبة الجمعية الجغرافية الجزائرية:

كانت الجمعية الجغرافية الجزائرية تتواجد في الجزائر العاصمة، وكانت قد أنشئت في عام 1879 على غرار الجمعيات الجغرافية الفرنسية الموجودة في باريس وليون ومرسيليا وبوردو، كانت أهداف الجمعية هي البحث عن كل ما يتعلق بالجزائر من جميع النواحي وخاصة التاريخية منها، وبما أن هذه الجمعية كانت تابعة لنظيراتها في فرنسا، فقد كان هناك تبادل مستمر للأبحاث والخرائط، كما خصصت الجمعية مكتبة لطلاب المدارس الفرنسية، تحتوي على كتب ومجلدات تمثل الأعمال المتعلقة بالجزائر سواء المترجمة أو الأصلية، من كتب الجغرافيا والتاريخ، كما أُدرجت ضمن قائمة الكتب بعض الخرائط، كانت الجمعية تعمل على نشر الأبحاث العلمية التي تُجرى في الجزائر في مجلة

¹ Ibid, p24.

² قموح، الإطار القانوني...، المرجع السابق، ص34.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

مخصصة لهذا الغرض، كانت المكتبة تفتح أبوابها للطلبة والباحثين كل يوم أربعاء من الساعة الثالثة مساءً إلى الساعة مساءً، وكان الإعارة مقتصرة على الباحثين المسجلين فقط.

• مكتبة النادي الأدبي:

أنشئت مكتبة النادي الأدبي عام 1931 في الجزائر العاصمة، وكان يديرها أستاذ عربي يُدعى الأستاذ محمد بن جلون، والذي أشرف على إنشاء النادي الأدبي بهدف تنمية الوعي الثقافي بين الشباب كانت المكتبة تحتوي على كتب في الأدب العربي، التاريخ، وبعض الكتب الدينية كانت المكتبة مفتوحة يوميًا من الساعة الخامسة مساءً إلى الساعة التاسعة مساءً، وكانت مجانية للجميع، سواء من الأهالي أو الأوروبيين¹.

3. المدارس العربية الجزائرية - مدرسة دار الحديث أنموذجاً-

تُعَدُّ العلاقة بين الأدباء ومدارسهم الأولى من الموضوعات التي تستحق الاهتمام، إذ إن التعليم الأولي يلعب دوراً حاسماً في تشكيل الشخصية الأدبية والثقافية للفرد، تلك المدارس لا تقتصر على تعليم الأسس العلمية فحسب، بل تسهم أيضاً في غرس القيم، وتنمية المهارات، وتعزيز الإبداع، مما يشكل قاعدة متينة لدور الأدباء في المستقبل، في هذا السياق، تقدم مدرسة دار الحديث في الجزائر متميزاً في فهم كيفية تأثير المدرسة الأولى على مسيرة الأدباء.

مدرسة دار الحديث، التي أسسها الشيخ البشير الإبراهيمي في تلمسان، ليست مجرد مؤسسة تعليمية بل هي منارة علمية وثقافية تميزت برؤيتها التربوية والإصلاحية، منذ تأسيسها، وضعت المدرسة نصب أعينها هدفاً واضحاً: تطوير الأجيال الجديدة من خلال تعليمهم أسس اللغة العربية والعلوم الشرعية، وغرس قيم الانتماء والهوية الوطنية، وقد أثبتت التجارب أن الأدباء الذين نشأوا في بيئة تعليمية غنية مثل دار الحديث كان لهم تأثير كبير على الأدب في الجزائر.

يقول أحمد طالب الإبراهيمي حين كان مقيماً في تلمسان مع والده الشيخ بشير الإبراهيمي سنة 1936: "كان والدي لا يكل ولا يبال بالتعب، فعند الفجر كان يلقي دروساً في حلقة من خمسين شاباً من شباب تلمسان، وبعد الظهر كان يخطب في ناد حول ماضي الجزائر أو مستقبلها، وفي المساء كان يجمع حوله أتباعه بعد درس في تفسير القرآن الكريم من أجل تحسيد المشروع الذي طالما راوده وشرع في تنفيذه، وهو بناء دار الحديث، وهو مجمع تربوي وديني حقيقي يضم قاعة للصلاة في الطابق السفلي، لأن الإدارة الفرنسية منعت من الوعظ والإرشاد في المساجد الرسمية وقاعة للمحاضرات في الطابق الأول، وقاعات للتدريس في الطابق الثاني وقد سماه دار الحديث تيمناً

¹ نفسه، ص 37.

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

بالمدرسة التي تحمل الاسم نفسه في دمشق (التي أسسها نور الدين زنكي¹) وتخليداً لذكرى نظام الملك وصلاحي الدين الأيوبي اللذين اشتهرا بتأسيس المدارس وترمز هذه المؤسسة إلى عمل جمعية العلماء في الجزائر المتمثل في بناء مدارس للأطفال لتدريس اللغة العربية والتاريخ والعلوم، ونواد للشباب لإقامة نشاطات ثقافية وفنية ورياضية ومساجد لجميع الناس².

تم افتتاح مدرسة دار الحديث في تلمسان بتاريخ 27 أوت 1937، في ظل حضور الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي كان يُشرف على نشاطاتها، المدرسة كانت بمثابة حدث مهم في الحركة الإصلاحية آنذاك، حيث لعبت دوراً بارزاً في التعليم والتربية الإسلامية، وواجهت تحديات من السلطات الاستعمارية الفرنسية التي حاولت إغلاقها بعد فترة قصيرة من افتتاحها، إلا أن المدرسة استمرت في نشاطها بفضل جهود القائمين عليها من معلمين وشخصيات علمية وثقافية³، كما أن مدرسة دار الحديث في تلمسان شهدت نشاطاً مسرحياً حيوياً كجزء من دورها التعليمي والثقافي خلال الفترة ما بين 1937 و1956، حيث كانت العروض المسرحية تُعتبر وسيلة هامة ليس فقط للترفيه بل أيضاً للتعليم والتوجيه الأخلاقي، وقد اعتُبر هذا النشاط وسيلة لإشراك الطلاب والمجتمع في تعلم الدروس الأخلاقية ورفع مستوى الوعي الثقافي، فكان للمدرسة قسم مخصص للمسرح، وكان الطلاب يشاركون بانتظام في عروض مختلفة، تضمنت هذه العروض مسرحيات تجسد قصصاً دينية، وحكايات تاريخية، ومواضيع اجتماعية ذات صلة بالنضال الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، إلى جانب المسرح، ساهمت أشكال أخرى من التعبير الفني مثل الشعر والأناشيد في ترسيخ رسالة الجمعية وتعزيز الهوية الوطنية والقيم الإسلامية⁴.

دار الحديث بتلمسان كانت مركزاً تعليمياً بارزاً قدم العديد من المجاهدين خلال الثورة الجزائرية، تخرج منها عدد من الشخصيات الوطنية البارزة مثل العقيد لطفي الذي قاد الولاية الخامسة للجيش الجزائري وشارك في المجلس

¹ نور الدين محمود زنكي (1118-1174): هو أحد أبرز القادة المسلمين في القرن الثاني عشر، وكان حاكماً على الشام والموصل من الأسرة الزنكية، وُلد في حلب وهو ابن عماد الدين زنكي، وتولى الحكم بعد وفاة والده عام 1146، فتميّز بشخصيته العادلة والمتدبنة، وسعيه لتوحيد الجبهة الإسلامية في مواجهة الحملات الصليبية. اتخذ من دمشق عاصمة له بعد أن دخلها عام 1154، وعمل على تعزيز الحكم الإسلامي العادل، واهتم بالعلم والعلماء، كما أسس العديد من المدارس والمستشفيات، يُعد من القادة الذين مهدوا الطريق لصلاح الدين الأيوبي، حيث وضع الأسس السياسية والعسكرية التي ساعدت لاحقاً في تحرير القدس، توفي في دمشق عام 1174، وترك إرثاً تاريخياً بارزاً في مقاومة الصليبيين وبناء دولة قوية قائمة على العدالة والشرع، ينظر: علي محمد الصّلابي، نور الدين الزنكي شخصيته وعصره، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، 2007، ص 23.

² أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري...، ج 1، المصدر السابق، ص 23.

³ ككلة نصيرة، "مدرسة دار الحديث بتلمسان ودورها في التربية والتعليم (1937-1956)"، مجلة مجتمع تربية عمل، مج 07، ع 02، 2022، ص 97.

⁴ أحمد بن داود، دور المسرح الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2008-2009، ص 52.

الوطني للثورة قبل استشهاده عام 1960، كما تخرجت منها نساء مجاهدات مثل مليحة حميدو، التي استشهدت أثناء الثورة، وعويشة حاج سليمان التي استشهدت في معركة ضد الجيش الفرنسي، ومن المتعلمات البارزات زليخة خربوش¹ التي اعتقلت وسجنت خلال الثورة، وواصلت نشاطها التعليمي بعد الاستقلال، المدرسة كانت أيضًا منبعًا للإصلاح، حيث درست فيها شخصيات مثل رشيدة إبراهيمي، ابنة الشيخ البشير الإبراهيمي، وأحمد طالب الإبراهيمي².

4. المطابع - المطبعة العربية لإبراهيم أبو اليقظان أنموذجاً -

الكتابة والمطابع لهما علاقة وثيقة وتكاملية، فالكتابة هي عملية توثيق الأفكار والمعلومات على وسائط مختلفة، وتعتمد بشكل كبير على وجود وسائل لنشر هذه الكتابات وتوزيعها، المطابع توفر هذه الوسيلة، حيث تقوم بتحويل الكتابات من صيغة إلكترونية أو يدوية إلى وسائط مطبوعة، سواء كانت كتب، مجلات، صحف، أو أي وسيلة مطبوعة أخرى، بالإضافة إلى ذلك، المطابع تلعب دورًا حيويًا في تحسين جودة الكتابات وجعلها مقبولة من الناحية الجمالية والمهنية، وتضبط الطباعة لضمان جودة عالية، وتقوم بعمليات التجهيز والتغليف لتأمين توزيع الكتابات بشكل فعال، كما أنها ساهمت في انتشار الكتب والصحف وبذلك زادت من نسبة القراءة في الجزائر لتوفر الكتب والصحف وبذلك تشجع الأدباء لنشر أفكارهم لذلك كان عنصر المطابع مهما ومحوريا في هذا البحث.

أنشأ أبو اليقظان المطبعة العربية في الجزائر بسبب مواجهته لتحديات كبيرة أثناء نضاله ضد الاحتلال الفرنسي بالكلمة، خلال هذه الفترة الصعبة، كان الاحتلال يصدر أوامر تعسفية بالولاية العامة بالجزائر، دون أي أساس قانوني أو عدالة، مما جعل من الصعب على أبو اليقظان طباعة صحفه في الجزائر، وبسبب ندرة المطابع العربية في الجزائر، اضطر أبو اليقظان إلى طباعة جريدته "وادي ميزاب" في تونس، حيث كان يقيم اثنان من معاونيه، على الرغم من المسافة الطويلة ووجود صعوبات في وسائل النقل، إلا أن الجريدة تمكنت من الصدور بانتظام كل أسبوع،

¹ زليخة خربوش (1935 - ...) : من مواليد تلمسان تعلمت القرآن الكريم منذ الصغر والتحقّت بمدرسة دار الحديث، كانت مناضلة في صفوف جبهة التحرير الوطني واعتقلت وحكم عليها بالسجن لمدة خمس سنوات، تعرضت للتعذيب والإضراب عن الطعام، وشاركت في انتفاضة 8 ماي 1945، بعد الاستقلال، التحقت بالجامعة وحصلت على شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي، ودُرست لأكثر من 25 عامًا، مارست الصحافة وكتبت مقالات وقصصًا تناولت قضايا سياسية واجتماعية، وركزت على قضايا المرأة، ألقت كتاب "مذكرات أسيرة" الذي يوثق تجربتها في الثورة ومعاناة السجن، ينظر: زليخة خربوش، مذكرات أسيرة، منشورات دار الأديب، وهران، 2006، ص 8.

² بعلي، مدارس التعليم الكبرى...، المرجع السابق، ص ص 205-231.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

لمدة سنتين ونصف، ومن خلال بعض الوثائق، يتضح أن أبو اليقظان واجه تحديات كبيرة مثل الأخطاء المطبعية وتكلفة المشروع، مما جعله يفكر في إنشاء مطبعة في الجزائر العاصمة لتسهيل عملية الطباعة وتقليل التكاليف¹.

بالعودة إلى المطبعة فقد بدأ أبو اليقظان يفكر في مشروع المطبعة العربية في عام 1929، وهو مشروع طموح يتطلب تجميع الأموال والجهود وفريق عمل من العاملين، ولمواجهة هذا التحدي، قام أبو اليقظان بمشاركة إخوانه في الإصلاح بوادي ميزاب، مثل الشيخ بيوض، والشيخ عدون، والشيخ عبد الرحمن بكلي، وغيرهم، والذين أبدوا تحمسًا طاهرًا واستعدادًا لدعم هذا المشروع الوطني، وتلقى المشروع تأييدًا حارًا من قبل رجالات الأمة، وأظهرت المراسلات المتبادلة استعدادهم لتحمل الأعباء المالية، خاصة بعدما ارتبط إنشاء المطبعة بصدر جريدتهم الرسمية، وتم تمويل المشروع بمساعدة التجار الميزابيين المؤمنين به، الذين تبرعوا بالمال أو قدموا قروضًا معجلة أو مؤجلة، وعندما شعر أبو اليقظان بجاهزية الأمة لهذا المشروع، بدأ في البحث عن مطبعة في الجزائر لشرائها، حاول شراء مطبعة الشيخ العقبي في بسكرة مع معاونه السيد تغموت عيسى، لكن وجدوها غير ملائمة لغرضهم، ولم تلبّ طموحاتهم، وكانت أول آلاته المطبعية ماكينة مستعملة جيدة اشتراها من رجل فرنسي بقسنطينة - بواسطة السيد مامي إسماعيل صاحب جريدة النجاح - ثمن قدره خمس عشرة ألف فرنك (15000) وقد بدأت المطبعة العربية أعمالها في فيفري عام 1931، وكانت تقع في شارع روفيقو في الجزائر العاصمة، في مقر صغير يحتوي على مكتب لأبو اليقظان وآلات الطباعة في الطابق الأرضي، ومخزن للورق في الطابق السفلي، وقد بدأت المطبعة بطباعة جريدة المغرب، إلى جانب منشورات تجارية أخرى وكتب هامة، وقد تطورت المطبعة بسرعة لتتمتع بثلاث ماكينات طباعة ومعدات أخرى في عام 1932، مما سهل عملية الطباعة وزاد من إنتاجيتها.

للنظر إلى مبلغ المطبعة فقد كان مجموعا من تبرعات الأصدقاء والمؤمنين بمشروع أبي اليقظان وتجدر الإشارة إلى أن آلة الطباعة الجديدة كانت تكلف حوالي ثمانين ألف فرنك، مما يظهر أن المساهمين في هذا المشروع كانوا يتحلّى بروح وطنية جماعية، يمكن اختصارها في هذا الجدول²:

جدول رقم (22): يوضح مصادر تغطية تكاليف انشاء المطبعة العربية³:

الجهة المتبرعة	المبلغ المتبرع به	القرض:
أطفيش إبراهيم بن محمد بن يوسف		خمسين ألف فرنك
جماعة مستغانم	2910 فرنكًا	1400 فرنك

¹ ناصر، أبو اليقظان...، ج1، المرجع السابق، ص 132.

² رسالة من إبراهيم إلى أخيه محمد بن الحاج عيسى في 10 جويلية 1931م نقلا عن: نفسه، ص 135

³ من اعداد الطالبة وردة عي.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

جماعة السوق	920 فرنكًا	4100 فرنك.
جماعة غليزان	1010 فرنكًا	20,000 فرنك.
جماعة قالمه	2000 فرنك	
جماعة قسنطينة	3000 فرنك	
جماعة سطارنو (العلمة):	660 فرنكًا	
جماعة باتنة		11,000. فرنك
بن سليمان بالخروب		400 فرنك.
البوال محمد بن يوسف في الهبرية	100 فرنك	
الأصنام في الشلف		5000.00 فرنك

يوضح هذا الجدول مصادر تمويل إنشاء المطبعة العربية من خلال تبرعات وقروض قدّمتها شخصيات وجماعات من مختلف المناطق الجزائرية، تصدّر قائمة المساهمين الشيخ إبراهيم بن محمد بن يوسف أطفيش بمبلغ ضخّم بلغ خمسين ألف فرنك على شكل قرض، مما يشير إلى التزامه العميق بدعم المشروع، كما ساهمت جماعة مستغانم بمزيج من التبرع 2910 فرنكًا والقرض 1400 فرنك، تلتها جماعة السوق وغليزان بمساهمات مالية صغيرة نسبياً 920 و 1010 فرنكًا مقابل قروض كبيرة 4100 و 20,000 فرنك على التوالي، في المقابل، قدمت جماعات مثل قالمه 2000 فرنك وقسنطينة 3000 فرنك وسطارنو 660 فرنكًا (تبرعات نقدية فقط دون اللجوء إلى الاقتراض، وتميّزت جماعة باتنة بالحصول على قرض مباشر قدره 11,000 فرنك دون تبرع مالي، كما ساهم بعض الأفراد مثل بن سليمان بالخروب ومحمد بن يوسف البوال بمبالغ رمزية 400 و 100 فرنك تواليًا، بينما حصلت الأصنام (الشلف) على قرض قيمته 5000 فرنك، يُبرز الجدول تنوع مساهمات المجتمع الجزائري في تمويل المشروع، بين التبرع والدّين، ويعكس حماسة جماعية لإنشاء مطبعة عربية تُسهم في نشر المعرفة والثقافة.

لقد ساعد أبو اليقظان في إدارة شؤون المطبعة أحد تلامذته وأصدقائه عيسى تعموت منذ أول فكرة للمطبعة، فأخلص العمل وقد كان الشيخ أبو اليقظان يثق به ويعتمد عليه ويصفه بالابن الزكي فقد كان له دور كبير في سير المطبعة وقد أصيب بحروق بالغة جعلته يتوقف عن العمل وحمل أبو اليقظان مسؤولية هذا الحادث لبعض المسؤولين في شركة نقل وهذه المقالات جعلت من جريدته الأمة تتعرض للتجميد سنة 1938¹، وقد خلفه في الإدارة ابن أبو اليقظان عيسى وقد كان والده سعيدا به فيعبر أبو اليقظان عن سعادته بعمل ابنه معه قائلا: "كما وصل النجل العزيز عيسى على خير وصحة وسلامة، وقد دخل معنا في المعمة وأشغال المطبعة، وقد أخذ

¹ نفسه، ص 144.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

في التدريب والتمرن على الأعمال، وقد زادني أنسا كبيرا وهناء عظيما، فالحمد لله إذ جمع الشمل على مثل هذا المشروع الجليل فإذا رأيتُ ديواني يصففه ولدي وفي مطبعتي تسري في عروقي نشوة غريبة"¹.

دور المطبعة العربية في الساحة الوطنية كان عظيماً ولا يمكن تقديره بالكلمات فحسب، فقد كان دوراً فعالاً وجلياً في حفظ اللغة العربية وتعزيزها بين أبناء الوطن، في فترة الاحتلال الفرنسي، كانت المطبعة تعمل جاهدة لمقاومة الهجمة على الإسلام واللغة العربية، وكانت تواجه برامج الإدارة الفرنسية التي كانت تهدف للنيل من الهوية الثقافية للمسلمين بكل الوسائل المتاحة، وقد كان دور المطبعة العربية مهماً جداً، وكان جزءاً من جهاد الشيخ في سبيل الحفاظ على الهوية الثقافية واللغوية، فكانت تفتح أبوابها لكل المنشورات التي تعزز الوحدة الوطنية وتحمل رسالة إصلاحية، وقد نُشرت وطبعت كتباً عديدة للسيد أحمد توفيق المدني، مثل كتاب "الجزائر" و"المسلمون في جزيرة صقلية" ومسرحية "حنبل" وكتاب "جغرافية الجزائر" وغيرها.

من أهم الأعمال التي طبعتها المطبعة العربية، تاريخ الجزائر لعبد الرحمن الجيلالي، وديوان أبو اليقظان وسليمان الباروني باشا، وكتاب "سلم الاستقامة" في الفقه الإباضي، بالإضافة إلى مقاصد القرآن لمحمد الصالح الصديق وغيرها الكثير، ومن بين الصحف التي طبعتها المطبعة العربية: جريدة "البصائر" وجريدة "المرصاد" وجريدة "الثبات"، بالإضافة إلى مجلة "التلميذ" وجريدة "الميدان"، جريدة الحياة²، جريدة الإصلاح³، كانت هذه الصحف والمجلات تسعى لنشر الوعي والثقافة بين المواطنين المسلمين، وكانت تعكس حالة الطلبة الجامعيين بالجزائر وتعزز الهوية الوطنية والإسلامية⁴.

كانت المطبعة ليست مجرد مكان لطباعة المنشورات وتوزيعها، بل كانت نادياً يجتمع فيه المثقفون والإصلاحيون الوطنيون الذين يعيشون في العاصمة، وكان من بين الحاضرين الشيخ الطيب العقبي، والشيخ أحمد توفيق المدني، والشاعر محمد العيد آل خليفة، ومحمد السعيد الزاهري، والشيخ عبد الرحمن بكلي⁵، والشاعر مفدي زكرياء، والشيخ

¹ نفسه، ص 145.

² صدرت ثلاثة أعداد فقط من قبل مفدي زكريا وباسعيد في عام 1933، كانت جزءاً من مشهد النشر الوطني الناشئ في تلك الفترة.

³ عام 1939، بدأت بقيادة الشيخ الطيب العقبي، وهي الجريدة التي أصبحت محط اهتمام الثوار التحريريين، فهي تُعتبر إرهاباً فكرياً وسياسياً للثورة التحريرية.

⁴ نفسه، ص 148.

⁵ الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي (1901-1986): المعروف بلقب "البكري"، وُلد بمدينة العطف في وادي ميزاب، يُعد من أبرز أعلام الإصلاح في الجزائر خلال القرن العشرين، حيث جمع بين العلم والعمل، وكان فقيهاً، مؤرخاً، أدبياً، وشاعراً، تلقى تعليمه الأولي في بلده، ثم انتقل إلى تونس في أواخر عام 1922 للدراسة بجامع الزيتونة، حيث تتلمذ على يد كبار العلماء مثل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، بعد عودته إلى الجزائر، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931، وأسهم في إنشاء أول مدرسة نظامية إصلاحية في وادي ميزاب، عُرف بكتاباته في مجالات الفقه، التاريخ، والأدب، وكان شعره وسيلة لنشر الوعي والإصلاح، حيث تناول فيه قضايا الأمة والنهضة، من أبرز أعماله ديوان "البكري"، الذي يُعتبر مرجعاً =

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

عبد الرحمن الجيلالي، والمناضل الوطني عبد الحميد مهري، وغيرهم الكثير، كما كانت المطبعة تقدم خدماتها للمؤسسات الخيرية بطباعة منشوراتها، مثل منشورات شباب المؤتمر طلبة شمال إفريقيا، والكشافة الإسلامية الجزائرية، والجمعيات التعليمية مثل حياة، وإصلاح، وتهذيب البنين، وقد أشاد الشيخ العربي التبسي بجهود المطبعة في هذا المجال، وقد أشار إلى أنها طبعت بعض المنشورات له بدون مقابل مادي¹، وقد استمر الشيخ أبو اليقظان في جهاده من أجل الحرف العربي حتى وهو بعيد عن العاصمة، بعد بداية الحرب العالمية الثانية، انتقل إلى مقر رأسه حيث استقر، وتوقفت جرائده عن الصدور، ومع ذلك، فإنه كان يحمل مسؤولية مطبعته ويتابع سيرها بكل اهتمام، ويوجه نجله عيسى في إدارتها، وفي رسالة إلى الشيخ عدون بتاريخ 21 جوان 1948م، وصل إلى "الجزائر" وأدرك أنه لا يمكن له أن يترك مطبعته للخمول، فوجد نفسه يعمل بلا كلل في دهاليزها، ينشغل بالمطالعة والدراسة وترويج الكتب، وكأنه كان يعيش حلمًا لا يُحسب، ولكنه كان عندما حان الوقت يدرك أنه كان الواقع الملموس، لقد واجه أبو اليقظان في مشروعه المطبعي عقبات مالية كبيرة، فلم يكن له الحظ الجيد - على الرغم من رخاء الأمة - حيث تزامنت نشأة المطبعة في عام 1931 مع الأزمة الاقتصادية العالمية التي كانت أحد أسباب اندلاع الحرب العالمية الثانية، وهذا ما جعل أبا اليقظان ومطبعته يواجهان معاناة مالية شديدة منذ البداية، حيث تُظهر مراسلاته المستمرة مع أصدقائه ومعاونيه شكواوا المتكررة من هذا الوضع المؤسف، حيث كان يتلقى طلبات مستمرة من الناس ليعيد لهم القروض التي كان يعتمد عليها في مشروعه، وعلى الرغم من سهولة تنفيذ هذه القروض للتجار في ميزاب، إلا أن الشيخ كان يعاني من توتر نفسي حاد بسبب الديون التي كانت تضغط عليه، مما جعله يعيش في حالة من القلق المستمر والخوف من مواجهة بداية كل شهر، وكان يصف هذه الوضعية بأنها كالتهديد الذي يترصد به في كل مكان، وربما كان هذا الوضع المأساوي هو ما دفعه في بعض الأحيان إلى التعبير بكلمات تشير إلى حالة انزعاجه، حيث كان يقول في رسائله إلى أخيه محمد بن الحاج عيسى الذي كان يشترك معه في تكاليف العائلة بالقرارة: "ولا أجد للمصاريف الكثيرة نهاية، وأوقات الكساد تجعلني أحيانًا أشعر بالجنون، أنا أتحرك بدون أي شعور، وكل ما أفكر فيه هو البحث عن طرق لتخفيف النفقات، لكن هجوم الديون يتركني عاجزًا عن الاستمرار"².

هذا الواقع المؤسف هو ما دفعه أحيانًا إلى تصريحات حادة مع ابنه عيسى والسيد تغموت عيسى، حيث حثهما على بذل المزيد من الجهد في العمل والتفاني في تحصيل الاشتراكات وجمع حقوق المطبعة من الزبائن، كما

= في الأدب الإصلاحي الجزائري، ينظر: محمد ناصر بوحجام، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، ج1، المطبعة العربية، غرداية - الجزائر، سنة 1992 م، ص 33 - 38.

¹ ناصر، أبو اليقظان...، ج2، المرجع السابق، ص 149.

² نفسه، ص 152.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

ناشد إلى عدم التفرد في التعامل مع بعض المشتركين دون الآخرين، مشيرًا إلى أهمية توسيع الخدمة لجميع الراغبين، فكانت معاناة الشيخ من المشتركين الذين لم يقوموا بواجبهم كبيرة، وكان يرسل مقالات ورسائل للتذكير بهم بالتزامهم، في مارس عام 1933، كان هناك 318 مشتركًا لم يسددوا اشتراكاتهم، مما أدى إلى خسارة مالية كبيرة للمطبعة، وفي رسائله، يعبر الشيخ عن استيائه من عدم استجابة المشتركين ويشير إلى أهمية مواصلة الخدمة وتوسيع نطاقها، على الرغم من بعض التحسن النسبي في عام 1932، إلا أن الأزمة الاقتصادية تفاقم مع مرور الوقت، مما جعل الشيخ يتردد بين التفاؤل والإحباط، ومع ذلك، لم يفقد الشيخ الثقة بمشروعه النهضوي، وكان دائمًا يعتمد على الله ويؤمن بأنه سيجد حلاً للمشاكل التي تواجهه، تحفز تفاؤله معانيه وأصدقائه، ويوجه لهم رسائل مليئة بالأمل والتشجيع على مواصلة الجهد والإيمان بالقدرة على التغيير¹.

5. الجمعيات - جمعية اخوان الأدب لمحمد السعيد الزاهري أنموذجا -

خلال القرن العشرين، لعبت النوادي والجمعيات الأدبية دوراً حيوياً في الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية وتعزيز الوعي الوطني، كانت هذه المؤسسات مساحات للتعليم، والنقاش الفكري والأدبي، والنضال ضد الاحتلال، وقد ركزت هذه الجمعيات والنوادي على نشر الوعي الوطني من خلال الأدب والشعر والخطابة، فنظمت اجتماعات لمناقشة قضايا الاحتلال وتحدياته، واهتمت بتشجيع المواهب الأدبية الشابة، كانت المسابقات الأدبية والتجمعات الشعرية أدوات فعالة لإحياء اللغة العربية والحفاظ عليها في مواجهة التفرس المتزايد للمجتمع الجزائري.

على سبيل المثال، وفي فترة ما بين الحربين نجد في الغرب الجزائري جمعية أحباب الكتاب² أو أصدقاء الكتاب (1922) وجمعية الشبيبة الأدبية الإسلامية³ (1935)، قد كانا مثالا عن الاهتمام بالكتب وبث ثقافة القراءة

¹ نفسه، ص 152.

² جمعية أحباب الكتاب: من أقدم الجمعيات الثقافية في تلمسان، وقد تأسست رسميًا سنة 1927، رغم أن نشاطها يعود فعليًا إلى عام 1922، استمرت الجمعية في نشاطها حتى ما بعد الاستقلال، ولعبت دورًا محوريًا في النهضة الثقافية بالمدينة ومحيطها، فكانت منبرًا لترسيخ الوعي الوطني وتعزيز روح الصمود في وجه الاستعمار، ومهدًا لتنشئة أجيال من المثقفين، من أولى مبادرات الجمعية تأسيس مكتبة غنية بالكتب والمجلات باللغتين العربية والفرنسية، تم تجميعها من خلال الهدايا والتبرعات، وقد تحولت هذه المكتبة إلى فضاء حيوي للتكوين والتبادل الفكري، يقصده العديد من سكان تلمسان، حتى غدت الجمعية بمثابة مدرسة وطنية مصغرة تحتضن الوعي والثقافة، عرفت الجمعية بتنظيم اجتماعات دورية كانت تجذب جمهورًا غفيرًا رغم ضيق القاعة، كما أطلقت دروسًا مسائية مجانية داخل المدارس الرسمية، وشاركت بنشاط في المجال المسرحي، ومن رحمها ولدت جمعية "أصدقاء الطالب"، التي تأسست خلال الحرب العالمية الثانية، وساهمت في دعم طلاب التعليم الثانوي والعالي من أبناء العائلات الفقيرة، لمواصلة دراستهم في ظروف صعبة، ينظر: خالد مرزوق، مختار بن عمار: مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان آثار ومواقف 1907-1931-1956، دار زمורה، الجزائر، 2013، ص 69-76.

³ جمعية الشبيبة الأدبية الإسلامية: تأسست جمعية الشبيبة الأدبية الإسلامية سنة 1935 على يد عبد القادر حساني، وهدفت إلى خلق فضاء ثقافي يجمع بين الطلبة، والمثقفين، والشيوخ، حيث وفرت مكتبة تضم كتبًا وصحفًا بالعربية والفرنسية، بما في ذلك مؤلفات كانت ممنوعة من التداول في

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

كما نجد نادي "التلقي" ¹ الذي جمع بين النشاط الفكري والسياسي حيث استضاف العديد من المحاضرات الأدبية والكثير من النوادي المهمة بالأدب.

نجد جمعية "إخوان الأدب" التي كانت مبادرة تهدف إلى تأسيس كيان يجمع الأدباء الشباب في الجزائر، ويعزز الحركة الأدبية العربية في ظل الاحتلال الفرنسي، فقد نشر محمد السعيد الزاهري في البصائر في 21 جانفي 1936 إعلاناً عن نيته في إنشاء هذه الجمعية فيقول: "ترغب ناشئتنا الأدبية رغبة شديدة ملحة في إنشاء جمعية تعمل الأدب العربي وتجمع جهود المتأدبين من أبنائنا وتسير بهم في الطريقة المثلى إلى الأهداف العليا، وتشارك الأقطار العربية في هذه المواقب والأسواق التي يُقيمها الأدب العربي يوماً بعد يوم" ² فكما يظهر من الإعلان الذي كتبه الزاهري، كانت الجمعية تسعى إلى توحيد جهود الأدباء والمثقفين الجزائريين، وتطوير الأدب العربي وتبادل الخبرات مع الأدباء في مختلف أنحاء العالم العربي.

ركز الزاهري في جمعية "إخوان الأدب" على تحقيق عدة أهداف مهمة، منها تعزيز الأدب العربي، حيث رغبت في توجيه الأدباء الشباب نحو الاهتمام بالأدب العربي والمحافظة عليه في ظل سيطرة الثقافة الفرنسية، كما سعت الجمعية إلى إنشاء فضاء مشترك يجمع الأدباء الجزائريين في إطار واحد لتنظيم الفعاليات الأدبية والمشاركة في الأسواق الأدبية العربية، إضافةً إلى ذلك، كانت الجمعية تطمح إلى تعزيز التواصل والتعاون بين الأدباء الجزائريين والعرب، من أجل مواكبة النهضة الأدبية في الدول العربية الأخرى، كما شجعت الأدباء على إرسال مقترحاتهم وآرائهم حول أهداف الجمعية، وتسجيل أسمائهم وعناوينهم باللغتين العربية والفرنسية، ما يعكس أهمية الثنائية اللغوية في التعامل مع ظروف الاحتلال.

الأسواق، = مما جعلها مصدرًا ثمينًا للمعرفة، ساهمت الجمعية في تنشيط حوار فكري بناء ونقاشات هادفة تنطلق من الواقع المعاش، من خلال تبادل الآراء والاحتكاك بين روادها، إلى جانب الاستفادة من المحاضرات والدروس التي كانت تُلقى داخلها، وقد شكّلت بديلاً ثقافياً واجتماعياً عن المقاهي العامة، حيث كانت تقام لقاءات حول مواعيد تحضّر فيها المشروبات وتقدّم في أجواء من التواصل والتبادل الفكري، ينظر: أحمد الأزرق، **النهضة الثقافية الأصلية في مدينة سيدي بلعباس (1931-1954)**، دار الغرب للنشر والتوزيع، تونس، 2003، ص ص 29-31.

¹ لعب نادي التلقي، الذي تأسس في الجزائر العاصمة سنة 1927، دوراً مهماً في تنشيط الحركة الثقافية وتعزيز التيار الإصلاحية، من خلال دروس وخطب هدفت إلى نشر الوعي الوطني والمعرفة باللغة العربية، وصفه مالك بن نبي سنة 1932 بأنه مركز لنقل موجة الإصلاح إلى العاصمة، وقد لاحظ تغييراً في سلوك الناس ومظهرهم عند عودته من باريس، واعتبر هذه التحولات بداية لتغيرات أعمق، وأكد أن لافئة النادي المكتوبة بالعربية كانت رمزاً للوصول = الإصلاح، وأن ما بدا بسيطاً حينها كان مقدمة لتحولات كبرى لم تدركها السلطة الاستعمارية إلا بعد سنوات، ينظر: بن قينة، **في الأدب الجزائري ...**، المرجع السابق، ص 61.

² محمد السعيد الزاهري، "جمعية - إخوان الأدب"، البصائر، ع 8، الجزائر، 21 جانفي 1936، ص 05.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

بتاريخ 21 مارس 1936 ينشر محمد السعيد الزاهري على صفحات البصائر إلحاحه على تأسيس جمعية "إخوان الأدب"، حيث يعرض الكاتب الأسباب التي دفعته وزملاءه الأدباء إلى التفكير في هذا المشروع، من أبرز الأهداف المرجوة من الجمعية هو جمع التراث الأدبي الذي تركه الأدباء الراحلون وتعريف الناشئة بهم وبآثارهم الأدبية، فيرى الزاهري أن هناك تقصيراً كبيراً في التعريف بالأدباء الراحلين مثل الشاعر أبو القاسم الشابي وغيرهم، فيقول الزاهري: "وانه لقصور فاضح أن نستغرق في هذا السكوت العبق في هذه الأيام التي انقلب فيها العالم العربي إلى حفلات قومية ضاحكة مستبشرة احتفاءً بمرور ألف سنة على شاعر العروبة أبو الطيب المتنبي مالي الدنيا وشاغل الناس¹" مما يؤكد الحاجة إلى جمعية تُعنى بتوثيق ونشر تراث الأدباء، يشير الزاهري إلى أن من بين المهام الرئيسية للجمعية هو تقديم التوجيه والدعم للأدباء الناشئين، وسيتم ذلك عبر إرشادهم إلى الكتب والمجلات المناسبة التي تساعد على تنمية قدراتهم الأدبية، وتجنب الأعمال التي قد تؤثر سلباً على مستواهم، الزاهري يوضح أهمية دور الموجه الأدبي، مستشهداً بتجربته الشخصية مع الشيخ معاوية التميمي الذي ساعده في توجيه قراءاته نحو المصادر النافعة، ويوضح الزاهري أن الجمعية ستعمل على تعزيز روابط الأخوة بين الأدباء، حيث سيتم تكريم العاملين في المجال الأدبي وتشجيعهم على الاستمرار في الإبداع، هذا التكريم قد يشمل إقامة حفلات لتقدير الأدباء الناجحين أو العاملين في مجال الصحافة والنشر، كما ستسعى الجمعية إلى طبع ونشر الكتب الأدبية التي ترضي أعضاء الجمعية.

في هذا المقال يُظهر الزاهري أهمية الاحتفاء بالشخصيات الأدبية الإسلامية والعربية، مثل الإمام رشيد رضا، وأبو الطيب المتنبي، الزاهري يعبر عن استيائه من عدم مشاركة الأدباء الجزائريين في هذه المناسبات الكبرى، ويؤكد على أن "إخوان الأدب" ستسعى جاهدة لتكون جزءاً من هذه الاحتفالات الثقافية الكبرى، مما يعزز انتماء الجزائر إلى العالم العربي والإسلامي، وفي نهاية مقاله يشير الكاتب إلى أن الجمعية تطمح إلى إنشاء صحيفة أدبية تكون لسان حال الأدباء في الجزائر، مما يساهم في إثراء المشهد الأدبي العربي، الجمعية لن تكتفي بهذا الهدف، بل ستسعى إلى تحقيق أرقى الغايات الأدبية عبر تنظيم جهود أعضائها ومشاركتهم الفعالة.

بتاريخ 01 أبريل 1936 نشرت البصائر مقالا للكاتب حمزة بوكوشة يتحدث فيها عن "جمعية إخوان الأدب" التي جاءت كرد فعل على عجز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن تحقيق أهدافها في إنشاء لجان متخصصة، مثل لجنة الفتوى والأدب، الجمعية كانت تواجه تحديات وصعوبات ناتجة عن حملات تشويه من خصومها، مما أدى إلى انشغالها بالدفاع عن نفسها بدلاً من العمل على تحقيق أهدافها الثقافية والتعليمية، من هنا،

¹ محمد السعيد الزاهري، "جمعية -إخوان الأدب أعمالها المرجوة"، البصائر، ع 11، الجزائر، 21 مارس 1936، ص 05.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

رأى الأدباء، بقيادة الشيخ محمد السعيد الزاهري، ضرورة تأسيس جمعية مستقلة تهتم بالأدب العربي وتجمع الأدباء بعيداً عن النزاعات السياسية والدينية، فيشدد حمزة بوكوشة على أن "جمعية إخوان الأدب" تركز على الأدب العربي وتاريخه، وأن نجاحها مرهون بتوجيه اهتمامها نحو الأدب فقط، مع الابتعاد عن الخوض في المسائل الدينية والسياسية التي كانت تسبب الانقسامات داخل المجتمع، ويقترح بوكوشة أن الجمعية يجب أن تحافظ على هذا المسار، بل وتفتح أبوابها لعشاق الأدب العربي من المستشرقين، مع الحرص على عدم السماح لغير الأدباء الحقيقيين بالانضمام إليها.

يسلط حمزة بوكوشة ما تواجهه الجمعية من تحديات كبيرة نتيجة القوانين الاستعمارية التي كانت تهدف إلى إبعاد الشباب الجزائري المتعلم عن النشاطات الثقافية الوطنية، خاصة طلاب المدارس العليا، يعكس المقال هذا الواقع المرير حيث يتحدث عن العقبات التي يواجهها هؤلاء الطلاب في الانخراط في الجمعية، ويصور هذا الإبعاد كجزء من سياسة مغرضة هدفها عزل الجزائر عن جذورها الأدبية والثقافية، ثم في ختام المقال، يحث الكاتب الأدباء الجزائريين على المسارعة إلى الانضمام إلى الجمعية، مشدداً على أهمية الانتقال من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل الفعلي، فيرى الكاتب أن "جمعية إخوان الأدب" تمثل أملاً كبيراً في إحياء النهضة الأدبية في الجزائر، داعياً الأدباء إلى المشاركة في تشكيل هذه الجمعية لدفع الأدب الجزائري إلى الأمام، والمساهمة في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمة الجزائرية فيقول: "أحث الأدباء على المسارعة إلى تلبية الطلب لتخرج جمعيتنا من الأقوال إلى الأعمال"¹

إن مصير هذه الجمعية الأدبية مجهولاً، ويبدو أنها لم تتمكن من التحقق على أرض الواقع أو تحقيق أهدافها، مما جعلها ضحية للظروف القاسية التي فرضها الاحتلال، وقد أثرت هذه الظروف سلباً على العديد من المشاريع الرائدة في مجالات الثقافة والأدب، ولم ينج منها إلا عدد قليل².

رغم فشل جمعية "إخوان الأدب" في التأسيس الفعلي وتحقيق أهدافها، ورغم استغاثة محمد السعيد الزاهري مع الأدباء الشباب، إلا أن هذه الجمعية تظل تجربة فريدة تعكس الأفكار الإبداعية التي لم تُكتب لها الحياة في ظل ظروف قاسية ومناخ قاتل للإبداع، لو كانت أفكار الزاهري قد تحققت، لكان للموروث الأدبي الجزائري وجهة أخرى، ولأثمرت جهود الأدباء عن العديد من الأعمال الأدبية القيمة التي كان من الممكن أن تصل إلينا اليوم، مما يعزز مكانة الجزائر في المشهد الأدبي العربي.

¹ حمزة بوكوشة، "جمعية إخوان الأدب لماذا يلتزم تأسيسها؟"، البصائر، ع 12، 01 أبريل 1936، ص 07.

² مولود عومر، (20 ماي 2015)، الشيخ محمد السعيد الزاهري في عالم الصحافة، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، استرجعت في تاريخ 06 جوان 2022، من الموقع الإلكتروني: <https://binbadis.net/archives/442>

فتمثل تجربة "إخوان الأدب" علامة فارقة في تاريخ الأدب الجزائري، حيث تجسد الإرادة الجماعية للحفاظ على الهوية الثقافية ومواجهة الاحتلال، إن إحياء تلك الأفكار والإرث الأدبي يعد دعوة للأجيال الجديدة لاستكشاف مسارات جديدة للإبداع وتأكيد الهوية الوطنية، مما يساهم في الحفاظ على تراث الجزائر الأدبي وتعزيزه في المستقبل، وهذا ما تفطن إليه محمد السعيد الزاهري مع قلة من الأدباء الذين آمنوا بفكرته وربما لم يكن الاحتلال لوحده سببا في عدم تحقق هذا المشروع الأدبي بل تقاعس وعدم اكتراث من الأدباء أنفسهم سواء الجزائريين أو غيرهم لأن الجمعية كانت دعوة للمهتمين بالأدب من العرب، وهذا ما أكدته حمزة بوكوشة بعد أشهر قليلة كتأكيد للرجبة في تأسيس الجمعية.

ثالثا: فضاءات النشر

1. المنشورات المطبوعة:

1.1. الجرائد والمجلات:

لطالما كانت العلاقة بين الكتاب والصحافة متأرجحة بين الانجذاب والنفور، حيث رأى العديد من الكتاب في الصحافة وسيلة للتواصل مع الجمهور وتأمين مصدر دخل، بينما اعتبرها آخرون عائقا أمام الإبداع الأدبي، فمنذ القرن التاسع عشر، عبر كتاب مثل غوستاف فلوبيير (Gustave Flaubert) عن رفضهم للصحافة، معتبرين إياها سوقا تجارية تفرض السرعة على الكاتب وتمنعه من التفرد للأعمال الأدبية العميقة، ومع ذلك، لم يتمكن كثير من الأدباء من الابتعاد عن الصحافة، حيث وجدوا فيها منصة لنشر أفكارهم والتفاعل مع قضايا عصرهم.

في المقابل، لم تكن الصحافة متسامحة مع الكتاب دائما، إذ غالبا ما انتقد الصحفيون الأدباء، معتبرين أنهم يفتقرون إلى مهارات العمل الصحفي، وقد برزت هذه الانتقادات في الصحف الكبرى مثل لو فيغارو، التي اعتبرت أن معظم الكتاب الذين يخوضون غمار الصحافة يعانون من صعوبة التكيف مع متطلبات المهنة، كما ظهرت منافسة واضحة بين الصحفيين والكتاب، حيث اعتبر بعض الأدباء أن الصحافة تفسد الذائقة الأدبية، بينما دافع الصحفيون عن أنفسهم بأنهم يقدمون معرفة سريعة ومباشرة تهم الجمهور العريض¹.

¹ "Les écrivains et la presse : entre attraction et répulsion," Gallica, Bibliothèque nationale de France, accès le 19 mars 2025 : <https://gallica.bnf.fr/accueil/fr/html/les-ecrivains-et-la-presse-entre-attraction-et-repulsion>.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، لم يكن الصراع بين الكاتب والصحفي حول الحرية أو النفوذ مجرد ترف فكري كما كان في فرنسا، بل كان الأمر مسألة وجودية، لم تكن هناك مساحة حقيقية للتعبير، وعندما أُتيحت بعض الفرص، كانت مخفوفة بالقمع والتضييق الشديد من طرف الإدارة الاستعمارية.

الصحافة الجزائرية لم تبدأ كامتداد طبيعي للحراك الأدبي، بل جاءت كفعل مقاومة، حيث دفع الجزائريون أثمانًا باهظة من أجل تأسيس جرائد ناطقة باسمهم، تنقل قضاياهم، وتدافع عن حقوقهم، الصحفي الجزائري لم يكن مجرد ناقل للأخبار، بل كان مناضلاً يسعى للحفاظ على هوية بلاده وثقافتها، في ظل رقابة شرسة وقوانين مجحفة، وهكذا، بينما كان الكتاب الفرنسيون يتصارعون مع الصحافة بين الجذب والنفور، كان الجزائريون يقاتلون من أجل حق بسيط لكنه جوهري: أن يكتبوا بحرية.

1.1.1. النشر في الجرائد والمجلات الاستعمارية:

كانت الصحافة الاستعمارية في الجزائر أداة فعالة في تكريس الهيمنة الثقافية الفرنسية، حيث خصصت صفحاتها للترويج للأدب الفرنسي المكتوب في الجزائر، متجاهلة بشكل كبير الإنتاج الأدبي الجزائري باللغة العربية، فقد حظيت أعمال الكتاب الفرنسيين الذين عاشوا في الجزائر أو كتبوا عنها باهتمام واسع، وظهرت مراجعات نقدية وإعلانات موسعة لرواياتهم ومقالاتهم في الصحف والمجلات الاستعمارية، في المقابل، لم يُخصص أي حيز يذكر للأدباء الجزائريين الذين كتبوا بلغتهم الأم، إلا في حالات نادرة عندما كان ذلك يخدم أجندة المستعمر أو عندما تنشر بعض الصحف العربية الجزائرية إنتاجاتهم كنوع من المقاومة الثقافية.

يتضح هذا التحيز من خلال الأرشيفات الصحفية الفرنسية، حيث نجد كمًا هائلًا من المقالات التي تناقش الأدب الفرنسي في الجزائر، مثل المقال المنشور سنة 1926 في صحيفة الجزائر - طالب (Alger-Étudiant)¹، الذي استعرض بإسهاب رواية "ثلاثة رجال ومئذنة"² (Trois Hommes et un Minaret) للكاتب الفرنسي غابرييل أوديسيو³ (Gabriel Audisio)، في المقابل، لا نجد اهتمامًا مماثلًا بالأعمال الأدبية الجزائرية، على سبيل

¹ الملحق رقم 21.

² Gabriel Audisio, *Trois hommes et un minaret*, Rieder, Paris, 1926.

³ غابرييل أوديسيو (1900-1978): كاتب وشاعر فرنسي من أصول متوسطية، وُلد في مرسيليا ونشأ بين فرنسا والجزائر، حيث كان والده مديرًا للأوبرا، درس الأدب والقانون والتاريخ والحضارة الإسلامية، وتأثر بأفكار جول رومان، بدأ مسيرته المهنية كمحرر في الجزائر، حيث التقى بأدباء بارزين مثل ألبر كامو، انخرط في المقاومة خلال الحرب العالمية الثانية وسُجن في فريسنيس عام 1943، عمل مستشارًا ثقافيًا في الجزائر حتى تقاعده عام 1966، كان = يؤمن بوحدة الثقافات المتوسطية، وركزت أعماله على التنوع الثقافي لشمال إفريقيا، كتب الروايات والمقالات والشعر والمسرحيات، ومن أبرز أعماله ثلاثة رجال ومئذنة وحب الجزائر ويوليسيس أو الذكاء، حصل على عدة جوائز أدبية، منها جائزة الأكاديمية الفرنسية، ينظر:

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

مثال رواية "زهرة ابنة المنجم" لعبد القادر الحاحم سنة 1925، مما يعكس سياسة تهميش متعمدة سعت إلى إقصاء الصوت الأدبي الجزائري عن المجال الثقافي الرسمي، كان هذا التجاهل جزءًا من مشروع استعماري أوسع يهدف إلى فرض الثقافة الفرنسية وتقويض أي تعبير أدبي قد يعزز الهوية الوطنية الجزائرية.

لم يكن هذا التجاهل مقتصرًا على فرنسا وحدها، بل امتد أيضًا إلى المشرق العربي، حيث لم تحظ الأعمال الأدبية الجزائرية باهتمام كافٍ من قبل الصحافة المشرقية، ففي الوقت الذي كان الأدب العربي في مصر وبلاد الشام يشهد حركة نقدية نشطة، لم تُخصص مساحات لمتابعة الأدب الجزائري الذي كُتب تحت نير الاحتلال، وقد تدمر الكُتّاب الجزائريون من ذلك كما سبق وأن عرضنا.

في مرحلة لاحقة، ومع استمرار غياب الدعم الرسمي للأدب الجزائري، وجد بعض المهتمون بالكتابة الأدبية أنفسهم أمام خيار صعب: إما التمسك بخطابهم الوطني والقبول بالتهميش، أو البحث عن فضاء يتيح لهم الاستمرار في النشر حتى لو كان ذلك في الصحافة الاستعمارية التي كانت توفر مكافآت مادية وفرصًا أوسع للظهور، هذا ما أدى إلى انشقاق بعض أدباء الإصلاح عن التيار الوطني واتجاههم للكتابة في مجالات استعمارية مثل هنا الجزائر (Ici l'Algérie)، حيث سعوا للاستفادة من المساحة المتاحة لهم للتعبير، حتى وإن كان ذلك تحت سقف الخطاب الاستعماري¹.

2.1.1. النشر في الجرائد والمجلات الجزائرية

في ظل الهيمنة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر، شكّلت الصحافة الاستعمارية أداة أساسية لتكريس التبعية الثقافية والترويج للأدب الفرنسي على حساب الأدب الجزائري العربي، إذ كانت تُفسح المجال أمام الكُتّاب الفرنسيين المقيمين في الجزائر أو المهتمين بها، وتمنحهم مساحة نقدية واسعة لعرض أعمالهم، بينما أُقصي الكُتّاب الجزائريون الذين عبّروا بلغتهم الأم عن رؤيتهم وهويتهم، هذا الإقصاء لم يكن مجرد تهميش بل كان جزءًا من سياسة ثقافية مدروسة تسعى إلى طمس الوعي الوطني، غير أن بعض الجرائد العربية الجزائرية التي ظهرت في تلك الفترة تصدّت لهذا الإقصاء من خلال فسح المجال أمام الإبداع الأدبي الجزائري، مما جعلها منابر مقاومة ثقافية مهددة دائمًا بالمصادرة والإغلاق.

Gérard Crespo, (s.d), *Un écrivain français d'Algérie quelque peu oublié: Gabriel Audisio (1900-1978)*, CDHA, consulté le 20 Aout 2024, sur le site : <https://www.cdha.fr/un-ecrivain-francais-dalgerie-quelque-peu-oublie-gabriel-audisio-1900-1978>

¹ مجموعة شعراء، المصدر السابق، ص33.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

رغم هذا التقييد الاستعماري، استطاعت الصحافة العربية الجزائرية أن تُعيد إحياء الحراك الأدبي والفكري في مطلع القرن العشرين، فظهرت عدة صحف كـ "الأحياء"، "الحق الوهراني"، و"الفاروق"، التي احتضنت أسماء أدبية بارزة أمثال عمر راسم، عمر بن قدور، وأبو اليقظان، وسعت إلى التعبير عن قضايا الأمة والهوية الثقافية رغم المضايقات والقيود القانونية، خصوصاً قانون 29 جويلية 1881 الذي كفل حرية الصحافة شكلياً لكنه فُصل ليعخدم المستعمر ويقمع الجزائريين، في هذا المناخ، تحولت الكتابة الأدبية إلى فعل نضالي مخوف بالمخاطر، وأصبحت الصحف العربية ملاذاً للأدباء الذين تصدّوا للفرنسة، واستمروا في إنتاجهم رغم الرقابة والملاحقة.

من خلال تتبع الصحف الصادرة بين 1900 و1962، يتبين أن الحركة الأدبية الجزائرية شهدت تطوراً ملحوظاً بفضل جهود عدد كبير من الصحفيين والمفكرين، مثل عبد الحميد بن باديس، محمد العيد آل خليفة، وأحمد رضا حوحو، الذين أسهموا في تأسيس صحف رائدة مثل "الشهاب"، "البصائر"، و"المنار"، هذه الصحف لم تكتفِ بنشر الإبداع الأدبي بل جمعت بينه وبين الوعي السياسي والديني، وواجهت التضيق بالقلم والكلمة، ومع أن أغلبها توقّف نتيجة ظروف سياسية أو مادية أو بسبب الحريين العالميتين، فإن حضورها ترك أثراً عميقاً في الذاكرة الثقافية الوطنية، وعزّز من التلاحم بين الأدب والصحافة والنضال التحرري.

أظهرت العلاقة بين الأدب والصحافة في الجزائر صورة مركبة تتداخل فيها المعاناة مع الأمل، وتتمازج فيها القيود السياسية والاجتماعية مع محاولات التحرر والانبعاث، ففي بداية الأمر، كما أشار الدكتور صالح خرفي، ظل الشعر كائنًا مكبوتًا، متردّدًا في التعبير، يعاني من ضيق الأفق وكبت الحرية، نتيجة واقع فكري مقيد وهيمنة الرواية الشفوية التي لم تفتح له مجال الانتشار، فيقول: "أرأيت إلى الفرس، وهو يتأهب لدخول مضمار السباق، كيف يلوك اللحام ويتحدّى الزّمام؟ أرأيت جمّحه ومجوحه، لاحقًا الآن ومضًا خاطفًا في حلبة السباق، غير مستقرّ على سَبْلِك ثابت؟ كذلك كان شأن الشعر مع الصحافة العربية في الجزائر؛ لطالما ظل هذا الشعر حبيس الاضطهاد الفكري، رهين الرواية الشفوية، يتحفز للوثوب، متعلّقًا الأرض التي لا تسع الخطى المتوتّبة، يصقّق للانطلاق، فيخونه الأفق الذي يضيق عن الأجنحة الممدودة"¹.

غير أن هذا المشهد بدأ يتغير تدريجيًا مع بروز الصحافة العربية، حيث وجد الشعر متنفسًا جديدًا، ووسيلة لبث صوته، هذه العلاقة التحويلية تظهر بجلاء في تصور رمضان حمود للصحافة بوصفها لسان الأمة وطبيبها ومرشدها نحو العز والكرامة، ما يشير إلى أن انفتاح الصحافة منح الشعر حياة جديدة بعد خنق طويل، وقد ساعدت البيئة

¹ خرفي، محمد السعيد ...، المرجع السابق، ص189.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

الثقافية في تونس، لا سيما من خلال خريجي الزيتونة، في نقل مشعل الأدب العربي إلى الجزائر، مما ساهم في تأجيج نخضة شعرية وأدبية رغم القمع الاستعماري¹، ومع ذلك، لم تكن الطريق سالكة بالكامل، فقد بقيت الصحافة عرضة للملاحقة والمصادرة، وفرضت على الشعراء والمحررين العمل في الظل تحت أسماء مستعارة، مما أضفى على الإنتاج الأدبي طابع التحدي والمقاومة، ومن هذا التفاعل بين الألم والإبداع، وبين التقييد والانبعاث، ولدت تجربة شعرية جزائرية في الصحافة تنبض بروح التحرر وتحترق جدران الصمت المفروض عليها.

يرى عبد المالك مرتاض أن غياب حرية التعبير والمنابر الإعلامية كان من أبرز الأسباب التي حالت دون كتابة الأدباء الجزائريين عن مجازر 8 ماي 1945 في حينها، ويتساءل بمرارة: أين كانت الصحف الوطنية التي يمكن أن يعبروا من خلالها؟ وأين هي حرية الرأي التي تتيح لهم التنديد والاستنكار؟ لقد كان النظام الاستعماري يجمع كل صوت حر، ويلاحق كل قلم صادق، فاخترق المجال العام الذي يُمكن المثقف من أداء دوره، وهكذا، فإن الأديب لم يكن يملك سوى الصمت القسري، لا لأنه أراد، بل لأن الظروف فرضته عليه فرضاً، ففي ظل هذا القمع الممنهج، يصبح الحديث عن مسؤولية المثقف أو تقصيره نوعاً من الظلم التاريخي، لأن حرية التعبير كانت ببساطة معدومة، والمنابر الإعلامية كانت إما خاضعة للاستعمار أو مفقودة تماماً².

3.1.1. النشر في الجرائد والمجلات العربية

من أبرز الملامح التي ميزت مسار الأقلام الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي، هو لجوؤها إلى الصحف والمجلات غير الجزائرية، لا سيما التونسية، لممارسة الكتابة الأدبية، بعيداً عن رقابة الاحتلال، فقد أتاحت الصحافة التونسية، بسبب القرب الجغرافي، وتمايز السياسة الاستعمارية، ووجود هامش أكبر من حرية التعبير، فضاءً أكثر رحابة للأدباء الجزائريين للتعبير عن هواجسهم الإبداعية، وتطوير أساليبهم الأدبية بحرية، وتكشف المقارنة بين ما ينشره الكاتب الجزائري في الصحافة الإصلاحية الجزائرية، وبين ما يكتبه في الصحف التونسية، عن تحول ملحوظ في نبرة الكتابة وموضوعاتها؛ إذ تصبح الكتابة الأدبية في الصحف التونسية أكثر انفتاحاً، وأكثر تماساً مع القضايا السياسية والوجدانية، وأقل خضوعاً للرقابة أو التحفظ، وقد ساهم هذا المناخ في احتضان التجارب الأدبية الناشئة،

¹ ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص29.

² مرتاض، محمد البشير الابراهيمي، المرجع السابق، ص94.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

ومنحها فرصة التبلور خارج الحدود القسرية التي فرضها الاحتلال وكذا التوجهات الفكرية داخل الجزائر، ومن خلال الجدول التالي يمكننا إبراز بعض الأقلام الجزائرية التي تفتحت الصحافة التونسية لها أحضانها¹:

جدول رقم (23): يبرز بعض الكتابات الشعرية الجزائرية في الصحف التونسية²:

اسم الشاعر	الصحيفة/ المجلة	عنوان القصيدة	التاريخ
عمر بن قدور	المشير ³	دمعة على الملة	01 جانفي 1911
عمر بن قدور	المشير	الضمير والاصداغ	06 أوت 1911
أبو اليقظان	المشير	الحياة	23 سبتمبر 1920
محمد العيد آل خليفة	العصر الجديد ⁴	إحياء الأدب	28 سبتمبر 1920
محمد السعيد الزاهري	النهضة	رثاء فقيد العلم الشي النخلي	25 فيفري 1924
خراشي الحسيني	العصر الجديد	أرجحية الجزائريين ⁵	11 نوفمبر 1922
محمد الصديق بن عريوة	النهضة	أرجحية أديب	19 جانفي 1924
مفدي زكرياء	لسان الشعب ⁶	إلى الريفيين	06 ماي 1925
حمود رمضان	تقوم المنصور	نعم الجدود، لكن بئس ما تركوا	1926
ع. الزركشي	الوزير	العقبات والثبات	18 جانفي 1927
حمزة بوكوشة	الوزير	زهرة الشاطئ	13 أكتوبر 1932
أحمد توفيق المدني	النديم	مدوا الأكف	18 فيفري 1933

¹ كل مصادر المعلومات مأخوذة من كتاب الأدب الجزائري في تونس مجريته، للدكتور محمد صالح الجابري.

² من إعداد الطالبة وردة عي.

³ **جريدة المشير**: هي صحيفة تونسية صدرت باللغة العربية، أسسها الصحفي الطيب بن عيسى، صدر عددها الأول في 1 جانفي 1911، وكانت تُعرف كـ "نشرة إسلامية إصلاحية أسبوعية"، وكان مقرها في نَجْج باب سويقة بتونس العاصمة، توقفت عن الصدور في نوفمبر 1911 بعد أحداث الجلاز، ثم عادت لفترة وجيزة في مارس 1920 قبل أن تُمنع مجدداً بسبب مقال اعتبرته سلطات الحماية الفرنسية مقتبساً من كتاب تونس الشهيدة للشيخ عبد العزيز الثعالبي، لاحقاً، أصدر بن عيسى جريدة الوزير، ثم أعاد إصدار المشير في أكتوبر 1957 تحت عنوان المشير في عهد الاستقلال الجمهوري، لكنها توقفت نهائياً بعد وفاته في العام التالي، ينظر: محمد حمدان، **دليل الدوريات الصادرة بالبلاد التونسية من سنة 1838 إلى 20 مارس 1956**، بيت الحكمة، تونس، 1991، ص 120.

⁴ **جريدة العصر الجديد**: هي صحيفة تونسية سياسية، علمية، أدبية وتجارية، صدرت باللغة العربية ابتداءً من ماي 1920 واستمرت حتى أوت 1937، أسسها وأدارها أحمد حسين المهيري، وطُبعت في "المطبعة الأهلية"، وكانت ذات حجم كبير (53 سم)، تُعد من الدوريات المهمة التي وثّقت الحياة الفكرية والثقافية في تونس خلال النصف الأول من القرن العشرين، وتنوّعت مواضيعها بين الأدب والتجارة والشؤون العامة، ينظر: **محفوظة ضمن في دار الكتب الوطنية التونسية ومشروع الخلدونية الرقمية**، الدوريات الرقمية، الرقم الدولي الموحد للدوريات (ردمد) 1737-5061، ورمزها المرجعي A-Per-352.

⁵ قصيدة عن الأمير خالد بمناسبة زيارته الى بسكرة في 16 أكتوبر 1922 قدمها نيابة عن أهل بسكرة للأمير.

⁶ **جريدة الشعب**: هي صحيفة تونسية تأسست عام 1955، وتُعدّ لسان حال الاتحاد العام التونسي للشغل، تُعنى بتغطية القضايا النقابية والاجتماعية والسياسية، وتُعتبر من أبرز المنابر الإعلامية التي واكبت تطورات الحركة العمالية في تونس، تتميز الجريدة بمواقفها المدافعة عن حقوق العمال والحريات العامة، وقد لعبت دوراً مهماً في توثيق نضالات الاتحاد ومواقفه خلال مختلف المراحل السياسية التي مرت بها البلاد، ينظر: أحمد العسالي، (04 سبتمبر 2022)، تعريف موجز لـ **جريدة الشعب** لسان حال الاتحاد العام التونسي للشغل، **الاتحاد العام التونسي للشغل**، استرجعت في تاريخ 06 ماي 2025، من الموقع الإلكتروني <https://web.archive.org/web/20220904151220>

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

محمد العيد الجباري	العمل	كيف لا أبكي؟	15 جوان 1934
محمد العربي	العالم الأدبي ¹	أريدك ²	25 ديسمبر 1934
محمد الأخضر السائحي	الزمان	أرنو إليك ساعة في الخيال	30 مارس 1937
أوبكر مصطفى بن رحمون	الصريح	على هامش المولد	31 ديسمبر 1940
عبد الله شريط ³	المباحث ⁴	دعاء الحب	06 سبتمبر 1944
أحمد الغوالي المبلي	الصريح	بنت المغرب	30 أبريل 1949
أفق الجزائر ⁵	الصريح	ذكرى 08 ماي بالجزائر	12 ماي 1950
صالح عبد الله	الصباح ⁶	الواقع الرهيب	29 جوان 1956

¹ **مجلة العالم الأدبي:** هي مجلة تونسية أدبية أسسها الكاتب والصحفي زين العابدين السنوسي عام 1930، وامتدت حتى عام 1952، هدفت المجلة إلى خدمة الثقافة المغربية من خلال تعميم العلم وتبسيطه، واستيعاب المظاهر الأدبية العالمية، وتقديم ترجمات لأهم المذاهب والأدباء، تميزت المجلة بنشر نصوص أدبية في الشعر والقصة والمسرح، بالإضافة إلى مقالات في التاريخ والعلوم والنقد والفنون، كما خصصت صفحات لقضايا المرأة واهتماماتها، مما جعلها صوتاً للتحديث في الأدب والفكر التونسيين، اعتبرها محمد الفاضل بن عاشور رائدة النهضة الفكرية وسجلاً للتطور الأدبي في تونس، ينظر: اللجنة العلمية، (2022)، العالم الأدبي: **مجلة أدبية لخدمة المعرفة والأدب في الشمال الإفريقي 1930-1952**، متحف التراث المكتوب، استرجعت في تاريخ 06 ماي 2025، من الموقع الإلكتروني: <https://kitab.bnt.nat.tn/ar/notice/125>

² يُعد محمد العربي من الأصوات الشعرية الجزائرية التي تجلّت فيها ملامح الجرأة والانفتاح الأدبي، خصوصاً حين كتب في صحف تونسية، بعيداً عن القيود الرقابية التي كبلت الصحافة الجزائرية إبان الاستعمار، ومن أبرز الأمثلة على جرأته قصيدته "أريدك" التي نُشرت بتاريخ 25 ديسمبر 1936، حيث تميزت بروح عاطفية جريئة، ويتوصّف صريحٍ لحبيته بلغ حد المجنون أحياناً، في مفردات لم تكن مألوفة في المطبوعات الجزائرية آنذاك، لقد قدّم العربي في هذه القصيدة نموذجاً لما يمكن أن تكون عليه الكتابة الأدبية حين تتحرر من الرقابة والتقاليد الاجتماعية المحافظة، فجاءت كاشفةً عن الوجه الآخر للشاعر، الذي لم يكن يسمح له الواقع الجزائري بالإفصاح عنه، مما يدلّ على أن الصحافة التونسية فتحت أمام الأقلام الجزائرية مجالاً لتجريب أشكال أدبية أكثر تحرراً وذاتية.

³ **عبد الله شريط (1921-2010):** مفكر جزائري بارز، وُلد بمسكيانة وتلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب، ثم انتقل للدراسة في تونس وسوريا حيث نال شهادة الليسانس في الفلسفة، خلال الثورة الجزائرية، التحق بجهة التحرير الوطني وأسهم في العمل الإعلامي الثوري، خاصة عبر جريدتي "المقاومة" و"المجاهد"، بعد الاستقلال، عمل أستاذاً للفلسفة بجامعة الجزائر، وشارك في تكوين أجيال من الطلبة، كما عُرف بكتاباتهِ التنويرية وجهوده في الترجمة والتوثيق، نال عدة تكريمات وطنية، منها وسام من الرئيس بومدين ومناسبة صدور موسوعته حول الثورة، وتوفي عام 2010 ودُفن في مقبرة العالية، ينظر: إبراهيم صحراوي وآخرون، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، دار النهضة، الجزائر، 1996، ص 56.

⁴ **المباحث هي مجلة تونسية:** صدرت بين عامي 1938 و1947، أسسها محمد البشروش، أحد المجتدين في جيل أبي القاسم الشابي، تميزت المجلة بتركيزها على الأدب والفن والتاريخ والفلسفة، وهدفت إلى إحياء التراث الثقافي التونسي وتبسيط الضوء على الحياة العقلية في البلاد، بعد توقفها بسبب الأحداث السياسية وظروف الحرب العالمية الثانية، عادت للصدور في عام 1944 بإشراف غير معلن من محمود المسعدي، الذي جمع افتتاحياتاً في كتابه "تأصيلًا = لكيان"، استقطبت المجلة نخبة من المثقفين والأدباء، مثل الطاهر قيقّة وعلي الدوعاجي، ووسعت نطاقها لتشمل مجالات جديدة كالعلم والفلسفة والفنون، مما جعلها منبراً للنخبة المثقفة التي جمعت بين الأصالة والانفتاح على الحداثة، ينظر: اللجنة العلمية، (2022)، **المباحث (مجلة في الأدب والفن والتاريخ والفلسفة 1938-1947)**، متحف التراث المكتوب، استرجعت في تاريخ 06 ماي 2025، من الموقع الإلكتروني: <https://kitab.bnt.nat.tn/ar/notice/122>

⁵ اسم مستعار، ينظر: أحمد الغوالي، **ديوان الشاعر أحمد الغوالي**، تح وتق: حمادي عبد الله، وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص 07.

⁶ **جريدة الصباح:** هي صحيفة يومية تونسية تصدر باللغة العربية عن دار الصباح، وقد تأسست في 1 فيفري 1951 على يد الحبيب شيخ روحه، توقفت عن الصدور مرتين: الأولى عام 1956 بسبب دعم مؤسسها للزعيم صالح بن يوسف خلال صراعه مع الحبيب بورقيبة، والثانية عام 2000 نتيجة صعوبات مالية، في مارس 2009، اشترى رجل الأعمال محمد صخر المطاطي 70% من أسهم دار الصباح وأصبح رئيس مجلس إدارتها، يُقدّر توزيع الجريدة اليومي بين 70,000 و78,000 نسخة، ينظر: الجباري، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)**، مطبعة القلم، تونس، 1983، ص 69.

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

صالح خرفي	الندوة	فتاة العروبة	فيفري 1957
صالح أبو عمر	الصباح	بطل الثورة الجزائرية	23 مارس 1957
عيسى بن سليمان الجزائري	الصباح	الذكرى الرابعة للثورة	08 نوفمبر 1958

يُظهر الجدول تنوع الكتابات الشعرية الجزائرية في الصحف والمجلات التونسية بين عامي 1911 و1958، حيث اتخذت هذه المنابر متنفساً للأدب الجزائري في زمن الاحتلال الفرنسي، أبرز ما يلفت الانتباه هو استمرار هذا الحضور الأدبي لأكثر من أربعة عقود، مما يدلّ على عمق العلاقة الثقافية بين الجزائر وتونس، وعلى أهمية الصحافة التونسية كحاضنة للأقلام الجزائرية، فنجد شعراء من أجيال مختلفة مثل عمر بن قدير في بدايات القرن العشرين، ومحمد العيد آل خليفة وأبو اليقظان ومحمد السعيد الزاهري في عقد العشرينيات، إلى جانب أصوات لاحقة مثل محمد العربي وعبد الله شريط وصالح خرفي، وهذا التنوع الزمني يعكس تطور التجربة الشعرية الجزائرية من الرثاء والتعبير الديني والسياسي، إلى التعبير الوجداني والثوري، كما في نصوص مثل "أريدك" (1934) و"بطل الثورة الجزائرية" (1957).

برز عدد من الأدباء الجزائريين، مثل أبو العيد دودو¹، الذي تجاوز حدود النشر المحلي ليصل إلى مجلات مرموقة كـ"الفكر"²، وُترجمت أعماله إلى الألمانية، مما ساعد على انتشارها دولياً، كما ترك عبد الحميد الشافعي ونور الدين بوجدره بصمة واضحة من خلال كتاباتهم التي أبرزت الروابط الإنسانية بين الجزائر وتونس، بينما تناول الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة الحياة الاجتماعية في تونس بواقعية أدبية لافتة.

رغم أن بعض الكتاب جمعوا أعمالهم المنشورة في مجموعات قصصية، فإن صعوبات التواصل مع الصحافة التونسية منعت البعض من الاستمرار في النشر، ومع ذلك، فقد أسهم أكثر من 21 كاتباً جزائرياً في رسم صورة

¹ أبو العيد دودو (1934-2004): هو أديب ومترجم جزائري بارز، وُلد في بلدة العنصر بولاية جيجل، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتلقى تعليمه في معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، ثم بجامعة الزيتونة بتونس حيث نال شهادة الأهلية عام 1951، قبل أن ينتقل إلى بغداد والنمسا لمواصلة دراسته العليا، متحصلاً على دكتوراه في الأدب العربي من جامعة فيينا عام 1961، عمل أستاذاً جامعياً في النمسا وألمانيا، ثم عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال وأسّس قسم الترجمة الألمانية بجامعة الجزائر، كتب القصة والمسرحية والدراسة النقدية، وكان من أبرز المثقفين الجزائريين في مجال الترجمة، إذ نقل إلى العربية أكثر من 24 عملاً من الألمانية واللاتينية، من أبرزها "مذكرات جزائرية عشية الاحتلال" و"الحمار الذهبي"، كما ساهم في تعريف الألمان بالثقافة الجزائرية والثورة التحريرية، وجمع في مشروعه الثقافي بين الإبداع والترجمة والتقريب بين الحضارات، إلى أن وافته المنية في 16 جانفي 2004، ينظر: مختار نويوات، الدكتور أبو العيد دودو، لحة وجيزة عن حياته وأعماله، "مجلة اللغة العربية"، ع 66، 01 أكتوبر 2004، ص 93-10.

² مجلة "الفكر" التونسية: التي تأسست عام 1955، تعد من أبرز المجلات الفكرية والأدبية في العالم العربي، وقد ارتبطت نشأتها بالمفكر محمد الفاضل بن عاشور ونخبة من المثقفين التونسيين بعد الاستقلال، لعبت المجلة دوراً محورياً في تشكيل الوعي الثقافي والسياسي في تونس، حيث كانت منبراً للحوار الحر والتجديد الفكري، وجمعت بين الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية والانفتاح على الفكر المعاصر، تناولت المجلة موضوعات متنوعة تشمل الفلسفة والدين والأدب وقضايا التعليم، وكتب فيها مفكرون بارزون من تونس والمشرق العربي، ما جعلها مساحة للنقاش العميق بين التيارات الإصلاحية والتقليدية، ينظر: مروة، الصحافة العربية...، المرجع السابق، ص 393.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

أدبية دقيقة عن الواقع قبل وأثناء الثورة، معبرين عن طموحات وآمال الشعب، ومساهمين في نشر الوعي والدعوة إلى التغيير¹.

تبرز الصحف التونسية مثل "المشير"، "العصر الجديد"، "النهضة"، و"الصباح" كمحطات بارزة استقطبت هذه الأقلام، وهو ما يفسّر جزئيًا الحرية النسبية التي كانت تتمتع بها تونس بالمقارنة مع الجزائر الخاضعة للرقابة الصارمة، فعلى سبيل المثال، يكتب محمد العربي قصيدته الجريئة "أريدك" في "العالم الأدبي"، بينما كانت مثل هذه النصوص تستبعد من النشر في الصحف الجزائرية، كذلك نرى حضورًا مكثفًا لمواضيع تتعلق بالهوية والكرامة والثورة، كما في قصائد صالح خرفي وصالح أبو عمر، مما يدلّ على تزايد وعي الشعراء بدورهم في التعبير عن الانشغالات الوطنية والقومية، بهذا الشكل، لم تكتف الصحف التونسية باحتضان الشعر الجزائري، بل ساهمت في تشكيل ملامحه الجمالية والفكرية، خاصة في إطار ما يمكن تسميته بـ"الكتابة الأدبية التحررية".

جدول رقم (24): يبرز بعض الكتابات القصصية الجزائرية في الصحف التونسية²:

اسم الكاتب	الصحيفة/ المجلة	عنوان النص	التاريخ
محمد العربي	تونس	المهاجر	15 سبتمبر 1936
محمد بن ددش التلمساني ³	الصريح	الابن الشهيد	21 أبريل 1950
الحبيب بناسي	الزيتونة ⁴	مأساة أسرة	23 مارس 1956
الطاهر وطار	الصباح	رد حبيبي	03 أوت 1956
محي الدين ابن واضح	الصباح	فتش عن بيتك	18 أوت 1956
محمد مخلوفي	الصباح	الأسرة... الشهيدة	10 أوت 1956
عبد الله بوضييع	الصباح	الفدائي الصغير	30 أوت 1956
سليمان مزيان	الصباح	ليلة رهيبة؟	31 أوت 1956

¹ الجابري، الأدب الجزائري ...، ج1، المرجع السابق، ص 175.

² من إعداد الطالبة وردة عي.

³ محمد بن ددش (1929-2023): كان إعلاميًا جزائريًا بارزًا وُلد في مدينة تلمسان، تلقى تعليمه في جامعة القرويين بفاس، وبدأ مسيرته المهنية في الإذاعة المغربية عام 1952، حيث عمل على ترجمة الأخبار من الفرنسية إلى العربية، تولى منصب مدير الإذاعة الوطنية المغربية بين عامي 1974 و1986، وشارك في تغطية أحداث مهمة في تاريخ المغرب، مثل عودة محمد الخامس من المنفى والمسيرة الخضراء، كما شغل منصب مستشار إعلامي في منظمة المؤتمر الإسلامي، وكتب في عدة صحف مغربية، حصل على أوسمة وطنية ودولية، وألف كتابًا بعنوان "رحلة حياتي مع الميكروفون"، توفي في الرباط يوم 20 نوفمبر 2023 عن عمر ناهز 94 عامًا، نظر: محمد بن ددش، رحلة حياتي مع الميكروفون، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط-المغرب، 2011.

⁴ جريدة الزيتونة الأسبوعية: صدرت سنة 1953 تحت شعار "الوطن قبل كل شيء"، وقد ارتبطت بنخبة من المثقفين والعلماء المحسوبين على جامع الزيتونة، فكانت منبرًا للإصلاح الفكري والديني ومواجهة الاستعمار الفرنسي، ركزت على قضايا الهوية الوطنية، والتعليم، والشرعية، وسعت إلى إحياء الدور الحضاري للزيتونة ومساندة الحركة الوطنية التونسية في نضالها من أجل الاستقلال، ينظر: عمر ابن القفصية، أضاء على تاريخ الصحافة التونسية (1860-1970)، تونس، دار بوسالم للطباعة والنشر، 1972، ص 45.

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

19 جانفي 1957	واجبلاه	الصباح	خليفة م. الطاهر
06 فيفري 1957	نهاية	الصباح	بنون محمد
05 أفريل 1957	أنا الجزائر	الصباح	أحمد محجودة الجزائري
02 ماي 1958	وامجاهداه	الصباح	الحكيم محمد الجزائري

يعكس الجدول أعلاه تطور الكتابة القصصية الجزائرية في الصحافة التونسية، والتي بدأت في الثلاثينيات بنص مبكر مثل "المهاجر" لمحمد العربي (1936)، ثم تزايدت بشكل ملحوظ خلال فترة الخمسينيات، خصوصاً ما بين 1956 و1958، وهي فترة اشتدت فيها الثورة الجزائرية واشتد معها حضور الأدب الملتزم بالقضية الوطنية، تشكل الصحف التونسية، خاصة "الصباح"، حاضنة بارزة لهذا النوع من الإنتاج الأدبي، حيث احتلت المساحة الأكبر من هذه النصوص، ما يدل على دعمها للأفلام الجزائرية التي وجدت فيها منبراً للتعبير الحر، بعيداً عن الرقابة الفرنسية في الجزائر.

تنوّعت المواضيع المطروحة بين القضايا الوطنية مثل "الابن الشهيد" لمحمد بن ددش، و"أنا الجزائر" لأحمد محجودة، والنصوص ذات الطابع الاجتماعي المأساوي كـ"مأساة أسرة" للحبيب بناسي، إضافة إلى نصوص تصوّر مشاهد الثورة مثل "الفدائي الصغير" و"وامجاهداه"، كما يظهر جلياً أن القصة القصيرة الجزائرية بدأت تتخذ شكلاً أكثر التزاماً، حيث جمعت بين السرد الفني والرسالة السياسية أو الإنسانية، إن هذا الحضور القصصي الكثيف في الصحافة التونسية خلال هذه الفترة لم يكن محض صدفة، بل يعكس توجّهاً أدبياً مقصوداً عند كتاب جزائريين جعلوا من القصة القصيرة أداة لنقل معاناة الجزائريين تحت الاحتلال، وهو ما منح هذه النصوص صفة "الأدب المقاوم"، ورسّخ تقاليد الكتابة الأدبية في منفى صحفي مجاور ولكنه حميم.

ترك الأدباء الجزائريون بصمتهم عبر الصحافة التونسية، من بين هؤلاء أيضاً برز أحمد رضا حوحو، حيث وجد الباحث ميلود عومر ثلاث مقالات له منشورة في الصحافة التونسية أولى مقالاته كانت عام 1946 في مجلة "الشرا" بعنوان "الأدب الحي... بين أدب القصة وأدب المقالة"، حيث تناول أهمية الرواية، كما نشر عام 1948 في جريدة "الأسبوع" مقالاً عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي 1953 كتب نقداً لكتاب "الشابي حياته شعره"، فمن خلال كتاباته، تواصل حوحو مع القراء التونسيين وأسهم في تطور الأدب الجزائري والمسرح، مما يعكس الأثر المتبادل بين الأدباء الجزائريين وتونس، خاصة في مجالات النشر والإبداع خلال تلك الحقبة¹.

¹ مولود عومر، الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو...، المرجع السابق.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

كما يتضح من خلال الوثائق المتحصل عليها من الأرشيف الوطني التونسي أن كاتب الدولة التونسية عقب الاستقلال التونسي والجزائري والمغربي أولى اهتمامًا بتسجيل الأعمال الأدبية والتاريخية، سواء التونسية أو الأجنبية، بداية من سنة 1956، وذلك ضمن سياق تعزيز الثقافة الوطنية وتنظيم قطاع النشر، هذا الاهتمام يعكس سياسة ثقافية مبكرة تهدف إلى ضبط الإنتاج الأدبي وتوثيقه، مما يشير إلى دور الدولة في توجيه المشهد الثقافي والإشراف عليه¹.

من اللافت أن بعض الأعمال الأدبية الجزائرية وجدت مكانها في هذه القوائم، مثل رواية الحريق لنور الدين بوجدر، ومصرع الطغاة لعبد الله الركيبي، ودخان من قلبي للطاهر وطار²، هذا الحضور يؤكد الدور التونسي في دعم الثقافة الجزائرية واستمرار التفاعل الثقافي بين البلدين³، حيث ظلت تونس منبرًا مهمًا للأدب الجزائري حتى بعد استقلال الجزائر⁴، وتضمن هذه العناوين الجزائرية يعكس الروابط العميقة بين تونس والجزائر في مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث كانت تونس داعمة أساسيًا للثورة الجزائرية، واستمرت في احتضان الأدب والفكر الجزائري بعد التحرير، هذا الاهتمام يبرز التداخل بين السياسي والثقافي، حيث لم يكن النشر مجرد عملية إدارية، بل كان جزءًا من دعم مشروع وطني وقومي أكبر يشمل الفضاء المغاربي بأسره⁵.

2.1. الكتب

شكّلت الكتب المطبوعة أحد أهم فضاءات التعبير الأدبي في ظل تضيق الاحتلال على الصحافة في الجزائر، إذ وجد الأدباء الجزائريون في النشر المستقل وسيلة بديلة لترسيخ حضورهم الثقافي والأدبي، وبالرغم من صعوبة الطباعة والنشر داخل الجزائر، نتيجة الرقابة الصارمة والملاحقة الأمنية، فقد لجأ كثير من الكتاب إلى دور نشر تونسية ومشرقية وحت فرنسية، حيث أتيح لهم هامش أكبر من الحرية، هذه الكتب لم تكن فقط حوامل للنصوص، بل مثّلت أيضًا بيانات فكرية وسياسية تمتح من الواقع الجزائري وتُحاور محيطه العربي والمتوسطي وربما العالمي.

عرفت الجزائر منذ مطلع القرن العشرين حراكًا أدبيًا مميزًا، تجلّى في بروز أسماء جزائرية خاضت تجربة الكتابة الأدبية والنشر، سواء في الداخل أو من خلال دور نشر خارجية، خاصة الفرنسية منها، وقد اتسم هذا الإنتاج بتنوع

¹ الأرشيف الوطني التونسي، رسالية من كاتب الدولة للرئاسة إلى كاتب الدولة الداخلية، مج: E، عل: 530، مل: 04، 17 أبريل 1963.

² الملحق رقم: 22.

³ الملحق رقم: 23، الملحق رقم: 24.

⁴ الأرشيف الوطني التونسي، قائمة الكتب التي طبعت بالشركة التونسية لفنون الرسم بين 1956-1964، مج: E، عل: 530، مل: 04.

⁵ الأرشيف الوطني التونسي، رسالية من كاتب... المصدر السابق.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

لافت على مستوى الجنس الأدبي واللغة المستعملة، حيث ظهرت الرواية كجنس أدبي بارز، إلى جانب الكتابات النقدية، والقصصية، وبعض النصوص ذات الطابع التأملي، ورغم الهيمنة الواضحة للغة الفرنسية، فإن العربية الكلاسيكية والدارجة الجزائرية سجلتا حضورهما، كما هو الحال في نص "قصة باللهجة التلمسانية" لعبد العزيز الزناقي، الذي نُشر سنة 1904 بالمطبعة الوطنية، ما يعكس الجهود الأولى لترسيخ صوت محلي يعبر عن الذات الشعبية بلهجتها اليومية.

من جهة أخرى، استعمل العديد من الكتّاب الجزائريين اللغة الفرنسية كأداة للتعبير الأدبي والنقدي، سواء لدوافع ثقافية أو فرضتها ظروف الاحتلال، نذكر على سبيل المثال سليمان بن إبراهيم وإتيان دينيه في عملهما خضرة، راقصة أولاد نايل (1910)، وأحمد بوري في مسلمون ونصرايات (1912)، وهو ما يُبرز مدى التفاعل مع القضايا الدينية والاجتماعية في ذلك الوقت، لاحقًا تعزّز هذا الاتجاه مع أسماء بارزة مثل محمد ديب، مولود فرعون، كاتب ياسين، آسيا جبار ومالك حداد، الذين جعلوا من اللغة الفرنسية وسيلة لتفكيك الواقع الاستعماري، ووسيلة مقاومة أدبية، إلا أن اللافت في هذا المسار، أن بعض هذه الأعمال، رغم صدورها بلغة المستعمر، حملت مواقف وطنية قوية، وتميزت بروح جزائرية واضحة، سواء من حيث الموضوع أو الخلفية الثقافية، هذه الحركة، إذًا، لم تكن مجرد تكديس عناوين، بل مثّلت نواة حقيقية لأدب جزائري حداثي متعدد الأصوات، تشكلت من خلاله ملامح هوية أدبية كانت تسعى منذ وقت مبكر إلى إثبات وجودها في مشهد معقد سياسيًا وثقافيًا.

خلال تتبع حركة النشر الأدبي في الجزائر (1900-1962)، يتجلى بوضوح أن الرواية كانت الشكل الأبرز والأكثر حضورًا في المنشورات المطبوعة، ويعود ذلك إلى ما تتمتع به من قدرة على استيعاب التجربة الاجتماعية والتاريخية في بنية سردية واسعة، فقد انخرط العديد من الكتّاب الجزائريين في هذا الجنس الأدبي منذ بدايات القرن العشرين، سواء باللغة الفرنسية التي فُرضت عليهم كأداة للتعبير، أو بالدارجة والعربية الفصحى كلغة مقاومة، وما يلفت الانتباه أن الرواية الجزائرية المبكرة لم تكن مجرد تقليد للأدب الفرنسي، بل محاولة واعية لتمثيل الواقع الاستعماري، وتشريح البنية الاجتماعية، والتعبير عن الهوية الثقافية المحلية، كما يتجلى في أعمال تعكس البيئة القبلية أو الحياة في المدن، وكذا العلاقات المتوترة بين المستعمر والسكان الأصليين.

كما أن تعدد دور النشر، من المطبعة الوطنية في الجزائر إلى كبريات دور النشر الفرنسية مثل "بلون" و"جوليارد"، يكشف عن انخراط الرواية الجزائرية في مسارات نشر متنوعة، بين المحلي والفرنكفوني، ما يدل على رغبة الكتّاب في تجاوز الحدود الجغرافية واللغوية لعرض قضاياهم أمام قراء أوسع، وتُبرز تلك الأعمال، رغم الاختلاف في لغاتها وتوجهاتها - خطابًا أدبيًا ينمو تدريجيًا نحو النضج، ويتحول من الرصد والوصف إلى التمثيل النقدي والتأريخ

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

الرمزي للواقع، ومن هنا، فإن الرواية لم تكن فقط أكبر حجماً من باقي الأجناس الأدبية، بل كانت أيضاً أكثر طموحاً من حيث المضامين والرؤية، وهو ما يبرر استحقاقها لحيّز مستقل في دراسة تطور الأدب الجزائري زمن الاحتلال.

في مقاله المنشور في مجلة الرسالة تحت عنوان "المطابع السارقة"¹، يكشف محمد السعيد الزاهري عن جانب مظلم من واقع النشر العربي، ملامساً بجرأة نادرة قضية انتهاك حقوق الملكية الفكرية، وهي من المرات القليلة التي يُفسح فيها المجال لقلم جزائري ضمن صفحات المجلة، رغم الشعبية التي كانت تحظى بها في الجزائر، هذا المقال يُعتبر وثيقة أدبية وإعلامية مهمة، لا فقط لأنه يسلط الضوء على سرقة الكتب وتوزيعها بطرق غير مشروعة، بل لأنه يُعبر عن نضج فكري مبكر لدى الزاهري، وإحساس عميق بمشكلات النشر التي لا تنفصل عن واقع الثقافة العربية في تلك الحقبة.

من خلال تجربة شخصية عاشها في الجزائر، يعرض الزاهري لقاءه ببائع كتب كشف له عن شبكة تطبع الكتب دون إذن أصحابها، وتُروّج لها بأسعار بخسة في الأسواق العربية، خاصة في مصر وفاس، ويؤكد أن هذه الممارسات لا تقتصر على الكتب فقط، بل تمتد إلى المجالات نفسها، مثل "الرسالة" التي كانت بدورها ضحية للطباعة غير القانونية، ما يميز هذا المقال، إضافة إلى طابعه التحقيقي، هو الجرأة الأدبية والزخم الأخلاقي الذي يطبع خطاب الزاهري، إذ لا يكتفي بالتشخيص، بل يدعو صراحة إلى تدخل الحكومة المصرية لوقف هذه الانتهاكات، المقال يعكس كذلك إدراكاً عميقاً بأهمية البعد المادي في دعم الحركة الأدبية، حيث يشير إلى أن الاستمرار في النشر مرتبط بضمان حقوق المؤلفين، وهنا، يبدو الزاهري ليس فقط كاتباً يصف ظاهرة، بل فاعلاً أدبياً مدافعاً عن شروط إنتاج الأدب ونزاهة بيئته.

3.1. الدواوين:

رغم أن الدواوين تُنشر في شكل مطبوع شبيه بالكتب، فإننا لم ندرجها ضمن هذا التصنيف، وذلك لاعتبارات تتعلق بطبيعة الجنس الأدبي ذاته، فالرواية - باعتبارها عملاً نثرياً سردياً طويل النفس - تتطلب حجماً أكبر ومقاربة سردية مغايرة من حيث البناء، والشخصيات، والأحداث، والمعالجة الزمنية والمكانية، ما يجعلها تنتمي إلى فضاء تعبيرى متميز يبرر تصنيفها منفردة ضمن الكتب، في المقابل، تتسم الدواوين الشعرية ببنية لغوية كثيفة ومكثفة،

¹ محمد السعيد الزاهري، "المطابع السارقة"، مجلة الرسالة، مصر، ع 250، 18 أبريل 1938، ص 677.

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

وغالبًا ما تتكون من نصوص مستقلة أو متصلة وجدانيًا لا سرديًا، كما أن حجمها المادي والنصي - رغم طباعتها في كتيبات - لا يرقى إلى الحيز الذي تشغله الرواية.

إضافة إلى ذلك، فإن وظيفة الشعر الاجتماعية والتعبيرية كانت تختلف زمنياً عن الرواية، إذ ارتبط الشعر بمهمة التعبير السريع والمباشر عن مشاعر الشعب وتطلعاته، في حين اتخذت الرواية مساراً توثيقياً وتحليلياً أعمق وأكثر تركيبيًا، ومن هنا، رأينا أن تصنيف الدواوين ضمن فضاء مستقل يراعي خصوصيتها الأسلوبية والوظيفية هو الأنسب، خاصة في ضوء السياق التاريخي والثقافي للنشر في الجزائر آنذاك.

شغلت الدواوين الشعرية موقعاً مهماً ضمن الفضاءات الطباعية التي احتضنت الأدب الجزائري في مرحلة ما قبل الاستقلال، حيث كان الشعر من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على الانتشار والتلقي، خاصة عبر الصحف والمجلات، قبل أن يجد له مكاناً في المنشورات المستقلة، وتبرز أهمية الدواوين المطبوعة في كونها نقلة نوعية من النشر المتقطع إلى الصيغة المجتمعة والمنظمة، ما أتاح للشعراء الجزائريين تقديم رؤاهم في شكل أكثر تماسكاً، يعكس تصوراً واضحاً للهوية والالتزام السياسي أو الوجداني، ورغم الصعوبات التي كانت تعترض طباعة الشعر العربي في ظل واقع استعماري يفرض قيوداً على اللغة والثقافة، فإن ظهور دواوين مطبوعة يعكس إصرار النخبة الأدبية على تثبيت حضورها الثقافي وتوثيق صوتها الإبداعي.

ضمن المنشورات المطبوعة، جاءت هذه الدواوين في أغلبها باللغة العربية، ما جعلها تؤدي دوراً مزدوجاً في الحفاظ على اللغة الأم والتعبير عن الوعي الجمعي، ولم تكن تلك النصوص الشعرية مجرد تجليات شعورية منعزلة، بل كانت مرآة لتحولات المجتمع الجزائري وتطلعاته نحو التحرر والاعتناق، كما في القصائد التي تتغنى بالأرض والمقاومة، أو تلك التي تعالج هموم الإنسان المغلوب على أمره، وعلى هذا النحو، مثلت الدواوين المطبوعة، رغم قلتها نسبياً مقارنة بالرواية، رافداً محورياً في حركة الأدب الجزائري الحديث، أسهم في بناء ذاكرة شعرية جماعية تسعى إلى الخروج من التبعية الثقافية وإثبات الذات.

نجد ديوان الأمير عبد القادر المسمى "نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر"¹، يُعتقد أن هذا الديوان هو واحد من أقدم الدواوين المطبوعة، ورغم أنه طُبع في مصر بدون تاريخ، إلا أنه من المحتمل أنه طُبع في فترة قريبة من تاريخ طبعة "تحفة الزائر"² سنة 1905، قام ابنه محمد الأمير محمد الزائر بجمعه وطبعه بعد وفاة والده بربع قرن، وهذا الديوان قد لا يضم كل قصائد الأمير، ولعل ابنه محمد لم يتمكن من جمع كلها، تُذكر بعض قصائد الأمير

¹ الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر في قريض، تح: عبد الوهاب بن منصور، د م، د ن، 1952.

² الأمير عبد القادر، كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، الإسكندرية، لبنان، المطبعة التجارية عزوزي وجاويش، 1905.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

في مؤلفات الضابط الفرنسي دوماس، وكانت هذه القصائد متعلقة بالخيول الصحراوية والمرأة العربية، كما لديه قصائد متفرقة فقد تم نشر بعض قصائد الأمير في مجلة الشرق ومنها قصيدة تعبر عن شوقه لإخوته، وقد تم ترجمتها إلى الفرنسية ونشرت، يذكر أيضاً أنه قال قصيدة في الزلزال الذي أصاب وهران، لكن النص غير متوفر، وقصيدة "يوم البين" كما وقع خلاف حول هذه القصيدة بين كتّاب فرنسيين، حيث اعتقد أحدهم أن الأمير قالها في امرأة فرنسية، في حين أن عائلة ابن رحال من ندرومة أكدت أن القصيدة كانت مرتبطة بمناسبة خاصة، كما توجد أشعار متفرقة للأمير في مجموع مخطوطات كانت في حوزة بعض الأشخاص، وقد تم نشر بعضها في كتب مثل "نخبة عقد الأجياد"¹ و"المواقف"، وتُعتبر ثقافة الأمير عبد القادر تقليدية، ويُلاحظ في شعره استخدام الفخر والحنين والغزل والوصف والفروسية والمدح، مع وجود بعض الجوانب الجديدة التي ترتبط بتجاربه الشخصية والتاريخية، قد تكون حياته وتجاربه قد أثرت على شعره، ولكن لا يمكن تحديد الفترات الزمنية لهذه القصائد بشكل دقيق².

نجد ديوان عاشور الخنقي³، الذي أُصدر في عام 1914، يُعتبر في الواقع منظومة شعرية ألفت في نهاية القرن التاسع عشر، حيث قام الشاعر بجمع ما كان من شعره متفرقاً في عام 1913 وطبعه لاحقاً، يحمل هذا الديوان عنوان "منار الإشراف"⁴، وقد قام الشاعر بترتيبه بنفسه على النحو التالي: (خطبة الديوان التي تضم حوالي 52 صفحة، القصيدة الكبرى المسماة "حسن الأمل في فضل الشرف المجرد عن العمل"، القصيدة الصغرى التي اختصرها من الكبرى سماها "كشف الخفاء عن فضل عصاة الشرفاء ومواليهم من الطرفاء"، القصيدة الوسطى التي اختصر بها الصغرى سماها "أعجوبة الأطراف بفضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف"، القصيدة المسماة "صغرى الصغرى"، وعنوانها "غاية الإنصاف بفضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف"، رسالة نثرية سجعية ليست من الشعر، ولكنها جزء من ترتيب الديوان، الخاتمة التي ضمت قصيدتين الأولى سماها "ترقيص أطفال الكتاب"، وهي في هجاء الشيخ صالح بن مهنة، والثانية سماها "غاية الرقى في مدح الشيخ أبي التقى دفين بالبرج"⁵.

¹ محمد بن حسن بن عيسى المشرفي التلمساني، نخبة عقد الأجياد في الصافات الجياد، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 208.

³ الخنقي عاشور بن محمد (1848-1929م): وُلد في خنقة سيدي ناجي بالقرب من الزاب، ونشأ في قسنطينة حيث تلقى تعليمه في زاوية نقطة، التي ارتبط بها وبالطريقة الرحمانية الخلوتية، نُفي من قبل الفرنسيين إلى الأغواط لمدة تجاوزت 15 عاماً، خلال إقامته في قسنطينة، التقى بالشيخ الحداد خلال ثورة 1871م، وهو من شجّعه على السفر إلى زاوية الهامل، حيث تولى التدريس هناك، توفي في قسنطينة، ينظر: نويهض، كتاب معجم أعلام...، المرجع السابق، ص 136.

⁴ الخنقي عاشور، منار الإشراف في فضل عصاة الأشراف، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1914.

⁵ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 206.

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

كان عاشور الخنقي، يعيش في قسنطينة منذ السبعينيات، ويعد واحدًا من أبرز هؤلاء الشعراء، قام بتأليف ديوانه "منار الإشراف" خلال التسعينيات، وكان أول ديوان في الجزائر، كانت لديه أيضًا محاولات في شعر الدفاع عن الأشراف، ولو كانت معظم قصائده تدور حول هذا الموضوع، فإنه لو كان يكتب في مواضيع أخرى لكان أحد أبرز شعراء الجزائر في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، كما كان هناك محمد بن عبد الرحمن الديسي الذي لم يطبع ديوانه، خلال تلك الفترة، جرب الشعراء كل أنواع الشعر تقريبًا، سواء السياسي أو الاجتماعي أو الصوفي أو الغزلي أو القصصي، بعضهم نشر أعمالهم في جرائد عربية خارج الجزائر، مثل "الجوائب" لأحمد فارس الشدياق، و"المنار" للشيخ محمد رشيد رضا، و"الحاضرة" لعلي بوشوشة¹، كان بعض هؤلاء الشعراء من الجزائريين، مثل عمر بن قدور المحرر في جريدة "الأخبار" قبل "الفاروق"، ومحمد بن مصطفى خوجة² الصحفي في "المبشر" ثم مدرس في أحد مساجد العاصمة، كما شارك أخوة الأمير عبد القادر وأولاد أخوته في الحركة الشعرية بالمشرق، يذكر أن محيي الدين بن الأمير عبد القادر لديه ديوان شعر بمستوى راق لمفهوم وقته، كانت الحركة الشعرية في المشرق أكثر نشاطًا وخصوصية من حركة الجزائر في ذلك الوقت، بسبب مستوى التعليم وانتشار الصحف وشيوع الترجمة وظهور النقد الأدبي³.

تم نشر أول مجموعة شعرية عشية مرور مائة سنة على الاحتلال، وضمت ترجمات ومختارات لعدد من الشعراء المتميزين من حيث السن والجودة والفكر، كان بينهم الشيوخ والشباب، والمتوسط الشعري والممتاز، والمصلح المستقل والموظف الرسمي، ورغم اختلاف توجهاتهم، جمعهم محمد الهادي السنوسي، صاحب كتاب "شعراء الجزائر في العصر

¹ علي بوشوشة (1859-1917): كان صحافيًا ومزارعًا تونسيًا بارزًا، ينتمي إلى عائلة بنزرتية ذات جذور جزائرية، نشأ في بيئة ريفية، ما ساعده على اكتساب قوة وصبر، وكان ميثاقًا للعمل في الأرض والصحاف، درس في المعهد الصادقي وكان معروفًا بجتهاده وتفوقه، خاصة في تعلم اللغات، بعد دراسته في إنجلترا، عاد إلى تونس وأسس جريدة "الحاضرة" في 1888، التي كانت تروج للأفكار الإصلاحية في مجالات متعددة مثل السياسة والتعليم والفلاحة، كما كان ناشطًا في الجمعية الخلدونية، بالرغم من ضغوطات النظام، استمر في إدارة جريدته، مؤثرًا في الحياة الثقافية والسياسية في تونس، ينظر: العربي علي، علي بوشوشة، المركز الوطني للإتصال الثقافي، تونس، 2000.

² محمد بن مصطفى بن الخوجة (1865-1915): كان علمًا ومصلحًا جزائريًا، درس على يد الشيخ محمد بن السعيد بن زكري، وكان يؤمن بتجديد التعليم والتمسك بالدين الإسلامي كسبيل للنجاح من تأثيرات المدنية الغربية، رغم دعوته للعودة إلى القيم الإسلامية، إلا أنه كان عقلانيًا في تقبل أفكار العصر، كان من تلاميذ الشيخ محمد عبده، وتابع أفكار المصلحين المشاركة من خلال الصحف والمجلات، ألف عدة كتب من بينها "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام"، حيث دعا إلى التخلي عن الجمود الفكري والإصلاح من خلال القيم الإسلامية، كما كان من الأوائل الذين دعوا لتحرير المرأة الجزائرية من الجهل، مؤلفًا كتاب "الاكتراث في حقوق الإناث" الذي أبرز فيه مكانتها في الإسلام، كما تعرض في "اللباب في أحكام الزينة" لمكافحة البدع والخرافات، كما عارض قلة الوعي الديني في المجتمع، خاصة فيما يتعلق بالتعامل مع الأطباء غير المسلمين، وألف "تنوير الأذهان" لتوضيح = الموقف الإسلامي من ذلك، لقد كان له دور كبير في حركة الإصلاح في الجزائر وأثر في حركة الأحياء التاريخية، ينظر: دويب محمد، الأعمال الكاملة لمحمد بن مصطفى بن الخوجة، وزارة الثقافة، الجزائر، 2012.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص193

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

الحاضر¹ "المكون من جزئين مع صورهم أحياناً، ويرى الناقد محمد ناصر أن الحركة الأدبية بدأت مع الحركة الإصلاحية فتجلى الشعر وابتعد عن القصيدة المتكلفة، كما تفاعل الشعراء مع الاتجاهات والمدارس الجديدة كالاتجاه الوجداني الرومنسي كما نظروا للشعر بنظرة النقد والتفحص والتجديد وهو ما تجسد في ديوان السنوسي²، تلا ذلك نشر ديوان الشيخ أبو اليقظان أيضاً، ويمكن اعتبار ديوانه ثالث ديوان يطبع بعد ديواني الأمير وعاشور الخنقي، أما فيما يتعلق بأنماط الشعر خلال هذه الفترة، فقد تنوعت، حيث وجد الشعر الذاتي لدى البعض مثل رمضان حمود ومبارك جلواح والطاهر البوشوشي وعبد الكريم العقون، بينما تبوأ البعض الآخر مواقف سياسية صريحة أو مغلفة مثل ابن باديس ومفدي زكريا والربيع بوشامة ومحمد العيد والشعر الاجتماعي لدى أحمد سحنون وأبو اليقظان والصادق خبشاش³ والهادي السنوسي، كما وجد الشعراء الذين اهتموا بالدين والتصوف مثل أحمد المصطفى بن عليوة، وقام بعض الشعراء بدمج أغراض متعددة مثل محمد العيد، كما يجدر الإشارة إلى أن شعر التمثيل ظهر أيضاً خلال هذه الفترة، حيث نمت الحركة الأدبية وارتبطت بالتراث العربي والثقافة الإسلامية، وبدأت تستلهم من الشعراء القدماء والمحدثين وتقلدهم، وكتب الشعراء روايات شعرية قصيرة لتمثيلها في المناسبات الدينية والاجتماعية، مثل مسرحية "بلال" لمحمد العيد، بالإضافة إلى ذلك، ظهرت الأناشيد المدرسية التي كان ينظمها الشعراء بروح دينية إصلاحية وطنية لينشدها التلاميذ في المدارس كوسيلة لتربيتهم وتنشيط هممهم، ومن بين الشعراء الذين برعوا في هذا المجال كان محمد العيد ومحمد بن العابد الجلالي⁴.

يقول محمد العيد آل خليفة عن هذا الكتاب⁵:

قد عرفناك بالجزائر براً	يوم أحييت ذكراها الأدبياً
يوم أحييت شعرها بعد أن لم	يكن الشعر في الجزائر شيئاً

¹ السنوسي، شعراء الجزائر ...، ج1، ج2، المصدرين السابقين.

² ناصر، الشعر ...، المرجع السابق، ص 31.

³ محمد الصالح خبشاش (1904 - 1940م): شاعر وكاتب صحفي جزائري، وُلد في قرية وادي يعقوب قرب قسنطينة، وتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس مدة ثماني سنوات، تولى رئاسة تحرير جريدة "الحق" التي أسسها علي بن موسى العقبي في بسكرة بتاريخ 23 أبريل 1926، ونشر العديد من المقالات في صحف ومجلات إصلاحية منها "النجاح" و"الشهاب"، يُعد من أبرز شعراء الحركة الإصلاحية الجزائرية، ينظر: نويهض، كتاب معجم أعلام...، المرجع السابق، ص 131.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر الفقا...، ج8، المرجع السابق، ص 196

⁵ محمد العيد آل خليفة من ديوان شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، ص177.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

يقول مبارك الميلي: "مبدأ لتاريخ حياة أدبنا الجديد... فقد شعر شعراؤنا بحياة جديدة فنفضوا أيديهم من ذلك الأدب البالي المشوه بلغة التأليف، نفذوا إلى الأدب الغض، واستمدوا من شعورهم الرقيق الطاهر... على أمثال هؤلاء الشباب نعلق آمالنا في تجديد الأدب الجزائري ورفع مستواه"¹.

نشرت الشهاب اعلانا بتاريخ أكتوبر 1931 عن عمل أدبي جديد يعود إلى أبو اليقظان، حيث نشر عبد الحميد هذا الإعلان في مقال يتحدث فيه عن ديوان شعر لأبو اليقظان الذي قدمه كصديق فيقول: "أبدى إلينا صديقنا العالم الأديب والصحافي المقتدر والشاعر البليغ الأستاذ الحاج إبراهيم بن الحاج عيسى المعروف بأبو اليقظان، ديواناً لطيفاً، جمع به ما رق وطاب من بديع أشعاره وقرات قريحته الوقادة، فكان ديواناً يشهد لصاحبه الجليل بالمقدرة الفائقة والاضطلاع بفتون الشعر، وقوة العارضة والتوغل في حدائق العربية الغناء"² يصف المقال الديوان بأنه مجموعة من القصائد الرائعة التي تعكس شخصية الشاعر وأسلوبه الأدبي بصدق وتأثر، ويشير بن باديس إلى أن أبا اليقظان يكتب شعراً نابغاً من شعور حقيقي وغير متكلف، سواء في مدحه للرسول ﷺ أو في المواضيع المحلية المتعلقة بوادي ميزاب، كما يتناول المقال الجانب الوطني والديني للشاعر، الذي يجاهد في سبيل العروبة والوطنية والإسلام، وبعد مناقشة الديوان، ينتقل الكاتب للحديث عن جريدة "النور" التي أطلقها أبو اليقظان بعد تعطل العديد من صحفها السابقة بسبب الرقابة، ويثني بن باديس على الجريدة الجديدة ومحتواها الاجتماعي والإرشادي، ويعبر عن إعجابه بقدرة أبو اليقظان على تجاوز الماضي والتركيز على المستقبل.

شهد الشعر الجزائري المكتوب بالفرنسية خلال الفترة الاستعمارية حضوره هو الآخر، فقد استطاعت بعض الأصوات الشعرية أن تفرض نفسها بقوة، وعلى رأسها جان عمروش، الذي يُعد أول شاعر جزائري يكتب بالفرنسية ويُصدر ديواناً شعرياً معترفاً به أدبياً، فقد نشر ديوانين هما: الرماد³ (Cendres) سنة 1934، والنجم السري⁴ (Étoile secrète poème) سنة 1936، وديوان كاتب ياسين: مناجاة⁵ (Soliloques) سنة 1946.

رغم أن الدواوين الشعرية نُشرت في شكل مطبوع، فإن خصوصيتها الأسلوبية والوظيفية، من حيث بنيتها المكثفة، وتعدد أغراضها، وتعبيرها العاطفي غير السردية، جعلت تصنيفها منفصلاً عن الرواية ضمن الإنتاج الأدبي الجزائري، وقد أدّت هذه الدواوين دوراً محورياً في التعبير عن الوعي الجماعي والهوية الوطنية، خاصة في ظل الاحتلال،

¹ ناصر، الشعر...، المرجع السابق، ص32.

² عبد الحميد بن باديس، "ديوان أبي اليقظان"، الشهاب، مج 10، ج 10، أكتوبر 1931، ص 656.

³ J.Amrouche, Op.cit.

⁴ Ibid.

⁵ Kateb Yacine, **Soliloques, poèmes**, Ancienne imprimerie Thomas, Bône, 1946.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

إذ كانت وسيلة فنية للتوثيق الثقافي والمقاومة الرمزية، وقد برزت أسماء مثل الأمير عبد القادر، وعاشور الخنقي، وأبو اليقظان، وغيرهم، في طباعة دواوينهم رغم صعوبات النشر، ما يعكس إصرار النخبة الأدبية على الحضور والإبداع، وأسهمت هذه الدواوين في تشكيل حركة شعرية جزائرية متنامية، استمدت قوتها من التراث والواقع، وعبرت عن تحولات المجتمع، وهو ما يجعلها رافداً رئيساً في بناء الذاكرة الثقافية الوطنية.

2. الإعلانات والترويج الثقافي:

1.2. عبر الإذاعة

ضمن فضاءات التعبير والنشر الأدبي، فإن الإذاعة تمثل وسيطاً إعلامياً صوتياً مختلفاً، لكنه لعب دوراً مهماً في نشر الأدب وتوسيع دائرة تأثيره، خاصة في النصف الأول من القرن العشرين، فعلى الرغم من كونها لا تُطبع بالمعنى الحرفي، فإن ما يُبث عبر الإذاعة كان غالباً يُعدّ كتابةً ويوثق لاحقاً، أو يُعاد نشره في الصحف والمجلات، ما يجعلها امتداداً حياً للمنشور الأدبي، وقد أتاحت الإذاعة للأدباء والمثقفين الجزائريين، فرصة الوصول إلى جمهور واسع، بعيداً عن قيود النشر الورقي الخاضع للرقابة الشديدة.

لقد ساهمت الإذاعة في بث القصائد، والمقاطع المسرحية، والحوارات الأدبية، وأغانٍ، مما أعطى للكلمة المكتوبة حياة صوتية أكثر تأثيراً كما فتحت المجال أمام أصوات جديدة في الأدب، وبهذا فإن الإذاعة كانت جزءاً حيوياً من منظومة النشر الأدبي غير التقليدي، وأدت دوراً تكميلياً لمنصات الطباعة، خاصة حين كان الورق مُراقباً، والكلمة المسموعة أكثر قدرة على التسلل إلى الوجدان.

فالإذاعة تأثير كبير ومتنوع على الأدب، فقد ساهمت في نشر الأعمال الأدبية وتوسيع نطاق جمهورها، إذ أتاحت للمستمعين في مختلف الأماكن فرصة الاستماع إلى الروايات والقصائد والمسرحيات، كما أضفت الإذاعة طابعاً جديداً على تجربة تلقي الأدب، الإذاعة أيضاً لعبت دوراً في تسليط الضوء على الأدباء المحليين وتشجيع الإبداع الأدبي من خلال البرامج الثقافية والأدبية التي تناقش وتعرض الأعمال الأدبية الجديدة، علاوة على ذلك، أسهمت في حفظ التراث الأدبي وتوثيقه من خلال تسجيل القراءات الأدبية والمقابلات مع الكتاب والشعراء.

وخلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها، ازداد دور الإذاعة في التأثير على الرأي العام في الجزائر، حيث أنشأت السلطات الفرنسية محطات إذاعية متعددة في مدن مثل قسنطينة ووهران وعنابة وتلمسان ومنطقة القبائل، وبثت باللغتين العربية والفرنسية، في فرنسا، أنشأت حكومة فيشي محطات إذاعية مثل "فرنسا المخلصة" و "فرنسا المسلمة"

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

للبث نحو مستعمراتها، واستمرت هذه المحطات حتى نهاية الحرب، وبعد الحرب أصدرت الحكومة الفرنسية قوانين لإلغاء تراخيص البث الخاصة للسيطرة على الفوضى التي نتجت عن تضاعف عدد المحطات الخاصة، وأنشأت استوديوهات للإنتاج الإذاعي في الجزائر لإنتاج برامج متعددة اللغات لتحقيق أهداف سياسية وثقافية¹.

في بداية خمسينيات القرن الماضي، كان استخدام أجهزة الراديو مقتصرًا على المستوطنين والأوروبيين، وصف فرانس فانون إذاعة الجزائر بأنها "صوت فرنسا في الجزائر"، حيث كانت تعكس يوميات وقيم المجتمع الأوروبي والمستوطنين، مما جعل الجزائريين يعزفون عن الاستماع إلى برامجها، وفي كتابه "العام الخامس للثورة" الصادر سنة 1959، يروي فانون عن علاقة أهل الجزائر بجهاز الراديو في تلك الفترة، ويذكر أنهم كانوا ينفرون منها، حتى وإن كانت لديهم القدرة المالية لشراء جهاز راديو، فقد كانوا يعتبرون هذه الإذاعة صوت سلطة الاحتلال، يرونها مجرد فرنسيين يتحدثون إلى فرنسيين، فما شأنهم بذلك؟²

كما تناولت إذاعة "هنا الجزائر"، التي تحولت لاحقًا إلى مجلة خلال الفترة من 1952 إلى 1960، نشر الأدب الذي يخدم تمجيد الحقبة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، مستخدمة بذلك أعلامًا جزائرية وفرنسية، ويمكننا تقديم بعض من هذه الأعمال التي عرفت بها الإذاعة للجزائريين حتى للذين لا يعرفون القراءة:

جدول رقم (25): يبرز بعض القصائد والأغاني المقدمة في إذاعة هنا الجزائر بين 1952-1960³:

إلقاء	عنوان العمل الأدبي	التاريخ	الجنس الأدبي
جوق الأندلسي	رأيت البنفسج ⁴	11 ماي 1952	أغنية
جوق الأندلسي	الربيع أقبل ⁵	18 ماي 1952	أغنية
الطاهر بوشوشي	في موكب العيد ⁶	عيد الأضحى 1952	قصيدة
محمد الأخضر السائحي	مرحبا ⁷	أكتوبر 1952	قصيدة

¹ فضيل دليو، نجاة بوثلجة، الإذاعة الجزائرية قبل الإستقلال: من الريف المغربي إلى العاصمة، د ن، الجزائر، 2018، ص 760.

² رضوى عاشور، لكل المقهورين أجنحة: الأستاذة تتكلم، دار الشروق، القاهرة، 2019، ص 17.

³ إعداد الطالبة وردة عي.

⁴ نشرت كتابيا بعد إذاعة الأغنية صوتيا في: ماي 1952، "رأيت البنفسج"، مجلة هنا الجزائر، ع 01، ص 11.

⁵ نشرت كتابيا بعد إذاعة الأغنية صوتيا في: ماي 1952، "الربيع أقبل"، مجلة هنا الجزائر، ع 01، ص 11.

⁶ ألقاها الطاهر بوشوشي صوتيا في الإذاعة ثم نشرت في: سبتمبر 1952، "في موكب العيد"، مجلة هنا الجزائر، ع 5، ص 4-5.

⁷ ألقاها محمد الأخضر السائحي صوتيا في الإذاعة بمناسبة عودة الحاج، ثم نشرت في أكتوبر 1952، "مرحبا"، مجلة هنا الجزائر، ع 6، ص 5-4.

الفصل الأول: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

عبد الرحمان عزيز ¹	ازداد النبي ²	ديسمبر 1952	أغنية
الطاهر رحاب	الغربة ³	ديسمبر 1954	أغنية
الطاهر بوشوشي	المدياع يقدم التهانى ⁴	جانفي 1958	قصيدة
علي الشلالي ⁵	أنت يا من لست أدري ⁶	1958	أغنية
محمد الطاهر الفرقاني ⁷	محبوي طال جفاه	أكتوبر 1958	أغنية
لطيفة	دموع الحب ⁸	ديسمبر 1958	أغنية
عبد الرحمان عزيز	غريب	ديسمبر 1958	أغنية

¹ عبد الرحمان عزيز (1920-1992): كان مغنيًا جزائريًا نشأ في حي القصبة بالجزائر العاصمة في بيئة فقيرة ومحافظة، ما أثر على طابع أغانيه التي اتسمت بالروح الوطنية والدينية، تعلّم في مدرسة الشبيبة تحت إشراف شخصيات بارزة مثل الشيخ عبد الرحمن جيلالي ومحمد العيد آل خليفة، وبرز في أداء الأغاني الهادفة منذ أربعينيات القرن العشرين، من أشهرها "يا كعبة يا بيت ربي محلاك" و"يا محمد مبروك عليك الجزائر رجعت ليك"، توفي عام 1992 إثر سكتة قلبية ودُفن في مدينة البليدة، ينظر:

Lounis Ait Aoudia, (08 juillet 2020), **Casbah d'El Djazaïr de Abderrahmane Aziz : Pour un Centenaire de la mémoire et contre l'oubli**, elwatan, consulté le 1er mai 2025, sur le site: <https://web.archive.org/web/20230105112312/https://www.elwatan.com/edition/culture/casbah-del-djazair-de-abderrahmane-aziz-pour-un-centenaire-de-la-memoire-et-contre-loubli-08-07-2020>

² غناها عبد الرحمان عزيز في الإذاعة وهو مؤلف الأغنية ثم نشرت مكتوبة في: ديسمبر 1952، "ازداد النبي"، مجلة هنا الجزائر، ع8، ص9.
³ ألقاها الطاهر رحاب صوتيا في الإذاعة وهي لشاعر مجهول، ثم نشرت في مكتوبة، ينظر: الطاهر رحاب، "الغربة"، مجلة هنا الجزائر، ع30، ديسمبر 1954، ص18.

⁴ ألقاها الطاهر بوشوشي صوتيا في الإذاعة بمناسبة العام الجديد، ثم نشرت في مكتوبة: جانفي 1958، "المدياع يقدم التهانى"، مجلة هنا الجزائر، ع61، ص ص 11-12.

⁵ علي الشلالي: هو مطرب جزائري بدأ مسيرته الفنية في أواخر الخمسينيات أو أوائل الستينيات، حيث عمل موسيقياً في الإذاعة الجزائرية وقدم خلالها بعض المحاولات الغنائية الأولى، كان معروفاً بحبه الكبير لفن فريد الأطرش، الذي تأثر به كثيراً في صوته وأسلوبه، ينتمي الشلالي إلى جيل من الفنانين الذين سعوا لتجديد الأغنية الجزائرية، إذ خرجوا بها من الأشكال التقليدية التي كانت سائدة في الخمسينيات، وانضم إلى رفاق له مثل عبد الرحمان عزيز، محمد العماري، ومأمون عبد الرحمن، الذين عملوا على تطوير نمط غنائي معاصر مستلهم من التراث، وظهرت في تلك الفترة أيضاً أسماء مثل بلاوي الهواري، عماري معمر، منور الصحرأوي، والحاج الصائم الدرامشي، الذين ساهموا في ترسيخ هذا اللون الغنائي الجديد، ويُعتبر علي الشلالي من الجيل الذي سبق جيل ما بعد الاستقلال، والذي ضمّ فنانين بارزين كالموسيقار هارون الرشيد، الهادي رجب، السعيد السايح، علي الزبيدي، ومحمد راشدي، ينظر: فريق التحرير، "بين كواليس الفنانين"، مجلة هنا الجزائر، ع63، مارس 1958، ص12.

⁶ ألفها محمد الأخضر السائحي.

⁷ محمد الطاهر الفرقاني (1928-2016): كان مغنيًا وعازف كمان جزائريًا بارزًا، يُلقب بـ"عندليب قسنطينة"، ويُعتبر أحد أعلام موسيقى المألوف، وهو النمط الموسيقي الأندلسي التقليدي في الجزائر، وُلد في قسنطينة لعائلة موسيقية؛ فوالده، الشيخ هو الفرقاني، كان مغنيًا ومؤلفًا معروفاً في طابع الحوزي، بدأ محمد الطاهر تعلم الموسيقى في سن مبكرة، حيث تعلم العزف على الناي ثم على مختلف الآلات الأندلسية، تلقى تكوينه على يد والده، والشيخ حسونة، والشيخ بابا عبيد، تميز الفرقاني بصوته القوي والدافئ، وقدرته الفريدة على أداء مقطوعات تمتد عبر أربع أوكتافات، مما جعله فريداً في مجاله، إلى جانب المألوف، أدى أنماطاً موسيقية أخرى مثل المحجوز، الرجل، والحوزي، سجل مئات الأعمال الموسيقية ونال جوائز دولية عديدة، من أشهر أغانيه "الظلمة" من كلمات الشاعر الشيخ بن قنون، توفي في باريس عام 2016 عن عمر يناهز 88 عامًا، ودُفن في قسنطينة، ينظر:

Rédaction, (20 Aout 2014), Mohamed Tahar Fergani, L'expression, consulté le 3 mai 2025, sur le site: https://www.lexpressiondz.com/culture/la-legende-mohamed-tahar-fergani-donne-le-ton-202354?_cf_chl_tk=pyzUqE7x0vbEcBERPgiiC9lxYfYhHA7lEXMnTK8lg-1746223060-1.0.1.1-5tKa_7sDc6Iv6S6qH6vmdeWJLhzzhaLGIjaAlGQRcwU

⁸ ألفها سعيد حاييف ولحنها السيد الجيلالي، غنتها لطيفة في الإذاعة ثم نشرت في مكتوبة: ديسمبر 1958.

محمد رضا	يا سعد الإسلام بعيد الرسول ¹	أكتوبر 1959	قصيدة
----------	---	-------------	-------

يُبرز جدول القصائد والأغاني المقدمة في إذاعة "هنا الجزائر" بين سنتي 1952 و1960 تنوعاً فنياً وأديباً يعكس الحراك الثقافي في تلك الحقبة، حيث تتوزع الأعمال بين الأغنية والقصيدة، مع حضور لافت للحقوق الأندلسي في السنوات الأولى، مما يدل على استمرار تأثير التراث الأندلسي في الموسيقى الجزائرية آنذاك، كما يُلاحظ أن الأناشيد الدينية والوطنية، مثل "ازداد النبي" و"يا سعد الإسلام بعيد الرسول"، كانت حاضرة، ما يعكس توجه الإذاعة نحو استخدام القيم الدينية والوطنية لصالح الاحتلال، ومن جهة أخرى، يشير ظهور أسماء مثل عبد الرحمان عزيز، الطاهر بوشوشي، ومحمد الأخضر السائحي إلى بروز نخبة من الفنانين والمثقفين الذين ساهموا في إثراء المشهد الثقافي، ويُسجل أيضاً دخول علي الشلالي إلى هذا الفضاء الإذاعي سنة 1958 بأغنيتها "أنت يا من لست أدري"، في دلالة على بداية انتشار هذا الجيل من الفنانين المجددين الذين ساهموا في رسم ملامح الأغنية الجزائرية الحديثة في نهاية الخمسينيات، قبل استقلال الجزائر.

يتضح من خلال المعطيات أن الإذاعة في الجزائر، رغم كونها أداة صوتية تابعة للسلطة الاستعمارية الفرنسية، لعبت دوراً مركزياً في نشر الأدب وتوسيع مجاله التعبيري، خصوصاً في فترة ما قبل الاستقلال، فقد وُفّرت الإذاعة فضاءً بديلاً عن النشر الورقي الذي كان خاضعاً لرقابة شديدة، مما أتاح للأدباء والفنانين إيصال إنتاجهم الأدبي والموسيقي إلى جمهور واسع، بما في ذلك أولئك غير القادرين على القراءة، وقد ظهر ذلك جلياً في البرامج التي بثت القصائد والأغاني بين 1952 و1960، حيث تنوعت الأعمال بين أدبية وموسيقية، تحمل في طياتها مضامين دينية ووطنية وأحياناً وجدانية، وتم توظيفها ضمن خطاب دعائي يخدم المشروع الاستعماري، إلا أنها في الوقت ذاته مثلت مجالاً لاختراقه عبر أصوات فنية جزائرية بارزة، وكان من اللافت أن الإذاعة، رغم طابعها الرسمي الاستعماري، شكلت منصة لظهور فنانين مثل عبد الرحمان عزيز، محمد الأخضر السائحي، وعلي الشلالي، الذين ساهموا في تشكيل نواة لتيار فني جزائري معاصر بدأ يجد مكانه في المشهد الثقافي، تمهيداً لتبلوره الكامل بعد الاستقلال.

2.2. المسابقات الأدبية

¹ ألفها وألقاها محمد رضا صوتياً في الإذاعة ذكرى المولد النبوي، ثم نشرت في مكتوبة: أكتوبر 1959، "يا سعد الإسلام بعيد الرسول"، مجلة هنا الجزائر، ع 80، ص ص 8-9.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

ضمن فضاءات التعبير والنشر الأدبي، تندرج الإعلانات والترويج الثقافي كأداة أساسية لتعزيز الحراك الأدبي ولفت الانتباه إلى المواهب والإنتاجات الجديدة، ومن أبرز أشكال هذا الترويج المسابقات الأدبية، التي لعبت دورًا محوريًا في تشجيع الكتابة وتثمين الإبداع، خاصة في أوساط الشباب.

فقد كانت المسابقات الأدبية وسيلة فعالة لاكتشاف الأصوات الجديدة، وتحفيز الكتاب على إنتاج نصوص تتسم بالجدة والتميز، كما أنها وفّرت فضاءً تنافسيًا نزيهًا يعزز من قيمة الأدب في المجتمع، وقد تنوعت هذه المسابقات بين ما تنظمه الصحف والمجلات الثقافية، وما يُطلق عبر الإذاعات أو المؤسسات التعليمية، وشملت أجناسًا أدبية مختلفة من شعر وقصة ومقال ونقد، وأسهمت الجوائز التي تمنح للفائزين في تعزيز مكانتهم الأدبية ومنحهم فرصًا للنشر أو الإذاعة، مما جعلها معبرًا فعليًا نحو التقدير والاعتراف الثقافي.

من هذا المنطلق، جاءت مبادرات مثل "مسابقة التطور الجزائري" سنة 1912¹ التي دعت إلى كتابة قصة أو رواية قصيرة "جزائرية أصيلة"، ولكن بشروط فرنسية من حيث اللغة والطرح²، لقد عكست هذه الدعوة نزعة استيعابية أرادت أن تجعل من الأدب الجزائري جزءًا من المجال الثقافي الفرنسي، دون الاعتراف بحقه في الاستقلال الرمزي أو في التعبير عن الذات الوطنية، كانت هذه المحاولات تندرج ضمن استراتيجية أوسع للهيمنة الثقافية، هدفها تحويل الكتابة الأدبية إلى أداة تأطير إيديولوجي تحت مظلة "التطور" الذي لا يتحقق، في نظرهم، إلا عبر البوابة الفرنسية.

كشفت هذه المبادرات عن مفارقة لافتة: فبينما سعت إلى احتواء الأدب الجزائري، ساهمت من حيث لا تدري في إبراز نضج هذا الأدب وتمسكه بهويته المحلية، حيث لم يتردد عدد من الكتاب الجزائريين، حتى وهم يكتبون بالفرنسية، في تحميل نصوصهم دلالات سياسية وثقافية مقاومة، وقد ظهر هذا التوجه بقوة في الثلاثينيات والأربعينيات، حين بدأت نخبة من الكتاب الجزائريين تنتج أدبًا ناقدًا للمنظومة الاستعمارية، مستثمرة أدوات اللغة الفرنسية في فضح ممارساتها وكشف تناقضاتها.

هكذا، فإن النظرة الفرنسية للأدب الجزائري، وإن كانت في ظاهرها تشجيعية وانفتاحية، إلا أنها كانت تتسم بحدود صارمة لا تسمح بظهور أدب جزائري مستقل تمامًا عن الرقابة الثقافية والسياسية الاستعمارية، غير أن مقاومة الكتاب الجزائريين لهذه النظرة، سواء عبر اللغة أو عبر المضامين، أسهمت في إعادة تشكيل المشهد الأدبي وإبراز خصوصيته التاريخية بوصفه مجالًا من مجالات النضال الرمزي ضد الاحتلال.

¹ الملحق رقم 25.

² Annonce, «Premier Concours Annuel de l'Évolution Algérienne », L'Évolution algérienne et tunisienne, n° 143, 08 Aute 1912, p14.

في خضم المناخ الاستعماري الذي شهدته الجزائر في الثلاثينيات، لم يكن النشاط الأدبي مجرد ترف ثقافي، بل شكّل وسيلة مقاومة رمزية وأداة للتشبث بالهوية العربية والإسلامية، وبينما كانت المؤسسات الرسمية خاضعة للهيمنة الفرنسية، برزت بعض الفضاءات البديلة التي أتاحت للأدباء الجزائريين التعبير عن ذواتهم ومواصلة تواصلهم مع الجمهور، ومن بين هذه الفضاءات الإعلانات الأدبية والمسابقات التي كانت تنشرها بعض الجرائد المحلية، والتي شكّلت منصة لتشجيع الإبداع وتبادل الأفكار، بل وأيضاً لاستعادة تقاليد أدبية عربية في سياقات جديدة، وتعد هذه المبادرات نوعاً من الترويج الثقافي غير الرسمي الذي انخرط فيه الأدباء من أجل بناء وعي جماعي وتثبيت حضورهم في المشهد الثقافي رغم القيود، ومن النماذج الالفة في هذا الإطار، إعلان جريدة الجحيم¹ سنة 1933 عن تنافس شعري في التشطير²، والذي يجمع بين روح التحدي والحفاظ على التراث، ويمثل مثلاً حيوياً عن هذا التفاعل الأدبي المقاوم.

يقول مسؤول الجريدة³: "يقترح شاعر الزبانية⁴ على شعراء العصر في كل ناحية ونظر تشطير البيت الآتي: ولا تخطئوا العهد على مسلم ولعنة الله على (الحافظ) ومن أجاد وأصاب الرمي فإنه يفوز عام في (الجحيم) مع جائزة حسنة".

الإعلان يدعو الشعراء والأدباء للمشاركة في التشطير، وهو تقليد أدبي قديم يقوم على استكمال بيت شعري بمساهمة إبداعية، هذا النشاط يعبر عن روح التفاعل الأدبي بين الشعراء، ويهدف إلى تعزيز ملكة الإبداع الشعري لديهم، ويتضح من النص أن الدعوة موجهة لكل من يرى في نفسه القدرة على الإبداع، بغض النظر عن مكانته الأدبية، هذه المساواة في الدعوة قد تعكس محاولة لتعزيز الإبداع الجماعي والانفتاح على جميع الأصوات الأدبية، وصيغة الإعلان كانت حادة بعض الشيء، مثل استخدام عبارات مثل "لا تحتقروا العقد على سطر"، مما يشير إلى وجود نوع من التحدي أو الدعوة لإثبات القدرات الإبداعية، يشير إلى شاعر الزبانية، الذي يبدو أنه كان شخصية

¹ جريدة الجحيم: صدر العدد الأول من جريدة "الجحيم" في 30 مارس 1933 كرد فعل على الهجمات الفكرية لجريدة "المعيار" ضد جمعية العلماء المسلمين، حيث أشرف على تحريرها مجموعة من الشباب الإصلاحي المتحمس، أبرزهم محمد السعيد الزاهري وعباسة الأخضرى ومفدي زكريا، رغم أنها عزّفت نفسها بأنها جريدة تدافع عن الفضيلة، إلا أنها اتبعت أسلوباً مقدعاً وساخراً مشابهاً لـ "المعيار"، مما أثار انتقادات الأوساط الثقافية والإصلاحية لتنافي أسلوب الجريدتين مع الأخلاق العامة، لاحقاً، عطّلت السلطات الاستعمارية "الجحيم" بينما أبقى على "المعيار"، ما أثار جدلاً حول انحياز السلطة وعمق الانقسام الثقافي والإعلامي، ينظر: ناصر، الصحف العربية ...، المرجع السابق، ص 133.

² الملحق رقم 26.

³ جوكلازي محمد الشريف، "للتشطير"، جريدة الجحيم، ع 2، 05 أبريل 1933، ص 03.

⁴ شاعر الزبانية: الزبانية في اللغة العربية تشير إلى مجموعة من الأشخاص المكلفين بتنفيذ الأوامر بقسوة وشدة. أصل الكلمة ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: "سَنَدُّ الزَّبَانِيَّة" (سورة العلق، آية 18)، والمراد بهم في القرآن هم ملائكة العذاب المكلفون بعقاب أهل النار، أما في الاستخدام المجازي، فقد تُطلق الكلمة على الأشخاص الذين ينفذون الأوامر بشكل صارم أو الذين يقومون بأعمال قاسية ومتعسفة.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

بارزة أو مثيرة للجدل في الساحة الأدبية آنذاك، دوره في نشر مثل هذه الإعلانات قد يعكس محاولاته للتجديد الأدبي ودعم التواصل بين الأدباء في ظل الأوضاع الثقافية الصعبة التي كانت تواجهها الجزائر.

الإعلان ليس مجرد دعوة للتشطير، بل يمكن قراءته كمحاولة لإحياء تقليد أدبي عربي أصيل في سياق حديث، يبرز هنا البعد الإبداعي في مواجهة الهيمنة الثقافية، حيث يركز الإعلان على فكرة استكمال القصائد وتعزيز التفاعل بين الشعراء، مما يعكس روح التضامن الثقافي والسعي للمحافظة على الهوية العربية، وهذا الإعلان ليس مجرد دعوة أدبية، بل هو وثيقة ثقافية تعكس الطموحات الأدبية والنضال الثقافي للجزائريين في الثلاثينيات، يجسد الإعلان رغبة قوية في مقاومة الاحتلال من خلال الأدب، حيث كان الشعر والأدب وسيلة للتعبير عن الهوية الوطنية وتعزيز الروابط الثقافية بين أبناء الوطن.

كما نملك بين أيدينا وثائق حول مسابقات الأدبية منها وثيقة عن مسابقة قرطاج، وهي مبادرة فرنسية تهدف إلى دعم الإنتاج الأدبي المكتوب باللغة الفرنسية والمستوحى من شمال إفريقيا، تأتي هذه الجائزة كجزء من سياسات فرنسا الثقافية في مستعمراتها، حيث سعت إلى تشجيع الكتابة باللغة الفرنسية وربط الإنتاج الأدبي بالبحال الاستعماري، هذا يعكس محاولة لفرض الهيمنة الثقافية وإظهار المستعمرات كمناطق غنية ثقافياً، ولكن تحت السيطرة الفرنسية.

فيما يتعلق بالكتابة الأدبية الجزائرية، تسلط الوثيقة الضوء على سياق مهم يتقاطع مع تجربة الكتّاب الجزائريين خلال الحقبة الاستعمارية، هذه الجوائز كانت تُشكّل إغراءً مادياً وفرصة للاعتراف، لكنها في الوقت ذاته كانت تحدياً أخلاقياً وثقافياً، حيث كان على الكاتب أن يوازن بين تقديم أعمال تتماشى مع الشروط الفرنسية وبين الحفاظ على هويته الوطنية.

شروط الجائزة، التي تنص على الكتابة بالفرنسية مع موضوع مستوحى من الثقافة المحلية، تكشف عن تناقضات واضحة، فمن جهة، تشجع الجائزة التعبير عن الهوية الثقافية المحلية، لكنها من جهة أخرى تفرض قيوداً لغوية وثقافية تجعل الأعمال تدور في إطار يخدم المشروع الاستعماري، هذه الشروط وضعت الكتّاب المغاربة وبما فيهم الجزائريين أمام خيارات صعبة، بين الانخراط في هذه المشاريع أو رفضها والتمسك بإنتاج أدبي يعبر عن قضيتهم الوطنية، كما أن غياب الترشيحات الرسمية التي أشارت إليها الوثيقة يعكس حالة من عدم الثقة أو الرفض الضمني لهذه الجوائز من قبل الكتّاب المحليين، بالنسبة للكتّاب الجزائريين، كان التحدي أكبر¹.

¹ الملحق رقم 27.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

الوثيقة تعكس أيضاً نظرة استعلائية تجاه الكتاب المحليين الذين لم يظهروا اهتماماً كافياً بالجائزة، لكن هذا الرفض يمكن فهمه كجزء من المقاومة الثقافية، حيث اعتبر العديد من الكتاب أن الانخراط في هذه الجوائز يتعارض مع رسالتهم الأدبية، في المقابل، تمكن بعض الكتاب من استخدام الأدوات الفرنسية نفسها للتعبير عن قضاياهم الوطنية، محولين اللغة الفرنسية إلى وسيلة مقاومة بدلاً من أداة استيعاب، والجائزة كانت في جوهرها محاولة لاستيعاب الإنتاج الثقافي المحلي ضمن المشروع الاستعماري، لكنها في نفس الوقت كشفت عن رفض الكتاب الجزائريين للاندماج في هذه السياسات، هذا الرفض الثقافي كان جزءاً من حركة مقاومة أوسع تهدف إلى الحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية في مواجهة محاولات الطمس والاستيعاب الفرنسية¹.

وقد مثلت تونس خلال الفترة الاستعمارية فضاءً ثقافياً هاماً للأدباء الجزائريين الذين لجأوا إليها هرباً من القمع الاستعماري في الجزائر، أو سعوا للاستفادة من الفرص المتاحة هناك للكتابة والنشر، ويعكس مرسوم 13 أبريل 1932²، المتعلق بتنظيم جائزة قرطاج الأدبية والعلمية، إحدى تلك الفرص التي قد تكون متاحة أمام الكتاب، حيث كانت الجائزة تمنح كل سنتين بقيمة أربعة آلاف فرنك للأعمال الأدبية المتميزة المكتوبة بالفرنسية، مما يطرح تساؤلات حول مدى استفادة الأدباء الجزائريين من هذه المبادرات، وما إذا كانت قد شكلت حافزاً للكتابة والتأليف. كان المرسوم يشترط أن تكون الأعمال المقدمة للجائزة غير منشورة أو لم يمض على نشرها أكثر من ثلاث سنوات، مما يعني أن الكتاب الجزائريين المقيمين في تونس، أو الذين نشروا في صحافتها، قد يكون لهم حظوظ في الترشح لهذه الجائزة، لكن طبيعة الاشتراطات، خصوصاً تلك المتعلقة باللغة، قد تكون قد حذت من مشاركة بعض الأدباء الجزائريين، الذين كانوا يكتبون بالعربية في صحف مثل بينما اضطر آخرون إلى الكتابة بالفرنسية بحكم سياسات الاحتلال الثقافية.

على الرغم من أن لجنة التحكيم كانت تتألف من شخصيات فرنسية رسمية وممثلين عن جمعية كتاب شمال إفريقيا، إلا أن وجود هذه الجائزة ربما ساهم في تحفيز الإنتاج الأدبي وتشجيع الكتاب المغتربين على البحث عن فرص جديدة للظهور والتأثير في المشهد الثقافي، فبينما عانى الأدباء الجزائريون في الجزائر من الرقابة والاستبعاد، قد تكون تونس وفرت لهم منبراً أوسع، ولو ضمن شروط محددة فرضتها السلطة الاستعمارية³.

¹ الملحق رقم 28.

² A.N.T, Fonds de la Direction Générale de l'Instruction Publique et des Beaux-Arts, BO 261, "Décret relatif au Prix de Carthage", 14 avril 1932.

³ A.N.T, Concours littéraires, Série E, Carton 263, Dossier 23, 1929–1940, "Décret du 13 avril (2 Hodja 1350)", Journal Officiel, n°35, 30 avril 1932, P Le Centre.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

وليس بين أيدينا أي نتيجة لهذه المسابقة والأسماء التي فازت بها وما إن احتوت على جزائريين، ولكن يمكن اعتبار فرص مثل هذه مفتوحة أمام سكان شمال إفريقيا هي بمثابة اعتراف بوجود طاقات كتابية ولو كانت الشروط أن الكتابة باللغة الفرنسية.

لعبت المسابقات الأدبية والإعلانات الثقافية دورًا محوريًا في تعزيز المشهد الأدبي الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي، إذ لم تقتصر على تشجيع الإنتاج الإبداعي فحسب، بل كانت أدوات للمقاومة الثقافية والحفاظ على الهوية الوطنية في مواجهة الهيمنة الاستعمارية، من خلال هذه المبادرات، استطاع الأدباء التعبير عن ذواتهم وتبادل الأفكار رغم القيود، مما ساهم في بناء وعي جماعي ودعم الحراك الثقافي، في المقابل، مثلت مسابقات مثل "قرطاج" محاولة استعمارية لفرض اللغة والثقافة الفرنسية، مما وضع الكتاب في مواجهة تحديات أخلاقية وثقافية بين المشاركة أو الرفض، بهذا، تعكس هذه المسابقات الصراع بين التسلط الثقافي والمقاومة الأدبية، وتبرز أهمية الأدب كوسيلة للحفاظ على الهوية والتعبير عن المطالب الوطنية.

3.2. الإعلان على خدمات الطباعة والمكتبية

في سياق النشاط الثقافي والأدبي الذي تميزت به الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، لم تكن الإعلانات مجرد وسيلة تجارية بحتة، بل شكلت جزءًا مهمًا من البنية الثقافية التي ساعدت على نشر المعرفة وتعزيز المبادرات الأدبية والفكرية، ومن بين هذه الإعلانات المتعلقة بخدمات الطباعة والمكتبية، والتي لعبت دورًا محوريًا في دعم حركة النشر وتيسير إنتاج الكتب والمجلات والصحف، فلقد أسهمت هذه الخدمات في توفير أدوات التعبير للكتاب والمثقفين، وساعدت في خلق فضاء بديل يمكنهم من نشر أعمالهم وتبادل الأفكار، رغم التضيق الاستعماري، وتعد الإعلانات الخاصة بخدمات الطباعة مثالًا واضحًا على تطور البنية التحتية الثقافية التي ساندت النشاط الأدبي المحلي، وساهمت في الحفاظ على الوعي الثقافي واللغوي في زمن كانت فيه الطباعة فعلاً مقاومًا بحد ذاته.

إن الإعلانات المتعلقة بخدمات الطباعة تمثل جزءًا حيويًا في الترويج الثقافي، حيث تسهم في نشر الكتب والمجلات والمواد الأدبية والفكرية، مما يعزز الوصول إلى الأفكار والآداب، في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كانت خدمات الطباعة محدودة الانتشار ومهمة جدًا لتعميم المعرفة الأدبية، ولذلك كانت الإعلانات عن هذه الخدمات توجيهًا هامًا للكتاب والناشرين، مع توفير معلومات حول كيفية إنتاج وتوزيع المواد المطبوعة، ونأخذ مثالًا عن ما قامت به مجلة الشهاب سنة 1936 حين نشرت إعلانًا بأسلوب كتابة تسويقي عن خدماتها، جاء فيه:

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

"مجلة الشهاب: المبدأ الثابت، والذكرة المصيبة بأسلوب عربي مبين، مكتبة الشهاب: كتب قيمة مدرسية وغيرها بأسعار مناسبة، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة: تخدم التاجر والمحامي والحاكم وهي مطبعة الجمعيات، مخاطبة المجلة، المكتبة، المطبعة في تيليفون : 15-25¹"، ونلاحظ نص التسويق لمجلة الشهاب في عام 1936 يتضمن عدة عناصر تهدف إلى جذب القراء والعملاء المحتملين وتعزيز مكانتها كمصدر رئيسي للمعرفة والثقافة، هناك عدة جوانب تبرز في عملية التسويق للمجلة ومكتبة الشهاب والمطبعة الجزائرية الإسلامية في ذلك الوقت:

- التنوع والقيمة: تشير المجلة إلى توفر كتب قيمة مدرسية وغيرها بأسعار مناسبة في مكتبة الشهاب، مما يعطي القراء مجموعة واسعة من الخيارات بتكلفة معقولة.
 - الترويج للخدمات: يتم الترويج للخدمات التي تقدمها المطبعة الجزائرية الإسلامية، التي تخدم التجار والمحامين والحاكم والجمعيات، هذا يعكس التنوع في العملاء المستهدفين وتوجه المطبعة لخدمة شرائح متنوعة من المجتمع.
 - الاتصال السهل: تقدم المجلة ومكتبة الشهاب والمطبعة الجزائرية الإسلامية رقم الهاتف (15-25) كوسيلة للاتصال السهلة، مما يسهل على القراء والعملاء المحتملين الاتصال والاستفسار.
 - اللغة العربية الواضحة: يظهر أن الإعلان مكتوب بلغة عربية مبينة وواضحة، مما يتيح للقراء فهم المحتوى بسهولة ويعكس استهداف المجلة للجمهور العربي الناطق باللغة العربية.
- أما بخصوص الإعلان عن خدمات المكتبات في الجزائر خلال القرن العشرين فقد كان أداة استراتيجية لتعزيز التعليم، حيث ساهم في دعم الهوية الوطنية من خلال توفير الكتب باللغة العربية وتعزيز الثقافة الجزائرية، كما شجع على القراءة ونشر الثقافة بين مختلف الفئات الاجتماعية، وساهم في تطوير البحث العلمي من خلال توفير مصادر أكاديمية، المكتبات لعبت أيضًا دورًا في دعم التنمية الاجتماعية والاقتصادية عبر تقديم مواد تثقيفية وتعليمية، وساعدت في تعزيز التواصل الثقافي والتعايش بين مكونات المجتمع المتنوعة.

ف نجد في الصفحة الأخيرة لمجلة الشهاب التي هي في العادة مخصصة للإعلانات والتأيينات والمباركات- بنشر إعلان شهر فيفري من سنة 1938، يقول: " إلى القراء، إلى الذين من الله عليهم بالقراءة طالعوا ما يفيدكم لتغذية عقولكم وتساميه ملكة الأدب في نفوسكم، وها هي مكتبة الشهاب جلبت كمية من الكتب زيادة على ما فيها من الكتب، المدرسية وشرح علمية وتفسير وحديث وتاريخ وأدب... إلخ، زوروا مكتبة الشهاب وشرفوها بطلباتكم²"

¹ الإعلانات، الشهاب، ج6، مج 12، أوت-سبتمبر 1936، ص 301.

² إعلان، " إلى القراء"، الشهاب، ج12، مج13، فيفري 1938، ص 247.

الفصل الأول: _____ المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

إذ يستهدف هذا الإعلان القراء ويدعوهم إلى زيارة مكتبة "الشهاب" للاستفادة من تشكيلتها الواسعة من الكتب، يركز الإعلان على أهمية القراءة في تغذية العقول ورفع مستوى التفكير، ويشير إلى أن القراءة تعتبر "ملكة الأدب" في نفوس الأفراد، كما يوضح الإعلان أن مكتبة "الشهاب" تقدم مجموعة متنوعة من الكتب بما في ذلك الكتب المدرسية والشروح العلمية والتفاسير الدينية والتاريخ والأدب وغيرها، مما يوفر فرصة للقراء لاختيار ما يناسب اهتماماتهم واحتياجاتهم.

هذا الإعلان يعود إلى عام 1938، ويمكن فهمه كدليل على الجهود المبذولة في تشجيع القراءة ونشر الثقافة والمعرفة في ذلك الوقت، يظهر الإعلان التزاماً بتعزيز القراءة كمفتاح لتطوير الذات ورفع مستوى التعليم والتحصيل الثقافي، وباستخدام توجيه مباشر إلى "القراء" و"الذين من الله عليهم بالقراءة"، يحث الإعلان الأفراد على البحث عن المعرفة والإفادة منها لتطوير عقولهم وتساميها، يتم تقديم القراءة كـ "ملكة الأدب" التي تعزز النفوس وتغذي العقول، كما يشير الإعلان إلى مكتبة "الشهاب" كمصدر للكتب المتنوعة، بما في ذلك الكتب المدرسية والشروح العلمية والتفاسير والحديث والتاريخ والأدب، مما يوضح التنوع والشمولية في الموضوعات التي يمكن الوصول إليها في هذه المكتبة، يستخدم الإعلان لغة قوية وموجهة مباشرة لدعوة القراء لزيارة المكتبة واستفادة من محتواها، مما يعكس التزام الواضح بتعزيز الثقافة والتعليم في ذلك الوقت.

4.2. إعلانات الكتب

الإعلانات عن الكتب في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي كانت جزءاً من المقاومة الثقافية، حيث سعت المجالات مثل "الشهاب" إلى نشر الوعي وتعزيز القراءة رغم التضييق الاستعماري، مثال على ذلك إعلان كتاب "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير" لمحمد السعيد الزاهري عام 1931¹، حيث ورد الإعلان في "الشهاب" بشكل مختصر يُعلم القراء بصدور الكتاب ويعد بمراجعته لاحقاً، هذا الكتاب يعرض أهمية الدعوة الإسلامية وتقديم الدين بشكل إيجابي يتماشى مع الظروف الاجتماعية، مع سرد قصص واقعية لتعزيز رسالة الكتاب.

في نفس الفترة، أعلنت المجلة أيضاً عن كتاب "تاريخ الجزائر" لمبارك الميلي، حيث روجت للجزئين الأول² والثاني³ في عامي 1930 و1931، مبرزة محتويات الكتاب التي تتناول تاريخ الجزائر وتفاصيل القبائل والمراكز،

¹ إعلان، "عن كتاب الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير لمحمد السعيد الزاهري"، الشهاب، مج 11، ج 7، نوفمبر 1931، ص 600.

² إعلان، "كتاب تاريخ الجزائر لمبارك الميلي الجزء الأول"، الشهاب، مج 12، ج 2، ماي 1930، ص 101.

³ إعلان، "كتاب تاريخ الجزائر لمبارك الميلي الجزء الثاني"، الشهاب، مج 07، ج 11 نوفمبر 1931، ص 123.

كما شجعت المجلة القراء على الاشتراك في مكتبتها، في خطوة تهدف إلى تعزيز الحركة الثقافية، هذه الإعلانات لم تكن مجرد إخبار بصدور كتب جديدة، بل كانت وسيلة لنشر الوعي التاريخي والثقافي، وتوجيه الناس نحو أهمية التمسك بالهوية الوطنية، إضافة إلى ذلك، نشرت "الشهاب" في ديسمبر 1933 إعلانًا عن كتاب "ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب" لعبد الرحمن الجيلالي¹، الذي يُجَلِّد سيرة العالم الجزائري محمد بن أبي شنب، فيقول الإعلان: "أرسل لنا صديقنا الأديب الشيخ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، الأستاذ بمدرسة الشبيبة في العاصمة، نسخة من تأليفه المعنون "ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب"، الذي تضمن سردًا لحياة العلم والوطنية للدكتور محمد بن أبي شنب رحمه الله، مع استعراض لآثاره الخالدة، كانت حياة الفقيه مليئة بالجد والاجتهاد والعطاء في سبيل العلم وخدمة الإسلام والجزائر خاصة"².

يصف المقال حياة الدكتور محمد بن أبي شنب بأنها كانت مليئة بالجد والاجتهاد والعطاء لخدمة العلم والإسلام، وبالأخص لخدمة الجزائر، ورغم أن الفقيه كان يسعى للحفاظ على تواضعه وبقاء سمعته بعيدًا عن الأضواء، إلا أن أعماله العظيمة ونوره العلمي لا يمكن إخفاؤهما، يحتوي على سرد لآثار الدكتور محمد بن أبي شنب ومساهماته، ويعرض الكتاب في مكتبات الجزائر وقسنطينة، داعيًا القراء إلى اقتنائه كونه يمثل إرثًا معرفيًا ثمينًا، فالمقال يعرض محتوى الكتاب وأهمية استذكار سيرة الدكتور محمد بن أبي شنب كعالم جزائري مؤثر، ويبحث القراء على الاطلاع على هذا الكتاب القيم، فيقول: "الكتاب يحتوي على ما يقارب مائة وعشر صفحات بالمقطع المتوسط، وهو متوفر للبيع في المكتبة الأدبية لصاحبها رو دوس قدور، بشارع مصطفى إسماعيل، رقم 150، الجزائر العاصمة، كما يتوفر أيضًا في مكتبة الثياب، بشارع البكس المهير، رقم 13، في قسنطينة، لذا، ندعو القراء المهتمين والعاشقين للمعرفة لاقتناء هذا الكتاب"³.

هذه الإعلانات لم تكن مجرد وسيلة تسويقية، بل كانت دعوة لتعزيز المعرفة والارتباط بالتراث الفكري الجزائري، كما ساهمت في توجيه اهتمام المجتمع نحو القراءة والبحث، ما عزز من وعي الجزائريين في ظل القيود الاستعمارية.

¹ عبد الرحمان الجيلالي: وُلِدَ في بولوغين (الجزائر) في 9 فيفري 1908م، وتلقى تعليمه في القرآن والثقافة الإسلامية على أيدي علماء الجزائر مثل الشيخ محمود البوزيدي والدكتور محمد بن أبي شنب، تعلم الفرنسية بمفرده، وعمل كمدرس ومصلح اجتماعي، أسس جمعية الهداية الإسلامية وساهم في جمعية مقاومة الكحول، كان له دور بارز في الإعلام حيث ارتبط بالإذاعة الجزائرية لفترة طويلة، وكتب في العديد من الصحف والمجلات عن تاريخ الجزائر وأعلامها، الشيخ الجيلالي أسهم في توثيق تاريخ الجزائر وتوعية الجزائريين بتراتهم، وركز على إحياء ذكر الشخصيات الجزائرية، ينظر: مولود عومر، (19 نوفمبر 2019)، الشيخ عبد الرحمان الجيلالي: رحلة العمر بين الفقه والتاريخ، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس، استرجعت في تاريخ 15 أوت 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://binbadis.net/archives/9900>

² مجهول، "ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب"، الشهاب، مج 09، ج 13، ديسمبر 1933، ص 543.

³ نفسه.

5.2. إعلانات المسرحيات والأخبار الأدبية

الإعلانات عن المسرحيات في الجزائر خلال القرن العشرين كانت تعكس حراكًا ثقافيًا نشطًا، خاصة في ظل الظروف الاستعمارية، على سبيل المثال، إعلان بداية النشاطات المسرحية عام 1939، الذي نُشر في مجلة "الشهاب"¹، إذ يشير إلى تجدد نشاط إحدى الجمعيات الثقافية، مع تأكيد على مهارة الشباب في التمثيل والموسيقى، هذا الإعلان يعكس تفاؤلاً بمستقبل الفن في المجتمع المحلي، ويبرز أهمية الدعم المالي والأدبي من الجمهور القسنطيني للحفاظ على هذه النهضة الفنية.

في سياق متصل، جاء إعلان مسرحية "أبي الحسن التميمي" في 5 جويلية 1950 ضمن جريدة "الشعلة"²، ليعزز استمرار النشاط الثقافي في فترة الخمسينيات، فيُسلط الإعلان الضوء على تنوع العروض بين الموسيقى والمسرح، حيث قدمت جمعية "المزهر القسنطيني"³ المسرحية التي لاقت إعجاب الجماهير في مدن مثل بسكرة وسكيكدة، كما أعلنت عن عرض مسرحية "بدر الدجى" بمشاركة "البعثة الزيتونية"، هذا الإعلان يعكس دور الجمعيات في تعزيز الهوية الوطنية من خلال الفن والمسرح، لا سيما في مواجهة الاحتلال، ويبرز مدى اهتمام الجمهور الجزائري بهذه الأنشطة الفنية التي جمعت بين الإبداع الأدبي والموسيقى.

كما كان نشر الأخبار الأدبية والثقافية في الجرائد والمجلات الجزائرية جزءًا من الحراك الثقافي الذي ساهم في تعزيز الهوية الثقافية العربية، أدّت هذه الأخبار دورًا حيويًا في تبادل الأفكار بين الأدباء والمثقفين، وتحفيز الإنتاج الأدبي، إلى جانب كونها منصة لرفع الوعي بالقضايا الاجتماعية والسياسية التي غدّت الحركة الوطنية، كذلك، أسهمت في تسليط الضوء على الإصدارات الجديدة وتعزيز النقد الأدبي، مما ساعد على تطوير الفكر النقدي وبناء شبكة من العلاقات الثقافية بين الأدباء في الجزائر ومختلف البلدان العربية.

¹ إعلان، "صفحة القراء"، الشهاب، ج4، مج15، ماي 1939، ص 202.

² حوحو، "على خشبة المسرح"، الشعلة، ع04، 05 جويلية 1950، ص 3.

³ جمعية المزهر القسنطيني: تأسست في 27 أكتوبر 1949 بمدينة قسنطينة، بمبادرة من الأديب والمسرحي الجزائري أحمد رضا حوحو، وذلك في إطار جهوده الرامية إلى تنشيط الساحة الثقافية والفنية خلال فترة الاستعمار الفرنسي، اهتمت الجمعية بالفنون المسرحية والموسيقية، وقدمت عروضًا متنوعة مثل "ملكة غرناطة" و"بائعة الورود" و"البخيل"، ساهمت الجمعية في الحفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية وتعزيز الوعي الوطني من خلال الفن، وكانت من بين المشاريع التي أنشأها حوحو لتجديد المشهد الثقافي في قسنطينة، ينظر: أحمد بيوض، المسرح الجزائري 1926-1989، منشورات التبيين: الجاحظية، الجزائر، 1998، ص 121.

مثال على ذلك، ما نشرته جريدة "البصائر" في 7 أوت 1936 حول مجلة "الرابطة العربية" الصادرة في مصر¹، يصف الخبر المجلة بأنها أول مجلة تعنى بنشر الثقافة العربية والدفاع عن القضايا العربية، ويراها بمثابة جسر يربط بين مصر وباقي الدول العربية، حيث شكّلت منبراً للقادة والمثقفين العرب، كما تطرّق الإعلان إلى تنوّع مواضيع المجلة بين السياسة، الثقافة، الأدب، الاقتصاد، والاجتماع، مما يعكس شمولية محتواها، أُبديت في الخبر تمنيات بنجاح المجلة واستمرارها في أداء رسالتها على الساحة الثقافية العربية، ما يعكس التفاؤل بدورها في تعزيز التعاون الثقافي بين البلدان العربية.

نشرت "البصائر" بتاريخ 27 نوفمبر 1936 إعلاناً عن إصدار مجلة تونسية جديدة بعنوان "الأفكار المبتكرة في الأدب والفن والاجتماع"²، أشار الخبر إلى أن المجلة، التي أسسها شباب تونسي مثقف، تجمع بين الأدب العربي والغربي في معالجة مواضيع اجتماعية وفنية متنوعة، أشادت الجريدة بمحتوى العدد الأول، معربة عن تقديرها للجهود المبذولة في إصدارها، جاء في الخبر دعوة لدعم المجلة وتشجيعها على الاستمرار، مع الإشارة إلى أهمية دورها في ترقية الأدب والفن في تونس.

إجمالاً، تعكس هذه الأخبار والإعلانات الأدبية والثقافية تطور الحركة الفكرية والفنية في الجزائر ودور الصحافة في نشر الوعي وتعزيز الهوية الوطنية، لم تكن هذه الإعلانات مجرد إشهار للكتب والمجلات أو الترويج للأعمال الفنية، بل شكّلت جزءاً من مشروع ثقافي أوسع لمواجهة الاحتلال، فقد ساعدت على تحفيز الإنتاج الأدبي والفني، وخلق فضاء نقدي يعزز التفاعل بين الأدباء والمثقفين، ويساهم في بناء شبكة ثقافية تربط الجزائر ببقية العالم العربي، كما أبرزت هذه الأخبار جهود الجمعيات الفنية والأدبية في ترسيخ الهوية الوطنية، من خلال المسرحيات والعروض التي تجمع بين الترفيه والتوعية، والتي كانت تجد تفاعلاً إيجابياً ودعمًا من الجمهور، رغم التحديات التي فرضتها السلطة الاستعمارية، هذه الأنشطة الثقافية لم تكتف بنقل المعرفة، بل شجعت الناس على الانخراط في القضايا الوطنية والاجتماعية، ما عزز الشعور بالانتماء والهوية الجماعية، ففي ظل القيود المفروضة خلال الحقبة الاستعمارية، لعبت الصحافة دوراً استراتيجياً في مقاومة الجهل ونشر الوعي، حيث لم تكن الكتابة والنشر مجرد نشاط ثقافي، بل مقاومة فكرية تهدف إلى حماية التراث الثقافي للجزائريين، وبذلك، مثّلت هذه الإعلانات والأخبار الثقافية خطوة نحو تحرير العقول وبناء مجتمع واعٍ و متمسك بهويته، مما جعل الثقافة أداة فعالة في الكفاح ضد الاحتلال.

¹ إعلان، "مجلة الرابطة العربية"، البصائر، ع 31، 07 أوت 1936، ص 03.

² إعلان، "مجلة الرابطة...، المصدر السابق، ص 03.

خلاصة:

أبرز هذا الفصل الأبعاد العميقة للعمل الثقافي في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية، حيث شكّلت المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر ركيزة أساسية في بناء الوعي الوطني وصيانة الهوية الحضارية، فقد كشفت الدراسة عن وعي مبكر لدى الجزائريين بأهمية القراءة والتعبير الأدبي، سواء من خلال التفاعل مع الأدب العربي الكلاسيكي والمعاصر أو من خلال الانفتاح على الأدب الغربي، مع ما رافق ذلك من صراع لغوي بين العربية والفرنسية كوسيلتين للتفكير والتعبير.

كما أبرز الفصل تنوع الفضاءات الثقافية التي نشأت في تلك الحقبة رغم ظروف القمع والرقابة، حيث أدّت الصحف والمكثبات والمدارس الحرة والمطابع والجمعيات الأدبية أدوات حيوية في تنشيط الحركة الأدبية والفكرية، وفي توفير منابر للنشر والتعبير، وقد كانت هذه المؤسسات، في مجملها، مراكز مقاومة ثقافية، تسعى للحفاظ على الشخصية الجزائرية في وجه سياسات التغريب والطمس.

وتوقف الفصل عند فضاءات النشر التي أتاحت للكتاب إيصال أفكارهم إلى الجمهور، سواء عبر الصحافة المكتوبة أو الكتب والدواوين، أو من خلال وسائل ترويجية مثل الإذاعة والإعلانات والمسابقات، ما يدل على تطور نسبي في أدوات الاتصال الثقافي رغم الحصار الاستعماري.

في المجمل، يؤكد هذا الفصل أن النشاط الثقافي الجزائري خلال الاحتلال لم يكن مجرد رد فعل على القمع، بل كان مشروعًا متكاملًا لبناء وعي جماعي يقاوم التذويب، ويؤسس لنهضة فكرية وأدبية ساهمت في تمهيد الطريق نحو التحرر السياسي.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية

تجاه الإنتاج الأدبي

أولاً: السياسة الاستعمارية الإدارية تجاه الكتابات الأدبية

ثانياً: الإقامة الجبرية والسجن للأدباء الجزائريين

ثالثاً: التعذيب والتصفية الجسدية للأدباء الجزائريين

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

يتناول هذا الفصل بالتحليل والسياسة الاستعمارية الفرنسية المنهجية تجاه الإنتاج الأدبي الجزائري، باعتباره أحد أشكال المقاومة الرمزية والثقافية التي واجهت بها النخبة الجزائرية أدوات الاحتلال وأساليبه، فالكثافة الأدبية لم تكن مجرد نشاط معرفي، بل كانت سلاحاً ناعماً حمل صوت الوطن، وفضح ممارسات المحتل، وساهم في تشكيل الوعي الجمعي للمجتمع الجزائري، لذا، كانت محل استهداف مباشر من قبل الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

يُسلط الفصل الضوء على أدوات القمع التي استخدمتها سلطات الاحتلال للتحكم في مسار الكتابة الأدبية وتوجيهها أو تعطيلها، بدءاً من التضييق المادي وشراء الأقلام، وصولاً إلى التعتيم الإعلامي وتوقيف الصحف والمسرحيات، بل وتجميد الحياة الثقافية حين تشكل خطراً على النظام الاستعماري، كما يرصد الفصل ممارسات العنف الرمزي والمادي ضد النصوص المكتوبة بالعربية، ومحاولات تشويه سمعة الأدباء الجزائريين داخل الجزائر وخارجها. ويمتد التحليل ليكشف كيف واجه الأدباء الجزائريون ثمن مواقفهم وكلماتهم عبر السجن والإقامة الجبرية والتعذيب، بل بلغ الأمر حد التصفية الجسدية، في محاولة بائسة لإخماد جذوة الكلمة الحرة، وعبر استعراض هذه الأسماء والوقائع، يُبين الفصل أن الاحتلال لم يكن يواجه بندقية الثائر فقط، بل كان يواجه كذلك قلم المثقف، وقصيدة الشاعر، ومقالة الأديب.

إن هذا الفصل يقدم شهادة حية على عنف الاحتلال في تعامله مع كل ما يُنتجه العقل الجزائري الحر، ويُبرز الدور البطولي للأدب الجزائري في زمن الاحتلال، بوصفه رافداً من روافد المقاومة الثقافية، وصوتاً رفض الخضوع، وساهم في بناء الذاكرة الجماعية للأمة.

أولاً: السياسة الاستعمارية الإدارية تجاه الكتابات الأدبية:

1. التحكم المادي والتعتيم الإعلامي

1.1. التضييق المادي:

- شراء الأقلام الأدبية الجزائرية

في مقاله "حرية الأديب وحمائيتها"، شدّد البشير الإبراهيمي على ضرورة حماية الأديب من الفقر والحاجة، معتبراً أن ضيق العيش يهدد صدق إحساسه وصفاء قلمه، ويحول بينه وبين التفرغ لفنه وإنتاجه الأدبي، وقد رفض الإبراهيمي الصورة النمطية التي تربط بين عبقرية الأديب وفقره، ورفض كذلك ما يُشاع عن أن الجوع يلهم الإبداع، واصفاً هذه التصورات بأنها أوهام وأساطير لا ثمره منها، دعا الإبراهيمي إلى تمكين الأديب من حياة كريمة توفر له راحة النفس واعتدال الحس، لكي يكون قادراً على التعبير الصادق والعميق عن قضايا قومه ومجتمعه، بدل أن يعيش

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

ضجراً بئساً يُلتهمه العوز، وأكد أن التقدير المادي والمعنوي للأديب ينبغي أن يكون في حياته لا بعد موته، لأن الاعتراف بفضله بعد وفاته لا ينفع ولا يعوّض ما ضاع من سنوات الإنتاج والتجديد¹.

إن الخطوات التي اتبعتها السلطات الاستعمارية تجاه الأدب الجزائري بدأت عادة بالتضييق المادي، الذي يهدف إلى وضع المثقفين والأدباء في ظروف قاسية تجعل من الصعب عليهم التعبير بحرية أو الوصول إلى جمهور واسع، هذا التضييق يتضمن فرض رقابة مشددة، حظر النشر، وكذلك قيود مالية على المطابع، ما يدفع البعض للبحث عن وسائل للبقاء والاستمرار في هذا المجال الصعب.

وبعد فرض هذا التضييق تأتي خطوة شراء الأفلام الأدبية كوسيلة تكميلية تستغل الصعوبات الاقتصادية التي يعاني منها الأدباء، هنا تسعى السلطات الاستعمارية إلى جذب بعض الأدباء والمثقفين ليكتبوا لصالحها، عبر تقديم دعم مالي مباشر أو غير مباشر، أو من خلال منحهم امتيازات معينة، ويهدف هذا الأسلوب إلى تحييد كتاباتهم أو توجيهها نحو مواضيع وأفكار تتماشى مع أجندة المستعمر، مثل الترويج لصورة إيجابية للاستعمار، أو الإشادة بالإصلاحات المزعومة، أو حتى مهاجمة الشخصيات الوطنية والمناهضة للاستعمار.

بهذا الشكل، تحاول السياسة الاستعمارية استغلال الحاجة الاقتصادية للأدباء وشراء أصواتهم، أملاً في كبح أي حركة أدبية مقاومة، ومع ذلك، قاوم العديد من الأدباء هذا الأسلوب، وبرزت أسماء استمرت في الدفاع عن الهوية الوطنية ومقاومة الاحتلال عبر الأدب، مما أسهم في إبقاء الروح الوطنية حية بين الجزائريين.

يركز عبد الله حمادي في تحليله على الهدف الاستعماري الفرنسي من إنشاء مشروع أدبي وثقافي في الجزائر، والذي كان يهدف إلى توثيق الحياة الثقافية الجزائرية خلال المرحلة الاستعمارية، هذا المشروع سعى إلى تقليص الفجوة بين الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر والثقافة الفرنسية الكولونيالية من خلال إشراك المثقفين الجزائريين في تقديم الأدب الفرنسي للجمهور الجزائري عبر الكتابة بالعربية، فكان الهدف هو استخدام مجلة "هنا الجزائر" و"راديو" هنا الجزائر كمنابر لنشر الثقافة الفرنسية وسط الجمهور الجزائري، عبر ترجمة واقتباس الأدب الفرنسي بواسطة كتاب جزائريين يجيدون اللغتين، بذلك، كان المشروع يعزز التعايش الثقافي بين الاحتلال الفرنسي والأهالي الجزائريين، كما أشار حمادي إلى أن السلطات الاستعمارية استقطبت الأدباء الجزائريين المدفوعين لتحقيق أهدافها الثقافية، حيث

¹ البشير الإبراهيمي، حرية الأديب وحماتها، المؤتمر الثالث للأدباء العرب، 09-10 ديسمبر 1957، القاهرة.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

كان الاختيار يعتمد على الكفاءة والولاء لمشروع الاحتلال، وكانت الكتابة بالعربية وسيلة لتسويق الأفكار الاستعمارية بطريقة أكثر قبولا بين الجزائريين مقارنة بالأدب الفرنسي¹.

من خلال هذا المشروع، كانت السلطات الاستعمارية تهدف إلى السيطرة على الفكر الجزائري وتخفيف تأثير الحركات الوطنية مثل جمعية العلماء المسلمين التي كانت تسعى لاسترجاع الهوية الجزائرية وتعزيز الانتماء للإسلام واللغة العربية.

2.1. التعتيم الإعلامي:

استخدمت السلطات الاستعمارية الفرنسية التعتيم الإعلامي كأداة رئيسية للحد من ظهور الأدب الجزائري ومنع إبداع الأدباء الجزائريين من أن يصبح محط أنظار الجمهور، كان الهدف من هذا التعتيم هو إخفاء إبداع هؤلاء الأدباء وحصر تأثيرهم الثقافي، لمنع التأثيرات الوطنية من التأثير على الشعب الجزائري وتحفيزهم على المقاومة.

كانت السلطات الاستعمارية تراقب كل النصوص الأدبية التي يكتبها الجزائريون، خاصة تلك التي تعكس أفكارًا تحريرية أو تدافع عن الهوية الوطنية، وفي حالة النصوص التي تظهر أي انحياز للمقاومة أو تتحدث عن القضايا الوطنية، كانت الرقابة تقوم بمنع نشرها، كانت المجلات والصحف الجزائرية التي تروج للأدب الوطني تتعرض للضغط والإغلاق، فيما كانت السلطات الاستعمارية تدعم نشر الأدب الموالي للاستعمار، كان يتم حجب الأدب الجزائري عن الإعلام الفرنسي بشكل متعمد، حيث كانت الصحف والمجلات الفرنسية تروج للأدباء الذين يتفقون مع الفكر الاستعماري وتغفل الأدباء الذين يطرحون أفكارًا تمس الهوية الوطنية الجزائرية.

على الرغم من هذا التعتيم، كانت هناك محاولات جزائرية لمواجهة هذا الواقع، حيث حاول الأدباء الجزائريون استخدام الأدب كأداة للمقاومة، لكنهم كانوا يواجهون صعوبة في الحصول على منصة نشر حقيقية، كان الأدب الفرنسي يحتل المساحة الأكبر في الفعاليات الثقافية الكبرى، بينما كان الأدب الجزائري يُستبعد منها، وهو ما يساهم في تعزيز الفجوة الثقافية بين الجزائريين والجهات الاستعمارية.

كانت البرامج التعليمية الاستعمارية أيضًا جزءًا من خطة التعتيم الإعلامي، حيث كانت المناهج الدراسية تروج للأدب الفرنسي فقط، مما كان يؤدي إلى تغييب الأدب الجزائري في المدارس والجامعات، من خلال ذلك،

¹ مجموعة شعراء، ديوان هنا الجزائر، المصدر السابق، ص ص 7-9.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

كان الاحتلال الفرنسي يحاول فرض هيمنته الثقافية عبر التعليم، مما يجعل الأجيال الجديدة بعيدة عن تاريخها الثقافي وتُغرس فيهم القيم الاستعمارية.

من خلال هذه السياسات، كان الهدف هو إبقاء الأدباء الجزائريين في الظل، ومنعهم من اكتساب الاعتراف الذي يستحقونه في المجال الأدبي، سواء على المستوى المحلي أو الدولي، وبالتالي الإبقاء على الهيمنة الفرنسية في الفضاء الثقافي الجزائري.

كما نجد في وثيقة محفوظة في الأرشيف التونسي¹، تتعلق بإنشاء نقابة للصحفيين والكتاب المتخصصين في القضايا الجزائرية-التونسية في باريس، تحت اسم نقابة الصحافة الجزائرية-التونسية في باريس (Syndicat de la Presse Algéro-Tunisienne à Paris)، أرسلت الوثيقة من المقيم العام للجمهورية الفرنسية في تونس إلى المدير العام للإدارة الداخلية في تونس بتاريخ 21 جانفي 1926، تشير الوثيقة إلى أن النقابة يرأسها بول لافيت² (Paul Lafitte)، وأن مقرها في شارع مونمارتر بباريس، كما تطلب الوثيقة إرسال المنشورات والنشرات التي تُصدرها الإدارة الفرنسية والتي قد تفيد أعضاء النقابة.

الوثيقة تعكس السياسة الفرنسية الاستعمارية في مراقبة وتنظيم النشاطات الإعلامية المتعلقة بالقضايا الجزائرية والتونسية، كان الهدف من إنشاء النقابة ليس فقط دعم الإعلاميين الفرنسيين، بل أيضاً محاولة التأثير على السرديات الصحفية والأدبية المتعلقة بالجزائر وتونس خلال فترة الاحتلال، علاوة على ذلك، سعت الإدارة الفرنسية إلى تزويد هذه النقابة بالمعلومات التي قد تخدم أجندتها الاستعمارية، مما يُظهر رغبة فرنسا في توجيه النقاشات الإعلامية والأدبية بما يتماشى مع مصالحها.

وعن الصحافة الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي كانت منصة هامة للأدباء للتعبير عن قضاياهم الوطنية والاجتماعية كما سبق وأن أشرنا، أما الصحف التي تأسست في باريس مثل النقابة المذكورة في الوثيقة غالباً ما جمعت كتاباً وصحفيين جزائريين وتونسيين ناقشوا القضايا المشتركة بين البلدين، من هنا، يمكن النظر إلى هذه النقابة

¹ A.N.T, Résidence Générale de la République Française à Tunis, Direction Générale de l'Intérieur, N° 238, "Syndicat de la Presse Algéro-Tunisienne à Paris", 21 janvier 1926.

² بول لافيت (1864-1949): وُلد في سان-مور-دي-فوسيه، كان شخصية فرنسية بارزة جمع بين مجالات التمويل، الأدب، والنشر، بدأ مسيرته كمستثمر في صناعة السينما الفرنسية الناشئة، حيث شارك في تأسيس "لو فيلم دار" عام 1908، وهي شركة ساهمت في تطوير الفن السابع في فرنسا، كما أسس دار النشر "إديشن دو لا سيرين" عام 1917 بالتعاون مع ريتشارد كانتينيلي وبلير سندرار، والتي نشرت أعمالاً أدبية وفكرية مهمة، كتب لافيت تحت الاسم المستعار "بوتوم" واهتم بتقريب الثقافة من عالم المال، مما جعله شخصية فريدة تجمع بين الفكر الاقتصادي والإبداع الأدبي، ينظر:

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

كجزء من السياق الذي وفر مساحة للنقاشات الأدبية التي تأثرت بالقضايا السياسية والاجتماعية الاستعمارية، والوثيقة تشير ضمناً إلى رغبة السلطات الفرنسية في مراقبة الإنتاج الثقافي والأدبي الجزائري-التونسي، هذه المراقبة لم تكن مقتصرة على الصحافة فقط، بل امتدت إلى الأدب الذي كان يعبر عن المقاومة بشكل رمزي أو مباشر، العديد من الكتاب الجزائريين الذين استخدموا الأدب كأداة لمقاومة الهيمنة الاستعمارية، ما جعل السلطات الفرنسية تسعى لمراقبة هذا النوع من التعبير، ومن خلال إنشاء نقابة تضم الصحفيين والكتاب، سعت فرنسا إلى السيطرة على المحتوى الأدبي والثقافي الموجه للجمهور، الأدب الجزائري الذي تناول قضايا مثل الهوية، الأرض، والاحتلال كان يتعارض مع السرديات التي روجتها الإدارة الفرنسية.

الكتابات الأدبية الجزائرية استفادت من وجود النقابات والمنتديات التي جمعت بين المثقفين، سواء في الجزائر أو في باريس، لكنها في نفس الوقت واجهت ضغوطاً كبيرة من السلطات الاستعمارية، هذه الوثيقة توضح كيف كانت السلطات الفرنسية تسعى للسيطرة على المساحات الإعلامية التي قد يستخدمها الأدباء الجزائريون في باريس كمنصة للتعبير عن قضايا وطنية، وتعتبر هذه الوثيقة دليلاً على أن الإنتاج الأدبي الجزائري كان جزءاً لا يتجزأ من الصراع الثقافي والفكري ضد الهيمنة الفرنسية، حيث سعى الكتاب الجزائريون إلى مقاومة محاولات فرنسا لتوجيه الأدب والصحافة لخدمة مصالحها.

2. تجميد النشاط:

1.2. توقيف الصحف:

في إطار سياسة تجميد النشاط، كان الاحتلال الفرنسي يستخدم توقيف الصحف كأداة رئيسية لإيقاف أي شكل من أشكال التعبير الثقافي والسياسي الذي قد يهدد هيمنته، الصحف الجزائرية التي كانت تديرها شخصيات وطنية أو التي كانت تروج للأدب الجزائري المتمرد على الاحتلال، كانت هدفاً رئيسياً لهذه السياسة، كان يتم توقيف الصحف التي تتناول قضايا الهوية الوطنية، واللغة العربية، وأدب المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، من خلال هذه الإجراءات، كانت السلطات الاستعمارية تسعى إلى منع نشر الأفكار التي قد تحرض على التحرر أو توحد الجزائريين ضد الاحتلال.

توقيف الصحف لم يكن مجرد إجراء قانوني، بل كان يشمل أيضاً قمع الصحفيين والكتاب الذين يشاركون في نشر هذه الأفكار، غالباً ما كانت الصحف تُغلق بأوامر مباشرة من الإدارة الاستعمارية، ويُحاكم الصحفيون والكتاب الذين يساهمون في هذه الصحف بتهمة التحريض أو التمرد، كانت السلطات الاستعمارية تفرض رقابة

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

صارمة على أي شكل من أشكال الصحافة التي لا تتماشى مع الخط الاستعماري، كما أن الصحف التي استمرت في العمل كانت مضطرة إلى تبني الخطاب الاستعماري وتجنب أي ذكر للهوية الوطنية الجزائرية أو للثقافة العربية الإسلامية.

هذا التجميد في النشاط الصحفي كان يهدف إلى عزل المجتمع الجزائري عن التفاعل مع الأفكار الوطنية والإنسانية التي كانت تروج لها الصحف الوطنية، وبالتالي، كانت الصحافة الاستعمارية التي تروج للأدب الفرنسي والسياسات الاستعمارية هي الوحيدة التي تحظى بالاهتمام والرواج، من خلال منع الصحف الوطنية، كان الاحتلال يحاول فرض رؤيته الثقافية والسياسية على الجزائريين وفرض سيطرته الفكرية عليهم.

علاوة على ذلك، كان توقيف الصحف يعني أيضاً منع الأدباء الجزائريين من الحصول على منصة لنشر إبداعاتهم، مما ساهم في تجميد الحياة الثقافية، إذ أصبح الكتاب الجزائريون في وضع صعب حيث لم يكن لديهم مجال لنشر أفكارهم بحرية، مما أدى إلى تجميد النشاط الأدبي والفكري في الجزائر لفترة طويلة.

يشير محمد ناصر إلى أنّ الصحافة العربية في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية عانت من ظروف قاسية وقيود صارمة فرضتها السلطات الاستعمارية، إذ لم تحظ بحرية التعبير وكانت أشبه بسجن كبير يمنع الكتاب من التعبير الحر عن آرائهم، مما دفع الصحفيين إلى اعتماد أساليب ذكية وملتوية، أبرزها استخدام الرمز واللغة غير المباشرة لنقل رسائلهم للجمهور دون الوقوع في قبضة الرقابة، وقد استمرت هذه الأساليب حتى قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، حيث عكست المقالات مشاعر التحفظ والخوف من عواقب التعبير المباشر عن الأفكار الوطنية أو مقاومة الاحتلال، وكانت هذه الحيلة ضرورية لتفادي المساءلة أو العقاب من قبل السلطات الفرنسية، وفي الوقت نفسه ساهمت في خلق إنتاج أدبي وفكري معقد يكشف واقع الجزائر تحت الاحتلال دون التصريح بذلك علناً¹.

عانت الصحافة العربية في الجزائر من اضطهاد مستمر وتعطيل متكرر فرضه الاحتلال الفرنسي، إذ لاحقت قرارات تعطيل الصحف الوطنية الجزائرية بشكل دائم حتى باتت كأنها لعنة تلاحقها، حيث واجهت هذه الصحف تدخلات وعراقيل حرمتها من العمل بحرية، اشتكى ابن باديس من هذا الاضطهاد بعد تعطيل صحف مثل "السنة" و"الشرعية" و"الصراط" التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين، والتي منعت لاحقاً من إصدار أي صحيفة جديدة، كما عبّر محمد البشير الإبراهيمي عن تنديده بهذا الوضع، معتبراً أن اللغة العربية تُعامل في وطنها كلغة أجنبية، في وقت كانت تُفرض فيه على الصحافة العربية قيود قاسية، وأبدى محمد السعيد الزاهري استياءه من الرقابة المشددة

¹ ناصر، المقالة الصحفية ...، ج2، ص 199.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

التي كُتبت الصحافة العربية، مشيرًا إلى أن السلطات الاستعمارية كانت تمسك برقبتها وتقمعها بلا حسيب، منتقدًا التناقض في اعتبار الفرنسيين للجزائريين فرنسيين قانونيًا بينما يحرمونهم من أبسط حقوقهم وحرياتهم¹.

من خلال النماذج الأدبية التي تم دراستها، نلاحظ أن الأدباء الجزائريين استخدموا عدة أساليب مراوغة لتجنب التعبير المباشر عن مشاعرهم خوفًا من الرقابة الاستعمارية، من بين هذه الأساليب، نجد طريقة الرؤى والأحلام التي استخدمها بعض الكتاب للتعبير عن استيائهم من التقاليد والخرافات السائدة في المجتمع الجزائري، متجنبين بذلك غضب الجماهير التي كانت تقدر هذه الرموز، كما استخدم بعض الكتاب أسلوب التظاهر بالجنون، كما فعل سيويو المصري في العصور الإسلامية، ليتجنبوا من انتقاد الحكام دون التعرض للعقاب، أيضًا، لجأ العديد من الكتاب إلى التعريض، وهو أسلوب غير مباشر يستخدم لتسليط الضوء على الظلم والاضطهاد الاستعماري دون التصريح بالأسماء أو الأحداث بشكل مباشر، وأخيرًا، فإن استخدم الكتاب أسلوب الحوار بين شخصيات متخيلة للتعبير عن آرائهم وانتقاداتهم، خصوصًا تجاه السلطة، مما يبرز معاناة الجزائريين من الاحتلال، هذه الأساليب تعكس تطور الصحافة الجزائرية الفنية في مواجهة الضغوط الاستعمارية².

2.2. توقف المسرحيات-مسرحية خالد شمشون الجزائري لمحمد ولد الشيخ أنموذجا-

توقيف المسرحيات كان أحد الأساليب التي اتبعتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر لإحكام سيطرتها على الحياة الثقافية والفنية، وذلك من خلال منع أو تعطيل أي أعمال فنية قد تسهم في تحفيز الوعي الوطني أو إثارة مشاعر المقاومة ضد الاحتلال، ومن بين هذه الأعمال المسرحية، تبرز مسرحية خالد شمشون الجزائري لمحمد ولد الشيخ كأحد الأمثلة البارزة على هذا القمع الثقافي.

تم توقيف مسرحية "الخليفة" لمحمد ولد الشيخ بسبب محتواها السياسي والاجتماعي الذي كان يتعارض مع الأهداف الاستعمارية الفرنسية، كان النص يحمل رسائل مشفرة تهدف إلى إثارة الروح الوطنية وتحفيز الجمهور على مقاومة الاستبداد والظلم، وبالتالي تهديد الهيمنة الاستعمارية، في هذا السياق، كان الاحتلال الفرنسي يقيم رقابة صارمة على أي شكل من أشكال التعبير الثقافي أو الأدبي الذي يمكن أن يحرض على الوعي الوطني أو يعزز الهويات

¹ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 82.

² ناصر، المقالة الصحفية...، ج2، المرجع السابق، ص 200.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الثقافية المناهضة للاستعمار، نتيجة لذلك، تم توقيف عرض المسرحية لاحتوائها على مضامين تحرض على رفض الاحتلال الفرنسي وتدعو للثورة ضد الظلم¹.

نتيجة لذلك، يمكن القول إن توقيف المسرحيات مثل "الخليفة" كان جزءًا من استراتيجية استعمارية تهدف إلى خنق أي محاولة ثقافية تهدد هيمنة الاحتلال الفرنسي، فقد كان الفن، وبالأخص المسرح، أداة قوية لنقل الرسائل الوطنية وإيقاظ الوعي السياسي لدى الشعب الجزائري، وبذلك، عمدت السلطات الاستعمارية إلى قمع هذه الأعمال الفنية خوفًا من قدرتها على تحفيز الجماهير وتهيئة الأرضية لأفكار التحرر الوطني.

3. الهجوم الثقافي ضد الأدب الجزائري:

1.3. قمع النصوص المكتوبة باللغة العربية

كان قمع النصوص المكتوبة باللغة العربية أحد الأساليب التي اعتمدها الاحتلال الفرنسي في الجزائر بهدف منع انتشار الفكر الوطني والمقاوم للاحتلال، حيث كانت الصحف والمجلات الجزائرية التي تكتب باللغة العربية تشكل منابر قوية للتعبير عن مشاعر الرفض والاستنكار ضد السياسات الاستعمارية، فحاول الاحتلال الفرنسي قمع هذه الأصوات من خلال فرض رقابة شديدة على ما يُنشر من نصوص أدبية وصحفية باللغة العربية، بما في ذلك المقالات والقصائد التي تعكس الوعي الوطني، كما تم تعطيل العديد من الصحف التي كانت تُصدر باللغة العربية مثل صحف جمعية العلماء المسلمين، وكانت هذه الصحف تعد من أبرز الأدوات التي تسعى إلى تحفيز الأمة الجزائرية على الحفاظ على هويتها الثقافية والدينية.

استمر قمع النصوص العربية في أشكال مختلفة، من بينها توقيف الصحف واعتقال الكتاب والصحفيين الذين يجروون على التعبير عن آرائهم الراضية للاستعمار، كما فرض الاحتلال الفرنسي تعليم اللغة الفرنسية وتهميش اللغة العربية في المؤسسات الرسمية والتعليمية، مما أدى إلى تراجع دور الأدب العربي في الحياة العامة في الجزائر، ورغم هذه الممارسات القمعية، استمر الأدباء في كتابة نصوصهم بلغة عربية محملة بالرمزية والإيحاءات التي تسمح لهم بالتعبير عن معاناتهم وأفكارهم الوطنية دون الوقوع في رقابة صارمة.

¹ معراج أغا، (24 جويلية 2023)، محمد ولد الشيخ: رائد المسرح الجزائري باللغة الفرنسية، على منصة الفيسبوك، استرجعت في تاريخ 08 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com/share/15VgeNYhzC/>

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

في مقاله الذي نشره في مجلة "الأديب" اللبنانية وأعاد نشره في مجلة "هنا الجزائر"، تناول سعد الدين بن شنب وضع الأدب العربي في الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، متطرقاً إلى مسألة تهميش الأدباء الجزائريين الذين ساهموا في إحياء اللغة والأدب العربي، ولفت بن شنب إلى أن الأدباء الجزائريين لم يحظوا بالاعتراف الكافي في الأدبيات المعاصرة، إذ تم الاقتصار على ذكر نماذج تتوافق مع المصالح الاستعمارية الفرنسية، بينما تم تجاهل أدباء بارزين مثل الإبراهيمي، وبرغم ذلك، خص بن شنب الشاعر محمد العيد بالذكر، وقام بترجمة بعض قصائده¹.

استعرض بن شنب في مقاله القمع الذي تعرض له الأدب العربي في الجزائر، موضحاً أن الصحافة العربية كانت دائماً تحت رقابة مشددة من السلطات الاستعمارية، مما حال دون تقدم المقالة الأدبية، لكن هذا القمع لم يحقق أهدافه بالكامل، حيث استمرت الأقلام الوطنية في تحدي الرقابة وواصلت العمل من خلال نشر الصحف العربية، حتى وإن كان تحت أسماء مختلفة، وبرغم القمع المستمر، بقيت هناك فرص لظهور بعض المقالات الأدبية التي ساهمت في الحفاظ على الأدب المقالي من خلال الصمود والتحدي².

كما أشار بن شنب إلى أن الأدباء الذين يكتبون باللغة العربية تعرضوا لمختلف أشكال الاضطهاد، سواء كان نفسياً أو جسدياً، وهو ما أكدّه المؤرخ سعد الله في وصفه لمحنة هؤلاء الكتاب، ووفقاً لهذا الواقع، كان الأدباء العرب في الجزائر يعيشون في ظل ظروف قمعية شديدة، لكنهم كانوا يواصلون العمل على إحياء الوعي الوطني من خلال الكتابة التي تعكس معاناتهم وتطلعاتهم³.

أكد البشير الإبراهيمي في مقاله "حرية الأديب" أن الحرية الفكرية هي جوهر رسالة الأديب ومداد قلمه الذي بدونه لا يستطيع الإبداع ولا إنتاج أدب صادق ومعبر، شدد الإبراهيمي على ضرورة حماية الأديب من كل ما يزيغ فنه ويدفعه إلى التخفي وراء الرموز والغموض، ودعا إلى توجيه النقد نحو مسار موضوعي وفني بعيد عن المهرطقات التي تفسد الذوق وتشوه الأعمال الأدبية، كما رأى أن من حق الأديب أن يُمنح فرصة التجربة والمحاولة، لأن التجريب قد يُثمر فتحاً جديداً أو يُكسب الأديب خبرة تعمق موهبته وتكشف له حقائق الحياة، ورفض الإبراهيمي التقليد الأعمى أو التجديد مجرد التجديد، مشدداً على أهمية استلهام الأدب من بيئتنا وتراثنا ومقومات هويتنا العربية، كي يبقى الأدب العربي مرتبطاً بواقعه وقادراً على التعبير عن قضاياها الأصيلة⁴.

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج8، المرجع السابق، ص 77.

² مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 86.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج9، المرجع السابق، ص 489.

⁴ البشير الإبراهيمي، حرية الأديب...، المصدر السابق.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

كما تراجع صوت الشعر لدى عدد من الشعراء الجزائريين خلال ثورة التحرير، رغم ماضيهم الحافل بالنضال الشعري، كحال محمد العيد الذي خفت صوته بعد أن ميّز الثلاثينات بشعره الوطني، وأحمد سحنون الذي كان يلهب الجماهير في الأربعينات، والأخضر السائحي الذي جاء ديوانه بعد الاستقلال أكثر همساً من صراخ، كما عمّ الصمت شعراء آخرين، إما بسبب القمع والاضطهاد، أو نتيجة المعاناة في السجون، حتى بدت الأصوات الثائرة وكأنها قد تركت المجال لحملة السلاح، فرغم أن الأسباب الفردية قد تتفاوت، فإن الظاهرة العامة تشير إلى انحسار دور الشعر، وتحول زمام التعبير الثوري من الكلمة إلى البندقية¹.

أخيراً يُظهر قمع النصوص المكتوبة باللغة العربية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي أحد أوجه الهجوم الثقافي الممنهج الذي استهدف طمس الهوية الوطنية واللغوية للشعب الجزائري، حيث واجه الأدب العربي رقابة صارمة وتعطياً متواصلاً للصحف والمجلات، واعتقال الكتاب والصحفيين، إلى جانب تهميش اللغة العربية في التعليم والإدارة لصالح الفرنسية، ورغم هذه الظروف القمعية، واصل الأدباء الوطنيون الكتابة بلغة عربية مشبعة بالرموز والمضامين الوطنية، متحدّين الرقابة وتمسكين بدورهم في توعية الشعب والدفاع عن ثقافته، وقد عبّر سعد الدين بن شنب في مقاله عن هذا الواقع، مشيراً إلى تهميش الأدباء الوطنيين وتجاهل مساهماتهم، كما بيّن أن القمع لم يتمكن من إخماد صوت الأدب العربي الذي ظل صامداً من خلال جهود الكتاب الذين تحدوا الرقابة، محافظين بذلك على حضور الأدب العربي كأداة للمقاومة الثقافية.

2.3. محاولة تشويه سمعة الأدباء الجزائريين

لقد سعت السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر إلى تشويه سمعة الأدباء الجزائريين وتهميشهم على مختلف الأصعدة الثقافية والأدبية، كان هدف الاحتلال هو إخفاء الدور الهام الذي لعبه هؤلاء الكتاب في النضال من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية الوطنية وتعزيز الوعي السياسي، في هذا السياق، حاولت السلطات الفرنسية إظهار الأدباء الجزائريين كأشخاص مشبوهين أو متطرفين يسعون إلى تحريض الجماهير ضد الاحتلال.

لقد عانى المؤلفون الجزائريون من ضغوط كبيرة فرضتها الإدارة الفرنسية، التي سعت إلى التحكم في الإنتاج الثقافي والمعرفي وتوجيهه وفق مصالحها، كان محمد سالة² مثلاً على هذه المعاناة، إذ وُجّهت إليه اتهامات بالسرقة

¹ خربي، محمد السعيد ...، المرجع السابق، ص 224.

² محمد سالة (1872 أو 1873 - 1953): كان مدرساً ومؤلفاً جزائرياً بارزاً في مجال تعليم اللغة العربية خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية، وُلد في فرنسة، وارتبطت مسيرته بكلية تدريب المعلمين في بوزريعة، حيث تلقى تعليمه وتدرج في التدريس حتى أصبح أستاذاً للغة العربية في معهد المعلمين ثم في المدرسة الثانوية بالجزائر العاصمة، أسهم في تأليف كتب تعليمية، شغل سالة مناصب تعليمية وإدارية متعددة، وكان له دور في تطوير المناهج الدراسية =

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الأدبية من قبل سديرة، وهو ما يعكس بيئة تنافسية غير نزيهة تغذيها سياسات استعمارية تهدف إلى إضعاف الكفاءات الجزائرية وتقويض مكانتها الأكاديمية، ورغم أن التحقيق أثبت أصالة كتابه "المنهج العملي للغة العربية النظامية"، فإن هذه الاتهامات تكشف عن آليات التضييق على المثقفين الجزائريين، سواء عبر الشكوك المفتعلة أو من خلال حرمانهم من الفرص الأكاديمية والترقيات الوظيفية، وقد استخدمت الإدارة الاستعمارية مثل هذه الأساليب للتحكم في المجال الثقافي، حيث لم يكن دعمها لبعض الشخصيات إلا وسيلة لضمان ولائهم، بينما حورت الشخصيات المستقلة أو المنافسة، مما خلق بيئة فكرية مضطربة أثرت على تطور الإنتاج المعرفي الجزائري¹.

كما تم التقليل من أهمية أعمال الكتاب الذين استخدموا اللغة العربية في كتاباتهم، إذ كان يتم تجاهل أو حتى محاربة الأدب العربي في الجزائر بشكل منهجي، كما عملت سلطات الاحتلال على الحد من انتشار الصحف والمجلات التي كانت تصدرها هذه الأقلام الحرة، بل وتعرض العديد من الكتاب للمضايقات والاعتقالات بسبب مقالاتهم وأعمالهم الأدبية.

واستمرت هذه الحملات التشويهية طوال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث تم استخدام الإعلام للاستفزاز والتحريض ضد الكتاب الجزائريين، بل وضُوروا في كثير من الأحيان على أنهم عملاء أو خونة، ورغم هذه المحاولات لتشويه سمعتهم، ظل العديد من الأدباء الجزائريين ثابتين في مواقفهم الوطنية، واستمروا في الكتابة والنضال بالكلمة ضد الظلم والاحتلال.

فعلى سبيل المثال فقد كانت جريدة "النجاح"، تحت إشراف مامي إسماعيل، أداة هامة في يد الاحتلال الفرنسي، حيث سعت بوضوح إلى مهاجمة الأدباء والصحفيين الجزائريين المناهضين للاستعمار، وعلى رأسهم الشيخ أبو اليقظان وجريدته "الأمة"، هذه الصحيفة كانت تعتبر الصوت الرسمي للإدارة الفرنسية، وكانت تشن حملات تشويه منظمة ضد كل من يعارض سياسات الاحتلال².

كانت المظاهرات على أبو اليقظان تتخذ طابعاً هجومياً غير مسبوق، حيث كانت الجريدة تصفه بألقاب مهينة مقارنة بهتلر ولينين، وهو ما يعكس محاولات السلطات الفرنسية لتقليل نفوذه ورفض فكره الإصلاحية، لا تقتصر المظاهرات على المستوى الشخصي فقط، بل كانت تتطرق إلى عمله السياسي والثقافي، حيث كانت تحاول

=وتدريس العربية في المؤسسات الفرنسية، كما كان ناشطاً في المجال الصحفي والسياسي، حيث ارتبط بجمعيات ثقافية وصحف دعمت السياسات الاستعمارية، مما جعله شخصية مثيرة للجدل في المشهد الثقافي الجزائري آنذاك، ينظر: A.Messaoudi, Op. cit, p389.

¹ Ibid, P389.

² ناصر، أبو اليقظان...، ج2، المرجع السابق، ص 181.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

التأثير على مصداقيته داخل المجتمع الجزائري، عبر التشكيك في قدراته على إدارة الجمعية ومقاومة الاحتلال¹، وفي العديد من مقالاتها، مثل تلك التي نشرت في 9 ديسمبر 1934، كانت "النجاح" تهاجم أبو اليقظان بشكل لاذع، مشيرة إلى فشله في مواجهة الصعوبات، بل وتحميله مسؤولية انقسام المجتمع الميزابي، كما كانت تحاول تشويه صورته السياسية والثقافية، مما يبرز دور الصحيفة في ترويج سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر.

كانت الصحف المناهضة للاستعمار مثل "الأمة" تسعى إلى تحفيز الوحدة الوطنية ضد الاحتلال، وعلى الرغم من محاولات "النجاح" والسلطات الفرنسية في تقسيم المجتمع الجزائري من خلال نشر هذه المقالات المسيئة، استمر أبو اليقظان وزملاؤه في النضال بالكلمة ضد الاحتلال، وكانت جريدة "الأمة" تلعب دورًا محوريًا في ربط العلاقات بين الجماعات الوطنية المختلفة.

ورغم الضغوط المالية والتحديات التي واجهتها الصحافة الوطنية، تمسك الكتاب الجزائريون بمبادئهم وقاوموا محاولات إغلاق صحفهم، حيث اضطر أبو اليقظان في نهاية المطاف إلى إيقاف صحيفته في عام 1939 بسبب الضغوط الكبيرة التي تعرض لها.

ثانيا: الإقامة الجبرية والسجن للأدباء الجزائريين

1. السجن:

لم يكن الاحتلال الفرنسي في الجزائر يستهدف الأرض والثروات فقط، بل سعى أيضًا إلى خنق كل صوت حر يعبر عن الهوية الوطنية ويدافع عن الكرامة الثقافية لأهالي الجزائريين، بما في ذلك أصوات الأدباء والمثقفين الذين شكلوا نواة الوعي الوطني، وقد استخدم الاحتلال أدواته القمعية لإسكات هؤلاء، وفي مقدمتها السجن، كوسيلة لترهيبهم وكسر إرادتهم.

شكل السجن أحد أبرز أساليب القمع التي لجأت إليها السلطات الاستعمارية ضد الأدباء الجزائريين الذين عبروا عن رفضهم للوجود الاستعماري، سواء من خلال كتاباتهم أو مواقفهم السياسية، وقد كان الهدف من هذا القمع إخماد صوت المقاومة الفكرية والرمزية التي كانت تهدد المشروع الاستعماري في عمقه الثقافي والحضاري.

يشير عبد المالك مرتاض إلى أن الأدباء الجزائريين الذين لم يُعبروا على سبيل المثال عن مجازر 8 ماي 1945 فور وقوعها لم يكونوا متخاذلين أو متهاونين، بل كانوا ضحايا لنفس آلة القمع التي طحنت شعبهم، فقد وُضع

¹ نفسه.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الأديب آنذاك في حالة من العجز التام، حيث سُلبت منه أدوات التعبير، وقُيّد فكره ولسانه، وأُخضع لرقابة صارمة تمنعه من الكتابة أو حتى الهمس بما يموج في داخله من غضب وألم¹.

لم يكن صمت الأديب آنذاك موقفاً اختيارياً، بل كان نتيجة حتمية لواقع استعماري خانق، غابت فيه الصحف الوطنية والمنابر الحرة، وتحول فيه المثقف إلى هدف للقمع، يتعرض للاعتقال والمطاردة والتنكيل، في مثل هذه الظروف، يرى مرتاض أن من الظلم أن نحمل الأدباء وزر ما لم يستطيعوا فعله، فالأولوية في تلك المرحلة كانت للبقاء على قيد الحياة، وليس للكتابة أو التنظير².

لهذا السبب يجب قراءة ذلك الصمت في سياقه التاريخي، رافضاً إصدار أحكام متأخرة تعاقب المثقف على شيء لم يكن له خيار فيه، ويؤكد أن معيار الوطنية لا يُقاس بكمية الكلمات المكتوبة في زمن القمع، بل بالروح التي عانت وتشبثت بجذوة المقاومة في صمت، حتى حانت اللحظة المناسبة للتعبير.

1.1. سجن عمر راسم

يُعد الفنان والأديب عمر راسم من أبرز الوجوه الثقافية الجزائرية التي واجهت بطش الاحتلال الفرنسي، فقد تعرض للسجن على خلفية نشاطه السياسي والثقافي المناهض للاستعمار، خاصة بعد كتاباته الجريئة ومشاركته في الصحافة الوطنية، لم يكن اعتقاله مجرد إجراء عقابي، بل كان رسالة واضحة لبقية المثقفين بأن كل قلم حر مآله القمع.

اشتهر عمر راسم بخطه العربي الجميل وموهبته الفائقة في فن الرسم، وكان له دور بارز في الصحافة الجزائرية من خلال عمله مع جريدة "المبشر"، لكن مسيرته المهنية تأثرت بشكل كبير بسبب اتهامه بالتعامل مع العدو، فقد تعرض لظروف صعبة أدت إلى اعتقاله بعد أن سُلِمَت رسالته إلى جريدة "الشعب" المصرية للمخابرات البريطانية، وكانت الرسالة دعوة للمسلمين للانضمام إلى السلطان العثماني والتوقف عن مساعدة أعداء المسلمين، وقد استخدمت السلطات الاستعمارية الفرنسية هذه الرسالة كدليل لتوجيه التهمة إليه، في وقت كانت الحكومة الجزائرية تحت هيمنة فرنسا تدعو إلى دعم الاحتلال الفرنسي في الحرب³.

¹ مرتاض، محمد البشير...، المرجع السابق، ص 93.

² نفسه.

³ سعد الله، تاريخ الجزائر النفا...، ج5، المرجع السابق، ص288.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

تم اعتقاله في سنة 1915 مع زميله عمر بن قدور¹، وحُكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة²، عانى عمر راسم من ظروف قاسية أثناء فترة اعتقاله في الحرب العالمية الأولى³، وظل في السجن حتى سنة 1921 بعد مراجعة القضية وتدخل بعض الجزائريين والفرنسيين الصالحين⁴، خلال فترة سجنه في بربروس، استغل عمر راسم وقته في القراءة والتثقيف⁵، حيث كان في تلك الفترة يُفرض الصمت أو التعاون المخلص مع السلطات الفرنسية⁶.

لكن، بالرغم من معاناته، كان اعتقاله يشكل شرفاً له، حيث كان يُنظر إليه وزميله كداعمين للقضية الإسلامية ضد الاحتلال الفرنسي، بعد خروجه من السجن في 1921، تفرغ راسم للحياة الفنية، حيث أظهر إبداعاً كبيراً في مجالي الخط والرسم، وأصبحت لوحاته تزين العديد من الكتب المعاصرة، مثل اللوحة التي رسمها لكتاب "الجزائر" لأحمد توفيق المدني، مما ساهم في تعزيز مكانته الفنية ورفع الوعي الوطني بين الجزائريين⁷.

تبرز تجربة سجن عمر راسم كدليل على مدى استهداف الاحتلال الفرنسي للمثقفين الجزائريين الذين جمعوا بين الالتزام الوطني والإبداع الفني، فقد عُوقب راسم على خلفية تعبيره عن مواقف سياسية مناهضة، في وقت كانت فيه فرنسا تُحاول فرض خطاب موالي لمصالحها، يشير اعتقاله إلى استخدام القضاء الاستعماري كأداة لإسكات الأقلام الحرة، خاصة حين ترتبط بالجمال الإسلامي أو بالصحافة العابرة للحدود، كما يشكّل غياب عمر راسم عن الكتابة بعد خروجه من السجن سنة 1921 انعكاساً واضحاً لضغط القمع الاستعماري على حرية التعبير، خاصة لدى المثقفين الذين تجرأوا على مواجهة النظام الفرنسي بالقلم، فبعد أن دفع ثمناً باهظاً لرسالة سياسية وُجّهت ضد الاحتلال، اختار الصمت الكتابي والتفرغ للرسم والخط، وكأن التجربة المريعة للسجن قد "قتلت قلمه" قسراً، لم يكن هذا الانسحاب تعبيراً عن تخلٍّ عن القضايا الوطنية، بل تحولاً في أسلوب المقاومة، إذ وجد في الفن مساحة أقل رقابة، وأكثر قدرة على إيصال الرسائل الرمزية دون الاصطدام المباشر مع السلطة، وهكذا، ظل راسم فاعلاً في الساحة الثقافية، لكن بريشة صامتة تعبّر حيث يُمنع الكلام، وتشهد على حقبة كانت فيها الكلمة الحرة مهددة بالسجن أو الإعدام المعنوي.

¹ بعلي، النهضة الفكرية في الجزائر...، المرجع السابق، ص131.

² بعلي، مدارس التعليم الكبرى...، المرجع السابق، ص102.

³ ناصر، المقالة الصحفية...، ج2، ص227.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر النفا...، ج5، المرجع السابق، ص287.

⁵ Roger Benjamin, *Orientalism, modernism and indigenous identity : Art of the Avant-Gardes*, Yale University Press, États-Unis, 2004, p100.

⁶ بعلي، مدارس التعليم الكبرى...، المرجع السابق، ص101.

⁷ سعد الله، تاريخ الجزائر النفا...، ج8، المرجع السابق، ص287.

2.1. سجن أحمد سحنون

بعد اندلاع ثورة التحرير الجزائرية، لم يتردد أحمد سحنون في إعلان مساندته لها، ما أدى إلى اعتقاله سنة 1956، حاول المستعمر الفرنسي استغلال مكانته وتأثيره الكبير في صفوف الأهالي، فطلب منه أن يحذر الناس من المجاهدين ويشيهم عن دعم الثورة واحتضانها، لكنه ردّ عليهم بثبات قائلاً: "أنا الآن في حكم الميت، إذا نفذت ما طلبتم مني يقتلني إخواني، وإذا لم أنفذ تقتلونني أنتم، وما دمت ميتاً فليكن موتي على أيديكم أفضل"¹

كتب سحنون عن أول يوم له في السجن قائلاً²:

أول يوم في الزنزانة

رضا خالقي فذلك حسي	لا أبالي بالسجن إن كان في السجن
ورضا الله هو أيسر خطب	إن خطبا فيه سلامة ديني
هل يكون "عبد اللطيف" بقربي؟	هل "عبد الحميد" ³ في السجن مثلي؟
فذنّبهما إذن مثل ذنبي	لست أدري، لكن سعيهما عسى
في بلاد تحتاج نصيح المربي؟	عجبا: كيف يصبح النصيح ذنبا
فتقبل-يا رب-خالص حي	يا إلهي إني عبدتك حبا
تشكو بأرضنا كل جذب	يا إلهي قد أصبحت دعوة الإسلام
صالحين يولونها كل خصب	فأغشها من بعدنا بدعاة

في هذه القصيدة، يعكس أحمد سحنون موقفاً إيمانياً صلباً وروحاً صابرة تجاه معاناة السجن، معتبراً أن الألم يُحمل إذا كان في سبيل الله ورضاه، لا يُظهر الشاعر جزءاً من القيود، بل يراها ثمناً مقبولاً مادامت مرتبطة بسلامة الدين وصدق الدعوة، كما يُبرز المفارقة المؤلمة بين معاقبة الناصحين وبين حاجة الوطن الماسة إلى من يوجه ويصلح، فيسائل بمرارة: كيف يصبح النصيح جريمة؟ ويُختم الجزء الأول من القصيدة بدعاء صادق لله أن يبعث في الأمة دعاة مصلحين ينهضون برسالة الإسلام بعد ما أصابها من جفاف وتراجع، فالقصيدة تحمل بُعداً نضالياً روحياً، وتمثل شهادة على الإيمان والصبر في وجه القمع والاحتلال.

¹ ميلود لطيفة غنية، (03 سبتمبر 2010)، الشيخ أحمد سحنون... الحكيم الذي عصته أمته، الشروق اليومي، استرجعت في تاريخ 07 ديسمبر

2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.djazairiss.com/echorouk/58863>

² أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون (حصاد السجن)، منشورات الخير، الجزائر، 2007، ص 221.

³ عبد الحميد الطيب الذي حفظ القرآن في السجن وهو تلميذ الشاعر.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

حُكم عليه بالإعدام، لكن أُطلق سراحه بعد ثلاث سنوات بسبب حالته الصحية، وبعد الإفراج عنه، ساعده المجاهدون على الهروب إلى منطقة باتنة شرق البلاد، ثم إلى مدينة سطيف، حيث واصل نشاطه الوطني بين أبناء شعبه، وخلال فترة سجنه، كان أحمد سحنون مواظباً على متابعة ما كان يصدره الأستاذ سيد قطب¹ من تفسيره: "في ظلال القرآن"²، وكان يقول معبراً عن أثره العميق: "كان الظلال يخرج من السجن في مصر ويدخل السجن في الجزائر".

ظل سحنون في بين السجون والمعتقلات حتى سنة 1959، وبعد الاستقلال، عاد إلى نشاطه الإصلاحية، مُتفانياً في نقل رسالته إلى الأجيال الجديدة، ومظهرًا تفانيه في الدين والعمل، في شعره، يتجلى تأثره بالظروف السياسية والمدارس الأدبية المعاصرة، مثل المدرسة الإحيائية والمهجر وأبولو، خاصة في القصائد التي ألفها أثناء فترة المعتقل خلال الثورة، كما أظهر موهبته في الخطابة، وتجلى ذلك في إصدار ديوانه "أحمد سحنون" وفي دراساته وتوجيهاته الإسلامية التي نشرت في الجزائر في عام 1981³.

كتب أحمد سحنون قصيدة عند خروجه من السجن بعنوان "وداعاً... وداعاً" هي نص شعري مؤثر يجمع بين مشاعر الحزن والأمل، قيلت توديعاً لرفاقه في السجن عند خروجه منه، يستهل الشاعر القصيدة بتكرار كلمة "وداعاً"، ليؤكد عمق الرابطة العاطفية التي تربطه بزملائه، إذ يصوّر نفسه كأخ وفيّ ذاق في صحبتهم الطمأنينة والانسجام، فيقول⁴:

وداعاً وداعاً رفاقي الكرام	وداع أخ لا يخون الذمام
وداع أخ ذاق في قريبكم!	هدوء الفؤاد وطعم الوئام
أودعكم في داعم المقتلين	كأي أساق لموت زؤام
وأخرج كرها فيا من رأى	سجينا إلى سجنه ذا هيام

¹ سيد قطب (1906-1966): هو مفكر وأديب وناقد مصري، وأحد أبرز رموز جماعة الإخوان المسلمين، بدأ حياته الأدبية ناقدًا وشاعرًا وأصدر عدة كتب أدبية، ثم تحوّل تدريجيًا إلى الفكر الإسلامي بعد رحلته إلى الولايات المتحدة، متأثرًا بما شاهده هناك من مظاهر مادية وانحلال أخلاقي، انضم إلى الإخوان المسلمين في أوائل الخمسينيات وأصبح من أبرز منظريهم، وكتب العديد من المؤلفات الفكرية والدعوية، أشهرها "في ظلال القرآن" و"معالم في الطريق"، حيث دعا فيهما إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة المجتمع الإسلامي، تعرض للاعتقال والتعذيب في عهد جمال عبد الناصر، وأعدم عام 1966 بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم، مما جعله رمزًا للفكر الجهادي والحركات الإسلامية في العالم الإسلامي، ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الراحل، دار القلم، دمشق - سوريا، 2000.

² سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، د.ت.

³ ناصر، الشعر...، المرجع السابق، ص 679.

⁴ أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد...، المرجع السابق، ص 64.

رضيت عن السجن من أجلكم وإن كره الناس فيه المقام
فما السجن حبسك في موضع قصي مع الأصدقاء الكرام

تُظهر تجربة أحمد سحنون في السجن خلال الثورة الجزائرية مدى التزامه الفكري والديني بمبادئه الإصلاحية والوطنية، فقد رفض الاستجابة لمحاولات الاحتلال الفرنسي استغلال مكانته للتأثير على الأهالي، وتمسك بموقفه الرافض للتعاون مع السلطات الاستعمارية، ما أدى إلى سجنه والحكم عليه بالإعدام، وخلال فترة اعتقاله، استمر في ممارسة نشاطه الفكري والديني، وواصل الاطلاع على الإنتاجات الفكرية مثل تفسير "في ظلال القرآن" لسيد قطب، مما يعكس استمرارية انخراطه في العمل الدعوي والتربوي رغم ظروف السجن.

3.1. سجن الشاعر محمد الشبوكي

ارتبط الشاعر محمد الشبوكي بعدد من رموز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من بينهم العربي التبسي، عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، وبعد اندلاع ثورة نوفمبر 1954، انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني من خلال خلية نشطت بمدينة الشريعة، ثم التحق رسميًا بالثورة سنة 1955، حيث أسندت إليه مهمة الإعلام والتوجيه في منطقته، عقب تأليفه لنشيد "جزائرنّا يا بلاد الجُدود"، قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية باعتقاله، وظل في المعتقلات إلى غاية 13 مارس 1962 تم الإفراج عنه، والقصيدة التي سجن بسببها تقول¹:

جَزَائِرُنَا يَا بِلَادَ الْجُدُودِ نَهْضُنَا نُحَطِّمُ عَنْكَ الْقَيْدُودِ
سَلَامًا سَلَامًا جِبَالِ الْبِلَادِ فَأَنْتِ الْقَلَاغُ لَنَا وَالْعِمَادُ
وَفِيكَ عَقْدُنَا لِيَوَاءِ الْجِهَادِ وَمِنْكَ زَحْفُنَا عَلَى الْعَاصِيَيْنِ
فَفِيكَ بِرَغْمِ الْعِدَا سَنَسُودُ وَنَعَصِفُ بِالظُّلَمِ وَالظَّالِمِينَ

شاءت الأقدار في شهر فيفري من عام 1956، وبعد ليلة واحدة فقط من استجابته لنداء القادة في الجبال الذين طلبوا منه تأليف نشيد يردده الجنود الأحرار، يشحذ الهمم ويرفع المعنويات، أن يولد من قريحته ذلك النشيد الخالد، ففي الليلة ذاتها التي كتب فيها نشيده الثوري الخالد، كان يعلم في قرارة نفسه أنها قد تكون آخر ليلة يقضيها في بيته، سلّم محمد الشبوكي النشيد صباح اليوم التالي إلى مبعوث جيش التحرير، ولم تكد تمر ساعات حتى ألقت السلطات الفرنسية القبض عليه بمدينة الشريعة، حيث كان يشغل منصب مدير مدرسة الحياة، وذلك بسبب نشاطه

¹ بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر...، مج 2، المرجع السابق، ص 126.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الثوري، اقتحمت قوات الاحتلال منزله، وأمكنت فيه تخریباً، فأحرقت مكتبته الغنية وكل ما كتبه من أشعار قبل الاستقلال.

رغم قسوة الظروف، لم يتوقف عن ممارسة التعليم داخل السجن، فقد صرّح في حوار أجراه معه أبو جرة السلطاني: "كنا نؤدي هذا العمل - التعليم - بطريقة محكمة، أثمرت نتائج طيبة، فعندما خرجت من المعتقل، وجدت أن كثيراً ممن كانوا يتعلمون معنا قد واصلوا دراستهم، وأصبحوا إطارات مثقفة بعدما كانوا أميين أو قرييين من الأمية" ويضيف أبو جرة سلطاني في الحوار نفسه: "كان الشيخ يعقد ندوات أدبية مع إخوانه داخل الغرف القصديرية، رغم القيود الصارمة التي فرضتها إدارة المعتقلات، ففي معتقل بوسوي، تمكّن بمعية نخبة من الأدباء والشعراء من تأسيس حركة ثقافية توجيهية قوية، كانت من أخصب مراحل حياته في الأسر، وقد نظم خلال تلك الفترة عدداً من القصائد، إلا أن الرقابة الاستعمارية مزّقت معظمها، ولم ينبج منها سوى القليل"¹

نُقل الشيخ محمد الشبوكي إلى المعتقلات بعد اعتقاله من طرف السلطات الفرنسية، حيث قضى ست سنوات كاملة في ظروف بالغة القسوة، إلى أن أُفرج عنه في 13 مارس 1962 عقب وقف إطلاق النار، وقد تعرّض خلال فترة اعتقاله لشتى أنواع التعذيب، كما يروي بنفسه: "عانينا في المعتقلات من ممارسات لا إنسانية شتّى! وما أذكره أنّ الجنود الفرنسيين كانوا يداهمون الزنانات ليلاً ونحن نيام، حاملين العصي، فينهالون علينا ضرباً ويفتشوننا بعنف بالغ"².

كما هي عادة العلماء في تحويل السجن إلى فضاء للقراءة والتأمل، قضى محمد الشبوكي سنوات اعتقاله مطالعاً عدداً كبيراً من الكتب الأدبية، غير أنّ الاحتلال، كما يروي الشيخ الشبوكي، لم يكن ليدعهم وشأنهم فيقول محمد الشبوكي: "كانوا يُحاصروننا ويمزّقون كلّ كتاب أو ورقة يعثرون عليها معنا! ورغم أنّي نظمتُ العديد من القصائد أثناء وجودي في المعتقل، إلا أنّ الاحتلال أقدم على إحراقها جميعاً، ولم ينبج من بطشه سوى عدد قليل جداً من الأشعار"³.

يتّضح من خلال تجربة السجن التي خاضها الشاعر محمد الشبوكي أنّه لم يكن مجرد معتقل سياسي، بل كان حاملاً لمشروع فكري وثقافي واجه به بطش الاحتلال، فقد ارتبط منذ بداياته الفكرية والعلمية برموز الإصلاح والدعوة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مثل الشيخ العربي التبسي، وعبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير

¹ أبو جرة سلطاني، "صاحب جزائري يتحدث للإرشاد"، مجلة الإرشاد، ع 17، الجزائر، 1995، ص 08.

² أحمد دوغان، "وقفة مع الشاعر محمد الشبوكي"، جريدة الشعب، الجزائر، 26 أبريل 1983، ص 11.

³ تومي عياد، الشيخ محمد الشبوكي شاعر الثورة الزاهد، منشورات الجاحظية، الجزائر، 2007، ص 34.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الإبراهيمي، وهو ما جعله ينخرط مبكرًا في الثورة التحريرية، إذ التحق رسميًا بصفوفها سنة 1955 ليتولى مهام التوجيه والإعلام، بعد تأليفه لنشيد "جزائرنا يا بلاد الجدود"، ألقي عليه القبض في فيفري 1956، فتعرض بيته للتخريب، وأُحرقت مكتبته وأشعاره، قضى في المعتقلات الفرنسية ست سنوات قاسية، تعرّض خلالها للتعذيب النفسي والجسدي، لكنّه حول السجن إلى منبر تعليمي وثقافي، حيث أشرف على تعليم رفاقه الأسرى، وعقد ندوات أدبية، وكتب قصائد شعرية لم ينبج منها إلا القليل، بسبب مصادرتها أو حرقها من طرف سلطات الاحتلال، لقد شكّلت تجربة السجن لحظة فارقة في مسيرته، حيث جمع فيها بين المقاومة الثقافية والتعليمية، وبين الإبداع الشعري والوعي الوطني، مثبتًا أن الكلمة الحرة قادرة على الصمود حتى في أعنى ظروف القمع.

4.1. سجن الشاعر محمد بوزيدي

انخرط في صفوف الثورة سنة 1957 وهو لا يزال في مقتبل العمر، ضمن المجموعة الفدائية التي كان يقودها عبد الرحمن طالب بحج القصبة، حيث نشأت بينهما علاقة أخوة وصداقة نابعة من دروب النضال المشترك، وبعد استشهاد عبد الرحمن طالب، رثاه بوزيدي بكلمات تنبض بالوفاء والتقدير لمسيرته الجهادية¹.
ألقي عليه القبض من طرف القوات الاستعمارية الفرنسية خلال مدامة نفذها جنود بيجار والضابط ماسو لمنزله، ووجهت إليه تهمة الانتماء إلى المجموعات الفدائية، ما أدى إلى سجنه، وفي السنة نفسها، تمكن من الفرار من السجن والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني، حيث عمل في المجال الإعلامي بصفته محافظًا سياسيًا، مكلفًا بالتعبئة السياسية وتفسير أهداف الثورة وخياراتها الاستراتيجية، وعلى رأسها الكفاح المسلح، كما شارك في تنظيم دروس لمحو الأمية داخل صفوف المجاهدين بهدف رفع مستواهم التعليمي، إلى جانب المساهمة في التوعية الاجتماعية والدينية داخل جيش التحرير، لاحقًا، انتقل للعمل في إذاعة "صوت الجزائر" بتونس، مساندًا الفريق الإعلامي، قبل أن يلحق بالإذاعة السرية "صوت الجزائر الحرة المكافحة" على الحدود الغربية للبلاد، حيث ساهم في دعم العمل الإعلامي الثوري ونقل رسالة الثورة إلى الجماهير وجيش التحرير الوطني عبر الوسائط السمعية.

ويعبر بوزيدي عن مشاعر داخل السجن قائلاً²:

أن أكونَ في السجنِ في القبرِ الرهيبِ	في لظى القضبانِ في الغلِّ المذيبِ
راهنَ الأعصابَ منها را صريعًا	موثَّقَ الأطرافِ للذبحِ القريبِ
موعدي في الليلِ تعذيبٌ وقهرٌ	وانتزاعُ السرِّ من عمقِ القلوبِ

¹ مسعود كواتي، "دور محمد بوزيدي في الإعلام الثوري السمعي"، مجلة المصادر، مج 04، ع 02، 09 نوفمبر 2002، ص ص 139-161.

² محمد بوزيدي، صوت ...، المصدر السابق، ص ص 39-40.

كلّما أغمضتُ عينًا أفجعتني
قد أذلّوا كبريائي وتمادوا
عربيّ الكبر لا يعرف غدرًا
عذبوني واشنقوني اقتلوني
فغداً أحيا ويبعثُ روحي
في ابتسام الطفل يلهو مطمئنًا
ها هنا نفني وفي الأعماق حقًا
موثقي الأيدي ولكن لا نبالي
هم خيالي وسلوى وانتعاشي
إيه أمّي لا أريدُ الدمع يجري
من أراد الذلّ يحيا مثل كلبٍ
والفدائي، وإن أُعدمَ فجرًا
صيحةُ الجلاّد للقتل الرهيب
في احتقار الشهم قهّار الخطوب
أو يخون السرّ في طيّ الغيوب
واحرّقوني علّقوني كالصليب
في النسيم الطلق في الجوّ الرهيب
بلواء العزّ في ثوب قشيب
لم يزلّ فينا كبرهان اللهب
فوراء القضبان فرسان الركوب
وانتصاري وشفاء لكروبي
فوق خديك فذا طبع الحروب
أو أراد المجد يسعى للخطوب
دؤه النور وإشراق الغروب

مشاعر محمد بوزيدي في السجن سنة 1958، عقب تنفيذ حكم الإعدام في الفدائيين شهر أوت، تبرز مزيجًا معقدًا من الألم والفخر، يترجمه في قصيدته "هول النداء" فبدايةً، يعبر الشاعر عن إحساسه العميق بالمعاناة والقهر، مشاهد التعذيب والذل التي يصفها مثل "صيحة الجلاّد" و"تعذيب وقهر" تجسد واقع السجن المظلم والمخيف، حيث يواجه الموت قريبًا في أي لحظة، الألم الجسدي والنفسي في السجن يضاعفه إحساسه بفقدان رفاه الفدائيين الذين أعدموا بوحشية، مما يترك في نفسه جرحًا لا يندمل.

على الرغم من هذه المعاناة، يظهر في القصيدة جانب من الثبات والفخر الوطني الذي يتمسك به بوزيدي، فهو يؤكد على كبريائه كعربي لا يعرف الغدر أو الخيانة، حتى في أحلك الظروف، يرى الشاعر أن مقاومته وصموده أمام التعذيب دليل على قوة شخصيته وإيمانه بعدالة قضيته، عباراته مثل "عذبوني واشنقوني" و"لا نبالي" تُبرز روح التحدي التي يواجه بها جلاّديه، وتؤكد إصراره على التمسك بالمبادئ الوطنية.

في الوقت نفسه، تبرز في القصيدة مشاعر الإيمان العميق بالتضحية كطريق لتحقيق النصر، بوزيدي يرى أن الفداء، حتى بالموت، ليس نهاية بل بداية جديدة، تصوره لـ"ابتسام الطفل" و"النسيم الطلق" بعد الموت يعبر عن يقينه بأن دماء الفدائيين ستثمر حرية وكرامةً لأجيال المستقبل، هذا الإيمان ينعكس في ثقته بأن الثورة ستنتصر مهما بلغ الألم والتضحيات.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

يعبر بوزيدي عن حنينه لأسرته، وخصوصًا والدته، ولكن هذا الحنين يتقاطع مع شعوره بالفخر بتضحياته، في قوله "لا أريد الدمع يجري فوق خديك" يطلب من والدته أن تتقبل مصيره كجزء من طبيعة الحروب، معززًا بذلك مفهوم التضحية كأساس للحرية، مشاعره، إذن، تجمع بين الحزن العميق والثبات المبدئي والإيمان العميق بقدرة الشعب الجزائري على تحقيق النصر رغم كل الآلام.

تعكس تجربة محمد بوزيدي في السجن سنة 1957 السياق العنيف الذي واجه فيه المعتقلون في الجزائر الاحتلال الفرنسي، خاصة أولئك المنتمين إلى الحركات الفدائية، تُبرز قصيدته "هول النداء" التفاعل بين واقع التعذيب الجسدي والنفسي الذي عاشه داخل المعتقل، وبين تمسكه بالهوية الوطنية والكرامة الشخصية، فالشاعر يصوّر السجن كمكان للقهر والموت المعلق، لكنه في الوقت ذاته فضاء يؤكد فيه التزامه بالمقاومة والثبات على المبادئ، كما تعكس الأبيات بُعدًا رمزيًا للموت الفدائي، حيث يتم تقديمه كجزء من مشروع تحرري أوسع يُثمر مستقبلًا أفضل، ويُلاحظ في النص تداخل البعدين الشخصي والوطني، إذ يستحضر الشاعر مشاعر الحنين للعائلة دون أن يتنازل عن قناعته بضرورة التضحية، بذلك، يُمكن اعتبار شعر بوزيدي وثيقة أدبية تؤثّق معاناة المعتقلين والمقاومين، وتعبّر عن وعي وطني ناضج داخل سياق الاحتلال.

4.1. سجن قادة بوطارن

وُلد الكاتب قادة بوطارن بمدينة البيض في الجنوب الغربي الجزائري سنة 1907، وفقد والده وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، تلقى تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى مدينة معسكر في القسم التكميلي لمواصلة دراسته، غير أنّ الظروف المادية حالت دون إتمامه لتلك الدراسة، رغم نبوغه وتفوّقه¹، وإسهامًا منه في إعالة أسرته الفقيرة، التحق بمدرسة تكوين المعلمين ببوزريعة، حيث أجرى تربصًا تكوينيًا تحصل من خلاله على شهادة معلم الطور الابتدائي سنة 1927، بعد ذلك عاد إلى مدينة البيض، بدأ مسيرته المهنية بالتدريس في دوار بريزينة جنوب البيض، ثم نُقل إلى الغاسول²، فتم نقله كمعلم من الغاسول إلى مستغانم ثم إلى البيض ثم لمدينة بريزينة التابعة للبيض أيضا ثم إلى منطقة غريس التابعة إلى معسكر ومن ثم إلى معسكر وحين لم تفلح هذه التحويلات في إيقافه عن الكتابة التي زاوها كل هذه المدة ففي كل منطقة جديدة يتخذ اسما مستعارا جديدا ينشره في الصحف، هكذا حتى

¹ K. Bouterne, Op.cit, p30.

² بدوادمير، (26 مارس 2018)، قادة بوطارن المناضل الوطني، الروائي والباحث، الجمهورية، استرجعت في تاريخ 07 جويلية 2022، من الموقع الإلكتروني: <https://www.djazairiss.com/eldjournhouria/138337>

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

نفيه من الغرب وأصبح معلما بالقيطون على حدود تونس ولكنه لم يتوقف أيضا عن ازعاج فرنسا فنفته نحو بشار ثم تيارت¹.

في هذه الفترة ربما يُعزى عدم اتخاذ قرار بسجن بوطارن أو تعذيبه أو اغتياله إلى انتمائه الحزبي والسياسي، إضافة إلى قربيه من فرحات عباس، إذ كانت فرنسا حريصة على تجنب افتعال أزمات جديدة أمام الرأي العام، خاصة في ظل انخراطها في الحرب العالمية الثانية، ومع نهايتها، تولى بوطارن مسؤولية تنظيم المظاهرات في تيارت²، الأمر الذي أدى إلى اعتقاله لاحقًا، وبموجب قرار وقّعه جاك سوستال (Jacques Soustelle)، مُنع بوطارن من دخول غرب الجزائر، ما دفعه للانتقال إلى فرنسا، حيث أُكلت إليه مهام تتعلق بالثورة التحريرية، ومن هناك أُرسِل إلى مدينة فاس المغربية لتولي مسؤولية الصحافة والإذاعة، كما أقام علاقات مع عبد الحفيظ بوصوف في شرق المغرب. سياسيًا، لعب بوطارن دورًا مهمًا في التعريف بالقضية الجزائرية وكسب تأييد الدول اللاتينية، وعددها ست عشرة دولة، رغم تهديدات فرنسا لها، ومن الطرائف التي يرويها ابن أخ الكاتب قادة بوطارن، أنه خلال إحدى جلسات مجلس الأمم المتحدة، كان جاك سوستال يجلس بجوار بوطارن.

يُعتبر قادة بوطارن من أبرز المناضلين في الجنوب الغربي الجزائري الذين انضموا مبكرًا إلى الحركة الوطنية، انخرط في صفوف اتحاد الديمقراطيين من أجل البيان الجزائري³ (UDMA) بقيادة فرحات عباس الذي كان يختار معاونيه بعناية من النخب والمؤمنين بالعمل السياسي وفق رؤيته⁴، وحقق تقدماً ملحوظاً في نشاطه السياسي، حيث انتُخب نائباً في الجمعية التأسيسية ممثلاً عن الشعب الجزائري ضمن قائمة الحركة، في انتخابات الجمعية الجزائرية التي جرت

¹ مكالمة هاتفية مع: محمد لعرج بوطارن، 20 أبريل 2024، الساعة 19:30، حول حياة قادة بوطارن.

² شهدت ولاية تيارت خلال أحداث 8 ماي 1945 حراكًا شعبيًا بارزًا، حيث اندلعت مظاهرات ماثلة في مدن أخرى مثل وهران في السادس من مارس 1945، وقد شكلت هذه الأحداث منعطفًا حاسمًا في الحياة السياسية الجزائرية، إذ عبّرت الجماهير الشعبية عن هويتها الوطنية ورفضها لواقع احتكرته أقلية أوروبية، وانطلقت شرارتها من الشرق الجزائري قبل أن تمتد إلى مختلف المناطق، وفي تيارت، سجلت لجنة حزب أحباب البيان والحرية مشاركتها الفاعلة، حيث قُدر عدد المتظاهرين بحوالي ألف شخص، قادهم كل من الدكتور بن سونة وقادة بوطارن، ورفعوا شعارات من بينها: "من أجل حرية الشعب الجزائري" و"تحيا الجزائر مستقلة"، ينظر:

A.O.M, boîte 926/84, Surveillance des milieux musulmans, rapports et télégrammes, mai-juin 1945, ANOM, disponible sur : https://recherche-anom.culture.gouv.fr/archive/fonds/Franom_01567/view:201702

³ اتحاد الديمقراطيين من أجل البيان الجزائري: الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري حزب سياسي جزائري أسسه فرحات عباس سنة 1946، وقد تبنى فكرة المطالبة بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين ورفض الاستعمار، لكنه في البداية لم يكن ينادي بالاستقلال الكامل بل بإصلاحات داخل إطار فرنسا، لعب الحزب دورًا مهمًا في الدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية للجزائريين، وجمع حوله عددًا من المثقفين والناشطين السياسيين، بعد اندلاع الثورة الجزائرية سنة 1954، فقد الحزب تأثيره تدريجيًا، خاصة بعدما التحق فرحات عباس بجهة التحرير الوطني سنة 1956، ما أدى لاحقًا إلى حل الحزب واندماج أغلب أعضائه في الحركة الوطنية الثورية، ينظر:

Malika Rahal, *L'UDMA et les udmistes*, Barzakh, Alger, 2017, 517 p.

⁴ Aéa, Résultats définitifs des élections législatives de 1948, premier et deuxième collèges, documents administratifs, <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k3351031j/f17.item.r=BOUTARENE,%20Kadda>.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

في 4 و 11 أبريل 1948، فاز بوطارن بمقعد في الكلية الثانية المخصصة للمسلمين، إلى جانب ستة من أبرز الشخصيات مثل فرحات عباس، عبد السلام بن خليل، أحمد فرانسيس، عبد الباقي بن قرة، علي قادي، ويوسف بن عبيد¹.

في عام 1948، انتُخب نائباً ضمن الكلية الثانية المخصصة للمسلمين، وشارك في الجمعية الوطنية كأحد النواب السبعة الممثلين للحزب، خلال الثورة الجزائرية، اشتبهت السلطات الفرنسية بتورطه في دعم جبهة التحرير الوطني، وهو ما ثبت لاحقاً، وبعد الاستقلال في 1962 عُيِّن والياً على ولاية تيارت²، ثم شغل منصباً رفيعاً في إحدى وزارات الحكومة الجزائرية.

ومع اندلاع الثورة التحريرية، التحق بوطارن بصفوفها، حيث تولى مسؤولية الإعلام في جبهة التحرير الوطني، كما عمل محرراً في جريدة المجاهد، ثم في وكالة الأنباء الجزائرية³ عند تأسيسها سنة 1961.

عن سبب عدم شهرة بوطارن يقول محمد لعرج بوطارن أن الكاتب كان لا يحب الأضواء خصوصاً بعد الاستقلال قرر الانزواء بنفسه والتقاعد المبكر فقد كانت شخصيات بعد الاستقلال تركض للنيل بأرقى الوظائف بينما أحب بوطارن الابتعاد سنة 1969 ووهب بقية حياته لتربية ابن أخيه، وكتابة مذكراته الشخصية⁴.

أصدر قادة بوطارن في عام 1982 كتاباً بعنوان "الأمثال والأقوال الشعبية الجزائرية: بالأمثال يتضح المقال"، في 328 صفحة⁵، عن مكتب النشر الجامعي بالجزائر، ثم أصدر في عام 1986 كتاب "ديلا وسي عزوز: الأرملة وأخو الباش آغا"، الذي جاء في 255 صفحة، ونشرته المؤسسة الوطنية للكتاب، وفي عام 1990، نشر كتابه "قدور (3): من بريزينة إلى قصر بوريون، مسار مناضل"، الذي بلغ 231 صفحة، وصدر أيضاً عن المؤسسة الوطنية للكتاب.

¹ Ferhat Abbas, *La nuit coloniale*, Paris, R. Julliard, 1962, p 137.

² Ministère de l'Intérieur, (23 novembre 1962), *Journal officiel de la République algérienne*, (N° 5), p 55, Consulté via Gallica – Bibliothèque nationale de France:

<https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k9775029g.r=BOUTARENE%2C%20Kadda?rk=21459;2>

³ وكالة الأنباء الجزائرية: هي وكالة الأنباء الرسمية في الجزائر، تأسست سنة 1961 خلال الثورة التحريرية، لتكون صوتاً إعلامياً يعبر عن تطلعات الشعب الجزائري وينقل أخباره إلى الداخل والخارج، لعبت الوكالة دوراً مهماً في تغطية أحداث الثورة وفي دعم القضية الجزائرية على الصعيد الدولي، واستمرت بعد الاستقلال في تقديم الأخبار والتقارير بمختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لتصبح مؤسسة إعلامية محورية في المشهد الإعلامي الوطني، ينظر: وكالة الأنباء الجزائرية، استرجعت في 05 ماي 2025، على الموقع: [/https://www.aps.dz](https://www.aps.dz)

⁴ مكلمة هاتفية مع محمد لعرج بوطارن يوم 20 أبريل 2024 على الساعة 19:30 بخصوص حياة ابن أخته قادة بوطارن.

⁵ Kadda Bouterne, *Proverbes et dictons populaires algériens*, office des publications universitaires, réimpression, Alger, 1991.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

نشر أيضًا في عام 1982 كتابًا بعنوان "الأمثال والأقوال الشعبية الجزائرية"¹ بلغت 328 صفحة، نشره مكتب النشر الجامعي في الجزائر، يتجاهل المشهد الأدبي لدينا، عند الحديث عن الثلاثيات التي أثرت في تاريخ الأدب الجزائري، الإشارة إلى الرواية السيرية التي ألفها الكاتب قادة بوطارن (1907-1996) باللغة الفرنسية، وهي ثلاثية تتألف من ثلاثة أجزاء: "قدور، طفل جزائري، شاهد على بدايات القرن"، والتي نُشرت عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في عام 1982، و"قدور، شاب جزائري، عشية حلول مئوية الاحتلال الاستعماري" التي نُشرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب في عام 1986، بالإضافة إلى "قدور، من بريزينة إلى قصر بوريون، مسار مناضل" التي نُشرت أخيرًا عن المؤسسة الوطنية للكتاب في عام 1990.

في مذكراته²، يتحدث قادة بوطارن عن القمع الاستعماري الذي تعرض له العديد من المفكرين والكتاب الجزائريين، والذين وقعوا ضحايا للسياسات القمعية التي فرضها الاحتلال الفرنسي، يتطرق بوطارن إلى تجربة السجن التي مر بها العديد من هؤلاء الأدباء الذين أدبنوا بنضالهم الفكري أو السياسي، إن السجن كان أداة قمعية رئيسية استخدمها الاحتلال لشل أي محاولة للاحتجاج أو التعبير عن الأفكار الوطنية، يُظهر قادة بوطارن في مذكراته كيف أن قادة حركة التحرير كان يتعرضون للاعتقال من قبل السلطات الاستعمارية، مثلما حدث مع العديد من المثقفين الذين تم إبعادهم عن مجتمعاتهم بغرض تدمير أي وعي مقاوم.

من خلال مذكراته، يسلط الضوء على حالة قادة بوطارن الذين تم اعتقالهم وتعذيبهم بسبب نشاطاتهم الثورية والنضالية، يصف بوطارن الظروف القاسية التي مروا بها داخل السجون الفرنسية، حيث لا يكاد يظهر أحدهم إلا مع الملامح التي كستها آثار التعذيب، فيقول: "لقد تم نقلنا إلى سجن فورت دي نوتر، مكان يُعتقل فيه من كانوا يقاومون الاحتلال، وأصبحنا مجرد أرقام في سجلات السجون الاستعمارية"³، هذا الاقتباس من مذكراته يعكس بوضوح كيف تم استخدام السجون كوسيلة لتهشيم إرادة المقاومين من خلال إفقادهم هويتهم، وجعلهم مجرد أرقام في سجلات النظام الاستعماري.

السجون لم تكن مجرد أماكن احتجاز جسدي، بل كانت تهدف إلى سحق روح الأدباء والمفكرين الجزائريين، وهو ما يظهر من خلال رواية بوطارن لمشاهد الحياة اليومية داخل السجون، حيث يعانون من الجوع والحرمان، ويتعرضون لتجارب نفسية صعبة تؤثر على قوتهم الفكرية، فيقول: "كنا نشعر بألم جسدي عميق، لكنه كان لا يُقارن بالألم النفسي الذي يسببه العزل عن الحياة الثقافية والفكرية"⁴

¹ Kadda Bouterne, *Diela et Si Azzouz : la veuve et le frère du Bach Agha*, ENAL, Alger, 1986.

² Kadda Bouterne, *Kadda Kaddour (2): un adolescent algérien à la veille du centenaire de l'occupation coloniale*, ENAL, Alger, 1986.

³ K. Bouterne, Op.cit, pp190-200.

⁴ Ibid.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

كما يشير بوطارن إلى دور السجن في قتل الفكر والابتكار، حيث كان الأدباء الجزائريون في السجون يُجبرون على العيش في عزلة تامة، بعيداً عن أي إمكانية للتعبير عن أفكارهم أو نشر كتاباتهم، إن هذا القمع الممنهج كان جزءاً من سياسة الاحتلال الفرنسي التي تهدف إلى تدمير الهوية الجزائرية بكل جوانبها، سواء من خلال السجن أو من خلال التضيق على الحريات الأدبية والفكرية.

لقد دفع قلق قادة بوطارن العميق من الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تمر بها الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي إلى الانخراط المبكر في النضال الوطني، حيث بدأ هذا النضال عبر قلمه في الصحافة، مستخدماً الكتابة كوسيلة للتعبير عن معاناة شعبه وفضح سياسات الاحتلال، ومع تصاعد الوعي السياسي لديه، انتقل بوطارن من الصحافة إلى العمل السياسي، منخرطاً في صفوف اتحاد الديمقراطيين من أجل البيان الجزائري بقيادة فرحات عباس، قبل أن يتوسع دوره لاحقاً ليشمل العمل الدبلوماسي، مسهماً في التعريف بالقضية الجزائرية على المستوى الدولي وكسب تأييد الدول الداعمة للثورة التحريرية.

لقد شكّل السجن أحد أبرز أدوات القمع التي استخدمها الاحتلال الفرنسي لإسكات الأدباء والمفكرين الجزائريين وشلّ حركتهم النضالية والفكرية، يُظهر مسار قادة بوطارن كيف حاولت السلطة الاستعمارية تقييد نشاطه عبر التنقلات التعسفية والنفي المستمر، وحين فشلت هذه الأساليب لجأت إلى اعتقاله، خاصة مع تصاعد دوره السياسي وتنظيمه للمظاهرات في تيارت، في مذكراته، يوضح بوطارن أن السجن لم يكن مجرد وسيلة لعزل الجسد، بل كان أداة لتدمير الروح والهوية الفكرية، إذ جعل مناضلي الحركة الوطنية مجرد أرقام في سجلات القمع، وسعى إلى كسر إرادتهم من خلال التعذيب والعزل النفسي والتجويع والحرمان من الحياة الثقافية، يكشف بوطارن بذلك أن السجون الاستعمارية لم تكن مكاناً للاحتجاز فقط، بل مختبراً للقمع الممنهج ضد كل من تسوّّل له نفسه رفع صوته دفاعاً عن حرية الجزائر وهويتها.

6.1. سجن رمضان حمود

واجه حمود رمضان محنة القهر والتعسف بسبب أفكاره الثورية المناهضة للاستعمار، فكان انتماءه العميق لوطنه وشعبه، منذ شبابه، دافعاً لدخوله السجون برفقة الأحرار الآخرين، هكذا بدأت حكاية من التضيق عليه، بهدف انتهاك فكره وقمع طموحاته، إلا أنه ظل الابن المخلص للجزائر، حيث تمازج حب الوطن بدمه وصار جزءاً لا يتجزأ من كيانه وروحه، وفي تعبيره عن هذا الشعور، يقول حمود: "أحب وطني حباً جماً، ولو تراكمت الصعوبات

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

فوق أرضه، ومُسْتَه الأُماء¹، فهو ملكي، وأنا ملكه"، مما يؤكد أن ثورته لم تكن مجرد اندفاع عابر بل كانت تعبيراً عن عقلٍ مفكر تربى على القيم الإسلامية، فقد أسهمت ثقافته الإسلامية، المستمدة من مجالات كـ "الفتح"² و"الهداية الإسلامية"، في توجيهه نحو الطريق الصحيح، فكانت كلماته وأفعاله تعكس تمسكه العميق بالإسلام، ويقول حمود: "لا نستطيع العيش بدون دين، فهو يمنحنا القوة الروحية التي تحفزنا على القيام بالواجبات"، مشيراً إلى أن حلاوة الدين تكمن عنده في أداء واجباته تجاهه بكل اجتهاد وتفانٍ، مما جعل الدين والوطن يشكلان جوهر روحه ونضاله³.

حياته القصيرة، التي لم تتجاوز الثلاث والعشرين سنة، كانت مليئة بالجهاد الأدبي، ولم يسلم من مرض السل⁴ الذي بدأ يأكل رثتيه أثناء دراسته في تونس، ورغم الحاجة إلى الراحة بناءً على نصيحة الأطباء، إلا أن شخصاً مثله لم يمكنه البقاء هادئاً، فعاد إلى غرداية مسقط رأسه في عام 1929، وهو في زمن الحركة الشبابية، لكنه فارق الحياة وهو يشعر بالوحدة والحنين للوطن والأحباب، وانطفأ بهذا ضوء كان يضيء طريق الجماهير في عصر من الجهل والظلام، ولذلك فليس من الغريب أن يُنعى من قبل رفاقه، وكما ورد في مجلة الشهاب الأسبوعية، فقد كان حمود يُعتبر شاعراً فقيداً، وتظهر في الأعمال الأدبية التي تركها حمود آثاره البارزة، فقد وردت قصائده في جريدتي الشهاب ووادي ميزاب، وتم نشر كتابه "بذور الحياة" في تونس عام 1928، الكتاب الذي يحتوي على مجموعة من الأفكار

¹ كثرة الأُم.

² مجلة الفتح: هي مجلة إسلامية أسبوعية تأسست في القاهرة سنة 1926 برئاسة تحرير محب الدين الخطيب، وصدرت عن دار النشر السلفية بدعم من أحمد تيمور باشا، شكّلت المجلة منبراً فكرياً بارزاً للحركة الإسلامية في النصف الأول من القرن العشرين، حيث دافعت عن قضايا المسلمين، وردّت على الحملات الاستعمارية والتبشيرية، وروّجت للفكر السلفي والنهضوي الحديث، ارتبطت المجلة في بداياتها بجمعية الشبان المسلمين، ثم دعمت جماعة الإخوان المسلمين منذ الثلاثينيات، خاصة بعد توقف مجلة المنار سنة 1936، فأصبحت بمثابة صوت رئيسي للتيار السلفي الإصلاحي، استمرت المجلة في الصدور حتى عام 1948، وقد شارك في الكتابة فيها عدد من أبرز أعلام الفكر الإسلامي مثل حسن البناء، شكيب أرسلان، مصطفى صادق الرافعي، وعلي الطنطاوي، ينظر: أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإسلامية، القاهرة، دار الأنصار، 1986، ص 123.

³ بوطارن، رمضان حمود...، المرجع السابق، ص 57.

⁴ في فترة الاستعمار الفرنسي، كان مرض السل منتشرًا بشكل واسع في الجزائر، وقد شكّل إحدى أبرز مظاهر التدهور الصحي الذي عانى منه الجزائريون تحت الحكم الاستعماري، فقد ساهمت السياسات الاستعمارية في خلق بيئة اجتماعية واقتصادية هشة، اتّسمت بالفقر، وسوء التغذية، والاحتفاظ السكاني، وسوء السكن، وكلها عوامل ساعدت على تفشي هذا المرض، لم يكن القطاع الصحي في متناول الجزائريين، إذ خُصّصت الموارد الصحية بشكل كبير للمعمّرين الأوروبيين، بينما كانت تغطية العلاج والتلقيح محدودة جدًا لدى الأهالي، أمام هذه الأوضاع، تحوّل السل إلى "مرض الفقراء"، وأداة من أدوات الإهمال البيئي التي كرّستها الإدارة الاستعمارية، ورغم معرفة السلطات الفرنسية بخطورة المرض، فإنّ الجهود المبذولة لمكافحته في الأوساط الجزائرية بقيت محدودة، وتفتقر إلى الإرادة السياسية الحقيقية ولم تبدأ بعض الإجراءات الوقائية والعلاجية تُطبّق بشكل أوسع إلا في الأربعينيات، بعد ضغط أطباء ومصلحين، ولكنها لم تكن كافية أمام حجم انتشار المرض ومعاناة السكان المحليين، ينظر:

Yvonne Turin, *Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale: écoles, médecines, religion, 1830-1880*, François Maspero imprimerie, Paris, 1971, pp 306-307.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

والخواطر التي كتبها وهو يعيش في تجربة الحياة الواقعية بكل جوانبها، وقد صدر له كتاب آخر بعنوان "الفتى"، وهو سيرة ذاتية لحياته، حيث ظهر الجزء الأول منه في عام 1929 بتونس، ولكنه لم يتمكن من إكمال الجزء الثاني¹.

يُعتبر الشاعر رمضان حمود من أبرز الأدباء الجزائريين الذين ذاقوا مرارة السجن الاستعماري بسبب مواقفهم الوطنية، ومع ذلك، لم يرَ حمود في السجن مكانًا للخضوع والانكسار، بل اعتبره قصرًا منيعًا ومدرسة يتعلم فيها الأحرار مقاومة الظلم، وقد عبّر عن ذلك في شعره قائلاً²:

سمعت بأن السجن أضيق من قبرٍ	فالقَيْثُ قمرَ السجن أحسن من قصر
فماذا يفيد القصر والقلب بنضاله؟	وماذا يضر السجن من كان ذا قدر
ومن لم يذق طعم الردى بنضاله	سيشكو الأذى والدمع من عينه يجري
يعيش كئيبا حائرا طول دهره	يرى صروف الدهر عسرا على عسر

قد ألقي به في غياهب السجن عام 1925 إثر حادثة وطنية شهدتها غرداية، إذ كان حبّه لوطنه وإيمانه بقضاياه الكبرى سببًا في أن تطاله يد الاحتلال الفرنسي، فيزجّ به خلف القضبان وهو لما يتجاوز العشرين من عمره، إلى جانب ثلة من الأحرار³، كتب الشاعر الجزائري رمضان حمود قصيدته عن السجن وهو رهن الاعتقال، لتكون شهادة أدبية وتاريخية على وعيه السياسي المبكر والتزامه الوطني في وجه الاحتلال الفرنسي، تعكس هذه القصيدة الارتباط الوثيق بين التجربة النضالية وفضاء القهر، حيث يصوّر الشاعر السجن لا كفضاء للذل والانكسار، بل ك"مدرسة يتعلم فيها المهضومين كيف يقاومون الاستبداد والظلم"⁴، وكأنها محراب يُلقّن فيه الأحرار دروس التضحية، هذه الرؤية تتقاطع مع خطاب الحركات التحررية في بدايات القرن العشرين، التي كانت ترى في الألم طريقًا للنهضة، وفي السجن اختبارًا أخلاقيًا للثبات على المبدأ.

أدبيًا، يتجلى في النص صوت نثري شعري يُعبّر عن موقف فكري ملتزم، في لغة تمزج بين الحكمة والتحدي، فالكاظم لا يكتفي بإدانة الاستبداد، بل يعيد تأطير المعاناة كشرط ضروري لكل تحرر: "إن الحرية لا تؤسس إلا على السجون"⁵، في تماهٍ مع تجارب الثوار والمفكرين في العالم، ويبرز البعد الرمزي في قوله: "السجن جسر بين المرء

¹ بوطارن، رمضان حمود...، المرجع السابق، ص 67.

² ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008، ص 217.

³ صالح خرفي، حمود رمضان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 53.

⁴ حمود بن سليمان رمضان، بذور الحياة، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018، ص 60.

⁵ نفسه، ص 61.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

والعظمة"، إذ يتحول الفضاء العقابي إلى محرك للكرامة والعزة، كما يربط بين الماضي الثوري الأوروبي والحاضر الجزائري حين يكتب: "إن للباستيل أيادي بيضاء على عظمة فرنسا"، مُلمِّحًا إلى أن الظلم حين يبلغ مداه يُصبح حافزًا على الثورة، لا أداة لردعها، القصيدة بذلك شهادة مبكرة على ميلاد الوعي القومي الجزائري، وسط ركام القهر الكولونيالي.

يرى رمضان حمود الحرية رؤية مزدوجة تتأرجح بين الجمال والفرح، فهو يصفها بأنها نور الله الذي ينير طريق الإنسان في هذا العالم المظلم، ما يجعلها غاية نبيلة ومقدسة، لكنها في الوقت ذاته فظيعة لأن الوصول إليها مخوف بالدماء والأهوال في تصور حمود، لا تكون الحرية مجرد مطلب سياسي أو اجتماعي، بل هي جوهر الكرامة الإنسانية، ومن لا يشعر بالألم لفقدانها أكثر من فقدان المال والأهل، فهو في نظره "ليس بإنسان ولا حيوان، وإنما حجر جامد" هذا التصور يعكس وعيًا مبكرًا بأهمية الحرية كقيمة أخلاقية وروحية، تستحق أن تُبذل من أجلها التضحيات، ويجعل من فقدانها موتًا معنويًا يفرغ الإنسان من إنسانيته، فيقول في 27 جويلية 1928¹:

لا تلمني في حبها وهواها، لست أختار ما حبيت سواها
هي عيني ومهجتي وضميري، ان روحي وما اليه فداها
ان عمري ضحية لأراها، كوكبا ساطعا ببرج علاها
فهنائي موكل برضاها، وشقائي مسلم لشقاها
ان قلبي في عشقها لا يبال، تنطوي الأرض، أم يخر سماها
قد قضى الله ان تكون كصوت، وقضى ان يرد روحي
صداها

ان في العشق رحمة وعذابا، وعذاب العشق شوب جناها

لأنه يحمل هذه الأفكار الثورية الجريئة، لم يكن غريبًا أن يلاحقه الاحتلال بالقمع والسجن، فسُجن وهو دون العشرين من عمره، ليبدأ فصلًا جديدًا من التضيق عليه ومحاوله خنق أفكاره في مهدها، ومع ذلك، ظل الابن البار للجزائر، المحب لوطنه.

إذن فقد واجه الشاعر رمضان حمود تجربة السجن في شبابه بسبب أفكاره الوطنية ومواقفه الثورية المناهضة للاستعمار الفرنسي، إذ كان انتماءه العميق لوطنه ودفاعه المستميت عن قضاياها سببًا في أن يزج به في السجن قبل بلوغه العشرين، إلى جانب ثلة من الأحرار، لم ينكسر حمود خلف القضبان، بل رأى في السجن مدرسة للحرية

¹ رمضان، "الحرية"، وادي ميزاب، ع93، 27 جويلية 1928، ص 04.

وميداناً لصقل الإرادة، معتبراً أن السجون لا تزيد الأحرار إلا إصراراً على النهوض، وهو ما عبّر عنه في شعره وكتابات، شكّلت الحرية عند حمود قيمة عليا لا تقلّ أهمية عن الحياة نفسها، إذ تغنى بها بإخلاص، معتبراً أنها جوهر النضال وغاية الكفاح، حتى وإن كان الطريق إليها مفروشاً بالدماء والتضحيات، ومع أن المرض أرهقه وأضعف جسده، فإن روحه بقيت مشتتة بحب الوطن، فترك أثراً خالداً في الشعر الجزائري المقاوم، لا سيما في ديوانه «بذور الحياة» وسيرته الذاتية "الفتى"، مما جعله رمزاً للأدب الملتزم ونموذجاً للشاعر الذي حمل هموم وطنه حتى آخر لحظة من حياته القصيرة.

7.1. سجن مفدي زكرياء

انضم مفدي إلى حزب نجم شمال إفريقيا في أوائل شهر أوت سنة 1936، وكتب نشيده الشهير "فداء الجزائر"، وتولى قيادة الحزب داخل الجزائر عقب مغادرة الزعيم مصالي الحاج للبلاد، كما تولى أيضاً مسؤولية قيادة حزب الشعب الجزائري في الجزائر قبل عودة مصالي، الأمر الذي أدى إلى اعتقاله مع عدد من قادة الحزب، حيث قضى سنتين في السجن بين 27 أوت 1937 و27 أوت 1939.

في 04 ماي 1937، كتب عبد العزيز علاوة أحمد، برفقة من وصفهم بالأحرار الوطنيين الجزائريين، مقالاً في إحدى الجرائد العربية الجزائرية، عن اعتقال الشاعر مفدي زكرياء، بعنوان "ضحايا الأحكام الزجرية بالجزائر"، قال فيه: "في 12 ديسمبر الماضي، كلف حزب نجم إفريقيا الشمالية المخطور اثنين من أبرز قادته، وهما المجاهد الشاعر الوطني مفدي زكرياء، رئيس اللجنة التنفيذية للحزب، والسياسي البارح الحسين الخطيب، الكاتب العام للحزب، بإقامة اجتماع في البلدة لإحياء ليالي رمضان، ألقى كلاهما محاضرتين؛ الأولى حول (الوطنية والدين) والأخرى حول الذاتية الجزائرية ومشروع فيوليت، في إطار من الحكمة والقانون، غير أن السلطات المحلية رفعت دعوى ضدهما بتهمة التآمر ضد أمن الدولة والدعوة للثورة والعصيان، وغيرها من التهم... قام الوزير رينبي (Renbi) بوضع حيثيات قانونية جعل منها سلاسل أحكم بها تقييد الشاعر الجزائري، مُعاقباً إياه على تضحياته، وقد افتتحت سجلات التحقيق في القضية وحدد موعد المحاكمة في 28 ماي 1937 بمحكمة الجزاء في البلدة، إن الأمة الجزائرية، بأسرها، تشعر بالألم والحزن، وتشعر بالاستياء والغضب إزاء هذه المعاملات القاسية التي يتعرض لها أبنائها في عصر يُفترض أنه عصر الحرية والعدالة والمساواة"¹.

¹ ناصر، مفدي زكرياء... المرجع السابق، ص 59.

خلال هذه التجربة الأولى في السجن تحديدا في سجن بربروس، نظم مفدي زكرياء يوم 29 نوفمبر 1937 نشيد "الشهداء" (اعصفي يا رياح)، وقد جرى توزيعه على شكل منشور في حي القصبة خلال شهر جويلية 1938، ليصبح لاحقا نشيدا يتغنى به الشباب قبل وصولهم إلى المقصلة¹.

تعرض للاعتقال مجددا سنة 1940، وحُكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر، وبعد مجازر ماي 1945، أُلقي عليه القبض للمرة الثالثة وسُجن لثلاثة أشهر، إثر خروجه، واصل نشاطه السياسي في صفوف حزب "الانتصار للحريات الديمقراطية" الذي تأسس مطلع عام 1947، ليحل محل حزب الشعب بعد حله، وفي عام 1949، أودع السجن للمرة الرابعة لمدة شهرين، ثم عاد إليه مرة أخرى عام 1951 وهي المرة الخامسة، حيث قضى ستة أشهر خلف القضبان².

اعتقلته السلطات الاستعمارية في 12 أبريل 1956، وهذا سجنه السادس، حيث أودع أولا سجن بربروس، ثم نُقل إلى معتقل برواقية، كما تمت مصادرة أمواله، وبعد ثلاث سنوات من السجن، أُفرج عنه، فغادر الجزائر إلى المغرب في 13 مارس 1959، ثم انتقل إلى تونس، حيث واصل نشاطه الثقافي بالمساهمة في الصفحات الأدبية لجريدة المجاهد حتى سنة 1962³.

بينما كان مفدي زكريا يقبع في زنزانه رقم 375 بسجن البرواقية، كتب قصيدته الشهيرة "اقرأ كتابك" في الذكرى الرابعة لانطلاق الثورة الجزائرية في 1 نوفمبر 1958، بأسلوب خطابي متقد، عبر زكريا عن إيمانه العميق بقضية التضحية من أجل الوطن، ووجه كلماته القوية إلى رفاقه ليستنهض همهم ويحفز العمال على مقاومة المحتل، فلقد عاش مفدي زكريا تجربة السجن ثم الفرار منه، وارتضى المنفى، حيث استمر في الكتابة للوحدة المغاربية ودعم قضايا المغرب وتونس تحت لواء وحدة المغرب العربي⁴.

1 نفسه، ص 35.

2 العروسي، أعلام من الأدب...، المرجع السابق، ص 109.

3 ناصر، مفدي زكرياء...، المرجع السابق، ص 40.

4 سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، المرجع السابق، ص 489.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

السجن لم يُسكت صوته، بل على العكس، فقد كتب داخله واحدة من أشهر قصائده على الإطلاق، وهي "قسما"، النشيد الوطني الجزائري الحالي، كتبها سنة 1955 في الزنزانة، وهزّتها إلى خارج السجن، حيث لحنها لاحقًا الموسيقار المصري محمد فوزي¹.

تكشف تجربة مفدي زكرياء السياسية والسجنية عن التداخل العميق بين النضال الوطني والعمل الثقافي في الجزائر تحت الاحتلال، فقد انخرط مبكرًا في صفوف حزب نجم شمال إفريقيا، ثم تولى مسؤوليات تنظيمية عليا في حزب الشعب، مما جعله عرضة للاعتقال المتكرر بين 1937 و1956، حيث قضى سنوات متقطعة في سجون بربروس والبرواقية وغيرها، دون أن تنكسر إرادته أو يتوقف قلمه، فقد تحوّلت الزنازين إلى منابر شعرية وطنية، أنشد منها "قسما" و"اعصني يا رياح" و"اقرأ كتابك"، مجسّدًا بذلك رمزية الشاعر المقاوم، الذي جعل من الكلمة أداة مقاومة موازية للبندقية، ومن المنفى امتدادًا لمعركة التحرير، مساهمًا من تونس في المشروع المغاربي التحرري حتى استقلال الجزائر.

2. الإقامة الجبرية:

1.2. الإقامة الجبرية لعمر بن قدور

عمر بن قدور الجزائري، منذ إصدار العدد الأول من صحيفة الفاروق في 28 فيفري 1913، اعتبر النشاط السياسي بمثابة "كارثة كبيرة"، ودعا الله أن "يجنبه السياسة ومكائدها"، كما أطلق "لعنته" على أولئك "الضعفاء الذين يشاركون في السياسة ويخوضون معركة لا أمل فيها"، واعتبر جميع السياسيين "كذّابين محترفين، ومنافقين مكرين قد يقودون المسلمين إلى مشاكل بلا حلول"، كما وجه نداء للمسلمين بضرورة احترام السلطة الفرنسية ومساندتها في مهمتها التنويرية، مؤكّدًا أن "نحن بحاجة إلى فرنسا من أجل احترام قوميتنا وديننا وأخلاقنا" (20 فيفري 1914)، وقد كان عمر بن قدور يدعو المسلمين إلى الابتعاد عن السياسة وإفساح المجال للاستعمار، لكنه لم ير السياسة تجسّدًا في الاحتلال ذاته بل في السياسيين المسلمين الذين تجمعوا حول صحيفة الإسلام، واتهمهم بـ "خداع فرنسا

¹ محمد فوزي (1918-1966): يُعد أحد أبرز أعلام الموسيقى والغناء في العالم العربي خلال القرن العشرين، وقد امتد تأثيره ليشمل الأبعاد السياسية والثقافية، لا سيما من خلال تلحينه للنشيد الوطني الجزائري "قسما" عام 1956. فعندما طُلب منه من قبل ممثلي جبهة التحرير الوطني الجزائرية، أثناء وجوده في إذاعة "صوت العرب" بالقاهرة، أن يلحن قصيدة مفدي زكريا التي كتبت في السجن، قبل المهمة بروح قومية، رغم اعتراض بعض الأصوات في الإذاعة الذين رأوا فيه ملحنًا للأغنية الخفيفة لا للنشيد الوطني، إلا أن فوزي أبدع لحنًا حماسيًا صار منذ الاستقلال رمزًا للنضال والهوية الجزائرية، وقد كان هذا الإنجاز تنويجًا لمسيرة فنية ثرية بدأها مبكرًا في طنطا، وامتدت لتشمل التمثيل والإنتاج الموسيقي، حيث أسس شركة "مصرفون" التي نافست كبريات الشركات الأجنبية، ورغم رحيله المبكر عام 1966 بعد صراع مع المرض، بقي محمد فوزي مثالًا للفنان الملتزم بقضايا أمته، ولحنًا خالدًا في وجدان الجزائر والعرب جميعًا، ينظر: رؤوف سلامة موسى، موسوعة أحداث...، المرجع السابق، ص 1003.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

التي قد تجد نفسها في خطر نتيجة لمحاولاتكم تفرنسي أبناء بلدنا بينما أنتم تكذبون" (21 مارس 1913)، من خلال هذه التصريحات، يتبين أن رفض عمر بن قنور للسياسة كان مرتبطاً بموقفه من الفرنسية، حيث اعتبر السياسة بمثابة وسيلة غير مباشرة لرفضها، مما جعله يتقارب مع مواقف صحيفة الحق التي كانت تعارض سياسة صحيفة الإسلام منذ سنة 1911¹.

2.2. الإقامة الجبرية لمحمد البشير الإبراهيمي

"إن من يبيع قلمه ولسانه يكون قد قام بجريمة أفح من بيع الجندي لسلح²"، بهذه الكلمات يُعبر الإبراهيمي عن موقفه في دعم دول المحور، فمع اندلاع الحرب العالمية الثانية وفي سنة 1940، سارعت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى فرض الإقامة الجبرية على الشيخ عبد الحميد بن باديس، ونفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى قرية آفلو في الصحراء الجنوبية، جاء هذا الإجراء التعسفي بسبب رفض الإبراهيمي إلقاء أحاديث عبر الإذاعة لدعم فرنسا في حربها، وهو ما اعتبرته الإدارة الاستعمارية تمرداً على سلطتها، غير أن ابن باديس والإبراهيمي كانا قد استبقا الأحداث، فعتلاً إصدار صحف جمعية العلماء، بما في ذلك جريدة الشهاب، تحبباً لأي ضغط يُمارس عليهما لتأييد فرنسا، وقد عبّرا عن موقفهما المبدئي بشعار حكيم: "تعطيل خير من نشر الأباطيل"، وذلك سنة 1939، وقد جاء في التقارير الفرنسية: "إن هذا المشاغب المداهن والطموح البارد والمناور، لا يجب أن يُترك له خيار، إما مع فرنسا أو ضد فرنسا"³.

في مذكراته، يعيد البشير الإبراهيمي رسم صورة القمع الاستعماري بأدق تفاصيله، ويبرز كيف تحولت تجربة السجن إلى مرحلة فاصلة في حياته النضالية والفكرية، كان اعتقاله في أوائل الحرب العالمية الثانية، تحديداً يوم 10 أبريل 1940، بذريعة أن "وجودي خطر على الأمن العام"⁴، لم يكن هذا الاعتقال مجرد إجراء احترازي، بل عملية مدروسة لعزل صوت فكري بارز عرف بقدرته على تعبئة الجماهير وإحياء روح المقاومة، نُفي الإبراهيمي إلى قرية نائية في الجنوب الوهراني، ودام نفيه ثلاث سنوات إلا قليلاً، وهو يعلق على ذلك ببساطة مرة، لكنها تنضح بالمرارة:

¹ Zahir Ihaddaden, *Politique et religion dans la presse algérienne avant 1940*, CRASC, Oran, 2015, pp 25-32.

² الإبراهيمي، آثار الإمام ...، ج3، المرجع السابق، ص53.

³ أبو القاسم سعد الله، "البشير الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية 1933-1940"، *مجلة الثقافة*، ع 101، الجزائر، 1988، ص 97-98.

⁴ محمد البشير الإبراهيمي، من أنا؟، تح: رابح بن خويا، منشورات الوطن اليوم، الجزائر، 2018، ص ص 22-23.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

"لا أذكر الملاحقات الجزئية والمضايقات فتلك طبيعة الاحتلال مع كل عامل على غير هواه، وإنما أذكر الكليات الكبرى"¹

يقول أحمد طالب ابن البشير الإبراهيمي عن صدمة تعرض والده للاعتقال الأول: "في العاشر من أفريل 1940 صدمت صدمة أخرى جعلتني أكتشف بشكل عنيف الظاهرة الاستعمارية، ففي الساعة الخامسة صباحا اقتحمت الشرطة الفرنسية بيتنا لاعتقال والدي واقتادته بعنف نحو وجهة مجهولة، لقد أقلقنا الحركة الشعبية التي كان والدي يقودها في تلمسان السلطات الفرنسية التي انتهت بها الأمر إلى تقييد آذاه"، بإبعاده عن تلمسان بمئات الكيلومترات²

يُستنتج من الاقتباس أنّ التعسف الاستعماري لم يقتصر على استهداف البشير الإبراهيمي شخصيًا بسبب آرائه ونشاطه، بل امتدّ أثره ليطال عائلته أيضًا، إذ شكّل اقتحام الشرطة المنزل بعنف واعتقاله أمام أسرته صدمة كبرى لأبنائه، ما يكشف عن قسوة السلطة الاستعمارية التي لم تراعي حرمة البيت ولا مشاعر العائلة، بذلك، أصبح الإبراهيمي مثالاً حيّاً على المثقف والمناضل الذي لا يدفع وحده ثمن موافقه، بل تتحمّل عائلته أيضًا جانبًا من المعاناة والاضطراب النفسي الناتج عن القمع.

انتهى هذا النفي بإطلاق سراح مشروط بالمراقبة الإدارية سنوات عدة حتى نهاية الحرب، لكنه لم يُمهّل طويلاً، ففي يوم انتهاء الحرب، أي في 8 ماي 1945، اندلعت مذابح قسنطينة وسطيف وقلمة، وما هي إلا أيام (27 ماي) حتى وقعت الكارثة الشخصية، يقول الإبراهيمي: "وفي ليلة 27 منه كبست داري بقوة عسكرية، ففتشوا داري وساقوني إلى السجن العسكري بالعاصمة، في غسق الليل وبصورة مزعجة محاطاً بقوات أخرى من داري إلى السجن وبينهما نحو 8 كيلومترات³"، هنا تتجلى وحشية الاحتلال في مشهد مؤلم يجمع بين الإذلال الشخصي والإرهاب الجماعي.

تتعمق المأساة عندما ينقل إلينا الإبراهيمي تفاصيل سجنه: "لبثت في زنزانة ضيقة تحت الأرض لا أرى الضوء ولا أستنشق هواء الحياة نحو سبعين يومًا، وكانوا لا يخرجونني منها إلا ربع ساعة في 24 ساعة"⁴ إنها شهادة تكشف عن قسوة تعذيب من نوع خاص: ليس بالضرب ولا بالسياط فقط، بل بحرمان الإنسان من مقوماته الأساسية،

¹ نفسه، ص ص 22-23.

² أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري...، ج 1، المصدر السابق، ص 31.

³ محمد البشير الإبراهيمي، من أنا؟، المصدر السابق، ص ص 22-23.

⁴ نفسه.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الضوء والهواء والحرية، تفاقم وضعه الصحي، فنقل إلى غرفة منفردة على وجه الأرض " وفيها بعض وسائل الحياة"¹، ثم بعد إكمال مائة يوم، نُقل ليلاً في طائرة خاصة إلى السجن العسكري بمدينة قسنطينة، حيث كانت البلاد تشهد أعنف المجازر الاستعمارية.

يصف الإبراهيمي تدهور حالته الصحية قائلاً: "وكنْتُ إذا اشتد علي المرض نقلوني إلى المستشفى العسكري تحت الحراسة الشديدة في حجرة منفردة"²، وهي صورة تختصر عجز الاحتلال عن كسر الإرادة رغم كسر الجسد، استمر هذا الوضع أحد عشر شهراً من الاعتقال بين السجن والمستشفى، بينما "لبث في المعتقلات عشرات الآلاف من رجال الجمعية وأنصارها وأتباع الحركات الوطنية مثل تلك المدة"³، إلى أن "بدا للاستعمار فأطلق سبيل الجميع باسم العفو العام لا باسم الرجوع إلى الحق"⁴ وهنا ينتقد الإبراهيمي بمرارة العقلية الاستعمارية التي لا تعترف بالخطأ، بل تقدم القمع وكأنه منّة وعفو.

يشكّل نفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى آفלו خلال الحرب العالمية الثانية لحظة كاشفة عن طبيعة القمع الاستعماري الذي تجاوز الصراع العسكري إلى استهداف النخبة الفكرية والموقف الأخلاقي، فقد رفض الإبراهيمي توظيف كتاباته لدعم فرنسا، مؤمناً أن الكلمة الصادقة أمانة، وأن من يبيعها يقترف خيانة فكرية، وهو ما دفع بالسلطات الفرنسية إلى عزله قسراً، لتجريدته من تأثيره الشعبي والفكري، لم يكن النفي مجرد إجراء أمني، بل محاولة لشلّ دينامية فكرية، إلا أن هذه التجربة القاسية، بما حفلت به من اعتقال تعسفي، وإهانة جسدية ونفسية، وتخطيط للأسرة، لم تُضعف من إرادة الإبراهيمي، بل صقلت مشروعه، ورَسَّخت قناعته بأن مقاومة الاحتلال لا تكون فقط بالسلاح، بل بإحياء الوعي، وبناء مؤسسات التعليم، وصيانة اللغة والهوية، لقد تحوّل السجن إلى مدرسة صمود، كشف فيها الإبراهيمي عن وجه الاحتلال العنيف، وسجّل في مذكراته سرداً مؤلماً يفضح البنية العميقة للعنف الاستعماري، ويقدم شهادة حية على أن الكلمة كانت هدفاً مركزياً في مشروع الهيمنة، والمتقف الحرّ خصماً لا يُغتفر.

¹ نفسه، ص 23.

² نفسه.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

3.2. الإقامة الجبرية لمحمد العيد آل خليفة

ذكر الشيخ الإبراهيمي أنه التقى بمحمد العيد لأول مرة أثناء سفره إلى العاصمة لتولي عمله الجديد، حيث أعجب بذلك العيد وسرعة فهمه، وتدينه ووقاره، نقل الإبراهيمي للعيد معرفته بالشرق وحركات الإصلاح، وتناقشا في الأدب والنهضة، حيث كان الإبراهيمي معجباً بشوقي ومدرسته، ظل العيد في منصبه لمدة تقارب الاثني عشرة سنة دون ملل أو طموح في الترقية، مع بداية الحرب العالمية الثانية، عاد إلى بسكرة في عام 1940، ثم انتقل إلى باتنة للإشراف على مدرسة العربية بين 1940-1945، خلال هذه الفترة، عانى من قسوة الحياة وجفاء الأصدقاء، ورغم ذلك، استمر في نضاله من أجل الحياة الكريمة والحرية، بعدها، انتقل إلى عين مليلة وعمل مديراً للمدرسة الحرة لمدة ثماني سنوات، مواصلاً نضاله بإيمان قوي في مواجهة الاحتلال والاضطهاد¹.

يقول أبو القاسم سعد الله: "وقد كتبت الصحافة وتناقل الناس -بعد ذلك - أن الشاعر الكبير قد تعرض إلى ألوان من الاضطهاد والمحاكمة برغم سنه وعلمه، وأنه لجأ مرة أخرى إلى بسكرة عساه أن يجد بها مكاناً بلا لهب ولا دم، ولكن النيران طاردته وكادت تحرقه، وقد حال دخان المعركة في الجزائر دون تتبع أخبار هذا الشاعر بل دون معرفة مصيره في أرض يترصده الموت فيها كل شريف"².

وعن السجن كتب محمد العيد آل خليفة³:

هل المساجين من عفو ومين فرج؟	تساءل الشعب في ضيق وفي حرج
روح من العفر صفو طيب لأرج؟	هل اللذين بسجن (لكدية) اعتقلوا
فَرِّمْنَا جَزْنَا التضييق للمرج	قبل الولاة دعوا التضييق واقتصدوا
ما دام في سَيْرِ كُفْم ضرب من العرج	وليس يَصْلُحْ سَيِّسُ التابعين لكم
على كواهلهم تر قنون في الدرج	عُودُوا على الشعب بالحسنى فَإِنَّكُمْ

القصيدة تعبر عن استياء الشعب الجزائري من معاملة السجناء السياسيين في سجن "لكدية" وتوجه نداءً إلى الحكام للتخفيف من التشدد والإجراءات القاسية، يظهر الشعب في حالة من الضيق والحزن، ويتساءل إذا كان هؤلاء المعتقلون سينالون العفو عن قريب، معبراً عن أمله في رؤية روح العفو والرحمة تهب مجدداً، لتعيد الأمل في

¹ سعد الله، محمد العيد...، المرجع السابق، ص 88

² نفسه، ص 89.

³ آل خليفة، "السجن"، الشهاب، ج7، مج15، أوت 1939، ص 247.

الفصل الثاني: ————— السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

معاملة أكثر إنسانية، الشاعر يدعو الحكام إلى اعتماد الحكمة في القرارات والتخفيف من التضييق على الشعب، بما يتماشى مع قيم العدل والرحمة، حتى لا تجرهم القسوة إلى مصير غير مرغوب فيه، وتزيد من الاستياء الشعبي. الشاعر يلمح إلى أن هناك خللاً في سير الأمور، حيث إن أسلوب إدارة الحكومة الفرنسية فيه عرج أو نقص، مما يجعل الشعب يريزح تحت وطأة قوانين مرهقة ومشددة، فيزيد ذلك من معاناته، يشير إلى أن الشعب تحمل عبء هذه القوانين المفروضة عليه، ويحث الحكام على العودة إلى الحكمة والاعتدال في حكمهم، ليخففوا من الضغوط التي تجعل الشعب يشعر بالغبن والظلم.

ثالثاً: التعذيب والتصفية الجسدية للأدباء الجزائريين

1. التعذيب:

لم يكن الكاتب الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي مجرد شاهد صامت على معاناة شعبه، بل كان هو نفسه هدفاً مباشراً للتعذيب الجسدي والنفسي، فقد نظر إليه المستعمر باعتباره خطراً مضاعفاً: خطراً يحمل السلاح الرمزي للكلمة، ويملك القدرة على إيقاظ الوعي وتحريض الجماهير، ولذلك، تعرّض العديد من الأدباء والمثقفين لشتى صنوف التنكيل، من الرقابة المشددة، إلى المضايقات، والاعتقالات، والتعذيب في مراكز الشرطة والثكنات العسكرية، لقد أراد الاحتلال أن يكتم أفواههم، لا فقط بمنعهم من الكتابة، بل بإخضاع أجسادهم للإذلال، وأرواحهم للانكسار، وتحول القلم، في هذا السياق، إلى قهمة قد تقود صاحبه إلى الزنانة أو المنفى أو المقصلة، وهكذا، أصبح الإبداع فعلاً محفوفاً بالخطر، وأمست الكتابة مقاومة في حد ذاتها، يدفع الأديب ثمنها من حريته، بل أحياناً من دمه.

يشير عبد المالك مرتاض إلى أن الأديب الجزائري في زمن مجازر 8 ماي 1945 على سبيل المثال لم يكن مجرد شاهد على المأساة، بل كان جزءاً منها، مندمجاً في نسيجها، منغمساً في عذابها، حتى استحال هو نفسه قضية من قضاياها، لقد صوّره مرتاض وكأنه فقد كل أدواته التعبيرية: سلب منه قلمه ولسانه، وقُيدت يداه ورجلاه، وتُملت عيناه، فُعْطِلت فيه كل الحواس التي يمكن أن تنقل الألم أو تصوغ المقاوم، ولم يعد الأديب آنذاك ذاتاً مستقلة يمكنها أن تراقب وتدوّن، بل أصبح موضوعاً للعذاب، ومادة لذلك القهر، ومن هذا المنطلق، فإن صمته لم يكن ترفاً أو تجاهلاً، بل كان تعبيراً آخر — صامتاً ومقهوراً — عن الانصهار التام بين المثقف وقضية شعبه، حيث لم يكن هناك فصل بين الجلد والجلاد، ولا بين من يكتب عن الجرح ومن ينزف منه¹.

¹ مرتاض، محمد البشير...، المرجع السابق، ص 93.

كذا الحال خلال الثورة التحريرية، حيث لم تكن البنادق وحدها من تفجرت، بل انفجرت معها الجبال والصحاري والأقلام على حد سواء، فقد شارك الأدباء والمثقفون في المعركة بطريقتهم، مسلحين بالكلمة والقصيدة والمقال، فكانوا جنوداً في جبهة الوعي، يكتبون للوطن، ويؤرّخون للثورة، ويشعلون الحماسة في النفوس، في تلك المرحلة، تحررت الكلمة من القيود، وخرجت من تحت الرماد لثدوي في وجه المستعمر، وتعبّر عن نبض الشعب وآلامه وآماله، تحولت الكتابة إلى شكل من أشكال الجهاد، وارتبط القلم بالبندقية في معركة واحدة، عنوانها التحرير، ومداهما الأرض والروح واللغة.

1.1. تعذيب حمزة بوكوشة

تم اعتقال حمزة بوكوشة في يوم الاثنين 04 مارس 1957 بعد سلسلة من الأحداث التي تصاعدت في الجزائر وكان الشاعر يعيشها، وقد تم الاشتباه بالشاعر بعد إضراب ثمانية أيام الممتد من 28 جانفي إلى 04 فيفري من نفس السنة فأرسلوا له جنديا قبل ذلك لمركز العلماء المسلمين في يوم السبت ليلا ولكنهم لم يجدوه، وحين وصل الخبر لحمزة بوكوشة صباح الأحد في مسجد بلكور أثناء تدريس التلاميذ هرع من عمله ليستعد لأي طارئ وكان يريد الاختفاء لمدة ولكن المحيطين به نصحوه بأن يعدل عن الفكرة وقد تراجع هو أيضا بعد أن خاف على ابنه أن يأخذوه مكانه، وهنا نلاحظ تعقيدات الأمور التي يجب التفطن لها، فما كان يهدد الشخصيات الوطنية والفكرية كانت عائلاتهم وأن فرنسا إن لم تجد من تبحث عنه تهدده بأعلى ما يملك، لذلك كان لزاما عليهم انتظار مصيرهم نحو المقصلة أو الافراج، العيش بجبن وخوف أو بإقدام وشجاعة وكان الأدباء والمفكرين أكثر الناس من لديهم أوراقا مكشوفة بسبب الكلمات.

مكث حمزة بوكوشة ينتظر عودة البوليس للقبض عليه لمدة يوم وليلة، مودعا عائلته ولنا أن ندرك حجم الخوف الذي يتملك أشجع انسان أمام عدو لا يعرف للعدالة وجه، وفي يوم الاثنين صباحا عاد إلى عمله وبعد خروجه وجد جنديا ينتظره أمام مكتبه واقتاده نحو مركز اعتقال أولي قضى فيها ليلة الثلاثاء وقضى هناك ست وعشرون ساعة في الانتظار وقد زاره خلال هذه الساعات ضابط وأخبره بأنه بحاجة إلى الماء فيروي حمزة بوكوشة هذه التفاصيل قائلا: "زارني أحد الضباط هنالك ورغبت منه أن يتركني أرجع إلى منزلي وأعود صباح الغد فقال لي غير ممكن فطلبْتُ منه جرعة ماء فقال وأظنك في حاجة الى شيء من الخبز، فبعث إلي مع جندي زجاجة ماء وخبز وجبن، وفي صباح الغد زارني أيضا فرغبت منه وقودا أشعل سيجارة إذا لم يكن هنالك مانع فناولي سيجارة وبعض أعواد وقود وبعث إلى بخبز وجبن وماء وفي منتصف النهار أتانا جندي بقدر مملوء لحما وجلبان فتقررت نفسي فقال

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الجندي إن هذا اللحم لحم عجل ولو كنا نظن أنك تتناول الخمر لأتيناك به فشكرته وقد كان معي رفيقان، فأكلنا حتى شبعنا وفي المساء زارني الضابط فقال لي ما زلت هنا ؟ فقلت له إني انتظر وبودي أن اتحدث في مسألتك فقال مسألتك بسيطة تتعلق بورقة تعريف وبعد ربع الساعة أتاني جندي وأخبرني بأن أرفع ما عندي من متاع ولم يكن عندي غير محفظتي ومعطفي فأخذتهما واتبعته¹2.

أخذ حمزة بوكوشة دون أن يعرف وجهته التالية، فكان يراقب بوكوشة الطريق، بطحة لحكومة ثم نهج الرمفالي ثم معسكر الزواف حيث أمضى الضابط بعض الوثائق وقاموا باستبدال السيارة وهكذا كانت الطريق نحو الأبيار وبدأ بوكوشة يفهم من المناطق التي يسرون بها أنها مناطق لمراكز تعذيب، ثم دخلت السيارة إلى بني مسوس حيث المعتقل، وقد دخل بوكوشة المعتقل وانقضت عنه بعض المخاوف حين رآه يضج بمعارفه من النخبة وزميل ابنه البشير في الدراسة، وكانت المناداة لأي شخص في كل لحظة ويروي هنا حمزة بوكوشة التفاصيل عن هذه اللحظات التي عاشها قائلاً: "فوجدت به نخبة من المعارف فتأنست بهم وقد كانت الجماعات بعد ما تقضي الساعات الطوال في الانتظار ينادي عن البعض منهم تارة لبحث خفيف، وتارة لتسليمهم للسلطة التي تطلبهم وتريد استقصاء البحث معهم، وعندما تظهر جماعة من جند البار ويطلبون على شخص أو بعض أشخاص، ترى المعتقلين سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب هؤلاء الجنود شديد، وقطيع لا يعرفه إلا من عاناه ومن بين هؤلاء المعتقلين من تخل من برائته أولئك العتاة القساة وأعادوه إلى مركز التعذيب من جديد، وقد كان الظن السائد أن من وصل إلى مركز بني مسوس سلم ونجا ولكن هذا الظن قد يخطئ أحيانا³"

كان الاعتقال يشمل أشخاصا كأنهم تعرضوا للاختطاف فعائلاتهم لا تعلم عنهم شيء فيقول كاتبنا: "دخلت هذا المركز فألقيت به بعض المعارف والأصدقاء وقد كان منهم من لا يعرف أثره ولا خبره منذ ألقى عليه القبض وأسرته على أحر من الجمر⁴"

رحلة المعتقل حمزة كانت مليئة بالانتظار والاستجواب الذي لم يجب على أسئلته حول مصيره، وما إذا كان الفرج قريباً، لكنه أدرك أن الأيام الماضية، برغم قسوتها، كانت الأفضل، إذ كان ينتظره شيء أشد فظاعة، فبعد بضعة أيام، تم نقله إلى معتقل سيء السمعة، وهو معتقل "بول كازال" بوادي وسارة، رفقة نحو مئتي معتقل آخر،

¹ حمزة بوكوشة، ما رأيت وما رويت، د د، الجزائر، 2012، ص 115.

² لم يتحدث حمزة بوكوشة عن مشاعره جراء تلقي خبر إعدام العربي بن مهيدي لأن يوم اعتقال حمزة بوكوشة كان يوم ما نشرته الحكومة الفرنسية: (انتحار العربي بن مهيدي) يوم الاثنين 04 مارس 1957.

³ نفسه، ص 116.

⁴ نفسه.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

كان الطريق إلى هناك رحلة مهينة ومذلة، حيث تعرض المعتقلون للإهانة والشتائم من الجنود، وعند الوصول، جردوهم من جميع أغراضهم الشخصية وأوراقهم الرسمية، ليصبح لكل منهم رقم يُنادى به بدل اسمه، يصف المعتقل بوكوشة تلك التجربة المذلة، قائلاً: "أجلسونا على الركب وأشبعونا ضرباً، ثم اقتادونا واحداً تلو الآخر إلى خيمة تُسجل فيها الأسماء وتؤخذ الأموال التي تتجاوز أربعة آلاف فرنك، وجردونا من أوراق الهوية وأعطينا أرقاماً بدلها"¹

المعاملة القاسية استمرت داخل المعتقل؛ لم يعطهم الجنود سوى أواني بسيطة للطعام وفرش متواضع، وفرضوا عليهم الركض كقطع بلا تمييز بين شيوخ وشباب، حتى وصلوا إلى المخيمات، كانت خيام المعتقلين مقسمة بمربعات يفصل بينها أسلاك شائكة، ولا يُسمح للمعتقلين بالاتصال ببعضهم البعض بين المربعات، وعندما دخل حمزة خيمته، كلفه الجندي بأن يكون "عريف" الخيمة، فاعتذر بسبب عدم إتقانه الفرنسية، فأسندت المهمة للسيد أحمد الجيلالي، وبالرغم من أنهم قضوا ليلتهم الأولى دون طعام، تقاسم معهم المعتقلون القدامى طعامهم خفية، وفي أثناء الصلاة الجماعية، هتف الجندي بهم أن يتفرقوا، قائلاً إن التجمعات ممنوعة، فاضطر حمزة لإتمام صلاته منفرداً مع بعض رفاقه²

كتب حمزة بوكوشة قصيدة عن أول ليلة في سجن بول كزال الموافقة ليوم الثلاثاء 12 مارس 1957 يقول فيها³:

أشوق ولما يمض لي غير ليلة فكيف إذا جد المسير بنا عشر

في هذه الشهادة، يصف الكاتب حمزة بوكوشة ما شاهده وسمعه خلال إحدى ليالي الاعتقال، بدأ بوصف صوت إطلاق الرصاص (دوي البرود) الذي كان يهز الأرض من حولهم ويث الرعب في قلوب المعتقلين، مما جعلهم يشعرون كأنهم على جبهة قتال، لا مجرد أسرى مكبلين بالأصفاد، ولم يُسمح لهم بمغادرة الخيام حتى بزوغ الشمس، وعندها امتلأت الأجواء بالأصوات المختلطة للجنود والمعتقلين، حيث كانت اللغة الفرنسية هي الغالبة، في حين كانت الكلمات العربية قليلة وباهتة، ينطق بها الشيوخ فقط وبوقار.

يعبر حمزة عن حيرته حينما بدأ يتحدث مع الشباب الفرنسيين باللهجة الفرنسية؛ إذ وجد أن معظمهم لا يتحدثون بالعربية إلا بقليل منها، مما جعله يظن في البداية أنهم من الجنود الفرنسيين ومع مغادرته للخيمة، زالت شكوكه، وتبين له أن هؤلاء الشباب هم من المعتقلين الجزائريين، تذكر حمزة حادثة مشابها حصلت له عام 1949

¹ نفسه.

² نفسه، ص 118.

³ نفسه.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

في مدينة دكا، حينما استيقظ في نزل واستمع إلى حوارات عربية لبنانية، ليتبين له أنهم من الجالية اللبنانية المقيمة هناك، ومن هنا، عذر شباب الجزائر في "بول كزال" الذين يتحدثون بالفرنسية أكثر من العربية، معتبراً أن السبب هو التأثير الاستعماري الذي فرض عليهم الفرنسية، تمامًا كما فرضت لبنان وجودها الثقافي في دكا¹.

استمرت معاناة الكاتب حمزة في المعتقل لكونه يحمل صفتين زادت من شكوك السلطات حوله؛ كونه جزائريًا، مما جعله محل اشتباه، وكونه كاتبًا، مما ضاعف خطورة موقفه في نظرهم، كانت ظروف الاعتقال سيئة للغاية، حيث كان الطعام شحيحًا والمعتقلون يتقاسمون فيما بينهم، أما التواصل بينهم فكان يخضع لرقابة صارمة من الضباط، ومع ذلك، كانت روح الأخوة والتضامن حاضرة، فقد تشاركوا الطعام والأغطية والملابس، وتعاونوا في تخفيف معاناتهم المتزايدة، سمح للمعتقلين، بعد أسبوع، بالتواصل مع عائلاتهم، لكن الرسائل كانت تصل بعد عشرين يومًا بسبب التفتيش الدقيق ومراقبة مضمونها خشية أن تتضمن أي عبارات قد تورطهم أكثر، لاسيما وأن هؤلاء المعتقلين من النخبة ويجيدون استخدام كلمات ذات دلالات.

عانت عائلات المعتقلين من قلق مستمر، حيث عاش الآباء والأمهات، والزوجات والأبناء، في انتظار الأخبار، بين الخوف والرجاء، يترقبون ما إذا كان أحباؤهم أحياء أم قد لاقوا مصيرًا مؤلمًا، يصف بوكوشة معاناة هؤلاء الأقارب قائلاً: "ولا تسأل كيف انقضت تلك الليالي والأيام على الصبية والنسوة اللاتي اختطف عائلهم من بينهم في الهزيع الأخير من الليل ولم يسمح لهم حتى بتوديعه الوداع الذي ربما كان الوداع الأخير"، وأضاف أن بعض الأطفال حاولوا التشبث بأبائهم، لكنهم فصلوا بالقوة بينهما، وقد انتشرت الشائعات في تلك الفترة عن مصير المعتقلين؛ بعضهم قيل إنه قتل، وآخرون قيل إنهم مجهولو المصير، وإذا وصل خبر سلامة أحد المعتقلين، كانت عائلته تحتفل بذلك اليوم وكأنه عيد، فيهنئون بعودة الحياة لأحدهم بعد خوف طويل².

كان الانتظار داخل المعتقل يطول، فالمعتقلون يموت بعضهم فجأة، ويفرج عن بعضهم في المناسبات، وبعضهم من يتم اغتيالهم فور ذهابهم إلى عائلاتهم في ظروف مجهولة، أما البعض فلم يحدث شيء له سوى الاعتقال والانتظار³.

¹ نفسه.

² نفسه، ص 121.

³ نفسه.

2.1. تعذيب عيسى أبو اليقظان

بعد اضطراب الشيخ إبراهيم بن أبو اليقظان لمغادرة العاصمة، أسند إدارة المطبعة العربية إلى ابنه عيسى في شارع روفيقو، وبدأت فترة جديدة من الصراع مع الاحتلال الفرنسي من أجل اللغة العربية، كما تناولنا في كتابنا "المطبعة العربية: معلم وطني مجهول"، كانت الأوضاع صعبة على الشيخ في القرارة وعلى ابنه عيسى في الجزائر العاصمة، وتفاقمت هذه الصعوبات خلال الخمسينيات بعد بدء الثورة التحريرية، كانت السلطات الفرنسية على دراية بأهمية المطبعة الوطنية وما تطبعه من كتب ومنشورات سياسية، وكانت تتصدى لها بشكل مستمر¹.

كان عيسى يواجه التحقيقات والمطاردات البوليسية، وألقي القبض عليه وزج في السجون وتعرض للتعذيب، وهو ما كشف عنه في رسالة إلى والده في سنة 1957 والتي قمنا بتقديمها في النماذج وكذا في الملاحق².

عيسى، ابن الشيخ إبراهيم أبو اليقظان، كان معاونًا لوالده في المطبعة، وتحمل مسؤوليتها جنبًا إلى جنب مع والده بعد عودته من الدراسة في تونس في الثلاثينيات، ثم تولى إدارتها بشكل كامل بعد استقرار والده في القرارة، وأصبح شريكًا فيها بالنصف، كما يُظهر ذلك وثيقة تصفية حسابات المطبعة في سنة 1943 بين الشيخ وأخيه محمد، في الخمسينيات، أصبح عيسى المسؤول الأول والوحيد، خاصة بعد مرض والده في سنة 1957، وقد اعتمد الشيخ بشكل كبير على ابنه عيسى، خاصة بعد استقراره في القرارة، بسبب المسؤوليات الشاقة التي كان يتحملها عن والده، وكان يساعده في معاشه ومصاريفه، وكان هذا الأمل هو ما دفعه للانضمام إلى العمل في المطبعة، وكان الشيخ سعيدًا جدًا بذلك³.

في رسالته المؤثرة لوالده، يعبر عيسى أبو اليقظان عن معاناته في السجن بطريقة تجعل الألم ملموسًا، حيث يشبه السجن بنوع من "جهنم" ويصف العذاب بأنه "أليم" يعكس وصفه صورة بليغة لمدى شدة وقسوة الظروف التي واجهها، وكأنه يعبر عن تجربة تتجاوز حدود القدرة الإنسانية على التحمل، يقول لأبيه إن ما شاركه عن معاناته ليس إلا جزءًا بسيطًا من الحقيقة، حيث احتفظ ببعض التفاصيل رحمةً بوالده وبقلوب أهله الشفوقة، يشير في النهاية إلى أنه لو شاء الله اجتماعهم معه وسماع تفاصيل ما مر به، لصدموا من هول ما سيسمعون، فيستخدم تعبيرًا قرآنيًا

¹ ناصر، أبو اليقظان...، ج2، المرجع السابق، ص71.

² نفسه.

³ نفسه، ص 144.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

للتأكيد على فظاعة التجربة، مشبهاً ما سيُروى بأنه أمر يشغل العقل ويأخذ الأم عن رضيعها، وهي إشارة واضحة لقسوة السجن والتعذيب الذي ذاقه، فيقول: "نوع من جهنم ومن العذاب الأليم...، المرور من ذلك الصراط الأليم الذي قلت لكم جزء منه، رحمة بقلوبكم الرحيمة الشفوقة، ولو قدر الله الاجتماع لسمعتكم ما يذهل كل مرضعة عما أَرْضَعْتُ"¹

اعتقال عيسى ثم رسالته إلى والده جعلت من الشيخ إبراهيم طريح الفراش فيقول محمد ناصر وهو قريب للعائلة: "الرسالة من العوامل والأسباب المباشرة في إصابته بالشلل النصفي الذي أقعده إلى يوم وفاته في 30 مارس 1973م... فقد سقط الشيخ يوم السابع من رمضان 1976هـ الموافق لـ 03 أبريل 1957م، وقد أُلقي القبض على نجله وعزيزه عيسى يوم 18 مارس 1957م... ولا يذكر ابنه عيسى ما أصاب والده مما يدل على أن الحادث وقع بعد خروجه من السجن والتعذيب بأيام، ولم يعلم به في حين وقوعه، علماً بأن الرسالة كتبت يوم 06 أبريل 1957م، والحادث وقع فعلاً يوم 03 منه ولكنه أشار أنه قلق بما حكاه له إبراهيم بن حمو أو باله عن أعراض المرض الدوران وآلام الفم، وهي أعراض معروفة لضغط الدم"²

توفي عيسى أبو اليقظان في حادث مرور وهو عائد من العاصمة في 27 فيفري 1966 بعد الاستقلال بأربع سنوات وكأن حياة إبراهيم كتب عليها الشقاء والحزن، فلقد فقد أكبر أبناءه ودخل إبراهيم في دوامة الحزن مجدداً³.

2. التصفية الجسدية:

1.2. اغتيال العربي التبسي

استجاب الشيخ العربي التبسي بسرعة لنداء الثورة الجزائرية، حيث كان على تواصل مستمر مع قادة الثورة ودعا إليها منذ فترة طويلة، في مقال نشره في "البصائر" في نوفمبر 1954م، تناول أحداث أول نوفمبر 1954م التي شهدت العديد من الحوادث في الجزائر، خاصة في المناطق الجنوبية مثل جبال الأوراس، ورغم عدم امتلاكه

¹ نفسه، ص 318.

² ناصر، أبو اليقظان...، ج2، المرجع السابق، ص 324

³ نفسه، ص 187.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

لتفاصيل دقيقة في ذلك الوقت، أبدى الشيخ اهتمامه البالغ بتطورات الأحداث السياسية في البلاد، مشيراً إلى أن السبب وراء تلك الحوادث يكمن في معاناة الشعب الجزائري من الاحتلال وحرمانه من حقوقه¹.

كما كتب الشيخ التبسي العديد من المقالات الحماسية في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، داعياً إلى تحرير الوطن ونبد الاحتلال، كان يؤكد في كتاباته أن الحياة تحت الاحتلال لا تحمل شرفاً أو كرامة، وأن الشعب الجزائري لا يمكنه استعادة حريته إلا بالجهاد، في سنة 1956م، ألقى خطاباً في اجتماع الجمعية، أعلن فيه أن الاحتلال هو المسؤول عن معاناة الشعب الجزائري، مؤكداً ضرورة المقاومة بكل السبل الممكنة².

في ظل صلابته الثورية ومواقفه الحاسمة ضد الاحتلال الفرنسي، اعتبرت السلطات الاستعمارية أن وجود الشيخ العربي التبسي إلى جانب الثورة يشكل تهديداً كبيراً، لذا، قررت التخلص منه بطريقة تضمن تفادي تعاطف الشعب الجزائري وتحفيزه على المزيد من الجهاد، ومن أجل ذلك، استخدموا منظمة "اليد الحمراء" لتنفيذ عملية اختطافه واغتياله، وهي منظمة كانت تابعة للمخابرات الاستعمارية، تهدف إلى ارتكاب الجرائم ضد الجزائريين وخصوصاً المثقفين، في محاولة لتشويه صورة الثورة الجزائرية واتهام المجاهدين بتلك الجرائم³.

في 4 أبريل 1957م، اقتحم الجنود الفرنسيون منزل الشيخ التبسي في حي بلكور بالعاصمة الجزائرية، وانتزعوه من فراشه وهو مريض، وأهانوه أمام عائلته، ثم نقلوه إلى مصير مجهول بعد تعذيبه، تواصلت معاناته في السجن حيث تم تعذيبه لعدة أيام، قبل أن يُعدم بطريقة وحشية، حسب شهادة أحد المجاهدين، تم وضع الشيخ التبسي في طنجرة مليئة بزيت مغلي حتى احترق جسده بالكامل، وذلك في الفترة بين 11-12 أبريل 1957م، وقد كانت هذه النهاية المأساوية تعبيراً عن صدق التزامه بقضية الجزائر⁴.

2.2. اغتيال محمد السعيد الزاهري

السعيد الزاهري كان من الأقلام النادرة التي حملت همّ الأدب الجزائري في أحلك ظروفه، وصوته ظل مرتفعاً دفاعاً عن الهوية والقيم الوطنية، سواء عبر مقالاته أو من خلال دعمه للصحافة الوطنية مثل جريدة المغرب العربي،

¹ دويدة نفيسة، "شخصية العربي التبسي: قراءة في التنشئة والمسار (1891-1957م)"، *قضايا تاريخية*، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ع 1، 2016، ص 99.

² بشير سعدوني، *الشيخ العربي التبسي العالم المصلح المجاهد*، مركز سلف للبحوث والدراسات 2018، ص 02.

³ سعيد بورنان، "الشيخ العربي التبسي والثورة الجزائرية"، *مجلة الإحياء*، جامعة تيزي وزو، مج 20، ص 647-648، نوفمبر 2020، ص 647-648.

⁴ نفسه.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

ومع ذلك، لم يكن في منأى عن الهزات العنيفة التي أحدثتها الاحتلال الفرنسي، ليس فقط من خلال قمعه المباشر، بل من خلال حالة التمزق والانقسام التي تم زرعها في قلب الحركة الوطنية الجزائرية.

تُعدّ دراسة اغتيال السعيد الزاهري من أطول الدراسات في هذا الفصل، نظرًا لما يكتنف قضيته من تعقيد وتشابك بين السياسة والفكر والاحتلال والثورة، وقد ارتأينا أن ندرج هذه الدراسة ضمن مبحث السياسة الاستعمارية، لأن الزاهري وهب حياته للكتابة تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، وكتب بجرأة نادرة في زمن القمع، فدفع ثمن ذلك قمعًا فكريًا منهجيًا، وحرمانًا من أبسط حقوق الكاتب، حتى رحل عن الدنيا دون أن يتمكن من طباعة كتبه أو نيل التقدير الذي يستحقه، ولا يمكن استبعاد أن اغتياله كان نتيجة مصلحة استعمارية في إسكات صوته الحر، غير أن التصفية التي نفذتها أطراف في الثورة تُشير أيضًا إلى رغبة في إنهاء ما اعتُبر تشويشًا على مسارها، وبين هذا وذاك، خسرن أديبًا وإنسانًا جريئًا، يُصنّف بحق ضمن قائمة المغدور بهم، وإن تم تجاهله عمدًا في أغلب الفعاليات التي تحتفي بـ"الأدباء الشهداء"، إذ يُعاد تكرار أسماء بعينها في كل ملتقى، وكأن الشهادة لا تُمنح إلا لمن لم تُسقطهم أقلام التاريخ، بينما يظل الزاهري غائبًا، رغم أن استشهاديه لم يكن أقل أثرًا أو مأساوية من سواه.

إن الإبداع في الكتابة لا ينفصل عن حرية التعبير، ولعلّ من أراد أن يفهم المعاناة التي كابدها الأدباء الجزائريون آنذاك، سيدرك أن الركيزة الأساسية للكتابة — أي الحرية — كانت إما غائبة تمامًا أو باهتة الحضور، فالزاهري، على سبيل المثال، حين كتب في صحف الإصلاح، عبّر عن أفكار تتماشى مع قناعاته، لكنه لم يتردد أيضًا في تناول مواضيع أدبية وثقافية أخرى، كما ظهر في مقالاته التي نُشرت في صحف المشرق، والتي سبق أن تطرقنا إليها، وعند تتبع مسار حياته، نجد ميله الواضح نحو الحرية ونفوره من القيود، سواء كانت استعمارية أم تقليدية، فقد ضاق ذرعًا بقيود الاحتلال مثلما ضاق بقيود المعلمين والعلماء، ويظهر ذلك جليًا في قوله عن علاقته بابن باديس: "إن الحرية التي كنت أنعم بها في كنف أساتذتي البدويين، انتزعها مني دفعة واحدة أستاذي الحضري المتحضر...¹"، وهو تصريح يكشف بوضوح مدى اشتياقه إلى فضاء حر يمكنه من الإبداع والانطلاق، كما قال أيضًا: "لم أكن أستطيع التخلي عن القراءة رغم كل الضغوط التي كانت تُفرض عليّ، والتي كبّلت حريتي في التعبير عن أفكاري، لقد سئمت من سوء المعاملة التي كانت تُمارَس ضدي، والتي لم تقتصر عليّ وحدي، بل شملت أيضًا جميع تلاميذه أجمعين"²، لكننا نلمس باستمرار هذا التوتر بين رغبته الجارحة في الانطلاق والتعبير، وبين القوى التي سعت إلى إخضاعه وتأديبه، ومع ذلك، لم يكن تمرّده على القيود يعني قطع صلاته بمن حوله، فقد ظلّ قادرًا على مراجعة مواقفه

¹ السنوسي، شعراء الجزائر ...، ج1، المصدر السابق، ص66.

² نفسه.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

والاعتراف بأخطائه، كما ظهر في اعتذاره الصريح لأستاذه، وهذا التوازن بين التمرّد والاعتراف بالخطأ يعكس نضج تجربته الفكرية وتكوينه الإنساني، ويُبرز في الوقت ذاته حجم المعاناة التي عاشها ككاتب حرّ في سياق استعماري تقليدي خانق، فيقول: "وما ذلك إلا نزع الشباب وخفة الصغر الناتجان عن قلة التجربة وجهلي بأمور الحياة وتقلبات الأيام، فأرجو من فضيلة الأستاذ أن يغفر لي إساءتي في الرد على تأديبه، وخطيئتي في عدم احتمالي للتوبيخ، وأتمنى ألا يُسجّل عليّ ذلك ذنباً"¹

لقد تميّز السعيد الزاهري بأسلوبه الأدبي المميّز حتى في تناوله للمواضيع الجادة والجامدة، ويمكن اعتبار ذلك أحد الأسباب التي جعلته يحتفظ بمكانته داخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ كانت الجمعية بحاجة إلى قلم مثله، وكان هو بحاجة إلى وعاء يسكب فيه إبداعه، وقد عبّر ابن باديس عن إعجابه بهذا الأسلوب عند نشر الزاهري لكتابه الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير بقوله: "وساق ذلك كلّ في أسلوب من البلاغة الشبيهة بالرواية، سهل جذاب، لا تستطيع إذا تناولت أول الكتاب أن تتركه حتى تأتي على آخره"²، فقد أبدت شخصيات ثقافية كثيرة كشكيب أرسلان اعجابها بأسلوب الزاهري المميز حتى في التحدث عن موضوع الدين والإصلاح فقد كان يصيغه بشكل رواية أو قصة.

لم تكن شخصية محمد السعيد الزاهري من النمط الهادئ أو المهادّن، بل اتسمت بالجرأة والشجاعة في المواجهة، وهو ما جعله يدخل في صراعات مفتوحة مع خصومه، سواء في الداخل أو في المشرق، فبفضل قلمه اللاذع وصيته الذائع، أصبح يثير حفيظة بعض المحيطين به، محوّلاً الصديق إلى خصم، ومثيراً ضده حملات شعواء في الصحف، كما حدث مع صاحب جريدة النسم حسين الجزيري³، وبحسب شهادة حمزة بوكوشة⁴ فقد بدأت شرارة

¹ نفسه.

² عبد الحميد بن باديس، "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير: بقلم شاعر الجزائر محمد السعيد الزاهري"، **الشهاب**، مج 07، ج 12، 22 ديسمبر 1922، ص 793.

³ **حسين الجزيري (1894-1974)**: شاعر وُلد وتوفي في العاصمة تونس، بدأ تعليمه في الكتاب ثم التحق بجامعة الزيتونة، لكنه لم يُتم دراسته بسبب انخراطه في حركة إصلاح التعليم، اعتمد على جهوده الذاتية في التثقيف، قرأ كثيراً وخالط الأدباء، وعُرف بنشاطه الصحفي إذ كتب في عدة صحف مثل اللواء والمنار وجحا، وأصدر جريدته الخاصة النسم التي استمرت 22 عامًا، كانت له علاقات واسعة بزعماء الإصلاح في المشرق، أبرزهم الشيخ رشيد رضا، كما شارك في تأسيس الحزب الحر الدستوري قبل أن ينشق عنه ويواصل نضاله بالقلم، اتسم شعره بالطابع الإصلاحي الساخر، فدمج بين الفصح والعامي في قالب شعري يفضح العيوب الاجتماعية والسياسية بأسلوب فكاهي تشخيصي، مما جعل شعره مرآة صادقة لعصره، ودليلاً على فريدة أسلوبه وفكره، ينظر: محمد الفاضل بن عاشور، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 67.

⁴ طلب محمد الطاهر فضلاء من حمزة بوكوشة تدوين شهادته حول الزاهري، وقد وصف فضلاء بأن حمزة بوكوشة كان يفعل عندما يرى إنكار توفيق المدني لفضل الطيب العقبي والسعيد الزاهري في تكوينه ودفعه للأمام، ولهذا السبب طلب شهادته، وقد وضع الفضلاء المخطوط كما هو في كتابه: التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، ويبدو أن الكتاب مليء بالردود والتصفيات المعنوية والهجوم وكذا الانتصار للقضايا التي دونها المدني في مذكراته، ونلاحظ في المخطوط أن قلم بوكوشة كان كثير الخريشات وهو يدل على انفعاله حتى في تدوين الأحداث وتراجعه أحياناً وتشبته أحياناً أخرى كما نلاحظ

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

هذه الحرب الفكرية بينهما عندما نشر الزاهري سلسلة مقالات بعنوان "التفريج الآثم" ينتقد فيها حادثة وقعت في تونس، حيث شاركت امرأة مسلمة في حفلة راقصة نظمها المقيم العام الفرنسي، ما عده الزاهري نموذجًا للانحراف الأخلاقي الناتج عن التغريب وفقدان الهوية، فجاء رد صاحب النديم قاسيًا ومهينًا، متهمًا الزاهري بالتسوّل ومزاحمة الدجاج على فئات الموائد، مما استدعى ردًا غاضبًا من الزاهري وأنصاره عبر جريدة البرق، ووسط هذا الجدل، تدخل الأستاذ أحمد توفيق المدني بمقال لم يُنصف فيه الزاهري¹.

سنة 1933 تعرض الشيخ الطيب الزاهري لاعتداء عنيف كاد أن يؤدي بحياته، حين أقدم مجهول على ضربه بمرارة على رأسه قبل أن يلوذ بالفرار، وذلك بسبب مواقفه الإصلاحية الحريّة التي كانت تدعو إلى التمسك بالقرآن والسنة، والتحصن بالأصالة والتراث، ودمج الإصلاح الديني بالوعي السياسي، والابتعاد عن الخرافة والجهل وعبادة الأولياء، وقد علّق الشيخ أبو اليقظان على هذا الحادث في جريدة النبراس، مستنكرًا ما اعتبره انحيازًا من منطق الحجة والبرهان إلى منطق العنف والتصفية الجسدية، وكتب مخاطبًا الزاهري: "وفي سبيل الله والأمة ما لاقيت يا زاهري"²، ويعكس هذا الاعتداء حجم التوتر الفكري والسياسي آنذاك، كما يكشف عن المخاطر التي كان يواجهها من يعبرون عن آرائهم بالكتابة في الجزائر الاستعمارية نتيجة مواقفهم الحريّة وانخراطهم في مشروع وطني يتجاوز حدود الإصلاح الديني الضيق³.

كما لا يمكن اعتبار تغيّر مسار الزاهري مجرد تناقض في المواقف، فانتقاله من مهاجمة الطريقة إلى خطاب أكثر تسامحًا تجاهها لا يعكس تراجعًا بقدر ما يدل على نضج فكري وصل إليه في ظل واقع استعماري معقد، لقد أدرك الزاهري أن الانشغال بمحاربة الطريقة والجهل والخرافات، رغم أهميته الإصلاحية، قد يصرف الجهد عن العدو الحقيقي الذي صنع هذه الظروف واستغلها، وهو الاحتلال الفرنسي، ومن هذا المنطلق، بدأ يرى أن توحيد الصف الوطني، رغم التناقضات، أولى من تعميقها بخطابات الإفصاء والنقد، فيقول الزاهري: "نحن ندعو إلى الوفاق والسلام بين الطرفين والإصلاحيين معًا، فلماذا نحن لا نوحّد جهودنا لدفع الخطر"⁴، ورغم أنه من مؤسسي الجمعية إلا أن

أن الكتاب خرج قبل وفاة بوكوشة، أي أن المخطوط كتبه بوكوشة فعلا ولم ينسب له ليبرهن الفضلاء صحة رأيه في توفيق المدني، وهذه الشهادة أيضا ترينا حجم المعاناة التي عانى منها الكاتب الجزائري حتى بعد الاستقلال فقد أصبحت الحرب كتابية وكان البعض يكتفي بمشاهدة موته المعنوي والابداعي بعد أن كتب في أحلك الظروف، ينظر: محمد الطاهر فضلاء، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-الجزائر، 1981، ص ص 68-76.

¹ أحمد توفيق المدني، "كلمة إلى كتاب الفرق"، الشهاب، قسنطينة، ع 97، 20 ماي 1927، ص 1079.

² إبراهيم أبو اليقظان، "اعتداء فظيع على الشيخ الزاهري"، النبراس، ع 03، 28 جويلية 1933، ص 02.

³ العربي الزيري، المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، ص 1995، ص 65.

⁴ محمد السعيد الزاهري، "حول مؤتمر أشياخ الطرق"، الوفاق، ع 9، 12 ماي 1938، ص 03.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الخلاف بدأ في البروز حين رفض الشيخ محمد السعيد الزاهري مشروع الإدماج المعروف بمشروع بلوم-فيوليت بعد المؤتمر الإسلامي، وكان من أبرز المنتقدين له، وقد عبّر عن هذا الرفض بوضوح بعد اجتماع الملعب البلدي سنة 1936، عندما صرّح لمصالي الحاج قائلاً: "إن هذه الجمعية وضعت لنفسها هدفاً أساسياً منذ البداية، وهو إنشاء المدارس في مختلف أنحاء الوطن لتعليم اللغة العربية، وفخر العلماء أنهم يستطيعون القول: "نحن نبني المدارس، لكن، مع مرور الوقت، بدأ العلماء يمارسون السياسة، وأيّ سياسة! لقد تمّ استدراجهم... حتى صاروا يقبلون فكرة ارتباط الجزائر بفرنسا ومشروع بلوم-فيوليت، الذي كان يهدف تدريجياً إلى فرنسة الجزائر، لقد أصبحوا لعبة في أيدي المنتخبين والحكومة والحزب الشيوعي الفرنسي، والواقع أن الجميع كانوا يغازلون العلماء ويستغلونهم، وهذه الممارسات أوقعتهم في الفتنة وأدت في النهاية إلى تضييعهم"¹

يمكننا استنتاج أن رفض الشيخ محمد السعيد الزاهري لمشروع بلوم-فيوليت لم يكن رفضاً سياسياً مجرداً، بل كان نابغاً من حرصه العميق على الهوية الوطنية والثقافية للجزائريين، وخوفه من ذوبانها في المشروع الاستعماري الفرنسي الذي سعى إلى فرنسة الجزائر تدريجياً، كما يكشف موقفه عن رؤيته النقدية لدور العلماء الذين، برأيه، انخرقوا عن رسالتهم التربوية والإصلاحية وانجسروا إلى لعبة سياسية معقدة استغلّتهم فيها السلطات الفرنسية والأحزاب الفرنسية، ما أدى في النهاية إلى إضعاف مكانتهم وتأثيرهم في المجتمع، يظهر هنا وعي الزاهري المبكر بالمخاطر التي تهدد المشروع الوطني والإصلاحي إذا فقد استقلاليته ووضوح أهدافه.

هذا الموقف رسّخ في ذهن الزاهري قناعة جديدة بمفهوم الإصلاح؛ إذ لم يعد يراه مجرد كتابة مقالات حماسية قد تصل أحياناً إلى مستوى الخطاب الهجومي، بل صار يؤمن بأن الإصلاح يقوم على توحيد صفوف الشعب الجزائري، وتجاوز الخلافات، والعمل من أجل القضية الوطنية، وقطع الطريق أمام الاحتلال الفرنسي الذي كان يسعى لبثّ الفتنة والانقسام بين الجزائريين.

يعبر العربي الزيري قائلاً: "ولقد تأكد الزاهري، بعد أربع سنوات من العمل الدؤوب في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أن الإصلاح، بعيداً عن التكوين السياسي والايديولوجي، لا يكفي لإعداد أجيال الثورة، لأجل ذلك اغتنم فرصة انعقاد أول مؤتمر للجمعية ليعبر عن تشاؤمه ويبدأ الانسحاب بالتردد مع التركيز من جديد على النضال في صفوف نجم شمال إفريقيا، وفي صفوف حزب الشعب من بعده"²

¹ مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج...، المصدر السابق، ص 209.

² العربي الزيري، المشفقون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، ص 1995، ص 65.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

وهكذا يمكن استبعاد الرواية القائلة بأن انسحاب الزاهري من جمعية العلماء كان بدافع المزاجية والخلافات مع الأعضاء، فقد انسحب قادة آخرون من الجمعية مثل الأمين العمودي، كاتبها العام، الذي استقال من المكتب الإداري ليتفرغ للنشاط السياسي، وكذلك السيد أبو اليقظان وغيرهم، بعد أن اقتنعوا، مثل الزاهري، بأن الدعوة الدينية وحدها غير كافية، وإن اختلفت أسبابهم ومواقفهم، إلا أنهم لم يترددوا في دعم ما كان يُعرف آنذاك بالحركة الوطنية.

عبد المالك مرتاض في حديثه عن السعيد الزاهري رسم صورة معقدة تجمع بين الإشادة والانتقاد، مما يعكس موقفًا نقديًا متذبذبًا، بحسب مرتاض فإنه صوّر السعيد كشخص سريع الغضب، لم يتحمل قرار الجمعية، بل راح يهاجم الإبراهيمي، ووصف مرتاض ذلك بعبارات قاسية مثل "بغيا وظلما"، هذه المرحلة تكشف هشاشة العلاقة بين الزاهري والجمعية التي احتضنته، وتعكس ربما النزعة الفردية أو حتى الجريئة في شخصية الزاهري¹، ولكن الأحكام التي جاءت من الباحثين كانت تضع الزاهري كأنه في محكمة أخلاقية وإدانة بأدلة كتبها خصومه.

إذن فقد سجّل الشيخ محمد السعيد الزاهري انسحابه الرسمي من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1937، وهو ما أكدته الوثائق الفرنسية، بما في ذلك تقرير مركز الإعلام والدراسات (E.I.C) بتاريخ 4 ماي 1937، الذي وصفه بعضو سابق في الجمعية ومقيم في وهران، كما أظهرت الوثائق أن جمعية الفلاح بوهران، التي تأسست في مارس من السنة نفسها، كانت تحت إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي وليس الزاهري، ما يؤكد ابتعاده عن مهامه الرسمية، ومع انفصاله عن الحركة الإصلاحية، اختار الزاهري السير في اتجاه مستقل، بل وسعى للتقريب بين الإصلاحيين والطريقين بتيارت، رغم اختلاف توجهاتهم، إدراكًا منه بأن وحدة الصف الوطني باتت ضرورية لمواجهة التحديات السياسية التي كانت تواجه الجزائر في تلك المرحلة².

في هذه الفترة شهد نشاط محمد السعيد الزاهري في مجال الصحافة تحولًا واضحًا من خلال إصدار جريدة الوفاق سنة 1938 بوهران، حيث اتخذ منها منبرًا سياسيًا للتعبير عن توجه كتلة الجمعيات الإسلامية ودعوتها إلى الوحدة الوطنية لمواجهة الفاشية والاحتلال³، وقد عبّرت الجريدة بوضوح عن موقف داعم للجبهة الشعبية الفرنسية في معركتها ضد الأنظمة الدكتاتورية، وكرّست صفحاتها لتغطية الأحداث العالمية، خصوصًا تلك الممهّدة للحرب العالمية الثانية، كما أولت اهتمامًا كبيرًا بالقضية الفلسطينية، سعت الوفاق إلى ردم الهوة بين الإصلاحيين والصوفيّين،

¹ مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 509.

² خالد بوهند، النخب الجزائرية: دراسة تاريخية واجتماعية (1892-1942)، دار القدس العربي، الجزائر، 2016، ص 340.

³ ناصر، الصحف العربية...، المرجع السابق، ص 119.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

مما أدخل الزاهري في صراع حاد مع جمعية العلماء المسلمين، تطور إلى سجلات واتهامات متبادلة، خاصة بعد إعلانه تأسيس "الإصلاح الإسلامي"¹، وعلى الرغم من تبني الجريدة لخطاب وحدوي، فإن الخلافات الشخصية والفكرية أضعفت تأثيرها لاحقاً، كما أن اندلاع الحرب العالمية الثانية أثر على انتظام صدورها بسبب الأزمات المالية والفنية²، رغم محاولة الزاهري تطويرها من حيث الإخراج والمضمون لتواكب الصحافة الحديثة، وتوقفت 30 جويلية 1940³، فيقول الزاهري: "يعلم الله كم قاسينا في هذا السبيل من الاتعاب والمشقات، وبذلنا من الجهود والنفقات خصوصاً، في هذه الازمة الحاضرة التي ارتفعت فيها الاسعار وغلاكل شيء، فالورق قد غلا ثمنه واليد العاملة قد قلت، وهكذا أصبحت نفقات الجريدة باهظة لا تكاد تطاق"⁴.

شكل سقوط السعيد الزاهري من اللجنة الإدارية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في انتخابات عام 1939 نقطة خلاف بارزة داخل صفوف الجمعية، فقد وُجّهت إلى الزاهري اتهامات بأن سبب إبعاده يعود إلى خسارته في الانتخابات، وهو ما مهد الطريق أمام صعود الشيخ البشير الإبراهيمي ليحلّ محله في مواقع المسؤولية داخل الجمعية، وقد روجت صحيفة البصائر، لسان حال الجمعية، لهذا التفسير، معتبرة أن الزاهري فقد مكانه نتيجة التصويت، غير أن الزاهري رفض هذه الرواية بشكل قاطع، مؤكداً أنه لم يُقصَ نتيجة الانتخابات، بل كان هو من اختار الانسحاب من الجمعية طواعية قبل عامين من تلك الأحداث، رغم كونه من الأعضاء المؤسسين، وللدفاع عن موقفه، استخدم الزاهري أسلوباً أدبياً ساخراً، إذ شبه علاقته بالجمعية بعلاقة الزوجة بزوجها قائلاً: "إن الزوجة التي لا تزال في عصمة زوجها هي التي لا يجوز لها الزواج من آخر، أما العضو العامل في جمعية العلماء، فليس زوجاً للجمعية ولا لأحد من المتكلمين باسمها"، في إشارة واضحة إلى رفضه مبدأ الوصاية عليه من قبل قيادة الجمعية⁵.

قلنا بأنه اندلعت حرب قلمية بين أدبيين بارزين كان لهما تأثير في الصحافة والدعوة الدينية والأدب، بسبب مواقف السعيد الزاهري الجريئة والصريحة، خاصة محاولاته للتقريب بين العلماء والمتصوفة، بدا واضحاً أن شخصية الزاهري المتفردة وآراءه المستقلة جعلت من الصعب عليه الاستمرار طويلاً داخل الجمعية، إذ كان يسعى دائماً لتحقيق انسجام بين كتابته وسلوكه، وهو ما برز في مشروع بلوم فيوليت وفي تراجعته عن حربه مع الطريقين ومسايرة

¹ الزاهري، "الإصلاح الإسلامي"، الوفاق، ع 22، 23 فيفري 1939، ص 246.

² مضمودي، فوزي، تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة وإقليمها من 1900 إلى 1956، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2011، ص 144.

³ ناصر، الصحف العربية...، المرجع السابق، ص 221.

⁴ الزاهري، د.ع، الوفاق، ع 27، 31 ديسمبر 1939 ص 08.

⁵ زهير إحدادن، أعلام الصحافة الجزائرية: الأمير خالد، الزاهري، أبو اليقظان، ج 4، دار إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 37.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

العدو الحقيقي، ثم بداية مرافقته لأنصار مصالي الحاج وتوافقه مع أفكارهم، فيقول: "سنعمل على انقاذ الحركة الإصلاحية، وتخليصها من أيدي بعض المغرضين الذين غلب عليهم حب الدنيا فمكروا، وكادوا حتى احتلوا مكان القيادة، ثم وجهوا حركة الإصلاح لخدمة اغراضهم الخاصة، وحادوا بها عن الطريقة المثلى، فباسم الإصلاح يجمعون الزيارات، والنذور، والصدقات ... انا اصلاحي قبل كل شيء، وبعد كل شيء لا أريد قيد الملة عن فكري الإصلاحية، ولكني لا اريد ان استبدل شيخا بشيخ أو طريقا بطريق، بحيث لا أغير إلا الأسماء¹"، ويُستنتج من كلام الزاهري أنه كان يملك رؤية نقدية عميقة للحركة الإصلاحية في الجزائر، إذ ميّز بين جوهر الإصلاح الحقيقي واستغلاله لأغراض شخصية، فقد أدرك أن بعض المنتسبين إلى الإصلاح تسلقوا المناصب الدينية بدافع المصلحة، فحوّلوا العمل الدعوي إلى وسيلة لجمع المال واستغلال عواطف الناس، مما أفرغ الحركة من مضمونها، وبرز من خلال موقفه تمسكه بالمبادئ الإصلاحية الأصيلة ورفضه لأي تزيف باسم الإصلاح، حيث دعا إلى تطهير الحركة من المتسلقين وإعادة تمها إلى مسارها الصحيح، القائم على الصدق، والإخلاص، وخدمة المجتمع لا استغلاله.

في مقال حاد²، يوجّه محمد البشير الإبراهيمي سهام نقده اللاذع إلى السعيد الزاهري، متهمًا إياه بالكذب وقلب الحقائق والتحاميل الحاقدة على جمعية العلماء، يبدأ الإبراهيمي بتوصيف خصمه بأنه يكتب "كثيرًا من الباطل"، مشيرًا إلى أن صمته السابق عنه لم يكن احترامًا بل: "احتقارًا لشأنك واستهانًا بما أهان الله منك³"، ويصفه بأنه نشأ على الكذب، وتفرد بموهبة "قلب الحقائق"، مستشهدًا بأبيات لابن الرومي عن الحق، ليوحي بأن خصمه لا يرى في الناس إلا شرًا، حتى لمن أحسنوا إليه، كما يسخر منه حين نسب بعض مقالاته في جريدة الوفاق إلى شخصيات وهمية مثل "يوشافور" و"بوشتوف"، دلالة على عجزه عن المجاهرة بمواقفه.

ويعمضي الإبراهيمي في اتهام الزاهري بأنه ليس حرًا في رأيه، بل أداة بيد آخرين، إذ يقول: "أنت تتكلم بلسانه، ولست إياه، وهو يتكلم باسمك، وليس إياك⁴"، متسائلًا: هل هو "عبد مأمور أم عامل مأجور؟"⁵، ليخلص إلى أن كليهما - الزاهري ومن يقف وراءه - شريكان في "جريمة السب والكذب وقلب الحقائق"، ويتّهمه أخيرًا بالسعي لتقويض مكانة جمعية العلماء، مؤكدًا أن خصوم الجمعية لا يحاربونها فقط بالكلام، بل بخطط "مرسومة" لتعطيل التعليم ومحاربة الدين، في إطار سعيهم للسيطرة على مقدّرات الأمة دون وجه حق.

¹ الزاهري، "حول مؤتمر أشياخ الطرق"، الوفاق، ع 9، 12 ماي 1938، ص 01.

² الإبراهيمي، "إلى الزاهري"، البصائر، ع 61، 27 ديسمبر 1948، ص 122.

³ نفسه.

⁴ الإبراهيمي، "إلى الزاهري"، المصدر السابق، ص 122.

⁵ نفسه.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

تُعد هذه المعركة نموذجًا صريحًا للصدام بين رمزين من رموز النخبة الجزائرية، وكان سلاحها الأبرز هو الكتابة، بما فيها من حِدّة وسخرية وأساليب بلاغية تُخفي تحتها خلافًا أعمق من مجرد اختلاف في الرأي، فالزاهري، بأسلوبه الساخر الذي لا يخلو من التحريج، عرف كيف يلامس شخصية الإبراهيمي التي عُرفت بهدوئها وابتعادها عن أسلوب الهجوم المباشر، غير أن السخرية اللاذعة التي وجهها الزاهري — أو من ينوب عنه — نجحت هذه المرة في إخراج الإبراهيمي عن قشرفته، فكتب ردًا قاسيًا وغير معتاد في لهجته، مليئًا بالتعريض والافتراء الواضحة، وقد قال محمد ناصر على أسلوب الزاهري: "والحق أن قلم الزاهري كان في مثل هذه المواقف مريبًا مؤذيا فإن المطلّع على قوارصه¹ التي ينشرها في جريدة البرق مطاردا بها الطريقة ليشعر أحيانا بالخجل مما يقرأ فإن الزاهري لا يتورع عن استعمال الالفاظ الماحجة والعبارات المسفة"²

يتحدث محمد الصالح رمضان عن الخلاف بين الشيخ الزاهري والشيخ الإبراهيمي، معتبرًا أنه في جوهره لا يتعدى كونه خلافًا شخصيًا تغذّيه دوافع نفسية مثل الغيرة والمنافسة بين رجلين كانا من كبار الأدباء والكتّاب في زمانهما، مع تفوّق الإبراهيمي على الزاهري في الخطابة والمحاضرة، كما يشير إلى اختلاف طباعهما، إذ كان الإبراهيمي محافظًا ملتزمًا، بينما اتسم الزاهري بشيء من التحرر، وكان الزاهري قد لعب دورًا بارزًا في تلمسان بنشر الفكر الإصلاحية والوعي القومي، لكن عند تعيين الإبراهيمي من قبل الجمعية معتمدًا لها في الغرب الجزائري، لم يتقبل الزاهري مشاركته له في تلمسان، ناهيك عن أن يصبح تابعًا له، وقد أدى ذلك إلى احتدام الخلاف بينهما، فأطلق الزاهري لسانه في نقد الإبراهيمي وانتقل إلى وهران، تاركًا تلمسان مستاءً من المدينة ومن خلفه فيها³.

يقول أحمد بلعجال: "... نستبعد الرواية التي تقول بأن طموح الزاهري إلى منزلة عليا في مرجعية العلماء هو سبب صراعه مع بعض أعضائها، وقد قيل إنه طالب بأن يكون معتمدًا للجمعية في الغرب الجزائري، فلما انتدب الشيخ الإبراهيمي إلى مدينة تلمسان التي كان الزاهري يتخذها عاصمة ثقافية، توترت العلاقة بينهما وحدث انسحاب الزاهري من الجمعية، إلا أننا لم نجد صدى لهذا الصراع أو هذه المنافسة قبل سنة 1930..."⁴

¹ ركن قوارص ويعني به ركن الانتقادات.

² ناصر، المقالة الصحفية ...، ج2، ص196.

³ مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1922-1952: رصد لصورة المقاومة في الشعر الجزائري، ج2، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، د.س، ص380.

⁴ أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة - الجزائر، 2005-2006، ص156.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

أما محمد ناصر يقول: "ويبدو أن الخلاف يعود أساساً إلى انضمام الوفاق ورئيس تحريره إلى جبهة مشائخ الطرق علناً، ومن المعلوم أن اتجها العلماء واتجاه الطريقة لا يلتقيان أبداً"¹

بعد الحرب العالمية الثانية، واصل الشيخ محمد السعيد الزاهري نشاطه النضالي من خلال تأسيس جريدة "المغرب العربي" سنة 1947، وهي امتداد لجريدة "الوفاق الوهرانية"، فجاءت لتتبنى الخط السياسي الوطني الذي يدعو إلى الحريات الديمقراطية ومعاداة الاحتلال الفرنسي، بعد انضمامه إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية بقيادة مصالي الحاج، أصبحت الجريدة ناطقة باسم هذه الحركة، رغم حرص الزاهري على إعلانها غير حزبية في افتتاحيتها الأولى، ركزت الجريدة على القضايا السياسية المحلية والمغربية، وكانت أداة دعائية فعالة للحركة، فغطت مؤتمراتها ونشرت صور قادتها، كما خصصت ركناً لأخبار المغرب العربي، وأبدت اهتماماً بالقضايا العربية والإسلامية كفلسطين وإندونيسيا، مجسدة بذلك مشروع الزاهري الوحدوي الذي طالما نادى به منذ العشرينيات².

تعرضت جريدة "المغرب العربي" لمضايقات مستمرة من قبل الإدارة الاستعمارية الفرنسية بسبب مواقفها السياسية المناهضة للاستعمار، واجهت الجريدة قيوداً شديدة، مثل منع توزيعها، وحرمانها من حصتها من الورق، ومصادرة أعدادها، واعتقال بائعيها وموزعيها، خاصة خلال الفترات الانتخابية، كما خضعت لمراقبة أمنية متواصلة، وتمت مصادرة مقراتها وحتى منازل المواطنين بحثاً عنها، كانت السلطات الفرنسية تعتبر الجريدة مصدر إزعاج بسبب دعمها لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ونشرها لمواقفها وتصريحات قادتها، مما جعلها هدفاً لإجراءات تعسفية لم تُفرض على الصحف الموالية للسلطة، وتوقفت الجريدة لأول مرة سنة 1950³.

ثم نجد جريدة عصي موسى التي كانت جريدة فكاهية نقدية صدرت في الجزائر العاصمة سنة 1950، حررها مجموعة من الشباب، وأدارها مبارك عبد القادر لإبعاد الرقابة المباشرة عن صاحبها الحقيقي محمد السعيد الزاهري، الذي كتب معظم مقالات الجريدة بأسماء مستعارة، وانتقد فيها بشدة جمعية العلماء المسلمين، وخاصة الشيخ البشير الإبراهيمي، دفاعاً عن الشيخ الطيب العقبي، جاءت الجريدة ردّاً على جريدة الشعلة، وتضمنت هجوماً لاذعاً على

¹ ناصر، الصحف العربية... المرجع السابق، ص 219.

² Zahir Ihddane, *Histoire de la presse indigène, des origines jusqu'en 1930*, ENAL, Alger, 1983, pp. 18-19.

³ رانية مخلوف، "محمد السعيد الزاهري: نضال قلم"، مجلة البحوث التاريخية، مج 7، ع 1، الجزائر، ص ص 223-224، 04 جوان 2023، ص ص 223-224.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

شخصيات دينية وسياسية، مستخدمة الشعر والهجاء والقصص، لم تستمر الجريدة طويلاً، حيث أوقفت في 13 أوت 1950 بعد صدور عشرة أعداد فقط، بقرار من السلطات الاستعمارية الفرنسية¹.

في 17 مارس 1956، وخلال مرحلة حساسة من تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، أمرت الثورة بوقف جميع الأنشطة الصحفية المستقلة، لإفساح المجال أمام صحافة الثورة فقط، في هذه الفترة، دعا الزاهري إلى الوحدة والحوار بين الوطنيين، وهو ما اعتبرته جبهة التحرير الوطني توجهاً مرفوضاً، لأنها أكدت منذ البداية أن لا وحدة إلا خلفها، وأن الدعوات المخالفة لا تخدم سوى الاحتلال².

من خلال جريدة المغرب العربي، انتقد الشيخ الزاهري بعض مواقف الثورة التحريرية، مثل حادثة مقتل خائن احتفى بالمسجد، وتشكيكه في نوايا وفد يمثل جبهة التحرير الوطني متوجهاً إلى القاهرة والذي كان من بينه أحمد توفيق المدني وفرحات عباس، مدعياً أنهم يخدمون مصالح فرنسا ويطمعون في التفاوض باسم الثورة، وبالرغم من تأييد الزاهري العام للثورة³.

كان الشيخ الزاهري يعتقد أن دوره كصحفي يفرض عليه دعم مختلف التيارات الوطنية وإبراز إيجابياتها وانتقاد أخطائها، لكن هذا التوجه لم يرق لمناضلي جبهة التحرير الوطني، الذين طالبوه بوقف إصدار جريدته⁴، وبلغ التوتر ذروته حين نشر صورة كبيرة لمصالي الحاج على الصفحة الأولى واصفاً إياه بـ "زعيم الشعب"، في وقت كانت فيه الخلافات بين الجبهات الوطنية في أوجها، مما اعتبر انحيازاً واضحاً وتحدياً خطيراً، في وقت كانت فيه الصراعات بين الجبهات على أشدها، وقد أدى هذا الموقف، إلى جانب انحياز الجريدة لحزب الشعب، إلى اغتياله في ظروف غامضة بالعاصمة قرب مسجد كتشاوة في 21 ماي 1956 بخمس رصاصات⁵.

كانت الجزائر آنذاك في خضم حرب تحرير دامية، ومن الطبيعي أن تغيب التفاصيل الدقيقة عن مقتل الزاهري وظروف جنازته وتشيعه، لكن يمكننا أن نستشف أن قلمه الجريء وما خطّه من مواقف نقدية قد يكونا السبب الكامن خلف اغتياله، ورغم تعذر الحكم على تصرفات الجزائريين وقتها، وهم يواجهون الاحتلال كلٌّ حسب رؤيته، فإننا اليوم نستطيع مقارنة تلك الوقائع بقدر من الموضوعية.

¹ فوزي المصمودي، تاريخ الصحافة...، المرجع السابق، ص 161.

² نفسه، ص 159.

³ نفسه، ص 153.

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقا...، ج5، المرجع السابق، ص 271.

⁵ أحمد توفيق المدني، رد أديب على حملة أكاذيب، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 67.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

فمقتل الزاهري لا يجوز أن يُحتزل أو يُمرَّ عليه مرور الكرام، وإن كانت اليد التي اغتالته جزائرية، فإن السؤال الأكبر يظل: من حرَّض على قتله؟ وهل كانت مقالاته الصادمة وحروبه الفكرية السابقة هي ما عجل بنهايته؟ لا سيما وأنه لم يكن معارضاً للثورة، بل كان صحافياً وطنياً وناقداً شرساً لكل استغلال أو التواء باسم الوطن أو الدين، لقد انتقد ابن باديس نفسه، ثم ترجم له حياته، فهو ينقد لا بدافع الكراهية بل من منطلق الخوف الصادق على مصير البلاد.

فهل يُعقل، بعد هذا المسار النضالي والفكري الطويل، أن يُروى خبر مقتله ببرود وجفاء، وكأنه لم يكن؟ يقول أحمد توفيق المدني في مذكراته حياة كفاح: "كان شاعراً ملياً فحلاً، وكاتباً مقتدراً... كان في سلوكه وفي سياسته قوس قزح يتحلَّى كل حين بلون جديد... الثورة المطهرة حكمت عليه بالإعدام"¹

هذا النص المنقول عن أحمد توفيق المدني صادم في نبرته، ومشحون بدلالات سياسية وفكرية كبيرة، فهو يُقرّ صراحة بأن الثورة "حكمت عليه بالإعدام"، في اعتراف غير مباشر بأن مقتله لم يكن خطأ عشوائياً بل نتيجة قرار، بل ربما نتيجة موقف سياسي وأدبي.

يبدو أن غضب الزاهري وحدة قلمه لم يكونا وليدي مزاج عابر أو تمرّد شخصي، بل كانا نابعين من واقع الوسط الذي انخرط فيه: وسط النخبة المثقفة من رجال الأدب والدين والسياسة، حيث تسود الجحاملات ويغيب في كثير من الأحيان جوهر الفكرة التي يُفترض أن يدافع عنها هؤلاء، لصالح المظهر والمصلحة، ورغم أنه من الصعب الآن تبرير كل ما كتبه الزاهري، خاصة عندما كان يمس الحياة الشخصية لبعض خصومه، فإن أقوال معاصريه تؤكد حدة طباعه وصفاء سريره في آن، فقد وصفه ابن الذياب بمرارة بأنه "كالمعيدي، تُسمع عنه أفضل مما تُعاین"، مشيراً إلى مظهره الرث ولسانه السليط²، لكنه كان، ويورد أحمد حماني قصة في هذا السياق، تؤكد استهزاء الزاهري بالمظاهر ولا مبالاته بما يُقال عنه؛ حين زاره شاعر صديق وهو يقطن في حي مجاور لحي المومسات فلم يجده، فكتب له على باب داره بيتاً ساخراً³:

سكنت - ويحك - في حي البراديل
أما تخافن من قالٍ ومن قيل؟

¹ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ص 198.

² مرتاض، فنون...، المرجع السابق، ص 509.

³ أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 2، دار البعث، الجزائر، 1984، ص 136.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

في سياق ردّه على ما ورد في مذكرات أحمد توفيق المدني، يقدّم حمزة بوكوشة قراءة كاشفة لطبيعة العلاقة العدائية التي جمعت هذا الأخير بالزاهري، فيتهمه صراحة بأنه "لم يذكر الزاهري إلا ليشفي ما في صدره من حقد على الزاهري في قبره"، وهو تصريح صادم، لكنه يجد ما يسند له في سوابق السجال الطويل بين الطرفين، خاصة في قضية "التفريغ الأثم"¹ وما تلاها من مهارات صحفية، فبوكوشة لا يكتفي بالتشكيك في صدقية المدني، بل يسأله مباشرة: "كيف تفسّر تتبّعك للزاهري منذ كان بتونس وتحتسّسك عليه حتى في أبعد النقط، وبشرك بكل نقيصة تبّلّغك عنه من أعدائه؟"²، وفي هذا الاتهام تتجلّى صورة المدني لا ككاتب مذكرات حيادي، بل كخصم قديم يُعيد كتابة التاريخ بمنطق الثأر الرمزي، حتى وإن كان غريمه قد واره التراب.

لم يكن والد الزاهري داعما لنشاط ابنه وهو مراهق يُقلّب الصفحات للقراءة والكتابة، وكأنه يعرف مصير ابنه المأساوي سيكون بسبب القلم والفكر، ففي سنة 1926 نشر محمد سعيد الزاهري مقالا يقول فيه: "إن أبو كان دائما يخطئ بحقي في الكلام، ويؤنّبني كل يوم بلا سبب، رغم أنه لم يكن لي ذنب في ذلك، كنت أمتلك رغبة شديدة في طلب العلم، ولا تزال لدي حتى اليوم محبة كبيرة له، وما زلت أذكر كيف كان أبي يعاملني في الماضي بقسوة شديدة"³

بعد رحيله، ساد صمت طويل تجاه أدبه وفكره، إذ لم يُجمع إنتاجه المنشور في حياته، ولم تُحفظ مخطوطاته، كما لم يترك خلفه وريثا علميا أو أدبيا يتولى صيانة تراثه، تجاهلت الأوساط الأكاديمية والثقافية إرثه لسنوات، رغم إسهاماته الواضحة في الفكر الإصلاحي والصحافة الوطنية، وقد ساهم هذا التهميش، إلى جانب فقدان مؤلفاته⁴، في طمس معالم تجربته الفريدة، وجعلت من الزاهري شخصية مظلومة في الذاكرة الأدبية الجزائرية.

¹ طلب محمد الطاهر فضلاء من حمزة بوكوشة تدوين شهادته حول الزاهري، وقد وصف فضلاء بأن حمزة بوكوشة كان ينفعل عندما يرى إنكار توفيق المدني لفضل الطيب العقبي والسعيد الزاهري في تكوينه ودفعه للأمام، ولهذا السبب طلب شهادته، وقد وضع الفضلاء المخطوط كما هو في كتابه: التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، ويبدو أن الكتاب مليء بالردود والتصفيات المعنوية والهجوم وكذا الانتصار للقضايا التي دونها المدني في مذكراته، ونلاحظ في المخطوط أن قلم بوكوشة كان كثير الخريشات وهو يدل على انفعاله حتى في تدوين الأحداث وتراجعه أحيانا وتشبته أحيانا أخرى كما = نلاحظ أن الكتاب خرج قبل وفاة بوكوشة، أي أن المخطوط كتبه بوكوشة فعلا ولم ينسب له ليبرهن الفضلاء صحة رأيه في توفيق المدني، وهذه الشهادة أيضا ترينا حجم المعاناة التي عانى منها الكاتب الجزائري حتى بعد الاستقلال فقد أصبحت الحرب كتابية وكان البعض يكتفي بمشاهدة موته المعنوي والابداعي بعد أن كتب في أحلك الظروف، ينظر: محمد الطاهر فضلاء، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة- الجزائر، 1981، ص ص 68-76.

² نفسه.

³ الزاهري، "جناية الآباء"، الشهاب، 09 ديسمبر 1926، ص 74.

⁴ أحمد بلعجال، "المنهج الإصلاحي عن الشيخ محمد سعيد الزاهري 1900-1956"، مجلة البحوث والدراسات، ع 20، جوان 2015، ص 238.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

يقول يوسف وغليسي: "ولكن الشيخ الزاهري -برغم تلك المواهب الأدبية والإعلامية النادرة التي أوتيها دون عموم معاصريه- كان يفتقد مزيداً من الحكمة في ضبط نفسه الهائجة وتأطير مواهبه، وقد جُبل على روح متحررة وطبع عدواني لا يحسبان للمفاجآت السلوكية عواقبها الوخيمة المفترضة"¹

لم يكن اغتيال الشيخ محمد السعيد الزاهري مجرد حادث عرضي أو نتيجة خلافات داخلية، بل يمكن فهمه ضمن سياق أوسع ترسمه آليات القمع الاستعماري التي مارسها فرنسا ضد كل من عبّر عن مواقف جريئة أو دعا إلى توحيد الصف الوطني وتجاوز الانقسامات التي كانت تخدم مصالحها، فالزاهري، بما امتلکه من قلم حرّ، وصوت نقدي، وتمسكه الراسخ بالهوية الجزائرية، شكّل تهديداً حقيقياً لمشروع الاحتلال الثقافي والسياسي، ومن خلال مسيرته التي جمعت بين الإصلاح الديني، والموقف السياسي الواضح ضد مشروع الإدماج، والسعي إلى رأب الصدع بين الفرقاء الوطنيين، بات يمثل نموذجاً لوعي وطني لا يمكن ترويضه أو استقطابه بسهولة، هذا الوعي أزعج الإدارة الاستعمارية، التي لم تكتف بتوظيف الانقسامات الداخلية لإضعافه، بل ربما سعت، بطريقة مباشرة أو عبر أدوات غير مرئية، إلى إسكاته نهائياً، إن الاعتداء الذي تعرّض له سنة 1933، وما أعقبه من إقصاء من الساحة الإعلامية والسياسية، ثم تهميشه وتدمير مشروعه الصحفي، يكشفان عن ملامح جريمة اغتيال بطيء شارك فيها الاحتلال ليس فقط بالعصا بل أيضاً بالمكر والتفكيك، في محاولة لإزاحة صوت وطني مثّل، رغم كل التحولات، ضميراً يقظاً رفض أن يذوب في لعبة المستعمر.

3.2. اغتيال أحمد رضا حوحو

على خلاف الزاهري، الذي يأمل في دور الأحزاب السياسية، فقد كان حميدة بن حوحو يعلّق آماله على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحدها، بعدما فقد ثقته في جدوى العمل الحزبي، فقد رأى في الجمعية الأداة الأصدق والأكثر فاعلية في الدفاع عن هوية الشعب الجزائري ومقاومة محاولات الاحتلال طمس مقوماته الحضارية والدينية، فهو لم ينضم لأي حزب سياسي في حياته فنجدّه يقول: "وعملها الصامت المجدي لصالح هذه البلاد، والحقيقة أن حركة الثقافة العربية في البلاد، أصبحت لا تستسيغ إلا الغذاء الذي تقدمه لها الجمعية"²

في سياق المقاومة الفكرية لحوحو التي شكّلت إحدى ركائز النضال الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، يأتي مقال "حاضر الثقافة والأدب في الجزائر" المنشور بتاريخ 03 فيفري 1956 كوثيقة تعبر عن وعي المثقف الجزائري

¹ يوسف وغليسي، (22 فيفري 2025)، الشيخ محمد السعيد الزاهري (1900-1956) ظالما ومظلوما!، قسنطينة-الجزائر، استرجعت في تاريخ 08 ماي 2025، من الموقع الإلكتروني: <https://web.facebook.com/share/1N4mr6hwcb/>

² حوحو، "المسيو كيلسي وكفاحه"، البصائر، ع 30، 05 أفريل 1948، ص 02.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

بوضعه الثقافي المقيّد والمقموع، فقد كتب حوحو في لحظة مفصلية، حيث لم تكن تفصله عن استشهاده في 29 مارس 1956 سوى أسابيع قليلة، فغداً المقال بمثابة "وصية فكرية" لثقّف لم يفصل بين الكلمة والرصاصة، ولا بين القلم والعمل الثوري، في هذا المقال، يصوّر الكاتب حال الثقافة الجزائرية تحت الاحتلال، مؤكداً أن "الاحتلال لا يريد للجزائري أن يفكر، ولا يريد له أن يكتب، ولا أن يقرأ"¹، وهي شهادة تؤرخ لحصار مزدوج: قمع مادي مباشر، وقمع رمزي استهدف الوعي والخيال.

إن عنوان المقال وحده، "حاضر الثقافة والأدب في الجزائر"²، يشير إلى وعي تاريخي بالمهمة الملقة على عاتق المثقف زمن الاحتلال، حيث لم يكن الحديث عن الأدب ترفاً، بل كان موقفاً سياسياً في جوهره، يرى الكاتب أن الرقابة لا تقتصر على سلطة الاحتلال فقط، بل تمتد إلى النفس فيقول: "وقد لا تكون هناك رقابة رسمية على بعض الصحف والكتب، ولكن هناك رقابة نفسية داخلية تملك الكاتب، لأنه يعرف أنه مراقب، ولأن المحيط كله يضغط عليه، وبالتالي فإن الكلمة التي تصدر منه ليست حرة دائماً"³، مما يعكس عمق الأثر الاستعماري في كبح حرية التعبير حتى في داخل الذات، كما يؤكد أن "كل فكر لا يمكن أن ينمو إلا في جو من الحرية"، وهي عبارة تلخص الفلسفة الثقافية لحوحو المقاوم: أن لا إبداع حقيقي إلا بتحرير الإنسان، بهذا النص، يؤثّق المقال لحظة اشتباك بين الفكر والاحتلال، ويبرهن أن الأدب زمن الاحتلال لم يكن مجرد إنتاج لغوي، بل كان شكلاً من أشكال الصمود الوطني.

أمام هذا الوضع، كان حوحو مستعداً للمخاطرة من أجل تنفيذ مشروعه الأدبي، إذ يقول: "فلنحرر الإنسان، لكي يتحرر الأدب، والفكر، والثقافة"⁴ هذا التصور يُعد مشروعاً فكرياً بحد ذاته على حسب تعبير محمد صالح الجابري⁵، إذ يقوم على أن تحرير الشعب الجزائري من الاحتلال لا يجب أن يُختزل في المعركة العسكرية فقط، بل يجب أن يشمل تحرير الوعي، وتفكيك أدوات القمع الثقافي والفكري التي استخدمها الاحتلال لضرب الهوية الجزائرية، إذ دعا الأدباء والكتاب لمراسلته بترجماتهم وصورهم وإنتاجهم ونصائحهم، آملاً أن يساهم ذلك في التفكير بوسائل الطبع والنشر، وقد وضع عنوانه الشخصي للمراسلة في "سيدي عقبة"، في الملاحظة وطلب من الأدباء أن يكتبوا على جهة واحدة من الورق.

¹ حوحو، "حاضر الثقافة والأدب في الجزائر"، البصائر، ع 352، 03 فيفري 1956، ص 07.

² الملحق رقم 29.

³ حوحو، "حاضر الثقافة..."، المصدر نفسه.

⁴ نفسه.

⁵ الجابري، الأدب الجزائري...، ج 1، المرجع السابق، ص 455.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

في 28 مارس 1956، اغتال الفدائيون محافظ الشرطة في قسنطينة المدعو سامار سيللي، ما أدى إلى حملة اعتقالات وتفتيش واسعة طالت حوحو وبعض الشخصيات الأخرى، حيث اقتيدوا إلى سجن كدية قبل نقلهم إلى جبل الوحش حيث أُعدموا انتقامًا من المحافظ المقتول¹.

وبالعودة قليلًا إلى آخر نشاطات حوحو فقد واصل حوحو عمله في معهد عبد الحميد بن باديس إبان الثورة، على الرغم من المراقبة الشديدة من الشرطة الاستعمارية التي ظلت تحيط به بالشكوك، ومع بداية سنة 1956، اعتقل حوحو وتعرض لتعذيب شديد حسب شهادات زملائه في السجن، حيث روى الشيخ أحمد حماني قائلاً: "لقد عذب تعذيبًا قاسيًا وتلقى تهديدًا صريحًا بأنه سيكون المسؤول الأول عن أي حوادث في المدينة وأنه سيُعدم حينها"²، وقد وُجدت جثته في قبر جماعي مع سبعة جثث أخرى بعد الاستقلال حين كان العمال يقومون بحفر يشمل ثكنة عسكرية³، ولكننا لا نعلم هل تمت دراسات علمية على الرفاة ومعرفة سبب الموت لحاجة التاريخ بهذه المعلومات.

تعددت الروايات حول كيفية قتل حوحو؛ إذ يروي صديقه عبد المجيد الشافعي أن حوحو ومن معه تعرضوا لعملية وحشية، حيث تم تقطيع أجسادهم بمنشار⁴، قائلاً: "ثم جاء دور حوحو فالتف حوله أعداء الإنسانية يستهزئون ويشتمون، ثم أرقدوه وأوسعوه ضربًا حتى أغشي عليه، ثم أطلق أحدهم رصاصة في أذنه، وأخيرًا تقابل اثنان منهم على جثته وأخذوا ينشرونها بالمنشار كما يُنشر الخشب"⁵، كان هؤلاء المجرمون ينتمون إلى منظمة "اليد الحمراء" الإرهابية، وأيًا كانت طريقة القتل، تظل هذه الجريمة البشعة جرحًا في حق جنود الفكر والقلم، إذ يعكس اغتيال حوحو الخوف من مثقف ضعيف البنية، لكنه قوي الكلمة والتأثير.

4.2. اغتيال الحبيب بناسي

¹ أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 87.

² شريط، الأدباء ... المرجع السابق، ص 107.

³ أسامة حوحو، الأستاذ أحمد رضا حوحو: حياته وآثاره (1956-1900)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005-2006، ص 83.

⁴ أحمد منور، الأديب الشهيد... المرجع السابق، ص 127.

⁵ عبد المجيد الشافعي، سبيل الخلود الأديب الشهيد، مطبعة الشهاب، قسنطينة، 1964، ص 81-82.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

اغتيال الحبيب بناسي في سنة 1956 هو الآخر، في فترة كانت تتسم بالاضطرابات الشديدة وسط تصاعد العنف الاستعماري ضد النخب المثقفة والشخصيات الوطنية الجزائرية، كان بناسي شخصية بارزة في الوسط الثقافي والسياسي، وواحدًا من المثقفين الذين مثلوا تهديدًا للأفكار الاستعمارية بقلمه وفكره.

خلال السنتين الأولين من الثورة التحريرية نشر بناسي مقالته بتونس كانت مواضيعه تدور حول الثورة فاتصلت به جبهة التحرير وكلفته بالإشراف على الأعمال الفدائية في مدينة سيدي بلعباس وهناك قام بالمشاركة في هجوم عنيف سنة 1956، وفي صفوف جيش التحرير قامت عساكر الجيش الفرنسي بقتله بعد اشتباكات ضارية في 15 ديسمبر 1956 بدوار تلاغ بسيدي بلعباس¹.

ترك بناسي عملاً أدبياً وحيداً وكأن عنوانه يلخص حياته: (صرخة قلب) فهذا الشاب الذي ولد على بداية شرارات الحرب العالمية والثانية وكبر داخل ما جناه الأهالي من جوع ومرض وعوز ورحيل سند الأسرة نحو الحرب وفتح عينه على النضال السياسي وسال حير قلبه حين سال دم شعبه في المجازر وأشرف على ارسال الفدائيين نحو مصيرهم الأخير من أجل الايمان بمبدأ الثورة وانتهت حياته في معركة مع العدو فكل هذه الحياة ما يناسبها إلا الاحتجاج والصراخ، ويحتوي كتابه عن لوحات قصصية يغلب عليها الأسلوب الرومنسي العنيف شبهه النقاد بأنه شبيه جبران خليل جبران لو لم تكن أرضه مستعمرة وعمره رهينة حرية أهله، كما أن في كتاباته بالمقالات والرسائل الأسلوب الواقعي فكتب: يتيم الأصنام، شهداء الأدب والسياسة، دماء ودموع، شهيد بلا قبر، لا لبيك يا جمال، الحنين إلى الوطن، الامام عبد الحميد بن باديس، الثورة الجزائرية كيف نشأت، الدكتور الشهيد والذي رثى فيه أحد شهداء الحرب التحريرية بن الدكتور عودة بن زحرب فيقول في مقاله: "إن الحرية تقترب متى كثر ضحاياها"²، ويبدو من خلال هذه العناوين ثيمة الاستشهاد والموت والدم وكأنه يتوق إلى مصير.

يرى أحمد بناسي بأن اغتيال الأديب الحبيب بناسي يجعل المؤرخين أمام إعادة تفكير في توضيحات الأدباء والطلبة الدارسين في تونس والمغرب باعتبار أن الاهتمام بتوضيحات الطلبة لعقود كان فقط عن الذين انطلقوا من الجزائر أو فرنسا³.

ترك الحبيب بناسي مخطوطاً لم ير نور المطابع بعنوان: "هذه المرجعية فاحذروها" وقد كان يحمل تخطيطات لثورة كان يحلم بها بناسي وقد تحققت قبل أن يطلع عنها قادة الثور، وقد أعلن يوسف شقرة رئيس اتحاد الكتاب

¹ شريط، الأدباء ...، المرجع السابق، ص108.

² شريط، الأدباء ...، المرجع السابق، ص109.

³ أحمد بناسي، الحبيب بناسي...، المرجع السابق، ص196.

الجزائريين في ماي من سنة 2016، عن نيته واستعداده لطباعة ونشر وتوزيع مخطوط الشهيد، إذا ما وفره لهم الدكتور أحمد بناسي في غضون شهر¹.

4.2. اغتيال مولود فرعون

تجلّت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر بشكل بارز في كتابات الأديب مولود فرعون، إذ لم يكن هذا التحليل مجرد خلفية روائية، بل كان جزءاً من البنية الفكرية والوجدانية التي تكوّنت لديه من معاشة الواقع الاستعماري، ومعاناته منه، ومن خلال رواياته، خاصة "الأرض والدم" التي تم تقديمها كنموذج في الفصل الأول، و"الدروب الوعرة"، عرّى فرعون ازدواجية الخطاب الفرنسي، وبين آثار الاحتلال على الفرد الجزائري، فكرياً، ونفسياً، واجتماعياً.

كان مشروع "مولود فرعون" الأدبي يسعى لإثبات أن رجال القبائل مثلهم مثل الآخرين، وهذا ما عبّر عنه في مقدمة روايته "نجح الفقير"²، حيث شارك جزءاً من حياته التي كان يؤدّ أن يعرفها الآخرون، ومن هنا عبّر عن رغبته في ترجمة الروح القبائلية، لتصبح معروفة ومقروءة، ويزيل عنها غبار التكتّم والنسيان³.

في رواية "الأرض والدم"⁴، يكشف فرعون عن السياسة العنصرية والتمييزية التي كان يواجهها المهاجر الجزائري في فرنسا، من خلال قصة مقتل "رابح" على يد الأوروبي "أندري"، هنا يُظهر الكاتب كيف أن شهادة "عامر" — العربي — لا قيمة لها أمام شهادة أوروبي، وكيف أن الجزائريين في فرنسا كانوا يُعاملون كقئمة مهمشة، لا ثقة في أقوالها، ولا وزن لعدالتها، وقد لجأ الكاتب إلى الإيحاء والتلميح بدلاً من التصريح المباشر، ربما لدواعٍ رقابية، لكنه أوصل رسالته بوضوح: أن الاحتلال لم يكتفِ باستغلال الأرض، بل أهان الإنسان الجزائري في كرامته ووجوده.

في رواية "الدروب الوعرة"⁵، يتعمّق فرعون في تحليل أثر السياسة الاستعمارية على الهوية الجزائرية المشطورة بين الولاء لفرنسا والتعلق بالوطن الأصلي، البطل "عامر نعامر"، المولود من زواج مختلط، يجسّد هذا الصراع بين الانتماءين، وقد استعرض الكاتب معاناة هذا البطل في محاولة التأقلم في فرنسا، رغم ثقافته الفرنسية ومظهره الأوروبي، ليكتشف في النهاية أنه مرفوض هناك كما هو مرفوض في قريته المحافظة، لأنه في نظر الجميع لا ينتمي

¹ يوسف شقرة، (21 مارس 2016)، لستم أعضاء في اتحاد الكتاب ولا يحق لكم الاحتجاج حتى لو نظم نشاطه في تل أبيب، الشروق أونلاين،

استرجع في تاريخ 27 جويلية 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.echoroukonline.com>

² Mouloud Feraoun, *Le Fils du pauvre*, Éditions du Seuil, Paris, 1950.

³ Jeu Dejeux, *La Littérature Algérienne contemporaine*, deuxième édition, Puf, paris, 1997, p64.

⁴ Mouloud Feraoun, *La Terre et le Sang*, Éditions du Seuil, Paris, 1953.

⁵ Mouloud Feraoun, *Les Chemins qui montent*, Éditions du Seuil, Paris, 1957.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

بالكامل إلى أي طرف، ويعكس هذا التمزق حالة أجيال كاملة رُيّت في المدرسة الفرنسية لكنهم ظلّوا غرباء في عيون الفرنسيين.

يبيّن فرعون تطور موقفه من فرنسا من الإعجاب والانبهار إلى الخيبة والنقمة، كان يُنظر إلى فرنسا كرمز للحضارة والعدالة، لكن الممارسات الاستعمارية، والتمييز، والقتل، والتهميش، فضحت هذا الزيف، وقد عبّر عن ذلك من خلال شخصية "عامر" الذي كان يصرخ في وجه الفرنسيين قائلاً: "لا تعتبرونا كالوباء... نحن بشر كسائر الناس" وتأتي هذه الصرخة في سياق وعي متصاعد بأن فرنسا تمارس سياسة إقصاء وهيمنة، وأن مبادئها الديمقراطية ليست سوى شعارات تُستخدم لتمرير المصالح.

في نهاية المطاف، يصل "عامر" ومن خلاله فرعون إلى قناعة راسخة: أنه ينتمي إلى الجزائر، لا إلى فرنسا، ويعبّر عن ذلك في قوله: "أدركت أن لي وطنًا، وسأعتبر دائمًا غريبًا في غيره" وهذه العبارة تختزل رحلة الوعي التي مر بها الكاتب، من محاولة التوفيق بين العالمين إلى الانحياز التام للوطن والشعب، ولو بطريقة ضمنية، نظرًا لما كان يتعرض له من ضغوط وتهديدات، كما توضحه اليوميات التي كشف فيها عن تهديدات ضباط فرنسيين أرادوا منه الاصطفاف مع سلطات الاحتلال.

ثم نجد في يوميات مولود فرعون يكشف موقفه الصريح من الاحتلال الفرنسي، خاصة بعد تصاعد الثورة الجزائرية، ويفضح فيه التهديدات التي تلقاها من ضباط الاحتلال، وهذا ما جاء في يومياته: "في الواقع أن لديك إصدارات في دار النشر سيول لا يغير شيئًا... انتهى، لم نعد نقبل بالحيادية، يجب عليك أن تقاوم المتمردين برضاك، أو بالقوة...، لقد قمت ببناء بيت من مدحراتك - بالمال الفرنسي بين قوسين، سوف ندمر هذا البيت الجديد، لديك مدرسة جميلة، وشقة جميلة، قنبلة! تفجّر أنت وأقاربك، ليس لدينا حاجة إلى تفجيرها: نُطلق الرصاص، تقع أنت ميتًا، يستطيع أصدقاؤك أن يحزنوا عليك دائمًا"¹

¹ M.Feraoun, Op.cit, pp 252-253.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

نعم، تمامًا، لقد اغتيل مولود فرعون بطريقة مأساوية وصادمة، يوم 15 مارس 1962، على يد منظمة الجيش السري الفرنسي¹ (OAS) قبل أيام فقط من توقيع اتفاقيات إيفيان في 19 مارس 1962، التي وضعت حدًا للحرب وأعلنت وقف إطلاق النار².

في الغالب، يلجأ الكتاب إلى نشر اليوميات أو المذكرات الشخصية في ختام مسار حياتهم الإبداعية أو السياسية، باعتبارها خلاصة التجربة وتصنيفًا للذاكرة، فهي لا تُكتب لمجرد التوثيق، بل تُعدّ اعترافًا مؤخرًا، ييوح فيه الكاتب بما لم يُفصح عنه من قبل، ويمارس من خلالها نوعًا من المراجعة الذاتية والمكاشفة مع القارئ والتاريخ، إنّها لحظة تأمل واعتراف، يُعيد فيها الكاتب ترتيب فصول حياته، ليس بهدف التأريخ فقط، بل أيضًا ليمنح صوته معنى بعد الصمت، ويؤكد أنّ حياته لم تكن عبورًا عابرًا، بل تجربة تستحق أن تُروى، وفي حالة مولود فرعون، وبالنظر إلى عمره الذي لم يتجاوز تسع وأربعين سنة، ومنح يومياته إلى صديقه إيمانويل روبلز (Emmanuel Roblès) ويؤدي بنا هذا للتفكير بأن مولود فرعون كان يشعر بأن مقتله قريب، وهذا ما حدث فعلاً فقد نشر صديقه يومياته بعد أيام من مقتله في أبريل 1962، وفي يومياته كتب فرعون: "يمكن أن أغتال اليوم، أو أن أعدم في يوم الغد"³

يقول إيمانويل روبلز: "...على مرتفعات الجزائر العاصمة، شارك مولود فرعون بصفته مفتشًا للمراكز الاجتماعية، في جلسة عمل بإحدى ثكنات العقار حيث تم تنصيب إدارة هذه المصلحة، وبعد الساعة الحادية عشرة بقليل، دخل رجال مسلحون إلى الغرفة وأمروا الحضور بالوقوف وأذرعهم مرفوعة على طول الجدران، وعندما انتهى البحث، نادوا على سبعة أسماء، كان أحد الأشخاص المعينين غائبًا، ومن بين الستة الآخرين كان فرعون، وبنبرة من الارتياح، أكد لهم زعيم القتل أنه لن يلحق بهم أي أذى، وأن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تسجيل بيان على جهاز التسجيل، ويعتقد أن هذه كانت "بثًا مقررًا" من قبل منظمة الدول الأمريكية... تم اقتياد الضحايا الستة إلى زاوية مبنيين حيث كان ينتظرهم أفراد مسلحون آخرون، لقد أخذوا منهم أوراق هويتهم... ثم جاءت المذبحة، وبعد أن سُحق صدره بوابل من نيران الرشاشات، سقط فرعون في المرتبة الأخيرة، وسقط جسده فوق جسد

¹ منظمة الجيش السري: (بالفرنسية: L'Organisation de l'Armée Secrète - OAS) كانت منظمة إرهابية فرنسية تأسست في 11 فيفري 1961، عقب لقاء في مدريد بين جون جاك سوزيني وبيير لاغيار، تكوّنت من مؤيدين لفكرة "الجزائر فرنسية"، ورفضت استقلال الجزائر، فلجأت إلى العنف المسلح لمنع تنفيذ اتفاقيات إيفيان، قامت المنظمة بعمليات إرهابية في الجزائر وفرنسا، مستهدفة المدنيين والمؤسسات، ومن أبرز هجماتها تفجير ميناء الجزائر في 2 ماي 1962، الذي أسفر عن عشرات القتلى ومئات الجرحى، قادها الجنرال المتقاعد راؤول صالان، وسعت لإفشال مسار الاستقلال بأي وسيلة ممكنة، ينظر:

Pierre Démaret et Christian Plume, **Objectif De Gaulle**, Éditions Robert Laffont, Paris, 1973, P87.

² شريط، الأدباء... المرجع السابق، ص 113.

³ M.Feraoun, Op.cit, p249.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

صديقه ولد عودية، كانت الساعة الحادية عشرة والخامسة عشرة، وفي حقل قريب، شهدت امرأة عجوز وبعض الأطفال عملية القتل¹

كان فرعون يكتب يومياته في سرية تامة ويحذر شديد، بل وصل به الأمر أحياناً إلى تسليم بعض الكراسات التي اعتقد أنها قد تُشكله خطراً أو تُستخدم ضده إلى صديقه روبليس، الذي كان بدوره يخفيها في بستانه مع وثائقه الخاصة، نظراً لانخراطه في النضال ضمن "لجنة أمل الجزائر"، وقد فرضت عليهما ظروف الحرب وعمليات المداومة والتفتيش، التي كانت تطال الجميع وخصوصاً الليبراليين، هذا الحرص الشديد على الإخفاء والكتمان.

ومع ذلك، لم يكن فرعون يسعى إلى إخفاء يومياته لمجرد الرغبة في السرية، بل كان يعي منذ البداية أن ما يكتبه يشكل شهادة تاريخية، وقد عبّر عن هذا الوعي في إحدى مذكراته بتاريخ 17 أوت 1961 حين قال: "لم أكتب كل ذلك يوماً بعد يوم إن لم يكن ذلك بقصد الشهادة"²، وهو تصريح يحمل إشارة واضحة إلى قناعته المبكرة بضرورة نشر هذه اليوميات، وهو ما يتضح أيضاً في رسالته إلى روبليس المؤرخة في 26 ديسمبر 1959، حيث أوصاه قائلاً: "عليك أن تقوم بالواجب إن وقع مكروه ... وتكف بالمخطوطات"³، في إشارة إلى ضرورة إخراج هذه اليوميات من إطارها السري ونقلها إلى المجال العام، أملاً في أن تجد طريقها إلى النشر وتصل إلى القراء. لقد شكّلت كتابات مولود فرعون شهادة أدبية وتاريخية نادرة عن التجربة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، حيث استطاع من خلال رواياته ويومياته أن يُعري التناقضات الأخلاقية والسياسية في خطاب "فرنسا الحضارة"، ويُظهر الآثار العميقة للاستعمار على الذات الجزائرية، تمزقاً، واغتراباً، وانكساراً، لم يكن فرعون مجرد راوٍ للمعاناة، بل كان شاهداً واعياً على زمن الانكسار الوطني، ومثقفًا اختار الانحياز لشعبه، لا بالصراخ أو الشعارات، بل بالكلمة الصادقة والواعية، حتى آخر لحظة من حياته، واغتياله لم يكن نهاية رجل فقط، بل محاولة لإسكات ضمير نقيّ قاوم بالصمت والتوثيق، وترك خلفه ما يجلّد صوته في وجه النسيان.

6.2. اغتيال محمد الزاهي

يتهم عبد الله حمادي الحركة الوطنية بتجاهل جهود الكاتب والمناضل محمد الزاهي، وهو ما أشار إليه صديق الزاهي، محمد الصالح بن عتيق، في مقال نُشر بعنوان "المناضل المجهول"، يبرز المقال ثلاث صفات مهمة في شخصية الزاهي، لم تُعطَ حقها من التقدير أو التسجيل بين المجاهدين، مما أدى إلى إغفال إنجازاته، كان الزاهي ناشطاً في النهضة الإصلاحية ثم التحق بالحركة الوطنية، حيث شغل دور داعية ضمن جمعية العلماء المسلمين، ولكنه انخرط

¹ Ibid, p07.

² Ibid, p429.

³ Ibid, p153.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

في العمل النضالي بعد ظهور الجبهة الوطنية سنة 1939، وشارك في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، ويعزو حمادي تجاهل الزاهي إلى هذا الانخراط المزدوج الذي جعل اسمه غائبًا عن قائمة رجال الإصلاح، ويستغرب من عدم الاعتراف به حتى بعد الاستقلال¹.

عاد محمد الزاهي للظهور سنة 1951، حيث تم توظيفه كمدير ومدرس في "جمعية التربية الحياة الإسلامية" في قسنطينة، اشتبهت السلطات الاستعمارية به، مما أدى إلى عيشه حياة متواضعة وبعيدة عن الأضواء، ذكر صديقه صالح بن عتيق أنه وجده يبيع اللبن والزبدة في متجر بسيط، حيث عبر الزاهي عن رضاه بعمله البسيط، مفضلًا ذلك على "بيع ضميره وأفكاره" عكس الزاهي في أسلوب حياته وموقفه الرفض الصامت للسلطات الاستعمارية والنأي عن النفاق والتملق، مما جعله مثالاً لرفض الاحتلال بشكل عملي ومحتشم².

يُعتبر محمد الزاهي رمزًا للتواضع والكتمان، حيث أخفى نشاطه الثوري بحذر ودراية، مما مكنه من تجنب الاعتقال والإعدام، تميز مسار حياته النضالي بالإخلاص للوطن، وشارك في الثورة في الخمسينيات من عمره، واختار مواصلة الجهاد في الجبال بدلًا من الانتقال إلى تونس كما فعل بعض المجاهدين، ليختم حياته بالشهادة في المنطقة التي نشأ فيها في جويلية 1960، وفقًا لروايات مختلفة حول استشهاده، عرف الزاهي بتواضعه وسريته البالغة، ولم يُعرف عنه الكثير بسبب ميله للعيش بعيدًا عن الأضواء، على الرغم من أنه كان شخصية معروفة بنشاطها الإصلاحي والدعوي ضمن جمعية العلماء المسلمين³.

تضمنت حياته إسهامات في الصحافة الإصلاحية، حيث نشر رحلته من باريس في جريدة "البصائر"، وكان يفضل العمل الحر في قسنطينة دون التذلل للسلطات الاستعمارية، ما يعكس رفضه الصامت والمستمر للهيمنة الفرنسية، ومع ذلك، لم يُكرم الزاهي بالشكل الذي يليق بتضحياته، كما أشار صديقه محمد الصالح بن عتيق، الذي اعتبر أن الحركة الوطنية قد أغفلت تقدير هذا المجاهد المجهول وأهملت أثره⁴.

ساهم محمد الزاهي في الثورة الجزائرية بفعالية دون أن يسعى إلى الاعتراف، إن مسيرته التي امتدت من التعليم الديني والإصلاح إلى العمل النضالي المسلح تعكس انسجامًا عميقًا بين الفكر والممارسة، حيث عبّر عن رفضه

¹ حمادي، رحلة محمد الزاهي...، المرجع السابق، ص 18.

² حمادي، الأديب الشهيد محمد زاهي...، المرجع السابق، ص 23.

³ نفسه.

⁴ عزيز لعكايشي، "قراءة نقدية في رحلة محمد الزاهي المبلي من باريس إلى قسنطينة 1938"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع 5، 11 نوفمبر 2006، ص 139-148.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

للاستعمار لا بالشعارات، بل بسلوك متسق ومواقف ثابتة، الزاهي لم يكن مجرد رجل دين أو مناضل سياسي، بل كان صاحب رؤية فكرية تنبذ المساومة والانتهازية، حتى في أحلك ظروف الاحتلال، إن تجاهله في الذاكرة الوطنية لا يقلل من قيمة نضاله، بل يكشف عن محدودية التصنيفات التي تُبنى عليها سرديات التاريخ الرسمي، ويضعنا أمام مسؤولية إعادة الاعتبار لأمثاله ممن خدموا الوطن في صمت، ودفعوا حياتهم ثمناً لمواقفهم النزيهة.

7.2. اغتيال أحمد بوشمال

وُلد أحمد بوشمال في قسنطينة سنة 1899، وتلقى تعليمه الأولي في كُتّاب جامع سيدي ياسمين حيث حفظ القرآن، كما تعلم مبادئ اللغة الفرنسية في المدرسة الابتدائية الفرنسية، بدأ حياته المهنية بصناعة الأحذية اليدوية قبل أن ينتقل إلى التجارة ويفتح دكاناً في شارع الأربعين شريف، كان بوشمال من أوائل تلاميذ ابن باديس حين بدأ حركته التعليمية، ولم يتخلَّ عن تجارته أثناء ذلك، عندما أراد ابن باديس تأسيس مطبعة لنشر أفكاره الإصلاحية، عرض بوشمال دكانه ليكون مقراً للمطبعة، وشارك مع ابن باديس في هذا المشروع إلى جانب الزواوي بن القشي وإسماعيل صحراوي، اللذين عملا في إدارة الطباعة¹.

نشأ أحمد بوشمال في قسنطينة ضمن أجواء الحركة الوطنية الإسلامية بقيادة الأمير خالد بعد الحرب العالمية الأولى، وانتقلت رعايتها لاحقاً إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أشرف عليها ثقافياً ودينياً في العشرينات، كان بوشمال من أبرز أنصار الحركة الإصلاحية، حيث تولى إدارة صحيفتي "المنتقد" و"الشهاب" بتكليف من ابن باديس، وساهم بتوزيع الصحف وجمع الاشتراكات، بعد تعطيل "المنتقد" من قبل السلطات الفرنسية، أصدر "الشهاب" بأسلوب أقل حدة واستمرت لسنوات كأحد أبرز مجلات شمال إفريقيا، عمل بوشمال على دعم صحافة جمعية العلماء المسلمين وتعاون مع عدة صحف وطنية كانت تُطبع في مطبعة "الشهاب"، رغم عدم بروزه ككاتب أو مثقف مبدع، إلا أنه حقق شهرة إداري وصحافي مخلص للحركة الإصلاحية².

كان أحمد بوشمال رفيقاً للشيخ ابن باديس ومخلصاً للقضية الوطنية، حيث شاركه في تأسيس المطبعة الإسلامية الجزائرية والصحافة الوطنية، تولى بوشمال رئاسة قسم الشبان في جمعية التربية والتعليم الإسلامية، وعقب وفاة ابن باديس خلفه في قيادة الجمعية واستمر في مهامه حتى أغلقها الاحتلال خلال الثورة، نال بوشمال ثقة الشيخ وخلفائه، وأسهم في تأسيس الجمعيات والمدارس والنوادي، كما كان له دور بارز في إنشاء معهد ابن باديس ودار الطلبة،

¹ محمد الصالح رمضان، أحمد بوشمال الشهيد الصحفي، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر، ص 180.

² نفسه، ص 183.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

حيث كان يشرف بنفسه على التلاميذ حتى في ظروف الإضراب العصبية سنة 1957، فخلال الثورة، سخر بوشمال مطبعة "الشهاب" سرًا لخدمة القضية الوطنية، متعاونًا مع قادة الفدائيين مثل صالح بوزراع ومسعود بوجريو، حتى استشهاده، اعتُقل بوشمال عدة مرات، ورغم تعرضه للتعذيب الشديد، لم يفضح أسرار الثورة، في 13 سبتمبر 1958، اعتُقل للمرة الأخيرة، وتعرض لتعذيب قاسٍ تمنى معه الموت، أُعدم بوشمال سرًا، وظل مكان دفنه مجهولًا، لينضم إلى قائمة شهداء الجزائر الذين فقدوا حياتهم في سبيل الوطن¹.

يتضح من سيرة أحمد بوشمال أنه كان نموذجًا للمثقف الوطني الملتزم الذي لم يقتصر دوره على العمل الدعوي والإصلاحي، بل تجاوز ذلك إلى المساهمة الفعلية في تأسيس البنى الثقافية والإعلامية التي دعمت الوعي الوطني في الجزائر، حيث جمع بين النشاط الاقتصادي والتربوي والصحفي في خدمة القضية الوطنية، كما يعكس مساره عمق العلاقة بين رجال الإصلاح والثورة، إذ شكّل جسرًا بين مشروع التنوير الديني والثقافي الذي قاده ابن باديس، والعمل الثوري المقاوم خلال حرب التحرير، واستشهاده في صمت، دون أن يكشف أسرار رفاهه، يُجسّد وفاءه المطلق للوطن، ويؤكد أن العمل في الظل قد يكون أكثر تأثيرًا من الأضواء، وأن النضال الصامت قد يخلّد صاحبه أكثر من أي خطاب.

8.2. اغتيال محمد الشيخ ولد أغا

يُعتبر محمد ولد الشيخ أول جزائري يكتب النص المسرحي، حيث قام في سنة 1928 بإصدار أول نص مسرحي له بعنوان "الخليفة"، وفي عام 1937، سلم نصًا مسرحيًا آخر بعنوان "خالد شمشون الجزائري" إلى أب المسرح الجزائري، المرحوم محي الدين بشطرزي، الذي ثمن العمل وقام مع فرقته، التي ضمت أكبر رجال المسرح الجزائري مثل سيساني، مصطفى كاتب، نورية، وقصدرلي، بعرض المسرحية في مختلف ولايات الجزائر من سنة 1937 حتى 1951، ولكن تم توقيف عرضها بشكل نهائي في 1951 بسبب الرسائل المشفرة التي حملتها المسرحية، والتي كانت تهدف إلى إحياء الروح الوطنية والدعوة إلى الانتفاضة ضد الاستبداد والظلم، فلقد أثارت هذه المسرحية اهتمام العديد من المثقفين والسياسيين الجزائريين، وكان من بين الذين تحدثوا عنها في سنة 1938 محمد الأمين العمودي، الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين، وكذلك الكاتب محمد ديب في عام 1951، فلم يكن محمد

¹ نفسه، المرجع السابق.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

ولد الشيخ من رواد كتابة الرواية والشعر باللغة الفرنسية فحسب، بل يُعد أيضاً أول جزائري يكتب النص المسرحي، ليتترك بصمة واضحة في تاريخ الأدب المسرحي الجزائري¹.

لقد أسهمت مسرحية "شمشون الجزائري" التي كتبها عام 1937 في تعريف الجمهور بقيمته الأدبية الثورية، حيث استقبلها الجمهور في عدة مدن بجمهورية، مما دفع الإدارة الفرنسية إلى منعها لاحقاً خوفاً من تأثيرها السياسي، كان في هذا المزج بين الأدب والمقاومة دليل على أن الكتابة بالنسبة إلى محمد ولد الشيخ أغا لم تكن فقط فناً، بل كانت وسيلة فعالة لمواجهة العنف الاستعماري بسلطة الكلمة والجمال الفني².

في 12 ديسمبر 1951، كتب محمد ديب في جريدة الجزائر الجمهورية³ (Alger Républicain) عن مسرحية خالد شمشون الجزائري لمحمد ولد الشيخ بمناسبة الذكرى السنوية لوفاته، إذ قال أن مسرحية "خالد" لمحمد ولد الشيخ ومحيي الدين بشطارزي تُعدّ تجربة فنية جريئة في المسرح الجزائري المعاصر، خلال سنة 1926 في الجنوب الوهراني، حيث اختار الكاتبان فضاء مصحّ الأمراض العقلية مسرحاً لأحداثها⁴، مما أتاح لهما التحرّر من القيود الواقعية وتقديم رؤية نقدية رمزية للمجتمع، جمعت المسرحية بين الكوميديا والدراما والسخرية والفلسفة، بحسده "شكل من أشكال مسرح العبثي على الطريقة الجزائرية"⁵، في محاولة لفتح المسرح الجزائري على أساليب تعبيرية حديثة، وقد نُوه بالنص وأداء الممثلين القلائل الذين لعبوا أدواراً متعددة، ما أضفى على العمل طابع الحلم أو الكابوس، وسط إشادة الجمهور.

في نهاية مقاله وبعد توقيع اسمه كتب محمد ديب ملاحظة بأن الصحف اليومية الأخرى في الجزائر لم تقدم تقريرها المعتاد عن المسرح العربي في اليوم السابق، استخدم السؤال "Est-ce assez significatif؟" (هل هذا معبر بما فيه الكفاية؟) للإشارة إلى أن غياب هذه التقارير قد يكون له دلالة معينة أو قد يعكس شيئاً مهماً، يمكن أن يكون هذا تعبيراً عن استغراب أو تساؤل حول سبب عدم التغطية الصحفية لهذا الحدث الثقافي الهام، وقد يشير إلى إهمال أو قلة الاهتمام بالمسرح العربي في تلك الفترة.

¹ معراج أغا، (24 جويلية 2023)، محمد ولد الشيخ: رائد المسرح الجزائري باللغة الفرنسية، على منصة فيسبوك، استرجعت في تاريخ 08 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com/share/15VgeNYhzC/>
² عبد الحفيظ بن جلوي، (16 أوت 2022)، الرواية الفرنكوفونية في الجنوب الغربي، منصة فيسبوك، استرجعت في تاريخ 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com/share/12CHf7RNE51/>
³ الملحق رقم 30.

⁴ الإخراج وقّعه محيي الدين بشطارزي، والديكور من تصميم محمد ولد الشيخ، والإدارة المسرحية لعمار تابت.

⁵ Mohammed Dib, « Khaled », *Alger Républicain*, n° 20, 12 décembre 1951, p02.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

بالعودة إلى محمد ولد الشيخ أغا (1906-1937) فقد نشأ محبًا للأدب، منفتحًا على الحياة الثقافية الفرنسية، لكنه لم يغفل أن يوظف تجربته الأدبية في مقاومة الاحتلال من خلال أعماله المميزة، التي كانت تتنقل بين القصائد والمسرحيات، مستحضرة طابعًا ثوريًا جريئًا، أبرز إنتاجاته تشمل "المرقص المقنع" و"أفراح جنائزية"، وصولاً إلى رواية "مریم في الواحة" التي جسدت صراع الهوية الجزائرية تحت وطأة الاحتلال، من خلال شخصيات وأمكنة تبرز فيها الواحة كرمز للهوية، يتناول الصراع الداخلي الناتج عن الوجود الاستعماري، مفجّرًا بذلك "العنفية الجمالية" التي تنطلق من لغة البديل، اللغة الفرنسية، كوسيلة للتعبير عن الوعي بالاغتراب الوطني وضرورة مواجهة المسخ الاستعماري الذي طال الجزائريين وابداعهم وثقافتهم وحياتهم¹.

في سنة 1937، انتهت حياة الكاتب الجزائري محمد الشيخ ولد أغا تحت الإقامة الجبرية في مدينة تاغيت، حيث رحل عن العالم وهو لا يزال شابًا، لكنه خلف إرثًا أدبيًا زاخرًا رغم الظروف الصعبة التي عاشها في ظل قمع الحريات، ترك ولد أغا أعمالاً أدبية مهمة، كأنه أراد أن ييوح بكل شيء في لحظة واحدة، إلا أن هذه الكتابات بقيت غارقة في التجاهل والإهمال، يذكر ابن أخته معراج أغا أن صدور مسرحيّي "تحيا الجزائر" سنة 1936 و"خالد شمشون الجزائري" أثارا قلق الإدارة الفرنسية، مما دفعها إلى تشديد الرقابة عليه ووضعها تحت الإقامة الجبرية في نهاية سنة 1937، وسرعان ما تدهورت حالته الصحية نتيجة إصابته بتليف كبدي "تسمم كبدي" (Cirrhose toxique)، وتم نقله إلى مستشفى في وهران، حيث وافته المنية في 21 جانفي 1937².

في محادثتنا مع المترجم معراج أغا يقول: "جميع الوثائق المتعلقة بوفاة محمد ولد الشيخ في مستشفى وهران غير موجودة، ويُعتقد أنهم قاموا بتسميمه، مما أدى إلى دفنه في وهران دون تسليمه إلى جدي لدفنه في بشار"³.

يُعد محمد الشيخ ولد أغا أحد الشخصيات الأدبية البارزة في تاريخ الجزائر المعاصر، حيث ترك إرثًا ثقافيًا هائلًا رغم الظروف القاسية التي عاشها في ظل الاحتلال الفرنسي، بدأ مسيرته الأدبية منذ سنواته الأولى، وكان له دور محوري في تطوير المسرح الجزائري من خلال أعماله، لا سيما مسرحية "خالد شمشون الجزائري" التي شكلت إضافة نوعية في الأدب المقاوم، بلغة فنية حاولت تخطي القيود الواقعية لصالح الرمزية النقدية، كانت هذه المسرحية بمثابة محاكمة اجتماعية وسياسية في قالب فني، تحرك المياه الراكدة وتثير القضايا الوطنية، الأمر الذي لم يغفل عنه

¹ عبد الحفيظ بن جلوي، (16 أوت 2022)، الرواية الفرنكوفونية في الجنوب الغربي، منصة فيسبوك، استرجعت في تاريخ 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.facebook.com/share/12CHf7RNE51>

² معراج أغا، تقديم رواية...، المرجع السابق، ص 13.

³ معراج أغا، محادثة مكتوبة عبر ماسنجر، 25 أكتوبر 2024، بخصوص محمد ولد الشيخ أغا.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الاحتلال، فتم منع عرضها نتيجة للرسائل المشفرة التي حملتها، ورغم أن ولد أغا لم يحظَ بما يستحقه من تقدير في حياته، فقد استطاع أن يترك بصمة قوية في الأدب الجزائري، مهموًّا بتجربة فنية، ولكن ظروف وفاته في 1937 تظل غامضة، حيث تشير الأدلة إلى احتمال تعرضه للتسميم أثناء إقامته الجبرية في مستشفى وهران، مما يعزز فرضية الاغتيال السياسي، وبينما تبقى هذه التفاصيل غير مؤكدة، فإن هذا الغموض يساهم في خلق صورة مشرقة حول كفاحه الأدبي والنضالي، ويجعل من سيرته مصدرًا هامًا لمزيد من البحث والتقصي في تاريخ الجزائر الثقافي والسياسي.

9.2. اعدام الربيع بوشامة

بعد مجازر 8 ماي 1945 في سطيف والقمع العنيف الذي تلاها، اندلعت أعمال شغب في خراطة تخللتها هجمات على المستوطنين الأوروبيين، حاول الأهالي اتخاذ تدابير احترازية، ولكن سرعان ما تعرضوا للقمع الوحشي، بما في ذلك الاعتقالات الجماعية والتعذيب، كان الشاعر الربيع بوشامة من بين المعتقلين، وقد واجه تهمةً بتحريض الناس على الجهاد، لكنه نال البراءة بعد استئناف الحكم بسبب تناقض الشهادة المقدمة ضده، وبعد خروجه من السجن في أواخر فيفري 1946، وهو يعاني من مرض وإرهاق شديدين، انخرط بوشامة في التعليم والعمل الثقافي، حيث أعاد نشاط مدرسة الهداية في الجزائر العاصمة، ثم انتقل إلى إدارة مدرسة الثبات في الحراش، محققًا إنجازات تعليمية ملحوظة.

عندما اندلعت الثورة التحريرية، كان من بين الأوائل الذين شاركوا فيها، إذ التقى مع العقيد عميروش في بداية الثورة، حيث انضم إليه في منطقة بني عباس قرب بجاية في الثاني من عيد الفطر لعام 1375هـ، الموافق 13 ماي 1956، ويبدو أن هذا اللقاء كان ذا طابع مهم بالنسبة للأوضاع العامة في تلك المنطقة، وفقًا لما ذكره بوشامة في عام 1994، ويُعتقد أن هدف اللقاء كان دعم الثورة مادياً ومعنوياً، حيث لوحظ بعد عودة الشيخ الربيع أنه قام بالكثير من الاتصالات مع معارفه وأصدقائه، مستمراً في دعم الكفاح الوطني، كان الشيخ الربيع بوشامة، بالإضافة إلى تربيته احتياجات الثورة، يساهم في تجنيد الشباب وتمكينهم من الالتحاق بجيش التحرير، ويقوم بنشاط سياسي هام لمواجهة دعاية العدو، كما عمل على رفع معنويات الشعب للاستمرار في المعركة وقد بلغ تفانيه في دعم الثورة إلى حد قوله لزوجته: "آه لو يعلم الفرنسيون بما أفعله في الخفاء، لقطعوني إرباً إرباً"¹.

رفض الشيخ الربيع مغادرة الوطن رغم إلحاح زوجته والعقيد عميروش، مؤكداً أن الفرار لا يليق بمن يحمل همّ الثورة، ومع تزايد الخطر، عاش في حالة طوارئ دائمة حتى اعتُقل أواخر سنة 1958، وتعرض لتعذيب قاسٍ شمل

¹ صالح بوشامة، الربيع بوشامة حياته وشعره، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2013، ص 19.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الضرب المبرح وإطلاق الكلاب عليه، ما شوه ملامحه تمامًا، وقد اعترف خلال التحقيق بانتمائه لصفوف جيش التحرير الوطني، ونسب لنفسه التهم الموجهة لرفاقه في محاولة لحمايتهم¹.

أُفرج عنه مؤقتًا بداية سنة 1959، ثم أُعيد اعتقاله بعد يوم، وتعرض للتعذيب مجددًا أمام أسرته، دون أن تعرف عائلته مكان احتجازه، وفي ماي من نفس العام، وصلت رسالة مشفرة مكنتهم من التعرف على موقعه بمزرعة بوشي، لكنه استشهد بعدها بأيام في بودواو، حيث حاولت سلطات الاحتلال التغطية على اغتياله بادعاء مقتله في اشتباك مسلح، وقد أحدث خبر استشهاده صدمة كبيرة في مدينة الحراش، وأعلن يوم وفاته يوم حداد شعبي رغم القمع والاحتلال².

يوقع صالح خرفي تاريخ قتل الربيع بوشامة ليوم 13 ماي، مع عبد الكريم العقون رميا بالرصاص، أما تقارير الشرطة فتشير لليوم التالي³، ويقول جمال قنان: "لقد تمكنت أسرة الشهيد من التعرف على مكان اعتقاله في آخر لحظة عندما وصلتها رسالة منه في بداية شهر ماي، وكانت رسالة مقتضبة ليست بخطه⁴ ولكن تعابيرها من عنده وليس فيها أي شيء غير كونه في صحة جيدة والسؤال عن أحوالهم دون إشارة إلى أي شيء آخر، لقد فسر السماح له بإرسال هذه الرسالة إلى عائلته فيما بعد، على أنه تكرمه من نوع تلك التي تمنح للذين سينفذ فيهم حكم الإعدام، لقد كان على ظهر غلاف الرسالة أرقام، وبفضل مساعي أحد الجيران من الجزائريين الذي كان يريد أن يساهم في مواصلة الأسرة بتقديم خدمة لها مستغلا صداقته ببعض الفرنسيين فكانت رموز هاته الأرقام التي تعني العنوان الشفري المكان حجز الشاعر⁵"

يستمر قنان في الحديث قائلا: "كما استشف من حديثه معهم أن الشهيد عذب عذابا شديدا على يد الشرطة وبأن نشاطه السابق في باريس جثم بثقل كبير في قضيته، ذلك أن العلاقات التي تربط الشهيدين العقيد عميروش والشيخ الربيع يعود تاريخها إلى هذه الفترة، وبالفعل لقد توجهت زوجة الشهيد برفقة الشيخ محمد بوسنة وزوجته إلى مزرعة بوشي قرب لربعطاش والشيخ بوسنة هو أحد تلامذة الشيخ الربيع القدامى وأحد أصدقائه المقربين وزميلا له في مدرسة الثبات" يواصل قنان قائلا: "ولما استفسروا عن المكان الذي اقتادتهما إليه رد بأنه لا يسأل عندما يستقبل المساجين من أين أتوا كما أنه لا يستفسر عن الجهة التي سيذهبون بهم إليها عندما يستلمونهم وأن

¹ نفسه، ص 34.

² نفسه، ص 27.

³ خرفي، محمد السعيد ...، المرجع السابق، ص 300.

⁴ ربما لم يستطع الكاتب، كتابة رسالة لأهله بسبب التعذيب الذي تعرض إليه، فأوكل المهمة لغيره.

⁵ جمال قنان، الشاعر الشهيد الربيع ...، المرجع السابق، ص ص 204-210.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

هذا ليس من شأنه كان هذا اليوم هو يوم 14 ماي 1959، وهو اليوم الذي أعلن فيه أحد الجندرمة عن مقتل الشهيد وزميله الشيخ أحمد أمام بلدية بودواو، لم نتمكن من معرفة هوية الشيخ أحمد بالضبط¹

لقد ركز الشاعر الربيع بوشامة، بصفته معلّمًا ومديرًا، على تربية الأجيال وتعزيز الانتماء الثقافي والحضاري، معتبرًا ذلك رسالة مقدسة لا تنقطع، شدد على أهمية التعليم في مواجهة الجهل وتحقيق الأصالة، مع التحذير من خطر الذوبان الثقافي الذي قد يفقد الهوية الوطنية، رغم اعترافه بأهمية تعلم اللغات الأجنبية، وفي ظل الاحتلال، كان الشاعر يرى أن التحرير يتطلب تضحيات مشتركة من الجميع، سواء بالسلاح أو عبر التعليم والثقافة، دعا إلى الحوار والتعاون رغم التوترات السياسية، مستلهمًا من حركات التحرر العالمية، ومؤمنًا بأن النضال والتضحية هما السبيل الوحيد للتحرر، وقد تم اعتقاله في 17 جانفي 1959، وبعد فترة من الاحتجاز، استشهد في 14 ماي 1959، أعلنت السلطات الاستعمارية خبر وفاته بشكل دعائي في مدينة سطيف².

تعرض الشهيد الربيع بوشامة لتعذيب شديد أثناء احتجازه، وفقًا لشهادات من كانوا معه، حيث اعتُبرت علاقته بالبطل الشهيد عميروش مخالفة كبيرة في نظر المحققين والمُعذِّبين، أثار خبر استشهاده موجة من الحزن في مدينة الحراش، حيث توافد المواطنون إلى منزله لتقديم التعازي رغم الظروف القمعية السائدة آنذاك، واستمرت هذه الزيارات لأيام، ترك الشهيد إرثًا أدبيًا غنيًا شمل أشعارًا، ومقالات، وخطبًا، ومراسلات، وقد جمع الدكتور جمال قنان شعره في "ديوان الشهيد الربيع بوشامة"³ الذي صدر عام 1994، واحتوى على حوالي 103 قصائد، قسّم الدكتور قنان هذه القصائد إلى موضوعات مختلفة تُبرز تنوع إبداع الشهيد وتوجهاته الفكرية⁴، ولكن سعد الله يقول: "له ديوان مطبوع الآن بعد أن جمع شعره وقدمه جمال قنان وهو قريبه، ويبدو أن الديوان لا يضم كل شعره وهو الشعر الذي نظمه قبل وأثناء الثورة، وقد قال جامع الديوان بأن الشاعر كان ينظم القصائد أثناء الثورة ثم يبعث بها إلى جيش التحرير اعتقادًا منه أنها ستظهر بعد الاستقلال، وقبل اعتقاله جمع شعره في كراس وكتب عليه هذه مجموعة شعرية... لم يكتب في الكراس سوى أربع قصائد"⁵

يقول جمال قنان: "ولقد أوصاني وأنا لا زلت طفلًا على نشر ديوانه إن لم تسعفه هو الظروف للقيام بذلك، وكأنه يقرأ في لوحة المستقبل - يبدو أنه قد بدأ فعلاً في انتقاء بعض القصائد لنشرها في شكل مجموعة وهذا قبل

¹ نفسه.

² شريط، الأدباء...، المرجع السابق، ص 110.

³ الربيع بوشامة، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

⁴ شريط، الأدباء...، المرجع السابق، ص 111.

⁵ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 9، المرجع السابق، ص 530.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

اندلاع الثورة، ولقد وجدنا كراسة كتب عليها ما يلي : هذه مجموعة شعرية من نظم الربيع بن الصديق بوشامة، أتقدم بها كأعز أثر وألطف تحفة إلى أبناء العروبة والإسلام عامة وحماة الجزائر خاصة ... ولم يسجل الشاعر في هذه الكراسة سوى قصيدة وحي الذكرى¹، أما محمد ناصر فيقول عن شعره: "له شعر غزير نشر أغلبه في جريدة البصائر وهو يتجه فيه اتجاهها إصلاحيا وطنيا وينزع فيه نزع مدرسة المهجر وجماعة أبولو²"، وعن شعره يقول محمد الطاهر فضلاء: "والدارس لشعر الربيع بوشامة، يطالعه أول ما يطالعه هذا الجو القائم من الصراع، فهو في الرثاء مثله حين يشد وبأفانين الجمال، فكأنه في الحالين معا يؤدي رسالة واحدة لا تتميز إلا في موضوعاتها ولا تختلف إلا في هذه القافية أو ذاك الروي"³

يقول الربيع بوشامة عن الحرية⁴:

لا يوم أروع من يوم تقوم به	حرا محطم الأغلال
لا شيء أغلى من التحرير يكسبه	مجاهد بعد آلام وأخطار
يا ابن الجزائر هذي ليبيا	من العذاب ونالت خير أوطار
فأمدد إليها يدا بالتهنئات وقم	في عيدها باحتفالات واكبار

نرى بأن اغتيال الربيع بوشامة يشكل نموذجًا صارخًا لاضطهاد النخب الفكرية الجزائرية التي وظّفت الكلمة في مقاومة الاحتلال الفرنسي، إذ امتزجت في مسيرته أدوار المعلم والشاعر والمصلح والمناضل، فصار هدفًا مباشرًا للسلطة الاستعمارية التي رأت في نشاطه التربوي والأدبي خطرًا يهدد المشروع الثقافي الاستعماري القائم على طمس الهوية، لقد تدرج بوشامة في سلم العمل الوطني ضمن إطار جمعية العلماء المسلمين، قبل أن يندمج في خلية ثورية بإشراف عميروش، ليجسد التحام النخبة الثقافية بالحركة المسلحة، إن اختطافه وتعذيبه ثم تصفيته فرحل الربيع في ربيع سنة 1959، وسط تكتم إداري ودعائي، يعكس الطريقة التي استخدمتها السلطات الاستعمارية لتصفية الشخصيات ذات التأثير الجماهيري والفكري في صمت، ولم يكن اغتياله نهايةً لحضوره، بل بدايةً لسؤال مستمر حول مصير الذاكرة الوطنية، حيث بقي ديوانه شاهدًا على نضال رجل آمن بأن مقاومة الاحتلال تبدأ من المدرسة وتنضج في القصيدة، وتنتهي على مقصلة الشهادة.

¹ قنان، الشاعر الشهيد الربيع...، المرجع السابق، ص 208.

² ناصر، الشعر...، المرجع السابق، ص 672.

³ عبد العالي رزاق، الشعر الجزائري المعاصر - شعر ما قبل الاستقلال، مجلة آمال، الجزائر، د ت، ص 106.

⁴ خربي، محمد السعيد...، المرجع السابق، ص 62.

10.2. اعدام عبد الكريم العقون

ولد الشاعر عبد الكريم العقون في قرية برج الغدير، التابعة لولاية سطيف، في الثامن عشر من شهر مارس عام 1918¹، حيث أتم دراسته الابتدائية، ثم انتقل إلى قسنطينة ليتلمذ على يد المثقفين هناك²، وكان من بين أساتذته الأديب والباحث موسى الأحدي، بعد ذلك، سافر إلى قسنطينة حيث درس تحت إشراف الإمام ابن باديس بين عامي 1933 و1936، بعد ذلك، انتقل إلى تونس حيث حصل على شهادة التحصيل، وعاد بعدها إلى الجزائر العاصمة حيث عمل كمدرس لمدة خمسة عشر عامًا، أولاً في مدرسة الفلاح و ثم في المدرسة الملحقة بمسجد المرادية³.

في ظل نشاط الحركة الأدبية، برزت موهبته الشعرية حيث كتب قصيدته الأولى في عام 1938 أثناء دراسته في معهد ابن خلدون وهو في سن العشرين، ولكنه لم يقم بنشرها، بل قام بإلقائها في اجتماع الطلبة الجزائريين الزيتونيين تحت عنوان: "يا شبابا قد طال نومك فانهض"، في هذه القصيدة، تذكر الشباب بمسؤولياتهم وينصحهم بالاستعداد بالعلم والمعرفة⁴.

بعد عودته إلى الجزائر، بادر إلى نشر قصائده الأولى في الصحف الوطنية مثل "البصائر"، و"المنار"، و"الإصلاح"، يجب التأكيد على أن فترة تونس كانت محطة أساسية وهامة في حياة العقون، حيث ساعدت في تكوين نضجه الفكري والوعي السياسي، إذ كانت فرصة قيمة لقراءة الأحداث الهامة في الصحف والمجلات، ولقاء العلماء والأساتذة الذين كانوا معروفين في الساحة الثقافية في ذلك الوقت، عندما اندلعت أحداث الحرب العالمية الثانية في عام 1939، عاد العقون إلى أرض الوطن بشهادة التحصيل، فاحتفلت به أسرته ونظمت له حفلا كبيرا حضره جميع أفراد قرينته، احتفاءً بعودته ونجاحه الدراسي، استغلت أسرته هذه الفرصة السعيدة لتنظيم حفل زفافه، بهذه الظروف السعيدة التي أتت معها الاستقرار والسكينة، ينهي العقون فترة طفولته وسنوات الترحال، وتبدأ مرحلة جديدة وحاسمة في حياته مليئة بالمسؤوليات والتحديات المستقبلية، وترنم بصوت الوطن الذي يستدعيه⁵.

¹ دوغان، شخصيات...، المرجع السابق، ص52.

² بن قينة، صوت الجزائر، المرجع السابق، ص200.

³ دوغان، شخصيات...، المرجع السابق، ص52.

⁴ خري، الجزائر والأصالة...، المرجع السابق، ص77.

⁵ نفسه.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

عندما بزغت شمس الثورة التحريرية، انتقل عبد الكريم العقون من جهاد الكلمة إلى جهاد الثورة، حيث كان من الأوائل في الانخراط في خدمة الوطن، انضم إلى صفوف المنظمة المدنية التابعة لجبهة التحرير الوطني، وتم اختياره أميناً لصندوق المال في منطقة المرادية، كان على صلة بالفدائيين، يلوذ بهم ويتنسق معهم ويزودون بالسلاح، ويشارك في تكوين خلاياهم، حتى أصبح بيته محط شبهة، رغم تعرضه للاعتقالات المتكررة وتعذيبه في سجون الاحتلال، إلا أنه لم يتخلى عن مواقفه الثورية وحب لوطنه، مصراً على عدالة قضيته وربط مصيره بمصير الجزائر، تحت رقابة مشددة من السلطات الفرنسية، لم يستسلم وظل ثابتاً على مواقفه، مترنحاً شعار "شباب الجزائر فك القيود! واثبت وجودك في ذا الوجود"¹.

في فجر 15 جانفي 1959، اقتحمت القوات الاستعمارية بيته واعتقلته، فتلقى كل أشكال التعذيب في سجن الكورنيش بباب الوادي، ثم نقل إلى سجن الدويرة حيث أعدم في 13 ماي 1959، وقد خلّد اسمه في سجل الثورة المجيدة، كان مفهوم الحرية واضحاً لدى العقون، وأدرك أن ثمنها غالٍ، عندما عرضت عليه الجبهة فرصة المغادرة والهروب إلى المغرب، رفض بثبات، قائلاً بثقة: "الجزائر بحاجة إلى فكيف سأتركها في محنتها، وروحي فداء لها"².

تجسدت مسيرته بقوة بعد اندلاع الثورة المسلحة في 1954، حيث كان جزءاً لا يتجزأ من الحركة الوطنية لتحرير البلاد، كان يعمل في كل مجالات الحياة اليومية كجندي وقائد، وكان يسعى بجدية لتحقيق تحرير بلاده، تعرض لمضايقات واضطهادات من الاحتلال الفرنسي³، وبمتهمة خطبه الحماسية التي كان يلقيها في مسجد المرادية والتي كانت تحرض الشعب على التمرد، بالإضافة إلى نشاطه النضالي، من بين قصائده، هناك الأبيات التي ألفها احتفالاً بذكرى يوم 8 ماي 1945م، حيث قال في إحدى قصائده: "الكون ضاق بكل حاكم جائر"، حيث تم اعتقاله في 15 جانفي 1959⁴، من قبل الاحتلال الفرنسي، ولم يكن هناك أي معلومات عن مكان احتجازه، وفي 13 من شهر ماي من نفس العام، تم إعدامه من قبل الاحتلال في بلدة الدويرة بولاية تيارت، بعد أن تعرض لتعذيب لا يمكن وصفه⁵، وقد ترك الشاعر أربعة أبناء: محمد رضا، الوليد، عبد المالك، وفيصل الذي لم يتحمل

¹ الشريف مريعي، عبد الكريم العقون شاعراً، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، الجزائر، 1986-1987، ص 33.

² مريعي، عبد الكريم...، المرجع السابق، ص 14.

³ دوغان، شخصيات...، المرجع السابق، ص 52.

⁴ شريط، الأدباء...، المرجع السابق، ص 118.

⁵ دوغان، شخصيات...، المرجع السابق، ص 52.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

لصغر سنه عجرفة الاحتلال في لحظة اقتحام منزل والده، مما تسبب في تدهور حالته النفسية واحتياجه للعلاج في أقسام الأمراض العقلية¹.

رغم التحديات القاسية التي واجهها الكتاب الجزائريون خلال الفترة الاستعمارية، وخاصة في أيام الثورة التحريرية، حيث كانوا يتعرضون للسجن والتعذيب والنفي والإعدام على يد جنود الاحتلال الفرنسي، إلا أن شاعرنا كان جريئاً وملتزماً، كان يوقع جميع قصائده، سواء كانت وجدانية أو ثورية، باسمه الحقيقي، دون اللجوء إلى استخدام أسماء مستعارة كما كان يفعل البعض².

يمثل إعدام عبد الكريم العقون لحظة مفصلية تكشف عن العنف المنهجي الذي مارسه السلطات الاستعمارية تجاه النخبة الثقافية الجزائرية، خصوصاً تلك التي اختارت الانتقال من الكلمة إلى الفعل، ومن القصيدة إلى الخلية الثورية، فقد جسد العقون، عبر مسيرته الممتدة من مقاعد الزيتونة إلى منابر الخطابة والتعبئة، نموذج المثقف الذي لم تفصله المسافة بين الحبر والبارود، بل جعلهما شريكين في معركة التحرير، تعرض للاعتقال والتعذيب بسبب مواقفه، لكنه بقي متمسكاً بخياله الوطني حتى لحظة إعدامه في السجن بتيارت سنة 1959، بعد محاكمة صورية ووسط تعميم إعلامي، إن إصراره على التوقيع باسمه الصريح في زمن الملاحقة، ورفضه مغادرة البلاد رغم تهديدات الموت، يقدمان صورة نادرة عن التزام أخلاقي وفكري أثناء الثورة، وإذ بقي ديوانه مبعثراً بين الصحف ومخزون الذاكرة الشعبية، فإن اسمه ارتبط بمسار أوسع للمثقف المقاوم الذي لم يكتفِ بإدانة الظلم شعراً، بل دفع حياته ثمناً لتحرير وطنه.

11.2. اغتيال محمد الأمين العمودي

أثناء ندوة في قاعة (الموقار) مساء يوم 29 نوفمبر 1977، تحدث أحمد العمودي الابن الأكبر عن استشهاد والده، وقد أشار أحمد إلى أنهم اكتشفوا جثمان والدهم بالقرب من السكة الحديدية في قرية (العجينة) في العاشر من أكتوبر 1957، وقال: "في ذلك اليوم، كان والدي متوجهاً إلى عمله في محكمة الجزائر، وتلقينا الخبر في اليوم التالي عن طريق الجندرمة"، وقد تبين لاحقاً أن شيخ بلدية (البويرة) كان يعرف نشاط والد أحمد العمودي كصحفي، وعندما علم أن الأمين العمودي من ضمن الأبرياء الذين قتلوا على يد الاستعماريين، أمر شيخ البلدية بالاتصال بأسرته، وبعد فحص الحادثة، تبين أن عصابة اليد الحمراء التي اختطف والد أحمد العمودي لم تقتله تماماً، بل رمت

¹ نفسه.

² مريعي، عبد الكريم...، المرجع السابق، ص 29.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

جثمانه بعد أن ضربته ضربة قاتلة، ونُقل إلى المستشفى في (البويرة)، لكن لم تنفعه الإسعافات وتوفي، هذا الكشف كذب الادعاء الذي أذاعته السلطات الاستعمارية بأنه قام برمي نفسه من القطار¹.

شهد حمزة بوكوشة عن صحة العمودي المزيرة في آخر أيام حياته، فقد تعرض الشهيد لتتابع العلل والأمراض، حيث اعترته حركة الارتعاش وتقدمت حالته إلى حد الشلل، كان بحاجة ماسة إلى الراحة والاطمئنان، ولكن قلة المال وتكاليف العلاج حالت دون تحقيق هذا الأمر، في تلك الأيام العصبية، كانت عصابة "اليد الحمراء" تختطف المسلمين الجزائريين وتهوي بهم في أماكن مجهولة، ولم يمهلهم الوقت والأمراض الشديدة التي كانت تعاني منها، وفي أكتوبر 1957، وُجد مضرجًا بالدماء قرب (البويرة)، ودُفن في مقبرة (حي مانتوحيين)².

وفقًا لشهادة الطاهر بوشوشي، يشير إلى أن الشهيد الأمين العمودي قتل بعد تسليمه وترجمته لتقرير كان قد قدمه في ملف القضية الجزائرية للأمم المتحدة، يكشف عن التعذيب الجهنمي والأساليب الوحشية التي استخدمتها السلطات الفرنسية ضد الشعب الجزائري، تعود صورة هذه القضية إلى الملف الذي قدمه الأخ عبد القادر شندي إلى لجنة تصفية الاحتلال بالأمم المتحدة في عام 1957، والذي كشف عن حقائق مروعة للتعذيب والإبادة التي تعرض لها مناضلو جبهة التحرير الوطني والمواطنين الآخرين، تم جمع هذه المعلومات بواسطة مناضلي الجبهة وتقديمها بواسطة الشيخ الصديق مصباح للشهيد الأمين العمودي لصياغة التقرير وتقديمه للأمم المتحدة، فبعد نجاح القضية الجزائرية وحصولها على حق التسجيل في دورة الأمم المتحدة الحادية عشرة في عام 1957، بدأت السلطات الفرنسية في التحقيق لمعرفة هوية صاحب التقرير، ونتيجة لذلك، تم اعتقال الشيخ الصديق مصباح وتأكيد أن الشهيد الأمين العمودي هو الشخص الذي صاغ التقرير³.

يؤكد بوشوشي أنه كان يجهل أن الشاعر العمودي هو الشخص الذي صاغ التقرير الذي تم تقديمه، وذلك لم يتضح له إلا بعد اغتيال العمودي، ويشير إلى أنه بعد وفاته، كشف له السبب وراء تعرض منزله للتفتيش المستمر، ويقول: "لا أدري كيف وصلوا إلى استنتاج أن الشيخ العمودي هو صاحب الملف، أكد لي الشيخ مصباح بعد الاستقلال أن العمودي هو الشخص الذي صاغ التقرير باللغتين العربية والفرنسية، وأن المعلومات الموجودة فيها جمعتها مناضلو جبهة التحرير الوطني"⁴ ويعقب الأستاذ الطاهر بن عيشة على الحادثة في كلمته التي ألقاها في ندوة

¹ السائحي، محمد الأمين العمودي...، المرجع السابق، ص 26.

² نفسه، ص 27.

³ نفسه، ص 28.

⁴ نفسه، ص 29.

الفصل الثاني: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

الموقار، قائلاً: "وبهذا انطفأت شمعة من شموع الفكر الجزائري، وقدم الهمجيون الفرنسيون ضحية أخرى لتضاف إلى قافلة شهدائنا الأبرار"¹

يمثل اغتيال محمد الأمين العمودي، أحد أبرز أعلام الصحافة والإصلاح في الجزائر، نموذجاً دالاً آخر على استهداف الاحتلال الفرنسي للعقول الوطنية التي تسلّحت بالقلم والكلمة من أجل فضح جرائمه على الساحة الدولية، فمن خلال شهادات نجله أحمد العمودي، ورفاقه كحمزة بوكوشة والطاهر بوشوشي، تتضح خلفيات اغتياله المرتبطة بدوره في صياغة التقرير السري الذي كشف انتهاكات فرنسا في الجزائر أمام لجنة تصفية الاحتلال بالأمم المتحدة عام 1957، هذا الدور المحوري جعل منه هدفاً لعصابة "اليد الحمراء"، التي نفذت عملية تصفيته بوحشية، متذرة بادعاءات كاذبة عن انتحاره، قبل أن تكشف التحقيقات عن تعرضه للضرب والتنكيل قبل رميه قرب سكة القطار، لقد كان العمودي، رغم وضعه الصحي المتدهور، مخلصاً لواجبه الوطني، مسهماً في إيصال صوت المقهورين إلى المحافل الأممية، فجعل من قلمه سلاحاً يُخشى أثره، وهكذا سقط شهيداً، مضرجاً بدمه، لا كضحية عابرة، بل ككاتب دفع حياته ثمناً للحقيقة، ومفكر نذر جسده وفكره من أجل وطن ما زال يريزح تحت نير الاحتلال.

خلاصة:

يكشف هذا الفصل عن الوجه القمعي للسياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي في الجزائر، حيث تعاملت سلطات الاحتلال مع الكتابة الجزائرية كأداة خطيرة في تشكيل الوعي الوطني ومقاومة الهيمنة، فسعت إلى التحكم بها وتقييدها، وقد تجلّى ذلك في عدة ممارسات، أبرزها التضييق المادي على الأدباء، وشراء الأقلام، وممارسة التعقيم الإعلامي، إلى جانب توقيف الصحف والمسرحيات التي لا تخدم الأهداف الاستعمارية.

كما سلط الفصل الضوء على العقوبات الجسدية التي طالت عدداً من الأدباء من خلال السجن، والإقامة الجبرية، والتعذيب، بل والاعتقالات السياسية التي استهدفت رموز الأدب في الجزائر، مما يدل على أن الاحتلال لم يكن يواجه فقط المقاومة المسلحة، بل كان يخشى أيضاً الكلمة، فكانت النهاية المأساوية لمعظم الأدباء.

في المجمل، يُبرز هذا الفصل كيف شكّل الأدب الجزائري في فترة الاحتلال مجالاً للمقاومة الثقافية، وميداناً للصراع بين القلم الحر والمنظومة الاستعمارية، مما جعله هدفاً مباشراً للقمع والتصفية.

¹ نفسه.

“

الخاتمة

”

أسفر تناول الكتابات الأدبية الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1900-1962م)، في إطار دراسة تاريخية ترصد سياقات نشأتها وتحولاتها ووظائفها، عن مجموعة من النتائج والاستنتاجات، يمكن إجمالها فيما يأتي:

- انطلقت الأطروحة من مدخل تاريخي وثقافي أبرز ملامح تشكّل الكتابات الأدبية الجزائرية منذ القرن التاسع عشر، حيث تبين أنّ القلم الأدبي الجزائري لم يتشكّل بمنطق الإبداع الخالص، بل داخل سياق تاريخي وتعليمي مضطرب: تراجع العربية أواخر العهد العثماني، ثم قطيعة استعمارية عنيفة فكّكت مؤسسات التعليم والأوقاف وضيقت النشر.
- نتج عن ذلك اختناق البيئة الحاضنة للثقافة وتشتت الإنتاج بين الديني/التقليدي والوظيفي والإداري ومحاولات فردية داخل الوطن وخارجه، في مقابل مقاومة فكرية مبكرة (العرائض، الاحتجاج، الدفاع عن العربية) أسست نواة وعي ثقافي ووطني مهّدت لنهضة القرن العشرين.
- تُبرز الدراسة أنّ القصة الجزائرية المكتوبة بالعربية وُلدت في رحم الصحافة العربية الإصلاحية والوطنية، ضمن سياق سياسي واستعماري مضطرب، ما جعلها وسيلة للتعبير عن الوعي الجماعي ومساءلة الواقع، وساعد قصرها على انتشارها في المنابر الصحفية خاصة مع تصاعد الحركة الوطنية واندلاع الثورة.
- تبين أنّ نشأتها لم تكن مسارًا فنيًا خالصًا، بل جاءت بطيئة ومعقّدة بسبب الهيمنة الاستعمارية وضيق الحرية وهيمنة الشعر؛ فغلب على البدايات التوجيه والإصلاح ومزج القصة بالمقال والحكاية على حساب البناء الجمالي المتكامل.
- لم يُحلّ الخطاب الإصلاحي دون ازدهار القصة؛ إذ أسهم في توسيع حضورها بوصفها أداة تجمع بين التعبير الأدبي وبناء الوعي الاجتماعي والسياسي، ضمن أشكال النضال الثقافي.
- تفاعلت القصة مع الأدب العربي المشرقي، وتأثرت بالتجربة الغربية عبر الصحافة والبعثات، وكان للمهجر التونسي دور في تسريع تشكّل الوعي القصصي، كما لجأ الكتّاب إلى الرمز والسخرية والتقابل الثنائي لكشف زيف شعارات "المساواة" داخل المنظومة الاستعمارية.
- تكشف نماذج مثل "المساواة: فرانسوا والرشيد" و"السعادة البتراء" عن عمق الوعي النقدي، وعن انتقال القصة من الإصلاح الاجتماعي إلى خطاب احتجاجي مهّذ للوعي الثوري، ثم إلى القصة الثورية التي تحوّل فيها السرد إلى شهادة على العنف الاستعماري وتوثيق للتجربة وتمجيد للفعل النضالي، مع إبراز مشاركة المرأة في الكفاح.

- تُبرز الدراسة أنّ تشكّل الكتابة الروائية في الجزائر لم يكن وليد لحظة مفصلية واحدة، بل نتيجة مسار تراكمي تشابكت فيه عوامل ثقافية وتاريخية وسياسية، بدءًا من إرهابات مرتبطة بنظرة الآخر والاستشراق، وصولًا إلى خطاب روائي وطني واعٍ بذاته وبواقعه.
- تكشف البدايات عن وعي سردي جزائري مبكر، وإن ظلّ محكومًا بهيمنة المنظومة الاستعمارية وفضاءات النشر، كما أظهر المسار تفاعلًا مزدوجًا بين التراث السردى العربى والتأثيرات الغربية في سياق فرض اللغة الفرنسية والانقسام اللغوي والثقافي.
- يبيّن التقسيم المرحلي أنّ تطور الرواية ارتبط بالتحوّلات الاجتماعية والسياسية: من إرهابات خجولة إلى خطاب اجتماعي نقدي، ثم إلى أدب وطني وثوري ملتزم؛ وقد أتاح الرواية الاجتماعية فهمًا أعمق لتعقيدات المجتمع تحت الاحتلال (الهوية، الزواج المختلط، الدين، وضع المرأة).
- تُظهر مرحلة الثورة تحوّل الرواية إلى أداة نضال وتوثيق غلب فيها أحيانًا البعد الإيديولوجي على الجمالي، قبل أن تميل التجربة لاحقًا إلى قدر أكبر من التوازن بما يعكس نضجًا فنيًا وفكريًا.
- يتبيّن أنّ الكتابة المسرحية الجزائرية زمن الاستعمار لم تكن ترفًا فنيًا، بل ممارسة ثقافية واعية انخرطت في السياق الاجتماعي والسياسي، وتحول المسرح إلى فضاء للتوعية والتأثير الجماعي في ظل الرقابة والحذر الاستعماري.
- ارتبط تطور المسرح بالتحوّلات الكبرى: انتشار الهزل والكوميديا بعد الحرب العالمية الأولى كمتنفس، مع تضيق على النفس السياسي، ثم لجوء الكتاب إلى الرمز والسخرية والتاريخ والاقتباس لتجاوز الرقابة دون مباشرة.
- بعد الحرب العالمية الثانية، شهدت الكتابة المسرحية انبعاثًا جديدًا عبر العودة إلى التاريخ وإعادة تشكيل النصوص العالمية وفق السياق المحلي، ومع اقتراب الثورة ازداد الالتزام الوطني وضوحًا، ممهدًا لبروز ما سيُعرف بمسرح الثورة.
- تكشف التجربة تعدد اللغات (الفصحى/الدارجة/الفرنسية) ورهانات الهوية والتواصل، كما أثّرت القيود الاجتماعية (ومنها حضور المرأة) في بنية الشخصيات وهيمنة الحضور الذكوري داخل النصوص.
- تبين أنّ الرسائل الأدبية لم تكن نصوصًا ثانوية، بل حوامل للبعد الإنساني والفكري؛ تجمع بين العاطفة والحجاج والنقد والقلق الوجودي والوطني.

- عكست الرسائل لدى بعض الأسماء أسئلة الاغتراب والانقسام والهوية، كما تحولت لدى آخرين إلى "محاكمة ثقافية" وموقف من الاستعمار والواقع الثقافي، مما يجعلها مادة تفسيرية غنية لفهم السياقات النفسية والفكرية للمبدعين.
- تُبرز الدراسة أنّ الشعر كان الجنس الأكثر حضوراً خلال الاحتلال لسهولة تداوله واستجابته للحدث، وتنوّع بين الوطني والثوري والديني والإنساني والغنائي والطبيعي، وكتب بالعربية والفرنسية.
- مثل الشعر الثوري أداة تعبئة وتوثيق للمواقف المفصلية وترسيخ لوحدة المصير، بينما حافظ الشعر الإصلاحي/الديني على وظيفة تربوية وروحية، وعكست قصائد الغربة والمهجر البعد الاجتماعي والاقتصادي للاستعمار ومعاناة العمال.
- يوضح التقسيم المرحلي (1900-1925 / 1925-1954 / 1954-1962) انتقال الشعر من التقليد إلى النهضة ثم التحول الثوري، بما يعكس تطور الوعي الأدبي والوطني وتفاوت الموازنة بين الوظيفة والقيمة الفنية.
- تتأسس الكتابة النسائية زمن الاحتلال داخل تداخل معقّد للعوامل الاجتماعية والدينية والسياسية، ما جعل ظهورها متقطّعاً بسبب الأمية وحرمان التعليم وضعف النشر وغياب المؤسسات الحاضنة، إضافة إلى الرقابة والتوجيه الاستعماري.
- واجهت المرأة قهراً مزدوجاً: استعمارياً يوظفها رمزياً ضمن سردية "التحرير"، واجتماعياً يحد من حضورها؛ ويكشف المشهد تفاوتاً لغوياً ومؤسسياً ساعد على بروز أصوات بالفرنسية أكثر من العربية.
- تخلص الدراسة إلى أنّ إدماج هذه الكتابة في تاريخ الأدب الجزائري ضرورة منهجية، لأنها كتابة هوية ووجود وشهادة على العنف والإقصاء واستعادة الذات داخل تاريخ مُصادَر.
- تحتل اليوميات والمذكرات والتراجم والرحلات مكانة مركزية بوصفها أجناساً تقع بين الحكيم والتاريخ، تجعل الواقع المعاش مادة لبناء المعنى دون إلغاء البعد الجمالي.
- تكشف هذه النصوص (اليوميات والمذكرات والتراجم والرحلات) عن تشكّل وعي المثقف ومسؤوليته، وتعيد بناء الهوية والانتماء عبر الذاكرة الشخصية، وتخلص الدراسة إلى أنها أسست أرشيفاً سردياً حياً جعل من الأدب أداة لحفظ الذاكرة الفردية والجماعية ومقاومة الخو الاستعماري.

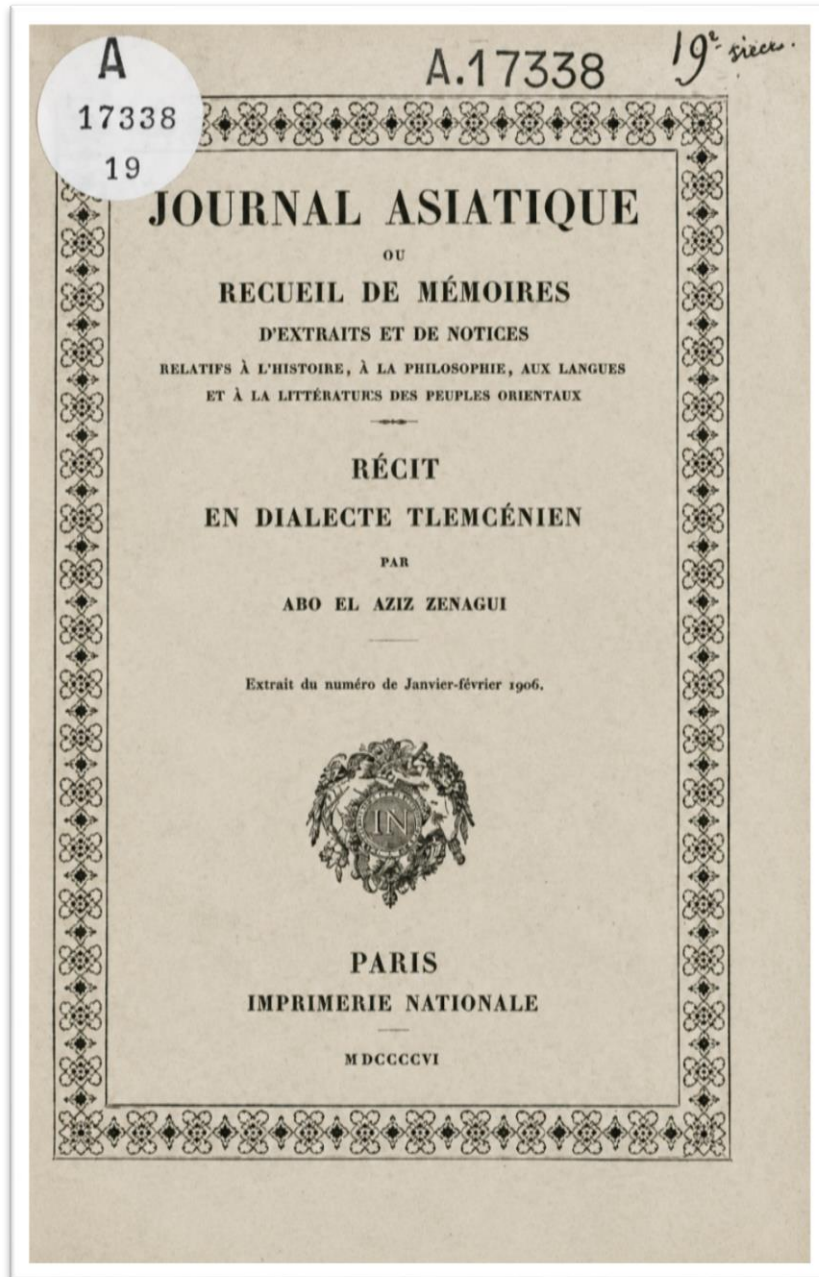
- تُعد الكتابة الاحتجاجية (المقال/العرائض/المرافعات) خطابًا يقوم على التوثيق والبرهان والمناصرة، وقد أسهمت في بناء الوعي السياسي والاجتماعي والثقافي في ظل الاحتلال.
- أنّ الكتابات الجزائرية جاءت بعد قراءة للأدب العربي والغربي.
- وأنّ النشر ارتبط بمؤسسات وفضاءات ثقافية (الصحافة، المطابع، المدارس، الجمعيات، المكتبات...)، جرى توفيرها أو المقاومة من أجلها، ما جعل المجال الأدبي جزءًا من معركة الوجود الثقافي.
- برز طابع قمعي وإقصائي في التعامل مع الإنتاج الأدبي: تضيق النشر، إيقاف الصحف والمسرحيات ذات البعد الوطني، ومحاولات شراء بعض الأفلام.
- كما تكشف إجراءات السجن والإقامة الجبرية والتعذيب والتصفية والاعتقال أنّ الاحتلال أدرك خطورة الكتابة وقدرتها على التحريض والتعبئة، فكانت "المواجهة الثقافية" وجهًا ملازمًا للمواجهة السياسية.
- خلصت الدراسة إلى أنّ التأريخ للكتابة الأدبية الجزائرية زمن الاحتلال ليس تتبعًا زمنيًا لأسماء وأعمال فحسب، بل رصد لوعي ثقافي جمعي يتنامى تحت القهر ويقاوم بالكلمة؛ إذ غدت الأجناس المختلفة وفضاءات النشر جزءًا من مشروع ذاكرة مقاومة.
- وتبرز الحاجة إلى عمل علمي جماعي: تنسيق بين التخصصات والمخابر، ترجمة الرصيد الفرنكفوني، وجمع النصوص المتناثرة في الصحف والأرشيفات، مع إعادة إدماج النصوص المهمّشة (النسائية، الرسائية، التوثيقية، الصحفية) في سردية أكثر شمولًا وعدالة.

“

الملاحق

”

الملحق رقم (01): غلاف أول عمل روائي جزائري في القرن العشرين (1904)¹



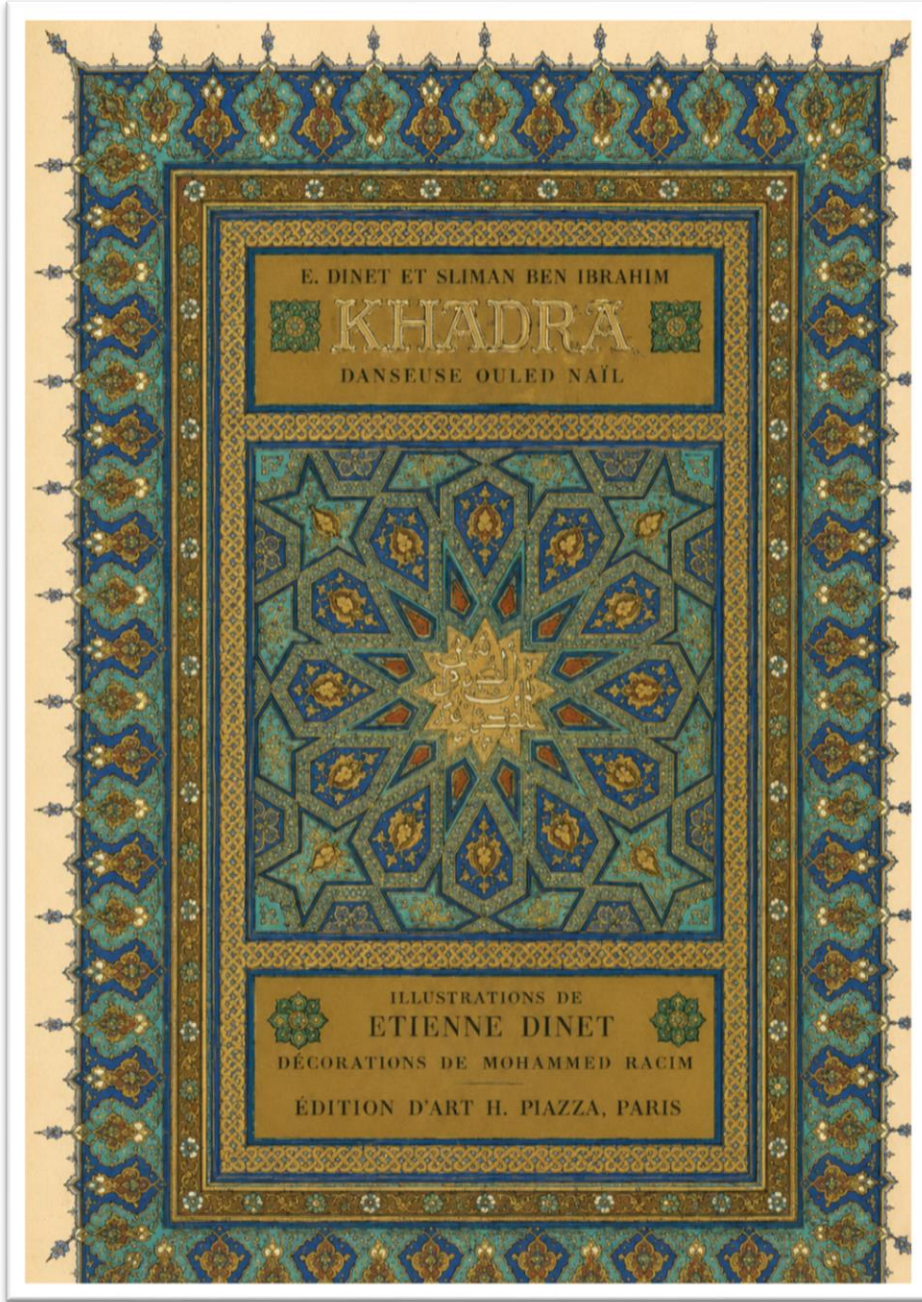
¹ Abdelaziz Znaki, Récit en dialecte tlemcénien, Imprimerie nationale, Paris, 1904, Disponible sur : <https://bibnum.institutdefrance.fr/records/item/2224-recit-en-dialecte-tlemcenien>

الملحق رقم (02): غلاف رواية خضرة، راقصة من أولاد نايل لسليمان بن إبراهيم وإتيان دينيه (1926)¹



¹ Sliman ben-Ibrahim et Étienne Dinét, **Khadra, danseuse Ouled-Naïl**, Piazza, Paris, 1910.

الملحق رقم (03): الصفحة الأولى من رواية خضرة، راقصة من أولاد نايل لسليمان بن إبراهيم وإتيان دينيه (1910)¹



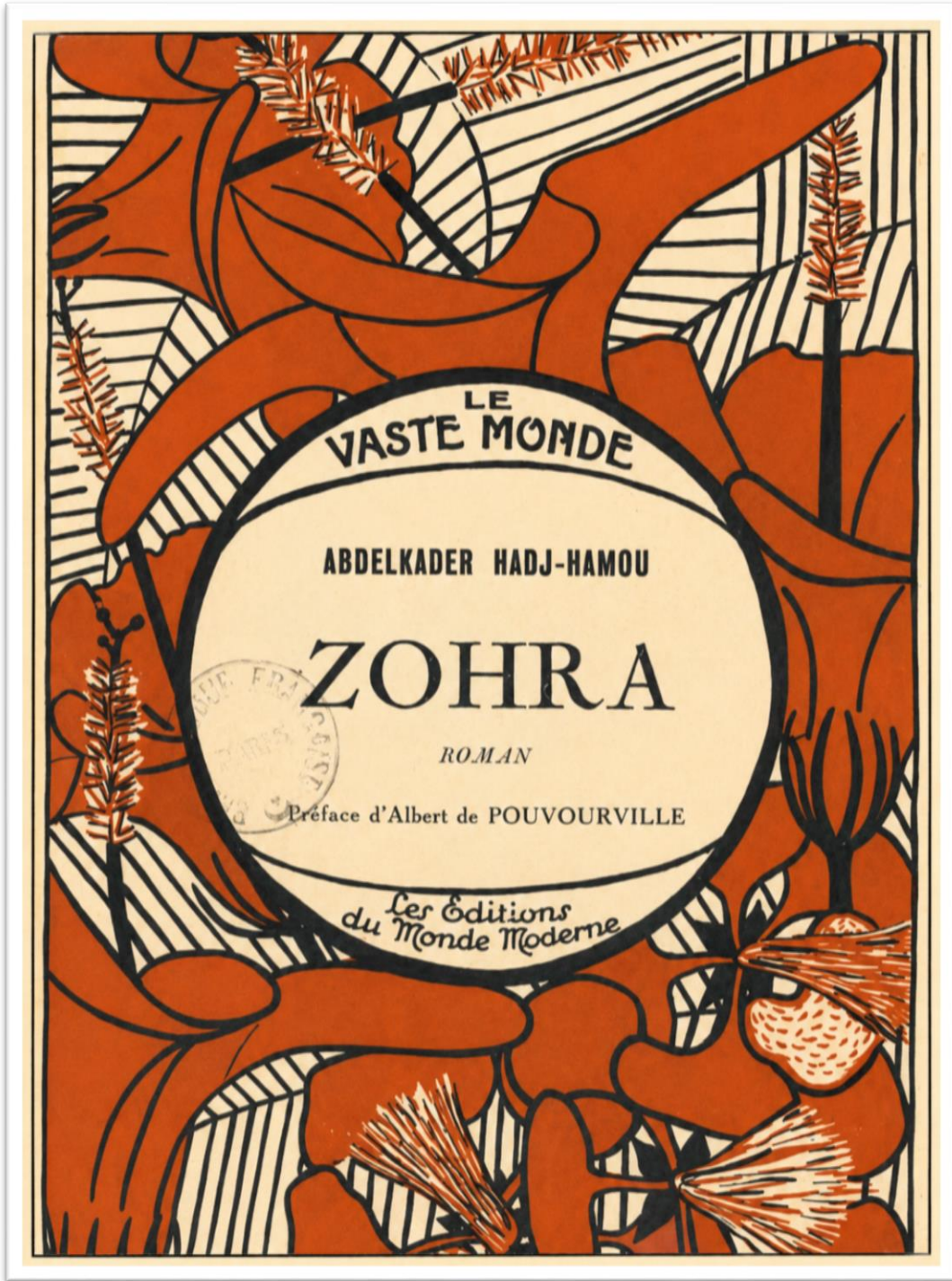
¹ Sliman ben-Ibrahim et Étienne Dinét, **Khadra, danseuse Ouled-Naïl**, Piazza, Paris, 1910.

الملحق رقم (04): الصفحة الأولى من رواية سعادة مغربية للكاتبة إليسا رايس (1920)¹



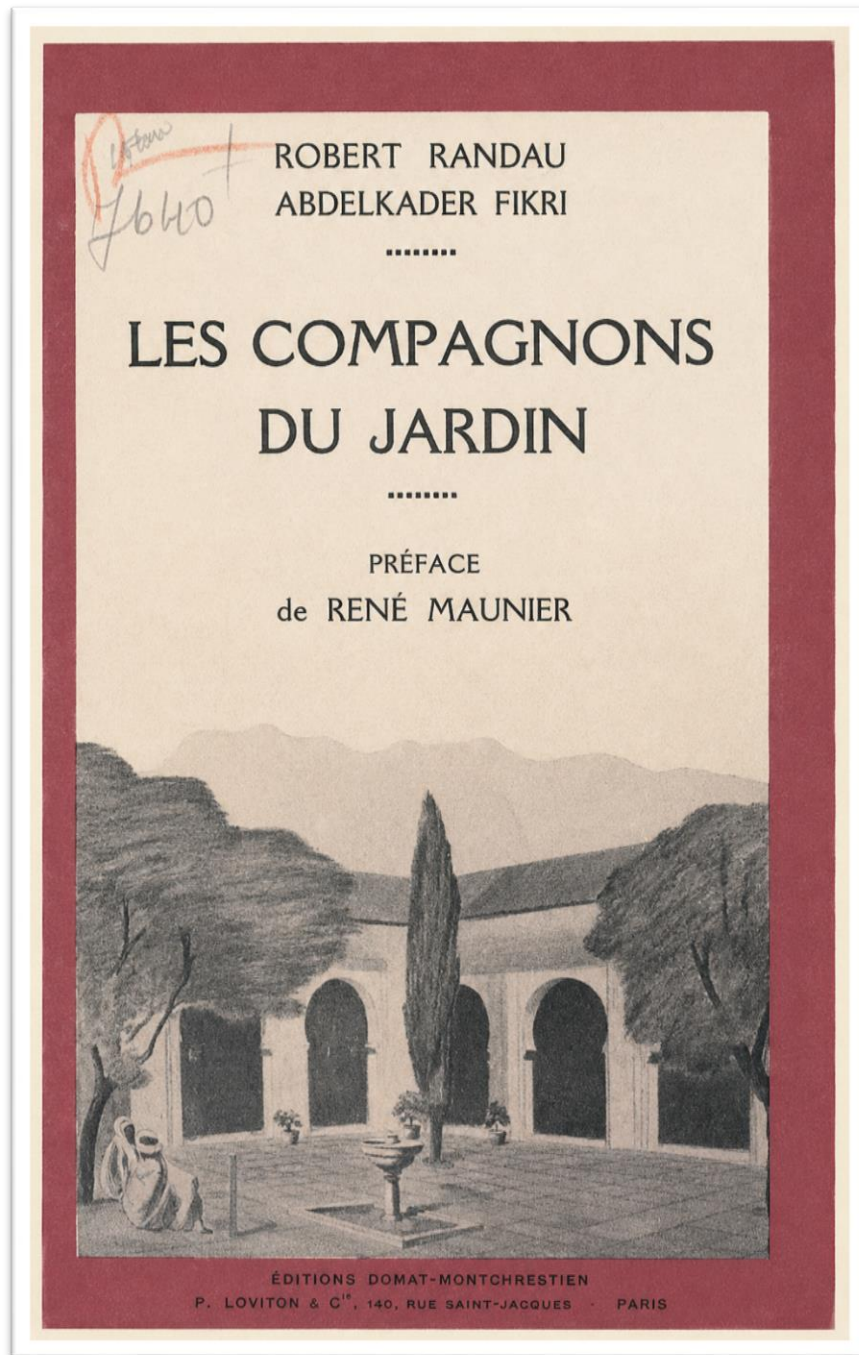
¹Élissa Rhaïs, *Saada la Marocaine*, Plon, Paris, 1919.

الملحق رقم (05): غلاف رواية زهرة، زوجة عامل المنجم لعبد القادر حاج حمو (1925)¹



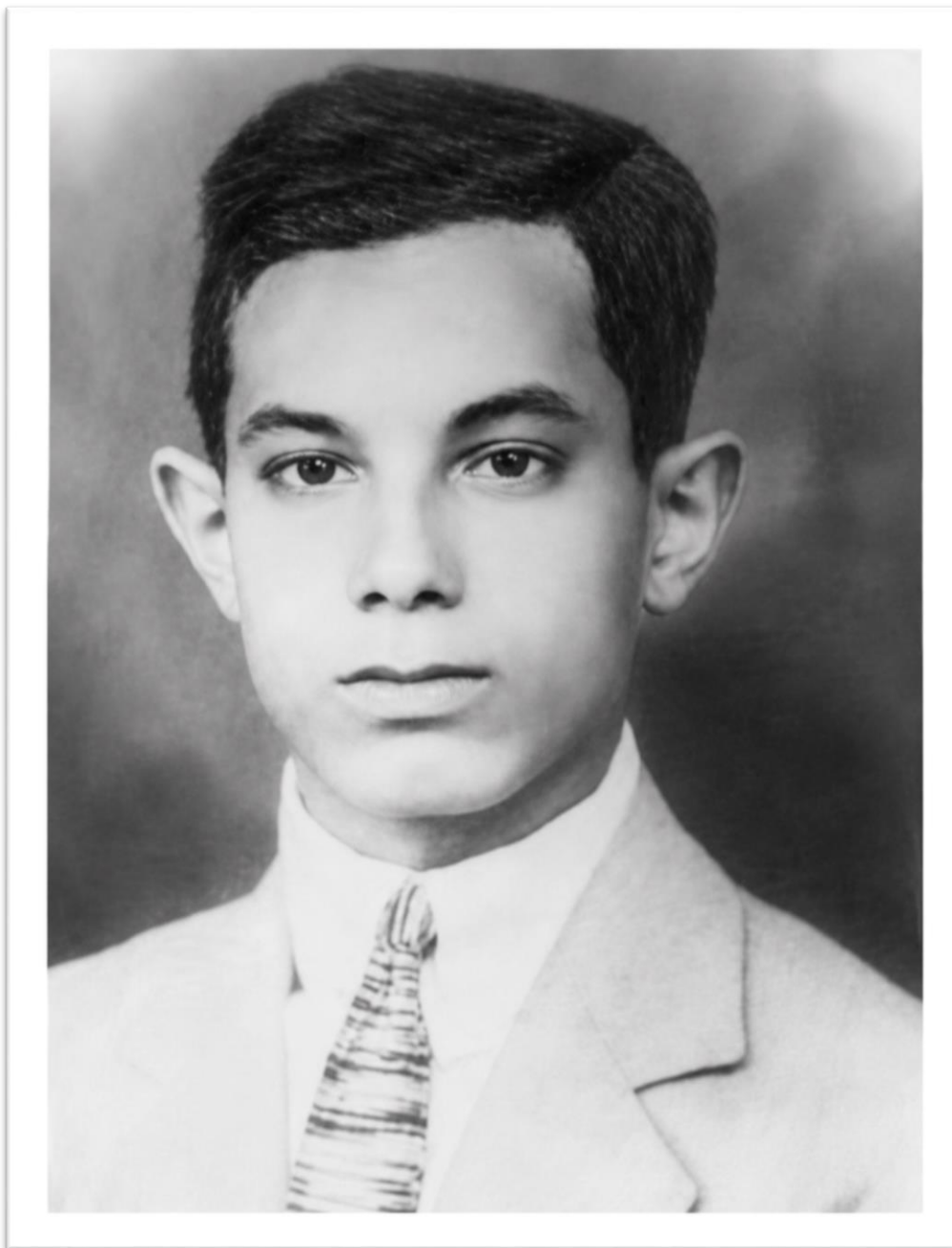
¹ Abdelkader Hadj Hamou, *Zohra, la femme du mineur*, Les Éditions du Monde Moderne, Paris, 1925.

الملحق رقم (06): غلاف كتاب رفقاء الحديقة (1933)¹



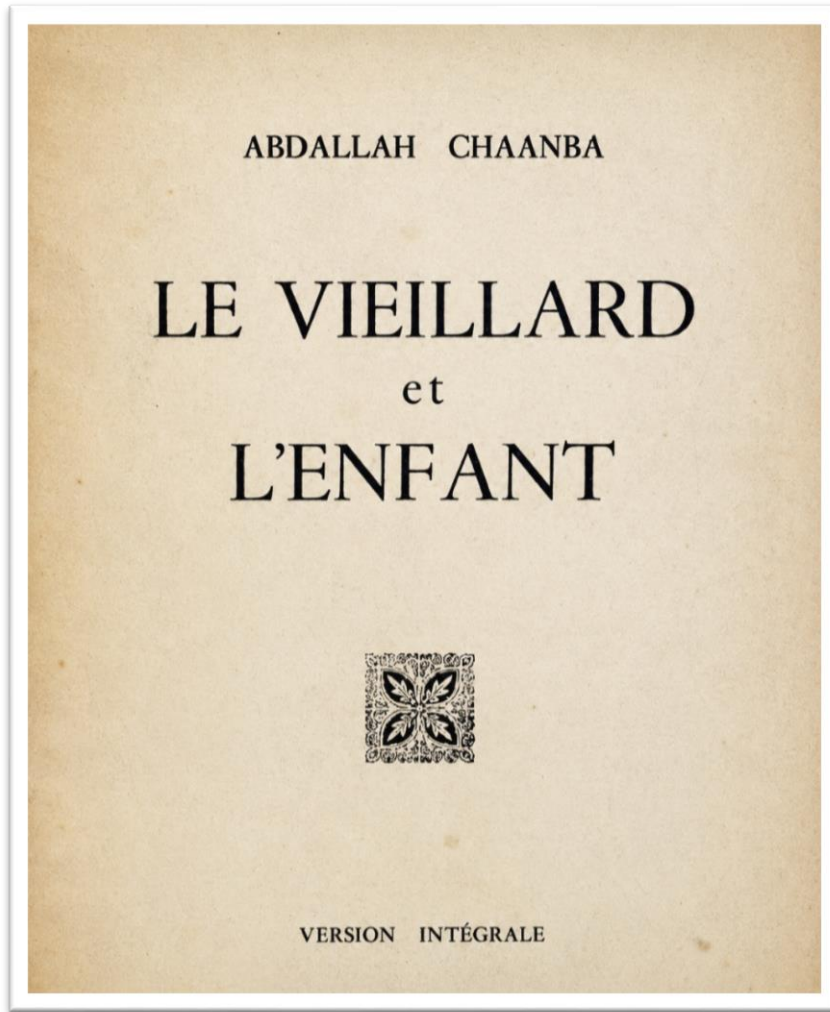
¹ Abdelkader Fikri, et Robert Rando, **Compagnons du jardin**, Éditions Domat-Montchrestien, Paris, 1933, Disponible sur Gallica : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k3341353w/fl5.item>.

الملحق رقم (07): صورة محمد ولد الشيخ آغا¹



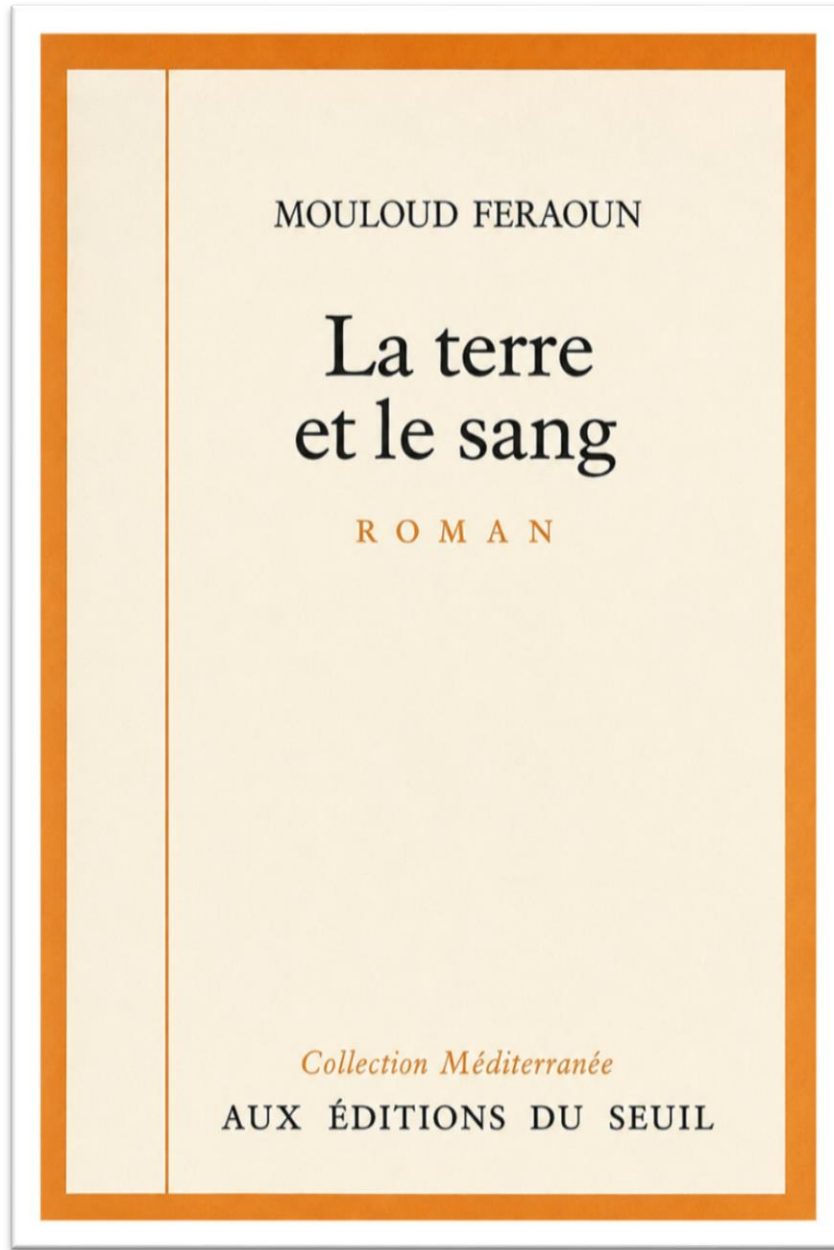
¹ معراج أغا، (30 ماي 2014)، أغا محمد ولد الشيخ، منصة فليكر، استرجعت في 20 جوان 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.flickr.com/photos/agma56/14118341167>

الملحق رقم (08): غلاف رواية الطفل والعجوز لعبد الله شعبانة (1950)¹



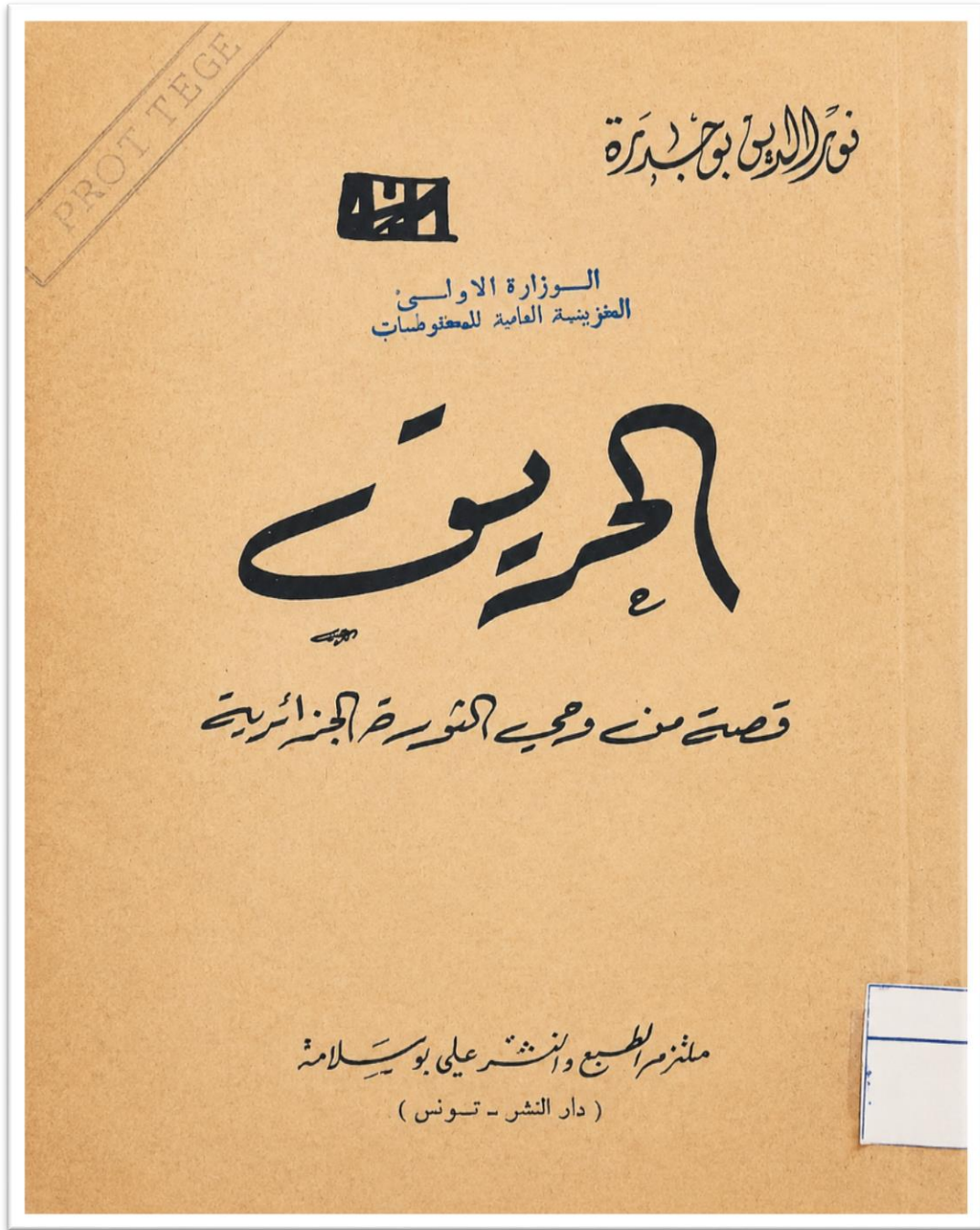
¹ Abdallah Chaanba, **Le Vieillard Et L'Enfant**, Edition FANLAC, paris, 1950.

الملحق رقم (09): غلاف رواية الأرض والدم للكاتب مولود فرعون (1953)¹



¹ Mouloud Feraoun, **La Terre et le Sang**, Éditions du Seuil, Paris, 1953.

الملحق رقم (10): غلاف رواية الحريق المنشورة سنة (1958)¹



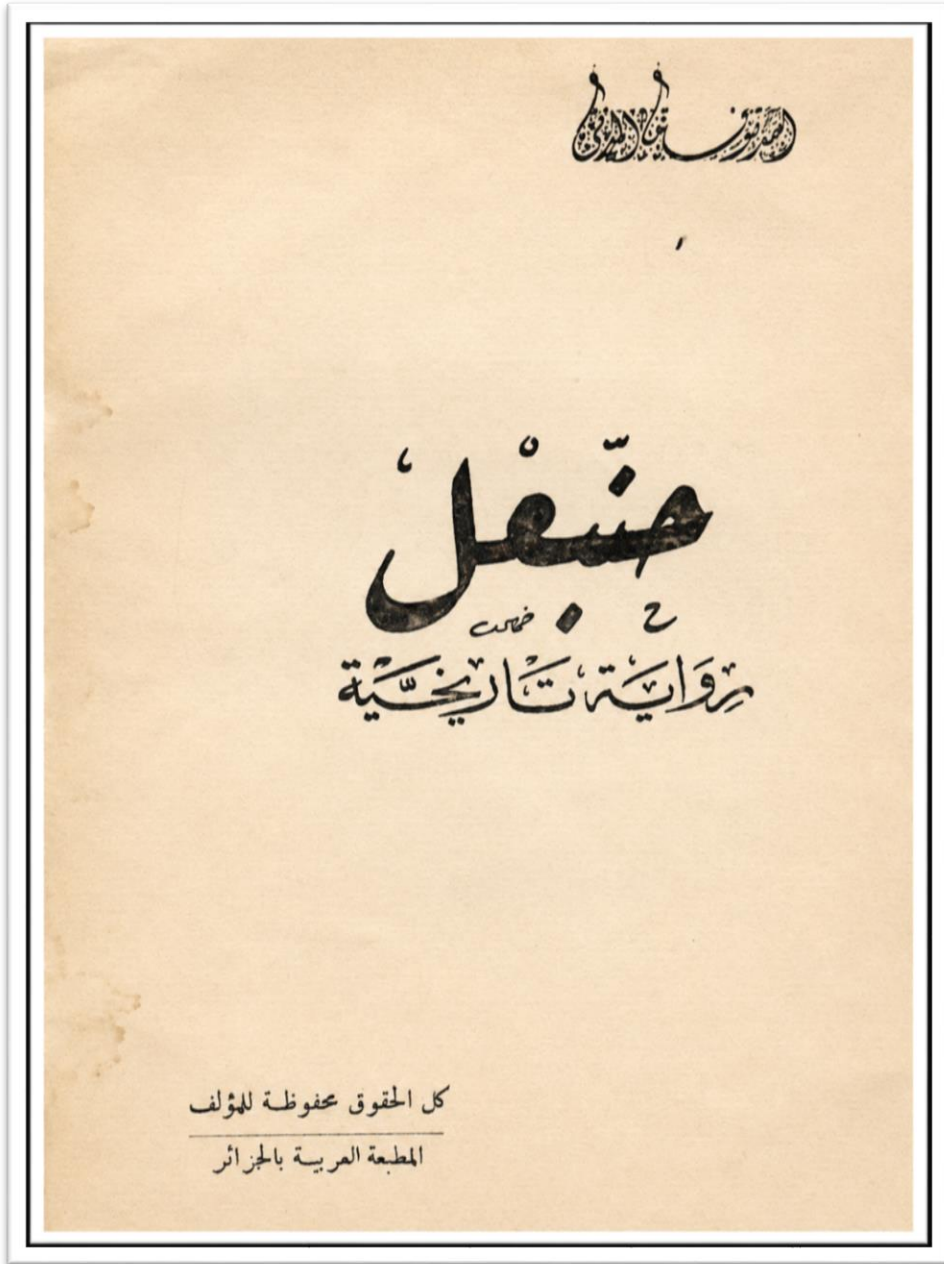
¹ نور الدين بوجردة، الحريق، ملتزم الطبع والنشر علي بوسلامة، تونس، 1958.

الملحق رقم (11): خبر نقل جثمان الكاتب علي الحمامي إلى الجزائر وموعد جنازته (1950)¹

حزب الببال والسياسي الجزائري المحاك فكان لكلامه الفرنسي اللمجة الاثر البايغ ثم كآب القطرين الاساذ اأمد توفيق المدني فناشد الامة والاحزاب ان تكون جئة الحمامي الخطيب البليغ يدموهم الى الالة والاتحاد بغير ذلك لن يبلغ اأمد منهم المراد فاسال الدموع ولم يشع الوقت لتكلم بقية المؤنبن قوورى تحت التراب رحم الله الحمامي واسكنه مع الذين انعم الله عليهم ، وشكرا جزيلاً لحكوما اليا كستان والجامعة العربية اللتين تعاون على اأمال جئة الفقيد الى وطه وثناه جليلاً على كلى الذين واسونا في هذ الصاب ، وعزاء جميل لا مئنا المكتوبة	الشهيد العزيز يسكن بمقره الأخير كان موعد وصول الجثمان الطاهر للفقيد العزيز علي الحمامي الى الوطن مساء الجمعة وقد خفف لثائه الجموع الغفيرة يتقدم مندوبو الهيات: جمعية العلماء وحزب البيان وانتصار الحريات الديموقراطية لـ الطائرة لم تصل في الموعد وتخلقت الى مساء السبت ، فعاد الى القاء من خفف امس عدا مندوبي حزب الانتصار. وسير بالجنة الى مقر حزب البيان حيث بقبست معروضة في صندوقها المخفوف بالعلم الجزائري الى الساعة الواحدة والنصف من مساء الاحد وكان ذلك ميعات الدفن . وقد شيعتها الى المقر الأخير الالاف المؤلفة من المثيعين بسيرون سداس في مسافة الكيلوميترو استمر السير من نهج بريس الى مقبرة سيدي محمد مدة ساعتين وصل عليه الاساذ عباس بن الشيخ الحسين عضو جمعية العلماء ثم وقف المؤنبن ليكون الفقيد: فضيلة الاساذ محمد البشير الابيهي قائد العروبة بالجزائر وامير بيائها فنهز المشاعر والقلوب ثم الاساذ فرحات عباس زعيم
---	---

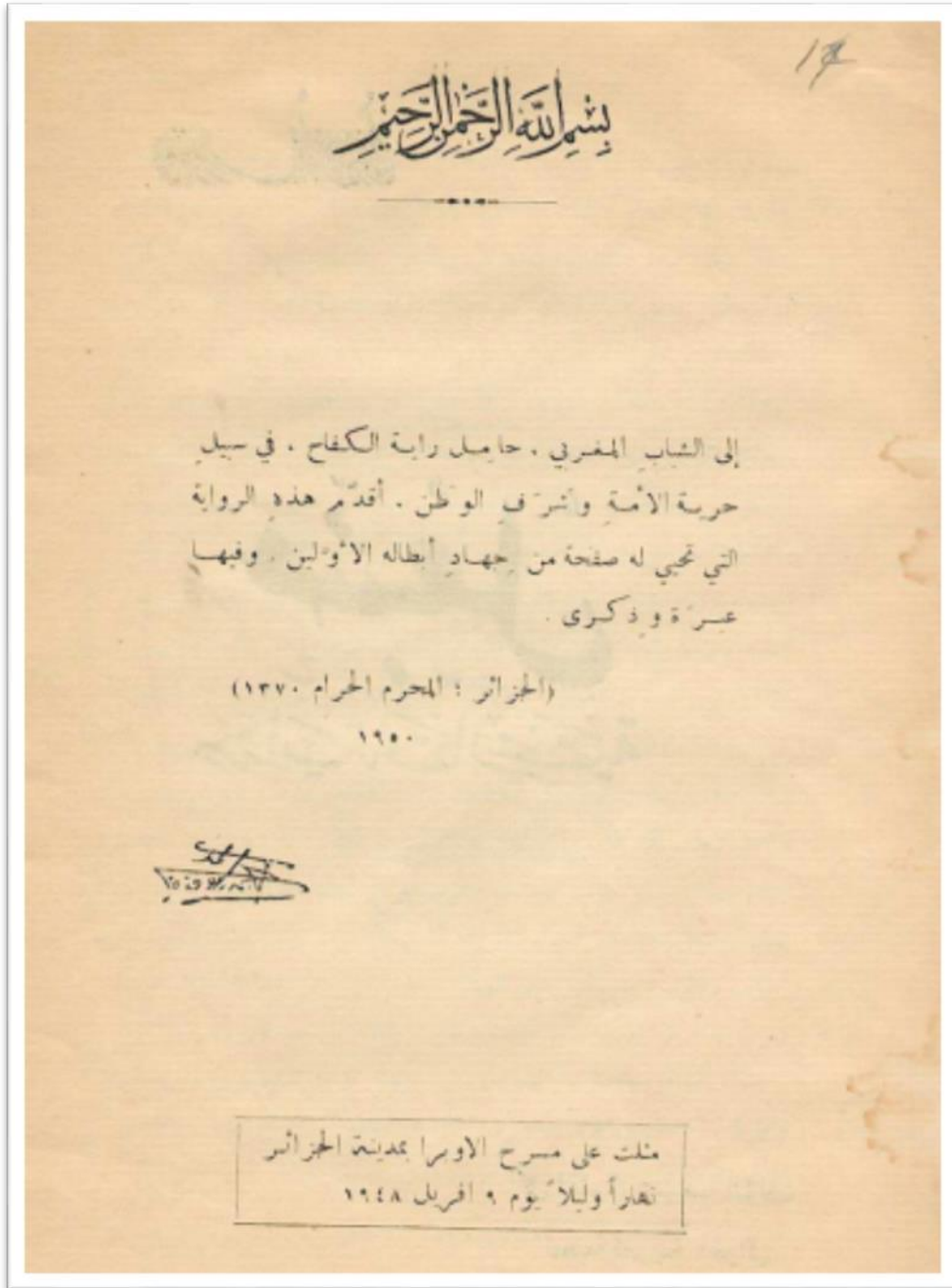
¹أحمد رضا حوحو، الشهيد العزيز يسكن بمقره الأخير"، الشعلة، قسنطينة - الجزائر، ع 04، 05 جانفي 1950.

الملحق رقم (12): الصفحة الأولى من مسرحية حنبل لأحمد توفيق المدني الصادرة سنة (1950)¹



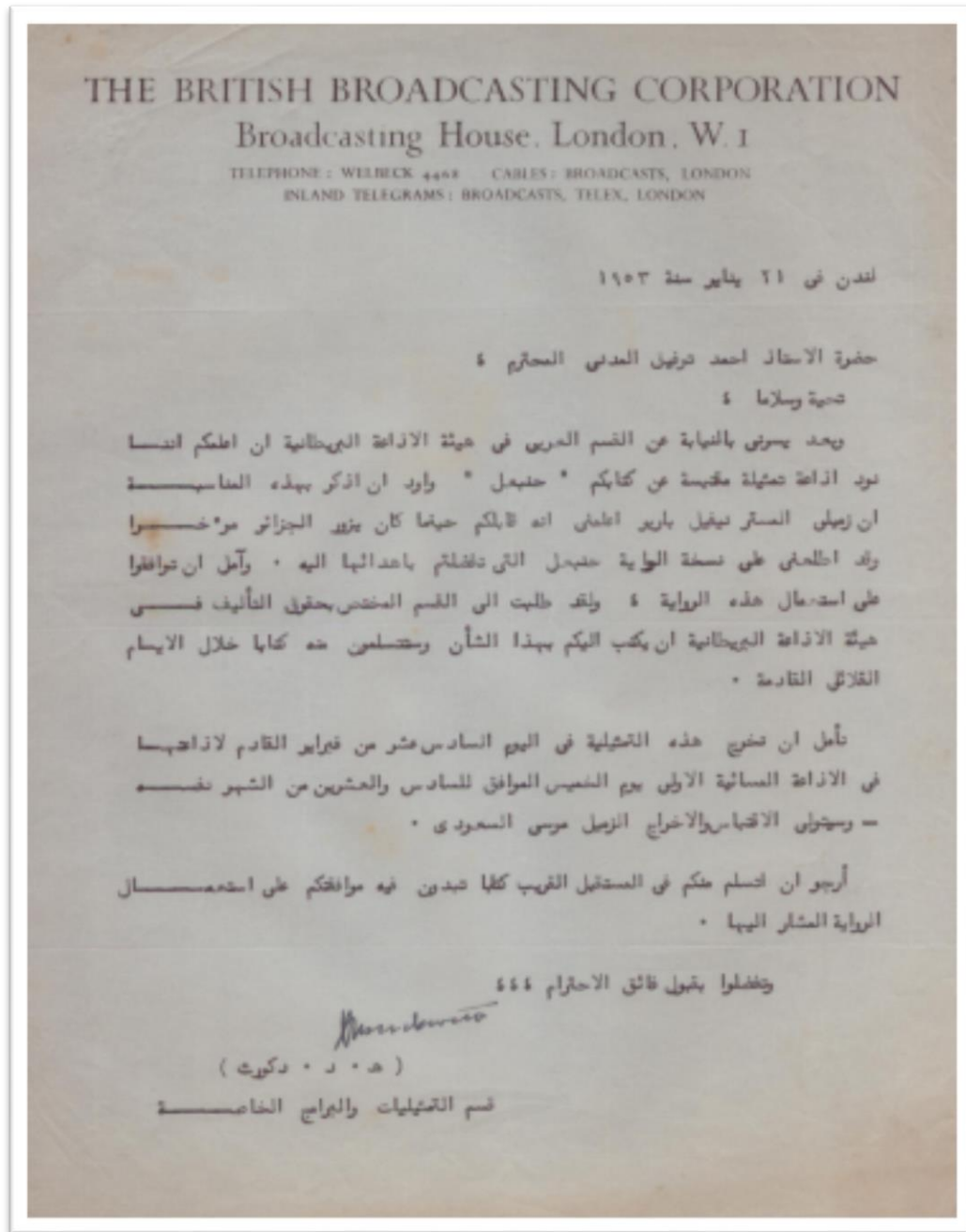
¹ أحمد توفيق المدني، حنبل-رواية تاريخية، المطبعة العربية بالجزائر، الجزائر، 1950.

الملحق رقم (13): الصفحة الثانية من مسرحية حنبعل لأحمد توفيق المدني (1950)¹



¹ أحمد توفيق المدني، حنبعل-رواية تاريخية، المطبعة العربية بالجزائر، الجزائر، 1950.

الملحق رقم (14): رسالة تهنئة بمسرحية حنبعل من هيئة الإذاعة البريطانية إلى أحمد توفيق المدني
(1953)¹



¹ ه.د. دكتور، (31 جانفي 1953)، رسالة تهنئة إلى أحمد توفيق المدني، هيئة الإذاعة البريطانية، لندن، ينظر: أحمد أمين الشريف الزهار، (23 أبريل 2025)، مسرحية "حنّ بعل" في الصحافة وكتابات الأدباء، الموقع الخاص بالأستاذ النابغة أحمد توفيق المدني، استرجع بتاريخ 18 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.elmadani.org/ar>

الملحق رقم (15): بطاقة مكتوبة بخط اليد من إليسا رايس إلى لويس بيرتراند (1924)¹

35, boulevard Saint-Jacques
Paris (14e)
le 20 novembre 1924.

Permettez-moi, Monsieur et
cher Maître, de venir vous ex-
primer, de tout mon cœur, mes
plus hautes félicitations pour
votre élection à l'Académie
Française, depuis si longtemps
attendue par nous. L'Algérie

Source gallica.bnf.fr / Montpellier Méditerranée Métropole - Médiathèque centrale Emile Zola. LBC0961

en sera particulièrement fière
et heureuse, et cela me donne
l'occasion de vous dire une fois
de plus, avec mon plaisir extrême,
mon ardente admiration et ma
bien filiale gratitude.

Elisa Rhais

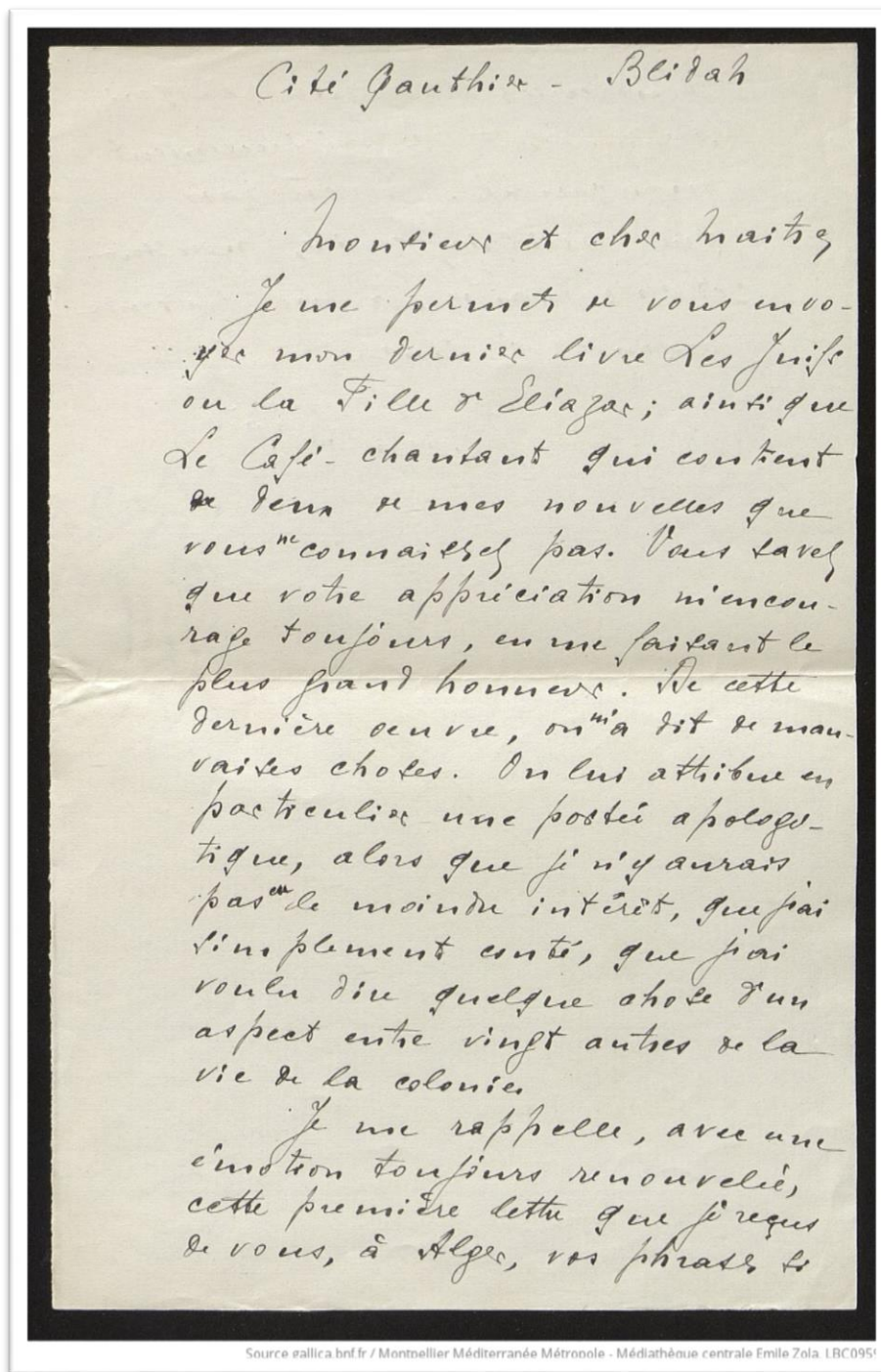


LBC0961

Source gallica.bnf.fr / Montpellier Méditerranée Métropole - Médiathèque centrale Emile Zola. LBC0961

¹ BnF, Fonds Louis Bertrand – Éliisa Rhais, (20 Novembre 1924), document numérisé, disponible sur Gallica : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b10016788k>.

الملحق رقم (16): رسالة مكتوبة بخط اليد من إليسا رايس إلى لويس بيرتراند (الوجه الأول)¹



¹ BnF, Fonds Louis Bertrand – Élissa Rhaïs, (s.d.), dans le Fonds Louis Bertrand, Correspondance, Montpellier Méditerranée Métropole – Médiathèque centrale Émile Zola, cote LBC 959. Consultable en ligne sur Gallica : <https://gallica.bnf.fr>.

الملحق رقم (17): غلاف مجلة العمل يحمل صورة محررة مقالاته جميلة دباش (1948)¹



¹L'Action, Revue sociale féminine littéraire artistique, dir. Djamila Debeche, Alger, n° 7, 1er avril 1948, p1 (couverture).

الملحق رقم (18): قصيدة بستان الصيف لبيرث بن يشو-أبولكر (1935)¹

VERGER D'ÉTÉ

Ployant sous ses juteux fruits roux
Un abricotier couvre d'ombre
De gros, d'invraisemblables choux
Epanouis sur le sol sombre.
Je m'avance à tous petits pas
Sous des branches lourdes de poires,
Frôlant les rondeurs, les appas
Du verger habillé de moires.
Dans l'air, fleure le réséda.
L'amandier en fruits se balance
Et le rose pêcheur de France
Se bronze au soleil de Blidah.
Larges prunes et mirabelles
D'améthystes, de perles d'or
Couvrent le céleri, l'ombelle,
Les épinards et le raifort.
La nature éclate de sève,
Sur un raisin la guêpe rêve
Et dans la turquoise du ciel
Glissent quelques rayons de miel.

BERTHE BENICHOU-ABOULKER.

¹Berthe Bénichou-Aboulker, « Verger d'été », *Les Annales africaines*, Alger, n° 19, 1er octobre 1935, p335.

الملحق رقم (19): وثيقة رسمية من الحاكم العام للجزائر بخصوص وفاة الباشا بن شريف الشريف بن سي أحمد، ضابط كبير في وسام جوقة الشرف (26 مارس 1949)¹

R.F.M.L.
GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE
DIRECTION
DES TERRITOIRES DU SUD
SERVICE DES AFFAIRES SAHARIENNES
ET DU
PERSONNEL MILITAIRE
N° 4120 Sud/2

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
Alger, le 26 MARS 1949
MINISTRE,
Le Gouverneur Général de l'Algérie
à Monsieur le SECRÉTAIRE D'ÉTAT AUX FORCES
ARMÉES - Direction des Personnels de l'armée
de Terre - 2^e Bureau
PARIS (VII^e)

Objet: Décès d'un dignitaire de la Légion d'honneur

Conformément aux prescriptions de la circulaire du 9 janvier 1973 (B.O.E.M vol 30/1), j'ai l'honneur de vous faire connaître, que le Bachagha BENCHERIF CHERIF SI AHMED, chef de la Confédération des Oulad Naïls du Nord (Annexe de Djelfa) est décédé le 18 Mars 1949.

Ce chef musulman était Grand Officier de la Légion d'honneur du 14 juillet 1945.

Le Gouverneur Général et par son ordre
Le Chef du Service des Affaires Sahariennes
et du Personnel Militaire

Destinataire:
Secrétaire d'Etat aux
Forces Armées Paris 1
Chronolog. Direction 1
Archives 1

Remis à Deux actions

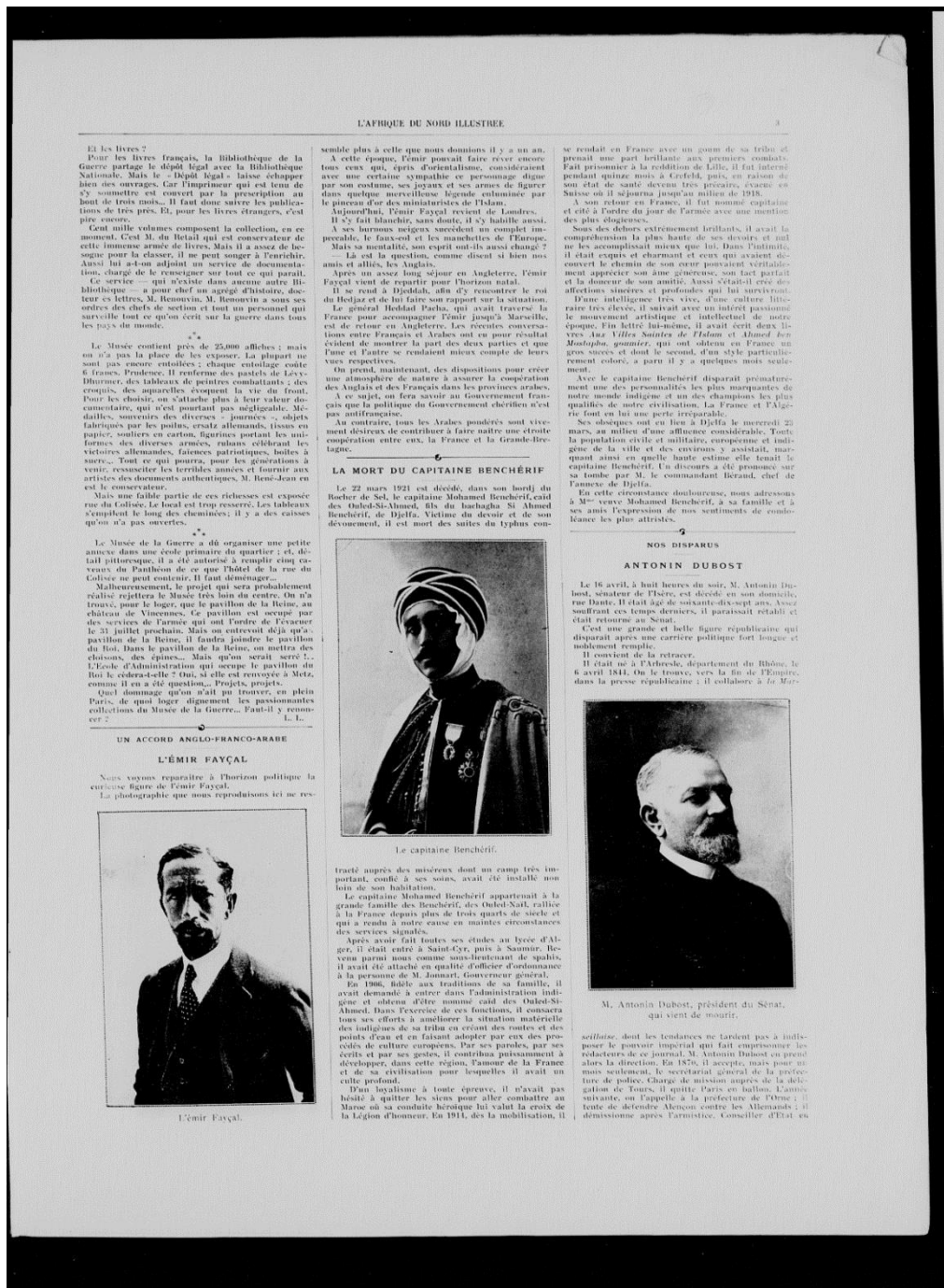
31 MARS 1949
CABINET DU MINISTRE

29 MARS 1949
N° 1964

g. Benkhillette

¹ ANF, Base Léonore, dossier Bencherif Chérif ben Si Ahmed, cote LH/26590, consulté sur : <https://www.leonore.archives-nationales.culture.gouv.fr/ui/notice/26590>

الملحق رقم (20): سيرة محمد بن سي أحمد بن شريف في الجيش الفرنسي من أرشيف المجلة الافريقية

المصورة (عدد 30 أبريل 1921)¹

Et les livres ?

Pour les livres français, la Bibliothèque de la Guerre partage le dépôt légal avec la Bibliothèque Nationale. Mais le « Dépôt légal » laisse échapper bien des ouvrages. Car l'imprimeur qui n'a pas de s'y soumettre est puni par la prescription au bout de trois mois. Il faut donc suivre les publications de très près. Et, pour les livres étrangers, c'est pire encore.

Cent mille volumes composent la collection, en ce moment. C'est M. du Betail qui est conservateur de cette immense armée de livres. Mais il a assez de besogne pour la classer, il ne peut songer à l'enrichir. Aussi lui est-on adjoint un service de documentation, chargé de le renseigner sur tout ce qui paraît. Ce service — qui n'existe dans aucune autre Bibliothèque — a pour chef un agrégé d'histoire, docteur en lettres, M. Rouvion. M. Rouvion a sous ses ordres des chefs de section et tout un personnel qui surveille tout ce qu'on écrit sur la guerre dans tous les pays du monde.

Le Musée contient près de 25.000 affiches ; mais on n'a pas la place de les exposer. La plupart ne sont pas encore entaillées ; chaque entaille coûte 6 francs. Prudence. Il renferme des pastels de Lévy-Bruhl, des tableaux de peintres combattants ; des croquis, des aquarelles évoquant la vie du front. Pour les choisir, on s'attache plus à leur valeur documentaire, qui n'est pourtant pas négligeable. Médailles, souvenirs des diverses « journées », objets fabriqués par les poilus, croix allemands, fusils en papier, souliers en carton, figurines portant les uniformes des diverses armées, rubans célébrant les victoires allemandes, fautes patristiques, lettres à « muer ». Tout ce qui pourra, pour les générations à venir, évoquer les terribles années et fournir aux artistes des documents authentiques. M. René-Jean en est le conservateur.

Mais une faible partie de ces richesses est exposée rue du Galvée. Le buste est trop resseré. Les tableaux s'empilent le long des cheminées ; il y a des caisses qu'on n'a pas ouvertes.

Le Musée de la Guerre a dû organiser une petite annexe dans une école primaire du quartier ; et, détail pittoresque, il a été autorisé à remplir cinq coffres du Panthéon de ce que l'Hotel de la rue du Galvée ne peut contenir. Il faut désespérer.

Malheureusement, le projet qui sera probablement réalisé rejette le Musée très loin du centre. On n'a lroux, pour le loger, que le pavillon de la Beine, au château de Vincennes. Ce pavillon est occupé par des services de l'armée qui ont l'ordre de l'évacuer le 31 juillet prochain. Mais on entend déjà qu'au pavillon de la Beine, il faudra joindre le pavillon du Roi. Dans le pavillon de la Beine, on mettra des cloisons, des épinces. Mais qu'on serait serré ! L'Ecole d'Administration qui occupe le pavillon du Roi le céderait-elle ? Oui, si elle est renvoyée à Metz, comme il en a été question. Projets, projets.

Quel dommage qu'on n'ait pu trouver, en plein Paris, de quoi loger dignement les passionnantes collections du Musée de la Guerre. Faut-il y renoncer ?

UN ACCORD ANGLO-FRANCO-ARABE
L'ÉMIR FAYCAL

Nous voyons repaître à l'horizon politique la curieuse figure de l'émir Faycal.

La photographie que nous reproduisons ici ne re-



L'émir Faycal.

L'AFRIQUE DU NORD ILLUSTREE

semble plus à celle que nous donnions il y a un an. A cette époque, l'émir pouvait faire rêver encore tous ceux qui, après d'orientalisme, considéraient avec une certaine sympathie ce personnage digne par son costume, ses joyaux et ses armes, figurant dans quelque merveilleuse légende exotique par le pinceau d'un des ministères de l'Arabie.

Aujourd'hui, l'émir Faycal revient de Londres.

Il s'est fait blanchir, sans doute, il s'y habille aussi. A ses bijoux précieux succèdent un complet impeccable, le faux-vel et les manchettes de l'Europe.

Mais sa mentalité, son esprit ont-ils aussi changé ?

— Là est la question, comme disent si bien nos amis et alliés, les Anglais.

Après un assez long séjour en Angleterre, l'émir Faycal vient de repartir pour l'horizon natal.

Il se rend à Djeddah, afin d'y rencontrer le roi du Hedjaz et de lui faire son rapport sur la situation.

Le général Haddad Pacha, qui avait traversé la France pour accompagner l'émir jusqu'à Marseille, est de retour en Angleterre. Les récentes conversations entre Français et Arabes ont eu pour résultat évident de montrer la part des deux parties et que l'une et l'autre se rendaient mieux compte de leurs vœux respectifs.

On prend, maintenant, des dispositions pour créer une atmosphère de nature à assurer la coopération des Anglais et des Français dans les provinces arabes.

A ce sujet, on fera savoir au Gouvernement français que la politique du Gouvernement chrétien n'est pas antifrancophile.

En outre, tous les Arabes pondérés sont vivement désireux de contribuer à faire entre une étroite coopération entre eux, la France et la Grande-Bretagne.

LA MORT DU CAPITAINE BENCHÉRI

Le 22 mars 1921 est décédé, dans son hord du Bicher de Sel, le capitaine Mohamed Benchéri, cad des Ouled-Si-Ahmed, fils du bachagha Si Ahmed Benchéri, de Djiffa. Victime de sa bravoure et de son dévouement, il est mort des suites du typhus con-



Le capitaine Benchéri.

fracté après des misères dont un camp très important, confié à ses soins, avait été installé non loin de son habitation.

Le capitaine Mohamed Benchéri appartenait à la grande famille des Benchéris, des Ouled-Nak, ralliée à la France depuis plus de trois quarts de siècle et qui a rendu à notre cause en maintes circonstances des services signalés.

Après avoir fait toutes ses études au lycée d'Alger, il était entré à Saint-Omer, puis à Saumur. Revenu parmi nous comme sous-lieutenant de spahis, il avait été attaché en qualité d'officier d'ordonnance à la personne de M. Jauriat, Gouverneur général.

En 1906, fidèle aux traditions de sa famille, il avait demandé à entrer dans l'Administration indigène et obtenu d'être nommé cad des Ouled-Si-Ahmed. Dans l'exercice de ces fonctions, il consacra tous ses efforts à améliorer la situation matérielle des indigènes de sa tribu en créant des routes et des points d'eau et en faisant adopter par eux des procédés de culture européens. Par ses paroles, par ses écrits et par ses gestes, il contribua puissamment à développer, dans cette région, l'amour de la France et de sa civilisation pour lesquelles il avait un culte profond.

D'un loyalisme à toute épreuve, il n'avait pas hésité à quitter les siens pour aller combattre au Maroc où sa conduite héroïque lui valut la croix de la Légion d'honneur. En 1914, dès la mobilisation, il

se rendait en France avec un goût de sa tribu et prenait une part brillante aux premiers conseils. Fait prisonnier à la reddition de Lille, il fut interné pendant quinze mois à Grefeld, puis, en raison de son état de santé devenu très précaire, évacué en Suisse où il séjourna jusqu'en milieu de 1918.

A son retour en France, il fut nommé capitaine et cité à l'ordre du jour de l'armée avec une mention des plus élogieuses.

Sous des dehors extrêmement brillants, il avait la compréhension la plus haute de ses devoirs et nul ne les accomplissait mieux que lui. Dans l'intimité, il était exquis et charmant et ceux qui avaient découvert le chemin de son cœur pouvaient véritablement apprécier son âme généreuse, son tact parfait et la douceur de son amitié. Aussi s'était-il créé des affections sincères et profondes qui lui survivaient.

D'une intelligence très vive, d'une culture littéraire très élevée, il suivait avec un intérêt passionné le mouvement artistique et intellectuel de notre époque. En littérature même, il avait écrit deux livres : *Les Villes Saintes de l'Islam* et *Almanach des Mostapha, goumier*, qui ont obtenu en France un gros succès et dont le second, d'un style particulièrement coloré, a paru il y a quelques mois seulement.

Avec le capitaine Benchéri disparaît prématurément une des personnalités les plus marquantes de notre monde indigène et un des champions les plus qualifiés de notre civilisation. La France et l'Algérie font en lui une perte irréparable.

Ses obsèques ont eu lieu à Djiffa le mercredi 22 mars, au milieu d'une affluence considérable. Toute la population civile et militaire, européenne et indigène de la ville et des environs y assistait, marquant ainsi en quelle haute estime elle tenait le capitaine Benchéri. Un discours a été prononcé sur sa tombe par M. le commandant Bérard, chef de l'armée de Djiffa.

En cette circonstance douloureuse, nous adressons à M^{re} veuve Mohamed Benchéri, à sa famille et à ses amis l'expression de nos sentiments de condoléance les plus attristées.

NOS DISPARUS

ANTONIN DUBOST

Le 16 avril, à huit heures du soir, M. Antonin Dubost, sénateur de l'Eure, est décédé en son domicile, rue Dante. Il était âgé de soixante-dix-sept ans. Avec souffrant ces temps derniers, il paraissait rétabli et était retourné au Sénat.

C'est une grande et belle figure républicaine qui disparaît après une carrière politique fort longue et noblement remplie.

Il convient de la retracer.

Il était né à l'Écluse, département du Rhône, le 6 avril 1844. On le trouve, vers la fin de l'Empire, dans la presse républicaine ; il collabore à *Le Miro-*



M. Antonin Dubost, président du Sénat, qui vient de mourir.

seille, dont les tendances ne tardent pas à indisposer le pouvoir impérial qui fait emprisonner les rédacteurs de ce journal. M. Antonin Dubost en prend alors la direction. En 1876, il accepte, mais pour un mois seulement, le secrétariat général de la préfecture de police. Chargé de mission après de la délégation de Tours, il quitte l'Écluse en ballon. L'année suivante, on l'appelle à la préfecture de l'Eure ; il tente de défendre Alençon contre les Allemands ; il démissionne après l'armistice. Conseiller d'Etat en

¹ Aua, « Mort du capitaine Ben Chérif », *L'Afrique du Nord Illustrée*, n° du 30 avril 1921, p09.

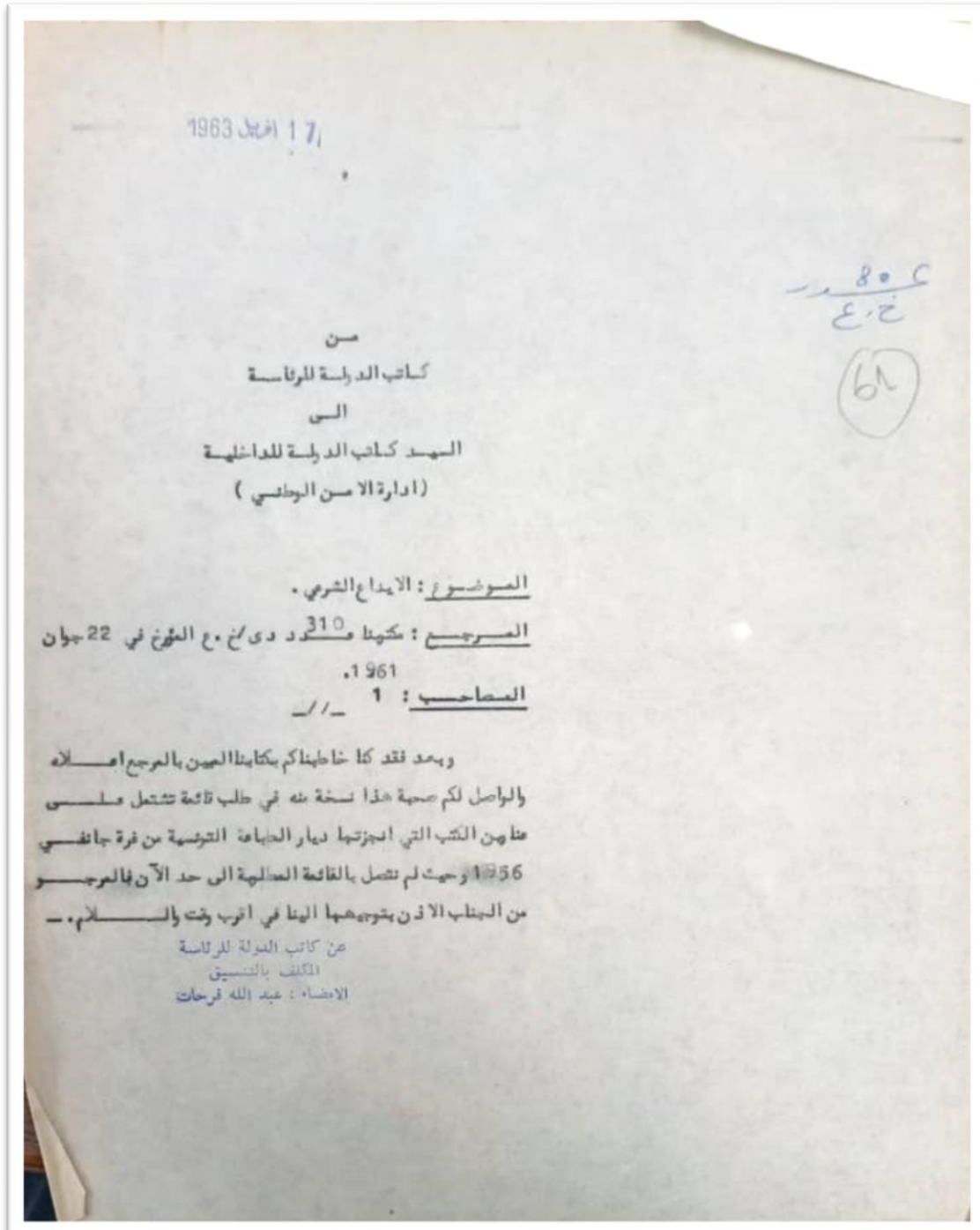
الملحق رقم (21): عرض ونقد لرواية ثلاثة رجال ومثدنة في مجلة طالب الجزائر لغابرييل أوديسيو

¹(1926)



¹ Gérard Crespo, (s.d), *Un écrivain français d'Algérie quelque peu oublié : Gabriel Audisio (1900-1978)*, CDHA, consulté le 20 août 2024, sur : <https://www.cdha.fr/un-ecrivain-francais-dalgerie-quelque-peu-oublie-gabriel-audisio-1900-1978>

الملحق رقم (22): ارسالية من كاتب الدولة للرئاسة إلى كاتب الدولة الداخلية¹



¹ الأرشيف الوطني التونسي، ارسالية من كاتب الدولة للرئاسة إلى كاتب الدولة الداخلية، مج: E، عل: 530، مل: 04، 17 أفريل 1963.

الملحق رقم (23): قائمة الكتب التي طبعت بالشركة التونسية لفنون الرسم بين (1956-1964)¹

مركز الشرطة بالقنينة		
قائمة الكتب التي طبعت بالشركة التونسية لفنون الرسم		
سنة 1957		
موضوع الكتاب	مؤلفه	الناشر
ولد الله الى حرمه الامين دائرة التفتيش بطل الكفاح الامير محمد القادر	محمد بود الهاجي محمد الطاهر المنوسي بشير موعود	
سنة 1958		
مجلة الاحوال الشخصية شع احكام الاحكام المهني مركبة الشرق والغرب	محمد الطاهر المنوسي ابراهيم عبد الهادي نور الدين بوجدر علي بن حارث	
سنة 1959		
صراع الطفولة كتاب التمهيدات الاول المختار من شعر الزهر	عبد الله الركبي احمد المختار الزهر	علي بوسلامه كتابة الدولة للتربية التونسية
سنة 1960		
نصوص ادبية التعليم الاعدادي المرأة في عصر الاسلام كتاب التمهيدات الاول - الجزء الثاني الجزء الرابع كتاب القراءة الاول كتاب التمهيدات الاول - تعلم الكمون	احمد الحرثي المطوي	الديوان التونسي كتابة الدولة للتربية التونسية كتابة الدولة للدفاع الوطني كتابة الدولة للتربية التونسية مركز التوجيه الاجتماعي
سنة 1961		
بين مصيبي النهال الشمسي عند العرب السورفي نصوص ادبية في التعليم الثانوي الجزء الثاني الجزء الثالث	الصادق منهج ابو القاسم الشابي محمد الحبيب بلخوجة السنة الاولى السنة الثانية السنة الثالثة	الشركة القوية للنشر والتوزيع الديوان التونسي

¹ الأرشيف الوطني التونسي، قائمة الكتب التي طبعت بالشركة التونسية لفنون الرسم بين 1956. 1964، مج: E، عل: 530، مل: 04.

الملحق رقم (24): قائمة الكتب التي طبعت بالشركة التونسية لفنون الرسم بين (1956-1964)¹

الديوان التونسي كتابة الدولة للمعدل كتابة الدولة للترجمة القومية كتابة الدولة للدفاع الوطني	السنة الرابعة السنة الثانية هد السلام اكلائي ومحمد الهلي	نصوص اديبية في التعلم الثانوي النحو العربي مجلة الالتزامات الهندسة الفضائية كتاب القراءة الثاني كتاب التمهينات الا ول الجزء الخامس كتاب التمهينات الجزء الا ول كتاب القراءة الا ول
الترجمة القومية الشركة القومية للنشر والتوزيع " " " " " " " " دار الكتب الشرقية	علي الدوماجي محمد بن حيدر الظاهر وطار الطيب الفقيه احمد احمد رشاد الحمزاوي	سنة 1962 نصوص اديبية تعلم اعدادي السنة 2 جولة بين حانات البحر الابيض المتوسط الهاجي المعمودي دخان من قلبه المستمر وبطل التحير بيودودة مات 19 جهلية دروس الدين والتمهية التمهية التونسية في الاطل العاصية الهاض الجزء الخامس نصوص اديبية للتعلم الثانوي السنة 4 كتاب القراءة الا ول الجزء الخامس الموسط الجزء الثالث شرح القانون الجنائي التونسي الجزء الا ول
الديوان التونسي كتابة الدولة للترجمة القومية كتابة الدولة للمعدل هد العنيز العواوي واسماعيل المياحي	احمد بن عامر اليشهر الزهبي احمد صفر	سنة 1963 النحو العربي التعلم الثاني السنة 2 الفق العربي (العرف العربي السنة الا ول الثانية والثالثة من التعلم الثانوي
الديوان التونسي Universit� de Tunis الشركة القومية للنشر والتوزيع " " " " " "	Jean Cuisenier عثمان الكماك الدكتور رزق الله محمد المروسي المطوي Henri Trebich	L'Ansarine التقاليد والمادات الشعبية تضم الفصل فرجة الشعب Math�matique Ieann�e de l'Enseigt secondaire.
الشركة القومية للنشر والتوزيع كتابة الدولة للصحة العمومية		سنة 1964 Livre d'histoire. La Sant� Publique � l'heure du temps plein.

¹ الأرشيف الوطني التونسي، قائمة الكتب التي طبعت بالشركة التونسية للفنون الرسم بين 1956-1964، معج: E، عل: 530، مل: 04.

الملحق رقم (25): اعلان المسابقة السنوية الأولى لـ "التطور الجزائري" (1912)¹

Premier Concours Annuel
de l' « Évolution Algérienne »

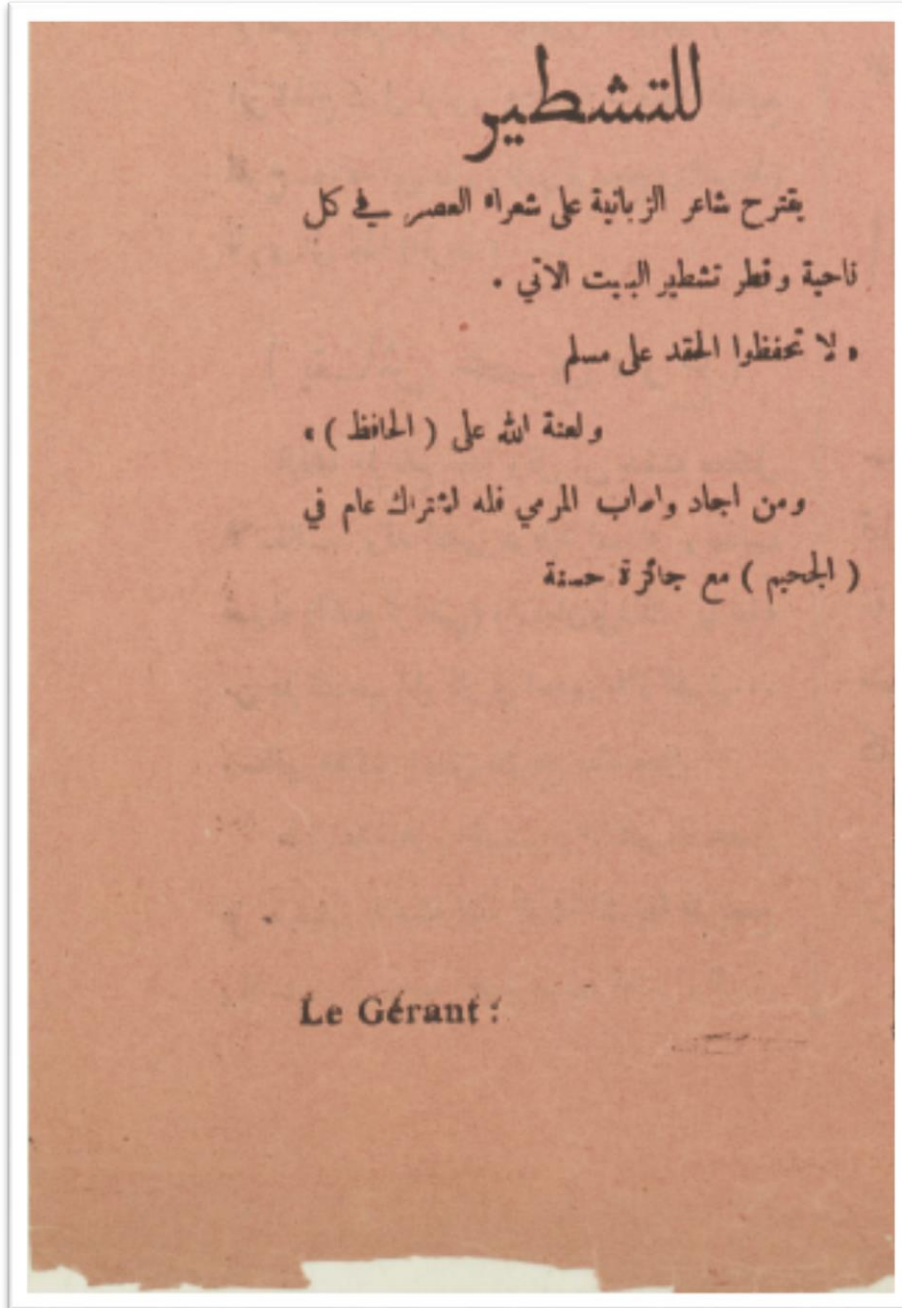
« ECRIRE UN CONTE ALGERIEN OU
UNE NOUVELLE ESSENTIELLEMENT
ALGERIENNE N'EXCEDANT PAS UNE
PAGE. »

BON N° 8
du CONCOURS LITTÉRAIRE
de l'Évolution Algérienne


8 Août 1912

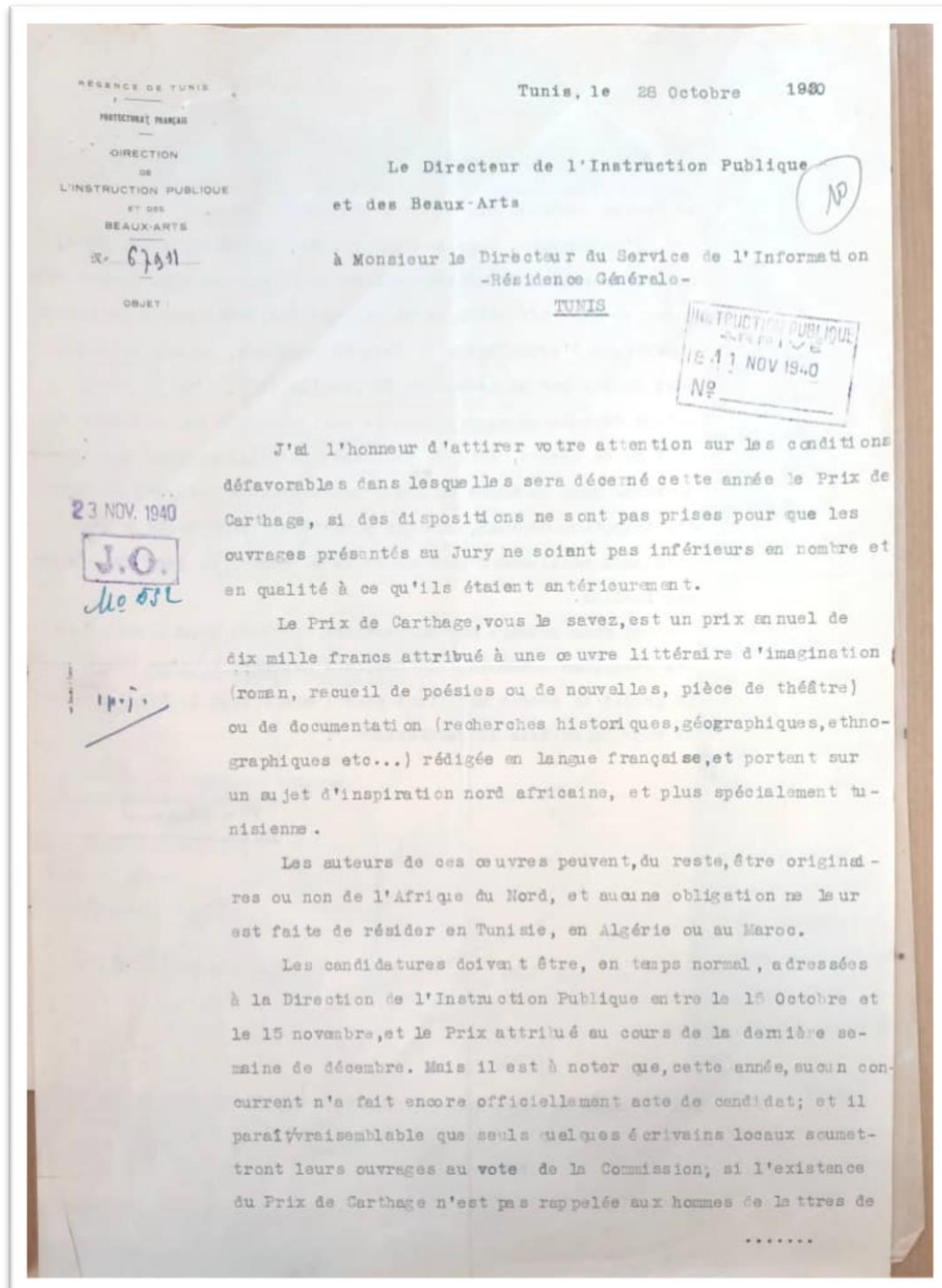
¹ Annonce, «Premier Concours Annuel de l'Évolution Algérienne », *L'Évolution algérienne et tunisienne*, n° 143, 08 Aug 1912, p14.

الملحق رقم (26): نص إعلان لشاعر الزبانية في جريدة الجحيم سنة (1933)¹.



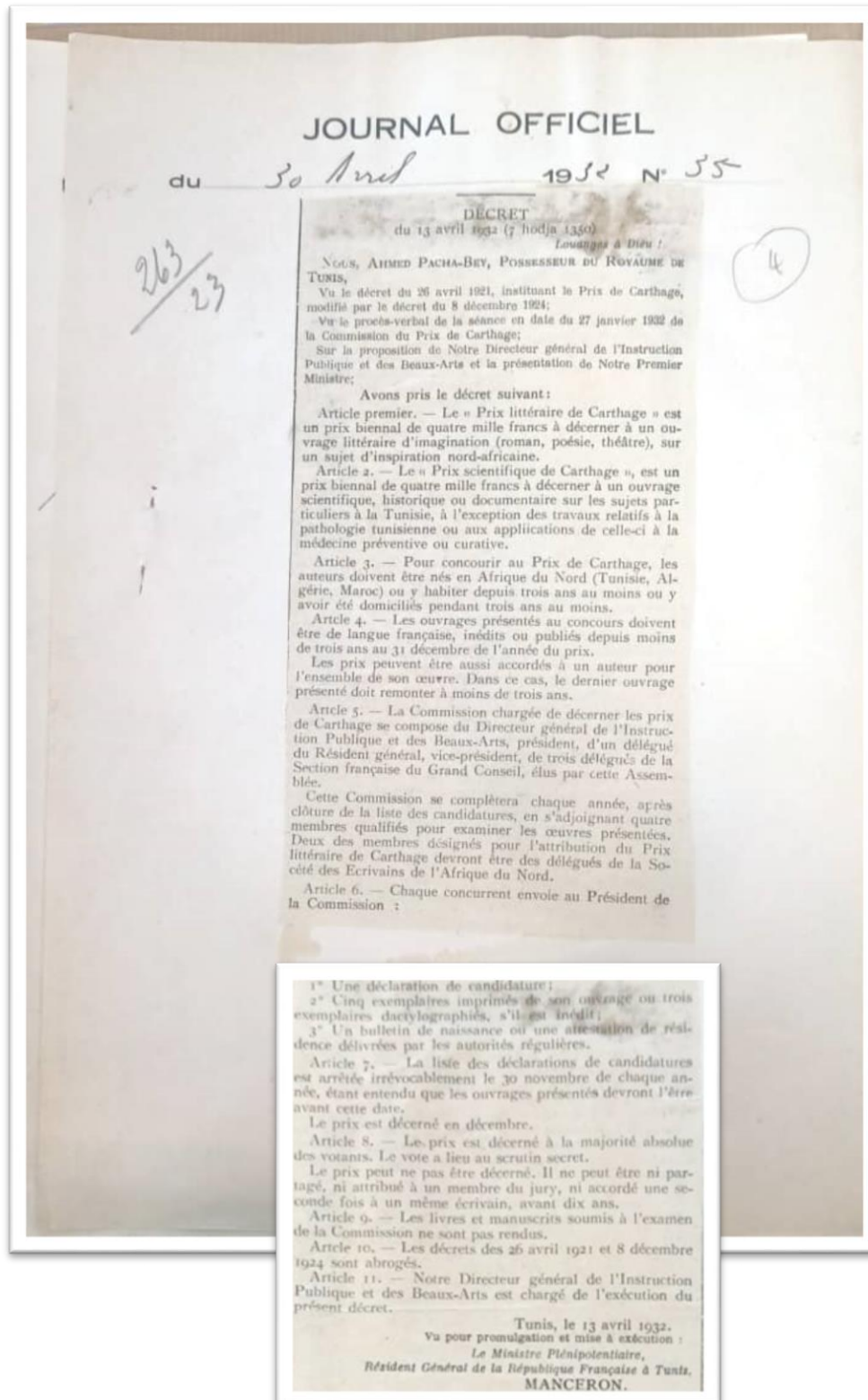
¹ جوكلازي محمد الشريف، "للتشظير"، جريدة الجحيم، ع2، 05 أبريل 1933، ص03.

الملحق رقم (27): مراسلة حول جائزة قرطاج الأدبية وشروط المشاركة (1930)¹



¹ A.N.T, Fonds de la Direction Générale de l'Instruction Publique et des Beaux-Arts, Dossier n° 67911, "Correspondance sur le Prix de Carthage Littéraire" Série E, Carton 263, Dossier 23, 28 octobre 1930, p. 1.

الملحق رقم (28): اعلان عن مسابقة أدبية لأدباء شمال أفريقيا في تونس (1932)¹



¹Manceron,(30 Avril 1932), Décret du 13 avril (2 Hodja 1350), Journal Officiel, (N35), P Le Centre A.N.T, Concours littéraires, Série E, Carton 263, Dossier 23, 1929-1940.

الملحق رقم (29): مقال أحمد رضا حوحو "حاضر الثقافة والأدب" (1956)¹

حاضر الثقافة والأدب في الجزائر

في الجزائر ثقافة وأدب ، وفي الجزائر
شيوخ وشبان لهم أفكار ، ولهم مواهب
ولهم إنتاج في مختلف ميادين الثقافة
والأدب ... ولكن أفكارهم وسواعيهم
وانتاجهم مضمورة في مجاهيل الأعمال
لا يقرؤها القراء ، ولا يتمتع بها الشعب ،
لأنها لا تنشر . ووسائل النشر تكاد
تكون معدومة في بلادنا تكلف اعباء
مادية ، ومشاق أدبية لا يكاد يقوى على
تحملها الفرد الواحد ...

فتتوحد الجهود إذن ، ولتبرز إنتاجنا
الثقافي والأدبي من كوامن ، في صفحات
مشرفة وصورة نيرة تبث هذا الكلام
الحالك الذي يفسرنا وتنبئ السبيل التي
ناشدنا لتسير نهجنا الثقافية في طريق
معبود خال من المثرات الفكرية ، والمراقيل
المادية ...

وبعد ، فقد توكلت على الله ،
وعزمت على المبادرة بإصدار سلسلة من
الكتب تحت عنوان « حاضر الثقافة
والأدب في الجزائر » يضم كل كتاب من
هذه السلسلة ، عددا من العلماء والأدباء
الكتاب والشعراء ، شبابا وشيوخا ،
رجالاً ونساء ، ويختص على تراجمهم
ونماذج من إنتاجهم ، ليتعرف الشعب
على قوته الفكرية ، ويستفيد من إنتاج
أبنائه المتفهمين . ولعلنا تتدرج من توحيد
الجهود الأدبية إلى توحيد الجهود المادية
لتتيسر وسائل النشر ، والنشر ، تسهل
مهمة العالم والأدب وتبني للناتجة

ميدانا مفيدا لمختلف الإنتاج الثقافي
والأدبي والفني .
ولهذا فاني أوجه تدائي إلى كل
جزائري همه بت الحركة الفكرية في
بلادنا ، أن يرسل إلي بترجمته وصورته
ونماذج من مختلف إنتاجه ، والا يخل
علي بالصيغة والتوجيه - وما هو جني
إلى النصيحة والتوجيه في هذا العمل -
والا يكسني بأجابته فحسب ، بل
يساعدني بحث زملائه ومعارفه من
يسعد فهم القدرة على الكتابة وملكية
الإنتاج على أن يكتبوا إلي ويوافقوني
بمختلف أفكارهم وإنتاجهم ، وأنني
أعدهم على سواصلة العمل ، وتحمل
مشاقه المادية والأدبية ، ليرز إنتاج
بلادنا في صورة مشرفة ولطائر جليل
يشرف البلاد ويمجد عليها بالشع ، وقفنا
إلى ما فيه صالح الوطن .
أحمد رضا حوحو

ملاحظة : أرجو أن تكون الكتابة بخط
واضح وعلى وجه واحد من الورق وأن
ترسل بهذا العنوان : أحمد رضا حوحو .
A. P. H. CHOUCHO - CONSTANTINE

إلى البائعة

الرجاء من بائعة الجريدة أن يوافقونا
سرعا بما لديهم من حللها .

¹ أحمد رضا حوحو، "حاضر الثقافة والأدب في الجزائر"، البصائر، ع 352، 03 فيفري 1956.

الملحق رقم (30): مقال محمد ديب "خالد" (1951)¹

K H A L E D
comédie en 4 actes et 5 tableaux
de Mohamed Oueid Chikh et Bachtarzi Mahieddine

DISTRIBUTION

Khaled : Habib Réda ; Santoni : Mustapha Kateb ; Boukricha : Mohamed Touri ; M'Bara : Djelloul ; Bendant : Abderahmane Aziz ; Larbi : Taha-El-Amiri ; Abdeliah : Youssef Hattab ; Mourad : Debbaï : El-Cadi : Sissani ; El-Fellah AH : Aboulhassène ; El-Fellah Omar : Kasdarli ; Yamina : Kaloum ; Yaqout : Latifa : Kheira ; Nouria : Khedidja : Fadila Khetmi ; Fathima : Fadila Dziria.

L'action se passe vers 1936 dans le Sud oranais. Le bachagha Bendant, type du féodal algérien, ne s'inquiète que de faire fructifier ses terres, d'avancer dans sa fonction de bachagha, d'accumuler promotions de médailles, et même titres politiques.

Son fils Khaled contraste : éduqué, intelligent, lettré, connu par son esprit de justice et d'équité, il essaie de venir en aide aux fellahs et de leur rendre moins lourd le fardeau du régime. Ses réactions sont à l'opposé de celles de son père, devant un représentant du régime, le colon Santoni.

Les élections battent son plein. Au cours de la campagne électorale Khaled est poursuivi par ses ennemis politiques qui veulent le frapper. Auparavant, il avait épousé en secondes noces, une femme dont la conduite a été vivement critiquée. Ce mécontentement a été utilisé par ses adversaires. Il a juste le temps de s'engouffrer dans une porte et il se trouve précisément que c'est la maison de Yamina, sa première femme. Celle-ci le cache et lui évite d'être atteint par les poursuites. Il reconnaît ses torts et, alors que les époux se réconcilient, la foule acclame Khaled qui vient d'être élu.

On peut considérer cette pièce comme une étape nouvelle dans le théâtre d'expression arabe.

Le public de vendredi dernier manifesta un intérêt sans relâche. Si cette preuve était nécessaire encore pour les auteurs comme pour la troupe dramatique, pour nous elle était faite depuis longtemps, nous l'avons assez souligné dans cette chronique.

De quoi s'agit-il ? D'événements, de préoccupations, qui touchent l'ensemble d'entre nous. La pièce va droit au cœur du spectateur. On y peut relever, certes, une construction assez maladroite ; l'action bascule dans une histoire sentimentale qui s'imbrique mal dans l'ensemble. Mais, telle quelle, c'est un progrès certain. Nous aimerions en voir d'autres. C'est la l'opinion d'un grand nombre de personnes.

Habib Réda, Mustapha Kateb, Kaloum, Touri, Abderahmane Aziz, tous ont tenu leurs rôles avec un égal bonheur. Ceux qui incarnent les paysans furent vrais. On vit ce soir-là, pour la première fois, des paysans qui n'étaient pas des personnages de comédie, ridicules ou naïfs. Applaudissons Djelloul et Nouria qui ont tenu des rôles de serviteurs négés : par leur jeu intelligent et fin, se donnant tous deux la réplique, ils surent tenir la salle sous le charme — un charme d'où la poésie n'était pas absente.

Mohammed DIB.

P.S. — Les autres quotidiens d'Alger n'ont pas donné, hier matin, leur compte rendu habituel du théâtre arabe. Est-ce assez significatif ?

**A leur assemblée générale
les maîtres coiffeurs ont
collecté 14.100 francs
pour les sinistrés d'Italie**

Réuni en assemblée générale ordinaire lundi 3 décembre, salle des mariages de l'ancienne mairie, le syndicat des maîtres coiffeurs d'Alger et département a procédé au renouvellement de son conseil d'administration.

Président général : M. Bousignac Antoine ; vice-présidents : MM. Soriano Roch, Castellanos Joachim ; secrétaire général : M. Benesiano Henri ; adjoint : M. Olivier Antoine ; trésorier général : M. Gélas Edgar ; adjointe : Mme Salord Lucienne ; assesseurs : Mme Marco Gervaise, MM. Daninos Ludic, Daninos Albert, Jordi Jean, Chanasaud Joseph, Baron-Lévy, Gornès Jean, Mazouz Mahmoud, Mazzini Charles, Poquet Vincent, contrôleurs aux comptes : M. Vivès Jacques, Marqués François.

Après les remerciements du nouveau président, M. Guariglia Nicolas, président de séance, proposa qu'une collecte soit faite au profit des sinistrés d'Italie qui rapporta la somme de 14.100 fr. et sur proposition de M. Guilly une collecte fut également faite au profit d'un vieux coiffeur hospitalisé à Douéra, qui rapporta la somme de 4.914 francs pour la confection de cols de Noël et Nouvel An.

Après un exposé de M. Neta sur le programme de l'année 1952, la séance fut levée à 11 h. 30.

¹ Mohammed Dib, « Khaled », *Alger Républicain*, n° 20, 12 décembre 1951, p02.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية ورش.

أولا/ المصادر

1. الوثائق الأرشيفية:

أ- غير منشورة:

• باللغة العربية:

1. الأرشيف الوطني التونسي، ارسالية من كاتب الدولة للرئاسة إلى كاتب الدولة الداخلية، مج: E، عل: 530، مل: 04، 17 أفريل 1963.

2. الأرشيف الوطني التونسي، قائمة الكتب التي طبعت بالشركة التونسية لفنون الرسم بين 1956-1964، مج: E، عل: 530، مل: 04.

• باللغة الأجنبية:

1. A.N.T, Concours littéraires, Série E, Carton 263, Dossier 23, 1929-1940, "Décret du 13 avril (2 Hodja 1350)", Journal Officiel, n°35, 30 avril 1932, P Le Centre.
2. A.N.T, Fonds de la Direction Générale de l'Instruction Publique et des Beaux-Arts, BO 261, "Décret relatif au Prix de Carthage", 14 avril 1932, Feuille 11.

ب- منشورة:

• باللغة العربية:

1. هيئة الإذاعة البريطانية، (31 جانفي 1953)، رسالة تهنئة إلى أحمد توفيق المدني.
2. عبد الرحمان الجيلالي، (01 فيفري 1951)، رسالة تهنئة إلى أحمد توفيق المدني، الجزائر.
3. سعد الدين بن أبي شنب، (17 فيفري 1951)، رسالة تهنئة إلى أحمد توفيق المدني، الجزائر.
4. الأمين سوسى، (01 جانفي 1951)، رسالة تهنئة إلى أحمد توفيق المدني، مداوروش - تونس.
5. مجهول، (24 فيفري 1951)، رسالة تهنئة إلى أحمد توفيق المدني.
6. الشاذلي خزنة دار، (20 جانفي 1951)، رسالة تهنئة إلى أحمد توفيق المدني، د.م.
7. نادرة، (02 جويلية 1950)، رسالة تهنئة إلى أحمد توفيق المدني، مصر.
8. الأرشيف الوطني الفرنسي - موقع بيرفيت-سور-سين، عل: LH//331/64، رقم الإشعار: L0331064.

• باللغة الأجنبية:

1. A.O.M, boîte 926/84, Surveillance des milieux musulmans, rapports et télégrammes, mai-juin 1945, consulté sur : https://recherche-anom.culture.gouv.fr/archive/fonds/FRANOM_01567/view:201702
2. Aéa, Résultats définitifs des élections législatives de 1948, premier et deuxième collèges, documents administratifs, consulté sur : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k3351031j/f17.item.r=BOUTARENE,%20Kadda>.
3. ANF, Base Léonore, dossier Bencherif Chérif ben Si Ahmed, cote LH/26590, consulté sur : <https://www.leonore.archives-nationales.culture.gouv.fr/ui/notice/26590>.
4. BnF, Fonds Louis Bertrand – Élissa Rhais, (20 Novembre 1924), document numérisé, disponible sur Gallica : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b10016788k>.
5. (————), (s.d.), dans le Fonds Louis Bertrand, Correspondance, Montpellier Méditerranée Métropole – Médiathèque centrale Émile Zola, cote LBC 959. Consultable en ligne sur Gallica : <https://gallica.bnf.fr>

2. الكتب:

• باللغة العربية:

- 1) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد بن محيي الدين عبد الحميد، بيروت . لبنان، دار الفكر، 1973.
- 2) أبو القاسم سعد الله، النصر للجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 3) (—، —)، ثائر وحب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
- 4) (—، —)، سعة خضراء: قصص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 5) (—، —)، مسار قلم (يوميات) 1956-1957، ج1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 2005.
- 6) (—، —)، مسار قلم (يوميات) 1958-1960، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2015.
- 7) أبي قاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير قوننتانة الشرقية، الجزائر، 1906.
- 8) أحمد ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969.

- 9) أحمد الغوالي، ديوان الشاعر أحمد الغوالي، تح و تق: حمادي عبد الله، وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.
- 10) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، ج2، ج3، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975.
- 11) (—،—)، رد أديب على حملة أكاذيب، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 12) أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، دار البعث، الجزائر، 1984.
- 13) أحمد رضا حوحو، صاحبة الوحي، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1954.
- 14) (—،—)، غادة أم القرى، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة. الجزائر، 1947.
- 15) أحمد سحنون، ديوان الشيخ أحمد سحنون (حصاد السجن)، منشورات الخبر، الجزائر، 2007.
- 16) أحمد طالب الابراهيمي، رسائل من السجن 1957-1961، تع: الصادق مازيغ، دار الأمة، برج الكيفان-الجزائر، ط3، 2009.
- 17) (—،—)، مذكرات جزائري -أحلام ومحن-، ج1، دار القصبة للنشر، 2006.
- 18) الأمير عبد القادر، كتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، الإسكندرية، لبنان، المطبعة التجارية عزروزي وجاويش، 1905.
- 19) (—،—)، نزهة الخاطر في قريض، تح: عبد الوهاب بن منصور، د م. د ن، 1952.
- 20) البشير الابراهيمي، كتاب آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1997.
- 21) الجنيد خليفة، من وحي الثورة، دار الثقافة، بيروت، 1963.
- 22) الحبيب بناسي، صرخة القلب، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.
- 23) حمزة بوكوشة، ما رأيت وما رويت، د د، الجزائر، 2012.
- 24) حمود رمضان، بذور الحياة، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
- 25) الخنقي عاشور، منار الإشراف في فضل عصاة الأشراف، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1914.
- 26) خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، المطبعة الرسمية، تونس، 1867.

- (27) الربيع بوشامة، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، جم، تح، تق: جمال قنان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- (28) رشيد القسنطيني، بابا قدور الطماع، تح: حسين نذير، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2025.
- (29) رمضان حمود، الفتى، دد، تونس، 1929.
- (30) زليخة خربوش، مذكرات أسيرة، منشورات دار الأديب، وهران، 2006.
- (31) الطاهر وطار، مسرحية الهارب، موفم للنشر، الجزائر، 2013.
- (32) عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري، تح. تع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983.
- (33) عبد المجيد الشافعي، الطالب المنكوب، دار الكتب العربية، تونس، 1951.
- (34) علي الحمامي، إدريس، رواية شمال إفريقية، تع: محمد الناصر النفزاوي، معهد الهوفا، 2011.
- (35) لويذة إيغيل أحرير، جزائرية، إعداد: آن نيفا، دار القصة للنشر، الجزائر، 2011.
- (36) مبارك بن محمد جلواح، دخان اليأس، در.ب: رابح دوب، تع: محمد جلواح، نادي نجران الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، 2015.
- (37) محمد البشير الابراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1997.
- (38) (—، —)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- (39) (—، —)، في قلب المعركة، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997.
- (40) (—، —)، من أنا؟، تح: رابح بن خويا، منشورات الوطن اليوم، الجزائر، 2018.
- (41) محمد السعيد الزاهري، الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة - مصر، 1930/1929.

- (42) (—، —)، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1930.
- (43) محمد الشبوكي، ديوان محمد الشبوكي (المجموعة الأولى)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.
- (44) محمد الشريف الورثياني، نُزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تح: محمد ابن أبي شنب، مطبعة بيبير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.
- (45) محمد الصالح رمضان، سوانح وارتسامات عابر سبيل، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2004.
- (46) محمد الطاهر التليلي، هذه حياتي، إ.ع وإ.ش: بشير خلف، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي-الجزائر، 2017.
- (47) محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مطبعة النهضة، تونس، 1926.
- (48) (—، —)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، مطبعة النهضة، تونس، 1927.
- (49) محمد بن إبراهيم، حكاية العشاق في الحب والاشتياق، تح: أبو القاسم سعد الله، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- (50) محمد بن حسن بن عيسى المشرقي التلمساني، نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
- (51) محمد بن ددش، رحلة حياتي مع الميكروفون، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط-المغرب، 2011.
- (52) محمد بن شنب، منتخبات في التأليف والترجمة والتحقيق، دار القصبة، الجزائر، 2007.
- (53) محمد بوزيدي، صوت الجزائر (مجموعة شعرية)، دار الكتاب العربي، خرايسية-الجزائر، 2014.
- (54) محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

55) مفدي زكرياء، **اللهيب المقدس**، دار الكتب، بيروت - لبنان، 1961.

56) نور الدين بوجدر، **الحريق**، دار بوسلامة للنشر، تونس، 1958.

• **المُعَرَّبَة:**

1. ايزابيل إبراهيم، **على الرمل أثر**، تر: عبد القادر ميهي، مديرية الثقافة لولاية الوادي، الوادي-الجزائر، 2016.

2. جواهر لال نهرو، **رسائل نهرو إلى أنديرا**، تر: أحمد بهاء الدين، دار زهور الفكر، 1986.

3. علي الحمامي، **إدريس**، تر: محمد يحياتن، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الرويبة-الجزائر، 2007.

4. مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن**، تر: مروان القنواقي، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1969.

5. مالك حداد، **سأهيك غزالة**، تر: صالح القرمادي، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1968.

6. مجهول، **امراة في برلين**، تر: ميادة خليل، دار المتوسط، ميلانو-إيطاليا، 2016.

7. محمد ديب، **الحريق**، تر: أحمد بن محمد بكلي، دار سيديا، الجزائر، 2011.

8. محمد ولد الشيخ أغا، **الخليفة**، تر: معراج أغا، مخطوط، الجزائر، 2024.

9. (—، —)، **مريم بين النخيل**، تر: معراج أغا، دار فواصل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020.

10. مصالي الحاج، **مذكرات 1898-1938**، تر: محمد المعراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الرويبة-الجزائر، 2007.

• **باللغة الأجنبية:**

- 1) Abdallah Chaanba, **Le Vieillard Et L'Enfant** , Edition FANLAC, Paris, 1950.
- 2) Abdelaziz Znaki, **Récit en dialecte tlemcénien**, Imprimerie nationale, Paris, 1904.
- 3) Abdelkader Fikri,et Robert Rando, **Compagnons du jardin**, Éditions Domat-Montchrestien, Paris, 1933.
- 4) Abdelkader Hadj Hamou, **Zohra, la femme du mineur**, Les Éditions du Monde Moderne, Paris, 1925.
- 5) Ahmed ben Mostapha, **goumier**, Payot, Paris, 1920.
- 6) Ahmed Bey, **Mémoires d'Ahmed Bey, bey de Constantine (1830-1837)**, Imprimerie officielle, Alger, 1949.
- 7) Albert Camus, **L'Étranger**, Gallimard, Paris, 1942.

- 8) (—, —), **La Peste**, Gallimard, Paris, 1947.
- 9) Ali El-Hamami, **Idriss**, Société Nationale d'Édition et de Diffusion (SNED), Alger, 1976.
- 10) (—, —), **Idris : Roman Nord-Africain**, Entreprise nationale du livre, Alger, 1988.
- 11) Amar Ouzegane, **Le meilleur combat**, Julliard, Paris, 1962.
- 12) Amila Debèche, **Leïla, jeune fille d'Algérie**, Imprimerie Charras, Alger, 1947.
- 13) Anna Greki, **Algérie capitale Alger**, collection « J'exige la parole, SNED, édition bilingue français/arabe, Tunis, 1963.
- 14) Anna Greki, **Ou l'amour avec la rage du cœur**, Koukou Éditions, Chéraga Banlieue-Algérie, 2023.
- 15) Assia Djebar, **Les Impatients**, Éd. Julliard, Paris, 1958.
- 16) (—, —), **La Soif**, Éd. Julliard, Paris, 1957.
- 17) (—, —), **Les enfants du nouveau monde**, Julliard, Algérie, 1962.
- 18) Berthe Bénichou-Aboulker, **Balkis la Sabéennem**, La Maison des Livres, Alger, 1939.
- 19) (—, —), **Danses**, La Maison des livres, Alger, 1939.
- 20) (—, —), **La Kahéna, reine barbare**, P. & G. Soubiron, Alger, 1933.
- 21) (—, —), **Louise de Lavallière**, P. & G. Soubiron, Alger, 1935.
- 22) (—, —), **Pays de flamme**, P. & G. Soubiron, Alger, 1935.
- 23) Charles Mauras, **Lettres de prison 8 Septembre 1944-16 Novembre 1952**, Edité par Flammarion, France, 1958.
- 24) Choukri Khodja, **El-Euldj, captif des barbaresques**, Édition de la Revue des Indépendants, Arras, 1929.
- 25) (—, —), **idéal Dun ébauche'l Mammon**, Éditions Radot, Paris, 1928.
- 26) Djamila Debèche, **Aziza**, imprimerie Imbert, Alger, 1955.
- 27) (—, —), **Leïla, jeune fille d'Algérie**, Imprimerie Typo-Litho du Gouvernement Général, Alger, 1947.

- 28) Dostoïevski, Fiodor, **Souvenirs de la maison des morts**, Traduit par M. Neyroud, préfacé par Eugène-Melchior de Vogüé, Paris : Plon, 1886.
- 29) Éliisa Rhaïs, Saada la Marocaine, Plon, Paris , 1919.
- 30) (—, —), **Enfants de Palestine**, Le Manuscrit, Paris, France, 2007.
- 31) (—, —), **La Chemise qui porte bonheur**, Plon, Paris, 1925 .
- 32) (—, —), **La Fille des pachas**, Plon, Paris, 1922.
- 33) (—, —), **La Fille du douar**, Plon, Paris, 1924.
- 34) (—, —), **La Riffaine**, Ernest Flammarion, Paris, 1929.
- 35) (—, —), **L'Andalouse**, Fayard, Paris, 1925.
- 36) (—, —), **Le Café chantant (Cahoua dez zahou), Kerkeb et Noblesse arabe**, Plon, Paris, 1920.
- 37) (—, —), **Le Mariage de Hanifa**, Plon, Paris, 1926.
- 38) (—, —), **Le Sein blanc**, Flammarion, Paris, 1928.
- 39) (—, —), **Le Sein blanc**, Flammarion, Paris, 1928.
- 40) (—, —), **Les Juifs ou la fille d'Eleazar**, Plon, Paris, 1921.
- 41) (—, —), **Par la voie de la musique**, Plon, Paris, 1927.
- 42) (—, —), **Petits Pachas en exil**, 1929.
- 43) Fathma Ait Menssour, **Histoir de ma vie**, Librairie François Maspero, Paris, 1968.
- 44) Ferhat Abbas, **La nuit coloniale**, Paris, R. Julliard, 1962.
- 45) (—, —), **La nuit coloniale**, René Julliard, Paris, 1962.
- 46) Frantz Fanon, **Les Damnés de la Terre**, François Maspero, Paris, 1961.
- 47) G. Andrieux, **Très beaux livres anciens romantiques et modernes, mss, incunables, livres d'Heures...** (Vente à Paris, du 1er au 7 mars 1930. Hotel Drouot Salle 9), Paris, 1930.
- 48) Gabriel Audisio, **Trois hommes et un minaret**, Rieder, Paris, 1926.

- 49) Hamdan Khodja , **Le Miroir**, trad: Imprimerie de Bourgogne et Martinet, Paris, 1933.
- 50) Henri Alleg, **La Question**, Éditions de Minuit, Paris, 1958.
- 51) Henri Lemaître, **La Lecture Publique : Mémoires et Vœux du Congrès**, International d'Alger, Paris- Droz, 1931, p201.
- 52) Jean Amrouche & André Gide, **Gide & Amrouche, Correspondance (1928-1950)**, éd. Pierre Masson et Guy Dugas, Presses Universitaires de Lyon (PUL), Lyon, 2010.
- 53) Jean Amrouche, **Cendres, poèmes (1928-1934)**, éditions de mirages, Tunis, 1934.
- 54) (—, —), **Chants Brébères de Kabylie**, Éditions Les soins de monomotapa, Tunis, 1939.
- 55) (—, —), **Étoile secrète, poème**, Les Cahiers de Barbarie, Tunis, 1936.
- 56) (—, —), **Étore**, Henri Chabloz, tirage limité, Suisse, 1960.
- 57) Jean Cocteau, **Moi, Jean Cocteau**, Éditions de la Nouvelle Revue Critique, Paris, 1930.
- 58) Kadda Boutarene, **Kaddour2**, Enal, Alger, 1986.
- 59) Kadda Bouterne, **Dlela et Si Azzouz : la veuve et le frère du Bach Agha**, ENAL, Alger, 1986.
- 60) (—, —), **Kadda Kaddour (2): un adolescent algérien à la veille du centenaire de l'occupation coloniale**, ENAL, Alger, 1986.
- 61) (—, —), **Kadda Kaddour (3), De Brezina au Palais Bourbon, itinéraire d'un militant**, ENAL, Alger, 1990.
- 62) (—, —), **Kadda Kaddour, un enfant algérien témoin des débuts du XX° siècle**, SNED, Alger, 1982.
- 63) Kateb Yacine, **Nedjma**, Éditions du Seuil, Paris, 1956.
- 64) Louis Michel, **The Red Virgin Memoirs of Louise Michel**, Trns: Bullit Lozry and Ellington Gunter, the anarchist library, States of America, 1981.
- 65) Madame de Staël, **De la Littérature, considérée dans ses rapports avec les institutions sociales**, Classiques Garnier, Paris, 1800.
- 66) Malek Haddad, **Je t'offrirai une gazelle**, Julliard, 1959.
- 67) (—, —), **L'Élève et la leçon**, Julliard, 1960 .

- 68) (—,—), **La Dernière impression**, Éditions Julliard, 1958.
- 69) (—,—), **Le Quai aux Fleurs ne répond plus**, Julliard, 1961.
- 70) Mohamed Ould Cheikh, **La Souffrance**, Edition Palza, Oran Algérie, 1936.
- 71) (—,—), **La Vierge du Douar**, Edition Palza, Oran Algérie, 1936.
- 72) (—,—), **Myriem dans les palmes**, Edition Palza, Oran Algérie, 1936 .
- 73) Mohammed Dib, **Contre-jour, Ombre gardienne**, Paris, Gallimard, 1961,pp 38-39.
- 74) Mohammed Dib, **Contre-jour, Ombre gardienne**, Paris, Gallimard, 1961, pp 38-39.
- 75) (—,—), **La Grande Maison**, Le Seuil, Paris, 1952.
- 76) (—,—), **Le Métier à tisser**, Le Seuil, Paris, 1957.
- 77) (—,—), **L'incendie**, Éditions du Seuil, Paris, 1954.
- 78) (—,—), **L'Incendie**, Le Seuil, Paris, 1954.
- 79) (—,—), **Un été africain**, Le Seuil, Paris, 1959.
- 80) Moulod Feraoun,**Lettres à ses amis**, Éditions du Seuil, Paris, 1969.
- 81) (—,—), **Journal 1955-1962**, Éditions du Seuil, Paris, 1962.
- 82) (—,—), **La Terre et le Sang**, Paris, Éditions du Seuil, 1953.
- 83) (—,—), **Le Fils du pauvre**, Paris, Éditions du Seuil, 1950.
- 84) (—,—), **Les Chemins qui montent**, Éditions du Seuil, Paris, 1957.
- 85) Paolo Stokafitch, **Tchalèfes Algériennes : recueil de contes... en cinq secs !**, Parostanxa, Alger, 1926, 40 pages.
- 86) Simone de Beauvoir, **Les Mandarins**, Gallimard, Paris, 1954.
- 87) Sliman ben-Ibrahim et Étienne Dinet, **Khadra, danseuse Ouled-Naïl**, Piazza, Paris, 1910.
- 88) Taos Amrouche, **Jacinthe noir**, éditions Charlot, Alger ,1947.
- 89) Victor Hugo, **Pour les pauvres-Les Feuilles d'Automne**, Charles Gosselin, Paris-France, 1831.

90).

3. الصحف:

• باللغة العربية:

- 1) أ. ب. ق، "رواية حنبل"، جريدة البصائر، ع 140، الجزائر، 05 فيفري 1951.
- 2) إبراهيم أبو اليقظان، "اعتداء فطيع على الشيخ الزاهري"، النبراس، ع 03، 28 جويلية 1933.
- 3) أبو القاسم سعد الله، "إلى رابع بونار حول النهضة الأدبية في الجزائر"، البصائر، ع 275، 18 جوان 1954.
- 4) أبو يعلى الزواوي، "تسرع بعض مدعي الكتابة"، البصائر، ع 17، 01 ماي 1936.
- 5) (—، —)، "الانشغال بالشرق أنسانا أنفسنا"، الشهاب، ج 5، مج 11، 01 أوت 1934.
- 6) أحمد الهلاي، ماي 1953، "أتى رمضان"، مجلة هنا الجزائر، السنة الثانية، ع 13.
- 7) أحمد بن ذياب، "الأدب العربي الربيع في الشعر الجزائري المعاصر"، هنا الجزائر، السنة الخامسة، ع 46، ماي 1956.
- 8) أحمد توفيق المدني، "كلمة إلى كتاب الفرق"، الشهاب، قسنطينة، ع 97، 20 ماي 1927.
- 9) أحمد حسن الزيات، "تاريخ الأدب العربي"، الشهاب، ج 06، مج 14، أوت 1938.
- 10) أحمد رضا حوحو، "أدباء المظهر"، المنهل، السعودية، جويلية 1939.
- 11) (—، —)، "الشهيد العزيز يسكن بمقره الأخير"، الشعلة، قسنطينة — الجزائر، ع 04، 05 جانفي 1950.
- 12) (—، —)، "المسيو كيلسي وكفاحه"، البصائر، ع 30، 05 أفريل 1948.
- 13) (—، —)، "حاضر الثقافة والأدب في الجزائر"، البصائر، ع 352، 03 فيفري 1956.
- 14) (—، —)، "على خشبة المسرح"، الشعلة، ع 04، 05 جويلية 1950.
- 15) أحمد سحنون، "حرفة الأدب"، البصائر، ع 39، 16 أكتوبر 1936.
- 16) أحمد شقار الثعالبي، "مقتطفات من رواية الخداع والحب للشاعر لفريدريش شيلر"، هنا الجزائر، العام الثالثة، ع 52، جانفي 1957، ص 4-9.

- (17) اعلان، "كتاب تاريخ الجزائر لمبارك الميلي الجزء الأول"، الشهاب، مج 12، ج 2، ماي 1930.
- (18) اعلان، "إلى القراء"، الشهاب، ج 12، مج 13، فيفري 1938.
- (19) اعلان، "صفحة القراء"، الشهاب، ج 4، مج 15، ماي 1939.
- (20) اعلان، "عن كتاب الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير لمحمد السعيد الزاهري"، الشهاب، مج 11، ج 7، نوفمبر 1931.
- (21) اعلان، "عن كتاب الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير لمحمد السعيد الزاهري"، البصائر، مج 11، ج 7، نوفمبر 1931.
- (22) اعلان، "كتاب تاريخ الجزائر لمبارك الميلي الجزء الثاني"، الشهاب، مج 07، ج 11 نوفمبر 1931.
- (23) اعلان، "للتشطير"، الجحيم، ع 2، 05 أفريل 1933.
- (24) اعلان، "مجلة الأفكار"، البصائر، ع 45، 27 نوفمبر 1936.
- (25) اعلان، "مجلة الرابطة العربية"، البصائر، ع 31، 07 أوت 1936.
- (26) باية خليفة، "البدوية والحياة"، البصائر، ع 296، 10 ديسمبر 1954.
- (27) (—، —)، "قيمة المرأة في المجتمع"، البصائر، ع 298، 24 ديسمبر 1954.
- (28) جلول البدوي، أحمد سحنون، ومحمد العيد، "مساجلة أدبية"، الشهاب، ج 2، مج 14، ماي 1938.
- (29) (—، —)، "دمعة أسي"، هنا الجزائر، السنة الأولى، ع 18، ديسمبر 1953.
- (30) (—، —)، "شوقي في ذكراه العشرين أو حافظ شوقي"، هنا الجزائر، ع 9، جانفي 1953.
- (31) جوكلاري محمد الشريف، "للتشطير"، الجحيم، ع 2، 05 أفريل 1933.
- (32) الحبيب بناسي، "شهيد بلا قبر"، الجريدة التونسية، ع 41، 13 أفريل 1956.
- (33) الحسن بن عبد الرحمن، "كيف ينشأ الحب؟"، الشهاب، ج 4، مج 15، ماي 1939، ص 171-178.
- (34) حسني عبد الله، "كلمة نقدية في رواية حب النساء"، البصائر، ع 15، 17 أفريل 1936.

- (35) حمزة بوكوشة، "جمعية إخوان الأدب لماذا يلتزم تأسيسها؟"، البصائر، ع 12، 01 أفريل 1936.
- (36) (—، —)، "قيمة المرأة في المجتمع"، البصائر، ع 08، 21 فيفري 1936.
- (37) (—، —)، "هل في الجزائر شعراء"، البصائر، ع 85، 05 جويلية 1949.
- (38) (—، —)، محمد العيد آل خليفة، "لطيفة بين شاعرين"، البصائر، ع 2، 10 جانفي 1936.
- (39) حمود رمضان، "الحرية"، وادي ميزاب، ع 93، 27 جويلية 1928.
- (40) خديجة بوكثرة، "الوردة الذابلة"، البصائر، ع 307، 25 فيفري 1955.
- (41) الربيع بوشامة، "عبد القادر الحسيني"، البصائر، ع 35، 10 ماي 1948.
- (42) زليخة عثمان إبراهيم، "التعليم وحظ المرأة منه"، البصائر، ع 93، 17 أكتوبر 1949.
- (43) (—، —)، "حفلة مدرسة عائشة"، البصائر، ع 192، 02 جوان 1952.
- (44) زهور ونيسي، "إلى استهانت بعذاب الله"، البصائر، ع 288، 8 أكتوبر 1954.
- (45) (—، —)، "إلى الشاب"، البصائر، ع 297، 17 ديسمبر 1954.
- (46) (—، —)، "إلى الناقد"، البصائر، ع 304، 4 فيفري 1955.
- (47) (—، —)، "جلسة صديقات"، البصائر، ع 337، 11 مارس 1955.
- (48) (—، —)، "جناية أب"، البصائر، ع 345، 11 مارس 1955.
- (49) (—، —)، "سلام باي يحتفل بشهر الصيام"، البصائر، ع 276، 25 جوان 1954.
- (50) (—، —)، "فائدة العلم والعمل"، البصائر، ع 303، 28 جانفي 1955.
- (51) (—، —)، "لنترك الثثرة"، البصائر، ع 315، 22 أفريل 1955.
- (52) (—، —)، "من المعلوم"، البصائر، ع 317، 13 ماي 1955.
- (53) (—، —)، "من صميم الواقع الأمنية"، البصائر، ع 309، 11 مارس 1955.
- (54) (—، —)، "نتيجة مؤلة"، البصائر، ع 327، 15 جويلية 1955.
- (55) سعد الدين بن أبي شنب، "المسرح العربي الجزائري"، المجلة الإفريقية، ع 15794، 1935.

- (56) (—، —)، "أبو القاسم محمد بن هاني الشاعر الأندلسي أو أحكام الأدباء عليه"،
الشهاب، مج 09، ج 08، جويلية 1933.
- (57) (—، —)، "على هامش الكتب الحديثة"، الشهاب، ج 06، مج 14، أوت 1938.
- (58) سعيد حائف، "دموع الحب"، هنا الجزائر، ع 71، ديسمبر 1958.
- (59) طاهر بوشوشي، "إلى الزهرة الآسية"، هنا الجزائر، ع 50، نوفمبر 1956.
- (60) (—، —)، "بحيرة لامارتين في الأدب العربي"، هنا الجزائر، السنة الثالثة، ع 30،
ديسمبر 1954.
- (61) (—، —)، "على البحر"، هنا الجزائر، السنة الثانية، ع 15، جويلية 1953.
- (62) (—، —)، "في موكب العيد"، هنا الجزائر، السنة الأولى، ع 5، سبتمبر 1952.
- (63) الطاهر رحاب، "هاهو الربيع يا شمسًا، بشار"، هنا الجزائر، السنة الثالثة، ع 34، أبريل
1955.
- (64) الطاهر وطار، "فدائية"، جريدة الصباح، ع 45، 22 مارس 1958.
- (65) الطيب العقبي، "انفض لإصلاح البلاد"، الإصلاح، ع 3، 11 جويلية 1927.
- (66) عبد الحميد بن باديس، "الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير: بقلم شاعر الجزائر محمد السعيد
الزاهري"، الشهاب، مج 07، ج 12، 22 ديسمبر 1922.
- (67) (—، —)، "ديوان أبي اليقظان"، الشهاب، مج 10، ج 10، أكتوبر 1931.
- (68) (—، —)، "ذكرى الشاعرين حافظ وشوقي"، الشهاب، مج 10، ج 04، 19
مارس 1934.
- (69) (—، —)، "في بعض جهات الوطن"، الشهاب، مج 09، ج 11، نوفمبر 1931.
- (70) عبد الرحمن الجيلالي، "ترجمة العلامة الشيخ المكي بن عزوز"، الشهاب، مج 06، ج 12،
جانفي 1930.
- (71) (—، —)، "ترجمة العلامة الشيخ المكي بن عزوز"، الشهاب، مج 06، ديسمبر
1930.
- (72) عبد الكريم العقون، "تحية عبد الكريم الخطابي"، البصائر، ع 7، 19 سبتمبر 1947.
- (73) عمر بن قدور، "دمعة على الملة"، جريدة المشير، 01 جانفي 1911.

- (74) عمر راسم، "استعمار فلسطين"، *مرشد الأمة*، ع 8، 27 أوت 1909.
- (75) عناني سليمان، "دنيا"، *هنا الجزائر*، السنة الثالثة، ع 30، ديسمبر 1954.
- (76) فتيحة القرصو، "حول تأسيس مدرسة"، *البصائر*، ع 201، 15 سبتمبر 1952.
- (77) فرحات بن دراجي، "مع المتنبي لطفه حسين"، *الشهاب*، مج 13، ج 03، 02 ماي 1937.
- (78) فريق التحرير، بين كواليس الفنانين، *هنا الجزائر*، ع 63، مارس 1958.
- (79) فيكتور هوغو، "التجلي"، *تع: الطاهر بوشوشي*، *هنا الجزائر*، ع 89، جوان 1960.
- (80) لوييزة قلال، "حول المرأة الجزائرية"، *البصائر*، ع 345، 14 جانفي 1955.
- (81) ليلي بن الذياب، "تعليم المرأة"، *البصائر*، ع 93، 31 أكتوبر 1949.
- (82) (—، —)، "اخترت لكم"، *البصائر*، ع 158، 4 جوان 1951.
- (83) (—، —)، "اخترت لكم"، *البصائر*، ع 159، 11 جوان 1951.
- (84) (—، —)، "اخترت لكم"، *البصائر*، ع 162، 2 جويلية 1951.
- (85) (—، —)، "اخترت لكم"، *البصائر*، ع 163، 16 جويلية 1951.
- (86) (—، —)، "اخترت لكم"، *البصائر*، ع 164، 23 جويلية 1951.
- (87) (—، —)، "اخترت لكم"، *البصائر*، ع 177، 17 ديسمبر 1951.
- (88) م. ط، "رسالة من سجين جزائري"، *الآداب*، مج 06، بيروت، 06 أوت 1958.
- (89) مبارك جلواح، "عزّ الجزائر"، *البصائر*، ع 7، 21 فيفري 1936.
- (90) مجهول، "أسئلة حول مقال دسائس طه حسين على السيرة النبوية الشريفة"، *الشهاب*، مج 10، ج 05، أبريل 1934.
- (91) مجهول، "الربيع أقبل"، *مجلة هنا الجزائر*، ع 1، ماي 1952.
- (92) مجهول، "تأجيل الحفلة الكبرى"، *الشهاب*، ع 87، 10 مارس 1927.
- (93) مجهول، "تحفة فنية مغربية فريدة يهديها الأستاذ أحمد توفيق المدني إلى شباب المغرب العربي"، *منبر الشعب*، ع 08، 03 فيفري 1951.
- (94) مجهول، "تكريم شوقي"، *الشهاب*، ع 07، 23 ديسمبر 1926.

- (95) مجهول، "حنبل رواية تاريخية لأحمد توفيق المدني"، جريدة الزهد، ع 1142، 09 فيفري 1951.
- (96) مجهول، "حنبل لأحمد توفيق المدني"، جريدة الصباح، ع 08، 31 جانفي 1951.
- (97) مجهول، "حنبل"، جريدة الأسبوع، ع 342، تونس، 05 فيفري 1951.
- (98) مجهول، "حنبل"، جريدة البيان، ع 74، 28 جانفي 1951.
- (99) مجهول، "حنبل"، جريدة التقدم، ع 334، 31 جانفي 1951.
- (100) مجهول، "ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب"، الشهاب، مج 09، ج 13، ديسمبر 1933.
- (101) مجهول، "رسالة"، رسالة المغرب، ع 94، 22 جانفي 1951.
- (102) مجهول، "رواية تاريخية تمثيلية"، جريدة الوزير، ع 749، تونس، 08 فيفري 1951.
- (103) مجهول، "رواية حنبل"، النهضة، ع 150، تونس، 25 جانفي 1951.
- (104) مجهول، "ما تعانيه الصحافة من قرائها"، الشهاب، مج 06، ج 10، 1930.
- (105) مجهول، "مسرحية حنبل"، جريدة الصريح، ع 81، 31 جانفي 1951.
- (106) محمد الأخضر السائحي، "أحلام المصيف"، هنا الجزائر، السنة الثالثة، ع 29، نوفمبر 1954.
- (107) (—، —)، "الصحراء"، هنا الجزائر، ع 10، فيفري 1953.
- (108) (—، —)، "المؤدب الجزائري الحديث"، الشهاب، ج 03، مج 13، 02 ماي 1937، ص 148.
- (109) (—، —)، "على أشلاء الأصنام"، هنا الجزائر، السنة الثالثة، ع 28، أكتوبر 1954.
- (110) محمد البشير الإبراهيمي، "إلى الزاهري"، البصائر، ع 61، 27 ديسمبر 1948.
- (111) (—، —)، "هل لمن أوضاع فلسطين عيد؟"، مجلة الأخوة الإسلامية، ع 05، بغداد — العراق، 12 جوان 1953.
- (112) (—، —)، "فصل الدين عن الحكومة"، ج 1، البصائر، ع 75، 1949.
- (113) محمد الزاهي الملي، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 1"، البصائر، ع 124، 29 جويلية 1938.

- 114 () ()، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 2"، البصائر، ع 125،
19 أوت 1938.
- 115 () ()، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 3"، البصائر، ع 126،
12 أوت 1938.
- 116 () ()، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 4"، البصائر، ع 127،
19 أوت 1938.
- 117 () ()، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 5"، البصائر، ع 128،
26 أوت 1938.
- 118 () ()، "أربعون يوماً في الطريق من باريس إلى قسنطينة 6"، البصائر، ع 130،
12 سبتمبر 1938.
- 119 محمد السعيد الزاهري، "الإصلاح الإسلامي"، الوفاق، ع 22، 23 فيفري 1939.
- 120 () ()، "المساواة - فرونسوا والرشيدي"، جريدة الجزائر، ع 2، 10 أوت 1925.
- 121 () ()، "المطابع السارقة"، مجلة الرسالة، مصر، ع 250، 18 أبريل 1938.
- 122 () ()، "جمعية - إخوان الأدب أعمالها المرجوة"، البصائر، ع 11، الجزائر، 21
مارس 1936.
- 123 () ()، "جمعية - إخوان الأدب"، البصائر، ع 8، الجزائر، 21 جانفي 1936.
- 124 () ()، "جناية الآباء"، الشهاب، 09 ديسمبر 1926.
- 125 () ()، "حول مؤتمر أشياخ الطرق"، الوفاق، ع 9، 12 ماي 1938.
- 126 () ()، "داء دفين في جامع الزيتونة"، الشهاب، مج 9، ع 22، 22 ديسمبر
1922.
- 127 () ()، "في الموقف الحاضر"، الشهاب، مج 9، ج 9، 1933.
- 128 () ()، "في الموقف الحاضر"، الشهاب، مج 9، ج 9، 1933.
- 129 () ()، "في الموقف الحاضر"، الشهاب، مج 09، ج 09، 1933.
- 130 () ()، "قصيدة"، البرق، ع 18، 11 جويلية 1927.
- 131 محمد العيد آل خليفة، "السجن"، الشهاب، ج 7، مج 15، أوت 1939.

- (132) (—،—)، "الوداع الوداع"، البصائر، ع 5، 31 جانفي 1936.
- (133) (—،—)، "إلى روح شوقي"، الشهاب، مج 9، ج 1، جانفي 1933.
- (134) محمد الهادي السنوسي الزاهري، "تحية المولد النبوي الشريف"، هنا الجزائر، ع 8، ديسمبر 1952.
- (135) محمد بن العابد الجلالي، "السعادة البتراء"، الشهاب، ج 5، مج 11، ماي 1935.
- (136) محمد بولبينة، "مصائبك يا وادي الشلف"، هنا الجزائر، السنة الثالثة، ع 28، أكتوبر 1954.
- (137) محيي الدين ابن واضح، "أم الوحوش"، الصباح، ع 56، 30 أوت 1956.
- (138) مصطفى ابن يلس، "في بحيرة كامو"، هنا الجزائر، ع 69، أكتوبر 1958.
- (139) مليكة بن عامر، "رسالة إلى روح الفتاة"، البصائر، ع 276، 25 جوان 1954.
- باللغة الأجنبية:

- 1) Albert Camus, « Misère de la Kabylie », **Alger Républicain**, Alger, n° 242, 5 juin 1939.
- 2) (—،—)، « Misère de la Kabylie II – Dénuement », **Alger Républicain**, Alger, n° 243, 6 juin 1939.
- 3) (—،—)، « Misère de la Kabylie III. Le dénuement », **Alger Républicain**, Alger, n° 244, 7 juin 1939.
- 4) (—،—)، « Misère de la Kabylie IV. Les salaires insultants », **Alger Républicain**, Alger, n° 245, 8 juin 1939.
- 5) (—،—)، « Misère de la Kabylie IX. L'avenir politique ; les centres communaux », **Alger Républicain**, Alger, n° 250, 13 juin 1939.
- 6) (—،—)، « Misère de la Kabylie V. L'habitat », **Alger Républicain**, Alger, n° 246, 9 juin 1939.
- 7) (—،—)، « Misère de la Kabylie VI. L'assistance », **Alger Républicain**, Alger, n° 247, 10 juin 1939.
- 8) (—،—)، « Misère de la Kabylie VII. L'enseignement », **Alger Républicain**, Alger, n° 248, 11 juin 1939.

- 9) (—, —), « Misère de la Kabylie VIII. Deux aspects de la vie économique kabyle », **Alger Républicain**, Alger, n° 249, 12 juin 1939.
- 10) (—, —), « Misère de la Kabylie X », **Alger Républicain**, Alger, n° 251, 14 juin 1939.
- 11) (—, —), « Misère de la Kabylie. Conclusion », **Alger Républicain**, Alger, n° 252, 15 juin 1939.
- 12) Anna Greki, « Les Damnés de la terre », **Jeune Afrique**, 13–19 décembre 1961 (en regard : hommage d'Aimé Césaire).
- 13) (—, —), « Poèmes des prisons », **Les Temps modernes**, Paris, n° 169–170, avril–mai 1960.
- 14) Annonce, « Premier Concours Annuel de l'Évolution Algérienne », **L'Évolution algérienne et tunisienne**, Alger, n° 143, 8 août 1912.
- 15) Aua, « Éliisa Rhais : Le parfum, la femme et la prière », **Commedia**, Paris, n° 7401, 15 mai 1933.
- 16) Aua, « Les Associations islamiques du secteur oranais viennent de constituer un bloc », **Oran-Matin**, n° 3126, 30 octobre 1936.
- 17) Aua, « Mort du capitaine Ben Chérif », **L'Afrique du Nord Illustrée**, n° du 30 avril 1921.
- 18) Berthe Bénichou-Aboulker, « Verger d'été », **Les Annales africaines**, Alger, n° 19, 1er octobre 1935.
- 19) Gabriel Audisio, « Trois hommes et un minaret », **Alger-Étudiant**, n° 55, 23 janvier 1926.
- 20) Jean Amrouche, « L'Éternel Jugurtha », **L'Arche**, Paris, n° 13, 1946.
- 21) Jean Déjeux, « Le Grand Prix littéraire de l'Algérie (1921–1961) », **Revue d'Histoire littéraire de la France**, vol. 85, n° 1, 1985.
- 22) Jean Déjeux, « Romans sur les milieux féminins algériens », **Se Comprendre**, n° JAU/22, 15 mars 1961.
- 23) Djamila Débâche, « Revue sociale féminine littéraire artistique », **L'Action**, Alger, n° 7, 1er avril 1948.
- 24) Mohammed Dib, « Khaled », **Alger Républicain**, n° 20, 12 décembre 1951.
- 25) Victor Hugo, « Extase », **Ici l'Algérie**, n° 89, juin 1960.

4. المكالمات الهاتفية والمحادثات الإلكترونية:

1. مكالمة هاتفية مع: محمد لعرج بوطارن، 20 أبريل 2024، الساعة 19:30، حول حياة قادة بوطارن.

2. معراج أغا، محادثة مكتوبة عبر ماسنجر، 25 أكتوبر 2024، بخصوص محمد ولد الشيخ أغا.

ثانيا: المراجع:

1. الكتب:

• باللغة العربية:

1. ابتسام الوسلاقي، الهامشية في الأدب التونسي: تجربة جماعة تحت السور، دار الجنوب "دراسات"، تونس، 2019.
2. أبو القاسم سعد الله، خارج السرب مقالات وتأملات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
3. (—، —)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، دار البصائر، الجزائر، 2007.
4. (—، —)، ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977 م.
5. (—، —)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، ج6، ج7، ج8، ج9، دار البصائر، الجزائر، 2009.
6. (—، —)، تاريخ الحركة الوطنية، ج1*، ج2*، ج3، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
7. (—، —)، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
8. (—، —)، حاطب أوراق، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.
9. (—، —)، دراسات في الأدب الجزائري، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
10. (—، —)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1997.
11. (—، —)، محمد العيد آل خليفة، دار المعارف، مصر، 1960.
12. أبو القاسم محمد كرو، الطاهر حداد رائد الحرية ونصير المرأة، دن، تونس، 1957.
13. أبو المحاسن بهاء الدين بن شداد، سيرة صلاح الدين الأيوبي، مؤسسة هنداوي، مصر، 2012.
14. أبو حاققة أحمد، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، لبنان - بيروت، 1997.
15. أبو عمران الشيخ، قضايا في الثقافة والتاريخ، ط2، دار ثالة، الأبيار-الجزائر، 2006.
16. أبي القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيبير قونانة الشرقية، الجزائر، 1906 ص 72-73.

17. أحمد الأزرق، النهضة الثقافية الأصيلة في مدينة سيدي بلعباس (1931-1954)، دار الغرب للنشر والتوزيع، تونس، 2003.
18. أحمد أنور عمر، المكتبات العامة بين التخطيط والتنفيذ، القاهرة، دار النهضة العربية، 1978.
19. أحمد بيوض، المسرح الجزائري 1926-1989، منشورات التبيين: الجاحظية، الجزائر، 1998.
20. أحمد تليلاي، رشيد قسنطيني "رائد الكوميديا السوداء في المسرح الجزائري"، منشورات الوطن اليوم، الجزائر، 2019.
21. أحمد حمدي، أحاديث مع رواد وأحاديث عن رواد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2018.
22. أحمد دوغان، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
23. أحمد شوقي، الشوقيات احمد شوقي أمير الشعراء، ط1، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015.
24. أحمد طالب، الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة 1931-1976، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
25. أحمد علي سالم، الأمن الجماعي في جامعة الدول العربية بين النظريات الواقعية والبنائية، منشورات الحلبي الحقوقية، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، قطر، 2016.
26. أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي (نشأته وتطوره وقضاياه)، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
27. (—، —)، ملامح أدبية-دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل، الجزائر، 2008.
28. أحمد يوسف أحمد، فنان الشعب: محمود بيرم التونسي، ط:1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962.
29. إدريس عياش، المدرسة الصادقية: تاريخها وأثرها في الفكر التونسي، دار المعارف، تونس، 2005.
30. إدوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 1995.
31. (—، —)، الاستشراق، تاريخ الفكر الأوروبي في العالم العربي، دار الآداب، 1978.
32. أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار الساقي، بيروت، 2009.
33. أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1960.

34. أسعد السحمراني، الاستبداد والاحتلال وطرق مواجهتها عند الكواكبي والابراهيمى، دار النفائس، بيروت - لبنان، 1984.
35. أمين ساعاتي، تاريخ الصحافة السعودية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، السعودية، 1998.
36. أمينة بن جماعي، الشخصية المنفية في الرواية العربية الجزائرية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الرويبة-الجزائر، 2017.
37. أندريه مورا، فن التراجم والسير الذاتية، تر: تق: أحمد درويش، المجلس الاعلى للثقافة . المشروع القومي للترجمة، مصر، 1999.
38. أنور الجندي، تاريخ الصحافة الإس لامية، القاهرة، دار الأنصار، 1986.
39. (—، —)، كامل كيلاني في مرآة التاريخ، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة - مصر، 1962.
40. بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النفائس السلسلة: جهاد شعب الجزائر، الجزائر، 1996.
41. بشير سعدوني، الشيخ العربي التبسي العالم المصلح المجاهد، مركز سلف للبحوث والدراسات 2018.
42. بشير متيعة، الطيب ولد العروسي، الأعمال الكاملة لأحمد رضا حوحو، ج1، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2015.
43. بوعلي كحال، أحمد شوقي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، تيزي وزو ، الجزائر، 2002.
44. (—، —)، أحمد شوقي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر ، 2002.
45. تومي عياد، الشيخ محمد الشبوكي شاعر الثورة الزاهد، منشورات الجاحظية، الجزائر، 2007.
46. الجلاي ضيف، بناء المجد محمد السعيد الزاهري، دار الخليل العلمية، الجلفة، 2013.
47. جورج عزيز، جواهر لال نهرو، دار الهلال، القاهرة- مصر، د ت.
48. جيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية 1850-1950، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الرويبة- الجزائر، 2007.
49. الجيلاني شرادة، قراءة في القصة الجزائرية، ط1، دار الثقافة محمد الأمين العمودي، الوادي-الجزائر، 2015.

50. حسين عبد الخالق حسونة، اتفاقات وخلافات العرب كما عايشها عبد الخالق حسونة، دار الشروق، القاهرة . بيروت، 2024.
51. حفناوي بعلي، التواصل الثقافي والمغاربي في الإصلاح والكفاح والوحدة والتحرير والتنوير، ط1، دار الأيام، عمان-الأردن، 2020.
52. (—،—)، الثورة الجزائرية الكبرى في مرآة المثقفين والمؤرخين الغربيين، ط1، دار الأيام، عمان-الأردن، 2020.
53. (—،—)، الخطاب الثقافي في الجزائر - علامات في الثقافة والنقد المعاصر، ط1، دار الأيام، عمان-الأردن، 2018.
54. (—،—)، النهضة الفكرية في الجزائر-خطاب الثقافة، التنوير، التحرير، ط1، دار الأيام، عمان-الأردن، 2018.
55. (—،—)، مدارس التعليم الكبرى والنخبة الوطنية الثقافية في الجزائر، ط1، دار الأيام، عمان-الأردن، 2018.
56. خالد بوهند، النخب الجزائرية: دراسة تاريخية واجتماعية (1892-1942)، دار القدس العربي، الجزائر، 2016.
57. خالد محمد غازي، مي زيادة، سيرة حياتها وأدبها وأوراق لم تنشر وكالة الصحافة العربية(ناشرون)، مصر، 2010.
58. خالد مرزوق، مختار بن عمار: مسيرة الحركة الإصلاحية بتلمسان آثار ومواقف 1907-1931-1956، دار زمורה، الجزائر، 2013.
59. خليل البيطار خليل، ياسمينه النهضة والحريه، الهيئة العامة السورية للكتاب، منشورات الطفل، دمشق، 2012.
60. خير الدين شترة، اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة. الجزائر، 2013.
61. دويب محمد، الأعمال الكاملة لمحمد بن مصطفى بن الخوجة، وزارة الثقافة، الجزائر، 2012.
62. رشاد الإمام، التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور قانون عهد الأمان، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2010.
63. رشاد رشدي، فن كتابة المسرحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.

64. رضوى عاشور، لكل المقهورين أجنحة: الأستاذة تنكلم، دار الشروق، القاهرة، 2019.
65. ريتا عوض، أبو القاسم الشابي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1987.
66. زهرة ديك، من روائع الأدب الجزائري (كاتب ياسين، الطاهر وطار، رشيد ميمون)، دار الهدى، الجزائر، 2014.
67. (—، —)، من روائع الأدب الجزائري (محمد ديب، مولود فرعون، أحلام مستغانمي)، دار الهدى، الجزائر، 2014.
68. زهير إحدادن، أعلام الصحافة الجزائرية: الأمير خالد، الزاهري، أبو اليقظان، ج4، دار إحدادن للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
69. (—، —)، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات، الجزائر، 2007.
70. ساحل عبد الحميد، عمر بن قدور الجزائري. رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر-، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الرويبة- الجزائر، 2014.
71. سراج الدين محمد، المديح في الشعر العربي، دار الراتب الجامعي، بيروت. لبنان، 2000.
72. سعدي بزيان، جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2005.
73. سعدي بن الحاج عثمان، مذكرات الرائد عثمان سعدي، دار الأمة للطباعة، الجزائر، 2006.
74. سعيد بورنان، الشيخ الفضيل الورتلاني الثائر، دار هومة، الجزائر، 2014.
75. سليم مزهود، الخطاب الإصلاحي عند مبارك الملي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2012.
76. سليمان الصيد، تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومة، الجزائر، د ت.
77. سليمان قوراري، أضواء على القدس الشريف في أدب وفكر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الكتاب العربي، خرايسية-الجزائر، 2017.
78. سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، الجزائر، 2021.
79. سناء إلهي بن الحاج سالم، رائدات تحرير المرأة العربية في العصر -دراسة نماذج، تق: فتحي القاسمي، المؤسسة المغاربية للطباعة والثقافة والتوثيق، 2023.
80. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، د ت.
81. شريط أحمد شريط، الآثار الأدبية الكاملة للأدبية الجزائرية: زليخا السعودي (1943-1972)، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 2001.

82. الصادق الزملي، أعلام تونسيون، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
83. صالح بوشامة، الربيع بوشامة حياته وشعره، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2013.
84. صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثورية: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.
85. (—، —)، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
86. (—، —)، حمود رمضان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
87. (—، —)، شعراء من الجزائر، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1969م.
88. (—، —)، محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
89. صبري أبو الجحد، محمد فريد مذكرات وذكريات، كتاب الهلال، مصر، 1969.
90. صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد، دار القلم، دمشق - سوريا، 2000.
91. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.
92. طه حسين، فصول في الأدب والنقد، مؤسسة هنداوي، مصر، 2017.
93. (—، —)، مع المتنبي، دار المعارف، مصر، 1937.
94. الطيب برغوث، أسرار القوة والقدوة في المسيرة الرسالية للشيخ أحمد سحنون، دار النعمان للطباعة والاشهار، الجزائر، ط1، 2011.
95. الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة، الجزائر، 2009.
96. عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
97. عبد الحق منصور بوناب، الواقعية في نثر محمد الأخضر عبد القادر السائحي، الوطن اليوم، 2016.
98. عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة. الجزائر، 1982.
99. عبد السلام محمد الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة 1882-1952، دار الحداثة، بيروت - لبنان، 1985.
100. عبد العالي رزقي، نماذج الشعر الجزائري المعاصر، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر، 1982م.
101. عبد العزيز الثعالبي، المدرسة الخلدونية: نشأتها وتأثيرها، دار المعارف، تونس، 2003.

102. (—، —)، المدرسة الخلدونية: نشأتها وتأثيرها، دار المعارف، تونس، 2003.
103. عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت . لبنان، 1999.
104. عبد القادر جلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1830-1871، مج 1 دار الأمة، الجزائر، 1999.
105. عبد الله ماضي، مناهج النقد الأدبي، دار الشروق، مصر، 2000.
106. عبد الله الركيبي، جلواح: من التمرد إلى الانتحار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
107. (—، —)، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
108. عبد الله حمادي، رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى...قسنطينة 1938م، مطبعة البعث، قسنطينة- الجزائر، 2004.
109. عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1922-1952: رصد لصورة المقاومة في الشعر الجزائري، ج2، سلسلة منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، د.س.
110. (—، —)، فنون النشر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
111. (—، —)، محمد البشير الابراهيمي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.
112. (—، —)، الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، 1982.
113. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، ج6، دار الشروق، بيروت، 1999.
114. عدنان بوزان، "الثورة البلشفية: دراسة شاملة وتحولات عالمية"، دراسات، دم، 2024.
115. العربي الزيري، المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الرويبة، 1995.
116. العربي دحو، قراءات في ديوان العرب الجزائري، دار الهدى، الجزائر،
117. العربي علي، علي بوشوشة، المركز الوطني للإتصال الثقافي، تونس، 2000.
118. علاوة كوسة، محاضرات في الأدب الجزائري الحديث والمعاصر، فكرة كوم، ورقلة- الجزائر، ط1، 2024.

119. علي البوجديدي، السّخرية في أدب علي الدّوعاجي، الأطلسيّة للنّشر، تونس، 2010.
120. علي شلش، أحمد ضيف، سلسلة نقاد الأدب العربي رقم 6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.
121. علي غنابزي، دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر، ج2، المركز الجامعي، الوادي-الجزائر، 2012.
122. علي محمد الصّلابي، نور الدين الزنكي شخصيته وعصره، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، 2007.
123. عمر ابن القفصية، أضواء على تاريخ الصحافة التونسية (1860-1970)، تونس، دار بوسالمة للطباعة والنشر، 1972.
124. عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
125. (—، —)، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.س.
126. عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث -مكونات السرد، دار هومة، الجزائر، 2014.
127. فارس كعوان، مؤرخ قسنطينة محمد الصالح العنتري -حياته وتراثه وموقفه من قضايا عصره 1820-1903، ألفا للوثائق والنشر والتوزيع، الجزائر، 2025.
128. فضيل دليو، نحة بوتلجة، الإذاعة الجزائرية قبل الإستقلال: من الريف المغربي إلى العاصمة، الجزائر، 2018.
129. فهد خليل زايد، الحروب والتسويات بين الماضي والحاضر، ط1، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2011 م.
130. فوزي مصمودي، تاريخ الصحافة والصحفيين في بسكرة وإقليمها من 1900 إلى 1956، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، 2011.
131. كمال ديب، بيروت والحدثة الثقافية والهوية من جبران إلى فيروز، دار النهار، بيروت-لبنان، 2010.
132. اللّحاج محمد حشلاف، عبد لرحمن الجيلالي. بطاقة التعريف، مطبعة هومة، الجزائر، جويلية 1999.
133. مارون عبود، صقر لبنان: أحمد فارس الشدياق، بيروت. لبنان، منشورات دار المكشوف، 1950.
134. مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، مكتبة عمار، القاهرة، 1970.
135. (—، —)، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، مكتبة عمار، القاهرة، 1970.

136. مجموعة شعراء، ديوان هنا الجزائر 1952-1960، تح: عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020.
137. مجهول، ترجمة الشيخ فرحات بن الدراجي، مركز سلف للبحوث والدراسات، الجزائر، د.ت.
138. محمد الأخضر عبد القادر السائحي، الشاعر الأديب جلول البدوي، ط1، منشورات السائحي، الجزائر، 2015.
139. (—، —)، محمد الأمين العمودي-الشخصية المتعددة الجوانب، ط3، دار الهدى للطباعة والتوزيع، عين مليلة-الجزائر، 2001.
140. (—، —)، الدكتور الجنيد خليفة، منشورات السائحي، الجزائر، 2014.
141. محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، تح: أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997م.
142. محمد الصالح الجابري، ديوان النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983.
143. محمد الصغير غانم، المقاومة والتاريخ العسكري المغاربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007.
144. محمد الطاهر فضلاء، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-الجزائر، 1981.
145. (—، —)، المسرح تاريخاً ونضالاً، ج2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.
146. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
147. (—، —)، تاريخ الأدب الجزائري، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
148. محمد العربي الزبيري، "تاريخ الجزائر الحديث"، دار هومة، الجزائر، 2000.
149. محمد العيد تاورته، أنواع نثرية وظواهر أسلوبية في الكتابات الأولى للإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي-دراسة تطبيقية، دار الإحسان للنشر والتوزيع، 2023.
150. محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.
151. محمد الميللي، فرانز فانون والثورة الجزائرية، دار الكتاب العربي، خرايسية-الجزائر، 2011.

152. (—، —)، مبارك الملي. حياته العلمية ونضاله الوطني، دار الغرب الإسلامي، بيروت . لبنان، 2001.
153. محمد الهادي الطرابلسي، جامع الزيتونة: التاريخ والتأثير، دار المعارف، تونس، 2005.
154. محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود-شاعر التقليد والتجديد-، ط1، الملكية للطباعة والنشر والتوزيع، الحراش-الجزائر، 2007.
155. محمد بوذينة، مشاهير التونسيين، دار سيراس، تونس، 2001.
156. محمد حمدان، دليل الدوريات الصادرة بالبلاد التونسية من سنة 1838 إلى 20 مارس 1956، بيت الحكمة، تونس، 1991.
157. محمد زياد بن عمر التكلة، تحقيق مجموع فيه إجازات من علامة الجزائر ابن العنابي الأثري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2008م.
158. محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري في تونس، ج1، ج2، بيت الحكمة-قرطاج، تونس، 1991.
159. (—، —)، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، مطبعة القلم، تونس، 1983.
160. محمد ضيف الله، الطلبة التونسيون ومخاضات الوطن في منتصف القرن العشرين، مكتبة تونس، تونس، 2016.
161. محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988.
162. محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر 1921.1975، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1978.
163. محمد عيلان، محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، دار العلوم للنشر والتوزيع، ج1، عناية . الجزائر، 2013.
164. محمد كامل ليلة، العريضة في القانون الدستوري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1970.
165. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج1، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983.
166. محمد مصايف، فصول في النقد الأدبي الجزائري، دراسات ووثائق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

167. محمد مهداوي، هموم الكتابة في الأدب العربي الحديث في الجزائر على أيام الاحتلال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2017.
168. محمد ناصر بوحجام، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث، ج1، ط1، المطبعة العربية، غرداية - الجزائر، سنة 1992.
169. (—، —)، الشيخ بيوض والعمل السياسي، المطبعة العربية، غرداية، 1991.
170. محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ج1، ج2، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2018.
171. (—، —)، الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975)، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1985.
172. (—، —)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.
173. (—، —)، المقالة الصحفية الجزائرية، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
174. (—، —)، المقالة الصحفية الجزائرية، ج2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
175. (—، —)، رائد الدعوة إلى التضامن الاسلامي عمر بن قذور الجزائري، الأصالة، الجزائر، جوان . جويلية 1970.
176. (—، —)، رمضان حمود حياته وآثاره، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008م.
177. (—، —)، عمر راسم، المصلح الثائر، مطبعة لافورميك، الجزائر، 1984.
178. (—، —)، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 1984
179. محيي الدين خريف، صور وذكريات مع مصطفى خريف، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1977.
180. مخلوف بوكروح، ملامح عن المسرح الجزائري، مجلة أدبية ثقافية تصدرها وزارة الثقافة، الجزائر، 1982.
181. مخلوف عامر، مراجعات في الأدب الجزائري، دار التنوير، الجزائر، 2012.
182. مصطفى أحمد الزرقا، أحكام الأوقاف، دار عمار، د.م، 1997م.
183. مصطفى ولد يوسف، من أعلام الرواية الجزائرية -مولود فرعون ومولود معمري، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو-الجزائر، 2012.
184. نادية داودي، اتجاهات النشر الجزائري 1830-1850، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، دس.

185. ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2011.
186. نبيل خالد الأغا، قضية فلسطين في سيرة بطل: الشهيد الحي عبد القادر الحسيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.
187. نجاة تيرس، النقد النسوي الجزائري المعاصر المكتوب باللغة الفرنسية، دار أدليس، باتنة- الجزائر، 2024.
188. واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية - دراسة-، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1985.
189. الوناس الحواس، نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية 1925-1954، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2012.
190. ياسر بكر، المذكرات والقتل النظيف، أخبار اليوم، الإسكندرية . مصر 2017.
191. ياسر جاسم قاسم، عز الدين جلد الكتابة والتجربة، دار الهادي، بيروت لبنان، 2013.
192. يحيى جلال، الثورة العربية، دار المعرفة، بيروت، 1959.
193. يحيى بوعزيز، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر، 2000.
194. يحيى حقي، فجر القصة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1987.
195. يمنى العيد، الكتابة... تحوّل في التحوّل: مقارنة للكتابة الأدبية في زمن الحر، دار الآداب، بيروت . لبنان، 1993.
196. يمنى العيد، مشكلة العلوم الإنسانية: تقنيها وإمكانية حلها، مؤسسة الهداوي، القاهرة . مصر، 2010.
197. يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من الأنسوية إلى الألسنية، إصدارات رابطة الابداع الثقافي، قسنطينة، د.ت.
198. (—،—)، في ظلال النصوص - تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

• المُمعربة:

1. إدوارد سعيد، خارج المكان، تر: فواز طرابلسي، دار الاداب، بيروت، 1999.
2. إلهام المرزوقي، الحركة النسائية في تونس في القرن العشرين، تر: آمال قرامي، أنوار قرطاج (المركز الوطني للترجمة) دار سيناترا، تونس، 2010.
3. أولفييه لوكور غرانمزيون، في نظام الأهالي، تر: العربي بوينون، منشورات السائحي، الجزائر، ط1، 2011.
4. إيمري نف، المؤرخون وروح الشعر، تر: توفيق إسكندر، دار الحداثة، د م، ط2، 1984.
5. بيبر هنري سيمون، ضد التعذيب في الجزائر، تر: بهيج شعبان، دار الملايين، بيروت. لبنان، د ت.
6. تيري إيغلتن، كيف نقرأ الأدب، تر: محمد درويش، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013.
7. جوان غليسي، الجزائر الثائرة، تر: خيري حماد، دار الطليعة، بيروت، 1961.
8. جورج عطية، الكتاب في العالم الإسلامي، تر: عبد الستار الحلوجي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2003.
9. جولييان بندا، خيانة المثقفين، تر: محمد صابر، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020.
10. جولييان شارل أندري، تاريخ افريقيا الشمالية (تونس - الجزائر - المغرب الأقصى)، من البدء الى الفتح الإسلامي (647م)، تع: البشير بن سلامة وآخرون، الدار التونسية للنشر، 1983.
11. دايفيد كوت، فرانز فانون: سيرة فكرية، تر: عدنان كيالي، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، 2017.
12. عبد الفتاح كيليطو، المقامات. السرد والأنساق الثقافية، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال، 1993.
13. عبد القادر جغلل، الاحتلال والصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، دار الحداثة، بيروت، 1984.
14. فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي2المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994.
15. قادة بورطارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، تر: عبد الرحمان حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.
16. لايوس اجري، فن كتابة المسرحية، تر: دريني خشبة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2012.
17. ماريو بارغاس يوسا، رسائل إلى روائي شاب، تر: صالح علماني، دار المدى، 2013.
18. مجموعة مؤلفين، دوستوفسكي (دراسات في أدبه وفكره)، تر: نزار عيون السود، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق. سوريا، 2012.

19. نانسي كريس، **تقنيات كتابة الرواية**، تر: زينة جابر إدريس، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2009.
20. نسيب يوسف، **مولود فرعون**، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.

• باللغة الأجنبية:

1. Abdelkébir Khatibi, **Le roman maghrébin**, Éditions Maspero, Paris, 1968.
2. Abderrahmane Djelfaoui, **Anna Gréki Les mots d'amour**, les mots de guerre, casbah éditions, Algérie, 2021.
3. Achour Cheurfi, **Bensmaïa Abdelhalim (1866-1933)**, Casbah, Alger, 2001,
4. (—, —), **Écrivains algériens**, Éditions Casbah, Alger, 2003.
5. (—, —), **La classe politique algérienne de 1900 à nos jours**, Éditions casbah, Alger, 2001.
6. Agéron, Charles Robert, **l'Algérie Algérienne de Napoléon III à De Gaulle**, la Bibliothèque Arabe, Paris, 1980.
7. Alain Messaoudi, **Les arabisants et la France coloniale**, ENS Éditions, Lyon, 2015.
8. Amar Belkhodja, **Ali El-Hammami 1902-1949**, Editions ANEP, Rouiba-Alger, 2007.
9. André Abbou, **Albert Camus, entre les lignes : 1955-1959 : adieu à la littérature ou fausse sortie**, Séguier Atlantica, Paris Biarritz, 2009.
10. Anna Rocca, **Assia Djebar : le corps invisible**, voir sans être vue, L'Harmattan, S.l, 2005.
11. Arthur Chuquet, **La jeunesse de Napoléon : Brienne**, Armand Colin, paris, 1897, p471.
12. Ayn Rand, **The Romantic Manifesto: A Philosophy of Literature**, New American Library, New York, 1969.
13. Benjamin Stora, **Les trois exils**, Juifs d'Algérie, Stock, Paris, 2006.
14. (—, —), **Messali Hadj (1898-1974)**, Éditions L'Harmattan, paris, 1984.
15. Bertrand Joly, **Dictionnaire biographique et géographique du nationalisme français (1880-1900)**, Honoré Champion, Paris, 2005.
16. Blaise Cendrars, **Jéroboam et La Sirène**, Canevas Éditeur, s.l, 1992.
17. Cazenave, M, **Encyclopédie des symboles**, Librairie générale française pour la traduction française, Paris, 1996 .
18. Cixous Kelly Ives, **Irigaray Kristeva, The Jouissance of French Feminism**, Crescent Moon Publishing, United Kingdom, 2016.

19. Claude Francis & Fernande Gontier, **Simone de Beauvoir: A Biography**, Crown Publishing, New York, USA, 1987.
20. Claude Mouchard et Jacques Neefs, **Flaubert**, Balland, Paris, 1986, p24.
21. Dena Goodman, **The Republic of Letters: A Cultural History of the French Enlightenment**, Cornell University Press, New York, 1994.
22. Denise Bourdet, **Emmanuel Roblès, dans: Visages d'aujourd'hui**, Plon, Paris, 1960.
23. Durant, Will, **The Story of Civilization: Rousseau and Revolution**, Simon & Schuster, New York, 1967.
24. Ferial Jabouri Ghazoul, Hasna Reda-Mekdashy, **Arab Women Writers : A Critical Reference Guide, 1873-1999**, American Univ in Cairo Press, Le Caire, 2008.
25. Françoise d'Eaubonne, **Une femme témoin de son siècle, Germaine de Staël**, Flammarion, Paris, 1966.
26. Françoise Simonet-Tenant, **Le Journal intime, genre littéraire et écriture ordinaire**, Téraèdre, Paris, 2004.
27. Frank Chipasula, Stella Chipasula, **The Heinemann Book of African Women's Poetry**, Heinemann, 1995.
28. Friedrich Wolfzettel, **Le discours du voyageur: Pour une histoire littéraire du récit de voyage en France Perspectives littéraires**, PUF, Paris, 1996.
29. Gabriel Audisio, **Les écrivains algériens in Visages de l'Algérie**, Horizons de France, Paris, 1953.
30. Galina Djougachvili, **Critique soviétique sur les littératures francophones du Maghreb**, Œuvres et critique, édition Jean Michel, Paris, 1979.
31. Gérald Schurr et Pierre Cabanne, **Les Petits Maîtres de la peinture, 1820-1950, Les éditions de l'Amateur**, Paris, 2014.
32. Hagel Charles , **le péril juif**, Éd nouvelles Africaines- Alger 1934.
33. Henry Collot, **Le Mouvement Nationl Algérie (Taxte) 1912-1954**, O.P.U, Paris, 1978.
34. Irina Nikiforova, **Les recherches sur les littératures maghrébines d'expression française en URSS: conception, résultats, perspectives**, Œuvres et critique, édition Jean Michel, Paris, 1979.
35. Isabelle Cousteil, Agnès Akérib, **Gautier/Dumas, Fracasse et d'Artagnan chez les Tzars**, Triartis Éditions, Paris, 2011.
36. Jacques Cantier, **L'Algérie sous le régime de Vichy**, Éditions Odile Jacob, 2002.

37. Jacques Seebacher, **Victor Hugo ou le calcul des profondeurs**, PUF, Paris, 1993.
38. Jan Bialostocki, **Eugène Fromentin, critique de l'art d'autrefois**, Presses Universitaires de France, Paris, 1975.
39. Jean Bouvier, **Rothschild: histoire d'un capitalisme familial**, Bruxelles, Éditions Complexe, Paris, 1992.
40. Jean Déjeux, **Bibliographie de la littérature algérienne des Français: bibliographie des romans**, Edition du Cnrs, paris, 1978.
41. (—, —), **La littérature féminine de langue française au Maghreb**, Éditions Karthala, Paris, 1994.
42. Jean Lacouture, **François Mitterrand**, Éditions du Seuil, Paris, 1998.
43. Jean-Louis Triaud, **La légende noire de la Sanûsiyya**, Maison des sciences de l'Homme, Paris, 1995.
44. Jean-Marie Domenach, **Emmanuel Mounier**, Éditions du Seuil, Paris, 1972.
45. Joseph François Aumerat, **Souvenirs algériens**, Imprimerie Mauguin, Blida, 1898.
46. Kadda Bouterne, **Proverbes et dictons populaires algériens, office des publications universitaires**, réimpression, Alger, 1991.
47. Libby Margaret Sherwood, **The Attitude of Voltaire to Magic and the Sciences**, Columbia University Press, New York, 1935.
48. Louise Both-Hendriksen, **La triade française : Alfred de Musset, Lamartine, et Victor Hugo**, C. Schoenhof, Paris, 1886.
49. Malika Rahal, **L'UDMA et les udmistes**, Barzakh, Alger, 2017.
50. Marie Claire Germanaud, **Les bibliothèques publiques en milieu rural et dans les petites agglomérations conseils pratiques**, Cercle de la Librairie, Paris, 1982.
51. Martin Clark, **Antonio Gramsci and the Revolution That Failed**, New Haven, Yale University Press, 1977.
52. Michel Braud, **La Forme des jours : pour une poétique du journal personnel**, Seuil, Paris, 2006.
53. Mohamed Abdeljaoud, **Les Bibliothèques en Tunisie: Introduction à la mise en place d'un réseau national de bibliothèques**, IMP Tiag, Tunis, 1988.
54. Patricia Sorel, **Plon : le sens de l'histoire (1833-1962)**, Rennes, PU Rennes, coll- Histoire, s.l, 2016.
55. Paul Tabet, **Elissa Rhaïs**, Grasset, Paris, 1982.

56. Peter Brand, Lino Pertile, **Cambridge History of Italian Literature**, Cambridge University Press, Cambridge, 1996.
57. Pierre Démaret et Christian Plume, **Objectif De Gaulle**, Éditions Robert Laffont, Paris, 1973.
58. Pierre Jouanne, **Les variantes des Harmonies de Lamartine**, Jouve, Paris, 1926.
59. Pierre-Yves Beaurepaire, **Sortir de l'impasse, monologique : les sources d'une histoire interculturelle de la franc-maçonnerie européenne**, Presses universitaires François-Rabelais, France, 2004.
60. Roger Benjamin, **Orientalism, modernism and indigenous identity : Art of the Avant-Gardes**, Yale University Press, États-Unis, 2004.
61. Roland Lebel, **Histoire de la littérature coloniale en France**, Larose, Paris, 1931.
62. Wanda Bannour, **Alphonse Daudet, bohème et bourgeois**, Perrin, Paris, 1990.
63. Yvonne Turin, **Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale: écoles, médecines, religion, 1830-1880**, François Maspero imprimerie, Paris, 1971.
64. Zahir Ihaddaden, **Politique et religion dans la presse algérienne avant 1940**, CRASC, Oran, 2015.
65. (—, —), **Histoire de la presse indigène, des origines jusqu'en 1930**, ENAL, Alger, 1983.

2. الرسائل الجامعية:

• الدكتوراه:

1. أحمد بن داود، دور المسرح الجزائري في مقاومة الاحتلال الفرنسي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2008-2009.
2. بوبكر صديقي، الشيخ أبو يعلى الزواوي وجهوده في الفقه والأصول، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، كلية العلوم الإسلامية، باتنة - الجزائر، 2017.
3. رشيد زوزو، الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة في علم اجتماع التنمية، جامعة منتوري، قسنطينة - الجزائر، 2008.

• الماجستير:

1. أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحى عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة - الجزائر، 2005-2006.
2. أسامة حوحو، الأستاذ أحمد رضا حوحو: حياته وآثاره (1900-1956)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005-2006.
3. الشريف مريعي، عبد الكريم العقون شاعراً، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، الجزائر، 1986-1987.
4. قموح ناجية، الإطار القانوني والتنظيمي للمكتبات العامة بالجزائر، رسالة ماجستير في علم المكتبات، جامعة منتوري، قسنطينة - الجزائر، 1997.

3. دوريات:

• باللغة العربية:

1. أبو القاسم سعد الله، "البشير الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية 1933-1940"، مجلة الثقافة، ع 101، الجزائر، 1988.
2. (—، —)، "الشاعر المفتي محمد بن الشاهد واحتلال الجزائر"، مجلة الثقافة، ع 61، الجزائر، 1981.
3. (—، —)، "رثاء المفتي الكبابي"، مجلة الثقافة، الجزائر، أبريل - ماي 1978.
4. (—، —)، "قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا سنة 1843: موقف المفتي الكبابي من الأوقاف واللغة"، مجلة عالم الفكر، مج. 16، ع 1، وزارة الإعلام، الكويت، جوان 1985.
5. أبو جرة سلطاني، "صاحب جزائري يتحدث للإرشاد"، مجلة الإرشاد، ع 17، الجزائر، 1995.
6. أحمد بلعجال، "المنهج الإصلاحى عن الشيخ محمد السعيد الزاهري 1900-1956"، مجلة البحوث والدراسات، ع 20، جوان 2015.
7. أحمد دوغان، "وقفة مع الشاعر محمد الشبوكي"، جريدة الشعب، الجزائر، 26 أبريل 1983.
8. أحمد دراوي، "أضواء على حياة ومواقف الشيخ عبد الحليم بن سماية وجهوده الإصلاحية (1866-1933م)"، مجلة عصور، مج 16، ع 2، جامعة وهران 1 - مخبر البحث التاريخي: مصادر وتراجم، ديسمبر 2017.

9. إيليا أبو ماضي، "الطلاس"، مجلة هنا الجزائر، السنة الثانية، ع 21، ماي 1954.
10. بلقاسم ميسوم، "الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: فقيه المؤرخين الجزائريين عرض لحياته وتقديم لكتابه: تاريخ الجزائر العام"، مجلة عصور، ع 12-14 / 13-15، 2008-2009.
11. جاب الله أحمد، "الاغتراب في حياة وشعر مبارك جلواح"، مجلة المخبر "أبحاث في اللغة والأدب الجزائري"، مج 1، ع 1، 01 أوت 2004.
12. دويدة نفيسة، "شخصية العربي التبسي: قراءة في التنشئة والمسار (1891-1957م)"، قضايا تاريخية، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، ع 1، 2016.
13. رايح تركي، "وضعية تعليم الفتيات والنساء في الجزائر"، مجلة العلوم الاجتماعية، 1984.
14. رانية مخلوف، "محمد السعيد الزاهري: نضال قلم"، مجلة البحوث التاريخية، مج 7، ع 1، الجزائر، 04 جوان 2023.
15. رياض محمد، "البدايات الأولية للفن الروائي في العالم"، تهذيب الأفكار، مج 1، ع 1، جانفي / جوان 2014.
16. سعد طاعة، "أضواء على فكر أبي يعلى الزواوي من خلال مقالات جريدة البصائر 1936-1952"، مجلة عصور، مج 22، ع 03، ديسمبر 2023.
17. سعيد بورنان، "الشيخ العربي التبسي والثورة الجزائرية"، مجلة الإحياء، جامعة تيزي وزو، مج 20، نوفمبر 2020.
18. سلطانة عابد، "قراءة في خصائص تجار مدينة الجزائر سنة 1830 أنموذج: 'حمدان خوجة وأحمد بوضربة'"، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع 2، جوان 2012.
19. سميرة بن عشي، عيلان عمر، "كتابة السيرة الذاتية بين فيليب لوجون ورولان بارت"، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، مج 08، ع 03، 31 ديسمبر 2021.
20. شارة الخوري، "يا ورد"، مجلة هنا الجزائر، ع 22، مارس 1954.
21. صادق بن قادة، "الذاكرة المكتوبة والتاريخ: أضواء جديدة حول شخصية مسلم بن عبد القادر الوهراني أديب ومؤرخ بايات وهران (القرن 13هـ/19م)"، إنسانيات، مج 01، ع 03، 15 فيفري 1997.
22. عائدة حباطي، "إلى بن ذياب وإسهاماتها في الصحافة الإصلاحية"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 08، ع 03، 28 نوفمبر 2024.

23. عبد الحميد بعبطيش، "التكتيك العسكري القرطاجي والروماني في معركتي ترازمانيا و كاناي - دراسة من خلال روايتي بوليبيوس وتيتوس ليفيوس"، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، مج 06، 02 ديسمبر 2020.
24. عبد الرحمن الجليلي، "من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلي"، *مجلة الثقافة*، ع 80، (د.ت).
25. عبد الرحمن بغداد، "جهود المجلة الإفريقية التراث المغاربي - قراءة وصفية تحليلية"، *مجلة الطالب والتواصل*، مج 02، ع 09، 29 ديسمبر 2022.
26. عبد العزيز فيلاي، "السياسة والقضاء عند المكّي بن باديس وابنه حميدة"، *مجلة الثقافة الإسلامية*، مج 11، ع 1، 15 جانفي 2015.
27. عتيقة سماتي، "محمد العابد سماتي: حياته وآثاره"، *دار السبيل للنشر والتوزيع*، الجزائر، 2010.
28. عز الدين جلاوي، "العتبات والتحول في روايات الطاهر وطار"، *مجلة قراءات*، مخبر وحدة التكوين وبّحث في نظرية القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، ع 01، 02 ماي 2011.
29. عزيز لعكايشي، "قراءة نقدية في رحلة محمد الزاهي الميلي من باريس إلى قسنطينة 1938"، *مجلة الآداب والعلوم الإنسانية*، ع 5، 11 نوفمبر 2006.
30. غنية كبير، "النقد الأدبي العالمي للرواية الجزائرية بين موضوعية المنهج وسلطة الإيديولوجيا"، *مجلة الآداب واللغات*، قسنطينة - الجزائر، 02 ديسمبر 2015.
31. فاهم نعمة إدريس الياسري، "الاستشراق الفرنسي: دراسة في أصوله وتطوره واهتمامه وأهم دعائمه"، المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية، جامعة واسط، العراق، مارس 2013.
32. فريد خطاب، "أصداء وفاة أحمد شوقي في الصحافة الجزائرية 1927-1934"، *مجلة البحوث التاريخية*، الجزائر، مج 06، ع 02، ديسمبر 2022.
33. فهد الرويلي، "تعريب الشعر العربي: دراسة في الترجمة الثقافية"، *مجلة الدراسات اللغوية والأدبية*، مج 14، (ع1)، 2017.
34. فوزي مصمودي، "أعلام من بسكرة"، *مطبعة صقر*، الجزائر، 2001.
35. فيكتور هوغو، "أحسنوا للفقير"، *تع: جلّول البدوي، مجلة هنا الجزائر*، السنة الأولى، ع 3، جويلية 1952.

36. كلة نصيرة، "مدرسة دار الحديث بتلمسان ودورها في التربية والتعليم (1937-1956)"، مجلة مجتمع تربية عمل، مج 07، ع 02، 2022.
37. محمد الجلولاح، "تاريخ وتراث وشخصيات: جلواح الجزائر"، العربي، ع 583، جوان 2007.
38. محمد الصالح الجابري، المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية، مجلة الثقافة، ع 102، د.ت.
39. محمد بوفالقة، "جهود علماء الجزائر في دراسة الأدب الجزائري القديم — عبد المالك مرتاض أنموذجا"، مجلة الآداب واللغات، مج 24، ع 25، 28 ماي 2019.
40. مختار نويوات، "الدكتور أبو العيد دودو، لمحة وجيزة عن حياته وأعماله"، مجلة اللغة العربية، ع 66، 01 أكتوبر 2004.
41. مسعود كواتي، "دور محمد بوزيدي في الإعلام الثوري السلمي"، مجلة المصادر، مج 04، ع 02، 09 نوفمبر 2002.
42. معيوش إبراهيم، "صفحات منسية من معاناة المرأة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي — قراءة سوسيوثقافية"، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، 27 أكتوبر 2020.
43. مولود عويمر، "نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، مجلة البصائر، الجزائر، 01 مارس 2016.
44. مي زيادة، "رسالة الأديب"، الشهاب، ج 2، مج 14، 1938.
45. ناجية قموح، "التنظيم الإداري للمكتبات العامة في الجزائر"، مجلة المكتبات والمعلومات، مج 03، ع 01، الجزائر، نوفمبر 2006.
46. هاشي آمال، "أحداث زلزال منطقة الشلف 1954، دراسة من خلال الصحف الفرنسية"، المجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع 19، 19 جانفي 2019.
47. وردة عي، "صدى سقوط الخلافة العثمانية في الكتابات الجزائرية 1900-1973م"، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 15، ع 10، ماي 2023.
48. وزارة الثقافة، "نماذج من الشعر الجزائري المعاصر (شعر ما قبل الاستقلال)"، مجلة آمال، الجزائر، ع 03، (د.ت).

• باللغة الأجنبية:

1. Abdelkader Djeghloul, «Un romancier de l'identité perturbée et de l'assimilation impossible : Chukri Khodja », **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, n° 37, 1984.
2. André Spire, « Un conteur judéo-arabe d'Afrique du Nord, Éliassa Rhaïs», **Illustration juive**, n° 9, mars 1931.
3. Aou, « L'écrivain contemporain Elissa Rhaïs, sa vie et son œuvre littéraire », **Mahberet (Jérusalem)**, n° 97-100, décembre 1964.
4. Arnaud Jacqueline, « Sur Nedjma de Kateb Yacine », **Œuvres et critiques**, vol. IX, n° 2, 1984.
5. Charles Bonn, « Le roman maghrébin et le concept de différence », **Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire**, n° 6, 1986.
6. Déjeux Jean, « Éliassa Rhaïs, conteuse algérienne (1876-1940) », **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, n° 37, 1984.
7. Harzoune Mustapha, « Le café chantant Elissa Rhaïs», **Hommes et Migrations**, n° 1245, septembre-octobre 2003.
8. James W. Dewey, «The 1954 and 1980 Algerian Earthquakes: Implications for the Characteristic-Displacement Model of Fault Behavior», **Bulletin of the Seismological Society of America**, Vol. 81, n°2, 1991.
9. Lanson Gustave, «La méthode de l'histoire littéraire», **Études Françaises**, Société d'Édition "Les Belles Lettres", Paris, 1er janvier 1925.
10. Marc Gontard, « Dejeux (Jean) : Littérature maghrébine de langue française », **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, n° 22, 1976.
11. Mohamed Kerrou, « Jacques Berque et les villes de l'Islam », **OpenEdition Journals**, n° 107-110, 2005.
12. Peter Dunwoodie, « Louis Bertrand : autopsie d'une déroute », **Érudit**, vol. 57, n° 1, 2021.
13. Priya Narismulu, «For my Torturer: An African Woman's Transformative Art of Truth, Justice and Peace-Making during Colonialism», **Journal of International Women's Studies**, vol13, n° 4, September 2012
14. Régis Blachère, « Évariste Lévi-Provençal (1894-1956) », **Arabica**, n° 2, mai 1956.
15. Robert Oberdorff, «La Bibliothèque Municipale : Un Centenaire à l'Étroit», **La Dépêche de Constantine**, Constantine, Avril 1961.

4. الملتقيات المنشورة:

1. أحمد بناسي، الحبيب بناسي من خلال إنتاجه، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر.

2. أحمد منور، الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر.
3. أيمن فؤاد سيد، الجامع الأزهر تاريخه وتطوره، المجلة التاريخية المصرية، مج 50، 2016، القاهرة - مصر.
4. البشير الإبراهيمي، حرية الأديب وحمائتها، المؤتمر الثالث للأدباء العرب، 09-10 ديسمبر 1957، القاهرة.
5. جمال قنان، الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر.
6. شريط أحمد شريط، الأدباء الشهداء، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر.
7. الشريف مريعي، القضايا الوطنية في شعر عبد الكريم العقون، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر.
8. عامر عبد زيد الوائلي، الاستشراق في القراءات العربية، المؤتمر العلمي الدولي السادس لكلية التربية، مارس 2013، جامعة واسط، العراق.
9. عبد الرحمن بغداد، جهود المجلة الإفريقية الفرنسية في نشر التراث المغربي -قراءة وصفية تحليلية، مجلة الطالب والتواصل، مج 02، ع 09، 29 ديسمبر 2022.
10. عبد الله حمادي، الأديب الشهيد محمد زاهي ورحلته من باريس إلى قسنطينة عام 1938، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر.
11. عمار شاكور محمود، الصالونات الأدبية في فرنسا، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 22، ع 01، فيفري 2015.
12. عمر البرناوي، مع الأدباء الشهداء، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر.
13. محمد الأخضر عبد القادر السائحي، الأديب الشهيد محمد الأمين العمودي وشهادات ونصوص، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر.
14. محمد الصالح رمضان، أحمد بوشمال الشهيد الصحفي، الملتقى الوطني الأول للكتاب الشهداء، 16 و 17 فيفري 1997، الجزائر.

15. مداح محمد، بليل محمد، علي الحمامي مواقف فكرية ومحطات نضالية 1902-1949، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، ع02، 30 أبريل 2022.
5. الموسوعات والمعاجم:
 - الموسوعات باللغة العربية:
 1. إبراهيم صحراوي وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار النهضة، الجزائر، 1996.
 2. أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدي، معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 1966.
 3. جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة بيروت - لبنان، 2006.
 4. حمدان محمد وآخرون، الموسوعة الصحفية، أعلام الصحافة في الوطن العربي، مج1، ج6، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1997.
 5. خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج1، ج07، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.
 6. رايح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، 2002.
 7. الربيعي بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، مج1، مج2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
 8. رشيد الذوايدي، أعلام بنزرت، دار المغرب العربي، تونس، 1971.
 9. رؤوف سلامة موسى، موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، ج2، دار ومطابع المستقبل، الإسكندرية- مصر، 2002.
 10. الصادق الزملي، أعلام تونسيون، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
 11. عادل نويهض، كتاب معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، 1980.
 12. عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان للطباعة والاشهار، الجزائر، ط1، 2014.
 13. عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، 2007.
 14. عبد المجيد بن نعيمة وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر (1830-1954)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007.

15. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، مج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مصر، 1990.
16. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 2014.
17. فؤاد صالح السيد، موسوعة أعلام القرن العشرين في العالمين العربي والإسلامي، ج1، مكتبة حسين العصرية، بيروت-لبنان، 2013.
18. فؤاد صالح السيد، موسوعة أعلام القرن العشرين في العالمين العربي والإسلامي، ج2، مكتبة حسين العصرية، بيروت-لبنان، 2013.
19. كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002، دار الكتب العلمية، ج3، بيروت، 2003.
20. مجموعة من الأساتذة، الموسوعة العالمية، ج1، الموسوعة للنشر والتوزيع - مؤسسة آمال، السعودية، دت.
21. مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، مج1، مج2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2014.
22. مجموعة من اللغويين، معجم اللغة العربية المعاصر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2008.
23. محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، دار كردادة للنشر والتوزيع، ج1، ج2، الجزائر، 2013.
24. محمد قابيل، موسوعة الغناء المصري في القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1999.
25. محمد مصطفى كمال، موسوعة المسرح العربي، دار المنهل، بيروت-لبنان، 2013.
26. مسعود كواقي، محمد شريف سيدي موسى، أعلام مدينة الجزائر ومتيجة، دار الحضارة، ط1، 2007.
27. نجيب البعيني، موسوعة الشعراء العرب المعاصرين، ج1، ج2، دار المنهل، بيروت-لبنان، 2009.

• الموسوعات باللغة الأجنبية:

1. Cambridge Dictionary Editorial Team, **Cambridge Advanced Learner's Dictionary**, Cambridge University Press, Cambridge, United Kingdom, 2013.
2. Jean Déjeux, **Dictionnaire des auteurs maghrébins de langue française**, Karthala Paris, 1984.
3. Numa Broc, **Dictionnaire des Explorateurs français du XIXe siècle**, Afrique, CTHS, Paris, 1988.

• قواميس باللغة العربية:

1. ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، تح: مجموعة من المحققين، ج11، بيروت، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، دت.

2. إدريس سهيل، قاموس (فرنسي - عربي)، دار الآداب، بيروت، 2010.

3. كريس باركر، معجم الدراسات الثقافية، تر: جمال بلقاسم، دار رؤية، القاهرة، 2018.

• قاموس باللغة الأجنبية:

- 1) Oxford English Dictionary Editorial Team, Oxford English Dictionary, 2nd ed., Oxford University Press, Oxford, UK, 1989.
- 2) Peter France, the New Oxford Companion to Literature in French, Oxford University Press, Oxford, 1995, p 234.

6. مواقع ويب:

• مواقع إلكترونية عامة أو أرشيفات رقمية

1. أرشيف أحمد توفيق المدني، استرجعت في 05 ماي 2025، على الموقع : <https://www.elmadani.org/ar/>
2. أرشيف دار غاليمار للنشر، استرجعت في 05 ماي 2025، على الموقع <https://www.gallimard.fr/>
3. أرشيف مجلة الآداب، استرجعت في 05 ماي 2025، على الموقع: <https://al-adab.com/index>
4. المكتبة الوطنية التونسية، بطاقة تعريف "مجلة المباحث"، على موقع كتاب، استرجعت بتاريخ: 14 أبريل 2025، على الموقع: <https://kitab.bnt.nat.tn/ar/notice/122>
5. موقع اليونسكو، استرجعت في 05 ماي 2025، على الموقع: <https://whc.unesco.org/>

• مواقع أكاديمية ومؤسسات ثقافية رسمية:

1. Académie française, (s.d.), *Fiche académicien : Henry de Montherlant*, consulté le 17 Mai 2025, sur le site : <https://www.academie-francaise.fr/les-immortels/henry-de-montherlant>
2. Académie française, (s.d.), *Fiche académicien : Mario Vargas Llosa*, consulté le 17 Mai 2025, sur le site : <https://www.academie-francaise.fr/les-immortels/mario-vargas-llosa>
3. Bibliothèque nationale de France, (1960), *Ya Warda Malek*, Rahab Taher, disponible sur : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k8804677d>

4. Bibliothèque nationale de France, (s.d.), *Fiche personne : Edmond Pellissier de Reynaud*, consulté le 17 Mai 2025, sur le site : <https://data.bnf.fr/fr/ark:/12148/cb14444224r>
5. G. Andrieux, *Très beaux livres anciens romantiques et modernes, mss, incunables, livres d'Heures...* (Vente à Paris, du 1er au 7 mars 1930. Hotel Drouot Salle 9), Paris, 1930, p128, disponible sur : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k993757c/f1.item.r=Khadra,%20danseuse%20des%20Ouled%20Na%C3%AFI#>
6. *Les écrivains et la presse : entre attraction et répulsion*, Gallica, Bibliothèque nationale de France, accès le 19 mars 2025 : <https://gallica.bnf.fr/accueil/fr/html/les-ecrivains-et-la-presse-entre-attraction-et-repulsion>
7. Madame de Staël, *Biographie et œuvres*, Bibliothèque nationale de France, Gallica, disponible sur : <https://gallica.bnf.fr/accueil/fr/html/madame-de-stael-1766-1817>
8. Équipe de rédaction, (01 Mars 1948), *L'Enseignement Primaire des Musulmans d'Algérie*, L'ACTION, (N°6), p05, consulté le 1er mai 2025, sur le site : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k2375934g/f4.item>
9. Jean-Louis Swiners, (13 avril 2025), *Raymond Aron, penseur du 21e siècle ?*, radiofrance, consulté le 20 avril 2025, sur le site : <https://www.radiofrance.fr/franceculture/podcasts/signes-des-temps/une-conception-originale-de-nos-societes-modernes-la-pensee-de-raymond-aron-1744974>
10. Hervé Sanson, (07 August 2012), *Jean Sénac: citoyen innommé de l'Ailleurs*, Insaniyat, consulté le 18 novembre 2024, sur le site : <https://journals.openedition.org/insaniyat/3432?lang=en>
11. René Gallissot, (2010), *Spielmann Victor*, Le Maitron, Dictionnaire biographique, mouvement ouvrier, mouvement social, consulté le 1er mai 2025, sur le site : <https://maitron.fr/spip.php?article152320>
12. Lounis Ait Aoudia, (08 juillet 2020), *Casbah d'El Djazaïr de Abderrahmane Aziz : Pour un Centenaire de la mémoire et contre l'oubli*, elwatan, consulté le 1er mai 2025, sur le site : <https://web.archive.org/web/20230105112312/https://www.elwatan.com/edition/culture/casbah-del-djazair-de-abderrahmane-aziz-pour-un-centenaire-de-la-memoire-et-contre-loubli-08-07-2020>
13. Gabriel Audisio, (23 Janvier 1926), *Trois Hommes et un Minaret*, Alger-Étudiant, (n°55), p06, disponible sur :

<https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k57950563/f3.item.r=Gabriel%20Audisio>

• أرشيفات صوتية ومواد تسجيلية

1. Rahab Taher, (1960), *Bibliothèque nationale de France, Ana Ghariba (Je suis une exilée)*, Rahab Taher, Dama Harra: Latifa avec choeurs et instr. arabes, S.l. : s.n., 1960. [Enregistrement sonore], disponible sur : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k88047377>

• مواقع أرشيفية عامة

1. Abdelaziz Znaki, *Récit en dialecte tlemcénien*, Imprimerie nationale, Paris, 1904, disponible sur : <https://bibnum.institutdefrance.fr/records/item/2224-recit-en-dialecte-tlemcenien>
2. Académie française, (s.d.), *Prix Roberge*, récupéré le 20 Aout 2024, de <https://www.academie-francaise.fr/prix-roberge>
3. Michele Bitton, (27 February 2009), *Berthe Bénichou-Aboulker 1886–1942*, Jewish Women's Archive, consulté le 30 novembre 2024, sur le site : <https://jwa.org/encyclopedia/article/benichou-aboulker-berthe>

• أبحاث في مواقع أرشيف:

1. Équipe de rédaction, (01 Mars 1948), *L'Enseignement Primaire des Musulmans d'Algérie*, L'ACTION, (N°6), p05, consulté le 1er mai 2025, sur le site : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k2375934g/f4.item>
2. Jean-Louis Swiners, (13 avril 2025), *Raymond Aron, penseur du 21e siècle ?*, radiofrance, consulté le 20 avril 2025, sur le site : <https://www.radiofrance.fr/franceculture/podcasts/signes-des-temps/une-conception-originale-de-nos-societes-modernes-la-pensee-de-raymond-aron-1744974>
3. Hervé Sanson, (07 August 2012), *Jean Sénac: citoyen innommé de l'Ailleurs*, Insaniyat, consulté le 18 novembre 2024, sur le site : <https://journals.openedition.org/insaniyat/3432?lang=en>
4. René Gallissot, (2010), *Spielmann Victor*, Le Maitron, Dictionnaire biographique, mouvement ouvrier, mouvement social, consulté le 1er mai 2025, sur le site : <https://maitron.fr/spip.php?article152320>
5. Lounis Ait Aoudia, (08 juillet 2020), *Casbah d'El Djazair de Abderrahmane Aziz : Pour un Centenaire de la mémoire et contre l'oubli*, elwatan, consulté le 1er mai 2025, sur le site :

<https://web.archive.org/web/20230105112312/https://www.elwatan.com/edition/culture/casbah-del-djazair-de-abderrahmane-aziz-pour-un-centenaire-de-la-memoire-et-contre-loubli-08-07-2020>

6. Gabriel Audisio, (23 Janvier 1926), *Trois Hommes et un Minaret*, Alger-Étudiant, (n°55), p06, disponible sur : <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/bpt6k57950563/f3.item.r=Gabriel%20Audisio>

• مجلات باللغة العربية:

1. إبراهيم مشاركة، (13 أبريل 2022)، العقدة المشرقية: حقيقة أم افتعال؟، صحيفة القدس العربي، استرجعت في 07 أوت 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.alquds.co.uk>
2. إبراهيم مشاركة، (25 جانفي 2023)، مبارك جلواح وفجر الرومانسية في الجزائر، القدس العربي، استرجعت بتاريخ: 10 ماي 2024 على موقع: <https://www.alquds.co.uk>
3. أحمد الجمّال، (12 ماي 2022)، فرسان المسرح العربي: جورج أبيض... رائد التعريب المسرحي، الجريدة، استرجع في 07 جويلية 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.aljarida.com/articles/1652287213561672900>
4. أحمد العسالي، (04 سبتمبر 2022)، تعريف موجز لجريدة الشعب لسان حال الاتحاد العام التونسي للشغل، الاتحاد العام التونسي للشغل، استرجعت في 05 ماي 2025، من الموقع: <https://web.archive.org/web/20220904151220>
5. أحمد القديدي، (11 ديسمبر 2020)، مجلة الفكر: أسسها الاستقلال وقتلها الاستبداد، مجلة الشرق، استرجعت في 18 فيفري 2025، من الموقع الإلكتروني: <https://al-sharq.com/opinion/11/12/2020>
6. أحمد أمين الشريف الزهار، (23 أبريل 2025)، مسرحية "حنّ بعل" في الصحافة وكتابات الأدباء، الموقع الخاص بالأستاذ النابتة أحمد توفيق المدني، استرجع في 18 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.elmadani.org/ar/>
7. أحمد بن نعمان، (13 ديسمبر 2022)، عثمان سعدي ناب عن الدولة الجزائرية في الدفاع عن اللغة العربية، عربي 21، استرجع في 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://arabi21.com/story/1480716>

8. أحمد لمنور، (01 أبريل 2018)، أحمد منور - ملاحظات حول وضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية في الوقت الراهن، مجلة أنطولوجيا، استرجعت في 08 نوفمبر 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://alantologia.com/blogs/7821/>
9. آدم جابر، (20 مارس 2021)، جرائم الاغتصاب من قبل الجنود الفرنسيين، موضوع محظور في حرب الاستقلال الجزائرية، القدس العربي، استرجعت في 28 نوفمبر 2023، من الموقع: <https://www.alquds.co.uk/>
10. أمين الزاوي، (06 ماي 2021)، مولود فرعون الفيمينيست منذ 1938، مجلة أنطولوجيا، استرجعت في 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://alantologia.com/blogs/43717/>
11. أمين الزاوي، (11 ماي 2023)، 100 عام من الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، أندبندنت عربية، استرجعت في 10 مارس 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.independentarabia.com/node/449861/>
12. جمال نصر الله، (01 ديسمبر 2022)، مولود فرعون... صوت القرى الجزائرية قبل الاستقلال، موقع الحوار الجزائري، استرجعت في 10 ديسمبر 2023، من: <https://www.elhiwar.com>
13. حاتم عبد الهادي السيد، (12 أوت 2021)، الرواية الجزائرية الجديدة... من التأسيس إلى التجريب، مجلة الدوحة الثقافية، استرجعت في 23 فيفري 2024، من: <https://www.aldohamagazine.com>
14. حياة بلقاسم، (07 جانفي 2023)، فوضى الحرب وتحولات الذات في سرديات الكاتبات الجزائريات، موقع أصوات الشمال، استرجعت في 03 أبريل 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.aswatdjazair.net>
15. خالد عمر بن ققه، (10 جوان 2020)، عن المسرح الجزائري ومأزق التلقي، موقع العين الإخبارية، استرجعت في 19 أكتوبر 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.al-ain.com>
16. خديجة بن قانة، (18 مارس 2023)، النخبة الثقافية في الجزائر... عجز أمام خطاب الدولة، موقع الجزيرة نت، استرجعت في 08 جانفي 2024، من: <https://www.aljazeera.net>
17. رابح لونيسي، (04 سبتمبر 2021)، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية بعد الاستقلال، موقع البلاد، استرجعت في 25 نوفمبر 2023، من: <https://www.elbilad.net>

18. رشيد بوجدر، (30 مارس 2022)، عندما تصبح الذاكرة سلاحًا في الرواية الجزائرية، موقع فرانس 24، استرجعت في 12 ديسمبر 2023، من <https://www.france24.com> :
19. زهية منور، (09 ديسمبر 2021)، ثنائية المرأة والوطن في شعر الثورة الجزائرية، مجلة جسور للثقافة والفكر، استرجعت في 15 جانفي 2024، من <https://www.jusoorculture.org> :
20. سامي حركات، (26 ماي 2023)، صورة المجاهد في السينما الجزائرية: دراسة في نماذج مختارة، المجلة العربية للسينما، استرجعت في 02 مارس 2024، من <https://www.arabcinemamag.com> :
21. سعاد بوطالب، (13 مارس 2022)، مفاهيم الوطن والمواطنة في أدب الأطفال الجزائري، موقع الثقافة الجزائرية، استرجعت في 11 أبريل 2024، من <https://www.thakafa-dz.com> :
22. سفيان زروال، (17 جانفي 2024)، الشباب الجزائري بين الإبداع الأدبي والاغتراب الداخلي، موقع الشروق أونلاين، استرجعت في 20 مارس 2024، من <https://www.echoroukonline.com> :
23. سليم شبل، (02 أوت 2023)، ثنائية الاحتلال والمقاومة في الرواية الجزائرية، موقع ميم، استرجعت في 08 سبتمبر 2023، من <https://www.mimmag.com> :
24. سيد علي شريف، (29 أكتوبر 2021)، تطور الخطاب المسرحي الجزائري بين الالتزام والتجريب، المجلة العربية للمسرح، استرجعت في 09 ديسمبر 2023، من <https://www.arabstheater.net> :
25. شيماء بوعلام، (06 نوفمبر 2022)، حضور اللغة الفرنسية في الكتابة الجزائرية المعاصرة، موقع نفحة، استرجعت في 27 ديسمبر 2023، من <https://www.nafhamag.com> :
26. صالح سعودي، (18 أبريل 2023)، تأثير الثورة الجزائرية على الأدب العربي المعاصر، موقع الوسط الجزائري، استرجعت في 04 ماي 2024، من <https://www.elwassat.dz> :
27. عادل الزبيدي، (09 جوان 2022)، قراءة في رواية "اللاز" للطاهر وطار، موقع ميدل إيست أونلاين، استرجعت في 18 نوفمبر 2023، من <https://middle-east-online.com> :
28. عادل بجاوي، (11 جانفي 2024)، توظيف الأسطورة في الرواية الجزائرية الحديثة، موقع الرواية المغاربية، استرجعت في 02 مارس 2024، من <https://www.rowayamaghribia.org> :
29. عبد الرزاق بوكبة، (25 أكتوبر 2023)، كيف يكتب الجزائريون عن الثورة اليوم؟، موقع مجلة فنون، استرجعت في 01 ديسمبر 2023، من <https://www.fnounmag.com> :

30. عبد العزيز بوباكير، (15 مارس 2022)، عبد الحميد بن هدوقة في ملامح سردية وطنية، مجلة نزوى العمانية، استرجعت في 21 أبريل 2024، من <https://www.nizwa.com> :
31. عز الدين ميهوبي، (20 فيفري 2021)، الأدب الجزائري بين سلطة التاريخ وخيال الرواية، موقع الخبر الثقافي، استرجعت في 10 أكتوبر 2023، من: <https://www.elkhabar.com/culture>
32. غنية شندول، (12 ديسمبر 2022)، الكتابة النسائية الجزائرية بين الحضور والاعترا، موقع الاتحاد الثقافي، استرجعت في 07 مارس 2024، من <https://www.alittihadculture.com> :
33. فاطمة الزهراء قندوز، (28 نوفمبر 2023)، توظيف الذاكرة الجماعية في الرواية النسوية الجزائرية، موقع جسور للدراسات الثقافية، استرجعت في 12 جانفي 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.jusoorculture.org>
34. محمد بكاي، (21 ماي 2020)، الأديب عبد الحميد بن هدوقة... رائد الرواية الجزائرية الحديثة، الجزيرة نت، استرجعت في تاريخ 07 جويلية 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.aljazeera.net/culture/2020/5/21/>
35. محمد داودية، (25 ديسمبر 2021)، التعريب فشل لأنه استعمل سلاحاً، جريدة الغد الأردنية، استرجعت بتاريخ 10 أوت 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://alghad.com>
36. محمد سيف الإسلام بوفلاقة، (15 مارس 2023)، فكر مالك بن نبي... أسئلة النهضة والإصلاح، موقع مؤمنون بلا حدود، استرجع في تاريخ 01 نوفمبر 2023، من الموقع الإلكتروني:
37. محمد سيف الإسلام بوفلاقة، (20 ديسمبر 2020)، تجليات البعد القومي في روايات الطاهر وطار، مجلة أنطولوجيا، استرجعت في تاريخ 10 أبريل 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://alantologia.com/blogs/24800>
38. محمد عبد الرحيم، (02 فيفري 2021)، محمد ديب... الرواية الجزائرية بوصفها كتابة منفى، العربي الجديد، استرجعت في تاريخ 15 أوت 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.alaraby.co.uk>
39. مروى بن مسعود، (17 ديسمبر 2023)، تفاعل التونسيين مع التراث الشفوي: من الاستهلاك الرقمي إلى التوثيق الأكاديمي، موقع فكر، استرجعت في تاريخ 21 جانفي 2025، من الموقع الإلكتروني: <https://elfikr.org>

40. ميله زقاي، (20 أكتوبر 2020)، التجربة الشعرية لدى مفدي زكرياء: البعد الوطني والثوري، موقع المجلة الثقافية الجزائرية، استرجعت في 14 مارس 2024، من: الموقع الإلكتروني: <https://www.maqalatturath.com>
41. نورالدين بالطيب، (01 أكتوبر 2022)، المسرح التونسي والذاكرة... ما لم يكتب بعد، موقع العربي الجديد، استرجعت في تاريخ 02 ماي 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.alaraby.co.uk>
42. هيثم حسين، (26 مارس 2021)، الطاهر وطار... «اللا» الكبيرة في وجه العتمة، موقع اندبندنت عربية، استرجعت في تاريخ 18 أكتوبر 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.independentarabia.com>
43. وجدان بوعبد الله، (07 جوان 2022)، عبد الحميد بن هدوقة... البحث عن صوت جزائري للرواية، موقع أصوات مغاربية، استرجعت في تاريخ 22 نوفمبر 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.maghrebvoices.com>
44. وسيلة تمزالي، (12 ديسمبر 2021)، نساء جزائريات في الثورة... الذاكرة المنسية، الجزيرة الوثائقية، استرجعت في تاريخ 01 فيفري 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://doc.aljazeera.net>
45. وسيلة خليل، (03 مارس 2024)، الفضاء الصحراوي في رواية إبراهيم الكوني: سردية الجغرافيا والميتافيزيقا، موقع الرواية المغاربية، استرجعت في تاريخ 14 أبريل 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://rowayamaghribia.org>
46. وليد الصكر، (29 ماي 2023)، سي الطاهر... أسد الأوراس في الذاكرة الجزائرية، موقع ذاكرة المقاومة الجزائرية، استرجعت في تاريخ 20 جانفي 2025، من الموقع الإلكتروني: <https://www.memoiredz.org>
47. ياسمينه صالح، (15 نوفمبر 2022)، الكتابة النسوية في الجزائر: بين التمرد والتهميش، مجلة ذوات، استرجعت في تاريخ 08 مارس 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.dhawaat.net>
48. ياسين سليمان، (11 سبتمبر 2022)، إبراهيم الكوني: الأدب الطوارقي بوابة لفهم الإنسان، مجلة الفيصل، استرجعت في تاريخ 16 جانفي 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.alfaisalmag.com>
49. يحيى بن الوليد، (11 جانفي 2021)، الكتابة في زمن الاحتلال: عن جيل ما قبل الثورة الجزائرية، موقع القدس العربي، استرجعت في تاريخ 05 جويلية 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.alquds.co.uk>

50. يوسف الشاروني، (12 جانفي 2019)، *القصة القصيرة في الجزائر بحث عن الذات*، مجلة العربي الكويتية، استرجعت في تاريخ 23 أوت 2023، من الموقع الإلكتروني: <https://www.alarabi-mag.com>
51. يوسف وقّاص، (28 أبريل 2023)، *المسرح الجزائري... بين البدايات الطلائعية والتحديات الراهنة*، موقع المسرح العربي، استرجعت في تاريخ 17 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://arabstage.org>
52. معراج أغا، (30 ماي 2014)، *أغا محمد ولد الشيخ، منصة فليكر*، استرجعت في 20 جوان 2024، من الموقع الإلكتروني: <https://www.flickr.com/photos/agha56/14118341167/>

• مجالات بحثية باللغة الأجنبية:

1. Académie française, (s.d), *François-René de Chateaubriand*. Consulté le 23 mars 2025, sur : <https://www.academie-francaise.fr/les-immortels/francois-rene-de-chateaubriand>
2. Pierangela Adinolfi, (décembre 2004), *Henry de Montherlant et la quête du bonheur*, **Open Edition Journals**, consulté le 17 mars 2025, sur : <https://journals.openedition.org/studifrancesi/37046>
3. Agnès de Noblet, (s.d), *Pierre Loti et les grands de ce monde*, **OpenEdition Books**, consulté le 17 mars 2025, sur : <https://books.openedition.org/pur/33379>
4. Éliane Azoulay, (s.d), *RIMITTI CHEIKHA (1923 env-2006)*, **Encyclopædia Universalis**, consulté le 28 novembre 2024, sur : <https://www.universalis.fr/encyclopedie/cheikha-rimitti/>
5. Gérard Crespo, (s.d), *Un écrivain français d'Algérie quelque peu oublié : Gabriel Audisio (1900-1978)*, **CDHA**, consulté le 20 août 2024, sur : <https://www.cdha.fr/un-ecrivain-francais-dalgerie-quelque-peu-oublie-gabriel-audisio-1900-1978>
6. Académie française, (s.d.), *François-René de Chateaubriand*. Consulté le 23 mars 2025, sur : <https://www.academie-francaise.fr/les-immortels/francois-rene-de-chateaubriand>
7. Pierangela Adinolfi, (décembre 2004), *Henry de Montherlant et la quête du bonheur*, **Open Edition Journals**, consulté le 17 mars 2025, sur : <https://journals.openedition.org/studifrancesi/37046>

8. Agnès de Noblet, (s.d.), *Pierre Loti et les grands de ce monde*, **OpenEdition Books**, consulté le 17 mars 2025, sur : <https://books.openedition.org/pur/33379>
9. Éliane Azoulay, (sans date), *RIMITTI CHEIKHA (1923 env-2006)*, **Encyclopædia Universalis**, consulté le 28 novembre 2024, sur : <https://www.universalis.fr/encyclopedie/cheikha-rimitti/>
10. Gérard Crespo, (s.d.), *Un écrivain français d'Algérie quelque peu oublié : Gabriel Audisio (1900-1978)*, **CDHA**, consulté le 20 août 2024, sur : <https://www.cdha.fr/un-ecrivain-francais-dalgerie-quelque-peu-oublie-gabriel-audisio-1900-1978>
11. Rédaction, (20 août 2014), *Mohamed Tahar Fergani*, **L'Expression**, consulté le 3 mai 2025, sur : https://www.lexpressiondz.com/culture/la-legende-mohamed-tahar-fergani-donne-le-ton-202354?_cf_chl_tk=pyzUqE7x0vbEcBERPgiiiC9lxYIFyhHA7lEXMnTK8lg-1746223060-1.0.1.1-5tKa_7sDc6Iv6S6qH6vmdeWJLhzzhaLGIjaAlGQRcwU
12. Kamal Medjedoub, (2023), *De Aïni à Marie-Corail : l'image de la femme rebelle dans deux récits autobiographiques de Fadhma et Taos Amrouche*, **Insaniat**, consulté le 18 novembre 2024, sur : <https://doi.org/100E.4000/11o1l>
13. Abdelkebir Khatib, (2020), *Le Roman maghrébin : Résumé de l'œuvre d'Abdelkebir Khatibi*, **Livre Critique**, consulté le 18 novembre 2024, sur : <https://livrecritique.com/le-roman-maghrebin-resume-de-loeuvre-dabdelkebir-khatibi/>
14. Inconnu, *Réédition de Meriem dans les Palmes de Mohamed Ould Cheikh : Un auteur emblématique de la littérature algérienne sous régime colonial*, Elwatan.dz, 04 janvier 2022, consulté sur : <https://elwatan-dz.com/reedition-de-meriem-dans-les-palmes-de-mohamed-ould-cheikh-un-auteur-emblématique-de-la-litterature-algerienne-sous-regime-colonial>
15. Adam Mestyan, Till Grallert, et al., (2020), *Jarā'id: A Chronology of Arabic periodicals (1800–1929)*, consulté le 17 mai 2025, sur : <http://doi.org/10.5281/zenodo.4399240>
16. Christian Bartolf, (14 mars 2001), *Tolstoy's Idea of Spirituality*, Slate, consulté le 28 mars 2024, sur : <https://slate.com/culture/2001/03/tolstoy-s-idea-of-spirituality.html>
17. Chebel, Malek. 2005. *Vincent-Mansour Monteil, un maître de l'École française d'islamologie*. Le Monde, 3 mars. Consulté le 18 novembre 2024.

- https://www.lemonde.fr/disparitions/article/2005/03/03/vincent-mansour-monteil-un-maitre-de-l-ecole-francaise-d-islamologie_400219_3382.html
18. Rault, Michèle. 2009. *Henri BERTRAND Louis*. Le Maitron, 14 août. Consulté le 15 novembre 2024. <https://maitron.fr/spip.php?article50089>
 19. Anonyme. 2011. *Adrien Berbrugger*. Le Maitron, 30 mai. Consulté le 17 mars 2025. <https://maitron.fr/spip.php?article26254>
 20. Assouane, Mohamed Karim. 2013. *Djamila Debèche : au pays du non-dit !* Le Matin Algérie, 21 novembre. Consulté le 17 mai 2025. <https://www.lematindz.net/news/12932-djamila-debeche-au-pays-du-non-dit.html>
 21. Gallissot, René. 2013. *Notice BENHAÏM Marlyse connue sous son nom littéraire Myriam BEN*. Le Maitron, 26 décembre. Consulté le 30 novembre 2024. <https://maitron.fr/spip.php?article151557>
 22. Gallissot, René. 2015. *Ouzegane Amar*. Le Maitron, 12 août. Consulté le 10 mars 2025. <https://maitron.fr/spip.php?article157307>
 23. Raffi, Maria Emanuela. 2018. *Gustave Flaubert. Studi Francesi*, OpenEdition Journals, octobre. Consulté le 17 mars 2025. <https://journals.openedition.org/studifrancesi/20096>
 24. Seale, Yasmine. 2019. *Forthcoming: Translation of Memoir by 'Aladdin'-teller Hanna Diyab*. ArabLit, 24 mai. Consulté le 28 mars 2024. <https://arablit.org/2019/05/27/translation-of-aladdin-tellers-memoir-forthcoming-2020/>
 25. Puhu, Marine. 2020. *Alphonse Daudet : biographie de l'auteur des Lettres de mon moulin*. L'internaute, 29 mars. Consulté le 17 mars 2025. <https://www.linternaute.fr/biographie/litterature/1775312-alphonse-daudet-biographie-courte-dates-citations/>
 26. Anonyme. 2020. *Guy de Maupassant : biographie de l'auteur réaliste d'Une vie*. L'internaute, 27 mai. Consulté le 17 mars 2025. <https://www.linternaute.fr/biographie/litterature/1775042-guy-de-maupassant-biographie-courte-dates-citations/>
 27. Feugas, Françoise. 2020. *L'Algérie des mots et des armes du poète Jean Sénac*. Orient XXI, 7 août. Consulté le 18 novembre 2024. <https://orientxxi.info/lu-vu-entendu/l-algerie-des-mots-et-des-armes-du-poete-jean-senac,4060>
 28. Cartwright, Mark. 2020. *Giovanni Boccaccio*. World History Encyclopedia, 29 octobre. Consulté le 20 novembre 2024. <https://www.worldhistory.org/trans/fr/1-19240/giovanni-boccaccio/>

29. Lagarde, Yann. 2021. *Que veut dire être "maurrassien" aujourd'hui*. Radio France, 26 novembre. Consulté le 11 mars 2025. <https://www.radiofrance.fr/franceculture/que-veut-dire-etre-maurassien-aujourd-hui-3832244>
30. Vince, Charlène. 2022. *Charles Baudelaire : biographie courte du poète inspiré par le spleen*. L'internaute, 31 mars. Consulté le 30 novembre 2024. <https://www.linternaute.fr/biographie/litterature/1420590-charles-baudelaire-biographie-courte/>
31. Racine, Nicole. 2022. *ÉLUARD Paul. Pseudonymes : Didier Desroches, Brun, Jean du Haut, Maurice Hervent*. Le Maitron, 19 avril. Consulté le 18 novembre 2024. <https://maitron.fr/spip.php?article24290>
32. Cingal, Grégory. 2022. *ROY Claude*. Le Maitron, 4 juillet. Consulté le 26 août 2024. <https://maitron.fr/spip.php?article172057>
33. Arnaud, Jacqueline. 2022. *Taos Amrouche (1913-1976)*. Encyclopædia Universalis, 21 août. Consulté le 17 mars 2025. <https://www.universalis.fr/encyclopedie/taos-amrouche/>
34. Vince, Charlène. 2022. *Théophile Gautier : biographie de l'auteur et voyageur*. L'internaute, 13 octobre. Consulté le 18 novembre 2024. <https://www.linternaute.fr/biographie/litterature/1775098-theophile-gautier-biographie-courte-dates-citations/>
35. Frenzel, Anne. 2024. *André Gide et ses critiques*. Fondation Catherine Gide, 1er septembre. Consulté le 26 août 2024. <https://www.fondation-catherine-gide.org/actualites/andre-gide-et-ses-critiques-1951-1969>
36. Compagnon, Antoine. 2025. *Daudet Alphonse (1840-1897)*. Encyclopædia Universalis, 29 janvier. Consulté le 17 mars 2025. <https://www.universalis.fr/encyclopedie/alphonse-daudet/>
37. Witte, William. 2025. *German writer Friedrich Schiller*. Britannica, 21 février. Consulté le 10 mars 2025. <https://www.britannica.com/biography/Friedrich-Schiller/Philosophical-studies-and-classical-drama>
38. Lohnes, Kate. 2025. *War and Peace*. The Editors of Encyclopædia Britannica, 17 mars. Consulté le 28 mars 2024. <https://www.britannica.com/art/Russian-literature>
39. Dunouhaud, Cécile. 2025. *Edmond Pellissier de Reynaud*. Clio Texte, 19 mars. Consulté le 17 mai 2025. <https://clio-texte.clionautes.org/algerie-massacre-el-ouffia-colonie-edmond-pellissier-reynaud-1832.html>

• مواقع التواصل الاجتماعي:

1. أحمد رحمان، (10 فيفري 2021)، الأديب الذي اغتالته الذاكرة وقبرته معاول التناسي، مدونته على الفيسبوك، استرجعت في 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني:
<https://www.facebook.com/share/p/1BEUNzVQPY/>
2. عبد الحفيظ بن جلوي، (16 أوت 2022)، الرواية الفرنكوفونية في الجنوب الغربي، مدونته على الفيسبوك، استرجعت في 07 جويلية 2024، من الموقع الإلكتروني:
<https://www.facebook.com/share/12CHf7RNE51/>
3. معراج أغا، (24 جويلية 2023)، محمد ولد الشيخ: رائد المسرح الجزائري باللغة الفرنسية، على منصة فيسبوك، استرجعت في 08 نوفمبر 2024، من الموقع الإلكتروني:
<https://www.facebook.com/share/15VgeNYhzC/>
4. يوسف وغليسي، (22 فيفري 2025)، الشيخ محمد السعيد الزاهري (1900-1956) ظلما ومظلوما!، قسنطينة-الجزائر، مدونته على الفيسبوك، استرجعت في 08 ماي 2025، من الموقع الإلكتروني:
<https://web.facebook.com/share/1N4mr6hwcb/>

• منصة اليوتيوب

1. هنريكيه زاندر، (09 ماي 2024)، موضوع من المحرمات - النساء كغنائم الحرب العالمية الثانية، وثائقية دي ديليو، استرجعت بتاريخ: 10 ماي 2024 على موقع:
https://www.youtube.com/watch?v=OXSQDDKf_wo

الفهارس

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
إبراهيم أبو إسحاق أطفيش	320-242-198
إبراهيم أبو اليقظان	532
أبراهيم المالح	330
إبراهيم بن عيسى أبو اليقظان	198
إبراهيم بن مصطفى باشا	422
إبراهيم بيوض	529-518-456
إبراهيم عبد القادر المازني	43
إبراهيم ناجي	458
ابن العنابي	22
ابن الوردي	460
ابن الوئيس	37
ابن تمورت	121
ابن تيمية	121
ابن جبير	121
ابن رشد	407
ابن عذاري المراكشي	36
ابن علي فخار	37
ابن قلفاط	29
ابو الحسن المسعودي	688-667-325-324
أبو العلاء المعري	469-468-408-407
أبو العيد دودو	52
أبو القاسم الحفناوي	30
أبو القاسم الشابي	535-498-76
أبو القاسم بن حلوش	390
أبو القاسم سعد الله	95-92-91-81-80-35-25-14-6-5-4

469-468-467-408-407-406-405-5	أبو القاسم محمد بن هاني
590	أبو جرة السلطاني
121	أبو حامد الغزالي
636-499-460-459-458-457-417-6	أبو يعلى الزواوي
544	أبوبكر مصطفى بن رحمون
118-97	أبوليوس
549-58-57	إتيان دينيه
97	أحمد أبو الدهمان
218-217	أحمد الأكحل
92	أحمد الأنصاري
27	أحمد البدوي
26	أحمد العطار
544	أحمد الغولمي الميلي
275-274	أحمد الهلالي
416-190-51	أحمد أمين
346	أحمد إينال
22	أحمد باي
623	أحمد بلعجال
468	أحمد بن أبي زيد الأغواطي
350	أحمد بن الحاج صالح بن أحمد بن الصغير
533	أحمد بن الحاج يحيى
532	أحمد بن العابد العقبي
26	أحمد بن المبارك العطار
33-32	أحمد بن بريهمات
112	أحمد بن بلة
-350-149-9	أحمد بن ذياب
455-311-310-54	أحمد بن عاشور
304	أحمد بن ناجي

أحمد بن هطال التلمساني	376
أحمد بن يعقوب (اليعقوبي)	374-373
أحمد بناسي	650-649-83-81-80
أحمد بوري	565
أحمد بوشمال	656-655-532
أحمد بوضرية	428-30
أحمد توفيق المدني	-176-175-174-173-172-148-93-75-5 -431-430-424-370-368-209-206-177 .451-436-434-433-432
أحمد حسن الزيات	511-463
أحمد حماني	.638-634-397
أحمد حنفي	466
أحمد رضا حوحو	-117-99-98-97-96-95-94-93-63-52-8 -233-217-167-149-148-146-145-143 .424-423-418-417-416
أحمد سحنون	-489-423-252-251-239-238-237-225-9 .595-594-589-561-490
أحمد سوكارنو	408
أحمد شقار الثعالبي	460-459-6
أحمد شوقي	504-503-502-501-500-492-240
أحمد ضيف	476-415
أحمد طالب الإبراهيمي	-216-215-214-213-206-8
أحمد فارس الشدياق	569-376
أحمد فرانسيس	612
أحمد فرحات الدراجي	515-513
أحمد كاتب بن الغزالي	25
أدريان بيربروجر	36
إدمون فانجنان	36
إدموند شارلوت	182

525-36	ادوارد سعيد
229-223	أدونيس
24	إرنست فيدو
30	أرنو أنطوان
24	الإسكندر دوماس
234-99	إسماعيل العربي
29	إسماعيل حامد
655	إسماعيل صحراوي
565-523-343-342-341-66-65	آسيا جبار
372	إغناطيوس كراتشوفسكي
50	ألبرتو فوجيموري
-214-208-198-197-195-194-193-112-4 218-217-216-215	ألبير كامو
538	ألفريد كولن
222	ألفونس دو لامارتين
385-349-42-41	ألفونس دوديه
31	ألكسندر جول
-333-332-330-329-181-180-179-147 347-338-337-336-335-334	إليسا رايس
275	أمّني بشيشي
95	أمّين سعيد
407	الأمّين سلطاني
179	الأمّين سوسى
-354-353-342-341-10-5	آنا غريكي
539	أندريه برتيني
183-182-41-40	أندريه جيد
333	أندريه سبائر
379	أندريه مورا
392	أنري بيريس

208	إنعام الله خان
39	أوجين فرومنتين
38	أوغست كور
521	آية جعفر
40	إيزابيل إبرهاردت
517-285	إيليا أبو ماضي
652-522	إيمانويل روبلز
206	إيمانوئل موني
39-37	إميل ماسكري
515-425	باعزيز بن عمر
326	بابة بنت أحمد حسان
344-9	بابة خليفة
98	بختي بن عودة
532	بكير بن سليمان
35	بلقاسم بن أرواق
37	بلقاسم بن سديرة
348-347	بلقاسم عمروش
45	بن الهاشمي بن المكي
45	بن عيسى بن الشيخ أحمد
337-334	بول تابت
593	بول لافيت
286	بوليكافسكي
342-339-146	بيرت بينشو أبو الكبير
40	بيليسييه دي رينو
216-42	بيير لوتي
194	بيير مارتن
473	توفيق الحكيم
40-39	تيوفيل غوتيه
606	جاك سوستال

603-352	جاك ماسو
520	جاكولين أرنو
215	جان بول سارتر
333	جان بومييه
110	جان دوروك
348	جان دي لافونتين
518-342-51-14	جان ديجو
527	جان ديراييز
349	جان راسين
521-520-222	جان سينك
-226-225-219-185-184-183-182-10 569-382-381-380-147	جان عمروش
40	جان كوكتو
474-473-385-349	جان بابتيست بوكالان (موليير)
30	جان ميرانت
647-509-241-85	جيران خليل جبران
513-318-304-303-302-252-9	جلول البدوي
328	جمال الدين الأفغاني
204	جمال عبد الناصر
214	جميلة بوحيرد
343-339-66-65-64	جميلة دباش
304	الجنيدى أحمد مكى
506-201-199-198	الجنيدى خليفة
129	جواهر لال نهرو
496	جورج الأبيض
32	جوزيف ديارمي
37	جوزيف لجام
32-30	جوني فرعون
531	الحارث بن همام

507-506-505-450-241-52	حافظ إبراهيم
647-646-560-85-84-83-82-80	الحبيب بناسي
461-459-458	الحسن بن عبد الرحمن
501-500-6	حسني عبد الله
616	الحسين الخطيب
397	الحسين الورتلاني
426-425	الحفناوي هالي
-522-428-232-22	حمدان بن عثمان خوجة
-402-369-328-313-312-310-236-9-5 -532-513-453-452-451-449-426-425 -617-612-611-610-609-557-550-549 648-647-626	حمزة شنوف (بوكوشة)
-176-175-174-173-172-171-148-147 531-374	حنبل
-302-301-300-299-142-118-117-34 637-517-306-305-303	خالد الجزائري (الأمير)
335	خديجة بوكثرة
542	خراشي الحسيني
45	الخضر حسين
493	خليل مطران
369	خير الدين التونسي
613-530	الدوق دو روفيقو
36	ديفوكس
320	ذهبية بنت محمد بن يحيى
474-472-471-470	رابح بونار
643-642-641-640-554-261-260	الربيع بوشامة
-154-152-151-150-148-145-144-143-4 568-487-267-215-156	رشيد بلخضر القسنطيني
519	رشيد محمد الهادي

519	رفاعة الطهطاوي
-243-239-238-237-236-228-223-222 -554-541-518-517-504-498-363-361 600-599-597	رمضان حمود
328-13	روبرت راندو
326-325	روزاليند مايلز
331	رولان رايس
276	رياض السنباطي
206	ريجين ديفورج
37-31	رينيه باصيه
329	رينيه دوميك
218	رينيه شار
455-83-82-81	زیدور محمد إبراهيم قاسم
465-84	زكي مبارك
335-324	زليخا السعودي
344-338-336-333	زليخة عثمان إبراهيم
320	زهراء بنت العربي بن أبي داود
342	زهرة الجلاصي
338-336-334	زهور ونيسي
636	الزواوي بن القشي
74	زين العابدين السنوسي
379	سانت ماثيو
-487-483-478-467-466-405-176	سعد الدين بن أبي شنب
78	سعيد الصالحي
285	سعيد حائف
355-354	سعيدة باضياف
500	سلامة موسى
199	سليمان باشا الباروني
549-57	سليمان بن إبراهيم

251-249	سليمان عناني
342	سنة إلهي بن الحاج سالم
37	سي أعمر سعيد بوليفة
118	سييتيموس سيفيروس
579	سيويه المصري
589-588	سيد قطب
390	سيدي الحاج العربي التواتي
451	الشاذلي المكي
497	الشاذلي خزندار
74	شارل بودلير
212-54	شارل لويس نابليون بونابارت
331	شارل هاجل
368	الشريف الورتلاني
508	الشريف بن حبيلس
448	شفاء بنت عبد الله
61-60-59	شكري خوجة
471-470	شكري فيصل
401	شواين لاي
389	الصادق الجندلي
507	الصادق هجرس
545-544	صالح أبو عمر
242	صالح بن يحيى
637	صالح بوزراع
504-503	صالح جودت
641-545-544-541-276-220-98-21	صالح خرفي
544	صالح عبد الله
372	صامويل بيس
648	الصادق مصباح
527-121	صلاح الدين الأيوبي

طالب شعيب القاضي	390
طالب عبد الرحمن	270
الطاهر الجزائري	459
الطاهر الحداد	475
الطاهر بن عيشة	648
الطاهر بوشوشي	6-230-293-310-311-453-482-483-512-557-558-559-647
الطاهر رحاب	279-289-558
الطاهر وطار	84-85-149-325-546
طه حسين	6-51-84-464-465-466-476-477-478-498
الطيب الزاوي	183
الطيب العقبي	223-273-517-518-519-532-624
الطيب ولد العروسي	97
عاشور الخنقي	552-553-555
عاشور شرفي	66
عايدة أديب بامية	513
عائشة بنت ناصر	320
عباس محمود العقاد	43-238
عبد الباقي بن قرّة	595
عبد الحفيظ بن الهاشمي	516-518
عبد الحفيظ بن جلولي	97
عبد الحفيظ بوصوف	594
عبد الحميد بن باديس	5-34-66-69-84-158-186-204-260-273-304-389-390-399-412-417-445-475-481-497-516-517-518-519-540-589-590-604-629-631-637
عبد الحميد بن زين	508
عبد الحميد بن هدوقة	52-545

423	عبد الخالق حسونة
645-374-262-118-116-84	عبد الرحمان ابن خلدون
567-532-404-403-402-176-9	عبد الرحمن الجيلالي
125	عبد الرحمن المنوغي
498-497	عبد الرحمن شيبان
495	عبد السلام بن خليل
549-548-58-57	عبد العزيز الزناقي
601	عبد العزيز علاوة أحمد
553-552-551-420-306	عبد القادر الجزائري
539-60-59	عبد القادر الحاج حمو
459-253	عبد القادر المجاوي
118-117	عبد القادر حاج علي
534	عبد القادر حساني
647	عبد القادر شندلي
207	عبد القادر فارس الإيمان
210	عبد القادر محداد
265-263-262-117-116	عبد الكريم الخطابي
645-644-641-554-482-263-262	عبد الكريم العقون
28	عبد الكريم الفكون
481	عبد الله الأخصري
548-498-497	عبد الله الركيبي
481	عبد الله بن المبروك العثماني
635-574-274-245	عبد الله حمادي
544-461-417-224	عبد الله شريط
63	عبد الله شعابنة
388	عبد الله صالح
148-147	عبد الله نقلي
-608-584-541-499-189-153-72-70-68 .619	عبد المالك مرتاض

630-545-513-102-101-98-63	عبد المجيد الشافعي
416	عبد الوهاب بن منصور
370	عثمان سعدي
-470-215-206-186-185-184-183-78-4 -615-614-590-589-532	العربي التبسي
386	العربي بن مهدي
399	عزيز لعكايشي
436	عقيفا آرييه فايس
126-122-118-117-116-62-8-4	علي الحمامي
76	علي الدوعاجي
559-558	علي الشلاي
298	علي بن إبراهيم العقبي الشريف
452	علي بن حالة
30	علي بن سماية
482-28	علي بن عمر
595	علي قادي
207	علي مراد
65	عمار أوزقان
118	عمار بالخوجة
457	عمر بن الخطاب
-255-254-253-222-221-45-43-34-9 -518-516-515-428-426-425-417-259 604-603-586-553-544-542-540	عمر بن قدور
73-52	عمر بن قينة
-428-427-426-425-417-229-228-45 -436-435-434-433-432-431-430-429 586-585-516-461	عمر راسم
599	عيسى البخيتي
544	عيسى بن سليمان الجزائري

عيسى تعموت	531
عيسى مسعودي	270
غابرييل أوديسيو	539-40
غوستاف فلوبير	538-41
غوستاف لانسون	19
غوستاف موتيلانسكي	38
غي دو موباسان	41
فاطمة منصور آيت عمروش	362
فتيحة القرصو	333
فرانز فانون	557-505-348
فرانسوا ميتيرون	93
فرانسوا رينيه دي شاتوبريان	40-38
فرحات عباس	-597-595-594-510-364-362-207-204 625
الفرزدق: أبو فراسٍ هَمَّامٌ	472-471
فريدريش شيلر	453-452
فلاديمير لينين	583
فيودور ديستوفسكي	54
فيروز	310-309-308
فيكتور سبيلمان	517
فيكتور كورنتز	523
فيكتور هوغو	-311-310-230-218-211-205-120-38 505-377-312
فينسنت مونتييل	373
قادة بوطارن	-596-596-595-594-593-364-362-10-8 597
قاسم أمين	443-442
القديس أوغسطين	374-126

511-507-506-467-406-374-373-65-64-555-549	كاتب ياسين
120	الكاردينال لافيحري
469-408	كامل كيلاني
73	كمال الرياحي
40	كميل روسيه
316	لوسي إريغاري
331	لوسيان ديسكافيس
355	لويذة إغيل أحرير
335	لويذة قلال
331-329-177	لويس بيرتراند
420-253	لويس تيرمان
328	لويس ليكوك
480-479	ليفى بروفنسال
346-343-338-336-333-4	ليلى بن ذياب
434	ليلى بنت الكيز الأعرابية
335	ليلى جبالي
89	ليون ديوسي
120	المارشال ليوتي
379-341-105	مارغريت طاووس عمروش
1	ماريا ريمارك
152	ماريا سوزان
522	ماريو روستان
49	ماريو بارغاس يوسا
435	ماكس ريجيس
328	ماكسيميليان هيلر
207-63-36	مالك بن نبي
549-507-506-116-109-108-65-64	مالك حداد

5-370-444-445-446-447-448-517-554-566	مبارك المليبي
304-305-518-554	مبارك جلواح
200-227-274-441-448	محمد ﷺ
29-32-552	محمد ابن رحال
6-224-245-291-293-456-457-544-557-559	محمد الأخضر السائحي
4-230-231-232-517-519-638-647-648	محمد الأمين العمودي
5-70-143-153-186-346-370-437-494-501-527-578-589-590-604-606-622	محمد البشير الإبراهيمي
5-9-390-391-395-398-635-636	محمد الزاهي
4-9-42-43-65-66-68-69-70-73-223-224-370-517-518-532-534-535-536-537-543-544-550-566-578-615-617-618-620-623-624-627	محمد السعيد الزاهري
253-458	محمد السعيد بن زكري
265-266-308-451-589-590	محمد الشبوكي
458	محمد الشريف
638-639-640	محمد الشيخ ولد أغا
497-498-532	محمد الصالح الصديق
635-636	محمد الصالح بن عتيق
5-189-231-370-399-400-401-402-412-622	محمد الصالح رمضان
26	محمد الصالح لعنتري
543	محمد الصديق بن عريوة
558	محمد الطاهر الفرقاني
387	محمد الطاهر تليلي
52-488-643	محمد الطاهر فضلاء
73-74-75-543-544-545-546	محمد العربي

محمد العيد آل خليفة	9-68-145-222-223-228-248-270-293-298-306-417-483-497-517-518-543-544-540-532-607
محمد العيد الجباري	543-75
محمد الفاسي	366
محمد المنصوري الغسيري	190-189
محمد النجار	158
محمد الهادي السنوسي الزاهري	274-273-227-218
محمد بن الزاوي	456
محمد بن الشاهد	22
محمد بن العابد الجلاي	554-73-72-70-69
محمد بن الهاشمي بن المكي	45
محمد بن بكير	516
محمد بن بلقاسم البوجليلي	458
محمد بن بلقاسم الهاملي	320
محمد بن جلون	526
محمد بن عبد الرحمن الديسي	552
محمد بن عبد الكريم	262-86
محمد بن عبد ربه	499
محمد بن علال ولد سيدي مبارك	118
محمد بن مصطفى خوجة	553-425-319-228
محمد بوزيدي	593-592-591-271-270
محمد بولبينة	245-244
محمد جابر الأنصاري	500
محمد حربي	508-467-406
محمد حسين هيكل	465-56
محمد خير الدين	364-362-234-206

محمد ديب	4-8-10-63-64-65-101-240-507-509-639-638-549
محمد رشيد رضا	553
محمد سائلة	582
محمد صالح الجابري	73-75-629
محمد عباسية الأخضرى	518
محمد عبد الوهاب	277-504
محمد عبده	319-425-442-500
محمد علي دبوز	416
محمد علي طاهر	176
محمد علي فقيه	82-109
محمد فريد	27
محمد لعرج بوطارن	10-595
محمد لمين دباغين	204
محمد مخلوفى	85-86-546
محمد مزاتي	346
محمد منيع	80
محمد ناصر	14-153-199-238-416-425-429-435-643-623-614-578-553-504-498-436
محمود المسعدى	461
محمود بيرم التونسي	76
محمود تيمور	461
محمود طه	455
محمود كحول	515
محي الدين بشرى	638
محيي الدين ابن واضح	546
المختار البلخيفي	408
المختار بن عمر البعلاوي	298
مخلوف عامر	14-55-513

20-19-18	مدام دي ستايل
29	مرسلي (د.)
308	مسعود زيتوني
26	مسلم بن عبد القادر الوهراني
625-624-621-619-601-351-34	مصالي الحاج
408-467-461-406	مصطفى الأشرف
33-31	مصطفى الكبابي
117	مصطفى بشير
56	مصطفى بن إبراهيم
318	مصطفى بن الخوجة
183	مصطفى بن عزوز
76	مصطفى خريف
449	مصطفى صادق الرافعي
146	مصطفى قزدي
638-149	مصطفى كاتب
498-473-472-51	مصطفى لطفي المنفلوطي
640-639-161-93-89-10	معراج أغا
493	معروف الرصافي
-543-532-518-417-244-243-242-226 603-602-601	مفدي زكرياء
29	المكي بن باديس
405-404-403-402-9-5	المكي بن عزوز
344-333	مليكة بن عامر
644-262	موسى الأحدي
481	موسى الزباني
-190-108-107-103-102-99-65-64-63-4 -507-363-361-215-194-193-192-191 634-633-632-631-549-511	مولود فرعون
511-509-507-207-103	مولود معمري

92	مومن سعد
511-510-327	مي زيادة
284-84	ميخائيل نعيمة
443	مثير ديزنجوف
416-415-5	نعيم النعيمي
455	نكولا فياض
548-546-136-135-126-65-64	نور الدين بوجدره
366	نيكولا زيادة
172	هسدرو بعل
42-41	هنري دي مونشلان
117	هوشي منه
320-118	الوانوغي بن بومزراق المقراني
388-277-276	وردة الجزائرية
389	وكال محمد
357	ياسر جاسم قاسم
94	ياسين بوغابة
121	يحيى اللبنيوية
357-356	يمنى العيد
119	يوبا الثاني
39	يوجين فرومنتان
595	يوسف بن عبيد
631	يوسف شقرة
627-66	يوسف وغليسي
431	يوسف يناك

فهرس الأماكن

610	الأبيار
439	أدرار
470	أرجاونة

أركاديا	173
أزفون	458
إسبانيا	480-479
إسطنبول	155-121
الإسكندرية	116-32
الأصنام	245
الأطلس	279-278-269
الأغواط	254
آفلو	606-604-205
آكس آن بروفانس	114
ألمانيا	114-113
أمريكا	511
الأندلس	-408-407-406-229-228-151-143-59 558-557-499-480-479-470-469-468
الأوراس	614-143-130-128-114-84
أورشليم (القدس)	431
أولاد جلال	158-69
ايغل نزمان	107-106-105-104
باب الواد	645
باتنة	607-588-531-530-481-346-114
باريس	-109-108-105-94-93-74-61-13-12-9 -175-150-131-116-113-112-111-110 207-193-182-181-180
باندونغ	401-131
بجاية	304-293-71
البحر الأبيض المتوسط	401-391-172-109
برازافيل	77
بربروس	602-586-427-386-346-203-196
برج الغدير	644-262

481-452	برج بوعريبرج
355	برلين
596-595-593-8	بريزينة
-273-234-231-158-95-69-66-42-23 -529-476-439-408-399-298-288-280 607-568	بسكرة
-504-430-290-289-288-93-88-87-86 640-594-567	بشار
610	بطحة لحكومة
118-117	بغداد
420-331-326-324-296-120-42	البليدة
609-582-401-272-271	البندقية (فينيسيا)
610-347-203	بني مسوس
242-198	بني يزقن
242	بني يسمن
259	بني يعلى
642-641	بودواو
386	بور سعيد
593-103	بوزريعة
642-641	بوشي (مزرعة)
125-124	البوعنانية
401	بولندا
647-452	البويرة
432	بيت المقدس
502-466-405-277-195	بيروت
593	البيض
376	تادرت-أو-فيلا
639	تاغيت
91-90-89	تافيالت

376-190	تاويرت موسى
470-308-186-185-183-134-133	تبسة
431-403-393-212-165	تركيا
125	تطوان
435	تل أبيب (قرية الشيخ مؤنس)
-524-520-419-369-273-205-204-189 605-556-546-528-527-526	تلمسان
390	تمنجر
114	تمنراست
398-396-395-391	تولون
-76-75-74-73-66-52-45-44-43-15-13-7 -102-101-100-99-85-84-82-81-79-77 ...125-122-109-108	تونس
646-620-597-595-594-205-116	تيارت
249	تيازة
458-439-191-122-106-104-102	تيزي وزو
113	تيمقاد
308	ثليجان
458	ثيفريث ناث الحاج
377-107	جبال جرجرة
184	جبل الرابطة
426-400	جنيف
230-200-98-97-96-95-94-52-26	الحجاز
112	الحديقة لكسمبورغ
643-641	الحراش
527	حلب
392	الحي اللاتيني
640-260-218	خرائطة
389	خميس مليانة

527-299-151	دمشق
630	دوار تلاغ
393	ديجون
54	روسيا
383-375-374-183-182-181	رادس
110	سان جيرمان
397-391	سانت إتيان
-640-605-388-304-262-259-218-204	سطيف
644-642	
461-97	السعودية
245-78	سعيدة
568-189-134-131-128-95-94	سكيدة
499-484-459-346-322	سوريا
99	سويداني بوجمة
401-180	سويسرا
452	سيدي الشحمي
630-481-344-373	سيدي بلعباس
408	سيدي خالد
629-94-93	سيدي عقبة
93	سيدي علية
525	سيدي عيش
539-36-25	الشام
308	الشريعة
344	شلغوم العيد
130	الصين
122	طرابلس
431-124-116	طنجة
647	العجينة
525-419-349-348-346-318-242	عناية

297	عين الدفلى
343	عين بسام
607	عين مليلة
593	الغاسول
599-598-236-89	غرداية
531-530-390-389-236	غليزان
.550-467-406-125-124-119-79	فاس
-74-68-67-61-39-38-35-34-32-12-11 -108-107-106-105-104-99-92-91-78 -135-134-132-131-130-129-128-125197-147-145	فرنسا
-430-429-425-423-387-332-330-262-5 624-437-436-435-434-432-431	فلسطين
545	فيينا
605-531-530-488-218-99	قائمة
613-533-456-276-199-198	القرارة
564-563-562-441-175-173-172	قرطاج
125	قرطبة
122	القسطنطينية
-134-129-114-108-94-84-66-32-23-9 -344-328-273-262-260-245-232-230 -445-444-408-399-392-391-390-389 -530-526-525-524-520-510-481-446 -629-606-605-567-565-556-552-531 644-637-636-635	قسطنطينية
591-522-452-270-184-149-132	القصبة
392	قصر التريلري
594	القيطون
118-117	كراتشي

612-499-322	لبنان
393-392-176	لندن
273-234-66	ليانة
644	ليبيا
391	مارسيلييا
375	ماكسولا
392	متحف اللوفر
84	مداوروش
420-308-23	المدينة
481	المدينة المنورة
593-530-390-389	مستغانم
304	المسيلة
78	المشرية
-84-50-43-42-36-28-27-25-21-15-13 -322-264-263-165-125-120-109-90 -484-459-442-440-435-427-387-346 -569-551-550-539-503-499-495-494 588	مصر
610-593-347-127	معسكر
-126-125-123-122-120-117-89-79-42 -320-304-296-243-217-184-175-172 646-631-602-501-499-498-368	المغرب
-371-367-353-305-298-217-117-42-37 -602-519-511-498-497-439-423-374 625-624-623-615	المغرب العربي
121-95-94	مكة المكرمة
389	مليانة
346	منعة
117-116-108	موسكو

376	موسى أو عمر
-533-529-518-496-421-236-198-38 598-555	ميزاب
173	ميغالوبوليس
445-420	ميلة
552	ندرومة
89	النعامه
610	نحج الرمفالي
394-393	نحر الرون (ليون)
394-393	نحر الصون (ليون)
401	نحر الفستولا
121	نحر بردى
119	نوميديا
428	نيس
432	الهرسك
114	الهقار
246-245-244	وادي الشلف
439-230	وادي سوف
402-401-399	وارسو
456	ورقلة
-194-191-150-119-82-89-88-87-82-8 -467-439-406-390-355-353-350-245 623-620-556-551-524	وهران
121	اليمن
372	اليونان

فهرس الجداول

- الجدول رقم (01): يوضح التعسف الاستعماري تجاه التعليم العربي وردود الفعل الوطنية: 32
- الجدول رقم (02): يعرض قائمة للروايات بين (1900-1919): 57
- الجدول رقم (03): يعرض قائمة للروايات بين (1920-1939): 58
- الجدول رقم (04): يعرض قائمة للروايات بين (1940-1945): 61
- جدول رقم (05): يعرض قائمة للروايات بين (1946-1954): 62
- جدول رقم (06): يعرض قائمة للروايات بين (1955-1962): 64
- الجدول رقم (08): يبرز أعمال محمد ولد الشيخ أغا الأدبية: 88
- جدول رقم (9): يعرض قائمة لبعض المسرحيات (1920-1939): 142
- جدول رقم (10): يعرض قائمة لبعض المسرحيات (1946-1954): 147
- جدول رقم (11): يعرض قائمة لبعض المسرحيات (1955-1962): 149
- جدول رقم (12): يبرز الكتابات الأدبية لجان عمروش: 179
- جدول رقم (13): يوضح مراحل تطور الشعر في الجزائر: 221
- جدول رقم (14): الكتابات الأدبية لإليسا رايس (1919-1931): 329
- جدول رقم (15): يبرز أعمال الكاتبات الجزائريات فترة الاحتلال الفرنسي (1919-1962): 331
- جدول رقم (16): لكتابات الأدبية للكاتبة آنا غريكي: 346
- جدول رقم (17): يبرز أهم المذكرات واليوميات والسير الذاتية الساردة لفترة (1900-1962): 360
- جدول رقم (18): يوضح مسار رحلة محمد الزاهي الملي 1938: 390
- جدول رقم (18): يوضح الفترات التي مر بها الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية: 509
- جدول رقم (19): يبرز بعض الصحف الجزائرية المهتمة بالنشر الأدبي بين (1900-1919): 514
- جدول رقم (20): الصحف العربية الجزائرية المهتمة بالنشر الأدبي بين (1919-1939): 515

- جدول رقم (21): لبعض الصحف الجزائرية المهتمة بالنشر الأدبي بين (1939-1962): 517
- جدول رقم (22): يوضح مصادر تغطية تكاليف انشاء المطبعة العربية: 528
- جدول رقم (23): يبرز بعض الكتابات الشعرية الجزائرية في الصحف التونسية: 541
- جدول رقم (24): يبرز بعض الكتابات القصصية الجزائرية في الصحف التونسية: 544
- جدول رقم (25): يبرز بعض القصائد والأغاني المقدمة في إذاعة هنا الجزائر بين 1952-1960: 555

فهرس الملاحق

- الملحق رقم 01: غلاف أول عمل روائي جزائري في القرن العشرين (1904) 654
- الملحق رقم 02: غلاف رواية خضرة، راقصة من أولاد نايل لسليمان بن إبراهيم وإتيان دينيه (1926) ... 655
- الملحق رقم 03: الصفحة الأولى من رواية خضرة، راقصة من أولاد نايل لسليمان بن إبراهيم وإتيان دينيه (1910) 656
- الملحق رقم 04: الصفحة الأولى من رواية سعادة مغربية للكاتبة إليسا رايس (1920) 657
- الملحق رقم 05: غلاف رواية زهرة، زوجة عامل المنجم لعبد القادر حاج حمو (1925) 658
- الملحق رقم 06: غلاف كتاب رفقاء الحديقة (1933) 659
- الملحق رقم 07: صورة محمد ولد الشيخ آغا 660
- الملحق رقم 08: غلاف رواية الطفل والعجوز لعبد الله شعبانة (1950) 661
- الملحق رقم 09: غلاف رواية الأرض والدم للكاتب مولود فرعون (1953) 662
- الملحق رقم 10: غلاف رواية الحريق المنشورة سنة (1958) 663
- الملحق رقم 11: خبر نقل جثمان الكاتب علي الحمامي إلى الجزائر وموعد جنازته (1950) 664
- الملحق رقم 12: الصفحة الأولى من مسرحية حنبل لأحمد توفيق المدني الصادرة سنة (1950) 665
- الملحق رقم 13: الصفحة الثانية من مسرحية حنبل لأحمد توفيق المدني (1950) 666
- الملحق رقم 14: رسالة تهنئة بمسرحية حنبل من هيئة الإذاعة البريطانية إلى أحمد توفيق المدني (1953) . 667
- الملحق رقم 15: بطاقة مكتوبة بخط اليد من إليسا رايس إلى لويس بيرتراند (1924) 668
- الملحق رقم 16: رسالة مكتوبة بخط اليد من إليسا رايس إلى لويس بيرتراند (الوجه الأول) 669
- الملحق رقم 17: غلاف مجلة العمل يحمل صورة محررة مقالاته جميلة دباش (1948) 670

- الملحق رقم 18: قصيدة بستان الصيف لبييرث بن يشو-أبولكر (1935) 671
- الملحق رقم 19: وثيقة رسمية من الحاكم العام للجزائر بخصوص وفاة الباشاغا بن شريف الشريف بن سي أحمد، ضابط كبير في وسام جوقة الشرف (26 مارس 1949) 672
- الملحق رقم 20: سيرة محمد بن سي أحمد بن شريف في الجيش الفرنسي من أرشيف المجلة الافريقية المصورة (عدد 30 أبريل 1921) 673
- الملحق رقم 21: عرض ونقد لرواية ثلاثة رجال ومثذنة في مجلة طالب الجزائر لغابرييل أوديسيو (1926) . 674
- الملحق رقم 22: ارسالية من كاتب الدولة للرئاسة إلى كاتب الدولة الداخلية 675
- الملحق رقم 23: قائمة الكتب التي طبعت بالشركة التونسية لفنون الرسم بين (1956-1964) 676
- الملحق رقم 24: قائمة الكتب التي طبعت بالشركة التونسية لفنون الرسم بين (1956-1964) 677
- الملحق رقم 25: اعلان المسابقة السنوية الأولى لـ "التطور الجزائري" (1912) 678
- الملحق رقم 26: نص إعلان لشاعر الزبانية في جريدة الجحيم سنة (1933) 679
- الملحق رقم 27: مراسلة حول جائزة قرطاج الأدبية وشروط المشاركة (1930) 680
- الملحق رقم 28: اعلان عن مسابقة أدبية لأدباء شمال أفريقيا في تونس (1932) 681
- الملحق رقم 29: مقال أحمد رضا حوحو "حاضر الثقافة والأدب" (1956) 682
- الملحق رقم 30: مقال محمد ديب "خالد" (1951) 683

فهرس المحتويات

إهداء.....	01
شكر وعرفان.....	
قائمة المختصرات:.....	
مقدمة.....	01

المدخل: ملامح تشكل الكتابات الأدبية الجزائرية

1. وضع الأدب في الجزائر خلال القرن التاسع عشر.....	18
1.1. مفهوم الأدب وعلاقته بالتاريخ:.....	18
1.2. الأدب في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي:.....	20
1.3. التعليم وعلاقته بالأدب.....	24
2. دوافع الكتابة بين 1830-1900.....	27
1.2. الوظيفة لدى الإدارة الاستعمارية.....	27
2.2. المقاومة الأدبية.....	30
3. عوامل تشكل الكتابات الأدبية في القرن العشرين.....	33
1.3. الوضع السياسي العالمي.....	33
2.3. الوضع الثقافي الإقليمي.....	35

الباب الأول: الكتابات الأدبية السردية والشعرية

الفصل الأول: الكتابات القصصية والروائية

أولا: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي.....	48
1. مفهوم السرد:.....	48
2. مفهوم القصة.....	49
3. نشأة القصة.....	50
4. مفهوم الرواية.....	52
5. نشأة الرواية.....	53

65	ثانيا: نماذج من الكتابات القصصية:.....
65	1. قصص سياسية واجتماعية.....
65	1.1. قصة المساواة، فرانسوا والرشيد لمحمد السعيد الزاهري: ...
69	2.1. قصة السعادة البتراء لمحمد بن العابد الجلالي.....
73	3.1. قصة الرماد لمحمد العربي:
79	2. قصص ثورية.....
79	1.2. قصة شهيد بلا قبر للحبيب بناسي.....
84	2.2. قصة فدائية للطاهر وطار.....
85	3.2. قصة الأسرة... الشهيدة لمحمد مخلوفي الجزائري:.....
86	ثالثا: نماذج من الكتابات الروائية:
86	1. روايات اجتماعية:.....
86	1.1. رواية مريم بين النخيل للكاتب محمد ولد الشيخ أغا.....
93	2.1. رواية غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو.....
98	3.1. رواية الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي.....
102	2. روايات حول الهوية والثورة.....
102	1.2. رواية الأرض والدم لمولود فرعون.....
108	2.2. رواية سأهبك غزالة لمالك حداد.....
116	3.2. رواية إدريس لعلي الحمامي.....
126	4.2. رواية الحريق للكاتب نور الدين بوجدره.....
137	خلاصة:.....

الفصل الثاني: الكتابات المسرحية والرسائل

139	أولا: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي.....
139	1. مفهوم الكتابة المسرحية.....
140	2. نشأة الكتابة المسرحية.....

150	3. لغة الكتابة المسرحية.....
152	4. مفهوم كتابة الرسائل.....
154	ثانيا: نماذج من الكتابات المسرحية
154	1. اجتماعية وثقافية:.....
154	1.1. مسرحية بابا قدور الطماع لرشيد القسنطيني.....
157	2.1. مسرحية مضار الجهل والخمر والحشيش والقمار لمحمد العابد الجلاي.
161	3.1. مسرحية الخليفة لمحمد ولد الشيخ أغا.....
165	4.1. مسرحية أدباء المظهر لأحمد رضا حوحو.....
167	2. سياسية:.....
	1.2. مسرحية الهارب للطاهر وطار 167
171	2.2. مسرحية حنبل لأحمد توفيق المدني:
176	ثالثا: نماذج من كتابة الرسائل
177	1. رسائل وجدانية:.....
177	1.1. رسائل من إيسا رايس إلى لويس بيرتراند.....
179	2.1. رسالة جان عمروش إلى والدته فاطمة آيت منصور عمروش.....
183	2. رسائل فكرية.....
183	2.1. رسالة العربي التبسي إلى أبو القاسم سعد الله.....
189	2.2. رسالة محمد الغسيري إلى محمد الصالح رمضان.....
190	3. رسائل نضالية.....
190	1.3. رسالة مولود فرعون إلى ألبير كامو.....
195	2.3. رسالة الجنيدى خليفة إلى منصور
198	3.3. رسالة عيسى أبو اليقظان إلى والده أبو اليقظان.....
204	4.3. رسالة أحمد طالب الابراهيمى إلى ألبير كامو
215	خلاصة:.....

الفصل الثالث: الكتابات الشعرية

أولاً: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي:	217
1. مفهوم الشعر في الجزائر.....	217
2. نشأة الشعر في الجزائر.....	219
3. أنواع الكتابات الشعرية:	222
1.3. الشعر الذاتي.....	222
2.3. الشعر الملتزم.....	224
3.3. الشعر الغنائي والطبيعة وتعريب الشعر:	228
4.3. شعر الاخوانيات والمرثيات.....	229
ثانياً: نماذج من كتابة الشعر الذاتي.....	229
1. كتابة الحزن والشكوى:	229
1.1. قصيدة نار عصبية التلهاب لمحمد الأمين العمودي.....	229
2.1. قصيدة حرفة الأدب لأحمد سحنون.....	233
3.1. قصيدة في السجن لرمضان حمود.....	235
4.1. قصيدة ظلال لمحمد ديب.....	239
5.1. خواطر كتيب لمفدي زكرياء.....	241
6.1. قصيدة مصابك يا وادي الشلف لمحمد بولبينة.....	243
2. كتابة شعر الغزل.....	246
1.2. مساجلة أدبية.....	246
2.2. قصيدة (دنيا) لعناني سليمان.....	248
ثالثاً: نماذج من الشعر الملتزم:	252
1. كتابة الشعر القومي:	252
1.1. قصيدة دمعة على الملة لعمر بن قدور.....	252
2.1. قصيدة حييت يا قصيدة حييت عبد القادر الحسيني للربيع بوشامة.....	258

- 3.1. قصيدة تحية عبد الكريم الخطابي لعبد الكريم العقون... 261
2. كتابة الشعر الثوري:..... 264
- 1.2. قصيدة لبيك يا ثورة شعب للشاعر محمد الشبوكي 264
- 2.2. قصيدة الجزائر الخالدة لأبو القاسم سعد الله..... 267
- 3.2. قصيدة بندقية للشاعر محمد بوزيدي.. 269
3. كتابة الشعر الديني:..... 272
- 1.3. قصيدة تحية المولد النبوي الشريف لمحمد الهادي السنوسي الزاهري..... 272
- 2.3. قصيدة أتى رمضان للشاعر أحمد الهلالي..... 274
- رابعا: نماذج من الشعر الغنائي والطبيعة وتعريب الشعر: 275
1. كتابة الشعر الغنائي:..... 275
- 1.1. أغنية نداء الضمير لصالح خرفي وأداء وردة الجزائرية..... 275
- 2.1. أغنية الغربة لشاعر مجهول من أداء الطاهر رحاب 278
- 1.3. أغنية دموع الحب للشاعر سعيد حايف وأداء لطيفة 284
2. كتابة شعر الطبيعة:..... 287
- 1.2. قصيدة ها هو الربيع يا شمس، بشار لرحاب الطاهر 287
- 2.2. قصيدة الصحراء لمحمد الأخضر السائحي..... 290
3. تعريب الشعر..... 290
- 1.3. قصيدة التحلي لفيكتور هوغو ترجمة الطاهر بوشوشي 290
- 2.3. أحسنوا للفقير لفيكتور هوغو تعريب جلول البدوي..... 291
- خامسا: نماذج من الشعر الاخوانيات والمراثيات:..... 294
2. كتابة الأخوانيات:..... 294
- 1.2. لطيفة بين شاعرين لحمزة بوكوشة ومحمد العيد آل خليفة..... 294
- 2.2. قصيدة أين فيروز؟ للشاعر محمد الشبوكي.. 296

294	1. كتابة شعر المراثيات:.....
298	1.1. قصيدتي إلى رحمة الله وإلى الزهرة الآسية للطاهر بوشوشي:.....
301	2.1. قصيدة دمعة أسي لجلول البدوي.....
303	3.1. قصيدة الوداع، الوداع !! لمحمد العيد آل خليفة.....
309	4.1. قصيدة عزّ الجزائر لمبارك جلواح.....
312	خلاصة.....

الباب الثاني: الكتابات النسائية والتوثيقية والاحتجاجية:

الفصل الأول: الكتابات النسائية والكتابات التوثيقية

315	أولاً: الكتابة النسائية.....
315	1. دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي.....
315	1.1. مفهوم الكتابة النسائية.....
317	2.1. أسباب تأخر ظهور الكتابة النسائية في الجزائر.....
324	3.1. ظهور الكتابات الجزائريات في ظل الاحتلال.....
340	2. نماذج لكتابات الجزائريات:.....
340	1.2. الكتابات السردية.....
340	1.1.2. تحديات التعبير وتعدد الهويات في كتابة فاطمة آيت عمروش.....
342	2.1.2. قراءة في خطاب ليلي بن ذياب حول تعليم المرأة.....
345	2.2. الكتابات الشعرية والغنائية:.....
345	1.2.2. قصيدة عنابة لآنا غريكي.....
348	2.2.2. قصيدة بستان الصيف بيرث بنيشو-أبولكر.....
352	3.2.2. كتابة الأغاني للتعبير عن معاناة النساء.....
355	ثانياً: الكتابة الأدبية التوثيقية.....
355	1. دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي:.....
355	1.1. مفهوم الكتابات التوثيقية.....

357	2.1. نشأة كتابة المذكرات واليوميات
364	3.1. نشأة كتابة الرحلات
370	4.1. نشأة كتابة التراجم
371	2. نماذج من كتابة المذكرات واليوميات:
371	1.2. مذكرات قصة حياتي لفاطمة آيت عمروش
384	2.2. يوميات مسار قلم لأبو القاسم سعد الله
388	3. نماذج من كتابة الرحلات:
388	1.3. رحلة في بعض جهات الوطن لعبد الحميد بن باديس
389	2.3. رحلة أربعون يوما في الطريق من باريس إلى قسنطينة لمحمد الزاهي الميلي
398	3.3. رحلة سوانح وارتسامات عابر سبيل لمحمد الصالح رمضان
401	4. نماذج من كتابة التراجم:
401	1.4. ترجمة العلامة الشيخ المكي بن عزوز للكاتب عبد الرحمن الجيلالي
404	2.4. ترجمة أبو القاسم محمد بن هاني لسعد الدين بن شنب
407	5. ترجمة للشيخ نعيم النعيمي لرضا حوحو:
411	خلاصة:

الفصل الثاني: الكتابة الأدبية الاحتجاجية

413	أولا: دراسة في المفاهيم والتأسيس التاريخي:
413	1. مفهوم الكتابة الاحتجاجية
415	2. مفهوم كتابة المقال
415	3. نشأة كتابة المقال
417	4. كتابة العرائض في الجزائر:
420	ثانيا: نماذج من العرائض المقال النقدي السياسي والاجتماعي:
420	1. العرائض:
420	1.1. عريضة أبو اليقظان إلى السلطة الفرنسية بشأن توقيف صحفه

- 422 2.1. عريضة أحمد توفيق المدني إلى جامعة الدول العربية...
- 424 2. نقد السياسة.....
- 424 1.2. مقال استعمار فلسطين لعمر راسم:
- 436 2.2. مقال فصل الدين عن الحكومة لمحمد البشير الابراهيمي...
- 438 3. نقد المجتمع.....
- 438 1.3. مقال قيمة المرأة في المجتمع لحمزة بوكوشة.....
- 443 2.3. مقال تعليم المرأة الكتابة لمبارك الميلي.....
- 447 3.3. مقال كيف ينشأ الحب للحسن بن عبد الرحمن.....
- 450 ثالثا: نماذج من المقال النقدي الثقافي:
- 450 1. نقد الأدب العالمي:.....
- 450 1.1. نقد رواية الحب والخداع لأحمد شقار الثعالبي:.....
- 452 1.2. بحيرة لامارتين في الأدب العربي الطاهر بوشوشي.....
- 454 2. نصائح للكتابة الأدبية:.....
- 454 1.2. مقال المؤدب الجزائري الحديث لمحمد الأخضر السائحي.....
- 456 2.2. مقال تسرع بعض مدعي الكتابة للإساءة إلى الأدب لأبو يعلى الزواوي.....
- 457 3.2. مقال الاشتغال بالشرق أنسانا أنفسنا لأبو يعلى الزواوي.. ..
- 460 4.2. مقال الأدب الحي بين أدب القصة وأدب المقالة لأحمد رضا حوحو.....
- 463 3. نقد الأدباء.....
- 463 1.3. مقال أسئلة حول مقال دسائس طه حسين على السيرة النبوية الشريفة لكاتب مجهول ...
- 465 2.3. مقال أبو القاسم محمد هالي الأندلسي لسعد الدين بن أبي شنب.....
- 469 3.3. مقال إلى الأستاذ رابع بونار- حول النهضة الأدبية في الجزائر لأبو القاسم سعد الله:.....
- 473 4. نقد الكتب والمواضيع الأدبية.....
- 474 1.4. نقد كتاب امرأتنا للشيخ الطاهر الحداد لعبد الحميد بن باديس.....
- 475 2.4. مقال مع المتنبي لطفه حسين لفرحات بن الدراجي.....

- 3.4. مقال على هامش الكتب الحديثة لسعد الدين بن أبي شنب 477
- 4.4. مقال الربيع في الشعر الجزائري المعاصر لأحمد ابن ذياب: 480
5. نقد المسرح..... 482
- 1.5. مقال المسرح العربي في الجزائر لسعد الدين بن أبي شنب..... 482
- 2.5. مقال كلمة نقدية حول رواية حب النساء لحسني عبد الله... .. 487
- خلاصة:..... 488

الباب الثالث: منابر الأدب والسياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي في الجزائر

الفصل الثالث: المؤسسات الثقافية وفضاءات النشر في الجزائر

- أولا: اختيارات الجزائريين في القراءة والتعبير الأدبي 492
1. اهتمام الجزائريين بالأدب العالمي... .. 492
- 1.1. الاهتمام الأدب العربي: 492
- 2.1. الاهتمام الأدب الغربي: 503
2. خيارات لغة الكتابة:..... 505
- 1.2. الكتابة باللغة الفرنسية 505
- 2.2. الكتابة باللغة العربية أو العامية: 511
- ثانيا: المؤسسات الثقافية..... 512
1. الصحافة:..... 512
2. المكتبات الجزائرية خلال 1900-1962:..... 518
- 1.2. المكتبات الخاصة بالأوروبيين..... 520
- 2.2. المكتبات الخاصة بالأهالي..... 523
- 3.2. المكتبات العامة الخاصة: 524
3. المدارس العربية الجزائرية -مدرسة دار الحديث أنموذجا-... .. 525
4. المطابع - المطبعة العربية لإبراهيم أبو اليقظان أنموذجا -.. .. 527
5. الجمعيات - جمعية اخوان الأدب لمحمد السعيد الزاهري أنموذجا-..... 532

536	ثالثا: فضاءات النشر
536	1. المنشورات المطبوعة:
536	1.1. الجرائد والمجلات:
537	1.1.1. النشر في الجرائد والمجلات الاستعمارية:
538	2.1.1. النشر في الجرائد والمجلات الجزائرية:
540	3.1.1. النشر في الجرائد والمجلات العربية:
546	2.1. الكتب:
548	3.1. الدواوين:
554	2. الإعلانات والترويج الثقافي:
554	1.2. عبر الإذاعة:
557	2.2. المسابقات الأدبية:
562	3.2. الإعلان على خدمات الطباعة والمكتبية:
564	4.2. إعلانات الكتب:
566	5.2. إعلانات المسرحيات والأخبار الأدبية:
568	خلاصة:

الفصل الرابع: السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاه الإنتاج الأدبي

570	أولا: السياسة الاستعمارية الإدارية تجاه الكتابات الأدبية:
570	1. التحكم المادي والتعظيم الإعلامي:
570	1.1. التضييق المادي:
572	2.1. التعظيم الإعلامي:
574	2. تحميد النشاط:
574	1.2. توقيف الصحف:
576	2.2. توقف المسرحيات-مسرحية خالد شمشون الجزائري لمحمد ولد الشيخ أنموذجا-
577	3. الهجوم الثقافي ضد الأدب الجزائري:

- 1.3. قمع النصوص المكتوبة باللغة العربية 577
- 2.3. محاولة تشويه سمعة الأدباء الجزائريين 579
- ثانيا: الإقامة الجبرية والسجن للأدباء الجزائريين 581
1. السجن: 581
- 1.1. سجن عمر راسم 582
- 2.1. سجن أحمد سحنون 584
- 3.1. سجن الشاعر محمد الشبوكي 586
- 4.1. سجن الشاعر محمد بوزيدي 588
- 5.1. سجن قادة بوطارن 590
- 6.1. سجن رمضان حمود 594
- 7.1. سجن مفدي زكرياء 598
2. الإقامة الجبرية: 600
- 1.2. الإقامة الجبرية لعمر بن قلدور 600
- 2.2. الإقامة الجبرية لمحمد البشير الإبراهيمي 601
- 3.2. الإقامة الجبرية لمحمد العيد آل خليفة .. 604
- ثالثا: التعذيب والتصفية الجسدية للأدباء الجزائريين 605
1. التعذيب: 605
- 1.1. تعذيب حمزة بوكوشة .. 606
- 2.1. تعذيب عيسى أبو اليقظان 610
2. التصفية الجسدية: 611
- 1.2. اغتيال العربي التبسي 611
- 2.2. اغتيال محمد السعيد الزاهري .. 612
- 3.2. اغتيال أحمد رضا حوحو 625
- 4.2. اغتيال الحبيب بناسي 627

629	5.2. اغتيال مولود فرعون.....
632	6.2. اغتيال محمد الزاهي.....
634	7.2. اغتيال أحمد بوشمال.....
635	8.2. اغتيال محمد الشيخ ولد أغا.....
638	9.2. اعدام الربيع بوشامة.....
642	10.2. اعدام عبد الكريم العقون.....
644	11.2. اغتيال محمد الأمين العمودي.....
646	خلاصة:.....
648	الخاتمة.....
653	الملاحق.....
684	قائمة المصادر والمراجع.....
742	الفهارس.....
743	فهرس الأعلام.....
761	فهرس الأماكن.....
769	فهرس الجداول.....
770	فهرس الملاحق.....
772	فهرس المحتويات.....
784	ملخص أطروحة الدكتوراه.....

ملخص أطروحة الدكتوراه

تتناول هذه الدراسة: الكتابات الأدبية الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1900-1962م) - دراسة تاريخية، حيث تتبع تطور مختلف الأجناس الأدبية الجزائرية في سياق الاستعمار الفرنسي، بما في ذلك السرد القصصي، والرواية، والمسرح، والشعر، والرسائل، والكتابات النسائية والتوثيقية والاحتجاجية، وتعالج الأطروحة العوامل التاريخية والاجتماعية والثقافية التي أثرت على هذه الكتابات، وتوضح دور الصحافة، والمجلات، والجمعيات الثقافية، والمطبوعات، والمدارس، في نشر النصوص الأدبية، كما تُبرز التعدد اللغوي بين العربية والفرنسية في إنتاج الكتابات الأدبية.

تتبع الدراسة المراحل التاريخية لتشكّل هذه الكتابات، من إرهابات السرد الأولى في الصحافة العربية إلى تطور الرواية والمسرح، وتحليل الرسائل والأدب التوثيقي وأدب الرحلة، مع التركيز على خصوصيات الكتابة النسائية في ظل القيود الاجتماعية والمؤسسية الاستعمارية، كما توضح الأطروحة تنوع الموضوعات والأساليب الأدبية، والارتباط بين النصوص والواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي للجزائر خلال أكثر من ستة عقود، دون أن تربط مباشرة الكتابات بمفهوم وعي وطني.

وتخلص الدراسة إلى أن الأدب الجزائري في هذه الفترة اتسم بالغمي والتنوع من حيث الأجناس والأساليب، ويعكس مسارات تاريخية وثقافية متشابكة، مع تقديم الأدوات والمؤسسات التي أسهمت في إنتاجه ونشره، كما توضح أثر الضغوط الاستعمارية على أشكال وممارسات الكتابة، مما يجعل دراسة هذه الكتابات مدخلاً لفهم المشهد الأدبي الجزائري تحت الاستعمار الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: الكتابات الأدبية، أدباء، الاحتلال الفرنسي، الأدب الجزائري، الأجناس الأدبية.

PhD Thesis Abstract:

This study examines Algerian literary writings during the period of French colonial rule (1900–1962) through a historical approach. It traces the development of the various Algerian literary genres within the colonial context, including short narrative prose, the novel, theatre, poetry, letters, women's writings, as well as documentary and protest literature. The dissertation analyzes the historical, social, and cultural factors that shaped these writings, and highlights the role of the press, periodicals, cultural associations, printed materials, and educational institutions in disseminating literary texts. It also emphasizes the multilingual dimension of literary production, particularly the coexistence of Arabic and French.

The study follows the historical stages in the formation of these writings, from the early narrative manifestations in the Arabic press to the development of the novel and theatre, alongside an analysis of letters, documentary literature, and travel writing. Special attention is given to the specificities of women's writing under colonial social and institutional constraints. The dissertation further demonstrates the diversity of themes and literary forms, and the close relationship between literary texts and the social, political, and cultural realities of Algeria over more than six decades, without directly linking these writings to the explicit concept of national consciousness.

The study concludes that Algerian literature during this period was characterized by richness and diversity in terms of genres and styles, reflecting intertwined historical and cultural trajectories. It sheds light on the tools and institutions that contributed to the production and circulation of literary works, and clarifies the impact of colonial pressures on literary forms and practices. Consequently, the study of these writings constitutes a key entry point for understanding the Algerian literary landscape under French colonial rule.

Keywords: Literary writings, writers, French occupation, Algerian literature, literary genres

PhD Thèse Abstract:

Cette étude, intitulée Les écrits littéraires algériens durant la période de l'occupation française (1900-1962) — étude historique, analyse l'évolution des différents genres de la littérature algérienne dans le contexte de la colonisation française. Elle aborde notamment le récit narratif, le roman, le théâtre, la poésie, la correspondance, les écrits féminins, ainsi que les écrits documentaires et protestataires. La thèse examine les facteurs historiques, sociaux et culturels ayant influencé ces productions littéraires, et met en lumière le rôle de la presse, des revues, des associations culturelles, des publications et des établissements scolaires dans la diffusion des textes littéraires. Elle souligne également le pluralisme linguistique, marqué par la coexistence de l'arabe et du français dans la production littéraire.

L'étude retrace les différentes étapes historiques de la formation de ces écrits, depuis les premières manifestations du récit dans la presse arabophone jusqu'au développement du roman et du théâtre, en passant par l'analyse de la correspondance, de la littérature documentaire et du récit de voyage. Une attention particulière est accordée aux spécificités de l'écriture féminine dans un contexte de contraintes sociales et institutionnelles imposées par le système colonial. La thèse met également en évidence la diversité des thématiques et des procédés esthétiques, ainsi que les liens entre les textes littéraires et les réalités sociales, politiques et culturelles de l'Algérie sur plus de six décennies, sans établir de rapport direct entre ces écrits et la notion de conscience nationale.

Enfin, l'étude conclut que la littérature algérienne de cette période se caractérise par une grande richesse et une forte diversité tant sur le plan des genres que des formes d'expression. Elle reflète des trajectoires historiques et culturelles complexes, tout en mettant en évidence les cadres institutionnels et les outils ayant contribué à sa production et à sa diffusion. Elle montre également l'impact des contraintes coloniales sur les formes et les pratiques de l'écriture, faisant de l'analyse de ces écrits un axe fondamental pour la compréhension du champ littéraire algérien sous la domination coloniale française.

Mots-clés : Écrits littéraires, écrivains, occupation française, littérature algérienne, genres littéraires.